
موسوعة آباء الكنيسة
الجزء الأول
دار الثقافة

موسوعة آباء الكنيسة

الجزء الأول

المحرر المسئول

عادل فرج عبد المسيح



طبعة ثانية

الكتـاب : **موسوعة آباء الكنيسة (جـ١)**
المحرر المسئول : **عادل فرج**
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقـم الإيداع : ٣٤٩٨/ ٩٩
الترقيم الدولي : 5- 467 - 213 - 977
المطبعة : مطبعة سيوبرس ت: ٦/ ٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة

١٠ / ٧٨١ ط٢ / ١-١,٥ / ٩٩ - ٢٠٠٦

اللجنة الاستشارية

مقدمة الدار

كتابات الآباء جزء أصيل من التراث الأدبى المسيحى، الذى يزخر بأفكار لاهوتية ثرية. والبحث فى نشأة الفكر اللاهوتى أمر ضرورى ولازم لمعرفة أصول الفكر المسيحى.

وهذه السلسلة من موسوعة تاريخ آباء الكنيسة تتبع ما أرسوه من دعائم الفكر اللاهوتى المسيحى من خلال إسهاماتهم الأدبية حتى القرن العاشر الميلادى.

ويسر دار الثقافة أن تقدم للقارئ الدراسات الجادة التى تسهم فى تعميق الإدراك والفهم للمسيحية، والتى تدعو إلى مشاركة مجتمعنا قضاياه ومشاكله، كما كان الآباء مشاركين بآرائهم واجتهاداتهم فى مجتمعاتهم.

دار الثقافة

مقدمة

يزخر تاريخ الكنيسة بكثير من الأحداث والمعلومات، وبالحركة التى انبعثت عنها موجات.. قد تكون مداً أو جزراً.. غير أنها الحركة على أى حال، وفق قانون الطبيعة وعلى الباحث أن يتناول هاته الأحداث، وأن يتتبع تلك الموجات من المد والجزر بكثير من التدقيق والموضوعية. والباحث فى تاريخ الكنيسة- بعامة- يجد نفسه أمام بحر ملئ باللآلئ النفيسة. كما أن الباحث فى تاريخ آباء الكنيسة- بخاصة- يدرك أن ثمة أراضي بكراً كثيرة خصبة، تنتظر من يكتشفها. وأنها تحمل كثيراً من الثمار، لم تتذوقها بعد أفواه الدارسين والباحثين! فالاهتمام بموضوع آباء الكنيسة، يعد موضوعاً حديثاً فى الأدب العربى، إذا ما قورن بما يلقاه من الاهتمام فى الغرب.

ويتفق مع الاهتمام بآباء الكنيسة، أن كثيراً من دور النشر والمؤسسات تهتم بترجمة أعمال الآباء ونشرها. وهى تقوم بمجهود طيب،نحن بحاجة إليه. غير أن دراسة تشتمل على تاريخ آباء الكنيسة فى إطار تاريخ الكنيسة والخلفيات الثقافية والاجتماعية والسياسية... يظل مطلباً هاماً، للإلمام الشامل بتاريخ الكنائس، فى المواقع الجغرافية المختلفة.

ودراسة آباء كل كنيسة...وملامح الفكر اللاهوتى عند كل كنيسة.. ولدى كل أب من آبائها، تتيح لنا الوقوف على حقيقة كيف أن آباء الكنيسة كانوا يهتمون بموضوعات «الساعة» التى كانت تشغل الكنيسة، واهتمامات الناس آنذاك.

إن النظرة الشاملة فى تاريخ الآباء- على هذا النحو- تتيح للدارس قدراً من التأمل، وقدرة على الربط بين أجزائه، فضلاً عن إمكانية البحث فى أوجه التشابه والمسايرة أو الاختلاف والمغايرة، فى الفكر اللاهوتى، عند الكنائس، بل ومتابعة تطور الفكر اللاهوتى طوال تاريخ الكنيسة.

إن الفكر اللاهوتى المسيحى لا يبدأ من فراغ، ولا يدور فى فراغ، ومن ثم كان علينا أن نبدأ تاريخ الآباء..منذ أن أسس الآباء الأولون الكنائس الأولى فى بقاعٍ عديدة من العالم. بل علينا أن نبدأ من الزمن الذى بدأ فيه روح الله الإعداد للرسالة المسيحية. ونرى أنه من الضرورى ذكر ما قام به الرسل من عمل كرازى، لأن الآباء بنوا على الأساس الذي وضعه الرسل. مع دراسة مختصرة لأسفار العهد الجديد. تذكر الكاتب، ولمن كتب كل سفر، وأهم العناصر التى يحتويها السفر، حتى تكون رسالة العهد الجديد، وتاريخ الكنيسة، وإسهامات الآباء، واضحة فى ذهن القارئ. مما يساعد متابعة الفكر اللاهوتى وتطوره.

ثم تأتى دراسة المسيحية والمفاهيم الاجتماعية، وما هو دور المسيحية وأثرها على المجتمعات التى نشأت فيها..فماذا فعلت المسيحية تجاه نظام الرق الذى كان قائماً آنذاك. وما هى نظرة المسيحية للمرأة، والأسرة، والسياسة؟!! كل هذه موضوعات كان لزاماً علينا دراستها- دون إسهاب - حتى نستطيع أن ننقل للقارئ والدارس صورة شاملة واضحة لرؤية الكنيسة للمفاهيم الاجتماعية فى فترة ما قبل نيقية.

أما عن الكنيسة الأولى وتعاليمها وممارساتها، فكان لابد من إلقاء الضوء عليها. لذلك كان لزاماً علينا القيام بذلك لنعرف كيف بدأت الممارسات الكنسية، وكيف نشأ التعليم اللاهوتى وتطور من قبل نيقية وبعدها. وكذلك فإننا سنتعرض لموضوع من الموضوعات الشائكة فى الفكر اللاهوتى، ألا وهو موضوع الثالوث القدوس فى فكر الآباء قبل نيقية.

أما تطور الفكر اللاهوتى والانحرافات والهرطقات التى ظهرت بعد ذلك، فقد تعددت أشكاله وروافده.. ولذلك رصدنا تلك الهرطقات بصورة كافية لتوضيح أن الجانب الأعظم منها قد اندثر بفعل تصدى آباء الكنيسة لها فى كتاباتهم.

وكان ضرورياً أن نعرف كيف نشأ الفن فى المسيحية، وكيف نشأ الرمز الفنى، والمعانى التى يشير إليها، والدور الذى قام به فى الكنيسة الأولى، وكيف تطور. وأخيراً نختتم الجزء الذى بين يديك- عزيزى القارئ- بإلقاء نظرة على تاريخ الآباء وإنجازاتهم.

وسوف تحمل الأجزاء التالية-إن شاء الله-دراسة نشأة الكنيسة فى ثقافات عديدة، وملامح كل كنيسة، فمثلاً نتعرض لكنيسة الإسكندرية ومدرسة اللاهوت فيها، والآباء التابعين لها.. ونعرض لكل شخصية من الآباء: نشأته، حياته، إسهاماته الفكرية، وأعماله الأدبية التى كتبها، وتقديم أهم ملامح فكره اللاهوتى.

إننا نؤكد أن ثمة كثيراً من الموضوعات يمكن أن تكون محور موسوعة مستقلة، ونحن نقدم هذه الموسوعة آملين أن تكون باكورة لأعمال ودراسات موسوعية أخرى.

وسوف يجد القارئ أن بعض المواد قد وضعت فى خلفية مختلفة،وفى شكل برواز، وذلك لإلقاء الضوء عى شئ قد يغمض على الفهم، أو لمزيد من الإيضاح. وآثرنا وضعها فى هذه الصورة حتى يكون واضحاً منذ البداية أنها ليست جزءاً من السياق أو السرد.

وقد رأينا تزويد المادة بالخرائط والأشكال والصور، مما قد يكون له أثره الايجابى فى معرفة جغرافية البلاد، أو نقل بعض صور الماضى كما كانت عليه، من أجل فهم أعمق وأدق لما كانت عليه الأمور آنذاك.

إن ما قدمه الآباء لنا يعد ذخراً فكرياً وثقافياً، وتراثاً دافقا ثرياً. لابد أن نقترب منه بالتأمل والبحث والدراسة، بنظرة متعمقة فى جذوره وأصوله.، تلك النظرة التى بدونها لا يمكن أن يكتمل فهمنا وإدراكنا لما نحن عليه الآن.

إننى مدين بالشكر لكثيرين ممن عاونوا فى إخراج هذا العمل للنور..والشكر لله أولاً وأخيراً الذى أعاننا فى إنجاز هذا العمل منذ كان فكرة، وحتى أصبح واقعاً ملموساً.

ونرجو من القارئ العزيز أن يرسل إلينا بملاحظاته وآرائه لتضمينها- إذا لزم- فى الطبعات الجديدة لتكون أكثر اكتمالاً ووضوحاً.

وإلى اللقاء مع الأجزاء التالية بإذن الله.

عادل فرج عبد المسيح

المحرر المسئول

المحتويات

صفحة

الباب الأول

الفصل الأول

التمهيد للمسيحية

أ- دعوة إبراهيم.
ب- اليهودية والهيلينية والإمبراطورية الرومانية.
ج- الوثنية.
ء- اليهودية والمسيحية.
هـ- الناموس والنبوة.
و- الحضارة اليونانية والإمبراطورية الرومانية.
ز- الفلسفة اليونانية الرومانية.
ح- مركزية مكانة السيد المسيح.

١ ـ دعوة إبراهيم

لقد اختارت نعمة الله الفائقة إبراهيم ونسله ليكونوا شهوداً لله، وليحملوا معرفة الله الإله الحى الوحيد للعالم الوثنى، وليكونوا وسيلة لتحقيق الوعد الكريم، وليكونوا مهداً للمسيحية. وقد بدا ذلك مع دعوة الله لإبراهيم، وعهد يهوه معه ليرث هو ونسله أرض كنعان، أرض الموعد. وفى مصر نموا وأصبحوا شعباً كبيراً. وبناءً على الناموس الذى تلقاه موسى فى سيناء تطورت الأمة اليهودية إلى دولة ثيوقراطية. وقد قاد يشوع الشعب فى طريق دخولهم إلى أرض الموعد، حيث بلغوا أوج مجدهم فى عهد القضاة والملوك، وبخاصة فى أيام داود وسليمان. ثم انقسمت المملكة إلى مملكتين، تعادى إحداهما الأخرى، ونتيجةً للصراعات الداخلية، وازدياد الخروج على الدين، بل ولأن كثيرين منهم أصبحوا وثنيين، فقد عوقبوا بأن أسرهم الغزاة الوثنيون، ولكنهم عادوا مرة أخرى إلى أرض الآباء. وبعد سبعين عاماً من الإذلال وقعوا ـ مرة أخرى ـ تحت نير أعدائهم من الوثنيين. وفى النهاية تحقَّقت الرسالة السامية حيث وُلد المخلص فيهم. إن تاريخ العهد القديم هو فى الأساس تاريخ الأمة اليهودية التى جاء منها المسيح.

تختلف الديانة اليهودية عن ديانات سائر الشعوب الوثنية فى ذلك الوقت ـ اختلافاً بيّناً. فقد كانت الديانة اليهودية آنذاك بمثابة واحة فى الصحراء. وكانت تتبع ناموساً أخلاقياً

البحر المتوسط
جبال لبنان
جبل حرمون
دمشق
دان
بحيرة الحولة
باشان
كورازين
كفر ناحوم
سهل عكا
طبرية
بحر الجليل
الناصرة
جبل الكرمل
نهر اليرموك
ديكابوليس العشر مدن
جلعاد
السامرة
السامرة
نهر اليبوق
نهر اليرقون
أفرايم
نهر الأردن
بيت إيل
عمون
أريحا
أورشليم
بيت لحم
جبل بنو
الأردن
لاخيش
جت
حبرون
غزة
نهر أرنون
اليهودية
موآب
بير سبع
النقب
نهر زارد
وادى العريش
أدوم
بترا

خريطة فلسطين فى زمن السيد المسيح

وناموساً طقسياً متشدداً .

فكانت الأمة اليهودية تشغل موقعاً في ملتقى قارات ثلاث. ومحاطة بأمم الحضارات القديمة العظيمة، وكانت تفصل بينهم وبينها الصحراء في الجنوب والشرق، والبحر في الغرب، والجبال من ناحية الشمال، وكان ذلك هو الذي حمى حرية الشعب زمناً طويلاً من التأثيرات الخارجية. وقد حملت اليهودية في قلبها ذلك الوعد بأنه في إبراهيم وفي نسله تتبارك جميع قبائل الأرض «لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم». (تكوين ۱۷ : ٥).

فإبراهيم هو أبو الإيمان، وموسى الذي تسلّم الناموس، وداود الملك البطل، وصاحب المزامير، وإيليا التشبي الذي ظهر مع موسى على جبل التجلي وإشعياء النبي، ويوحنا المعمدان الذي يمثل حلقة بالغة الأهمية في سلسلة الإعلان القديم .

إن الظروف الخارجية والحالة الدينية والأخلاقية التي كان عليها الشعب اليهودي في وقت ميلاد السيد المسيح، بدت مغايرة ومخالفة للقصد الإلهي. إلا أنها برهنت على مايلي :

أولاً: إن حالة الفساد التي كان عليها الشعب كانت تحتاج إلى تدخُّل العناية الإلهية.

ثانياً: إن الفداء الذي تم في المسيح، رغم ما بدت عليه حالتهم من سوء، كان تتويجاً لعمل الله الفريد.

ثالثاً: عاش أولاد ابراهيم الحقيقيون في وسط هذا الكم الهائل من الفساد، متطلعين إلى خلاص إسرائيل، ومستعدين لقبول الرب يسوع المسيح، حسب الوعد، مخلصاً للعالم.

منذ أن فتح بومبي Pompey أورشليم في سنة ٦٣ ق.م.، أصبح اليهود هدفاً للرومانيين الوثنيين، وقد حكموا اليهود بلا رحمة أو شفقة. فحكمهم أولاً هيرودس الأدومي وأبناؤه . ثم بعد ذلك حكمهم ولاة من الرومان.

وتحت ثقل ذلك النير الكريه، ازداد التطلع والتمسك برجاء مجيء المسِّيا. فانتظروا بشغف مخلِّصاً سياسياً، لكي يعيد سلطان داود على نحو دائم عظيم، وقد انزعجوا من الصورة التي جاء عليها المسيح إذ جاء «آخذاً صورة عبد» (فيلبي ٢ : ٧). كانت أخلاقهم في ذلك الوقت أفضل - من جهة الظاهر والشكل لا المضمون - من أولئك الوثنيين، فبتذرعهم للطاعة الصارمة للناموس أخفوا فساداً عظيماً .

وقد وصفهم العهد الجديد بأنهم «غلاظ الرقبة»، «أولاد الأفاعي» .

أما يوسيفوس، المؤرخ اليهودي المعروف، الذي أراد أن يقدمهم لليونانيين والرومانيين على أفضل ما يكون، فقد وصفهم بأنهم أناس أشرار، وغشاشون، ويستحقون العقاب الذي وقع عليهم في خراب أورشليم .

أما فيما يتعلق بالدين، فإن اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي، تمسكوا تمسكاً شديداً بحرفية الناموس الطقسي، ولكن بدون معرفة بروح أو قوة الكتب المقدسة .

ب - اليهودية والهيلّينية والامبراطورية الرومانية

أولاً: اليهودية والهيلّينية / فيلو

ثانياً: اليهودية والإمبراطورية الرومانية

أولاً : اليهودية والهيلّينية / فيلو

* اليهودية والهيلّينية

إننا نعني ذلك اللقاء وتلك المزاوجة بين الديانة اليهودية واللغة اليونانية وثقافتها وفلسفتها، وقد ظهرت على أفضل ماوصلت إليه في الإسكندرية، بمصر بخاصة في الفترة بين

القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الأول الميلادى.

وقد تمثَّلت البداية فى اللقاء الذى حدث على نطاق أوسع نسبياً بين اليهودية والهيلِّينية فى الترجمة اليونانية للعهد القديم، والمعروفة «بالترجمة السبعينية». (راجع الفصل الخاص بالإسكندرية).

انتشرت اللغة اليونانية والثقافة اليونانية فى كل شرقىّ حوض البحر المتوسط منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد. وكان مركز الإشعاع هو الإسكندرية ـ لذا فليس بعجيب أن نرى عدداً كبيراً من الكاتبين ـ الذين يدينون باليهودية ومن الجنس اليهودى يكتبون أعمالهم باللغة اليونانية الدارجة، والمعروفة بلغة كوينى (Koiné)، متمثِّلين فى ذلك بالأعمال الكلاسيكية اليونانية والآداب الهيلِّينية. ومع أن كتاباتهم كانت باللغة اليونانية، إلا أنها كانت تحمل الطابع اليهودى

وثمة فلاسفة عديدون من اليهود ـ الهيلِّينستيين، كانت لهم أهمية بالغة فى نشأة أدب الآباء اليونانيين، وكذلك الأفلاطونية المحدثة ، والتى استمر تأثيرها على مدى عدة قرون .

الهيلينستية

كان للحضارة اليونانية أثر بالغ فى العصر الذى بزغت فيه ، حتى إنه سُمى بالعصر اليونانى . فكانت اللغة اليونانية وثقافتها هى لغة العالم المتقدم وثقافته.

وأصبحت كلمة هيلِّينستية Hellenisticism تشير إلى كل من ليس هو من أصل يونانى، ولكنه يحاكى اليونانيين فى لغتهم وثقافتهم ونمط حياتهم، وسلوكهم.

لقد شغل أرسطوبولس Aristobulus مكانةً بارزةً فى الفلسفة الهيلِّينية ـ اليهودية، وقد عاش فى نحو القرن الثانى قبل الميلاد ، أى أنه كان معاصراً لبطليموس فيلوميتور السادس، ومما يؤكد أن الجزازات المتبقية هى من أعماله، أن كلاً من القديس كليمندس السكندرى ويوسابيوس المؤرخ، قد اقتبس منها. إلا أن ثمة محاولات قام بها ر. سيمون R. Simon، هـ. هودى H. Hody وأخيراً أ. إلترA.Elter. من أجل إنكار أعمال أرسطو بولُس ، بل وإنكار وجوده فى القرن الثانى قبل الميلاد. وقد قام بنقدها نقداً وافياً ل.س. ڤالكنير L.C. Valckenaer، و وولتر Walter.

كان أرسطو بولُس أحد المؤيدين الأساسيين ـ إن لم يكن أكثرهم تأييداً ـ للفكرة التى تبنَّاها ، فيما بعد فيلو السكندرى والعديدون من الكُتَّاب المسيحيين، والتى تقول باعتماد الفلاسفة اليونانيين والشعراء على الترجمة اليونانية للعهد القديم ، وفى عمله الذى أهداه لبطليموس فيلوميتور لم يتردد فى التأكيد على وجود ترجمة يونانية للكتب المقدسة العبرية أسبق من الترجمة السبعينية، وذكر على سبيل المثال فى (الفصل رقم (١٠) من الكتاب رقم (١٣) والذى يحمل عنوان:

The Praeparatio evangelica demonstrate سلسلة طويلة من الأسفار تحمل أسماء العديد من الكاتبين اليونانيين، غير أنه فى الواقع كان يجب أن هذا العمل الذى نُقل عن اليهودية (طبقاً لشورير Schurer) يكون ضمن عمل «هيكاتايوس» - مؤلف كتاب عن إبراهيم، ذكره كليمندس فى كتابه المتنوعات (٥ : ١١٣: ٣) (ومسألة نقل بعض الأعداد عن اليهودية، قد ذكرها أيضاً كليمندس وغيره فى كتابه المذكور سابقاً (٥:١٠٧ : ١ - ١٣٣: ٣) أما س. ليلاً S. lilla فيؤكد صحة ما أشار إليه وولتر Walter عن أنه يجب أن لا نعطى اهتماماً كبيراً بما وصف به أرسطو بولس أنه أرسطوطاليسى. إلا فيما يتعلق بما نادى به الأرسطو طاليون بالتسامى الأخلاقى المثالى.

لقد شهدت الفلسفة اليهودية ـ الهيلّينستية قمة التعبير عنها في فيلو السكندري، الذي عاش في ختام القرن الأول قبل الميلاد، والنصف الأول من القرن الأول الميلادي، حيث كتب تفاسير «فلسفية» للعهد القديم، وحاول التوفيق بين الديانة اليهودية والفكر اليوناني، وكان يقصد بالتفسير الرمزي الذي استخدمه الوصول إلى المعنى الأعمق والأصح، ويختلف عن التفسير الحرفي الذي كان سائداً في تلك الفترة.

* فيلو والثقافة اليهودية ـ الهيلّينستية

فيلو Philo الإسكندري هو الممثل الأكبر للثقافة اليهودية الهيلّينستية، وغير معروف على وجه التحديد تاريخ مولده أو وفاته، فبينما يذكر بعض الباحثين سنة ٣٠ ق.م. تاريخاً لمولده. يذكر آخرون سنة ٢٠ ق.م. تاريخاً آخر، وهكذا الحال لسنة وفاته والتي يرجح وقوعها بين سنتيّ ٤٠ م، ٥٠م، وعن تأثير فيلو في الفكر اللاهوتي يرى هـ. كروزل H.Crouzel أن لفيلو أثراً كبيراً في فكر بعض الآباء مثل القديس إكليمندس الإسكندري، والعلّامة أوريجانوس، والقديس أمبروزيوس (أمبروسيوس) والقديس غريغوريوس النيصي، ويبدو أن كلاً من المؤرخين من يوسابيوس وجيروم اعتبراه مسيحياً (موسوعة الكنيسة الأولى).

كان فيلو معاصراً للسيد المسيح، وإن كان أكبر منه سناً، وقد دعا إلى حياة النسك والتأمل، ويبدو أنه سار على نهج الربيين، وهو من أسرة عاشت في الإسكندرية، وكانت من أغنى العائلات التي عملت بالتجارة.

لقد تلقى فيلوتعليماً وثقافة يونانية خالصة، إلا أنه ظل مخلصاً لإيمانه اليهودي، وبحسب معلوماتنا فإن أعماله تعتبر هي الأولى على مدى واسع التي تلتقي فيها الثقافتان اليهودية واليونانية، فقد كان يقوم بشرح العهد القديم باليونانية «قاصداً أن يبين لليونانيين أن في هذه الأسفار فلسفة أهم وأسمى من فلسفتهم، وهو لايفصل بين الفلسفة والدين، ولكنه يتخذ الدين أصلاً، ويشرحه بالفلسفة وقد يؤدي به الأمر إلى أن يعد له بها» (د. وليم سليمان قلاده: تعاليم الرسل).

دافع فيلو عن المجتمع اليهودي الإسكندري من المذبحة التي قام بها الوالي فلاكيوس Flaccus في سنة ٣٨م. حيث سأل أن ترسل بلاده للإمبراطور كاليجولا تطلب منه وقف المذبحة ولم يمنع عنهم كارثة حقيقية سوى قتل الإمبراطور المجنون.

معظم أعمال فيلو الأدبية أعمال تفسيرية، وبعض أبحاثه تتألف من جانب أدبي وآخر أخلاقي، وقد كتب عن حياة إبراهيم، ويوسف، وموسى، والوصايا العشر.

وقام في بعض أعماله بشرح فقرات محددة من سفر التكوين بأسلوب مجازي، وكذلك له أعماله الفلسفية، عن حياة التأمل، يصف فيها الحياة: اليهودية ـ الهيلّينستية لبعض الجماعات مثل «الأسينيون».

لقد استخدم فيلو كل علوم عصره في شرح الكتاب المقدس وأعتبر أن التفسير الحرفي، هو الأساس للتفسير الروحي.

وكانت مصادره الرئيسية هي الناموس فضلاً عن ثقافته الهيليّنستية الموسوعية (من معرفة باللغة والبلاغة والجدل والموسيقى، والجبر، والفلك، والفيزياء ... وغيرها). وقد جعلها في خدمة الفلسفة، والفلسفة عنده هي ضرب من الحكمة والتي يمكن فهمها فهماً روحياً، وقد استخدم النظريات الفيثاغورية في الشرح المجازي على نطاق واسع، وكان على معرفة بالتشريع اليهودي والتشريع اليوناني، وقد تطورت التفاسير الروحية على عدة مستويات وهي في النهاية تفاسير كونية: فالهيكل يرمز إلى العالم، وإن أجزاءه المختلفة هي المناطق المختلفة في الكون وهو ينتقل من العالم إلى الإنسان،

ولذلك فإنه كان من السهل أن ينتقل إلى الحديث المجازي عن الأخلاق، مثل الحديث عن الحيوانات لكى يشرح الآلام، ولا يمكن أن نتفق مع فكرة اللاهوتى عن الله، واللوجوس، والملائكة والإنسان والعالم.

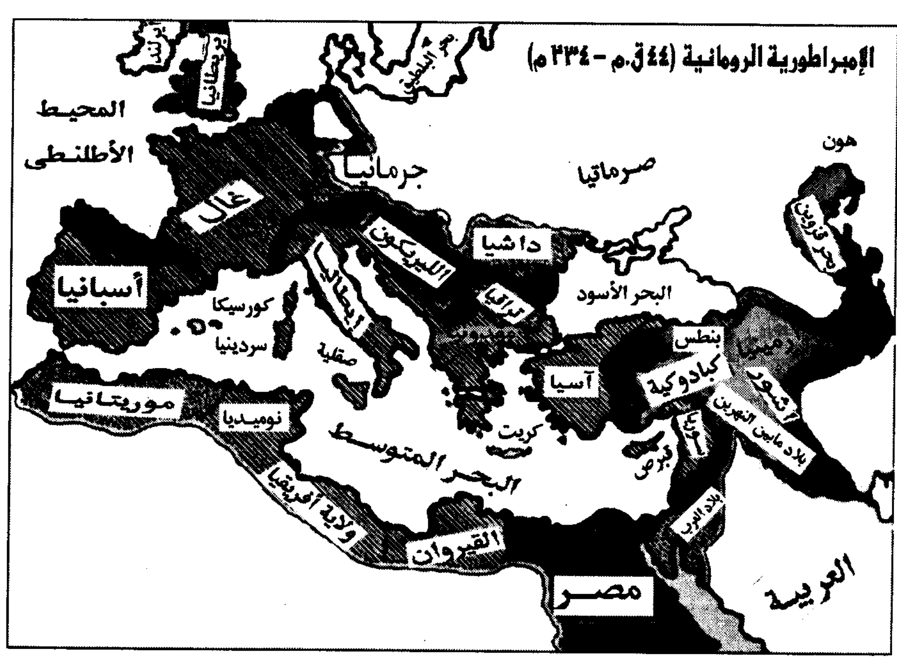
جعل فيلو الفلسفة فى خدمة اللاهوت مستخدماً أسلوباً انتقائياً، وهو ذلك يتبع الفلسفة الرواقية والفلسفة الأفلاطونية، وكذلك الأرسطية، ونجد صدى لتفاسيره الكتابية فى بعض التفاسير الربية.

ظل فيلو يهودياً في معتقداته الأساسية، وهو وإن كان يهودياً إلا أنه قريب في تفكيره اللاهوتي والروحي بوجه عام من أن يكون مسيحياً، وقد كتب عن أن الله وحده يعمل أعمالاً صالحة فى نفس الإنسان لذلك فيجب على الإنسان أن يشكر الله من أجلها.

ثانياً: اليهودية والإمبراطورية الرومانية

بالرغم من أن الإمبراطورية الرومانية لم يتعد تأثيرها المباشر الوحدة السياسية الخارجية إلا أنها أثَّرت بطريقة غير مباشرة فى المدخل الأخلاقى والعقلى المتبادل بين ديانات الأمم واليهودية وذلك على النحو التالى:

١ ـ لقد تشتَّت اليهود منذ الأسر البابلى فى كل أنحاء العالم. فكانوا منتشرين فى كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية فى القرن الميلادى الأول، وبناء على ما كتبه يوسيفوس Josephus وسترابون Strabon فإن اليهود لم توجد دولة من الدول لم يشكِّلوا جزءاً من سكانها. وكان من بين الشهود فى يوم الخمسين «يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين فى أورشليم.. فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون. مابين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحى ليبيا التى نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء» (أعمال٢: ٥و٩- ١١).



الإمبراطورية الرومانية فى ٤٤ ق. م

مناطق ضُمت بين ٤٤ ق. م - ١٤ م

مناطق ضُمت بين ١٤ م - ١١٧ م

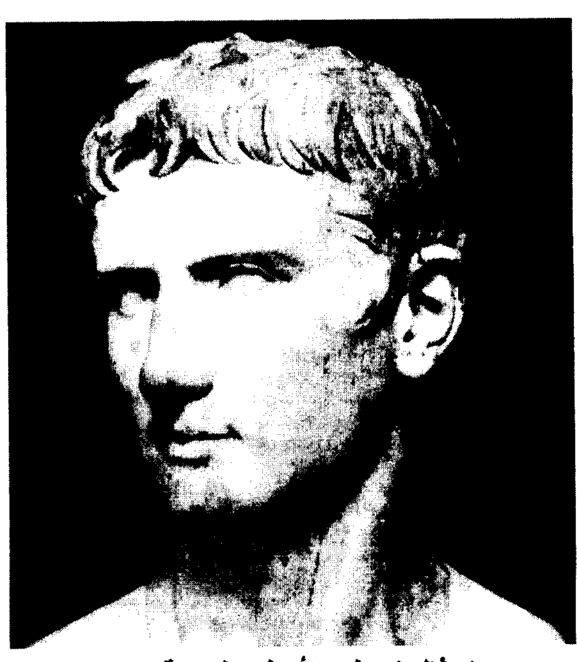
مناطق ضُمت مؤقتاً

وبالرغم من كراهية اليهود للأمم، إلا أنهم كوَّنوا ثروات، وكان لهم نفوذ ومكانة مرموقة، بالمثابرة والمهارة.

وقد بنوا مجمعاً لهم فى كل عاصمة تجارية فى الامبراطورية الرومانية.

وقد نقل بومبى Pompey عدداً كبيراً من اليهود الأسرى من أورشليم إلى روما (نحو سنة ٦٣ ق.م.) وجعلهم يقيمون على الضفة اليمنى من نهر التيبر، وهو بذلك - دون أن يعلم - أقام البنية الأساسية للكنيسة فى الدولة الرومانية.

وكان يوليوس قيصر أعظم من حمى اليهود، وقد عبَّروا عن عرفانهم بجميله، بأن تجمَّعوا لعدة ليالٍ ليقوموا برثائه فى الميدان الذى قُتل فيه، وحيث أحرقت جثته. لأنه كان قد سمح لهم بحرية العبادة العامة، وقدَّم لهم تصريحاً قانونياً كمجتمع متدين. وقد أيَّد أوغسطس قيصر هذه الامتيازات،



تمثال نصفى لأوغسطس قيصر

فقد وصل عددهم فى زمان حكمه عدة آلاف فى روما. إلا أن رد الفعل اختلف مع طيباريوس وكلوديوس حيث أمرا بطردهم من روما، إلاَّ أن اليهود سرعان ما عادوا ليمارسوا عبادتهم وطقوسهم فى حرية.



تمثال لرأس طيباريوس

فقد كانت هناك عدة إشارات تثبت نفوذهم، كما تبين الكره والاحتقار الذي كان يكنّه لهم الرومانيون. وقد وصل إلى أذن نيرون التماس اليهود من خلال زوجته بوبايا Popaea، والتى يبدو أنها كانت تنزع إلى عقيدتهم، كما أن يوسيفوس أحد اليهود المتميزين يمتدح ثلاثة أباطرة وهم ڤيسبسبان، وتيطس، ودوميتيان (دوميطيان).

وقد أصبح شتات اليهود بمثابة البذار لمعرفة الإله الحقيقى، والرجاء فى المسيح، التى بُذرت فى تربة العالم الوثنى، وكان العهد القديم قد تُرجم إلى اليونانية قبل ميلاد السيد المسيح بنحو قرنين من الزمان، وكانت من خلاله تُقرأ النصوص الكتابية فى العبادة العامة، والتى كانت متاحة للجميع، فقد كان المجمع اليهودى نقطة الانطلاق للكرازة بالإله الواحد. وقد كان عوناً للرسل إذ كانت المجامع أماكن العبادة والتمهيد الطبيعى للكرازة بالرب يسوع المسيح المكمّل للناموس والأنبياء.

لقد ضعفت الديانات الوثنية إلى حد اليأس منها. وقد ساعد فى ذلك الشك الفلسفى، وانتشار الإلحاد العام. وقد تحوّل العديدون من الأمميين الجّادين إلى اليهودية. وبخاصة أعداد كبيرة من النساء، وقدأطلق عليهم اسم الدخلاء المتعبدين، وقد كانوا أكثر تعصباً من اليهود أنفسهم. وقد آمنوا بالإله الواحد، وبالناموس الأخلاقى، وبرجاء اليهود فى المسيّا، وقد كانوا أكثر المتجاوبين والمتأثرين بسماعهم للإنجيل، وقد شكّلوا النواة الأولى للكنيسة المسيحية الأولى، وكان من بينهم قائد المئة فى كفر ناحوم ، وكرنيليوس فى قيصرية، وليدية فى فيلبى، وتيموثاوس وغيرهم من التلاميذ البارزين.

٢- ومن ناحية أخرى كان للوثنية اليونانية ـ الرومانية من خلال لغتها وفلسفتها وأدبياتها تأثير ضعيف من أجل تخفيف التعصب الأعمى للفئات العليا من اليهود وأكثرها ثقافة. كان اليهود المشتتون يتحدثون اليونانية ويدعون «الهيلّينستيين»، كما كانوا أكثر ليبرالية من سائر اليهود «العبرانيين» أو يهود «فلسطين» الذين كانوا يتحدثون بالعبرية (لغتهم الأصلية) وهذا ثابت من مبشّرى الأمم مثل برنابا فى قبرص، وبولس فى طرسوس، وكل من كانوا فى كنيسة أنطاكية.

وفى مصر نجد فى مرحلة انتقالية مثالاً واضحاً من عناصر يهودية وامتزاجها بعناصر وثنية تلتقى على تعاليم الإسكندرية وعلى منهج «فيلو» الذى وُلد حوالى سنة ٢٠ ق.م. وعاش حتى سنة ٥٠ م، إلا أنه لم يحدث أن التقى بالسيد المسيح أو بأحد من الرسل، وكان يهدف إلى جعل ديانة موسى فى تناغم وانسجام مع تعاليم أفلاطون، وذلك من خلال التفاسير الرمزية للعهد القديم، وقد استنبط من سفرىّ الأمثال والحكمة تعاليم عن «اللوجوس» تقترب إلى حد ما من مفهوم «اللوجوس» فى إنجيل يوحنا، حتى إن كثيرين من المفسرين يقولون إنه لابد أن القديس يوحنا قد أطّلع على تلك الكتابات أو على الأقل على معانى الكلمات الخاصة بفيلو، ولكن مفهوم فيلو كان يختلف عن مفهوم الرسل فى أن «الكلمة صار جسداً»، فمفهومه كان بمثابة الظل من الجسم، أو الحلم من الحقيقة. (راجع فيلو: مادة: أولاً اليهودية والهيلّينية).

إن «العابدين» من النساك الذين كانوا يعيشون فى مصر يقال عنهم أحياناً بأنهم من طائفة «الأسينيين اليهود»، وقد حملوا الأفكار الأفلاطونية اليهودية إلى الحياة العملية، إلا أنهم فشلوا فى الواقع فى التوحيد بينها فى منظومة دائمة، ولم يكن لهذا التوحيد أن يؤتي أثره إلا من خلال ديانة جديدة تُعلن من السماء.

كان السامريون منفصلين تماماً عن الفلسفة اليهودية فى مدرسة الإسكندرية. فكانوا جنساً خليطاً، وقد مزجوا العناصر اليهودية بالديانة الوثنية بطريقة مختلفة، ويرجع تاريخهم إلى وقت السبى، وقد تمسكوا بالأسفار الخمسة والختان والرجاء فى المسيّا، ولكن كان لهم هيكل خاص بهم على جبل جرزيم، وقد كرههم اليهود الأصليون كراهية شديدة، وقد وجدت المسيحية طريقها إلى السامريين من خلال لقاء المسيح مع المرأة السامرية، ومن خلال كرازة فيلبس(أعمال الرسل ٨) إلا أن أتباع سيمون الساحر قد أبعدوا الكثيرين عن الإيمان.

وقد رأى بعض الكُتّاب المسيحيين أن سيمون الساحر

وآخرين من السامريين هم أصل الغنوسية .

٣- هكذا كان الطريق ممهداً للمسيحية فى جميع الاتجاهات، إيجاباً وسلباً، مباشراً وغير مباشر. نظرياً وعملياً، سواء من خلال الإلحاد أو الإيمان الزائف. وتلك الشعوب المتباينة لم تكن تقدر أن تعيش بمعزل عن بعضها البعض فى مزيج من الديانة اليهودية والثقافة اليونانية وسيادة الإمبراطورية الرومانية. كانت ثمة محاولة عابثة للتوحيد بين الفكر اليهودى والوثنى والديانة المادية العقيمة والفلسفة والفن والقوة السياسية.

كانت القلوب النبيلة الجادة تتشوق لديانة الخلاص. «وفى ملء الزمان» حين ذبلت أجمل زهور العلم والفن، وأصبح العالم على شفا اليأس، ولدت العذراء ابناً ليقيل الجنس البشرى من سقطته ونقائصه، لقد جاء المسيح إلى عالم مائت ليخلق عالماً جديداً، ويمنحه حياة أبدية .

الوثنية

الكلمة اللاتينية للوثنية مشتقة من كلمة تعنى قرية فى إشارة إلى الريف أو القرية ، وتأتى بمعنى ثانوى «مدنى أو برجوازى»، كما تأتى بمعنى «عسكرى» وثمة كثير من المناقشات دارت حول المراحل التى مرت بها الكلمة حتى اصطبغت بالمعنى الدينى ، حيث أصبحت هى الصفة التى تُخلع على كل من أو ما ينتمى إلى الأمم، أو الاعتقاد بتعدد الآلهة قديماً، وقد أشار البعض إلى أن المعنى الدينى يرجع إلى المعنى الثانوى (ومنهم زاهن Zahn) بينما رده آخرون إلى المعنى الأصلى، ويقول پ سينيسكالكو P. Siniscalco إذا أردنا أن نرجع للتاريخ لنعرف البداية، فإن الكلمة اليونانية باجانوس Paganus لم تنتشر إلا فى القرن الرابع قبل الميلاد وهى تحمل فكرة الوثنية كديانة دون أن تكون لها علاقة باليهودية أو المسيحية غير أنه ثمة آراء أخرى، فالآباء المدافعون من اليونانيين فى القرن الثالث الميلادى، قد صنّفوا الجنس البشرى إلى ثلاث فئات: اليونانيين واليهود والمسيحيين.

ونشأ ذلك من حقيقة أن المسيحيين لم يعتبروا أنفسهم لا هيلّينستيين ولايهوداً. فكانوا يدافعون عن المسيحية الجديدة التى ينتمون إليها باعتبارها ضد الوثنية واليهودية.

كان القديس ترتليانوس (أو ترتليان) أول ـ أو لعله من أوائل من كتبوا باللاتينية، ومن أعماله عمل ضد الوثنيين وجعل عنوانه «ضد الأمم»، وربما يرجع ذلك إلى أنه لاحظ أن الرومانيين لايعطون للمسيحيين حقوقهم السياسية، فكانوا لا يسمحون بحمل لقب «مواطنين رومانيين»، ولا يرغبون فى أقصائهم عن الدولة. وقد ترجمت كلمة «اليونانيين» بكلمة «الأمم» ويرى أ. شنيدرA.Schneider أنه ربما يرجع ذلك إلى تأثير الترجمة السبعينية للعهد القديم حيث أشارت إلى الوثنيين على أنهم «الأمم» وكذلك فى العهد الجديد.

لقد حاق بالأمم الوثنية نوع من التحقير بين المسيحيين ، وذلك لأن الوثنيين آمنوا بآلهة زائفة، فكانوا يستحقون اللوم على عبادات وممارسات وتقاليد اجتمعت حول تلك الأوثان.

جـ- الوثنيــة

تنمو الديانات الوثنية نمواً عشوائياً فى تربة الطبيعة البشرية الساقطة، وتعمل على إظلام الوعى الفطرى للإنسان بالله، وتؤله المخلوقات العاقلة وغير العاقلة. وتستخدم التعبيرات القبيحة عن الأمور الأخلاقية، وتقدم ما ينهى عنه الدين من رذائل.

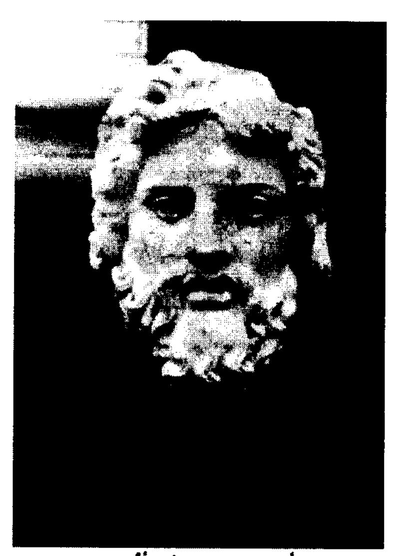
إن ديانة اليونان، التى تركت لنا ثروة من الإنتاج الفنى حتى اعتُبرت ديانة الجمال قد تشوهت بتشوه الأخلاق.

فهم يفتقرون إلى مفهوم «الخطية»، وبالتالى يفتقرون إلى المفهوم الحقيقى «للقداسة»، وهم لا يعتبرون أن الخطية هى «فساد الإرادة» أو فعل ضد الآلهة، وإنما يعتبرونها حماقة



وعملاً ضد الإنسان، حتى ولو صدر ذلك الفعل عن الآلهة أنفسهم، أو بسبب «العمى الأخلاقى» فقد زعموا أن الإلهة أيتى Ate «ابنة جوبيتر» كانت تحمل الآلهة والبشر على اقتراف الأفعال التى تتسم بالحماقة، وبالرغم من إقصائها عن الأولمب، فإنها كانت المصدر لكل الأعمال الحمقاء المزعجة على الأرض، لقد نسب هوميروس بعض العناصر الشريرة إلى آلهته. إن آلهة الرومان شبيهة بآلهة اليونان (فقد أخذ الرومان بعض الآلهة عن اليونان) وقد امتدحوا فيهم الضعف والرذائل ـ كشخصيات يونانية ـ كما امتدحوا الفضيلة.

إن الآلهة يولدون، ولكنهم لا يموتون أبداً. فلهم أجسام وأحاسيس مثل البشر ولكنهم أضخم منهم، فهم يأكلون ويشربون الشراب والطعام الإلهى ، وهى تنام وتستيقظ. كما أنها تنتقل فى رشاقة وسرعة مثل لمح البصر، وتتحارب فيما بينها ، كما تتعايش مع البشر، وتُخلف أبطالاً، وأنصاف آلهة، وهم يحددون بالزمان والمكان، ولكنهم أحياناً كانوا يتميزون بالمعرفة والقدرة ويتصفون «بالقداسة» و«العدل». إلا أنهم جميعاً كانوا معرَّضين للقدر المحتوم(مويرا Moira) فيقعون تحت تأثير الهواجس والأوهام، وينسبون إلى بعضهم البعض الحماقة والجريمة، وتتأثر سعادتهم السماوية بفعل الاضطرابات التى تحدث على الأرض، حتى زيوس Zeus أو(جوبيتر Jupiter عند الرومان) كبير عائلة الأولمب، قد خدعته أخته هيرا Hera أو جونو Juno حيث تزوجها سراً لمدة (٣٠٠ عام) قبل أن يعلن زواجه بها وتتويجها ملكة على الآلهة، وقد تم تجاهل هذا الحدث قبل طروادة، فهو يهدد أتباعه بالموت إن أفشوه، ويجعل الأولمب ترتعش خوفاً عندما يهز رأسه فى غضب فأفروديت Aphrodite الرقيقة أو ڤينوس Venus تنزف دماً من إصبعها المجروح. وقد قتل ديوميدس Diomedes مارس Mars (إله الحرب) بحجر.



رأس زيوس إله أفسس

إن الإلياذة والأوديسة، العملان الأدبيان اللذان نالا شهرة واسعة، هما من العصر الهيلّينى. قد قدما الآلهة فى صورة مخزية، حتى إن أفلاطون طردهم من جمهوريته المثالية، مما حدا بإيسخولوس وسوفوكليس أيضاً أن يقدما الآلهة فى صورة أكثر نبلاً. بينما قدم هوميروس العقائد الشعبية الشائعة.

بالرغم من أن الوثنية قد خلت من «الحق» و «القداسة» إلا أنها كانت ديانة تتلمَّس طريقها إلى «إله مجهول»، وقد أوضحت احتياجها للإيمان من خلال أساطيرها وخرافاتها التى انتشرت آنذاك، فتعدد آلهتها قد نشأ عن خلفية غامضة لفكرة الإله الواحد، فقد جعلت كل الآلهة يخضعون لجوبتير، وجوبيتر نفسه يخضع لقدر غامض، فقد كان لديهم - أساساً ذلك الإحساس بالاعتماد على قوة أعلى، وتوقير للأمور الإلهية. فكان لها صوت الضمير، والإحساس بالشعور بالذنب.

وقد شعرت بالاحتياج للمصالحة مع الآلهة ورأت أن المصالحة يمكن أن تتم من خلال الصلوات والتوبة، وتقديم

الذبيحة. وكان العديد من التقاليد الدينية هى صدى ضعيف للديانة البدائية والحلم بالمزج بين الآلهة والبشر، وأنصاف الآلهة والخلاص الذى ناله بروميثيوس من معاناته وآلامه على يد هيراقليطس، إنما كانت إرهاصات عن غير وعى للحقائق المسيحية.

وهذا ما يفسر الاستعداد الكبير لدى الوثنيين لقبول الإنجيل.

وقد كان ثمة يهود منتشرون فى كافة أرجاء العالم الوثنى، ولكنهم لم يختتنوا فى الجسد، ولكن الاختتان القلبى غير المنظور بين الروح الذى يهب متى يشاء، وغير المحدود بأى وسائل عادية أو غير المقيد بقوانين بشرية.

لعل وجود الصدق، والأخلاق أو التقوى فى العالم الوثنى القديم يعزى إلى ثلاثة مصادر:

المصدر الأول: الإنسان، حتى فى صورته الساقطة، فإنه يتلمَّس صورة الله، ومعرفة الله، مهما كان الضمير أو الشعور الأخلاقى ضعيفاً، والشوق للاتحاد بالإله (لكى يطلبوا الله «لعلهم يتلمسونه فيمجدوه» مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً) (أع ١٧: ٢٧).

والمصدر الثانى: ربما أخذت بعض التقاليد - وإن كانت ضعيفة - من الإعلانات الأولى لآدم ونوح، ولكن **المصدر الثالث:** والأكثر أهميةً مما سبق أن توقعته الوثنية من حقائق، هو عناية الله الفائقة، الله الذى لم يترك نفسه بلا شاهد، وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار مع مفكرى اليونان تأثير عقيدة اللوجوس الإلهى، الذى كان النور الحقيقى للعقل ينير فى الظلمة، وينير كل إنسان، والذى بذر بذار الحق والجمال والفضيلة فى تربة الوثنية.

وقد أينعت زهور تلك الوثنية فى أثينا وروما قديماً، وقد دخل الرسل فى علاقات مباشرة مع المجتمعين اليونانى والرومانى من خلال اللغة والأخلاق والأدب والدين، فهما واليهود كانوا المختارين فى العالم القديم. فقد اختير اليهود لأمور أبدية، لحفظ قداسة الديانة الحقيقية، وقد أعد اليونانيون عناصر الثقافة الطبيعية والعلوم والفنون من أجل نفع الكنيسة، كما طوَّر الرومانيون القانون، ونظَّموا العالم المتمدِّن فى امبراطوريتهم، استعداداً للكرازة بالإنجيل فى كل العالم، فقد كان الرومانيون واليونانيون خداماً - عن غير وعى - للرب يسوع المسيح «الإله المجهول».

هذه الأمم الثلاث والتى تكن الكراهية والضغينة لبعضها البعض، قد اتحدت فى أن تكتب العنوان الذى وُضع على الصليب، حيث رُفع الاسم المقدس «يسوع الناصرى» واللقب الملكى «ملك اليهود» كما أمر بيلاطس الوثنى، «فقد كان هذا العنوان مكتوباً بالعبرانية واليونانية واللاتينية» (يوحنا ١٩: ٢٠).

د - اليهودية والمسيحية

لقد تأثر الفكر اللاهوتى المسيحى - فى بداية المسيحية - بالفكر اليهودى الدينى. بالرغم من القطيعة المبكرة بين المسيحيين واليهود. إلا أنه من المؤكد أن هذا الفكر اليهودى المسيحى واصل تأثيره القوى حتى بعد القرن الثانى.

لقد أشار القديس بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية إلى أن بعض المسيحيين قد جمعوا بين الأسلوب اليهودى فى الحياة (وذكر بخاصة موضوع الختان) والمسيحية. ونجد ذلك الأمر يذكره أيضاً كل من القديس أغناطيوس والقديس يوستينوس، وكان القديس إيريناوس أول من كتب عن ميلاد طوائف من اليهود - المسيحيين، وقد حاول إبيفانيوس (Epiphenius) أن يحلل السبب وراء تكوين هذه المجموعات، وعزا ذلك إلى أولئك الذين تركوا أورشليم فى أثناء الحصار ٦٦ - ٧٠ م.

إن التمييز بين المسيحيين من أصل يهودى والمسيحيين من أصل وثنى ليس بالأمر السهل إذ أن الوثنيين قد قبلوا كثيراً من الأفكار اليهودية والعهد القديم، ويقول دانيِّلو: (Danielou) فى الدراسة التى قام بها إنه لم يحدد أشخاصاً بعينهم أو مجموعات بعينها، ولكن حدد أفكاراً عديدة فى المجتمع المسيحى الأول. ويذكر على سبيل المثال أن الأفكار الخاصة بالملائكة قد أثَّرت على مفاهيم مثل الملك الألفى وشخص المسيح ، ونجد مصادر هذا الاتجاه، مع غيرها فى الكتابات المسيحية الأولى، مثل رسالة برنابا وراعى هرماس، ويبدو أننا يمكن أن نتوقع لعدة قرون (لاسيما فى سوريا) تأثيراً يهودياً كبيراً على المسيحية، ولكنه زال شيئاً فشيئاً.

لم تتدخل الكنيسة سوى فى بعض الحالات التى أثَّر فيها الفكر اليهودى على بعض العقائد الأساسية مثل رفض الميلاد العذراوى وإدخال موضوع الختان إلى المسيحية.

وبالإضافة إلى الأفكار المسيحية اليهودية، فإن الكثير من الاكتشافات الأثرية لاسيما فى فلسطين قد أوضحت مدى تأثير الفكر اليهودى على المسيحية الأولى.

لاشك فى أنه يجب أن نولى اهتماماً أكبر للسمة اليهودية الخاصة التى راجت فى الإسكندرية. فى ذلك الوقت كانت الأفكار اليونانية تجتذب - دائماً - يهود تلك المدينة العالمية العظيمة القائمة على الحدود بين الشرق والغرب، حيث جرت أعظم محاولة لتفسير الفكر اللاهوتى فى ضوء الفلسفة الهيلِّينية، ولعل أعظم مفسر معروف بهذه الميول هو «فيلو» Philo الذى إلى جانب كونه عالماً ذا نزعة صوفية لاجدال فيها - كان أيضاً شخصية لها وزنها فى المجتمع اليهودى فى الإسكندرية، وكان على رأس الوفد الذى أرسل للامبراطور غايس Gaius فى سنة ٤٠م.

وكان يهودياً متزمتاً إيماناً وممارسةً. وقد انجذب نحو الفلاسفة اليونانيين، ولا سيما أفلاطون، وتقبَّل بكل ارتياح التفرقة بين المثال وماهو مُدرك بالعقل، والعالم المادى، ولكنه قال إن كل الأفكار الأفلاطونية الطيبة سبق الإرهاص بها فى الأسفار المقدسة اليهودية.

وكانت الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم تشكل موضوع دراسته المفضلة، ومعظم أعماله الكبيرة كرسها لتفسير هذه الأسفار، وهو يعتبر الكتاب المقدس موحى به تماماً من الله بمعنى أن الله استخدم من كتبوه كأدوات لتوصيل إرادته. وثمة جانبان فى فكر «فيلو» لهما أهمية خاصة بالنسبة لمدارس العقيدة المسيحية نذكرها فيمايلى:

الجانب الأول: استخدم فيلو التفسير الرمزى الذى تمكن بواسطته من تبيان أن الحقائق التى جاءت بها الإعلانات الإلهية مطابقة لتلك التى يقول بها الفلاسفة، والتفسيرات الرمزية لم تكن شيئاً مستحدثاً فى ذلك الحين، فلقد استخدمها المفكرون منذ قرون للكشف عن المعانى الكامنة فى أشعار هوميروس Homer، وهسيودوس Hesiod، وبواسطتها استطاع الرواقيون (ومنهم على سبيل المثال كورنوتيوس Cornutus فى سنة ٥٠ م أن يستلهموا فكرهم الميتافيزيقى من الأساطير القديمة.

أما الجانب الآخر فهو مفهومه عن اللوجوس Logos أو «الكلمة»، وقد سار على نهج الأفلاطونية المتأخرة، فقد علَّم فيلو أن الله متعالٍ جداً، وهو يسمو حتى على الفضيلة والمعرفة والصلاح والجمال المطلق، وهى من المُثل الخالدة التى افترضها أستاذه الموقَّر أفلاطون، فالله كائن طاهر، مطلق البساطة والكفاية، ويمكن وصفه بأنه لايوصف - وربما يعنى بذلك أنه بالنظر إلى سموه فوق كل شيء، فلا يدرج تحت أى من النوعيات المنطقية التى تصنَّف بها الكائنات المحدودة. إن الفكر اللاهوتى اليهودى صوَّر الله وقد دعا العالم إلى الوجود بأمره، لأنه كان مهتماً به مباشرة، أما الأفلاطونية فتؤكد

على خلق الله لملكوته وسيطرته عليه، غير أن الأفلاطونية المحدثة - وكما سنرى - قد أدخلت هيئة متسلسلة من كائنات إلهية بين الله الصالح الأسمى والنظام المادى، وتلك الكائنات الإلهية تحكم وتخلق الأخيرة، وهذا لا يتفق ورأى فيلو، لأنه يجب أن لا يتدخل شىء مع وحدانية الله وتفرده، وبالشكل الذى أعلن فى الكتاب المقدس.

وعوضاً عن ذلك فهو يعتقد فى قوى وسيطة والتى على الرغم من أن وضعها مشوش إلى حد ما، إلا أنها لم تكن كائنات مميزة، ومن بين تلك القوى الوسيطة يجد أن أسماها وأكثرها أهمية هو اللوجوس (الكلمة): أقدمها وأقربها إلى الله ويدعوها: «من الأشياء التى جاءت إلى الوجود» وتعليم فيلو عن الكلمة (اللوجوس) جاء غامضاً، بل وغير مترابط منطقياً، إلا أن سماته الأساسية واضحة بما فيه الكفاية.

واللوجوس باعتباره وسيطاً بين الله والكون، ومن ثم فله دور مزدوج: فهو وكيل الله فى الخلق. كما أنه الوسيلة التى بواسطتها يعرف العقل الله، وكلا الفكرتين تعودان إلى ما تقول به الرواقية. ولسوف تكتشف أن الرواقيين ينظرون إلى اللوجوس (والذى يعنى أيضاً العقل) على أنه المبدأ المنطقى المتأصل فى الحقيقة، حيث يضفى عليها شكلاً ومعنىً، وفى ذات الوقت كان بمقدور الناس أن يفهموا الحقيقة لأن اللوجوس كان فيهم لقد أخذ فيلو المفهوم وربطه مع تعليمه الخاص بسمو الله، وما من شك أنه وجد عوناً من حقيقة أنه قرأ فى الكتاب المقدس أن الله خلق العالم بكلمته، وأنه بكلمته أعلن نفسه للأنبياء، كما أنه على معرفة بلاهوت الحكمة، والذى بمقتضاه خلق الله أولاً الحكمة، ثم استخدمها بعد ذلك لخلق العالم. وكانت ثمة مناقشات كثيرة حول ما إذا كان قد اعتبر اللوجوس كائناً له شخصيته، إلا أن توجيه هذا السؤال معناه سوء فهم موقفه. أما المهم من وجهة نظره بالنسبة للميتافيزيقا هو أن يشبه اللوجوس بالمُثُل أو الصور الأصلية فى عالم أفلاطون، والتى تعد الحقيقة المحسوسة جزء منه وهو على غرار الأفلاطونيين الوسطيين لايعتبر أن ذلك العالم موجود بذاته، بل هو ببساطة يعبر عن عقل الإله الواحد، وكما هو الحال فى الإنسان (نلاحظ أيضاً تأثير الرواقيين) يوجد الفكر المنطقى فى العقل، وكذلك الفكر نطق به ككلمة، وهكذا يأتى اللوجوس الإلهى فى مقدمة جميع الأفكار والخطط التى فى فكر الله، وقد عرض حينئذ كمادة لاشكل لها، ثم جعله ماهيةً أو كياناً حقيقياً عاقلاً، وحين يتكلم فيلو عن اللوجوس بعبارة «الابن البكر» فلا يجب أن يؤخذ هذا التعبير بكثير من الجدية.

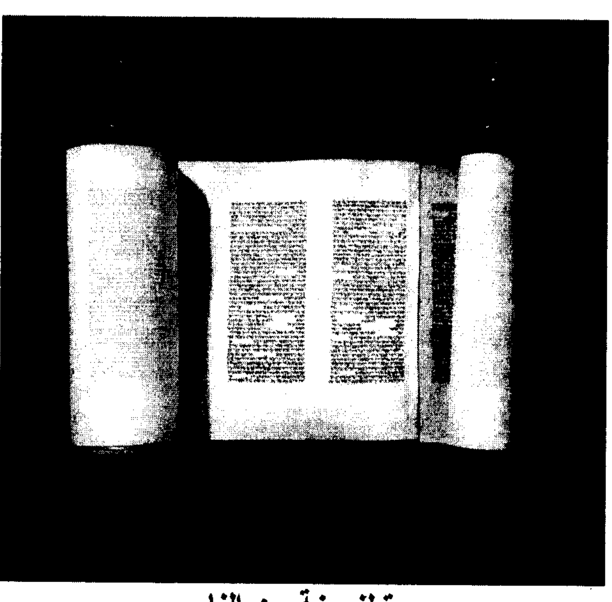
واللوجوس بالطبع هو وسيلة حكم الله وسيطرته على العالم، ولكونه متأصلاً فى هذا، وسامٍ فى العقل الإلهى، فهو على هذا «سيد الكون وموجهه»، وبالنظر إلى عالم المثل الأفلاطونى، فبمقدورنا أن نعرف كيف أن الإنسان بتأمله اللوجوس يستطيع أن يصل إلى معرفة الله. وفضلاً عن ذلك فإنه حين وصف العهد القديم ظهور ملاك الرب (يهوه) للآباء، قال فيلو فى تفسير ذلك: «إن الذى ظهر فى الواقع هو اللوجوس».

هـ - الناموس والنبوة

يشكِّل الناموس والنبوة أهمية بالغة للديانة اليهودية، وهما بذلك يعدان تمهيداً مباشراً للمسيحية «صوت صارخٍ فى البرية أعدوا طريق الرب. قوموا فى القفر سبيلاً» (إشعياء ٤٠ : ٣).

أ - كان ناموس موسى تعبيراً جلياً عن إرادة الله المقدسة قبل ميلاد السيد المسيح. فقد كانت الوصايا العشر ذروة التشريع القديم. فلوحا الشريعة قد تضمنا وربطا جوهر الأخلاق والتقوى الحقيقية والمحبة السامية لله والمحبة للقريب. وقد وضع الناموس النموذج المثالى «للبر» إلا أنه أيقظ شعور





صورة لنسخة من الناموس

الإنسان بضرورة البعد عن الخطية «لأن بالناموس معرفة الخطية» (رو ٣: ٢٠) «ولكن قبلما جاء الإيمان **كنا محروسين تحت الناموس** مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن. **إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح** لكى نتبرر بالإيمان» (غلاطية ٣ : ٢٤).

وقد ظل الشعور بالإثم والخطية والاحتياج إلى المصالحة حياً فى ظل الذبائح اليومية:

أولاً: فى خيمة الاجتماع، ثم فى الهيكل، وقد أشار الناموس الطقسى إلى حقائق العهد الجديد، وبخاصة إلى ذبيحة المسيح على الصليب «وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً»(١يو ٢ : ٢).

إن عدل الله يستوجب طاعة مطلقة ونقاءً قلبياً لقاء الوعد بالحياة، أو العقاب بالموت. إلا أن الله لا يلهو بالإنسان، فالله صادق وأمين ورحيم. ففى الناموس الأخلاقى والطقسى، أُخفيت النواة الحلوة للوعد، فهو سوف يستعرض يوماً نموذج البر فى إطار محسوس، ويصفح للخاطىء عن كل خطاياه، ويعطيه قوة لإتمام البر وبدون هذا التأكيد يصير الناموس قيداً عنيفاً.

ب - إلا أن الناموس كان فى ذات الوقت، كما سبق القول، أداة للتعبير عن الوعد الإلهى بالفداء. وكذلك أداة للتعبير عن دين الرجاء. فبينما رأى اليونانيون والرومانيون عصرهم الذهبى فى الماضى، رأى اليهود عصرهم الذهبى فى المستقبل.

فكل التاريخ، وكل المؤسسات الدينية والسياسية والاجتماعية والعادات والتقاليد كانت تشير إلى مجىء المسيا » وتأسيسه لملكوته على الأرض.

إن النبوة أقدم فى الواقع من الناموس، الذى جاء بعد ذلك بين الوعد وتحقيقه، بين الخطية والفداء، بين المرض والشفاء منه. لقد بدأت النبوة فى الجنة بالوعد بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية، بعد السقوط مباشرة، وقد تجلّت فى عصر الآباء، ولا سيما فى حياة إبراهيم والذى كانت تقواه تعبيراً عن الثقة والإيمان. وموسى الذى جاء بالناموس، والذى كان فى نفس الوقت نبياً، وقد أشار للشعب إلى نبى أعظم قائلاً: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلى، له تسمعون» (تثنية ١٨ : ١٥)، فبدون التعزية بالوعد بالمسيًا، لدفع الناموس بالنفس الجادة إلى اليأس. فمنذ وقت صموئيل (حوالى أحد عشر قرناً قبل السيد المسيح)، بعد أن كانت النبوة تظهر بصورة متقطعة، أخذت شكلاً منظماً ووظيفة دائمة.

وفى هذا الشكل اقترنت بالكهنوت اللاوى، وأسرة داود الملكية حتى الأسْر البابلى. واستمرت هذه الكارثة، ووجهت عودة الشعب وإعادة بناء الهيكل، وتفسير الناموس

وتطبيقاته، والتنبؤ بالعواقب الوخيمة، وبنعمة الفداء الإلهى، مع زيادة وضوح النبوات عن مجىء المسيا، الذى يفدى إسرائيل والعالم من الخطية والبؤس، ويقيم مملكة السلام، والبر على الأرض .

إن فترة ازدهار النبوات المسجلة فى الكتاب المقدس قد بدأت قبل القرن الثامن قبل الميلاد وبعد موسى بنحو سبعة قرون، حينما كانت إسرائيل واقعة تحت الحكم الأشورى. وفى ذلك الوقت قبل السبى، كان إشعياء (الذى يعنى خلاص الله) الشخصية القيادية، وقد ظهر فى نهاية حكم الملك عُزيا، وقبل عشر سنوات من تأسيس «روما». وقد ظهر أيضاً فى مملكة يهوذا كل من ميخا، ويوئيل وعوبديا.

وفى مملكة إسرائيل هوشع وعاموس ويونان. وقد وصل إشعياء إلى أعلى قمة فى التنبؤ. بالكشف عن ملامح شخصية «المسيا» الخارج من أسرة «داود»، والذى سيبشر المساكين، ويعصب منكسرى القلب، وينادى للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق. مقدِّماً نفسه كشاة للذبح، فقد ضُرب من أجل ذنب شعبى، فكلنا كغنم ضللنا، والرب وضع عليه إثم جميعنا. على أنه لم يعمل ظلماً ولا وُجد فى فمه غش. ولكنه ينتصر على الموت، ويصير ملك السلام لكل الأمم، وهى صورة لم تكتمل إلا فى شخص واحد فقط هو يسوع المسيح الناصرى. فكان إشعياء أكثر الأنبياء اقتراباً إلى الصليب، وسفره يعتبر إنجيل العهد القديم. فى عصر الأسر البابلى كان إرميا (النبى الحزين)، الذى وبخ الكهنة والأنبياء الكذبة، ومراثيه لأورشليم، وحزنه المقدس، واضطهاده المرير، أشبه ما يكون برسالة المسيح وحياته، وقد بقى فى أرض آبائه. حيث أنشد مراثيه على أطلال أورشليم. بينما حذَّر حزقيال المسبيين عند نهر خابور من الأنبياء الكذبة والآمال الجسدانية، وحثهم على التوبة. ورسم صورة لأورشليم الجديدة، وإحياء العظام اليابسة بنسمة الله، ودانيال الذى رأى فى الروح، تعاقب أربع امبراطوريات والانتصار النهائى للمملكة الأبدية لابن الإنسان. وأنبياء التجديد هم حجى وزكريا وملاخى، عاش ملاخى فى وقت نحميا، وهنا تتوقف نبوات العهد القديم، وقد تُرك اسرائيل (٤٠٠ سنة) بلا أنبياء حتى يدركوا خلال هذه الفترة مدى غنى هذا الإعلان، وللإعداد لمولد الفادى.

جـ - فى الوقت السابق مباشرة لمولد «المسيَّا» فإن كل العهد القديم، والناموس، والأنبياء من موسى وإشعياء وغيرهم قد ظهروا فى شخص يوحنا المعمدان الذى جاء ليبشر بجدية بالتوبة فى البرية واضعاً الفأس على أصل الشجر، وفى نفس الوقت معزِّياً بالنبوة، مشيراً إلى حمل الله الذى يرفع خطايا العالم وهكذا كان تدبير الله للعهد الجديد، وقد كان المعمدان من أصدقاء العريس السماوى، وأعظم من وُلد من النساء، ولكنه أصغر من أبناء ملكوت المسيح الذى هو أعظم وأمجد من كل الرموز والظلال السابقة.

هذه هى ديانة اليهودية، كما انبعثت من نبع الإعلان الإلهى، وقد عاشت فى إسرائيل الحقيقى، الأبناء الروحيين لإبراهيم، وفى يوحنا المعمدان، وفى والديه وتلاميذه، وفى السيدة العذراء، وفى لعازر وفى أختيه التقيتين، وفى الرسل الذين قبلوا يسوع الناصرى باعتباره المتمم للناموس والأنبياء والمخلص للعالم.

د- الحضارة اليونانية والامبراطورية الرومانية

أولاً: الحالة الثقافية والسياسية

ثانياً: الاتجاهات الدينية

أولاً : الحالة الثقافية والسياسية

كانت الحضارة اليونانية القديمة والامبراطورية الرومانية العالمية القديمة العامل الثانى الرئيسى، بعد الديانة اليهودية، فى تمهيد العالم للمسيحية، وقدمتا الصيغ البشرية التى فيها

صيغ الجوهر الإلهى للإنجيل حيث أعد بالكامل فى قلب الحكم اليهودى، كما وضعا الأساس الطبيعى للصرح الفائق السمو للمملكة السماوية. لقد وهب الله لليونانيين والرومانيين عطايا طبيعية غنية جداً. حتى أمكنهم أن يصلوا إلى أعلى مستوىً ممكن من الحضارة وقد أمدّا الكنيسة بوسائل العلوم والفن الإنسانى والقانون، فكانت نافعة لخدمة الكنيسة إلاَّ أنها فى نفس الوقت تبين العجز التام لهذه العناصر وحدها فى بركة وخلاص العالم.

كان اليونانيون قليلى العدد مثل اليهود، إلا أن تاريخهم من الأهمية حتى أنه يعد أهم من تاريخ الامبراطوريات الأسيوية، وقد عبَّرت الحضارة اليونانية تعبيراً جيداً عن الإنسانية فى جمالها وفى قبحها، بل وفى عدم كمالها الطبيعى أيضاً. فقد طوروا مبادىء العلوم والفنون.

لقد حرروا الوعى الإنسانى، وبحثوا بعمق فى قوانين الطبيعة والروح، وقد طبقوا فكرة الجمال على كل أشكال الفن، من شعر، ونحت، وعمارة، ورسم وفلسفة، وأدب، وتاريخ. وقد تركوا لنا إنتاجاً ضخماً، وهو لا يزال حتى يومنا هذا، موضع التقدير والدراسة كنماذج للثقافة الراقية والذوق الرفيع.

وقد أصبحت هذه الأعمال حقاً موضع التقدير بين يدىّ الكنيسة المسيحية، لقد قدم اليونانيون للرسل لغة ثرية وجميلة يمكن بها التعبير عن الحقائق الإلهية فى الأناجيل. وقد شاء التدبير الإلهى أن ينظم الحركات السياسية قبل ذلك بوقت طويل، حتى تنتشر تلك اللغة عبر أنحاء العالم. ولتجعل منها لغةً للحضارة، والعلاقات الدولية كما كانت اللاتينية فى العصور الوسطى، والفرنسية فى القرن الثامن عشر، والإنجليزية فيما بعد. قال شيشيرون: «إن اللغة اليونانية، هى لغة كل الشعوب تقريباً، فاللاتينية مقيدة بمعانيها الضيقة».

لقد قام العلماء ورجال الفن بتتبع الجيوش المنتصرة إلى روما وبلاد الغال (فرنسا). وأسبانيا. فكان الإسكندر الأكبر (راجع أيضاً مادة الإسكندرية في موضعها من الجزء الثانى من موسوعة آباء الكنيسة) البطل الشاب المقدونى المولد، معجباً متحمساً بهوميروس، ومتمثلاً بأخيل، وتلميذاً للفيلسوف أرسطو، فيلسوف العالم المنتصر، وبالرغم من انقسام المملكة إلى عدة أقسام عقب وفاته إلا أنه حمل اللغة اليونانية إلى مشارف الهند، وجعلها ملكاً عاماً لكل الأمم المتحضرة، وما بدأه الإسكندر الأكبر أكمله يوليوس قيصر، وقد تذرَّع الرسل بالقانون الرومانى فى التنقل فى الامبراطورية الرومانية، واستخدموا اللغة اليونانية فى كرازتهم.

لقد وضعت الفلسفة اليونانية الأساس الطبيعى لعلم اللاهوت، فالبلاغة اليونانية استخدمت فى الخطابة الكنسية، وكذلك الفن اليونانى فى خدمة الكنيسة المسيحية.

الحقيقة إن الكثير من الأفكار والحِكَمْ الكلاسيكية كادت أن تقترب من حد الإعلان، حتى تبدو كأنها نبوات عن الحقائق المسيحية وقد ذكرت على الأخص فى كتابات أفلاطون الروحية، والفكر الدينى العميق لبلوتارك (شاف Schaff: تاريخ الكنيسة المسيحية الجزء الأول ص ٧٨).

إن بعض آباء الكنيسة العظام مثل يوستينوس (يوستين) الشهيد وكليمندس السكندرى، وأوريجانوس، يعتبرون الفلسفة اليونانية جسراً إلى الإيمان المسيحى. ومرشداً علمياً لهم إلى المسيح. ليس هذا فحسب، بل إن الكنيسة اليونانية الأولى تأسست ونشأت على أساس اللغة اليونانية وبدون ذلك يتعذر تفسيرها.

لقد وضعت الكلاسيكيات الأدبية الأساس للتعليم العقلى فى كل مكان فى العالم المسيحى، وقد وصلت الثقافة اليونانية إلى أوجها ثم بدأت فى التراجع، وقد حُفظت اللغة اليونانية

من الاندثار بسبب الأعمال الأدبية الخالدة التى كُتبت بها . بل ومازالت تمد كل فروع العلوم والفنون بالمصطلحات العلمية.

وبعيداً عن القيمة الهامة للأدبيات اليونانية، التى هى مجد مقدونيا - فى زمن ميلاد السيد المسيح - والتى فُقدت ولا يمكن استعادتها . فالحرية المدنية والاستقلالية قد دمرها الفساد والفوضى الداخلية وانحرفت الفلسفة تجاه الشك والأخلاق المادية، واتجهت الفنون إلى الحسية والعبث. وقد حلَّ الإلحاد والخرافات محل الحس الدينى الراسخ وانتشر الفساد ، والنزاع، والخداع والغش، وتمكن من جميع طبقات الشعب.

لقد أثرت تلك الحالة الميئوس منها تأثيراً شديداً على كل شىء فقد ازداد شعور النفوس النبيلة والجادة بفراغ تلك الحضارة المادية والتى عجزت تماماً عن ملء فراغ القلب، وإشباع احتياجاته العميقة. مما تولد عنه الرغبة الشديدة فى التطلع إلى ديانة جديدة.

كانت الدولة الرومانية هى الدولة السياسية والعملية فى العالم القديم، فكان الرومانيون يهدفون إلى تحقيق فكرة الدولة وسيادة القانون المدنى، وأن يوحدوا دول العالم فى امبراطورية واحدة كبرى تمتد من الفرات إلى الأطلنطى، ومن صحراء ليبيا حتى ضفاف نهر الراين، وقد ضمت الامبراطورية معظم الأمم المتمدينة والخصبة فى آسيا وأفريقيا وأوربا ، وكان تعدادها فى ذلك الوقت يصل إلى نحو مئة مليون شخص، وهو ما يعادل ثلث الجنس البشرى فى وقت المسيحية المبكرة، وإلى ذلك الامتداد الخارجى يعزى مدى أهمية تاريخها ، وكما يقول نيبوهر Niebuhr «ينتهى تاريخ الأمم القديمة، وكذلك يبدأ تاريخ كل الأمم الجديدة، فى روما ، فقد كان تاريخها يحتوى على اهتمامات عالمية. فهى مستودع زاخر بالتراث القديم» (شاف: تاريخ الكنيسة المسيحية الجزء الأول ص ٨٠) فإذا كان اليونانيون يتمتعون بالفكر العميق، بالأدبيات قدموا القوانين حتى للشعوب التى غزوها ، فإن الرومانيين تمتعوا بقوة الشخصية التى استطاعوا بها أن يحكموا العالم، وهذا الاختلاف بينهما امتد بالطبع ليؤثر على الأخلاق والحياة الدينية لكليهما ، فبينما كانت الأساطير اليونانية والأعمال الفنية والشعر هى موضوع الاهتمام فى اليونان. كانت الحرب والغزو وتوسيع رقعة الامبراطورية هى جُل ما يشغل الرومان. فلم يُقدِّر الرومانيون الجمال، مثلما كان يقدِّرها اليونانيون، ولم يكن للرومانيين علاقة بالطبيعة، فلم يكن لديهم اهتمام سوى بالتفكير فى فكرة واحدة هى روما ، روما الفاتحة والمنتصرة.

كان الرومانيون ـ منذ القدم ـ يؤمنون بأنهم خلقوا لحكم العالم فكانوا ينظرون إلى الدول الأخرى على أنهم أعداء يجب الانتصار عليهم، وفتح بلادهم، واستعبادهم، فكان مفهومهم عن المجد البشرى والسعادة منحصراً فى الحرب والانتصار.

وقد سعوا لتحقيق مشاريعهم الطموحة بطاقة جبارة وعزيمة لا تلين، وسياسة عميقة. وكما قال عنهم تاسيتوس Tacitus «لصوص ينهبون العالم» ـ(شاف ـ مرجع سابق) .

لقد فتحوا العالم بالسيف، ونظموه بالقانون وبالرغم من عدم قدرتهم على الإبداع مثلما فعل اليونانيون فى الفنون والآداب، كان الكُتَّاب الرومانيون بارعين فى محاكاة الفلاسفة والشعراء والمؤرخين اليونانيين. فقد حوَّل أوغسطس قيصر روما من مدينة مليئة بالأكواخ البسيطة إلى مدينة مليئة بالقصور الرخامية، وقد استقدم أفضل الرسامين والمثَّالين من اليونان، وأقاموا أقواس النصر فى الأماكن العامة، وكذلك جمعوا من كل مكان فى العالم الأشياء الثمينة التى من شأنها تجميل العاصمة وجعلها فى أفضل حال. وقد حدثت صحوة فى بناء المدن الكبيرة، فقام هيرودس الكبير الطموح والمسرف بإعادة بناء هيكل أورشليم.

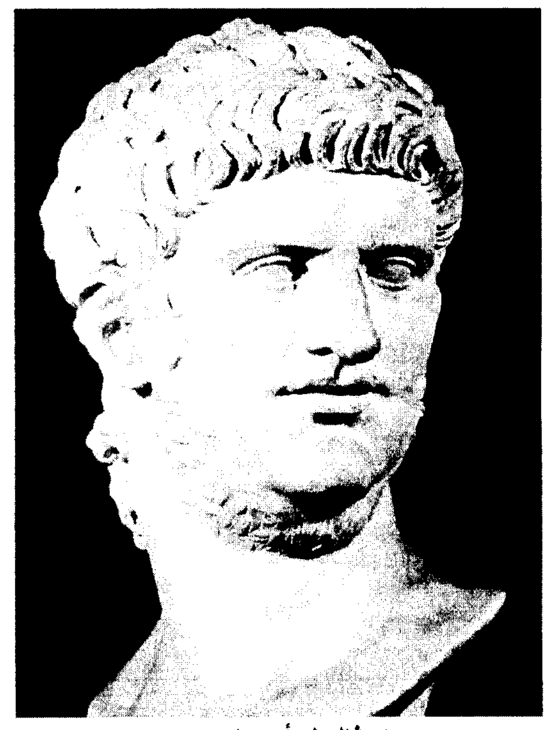
كانت الحقوق الشخصية والأملاك موضوع الحماية، بالرغم من الشكايات الدائمة والمستمرة من الدول التى غزوها عن نهب ثروات بلادهم، إلا أنهم فى المقابل استمتعوا بالحماية من الغزو الخارجى، ومن المشاكل الداخلية. كما استمتعوا بنصيب كبير من الرفاهية الاجتماعية، وارتفاعهم إلى أعلى درجات الحضارة البشرية، وقد امتدت الحماية لتشمل الجيش والتجارة. وفعلياً تم بناء عدة طرق برية، يبقى بعض آثار منها فى سورية، والألب، وعلى ضفاف نهر الراين، وقد أصبحت التسهيلات والحماية فى السفر مكفولة. وكانت فى أعظم حالاتها فى فترة حكم القياصرة عنها فى أى فترة تالية لها. فقد كانت هناك خمس طرق رئيسية تربط روما بأطراف الامبراطورية، كما أنها رُبطت بالموانىء بطرق بحرية. وكما قال كاتب رومانى «علينا أن نسافر فى كل الأوقات، وأن نبحر من الشرق إلى الغرب». لقد جلب التجار الحجارة الكريمة من الشرق، والحديد من أسبانيا، والحيوانات البرية من أفريقيا، والأعمال الفنية من اليونان، وكل السلع الثمينة إلى السوق على ضفاف نهر التيبر، كما كانوا يفعلون على ضفاف نهر التايمز. ويرى البعض أن الصورة التى رسمها يوحنا الرائى فى سفر الرؤيا تتنبأ عن سقوط الاستعمار المهيمن على العالم هى صورة روما: «ويبكى تجار الأرض وينوحون عليها لأن بضائعهم لايشتريها أحد فيما بعد بضائع من الذهب والفضة والحجر الكريم واللؤلؤ والبز والأرجوان والحرير والقرمز وكل عود ثينى وكل إناء من العاج وكل إناء من أثمن الخشب والنحاس والحديد والمرمر، وقرفة وبخوراً وطيباً ولباناً وخمراً وزيتاً وسميذاً وحنطة وبهائم وغنماً وخيلاً ومركبات وأجساداً ونفوس الناس وذهب عنك جنى شهوة نفسك وذهب عنك كل ماهو مشحم وبهى ولن تجديه فى ما بعد» (رؤ ١٨: ١١-١٤).

وقد استمرت روما بعد هذه النبوة لفترة قصيرة، إلا أن أسباب انهيارها كانت قائمة قبل ذلك فى القرن الأول. فالتوسع الخارجى والنجاح الظاهرى قد جلبا معهما ضعف الفضائل الاجتماعية والعائلية والتى كان يمتاز بها الرومانيون على اليونانين من قبل.



تمثال لرأس أفلاطون

لقد فقدت الطبقات الدنيا كل شعور بالنبل، إذ أخذت تسلية طبقة النبلاء شكلاً بربرياً، حيث يصارع المجالدون (أشخاص يقاتلون حتى الموت) الحيوانات، حيث يموت ما لايقل عن عشرين ألف شخص شهرياً. لقد أصبحت امبراطورية طيباريوس ونيرون المترامية الأطراف جسماً ضخماً بلا روح، تخطو رويداً إلى مصيرها المحتوم. وأضحت مدينة الامبراطورية المتشامخة المقامة على نهر التيبر مدينة للحثالة والرعاع.



تمثال لرأس نيرون

كان بعض الأباطرة طغاة أشراراً وبلغوا من الظلم درجة وحشية، إلا أنهم تُوجوا بين الآلهة، بتأييد من مجلس شيوخ روما، وبنوا الهياكل والمذابح لعبادتهم. وقد بدأ هذا التقليد فى عهد «يوليوس قيصر» والذى شرف فى حياته بلقب «يوليوس السماوى» لانتصاراته العظيمة، بالرغم من التكلفة الفادحة التى بلغت حد المليون قتيل، بالإضافة إلى مليون آخر أسروا واستعبدوا.

إن الصورة الحالكة السواد التى رسمها القديس بولس فى رسالته إلى «روما» عن الوثنية فى أيامه قد أكدها سينيكا وتاسيتوس، وجوڤينال، وبرسيوس، وغيرهم من المؤرخين الوثنيين وقد سجلوا فى كتاباتهم الاحتياج المطلق للفداء.

وكما قال سينيكا فى عبارته الشهيرة: «إن العالم يزخر بالجرائم والرذائل، وكثير مما يقترف من الجرائم أكثر مما تستطيع القوة أن تعالجه.. فلم تعد الجرائم مستورة، بل تقع تحت الأبصار. فلم تعد البراءة نادرة، بل غير موجودة على الإطلاق».

لقد محت الجيوش الرومانية كل الحواجز التى كانت تفصل بين الأمم القديمة، وقد جمعت كل أطراف العالم فى علاقة وطيدة حرة فوحدت الشمال بالجنوب، والشرق بالغرب من خلال اللغة والثقافة والعادات والتقاليد والقانون المشترك.

وهكذا ـ وبدون وعى ـ فتحوا الطريق أمام سرعة انتشار تلك الديانة التى توحد كل الأمم فى عائلة الله الواحدة بالروابط الروحية من خلال الإيمان والمحبة.

لقد بدأت تشرق فى الذهن الوثنى فكرة «الإنسانية للجميع».. وقد وجدت هذه الروح الإنسانية متنفساً لها فى شيشيرون cicero وفيرچيل Virgil. لهذا بجّل الآباء شاعر الإلياذة.. فقال عنه أغسطينوس إنه: «أنبل الشعراء». كما قال أحد العلماء عن فيرچيل: «إن شعره يحتوى على مزيج من الأفكار والمشاعر أكثر قرباً وتوقيراً وإنسانية للمسيحى من سائر الشعراء القدامى اليونانيين أو الرومانيين».

لقد قدمت النظم والقوانين المدنية، وقدرة الرومانيين الفائقة فى الإدارة، والتنظيم الخارجى الكثير للكنيسة المسيحية.

ثانياً: الاتجاهات الدينية

لقد أخذت عبادة الآلهة الإغراق فى الشكلية فقط، والإيمان بالخرافات المنافية للعقل، حتى إن كهنة الأوثان أنفسهم كان يسخر أحدهما من الآخر عندما يلتقيان فى الشارع، وإنه من النادر أن نجد عدم الإيمان والإيمان يجتمعان معاً فى نفس الشخص. وطبقاً للحكمة المعروفة «كل الأطراف تتلاقى معاً» فالإنسان يجب أن يؤمن بشىء ما، ويعبد إما الله أو الشيطان.

لقد ازداد جداً عدد السحرة ومستحضرى الأرواح، وقد استمتعوا بكامل الحرية.

كانت الأخلاق والطهارة والجمال رموزاً شائعة فى معبد الإلهة فستا، ثم تحولت إلى الرذيلة والغواية والتشجيع على الإثم.

وبالرغم من تلك الصورة المظلمة للامبراطورية الرومانية، إلا أنه من ناحية أخرى، كانت الامبراطورية الرومانية العالمية قاعدة إيجابية لملكوت الإنجيل الشامل، كانت البوتقة التى انصهرت فيها كل المتناقضات والخصائص التى تميزت بها الأمم والأديان القديمة، والتى تشكلت فيها الخليقة الجديدة.

من الجلى إذن أن العالم قبل المسيحية كان متعطشاً إلى الديانة التى تملأ ذلك الفراغ الروحى السائد.

والآثار المتبقية تشهد على التطلع اليائس الذى كانت تستشعره كل الطبقات تجاه الموت والمصير النهائى، والخلاص والطهارة الروحية والاتحاد مع الله، ولم يكن بمقدور الديانات القديمة التقليدية أن تستجيب لهذه الحاجة وبرغم المحاولات المتكررة (التى قام بها أوغسطس قيصر على سبيل المثال) لإحياء التقوى القديمة، إلا أن آلهة اليونان وروما قد فقدوا كل ما كان لهم من قدرة على الإلهام، ثم إن عبادة الامبراطور والتى كان يدعمها أوغسطس وخلفاؤه، سادت بدرجة متزايدة واكتسبت المساندة الرسمية.

أما العبادات الشرقية فكانت تمنح رضاءً أكثر، والتى منذ القرن الأول قبل الميلاد قد انتشرت بسرعة فى أنحاء العالم اليونانى ـ الرومانى فكانت ايزيس ISIS وسيرابيس Serapis وكيبلى(أو كوبلى) Cybele أحدث الآلهة، حيث اكتسبت جماهير غفيرة من المؤمنين بها. وبنيت لها المعابد على نفقة الحكومة. أما بين الجنود فكان الاجماع الشعبى من نصيب مترا Mithras البابلى، المتحالف مع الشمس، وبذلك كان بطل النور ضد الظلمة، أما الحركة التوفيقية بين الأديان المتعارضة فقد كانت وليدة التصادم بين الديانات. فكانت آلهة بلدة ما توصف بأنها آلهة بلدة أخرى، وكانت الديانات المختلفة تندمج بعضها مع بعض، وتنقل كل منها عن الأخرى دون تمييز. ثم إن الاعتقاد فى خلود النفس كان يربط أحياناً بينه وبين تناسخ الأرواح الأمر الذى كان يعلّم به فيثاغورس Pythagoras (فى القرن السادس قبل الميلاد) وكان ثمة اعتقاد عام بأنه ستجرى فى المستقبل محاكمة سيكون من نتيجتها إما عقوبة أو حياة مباركة مع الآلهة، وثمة ظاهرتان فى هذه الفوضى القائمة بين الخرافات والتقوى الحقيقية تستحقان الإشارة إليهما:

أولاً: الانتشار غير العادى لما يسمى بالديانات السرية، وهذا هو الاسم الذى أطلق على المجموعة الدينية المرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، أو بشركة لايقبل المستجدون بها إلا بعد إجراء طقوس سرية، لايجب معرفة الغرباء عنهم بها، ففى فترة سابقة كانت أشهر الطقوس السرية هى التى تعقد فى الاليوزس Eleusis تكريماً لديميتر Demeter إلهة الخصب والزراعة وابنتها برسيفونى Persephone إلهة الموت والخصب. أما تلك التى كانت شائعة فى فترة لاحقة فكانت غالبيتها ترجع إلى أصل شرقى، فكانت هناك طقوس إيزيس السرية، وطقوس الإلهة الأم العظيمة كيبلى الأناضولية، وعشيقها المخلص الإله Attis إله النبات، وآخرين، ولعل الأكثر انتشاراً وتمثيلاً هى تلك الخاصة بالإله مترا. وفى طقوس الإلهة كيبلى Cybele والإله أتيس Attis على سبيل المثال نرى أتيس يجتاز نوعاً من المعمودية فى دم تيس أو كبش يُذبح فوقه، ونتيجة لهذا يشعر فى نفسه بأنه «وُلد من جسدين ليعيش إلى الأبد». وطقوس ايزيس تقنعه بأنه اجتاز أبواب الموت نفسه ثم عاد وقد أحُيا، وتمت حمايته عن طريق الإلهة التى تفرس فى وجهها. وإغراء هذه الديانة السرية ولا شك يكمن فى الرضاء الذى تستطيع أن تقدمه لمن يتوق إلى خبرة شخصية قوية مع الإله، وما يصاحب ذلك من شعور بالتحرر

من الإثم والخوف، ولا يجب التقليل من شأن تأثيرها الأخلاقي.

ثانياً: زيادة الاتجاه بالنسبة للمتعلمين وغير المتعلمين على السواء، لتفسير موحد للإيمان التقليدي بعدة آلهة وكان ينظر إلى الآلهة الكثيرة في المعبد الوثني إما على أنها سمات متجسدة لإله واحد سام، وإما أنها استعلان للقوة الفريدة التي تحكم الكون. والحركة القائمة ـ آنذاك ـ الخاصة بالتوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة جعلت هذا الأمر سهلاً وطبيعياً وعلى مستوى أعلى تزامنت مع اتجاه الفكر الفلسفي المستنير. ثم إن الفيلسوف ارستيدس Aristides الذي حاضر في أسيا الصغرى وروما في منتصف القرن الثاني قدَّم مثالاً مفيداً. وثمة سلسلة باقية من محاضراته تحتفي بآلهة فردية، ولاسيما أسكليبيوس Asclepius الذي كان على صلة حارَّة وصادقة به، غير أنه من الجلي أنه كان ينظر إليهم جميعاً على أنهم يمثلون قوات كونية انبعثت من أب عالمي واحد.

كذلك بلوتارك Plutarch وهو كاتب سير ومقالات (اشتهر في سنة ١٠٠م) فبينما كان يتمسك بالممارسات الدينية لأسلافه ويعترف بوجود آلهة وشياطين خاضعة ووسيطة إلا أنه كان يؤمن إلى جانب ذلك بإله واحد كامل وسام، وهو كائن حقيقي.

لقد تزايد استخدام معابد الآلهة الكثيرة، إما كمزيج يجمع بين سمات آلهة عديدة، وكصفة تلحق بإله واحد منها، وكان هذا أمراً له دلالته. وحين أقام الامبراطور أورليان Aurelian في سنة ٢٧٤ م عبادة الشمس كدين للدولة لم يكن بذلك يمجد الشمس كحامية للإمبراطورية، بل كان يقر بالإله العالمي الواحد، والذي وإن كان يُعرف بألف اسم، إلا أنه أعلن نفسه بشكل بالغ الكمال والروعة في السماء. ويلخص أبوليوس Apuleius في وقت سابق (١٦٠م) هذا الأمر حين يصف ايزيس بقوله «... كبيرة السمائيين، والإعلان الشامل للآلهة والإلاهات... الذي يعبد العالم كله ألوهيتها المتفردة تحت أشكال عديدة، وبطقوس متباينة، وتحت أسماء متعددة: (كيلي التعليم في الكنيسة الأولى).

الآباء والفلسفة

مضى نحو ١٥٠ عاماً على وجود المسيحية قبل أن يحدث أول صراع حاسم لها مع الفلسفة اليونانية. كان الآباء مستغرقين تماماً في أمور الرعاية، وبدت من كتاباتهم اهتمام بعضهم بالمدارس الفلسفية التي كانت موجودة آنذاك.

ولكن لم يكن ثمة مفر من المواجهة بين كل من الفكر المسيحي والفكر اليوناني، حيث أن كليهما كان ينسب لنفسه امتلاك الحكمة القادرة في ذاتها على أن تمد الإنسان بحقيقة ماهيته وقدره.

وباعتناق بعض الفلاسفة والمفكرين للمسيحية، وإذا اعتبروا أنفسهم فلاسفة، حدث ذلكم الحوار وتلكم المناقشات حول أهمية الفلسفة ودورها. فظهرت بعض الخلافات بين القديس يوستينوس (يوستين) الشهيد وتلميذه تاتيان (طاطيان) حول ذلك. إذ يرى القديس يوستينوس الشهيد أن الفلسفة عطية سماوية تجعل الإنسان أكثر قرباً من الله. كما يرى أن الفلسفة والمسيحية تمثل كل منهما إعلاناً جزئياً عن الحق وذلك من خلال قوة اللوجوس (الكلمة) الذي بذاره في كل النفوس، وإن الإعلان الكامل والنهائي للوجوس ظهر في التجسد. أما طاطيان فإن كراهيته الشديدة للفلسفة كانت بنداً واحداً لمقته الشديد للثقافة اليونانية بعامة. وقد تحول النقد اللاذع الذي وجهه للفلسفة إلى ولع شديد بالفلسفة على يد ترتليانوس بعد ذلك بنحو خمسين عاماً.

وقد وجد يوستينوس قبولاً عاماً بين كتَّاب الكنيسة وفي وقت لاحق في كل من كنائس الشرق والغرب. كما أوضح كليمندس السكندري-نظرياً وعملياً -كيف أن الفلسفة يمكن أن تساهم مساهمة فعَّالة في فهم عميق، وتفسير علمي للحقائق الموصى بها، فقد ظهر شعار- منذ ذلك الوقت وحتى القديس

أنسلم والعصور الوسطى- هو «الإيمان يتطلب الفهم». مما ضمن للفلسفة دوراً مستمراً لتطوير الفكر اللاهوتى فى الكنيسة اللاتينية.

وأخيراً، فإن التعاليم الرائعة التى قدمها القديس أغسطينوس والتى تتألف من الحقائق الموصى بها والأفلاطونية الحديثة، كانت تستعرض عرضاً ممتازاً للحقيقة التالية: «يمكن للإيمان والعقل أن يعملا طبيعياً وفى انسجام».

ز- الفلسفة اليونانية - الرومانية

كانت الفلسفة هى الديانة الأعمق بالنسبة للعقلانيين، كما يرى كيلى Kelly، وقد أمدت الفلسفة المفكرين من المسيحيين وغيرهم بإطار ذهنى للتعبير عن أفكارهم. كانت الأفلاطونية والرواقية هما أكثر أنماط الفكر فى تلك الفترة تأثيراً.

كذلك كان للأرسطية تأثيرها من خلال منطقها، وكان من بين أفكارها أن عقلاً سامياً هو العلة الأولى للكون، وقد تبنَّاها الأفلاطونيون فى وقت لاحق. أما الشك فيرجع أصله إلى الفيلسوف اليونانى بيرو Pyrrho (سنة ٣٠٠ ق.م.) وكان يقول إن المعرفة مستحيلة، وإن تعليق الرأى هو الموقف الوحيد.

وقد تمتع المذهب بإحيائه على يد اينسيديموس Aenesidemus (٦٠ ق.م.) وسكستوس امبيريكوس Sextus Ampireicus (سنة ١٧٥م).

وعلى صعيد آخر نجد المذهب الأبيقورى، الذى أسسه أبيقور Epicurus (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م.) ينكر اهتمام الآلهة بشئون البشر، وتعليمه بأن الحقيقة تتكون من عدد غير محدود من الذرات فى الفراغ، وأن الإحساس هو معيار الخير والشر.

أما مفتاح فلسفة أفلاطون Plato (٤٢٩ - ٣٤٧ ق.م.) فيتمثل فى نظريته عن المعرفة. ويرى أن المعرفة بمعناها الدقيق أمر مستحيل، وأنه لايمكن الحصول عليها من أى شىء كثير التغير والزوال مثل الإدراك الحسى، مماجعله يضع عالماً عالٍ غير محسوس من المُثُل (أو الصور أو الأشكال) التى لايفهمهما إلا متَّقدو الذكاء وحدهم. وما يريد قوله هو إنه فى حين أن الإحساس يقدم لنا أعداداً هائلة من أشياء معينة تتغير باستمرار، فإن العقل يتمسك بصفات معينة فى مجموعات لها صفة مشتركة، وهى ثابتة. فهو على سبيل المثال يتمسك بسمة الجمال وهى مشتركة بين أشياء معينة. وتتشابه مع أشياء أخرى، وبذلك وصل إلى أشكال الجمال فى حد ذاتها، والشبه فى حد ذاته. وهكذا تمثل المعانى الكلية التى يتكلم عنها فلاسفة العصر الحديث. إلا أنه يجب ملاحظة أن أفلاطون يرى أن لها وجوداً محسوساً. وثمة سؤال لم يُفصل فيه بعد، ويدور حول ما إذا كان يؤمن بأنه كانت هناك مُثُل تتطابق مع كل نوعية من الأشياء المحسوسة، غير إننا نعرف أنه كان يعتبرها مرتَّبة فى تسلسل هرمى تتوَّجه أكثر المثل عمومية على الأطلاق وعلة معرفتنا بها، وإذا كانت هذه المُثُل غير متغيرة وأبدية فهى وحدها الحقيقية فعلا. فهى تسمو، بل هى مستقلة تماماً عن عالم أشياء معينة محسوسة. والواقع أن عالم المستقبل، قد صيغ على أساس عالم المثل، وتلك الخصائص فقط هى ما يسعون إليها فى حالة إسهام المثل أو الصور فيها.

والانتقال إلى فهم أفلاطون للنفس، وفكره اللاهوتى أمر سهل. فالنفس من وجهة نظره كيان غير مادى، وخالدة بطبيعتها، وتوجد قبل الجسد الذى تحصر فيه. وهى مقدَّر لها أن تستمر فى البقاء بعد الموت. وإذا كانت أبعد من أن يكون لها علاقة بالعالم الآتى أو عالم المستقبل، فهى تنتسب على وجه صحيح إلى عالم المثل، وبفضل معرفتها لها قبل وجودها الدنيوى تستطيع أن تتعرف عليها أو تتذكرها هنا. وهى تنقسم إلى قوى ثلاث هى: عنصر أعلى أو «عاقل» يفهم الحقيقة، وهو عن طريق الحقوق يوجه حياة الإنسان كلها،

الحقيقة، وهو عن طريق الحقوق يوجه حياة الإنسان كلها، وعنصر روحانى هو قاعدة العواطف النبيلة، وعنصر «مشته» يغطى الرغبات الجسدية. أما فيما يتعلق بالفكر اللاهوتى، فيبدو أنه - من المؤكد - بالرغم من اللغة التوقيرية التى كثيراً ما يستخدمها، فإن أفلاطون لم يولِ أى اعتبار لشكل «الخير» أو «الواحد» على اعتبار أنه الله بالمعنى المألوف للكلمة، فالنفس عنده هى الموجِّه الأسمى، والمبدأ المنظم، وهو يؤمن بنفس للعالم تحيى الكون المادى، وهو فى تيماوسTimaeus يصور خالق الكون المادى، أو خالق نفس العالم (يبدو أنهما تحددا فى فيليبُس Philebus وقد شُكِّل العالم من مادة سابقة الوجود، غير أنه يتعين علينا أن نعرف أن خالق الكون المادى أنشأ العالم طبقاً للنموذج الذى فكر فيه فى عالم المثل. ويبدو أن ذلك العالم كل فى معزل عن الآخر. ومع ذلك فقد تركنا أمام مبدأين أساسيين بالإضافة إلى المادة سابقة الوجود.

أما أرسطو Aristotle (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.) تلميذ أفلاطون فقد عدّل من تعليم معلمه من نواحٍ عديدة هامة، ونرى ملمحاً من منطقه فى تحليله للطرق التى يفكر من خلالها العقل فى الأشياء، وقد سمّى هذه الطرق مقولات وعددها عشر وهى: الجوهر (بمعنى شىء منفصل) والكمية، والنوعية، والعلاقة، والمكان، والزمان، والوضع، والحال، والتأثير، والفعالية.



تمثال لرأس أرسطو

ومع ذلك فلم يكن أرسطو يعتقد أن هذه تمثِّل الطرق التى من خلالها يفكر العقل فيما يتعلق بالعالم الخارجى فقط، بل الأساليب التى تعيش فيها الأشياء فى ذلك العالم بشكل موضوعى أيضاً، ومن هذا يتضح أنه - على النقيض من أفلاطون - كان واقعياً، وأنه كان يقبل حقيقة العالم المادى بالشكل الذى نعرفه نحن به، وفضلاً عن ذلك فقد انتقد بشدة نظرية أفلاطون عن «المُثُل» وقد وافق تماماً على أنه لابد وأن تكون هناك مُثُل بمعنى كليات عامة بالنسبة لمفردات نوع ما، كما أنها يجب أن تكون حقيقية بشكل موضوعى وليس مجرد مفاهيم عقلية، بل كان مستعداً أن يصفها بأنها «جواهر ثانية» ولكن اعترض على ماذهب إليه أفلاطون من أنها مثل مستقلة، وكان اعتراضه هو أنها موجودة بالفعل فى مفردات. والواقع أن الجوهر الأولى هو مركب من الشىء أو القوام والمثال، وتمشياً مع هذا نجد أن فهمه للنفس يختلف عن فهم أفلاطون وقد علم بأن الجسد والنفس يشكلان وحدة مركبة، وهما أبعد من أن يكونا كيانين متباينين.

أما فيما يتعلق بالله، فقد تبنى أرسطو فكر أفلاطون من ناحية أن النفس خالدة، وتتحرك ذاتياً، وهى مصدر الحركة والتغيير بالنسبة لكل ماهو ليس نفساً، وقد وسّع هذا ليشمل مفهوم العقل الأبدى، والذى إذ لم يكن يحركه أحد، إلا أنه المحرك الأول لكل ماهو موجود.

أما الرواقية فتقدم صورة مختلفة تماماً، وقد قال بها زينون Zeno الرواقى من سيتيوم Citium بقبرص (سنة ٣٠٠ ق.م. تقريباً) وكانت نظاماً مترابطاً بأحكام من المنطق، والميتافيزيقا والأخلاقيات. وقد جذبت أخلاقياتها المثالية الرفيعة أتباعاً لاحصر لهم، فهى تعلم اخضاع الذات والحياة فى تناغم مع الطبيعة (أى طبقاً للمبدأ العقلانى الموجود فى داخلنا) ومع الإخوة من البشر، ومع ذلك فإنه طبقاً لوجهة النظر اللاهوتية، فإن أبرز مافيها هو ماديتها القائمة على

وحدة الوجود، وقد قاوم الرواقيون بشدة المفاضلة الأفلاطونية بين عالم سام مدرك بالعقل، وليس من الممكن إدراكه بالحواس، وبين عالم عادى مدرك بالحواس.

وهم أى الرواقيون يقولون إن كل مايوجد يجب أن يكون جسماً مادياً، وإن الكون يجب أن يكون بكليته من المادة، ومع ذلك فإنهم وضعوا فرقاً بين مبدأ سلبى وآخر فعّال، وهناك مادة خام غير مشكَّلة، ليس لها سمة أو نوعية. وهناك العقل الفعّال الذى يشكلها وينظمها، كما تخيلوا الروح بخاراً نارياً، حيث خرجت المادة السالبة الخام، والروح مادة، ولم يخش الرواقيون قبول التناقض الظاهرى من ناحية أن يشغل جسمان نفس الحيِّز الأمر الذى نجم عن نظريتهم، وهذا المبدأ الفعّال أو اللوجوس يخترق الحقيقة، كما يخترق العقل أو الإدراك الجسم، وقد وصفوا هذا بأنه الله، العناية الإلهية، الطبيعة، روح الكون. ومفهومهم القائل بأن كل شىء يحدث إنما يجىء بترتيب من العناية الإلهية لمنفعة الإنسان كان أساس تعليمهم الأخلاقى عن الخضوع للقدر.

وهكذا كانت الرواقية وحدانية فى تعليمها، تعلّم أن الله أو اللوجوس إنما هو مادة أرقى متأصلة فى الكون المادى. إلا أنها كانت تعلم كذلك أن الأشياء المعينة إن هى إلا عوالم صغيرة من الكل، كل منها يتضمن فى إطار وحدته التى لاتنفصم مبدأً موجباً أو سالباً. والمبدأ الموجب الذى ينظمه ويشكله هو اللوغوس الخاص به، ويتكلم الرواقيون عن لوجوسات بذرية، وهى بذور من خلال نشاطها تصدر الأشياء الفردية فى الوجود كلما تطور العالم. وكل بذار اللوجوس متضمنة فى اللوجوس الأسمى الشامل، وهى جزيئات عديدة جداً من النار الإلهية التى تخترق الواقع، وهذا ما يأتى بنا إلى تعليم الرواقيين عن طبيعة البشر. فالنفس فى الإنسان هى جانب من النار الإلهية التى هى اللوجوس، أو هى منبعثة منها. وهى روح أو نفحة دافئة تتخلل الجسم، ولكنها فى حد ذاتها هالكة، تصمد أطول ما يمكن حتى يحترق العالم. وأجزاؤها هى: الحواس الخمس، ثم القدرة على الكلام أو التعبير عن الذات، ثم القدرة على التناسل، وأخيراً العنصر الحاكم، الذى هو العقل.

والنفس هى اللوجوس فى الإنسان، والرواقيون يصنعون فرقاً مهماً بين «اللوجوس المتأصل»، والذى هو عقله الذى يعتبر أنه مجرد موجود فيه، واللوجوس المعبَّر عنه، وبه يقصدون عقله، كما يُستنتج أو يعرف بواسطة ملكة الكلام أو التعبير عن الذات.

ثم إن كلاً من الرواقية، وكذلك ـ وإلى مدى أوسع ـ الأفلاطونية التى ازدهرت فى القرنين المسيحيين الأولين، أظهرتا انحرافات مهمة عن نماذجهما التقليدية، فكل منهما استعارت من الأخرى، والواقع أن الموقف الفكرى لعدد كبير من المثقفين يمكن وصفه على أنه إما أن يكون رواقياً مصطبغاً بالأفلاطونية، وإما يكون أفلاطونياً مصطبغاً بالرواقية، ولن يكون الأمر صحيحاً إذا ما تحدثنا عن الانتقائية على اعتبار أنها السائدة فى الميدان، وعلى أى حال فإن المدرستين - على المستوى الأكاديمى- احتفظتا باستقلالهما وأنهمكتا فى الجدل إحداهما مع الأخرى، وهكذا فإن الرواقية التى كان يروج لها رجال مثل سينيكا Seneca (٤ ق.م. ـ ٦٥م. تقريباً). وأبيقطيتس Epictetus (حوالى سنة ٥٥ - ١٣٨م) وماركوس أورليوس Marcus Aurelius (١٢١ - ١٨٠م) كانت نظاماً متميزاً من الفكر مع التشديد على السلوك، ومع ذلك نلمح فيها إلى جانب ولاء نظرى للمادية التقليدية ـ حركة محددة بعيداً عن الموقف الرواقى التقليدى ـ ذلك أن سينيكا على سبيل المثال يشدد ويركز على الكمال الإلهى والصلاح حتى أنه يقترب من مفهوم الله باعتباره سامياً على الوجود المادى، كذلك ماركوس أورليوس، يقسم الطبيعة البشرية إلى ثلاثة أجزاء: جسد، نفس حيوانية، وذكاء.

ويذكر بكل وضوح أن آخر هذه الأجزاء، وهو الجزء المسيطر فى الإنسان ليس مأخوذاً - مثل الجزءين الآخرين - من العناصر الأربعة التى تشكل المادة (نار - هواء - ماء - تراب) فمصدرها هو الله، مادة روحية من أصل أسمى من المادة.

وأفلاطونية تلك الفترة (الأفلاطونية الوسطى كما يسمونها) تقدم لنا رؤية أقل ترابطاً، والتعميم عنها ليس بالأمر السهل، لأنه بها اتجاهات عديدة من الفكر فعلى سبيل المثال، كان من بين كبار ممثليها فى القرن الثانى أتيكوس Atticus وألبينوس Albinus، أحدهما معادٍ للفلسلفة الأرسطية والآخر متأثر بها إلى درجة كبيرة، ومع ذلك فإن هذه الأفلاطونية التى عادت إلى الازدهار كانت لها صبغة قوية، وكان الغرض الأساسى لمشايعيها هو فهم الحقيقة المتعلقة بالعالم السماوى، وعلى قدر ما يتصل الأمر بحياتهم الشخصية لترشدهم إلى الطريق الذى يمكن من خلاله الوصول إلى أعظم درجة ممكنة من مشابهة الله. ومن وجهة نظر الفكر اللاهوتى، فإن أبرز اسهاماتهم أن يجمعوا معاً العقل الأسمى الذى افترض أرسطو، والصلاح عند أفلاطون، والموازنة بينهما. وهكذا كانت الأفلاطونية الوسطى أكثر تحديداً من روادها التقليدين من ناحية الاعتقاد فى وجود إله واحد. فقد وضعت العقل الإلهى الفريد على رأس التسلسل الهرمى للوجود. واحتفظت بالمفهوم الذى ورثته عن أفلاطون بخصوص عالم سام من المثل، ولكنها وصفتها بأنها أفكار الله.

أما النظام الذى وضعه ألبينو (Albinus) فكان أكثر تعقيداً. إذ ميَّز بين العقل الأول، أى الله، الثابت، والعقل الثانى، أو عقل العالم الذى يعمل الله من خلاله والذى يتحرك بالرغبة من أجله، وروح العالم. أما سيلسوس أو كلسوس(Celsus) ناقد المسيحية الذى رد عليه أوريجانوس، فكان ينتمى إلى نفس المدرسة، وكان يقول: إنه لا يمكن أن يكون الله هو الذى خلق الجسد، أو أى شيء فانٍ، والنفس فقط هى التى جاءت من الله مباشرة، وفكرة نزول الله إلى الناس يجب رفضها لأنها تتضمن تغييراً فيه. وهو تغيير لابد وأن يكون إلى الأسوأ.

والأفلاطونية الوسطى كانت تقبل بوجه عام وبشكلٍ كاف وجود آلهة وسيطة. وهذا لايتوقع إلا على أساس الوضع الذى نسبوه إلى الإله الأسمى. فمع أنهم ضمنوه التسلسل الهرمى للوجود، إلا أنهم مع ذلك اعتبروه سامياً تماماً، ولا يمكن أن يُلمح إلا فى ومضات خاطفة من النور.

ج - مركزية مكانة السيد المسيح فى التاريخ

لكى نرى بوضوح العلاقة بين المسيحية وتاريخ الجنس البشرى قبلها، ولكى نعرف مدى الأثر القوى الذى طبعته المسيحية على العصور التالية، علينا أولاً أن ننظر إلى الإعدادت السياسية والأخلاقية والظروف الدينية التى سبقت مولد المخلص.

إن الدين يشغل الجانب الأعمق والأقدس من اهتمامات الإنسان، ودخول المسيحية إلى التاريخ، يعد حدثاً هاماً جداً، فهو نهاية العالم القديم، وبداية العالم الجديد. فقد كان «ديونيسيوس الصغير» محقاً عندما جعل ميلاد السيد المسيح، بداية العصر الجديد، فالسيد المسيح الإله - الإنسان، النبى، الكاهن، والملك على الجنس البشرى، وهو فى الحقيقة النقطة المرجعية، لكل التاريخ، والمفتاح لكل أسراره.

فقد كان تاريخ الجنس البشرى قبل ميلاد السيد المسيح، إعداداً لمجيئه، كذلك التاريخ بعد ميلاده هو تاريخ الانتشار المتواصل لتعاليمه وأفكاره ونمو مملكته. «فكل الأشياء خلقت به وله، وهو «مشتهى كل الشعوب». وقد ظهر فى «ملء الزمان» عندما أكملت الإعدادات وحيث اتضح تماماً احتياج العالم للفداء.

إن الإعدادات للمسيحية بدأت صحيحة مع بدء الخليقة،

ومع خلق الإنسان، الذى خُلق على صورة الله، ومع الوعد بالخلاص الذى أعطاه الله لآدم وحواء كعلامة رجاء ترشدهم فى ظلمة الخطية. إن الذكريات الغامضة عن الجنة، والسقوط، والرجاء فى الفداء فى المستقبل. استمرت حتى فى الديانات الوثنية.

قبل ميلاد السيد المسيح بنحو ١٩٠٠سنة أى فى عصر إبراهيم، كانت ثمة ديانتان مستقلتان، هما اليهودية والوثنية بأشكالهما المختلفة (وقد نشأت فى دائرة كل منهما فروع أخرى متعددة) وقد التقيتا فى النهاية فى المسيح مخلص العالم، الذى فيه تمت النبوات، وتحقق رجاء العالم القديم.

وكما أن المسيحية هى المصالحة بين الله والإنسان فى المسيح، فإنه كان يجب الإعداد لذلك من خلال عمليتين، **من جانب الله للإنسان، ومن جانب الإنسان لله**. ففى اليهودية كان الإعداد إيجابياً ومباشراً يبدأ من الله من أعلى فى الاتجاه إلى أسفل، وينتهى بميلاد السيد المسيح. أما فى الوثنية فكان الإعداد غير مباشر وبالتحديد سلبى وقاصر، يبدأ من أسفل إلى أعلى وينتهى بيأس الإنسان من الخلاص.

أما نحن فلنا إعلان خاص أو علاقة خاصة مع الإله الواحد الحقيقى، وهذا الأمر أخذ يتضح بصورة أقوى بمرور الزمن، إلى أن ظهر الكلمة الإلهى فى هيئة إنسان. لكى يرفع الإنسان فى علاقة معه، وهنا استرشد الإنسان بعناية الله وبنوره، الكلمة الذى أضاء فى الظلمة (يوحنا ١ : ٥). الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم (أعمال ١٤ : ١٦) لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه (أعمال ١٧: ٢٦ ، ٢٧) فالوثنية هى الليل حالك الظلمة، لكنها كانت تتضمن التوقع الغامض والتواق لبزوغ النهار. أما اليهودية فكانت الفجر الزاخر بالرجاء المتجدد والوعد بسطوع الشمس، وكلاهما اختفى فى ضوء شمس المسيحية، الديانة الكاملة للجنس البشرى.

كان جانب من الوثنية الذى مهد للمسيحية حضارياً (متمثلاً فى اليونانيين) والجانب الآخر سياسياً اجتماعياً (وتمثل فى الرومانيين)، **فأورشليم** المدينة المقدسة، **وأثينا** مدينة الثقافة، **وروما** مدينة القوة يمثلون العناصر الثلاثة فى الإعداد التاريخى الذى تُوِّج بميلاد المسيحية.

الباب الأول　الفصل الثانى

ميلاد الكنيسة المسيحية وانتشارها

أ- الوعد بالروح القدس.
ب- عصر الروح القدس.
ج- الكنيسة فى أورشليم .
ء- الكنيسة فى أنطاكية.
هـ- الكنيسة بين الأمم.
و-رحلات بولس الرسول وانتشار الكنيسة فى أوربا.
ز- الترتيب الزمنى للعصر الرسولى.

كان يوم «الخمسين» هو نقطة الانطلاق بالنسبة للكنيسة المسيحية، فيوم الخمسين يعد أعظم حدث على الإطلاق بعد إتمام عمل الفداء بموت الرب يسوع المسيح وقيامته، وصعوده إلى السماء. فبعد صعود المسيح بعشرة أيام حَلَّ الروح القدس على التلاميذ إعلاناً لميلاد الكنيسة المسيحية.

أ ـ الوعد بالروح القدس

لايتوفر لدينا سوى قصة واحدة موثوق بها فيما يتعلق بهذا الحدث فى الأصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل، إلا أنه فى الأقوال الوداعية للرب يسوع المسيح، والتى وجهها لتلاميذه، نجد الوعد بإرسال الروح القدس، «المعزى» (يوحنا ١٤: ١٦)، «روح الحق» (يوحنا ١٤: ١٧)، الذى «يُعَلِّم» (يوحنا ١٤: ٢٦)، (انظر أيضاً يوحنا ١٦: ٧، ٢٠: ٢٢)

وكان يوم الخمسين ـ حسب العهد القديم ـ أى اليوم الخمسين بعد سبت الفصح (لاويين ٢٣: ١٥، ١٦) عيد فرح وسعادة، ويأتى فى أجمل فصول السنة. كان أحد الأعياد اليهودية السنوية الكبرى، وكان من واجب الذكور أن يظهروا فيه أمام الرب، فى المكان الذى يختاره (تثنية ١٦ : ١٦).

وقد اكتسب يوم الخمسين معنىً جديداً فى الكنيسة المسيحية بحلول الروح القدس، وتغيرت أفكار الرسل وقلوبهم وحياتهم تغييراً معجزياً.

كان حمل الفصح، والخروج من العبودية فى مصر، يرمزان إلى فداء العالم بواسطة حمل الله الذى يرفع خطية العالم. وإلى يوم الخمسين يرجع أصل الكنيسة الأم فى أورشليم، ومن ثم سائر المدن مثل دمشق، وأنطاكية، والاسكندرية، وروما. فقد تجدد فى ذلك اليوم الزائرون لأورشليم - من تلك المدن - وحملوا بدورهم الأخبار السارة إلى بلادهم البعيدة. وكان الحاضرون فى ذلك اليوم يمثلون تقريباً جميع البلدان التى وصلت إليها المسيحية فيما بعد (انظر أعمال ٢: ٨ - ١١).

ب ـ عصر الروح القدس

يعد يوم الخمسين- بداية عصر الروح القدس- حيث كان الروح القدس حتى ذلك التاريخ يعمل بشكل متقطع، ولكنه منذ ذلك اليوم أصبحت له إقامة دائمة فى المؤمنين، حسب وعد الرب يسوع المسيح (يو١٤:١٧)، وكما ذكر لوقا البشير «وفى تلك الأيام قام بطرس فى وسط التلاميذ وكان عدة أسماء معاً نحو مائة وعشرين» (أعمال١:١٥)، هؤلاء كانوا مجتمعين قبل العبادة الصباحية فى يوم الخمسين، وبينما هم يعبدون، ويصلون أرسل لهم المخلص الممجد الروح القدس، فانسكب عليهم وأسس كنيسته. «وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا»(أع ٢ : ٤).

ورأى بطرس فى هذا الحدث إتمام ماسبق أن قيل بيوئيل النبى: «يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة أنى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاماً. وعلى عبيدى أيضاً وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون » (أع٢:١٧ ، ١٨، يوئيل ٢: ٢٨ ، ٢٩).

ويرى البعض أن تقدمة «الرغيفين المخبوزين خميراً فى عيد الخمسين فى العهد القديم (انظر لاويين٢٣:١٧) إشارة إلى تكوين الكنيسة من اليهود والأمم، والخمير فيهما يشير إلى وجود الطبيعة الفاسدة فى المؤمنين، ولكن بخبز الرغيفين فى التنور(الفرن) يبطل مفعول الخميرة، وهو ما يجب أن تكون عليه حياة المؤمنين.

ومما يستلفت النظر أنه فى نشأة الكنيسة كانت النساء يجلسن مع الرجال، لا فى قاعات منفصلة كما كان الأمر فى الهيكل، بل كانوا يجتمعون معاً فى نفس العُلية كشركاء، ولا فرق بينهم فى البركات الروحية، وكانوا يتوقعون المجىء الثانى للرب يسوع المسيح. كان الجميع واحداً دون تفريق بين يهودى ويونانى، بين عبد وحر، وبين ذكر وأنثى(غلاطية ٣ : ٢٨).

هذه الحياة الروحية الجديدة، ينيرها ويضبطها ويوجهها الروح القدس، الذى أعلن نفسه فى التكلم بألسنة، وقوة الشهادة للناس.

التكلم بألسنة

إن الكلمة اليونانية Glossa وتعنى «لساناً» ظهرت خمسين مرة فى العهد الجديد باستخدامات متعددة. فقد استخدمت سبع عشرة مرة بمعنى «اللسان» عضو الجسد كما فى(مرقس٧ : ٣٣، لوقا ١:٦٤) ومرة واحدة مجازياً فى عبارة « ألسنة منقسمة»(أعمال ٢:٢٣) وسبع مرات فى رؤيا يوحنا (راجع ٩:٥ ،٩:٧) بمعنى أجناس من الناس.

أما فى المرات الخمس والعشرين الباقية، فتصف ظاهرة التكلم بألسنة (أعمال ٢ : ٤ ،١كو ١٢:١٠).

ويمكننا القول إن ظاهرة التكلم بألسنة يوم الخمسين هى نفسها التى حدثت فى بيت كرنيليوس بعد تجدده، الأمر الذى يمكن أن يطلق عليه يوم خمسين أممى (أعمال ١٠ : ٤٥ و٤٦).

إلا أن موضوع التكلم بألسنة حين وقع لأول مرة كان

مختلفاً فى تأثيره على السامعين من ناحية أن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته، فى حين أن الأمر فى كورنثوس تطلب ترجمة (راجع أعمال ٢ : ٨ ، ١كو ١٤ : ٥ و ١٣و ٢٦ـ ٢٨).

تظهر الموهبة الخاصة بالتكلم بألسنة هنا لأول مرة، ولكنها- مع مواهب الروح القدس الأخرى غير العادية مثل الشفاء - أصبحت ظاهرة متكررة فى الكنائس التى أسسها الرسل، ولاسيما فى كورنثوس، وقد وصفها بولس الرسول وأعلن ضوابطها على نحو من التفصيل (راجع كورنثوس الأولى، الأصحاحان الثانى عشر والرابع عشر).

كان الروح القدس - بالتأكيد - عاملاً فى المتكلمين وكذلك فى السامعين، فكان من نتيجة ذلك أن آمن ثلاثة آلاف شخص فى ذلك اليوم المشهود، وانضموا إلى الكنيسة (أعمال ٢ : ٤١).

إننا نلمس الأهمية العظمى لهذا الموضوع، لذلك أوحى الروح القدس لبولس الرسول أن يعالجه، فمع أنه هو نفسه كان قديراً فى التكلم بألسنة (انظر ١كورنثوس ١٤ : ١٨)، لكنه جعل لها مكاناً ثانوياً، ووضع قيوداً على ممارستها، وطلب ترجمة لها، وأعطى الأولوية للمواهب التى تبنى الكنيسة كلها، والتى يعلن الله من خلالها نعمته ومحبته.

والتكلم بألسنة أمر طيب، غير أن التنبوء(الوعظ بالروح) والتعليم بكلام مفهوم من أجل بنيان الكنيسة أفضل، ومحبة الله والناس بالقول والفعل هى أفضل جميع الفضائل (١كو١٣).

ولا نعرف على وجه اليقين المدة الزمنية التى استخدمت فيها موهبة التكلم بألسنة بالشكل الذى وصفه الرسول بولس، فلقد تلاشت بشكل تدريجى مع المواهب الأخرى غير العادية، والتى كانت موجودة فى العصر الرسولى، فلم يأتِ لها ذكر فى الرسائل الرعوية (رسالتىّ بولس الأولى والثانية إلى تيموثاوس، ورسالته إلى تيطس)، بل ولا فى الرسائل العامة (رسالة يعقوب، ورسالتىّ بطرس، ورسائل يوحنا الثلاث، ورسالة يهوذا). ولاتتوفر لدينا سوى إشارات قليلة لها فى نهاية القرن الثانى الميلادى.

كنيســة

فى العهد الجديد تترجم، كلمة كنيسة من الكلمة اليونانية Ekklesia والتى لا تشير أصلاً إلى مكان العبادة، وإنما تشير إلى «جماعة من الناس». وفى معظم الحالات تشير إلى «جماعة من المؤمنين فى مكان معين»، وتعنى حرفياً «دعوة للخروج» والكلمة التى جاءت فى العهد الجديد وتفوّه بها الرب يسوع المسيح جاءت فى (متى ١٦:١٨ ، ١٨:١٧)، وما لم يكن السيد المسيح قد تكلم اليونانية فى هذين الموقفين وهذا أمر يشوبه كثير من الشك - فكلمة Ekklesia فى هذا النص يحتمل أن تكون من وضع القديس «متى» والكنيسة الأولى. فضلاً عن ذلك، فإنه لا توجد طريقة تقرر ماهى الكلمة العبرية أو الأرامية التى استخدمها الرب يسوع المسيح، حيث إن كلمة Ekklesia يمكن أن تشير على الأقل إلى ترجمة ثلاث كلمات مختلفة بلغات سامية (العبرية ـ الأرامية). لايحتمل أن يرجع أصل كلمة كنيسة إلى المؤمنين الأوائل فى أورشليم... وإنما توجد تعبيرات أخرى استخدمها أعضاء المجتمع الرسولى الأول مثل، «الإخوة»، «التلاميذ»، «أتباع الطريق» أو «القديسون». ولكن لايوجد دليل على أنهم أطلقوا على أنفسهم «الكنيسة». كذلك من المحتمل جداً أنه كان من بين المتحدثين باليونانية يهود مسيحيون، والمشايعون لهم من الأمم، حيث أطلق الاسم أولاً، حسب مضمون ثقافتهم التقليدية، فتشير كلمة Ekklesia إلى «اجتماع». والمعنى الفنى إلى اجتماعات دورية للمواطنين فى المدينة اليونانية.

وقد ورد فى سفر أعمال الرسل مثال على ذلك، عندما قال الكاتب للجمع «إن كنتم تطلبون شيئاً من جهة أمور أخرى فإنه يُقضى فى محفل شرعى (أع ١٩ : ٣٥) أي Ekklesia. ومن المحتمل أيضاً أن المسيحيين من اليهود فى العالم الهيلّينى قدموا مصطلح Ekklesia حيث أنه أحد المصطلحين اللذين استخدما فى الترجمة السبعينية لتحديد شعب الله. وقد تُرجمت Ekklesia للكلمة العبرية qahal نحو مائة مرة، وتعنى «اجتماع». أما الكلمة الأخرى الرئيسية التى استخدمت لترجمة qahal فهى Synagoge أى «المجمع» وهذه الكلمة استخدمها اليهود من المتكلمين باليونانية لتحديد أماكن اجتماعاتهم.

جـ ـ الكنيسة فى أورشليم

اتخذت الكنيسة فى باكر عهدها من أورشليم مركزاً لها، لا بصفتها ديانة جديدة، ولكن على أنها إحدى الشيع اليهودية الجديدة (أعمال ٢٤ : ٥) لقد تبع الرب يسوع منذ البداية ـ البعض ممن عاشوا فى مدن وقرى اليهودية والجليل. والمصدر الرئيسى للمعلومات عن كنيسة أورشليم هو سفر أعمال الرسل.

إن الأمر الواضح هو أن المجتمعات الأصلية التى أسسها الرسل كانت تتكون من اليهود سكان فلسطين، على أساس الإيمان بالقيامة، وكانوا يتوقّعون عودة الرب يسوع المسيح سريعاً.

وقد أسسوا منذ وقت مبكر Ekklesia أى «جماعة» أو كنيسة، إنها جماعة إسرائيل الحقيقية، حيث كانوا يهوداً، ويواظبون على الحضور إلى الهيكل، ويطيعون الناموس، ولذا فقد عاشوا ـ فى بادىء الأمر- فى سلام مع السلطات الدينية اليهودية فى أورشليم.

وقد مارسوا المعمودية فى ذلك المجتمع الجديد «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات، وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة» (أعمال ٢ : ٤٢ ، ٤٦).

يعتبر تلاميذ المسيح الاثنى عشر - بدون شك ـ مؤسسى هذا المجتمع الجديد، وهم الذين أطلق عليهم اسم «الرسل»، وعندما زار بولس أورشليم، يبدو أن القيادة كانت فى يد ثلاثة منهم وصفهم الرسول فى رسالته إلى أهل غلاطية بأنهم «أعمدة» إذ يقول: «فاذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أعمدة» (غلاطية ٢ : ٩).

وقد حدث تذمر فى أورشليم من اليهود الذين يتحدثون اليونانية على اليهود ممن يتحدثون الأرامية «لأن أراملهم كن يغفل عنهن فى الخدمة اليومية (أعمال ٦ : ١) وقد انتهى هذا الخلاف بتعيين سبعة رجال للقيام بهذه «الخدمة». (أعمال ٦ : ١-٦) وهؤلاء الرجال السبعة يعتبرون أول خدام «شمامسة» بحسب التقليد.

كان الاضطهاد على يد طائفة الصدوقيين المتشكّكين قد بدأ، لأنهم تضايقوا من التعليم عن قيامة الرب يسوع المسيح ثم اتحد الفريسيون مع الصدوقيين لمهاجمة كل عمل كرازى.

وهكذا بدأ تحرير المسيحية من العبادة فى الهيكل اليهودى.

تعرَّض استفانوس، أحد الرجال السبعة، لقوم يحاورونه فى المجمع، «ولكنهم لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى يتكلم به، وحينئذ دسوا لرجال يقولون إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله» (أعمال ٦ : ٩ - ١١). وكانت نتيجة ذلك أن خطفوه وأتوا به إلى المجمع، فهاجم بشجاعة روح اليهودية العنيدة وانحرافها، وأعلن انتهاء النظام الموسوى، فأخرجوه خارج المدينة ورجموه وكان ذلك نحو عام، ٣٧م. «وخلع اليهود ثيابهم عند رجلىْ شاب يقال له شاول، وكان شاول راضياً بقتله» (أعمال ٦:٨ - ٨ :١).

كان استشهاد استفانوس بداية اضطهاد عام، وقد أدى هذا إلى انتشار المسيحية فى ربوع فلسطين بل وإلى فينيقية وقبرص وأنطاكية (أعمال ٨ : ١و٤ ، ١١:١٩).

وسرعان ماتبع ذلك تجديد كرنيليوس الذى من قيصرية قائد الكتيبة التى تدعى الإيطالية، الأمر الذى فتح الباب أمام الكرازة للأمم.

ثم بدأت الكنيسة تعانى مرة أخرى اضطهاداً شنه الملك هيرودس أغريباس(نحو سنة ٤٤ م)، فاستشهد يعقوب بن زبدى، أخو يوحنا إذ قُطعت رأسه بالسيف(أعمال ١٢: ٢)، وسُجن بطرس وأصدر ضده نفس الحكم، إلا أن الله أنقذه من السجن بأعجوبة (أصحاح ١٢)، ثم اختفى عن الأنظار قليلاً، إذ خرج وذهب إلى موضع آخر»(أع ١٢: ١٧). وقام بالرعاية بعد يعقوب «أخو الرب» مع المشايخ (أع١٢:١٨)، حتى استشهاده فى نحو سنة ٦٣م. ويقول يوسابيوس القيصرى وچيروم ومؤرخون آخرون إن بطرس ذهب إلى روما فى هذه الفترة المبكرة، على الأقل فى زيارة مؤقتة، إن لم يكن للإقامة بصفة دائمة، إلا أن ذلك ليس ثابتاً أو مؤيداً، إذ نراه بعد ذلك فى مجمع أورشليم فى نحو سنة ٥٠م (راجع أعمال١٥). كما أنه قام بزيارة أنطاكية فى نحو عام ٥١م «وكان لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً» (غلاطية ٢:١١).

ولايُذكر شيء عن بطرس فى العهد الجديد سوى أنه كان متزوجاً، وكان يجول للكرازة مصطحباً معه زوجته (١كورنثوس ٩:٥)، كما أنه لاتوجد أية إشارة إلى وجود مقر إقامته فى روما.

وبحسب التقليد فى الكنيستين الشرقية والغربية، فإن بطرس أُستشهد فى روما فى نحو عام ٦٧ أو ٦٨م (لايوجد اتفاق بين المؤرخين على السنة التى أُستشهد فيها بطرس بالضبط). وكان استشهاده أثناء الاضطهاد النيرونى، مصلوباً منكس الرأس بناء على طلبه، إذ حسب نفسه غير مستحق أن يشبه سيده فى موته.

ويقول شاف Schaff إن الرأى القائل بزيارة بطرس لروما بعد نجاته المعجزية من السجن (أعمال١٢:١٧) لايمكن الجزم به، إذ أن بولس لم يذكر أو يشير إلى خدمة بطرس السابقة فى المدينة عندما كتب رسالته إلى رومية فى نحو عام ٥٨م كما أن بولس كان محترصاً أن لايبنى على أساس لآخر (رومية ١٥:٢٠، ٢كورنثوس ١٠:١٦)

ولكن يذكر بعض آباء الكنيسة مثل إيريناوس وكليمندس السكندرى وأوريجانوس وغيرهم من الآباء فى القرون الأولى أن بطرس ذهب إلى روما قرب نهاية حياته، وخدم فيها فترة بسيطة مشتركاً مع الرسول بولس فى رعاية المؤمنين، وفى الشهادة للإيمان فى عاصمة الإمبراطورية الرومانية آنذاك، وأنه قد استشهد فى اضطهاد نيرون هو والرسول بولس فى سنة ٦٧م، وفى ذلك الاضطهاد الذى أثاره نيرون ضد الكنيسة، وألقى القبض على الرسوليين، فبقى بطرس فترة فى السجن تحت المحاكمة. ويبدو أنهما لم يكونا فى سجن واحد وذلك بحسب تقليد كنيسة روما. وقد كتب بطرس رسالتين قرب نهاية حياته (٢بطرس١: ١٢ - ١٥). وقد وجهت كلتا الرسالتين إلى نفس الأشخاص المسيحيين من المشتتين فى ولايات آسيا الصغرى (راجع ١بطرس ١ : ١ و٢ ، ٢بطرس ٣:١)، ولكن لايُعرف على وجه اليقين التاريخ المحدد لكتابتهما.

يبدو أن يعقوب (أخا الرب) قد أخذ مكان يعقوب بن زبدى بعد استشهاده فى عام ٤٤ م فى رعاية الكنيسة فى أورشليم، وقد أصبح مع بطرس ويوحنا أعمدة الكنيسة الثلاثة، وبعد مغادرة بطرس لأورشليم كان يعقوب أخو الرب فى الكنيسة فى أورشليم حتى وفاته، على الرغم من أنه لم يكن أحد الإثنى عشر، وقد أُطلق على يعقوب «أخى الرب»، وفى

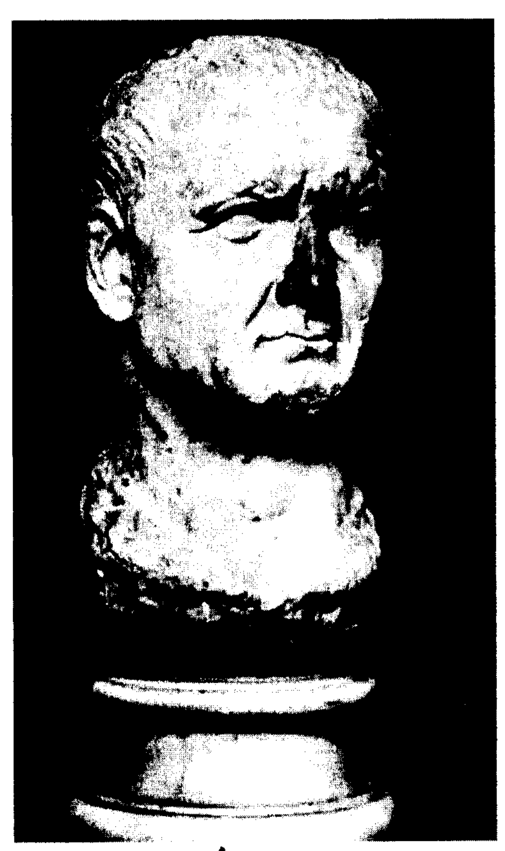
الكتابات التي جاءت بعد العصر الرسولي، لُقّب «يعقوب البار، وأسقف أورشليم». ولم يكن يعقوب قد آمن بالمسيح قبل قيامته من الأموات، وكان هو الأخ الأكبر ليوسي وسمعان ويهوذا (راجع يوحنا ٧:٥، مر٦:٣، مت ١٣: ٥٥) إلا أن ظهور الرب المقام حوّله إلى الإيمان به، وكذلك الحال بالنسبة لإخوته، فقد ظهروا بعد القيامة في صحبة الرسل (انظر أعمال١:٣ ، ١كورنثوس ٩: ٥).

يبرز يعقوب في سفر أعمال الرسل وفي الرسالة إلى غلاطية على أنه أكثر اليهود الذين آمنوا بالمسيح تحفظاً، وكان في معالجته للقضايا التي عرضت على المجمع، إنقاذ للكنيسة من الانشقاق. وطبقاً لما يذكره يوسيفوس فإنه بناء على تحريض من حنانيا رئيس الكهنة، وكان من الصدوقيين، والذي قال عنه: «إنه أشد اليهود قسوة في تنفيذ الأحكام»، أمر برجم يعقوب وآخرين حتى الموت، باعتبار أنهم كسروا الناموس، أي لأنهم «مسيحيون» وذلك في الفترة بين ولاية فستوس وألبينوس في سنة ٦٣ م. ويضيف يوسيفوس المؤرخ اليهودي: إن هذا العمل الظالم أثار غضباً عظيماً بين الناموسيين. وأنهم حرّضوا ألبينوس والملك أغريباس على خلع حنانيا (وهو ابن حنّان المذكور في لوقا ٣ : ٢، يو ١٨ : ١٣) وبهذا قدّم يوسيفوس شهادة محايدة لمركز يعقوب السامي بين اليهود.

أما هيجيسيبوس « Hegesippus » وهو مؤرخ يهودي (نحو سنة ١٧٠ م)، فيضع تاريخ الاستشهاد بعد ذلك بسنوات قليلة، أي قبل دمار أورشليم بوقت قصير (في سنة ٦٩ م). ويقول إن اليهود ألقوا يعقوب أولاً من قمة الهيكل ثم رجموه حتى الموت. إلاّ أن نياندر Neander و رينان Renan وإيوالد Ewald يرجحون التاريخ الذي ذكره يوسيفوس.

أما الرسالة التي كتبها يعقوب، فوجهها إلى الإثني عشر سبطاً الذين في الشتات (يعقوب ١:١) حيث كانت المجتمعات المسيحية الأولى في أورشليم تتكون في غالبيتها من الفقراء والمطحونين والمضطهدين من قبل الأغنياء واليهود الأقوياء. ولايتفق النقاد على تاريخ محدد لزمن كتابة الرسالة، إلا أنهم يرجعون بزمن كتابتها إلى الفترة مابين ٤٥م -٦٢م. وإن كان بلومبتر Plumptre ينسبها إلى زمن مبكر جداً قبل مجمع أورشليم (٥٠ م). وعلى كل حال، فإنها كُتبت قبل دمار أورشليم (٧٠ م).

وبعد استشهاد يعقوب مباشرة ، قام فسبسيان بغزو اليهودية وتدمير أورشليم وحرق الهيكل.



تمثال لرأس فسبسيان

جاء سمعان Symeon بعد استشهاد يعقوب أخيه، وقام برعاية الكنيسة فى أورشليم إلى أيام تراجان، حين مات شهيداً، كان قد بلغ من العمر مائة وعشرين عاماً.

وقد ظلت الكنيسة فى أورشليم فى شركة مع الكنيسة الجامعة التى أبعد عنها الإبيونيون Ebionites باعتبار أنهم هراطقة من اليهود.

د ـ الكنيسة فى انطاكية

كان لأنطاكية بسورية دور هام فى تاريخ الكنيسة الأولى، وكان نيقولاس الدخيل الأنطاكى أحد الرجال السبعة المنتخبين الذين أقامهم الرسل لخدمة الموائد (أعمال ٦ : ٣-٦).

أما المسيحيون الذين فى أورشليم، وقد تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس، فكانت أنطاكية إحدى المدن التى ذهبوا إليها (أعمال ١١ : ١٩)، وقد كرزوا لليهود ممن يتحدثون اليونانية (الهيلّينستيين، كما كرزوا لليونانيين (أعمال ١١: ١٩ ، ٢٠).

أنطاكية
هى إحدى المدن التى أسسها الملك سلوقس نيكاتور (٣١٢ ـ ٢٨٠ ق.م.)، ويقال إنه شيَّد نحو ثمانى عشرة (١٨) مدينة تحمل هذا الاسم . كانت أنطاكية مركزاً للكرازة بالمسيحية بين الأمم.

قام برنابا بدور هام فى توطيد أواصر العلاقة بين الكنيسة فى أنطاكية والكنيسة الأم فى أورشليم (أعمال ١١: ٢٢ ـ ٣٠).

«فأقام برنابا وشاول (الذى هو بولس) فى أنطاكية لمدة سنة كاملة وعلّما جمعاً غفيراً، ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً» (أعمال ١١: ٢٥ ، ٢٦).

وكانت أنطاكية نقطة انطلاق بولس الرسول فى رحلاته التبشيرية الثلاث، إلى قبرص، وأسيا الصغرى. اليونان (أعمال ١٣: ١ ، ١٥: ٣٦ ، ١٨: ٢٣)، كما عاد إليها من رحلتيه الأولى والثانية (أعمال ١٤: ٢٦ ، ١٨: ٢٢).

انعقد المجمع الأول فى أورشليم بسبب مسألة الختان التى أثارها التهوديون فى كنيسة أنطاكية، الذين طالبوا بأن يختتن الأمميون الذين يدخلون إلى الإيمان المسيحى، ومن العدل أن نقول إن النظرة الواسعة للأنطاكيين قد غلبت النظرة الضيقة لدعاة التهود، وقد رأى المجمع بإرشاد الروح القدس إعفاء المسيحيين من الأمم من نير الناموس اليهودى (راجع أعمال ١٥، غلاطية ٢ : ٤ -١٤).

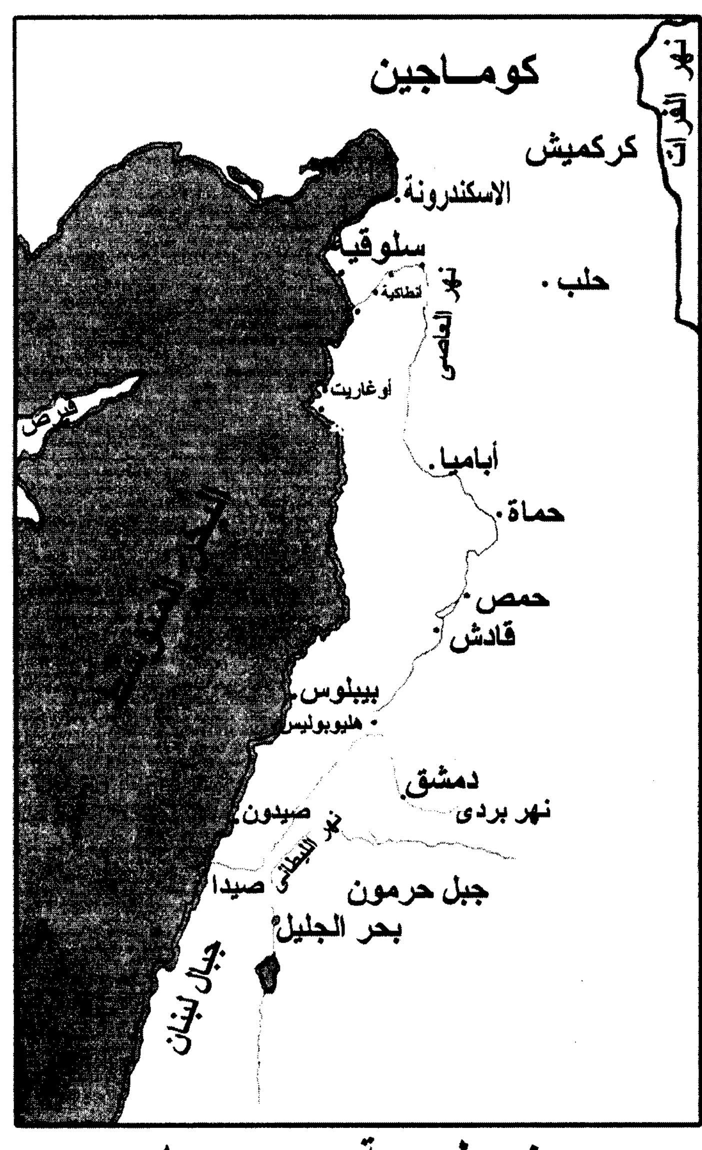
وقد اشتهرت كنيسة أنطاكية بالشهير الأسقف اغناطيوس، (أُستشهد فى سنة ١١٠م) الذى مازالت رسائله تُقرأ حتى الآن، كما اشتهرت بمدرستها ومعلميها العظام، ومنهم يوحنا ذهبى الفم (٣٩٠م) وتيودور الموبسيستى (٣٩٠م) والذى حث على التفسير الحرفى والتاريخى للكتاب المقدس مهاجماً التفسير الرمزى لكليمندس وأوريجانوس الإسكندريين.

وسوف نعود لكنيسة أنطاكية مرة أخرى لدراسة آبائها بشىء من التفصيل.

هـ ـ الكنيسة بين الأمم

الأمم: هى الكلمة التى أطلقها اليهود على الشعوب الأخرى، أى الشعوب الوثنية.

يرجع تأسيس الكنيسة بين الأمم إلى برنابا تلميذ الرب، وإلى الرسول بولس. وكانت بداية هذا فى أنطاكية (انظر أعمال ١١ : ١٩ -٢٦). إلا أن العناية الإلهية مهدت الطريق إلى ذلك من خلال عدة خطوات قبل أن يبدأ الرسول بولس فى رحلاته التبشيرية بين الأمم، وقد تم ذلك عن طريق:



خريطـــة سوريـــا

«فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة، وكان يكرز لهم بالمسيح» (أعمال٨ : ٥) وفيلبس هو أحد الرجال السبعة الذين أقامهم الرسل (أعمال ٦ : ٥). كما ثبَّت بطرس ويوحنا إيمانهم(أعمال ٨ : ١٤).

ولذلك وجد الإنجيل الطريق ممهداً إلى السامرة. إلا أن أول فكر منحرف واجه المسيحية ظهر هناك على يد سيمون الساحر(راجع أعمال ٨ : ٩ - ٢٤).

ب - تجديد كرنيليوس قائد المئة فى قيصرية ، والذين معه (بين ٣٧ - ٤٠م) (أعمال ١٠:١).

جـ - تأسيس كنيسة أنطاكية، عاصمة سورية فى نفس الوقت تقريباً، فكان برنابا الهيلِّينى القبرسى أول من ذهب للكرازة فى أنطاكية، كما كان لبولس الرسول الأثر الكبير فى ذلك، وقد تكونت من الوثنيين واليهود معاً.

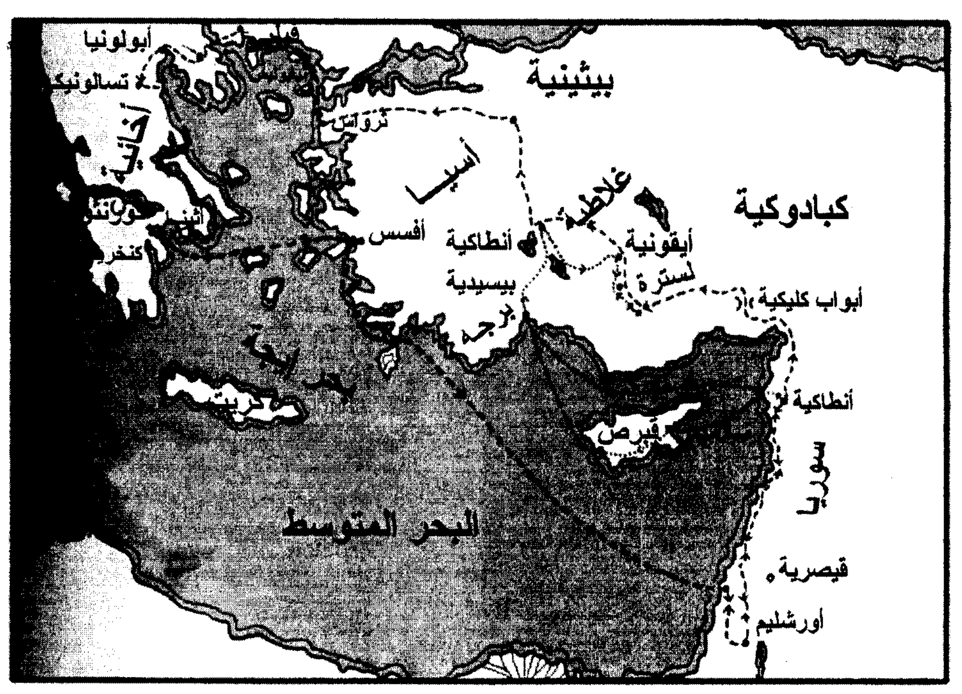
رحلات بولس الرسول وانتشار الكنيسة فى أوربا

أما كيف انتشرت الكنيسة فى أوربا وأسيا الصغرى، فهذا ما يمكن أن نتابعه من خلال رحلات بولس الرسول .

١ ـ الرحلة الأولى لبولس الرسول

بعدما أشار أغابوس- أحد الأنبياء القادمين من أورشليم إلى أنطاكية- إلى أن مجاعة عظيمة توشك أن تقع فى البلاد

أ ـ تجديد السامريين الذين يعدون شبه أمميين، وكانوا من ألد أعداء اليهود (راجع ٢ملوك ١٧ : ٢٤).



رحلتـا بولس الرسول الأولى والثانية

كلها، وقد وقعت فعلاً فى عهد القيصر كلوديوس، قرر التلاميذ الموجودون بأنطاكية أن يرسلوا معونة إلى الإخوة المقيمين فى اليهودية، فأرسلوا المعونة بيد برنابا وشاول إلى المشايخ (راجع أعمال١١ : ٢٧ - ٣٠) وبعدما قاما بالخدمة هناك، عادا إلى أنطاكية مرة أخرى، وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس (أع ١٢ : ٢٥). ويوحنا مرقس هو ابن أخت برنابا (كولوسى ٤ : ١٠) ثم انحدروا إلى سلوكية ميناء أنطاكية ومنها سافروا بحراً إلى قبرص، مسقط رأس برنابا، وكرزوا بالإنجيل فى كل الجزيرة فى مجامع اليهود (أع ١٣: ٤ -٦) وسافروا من سلاميس شرقاً إلى بافوس غرباً (اشتهرت بافوس فى ذلك الحين بمعبد أفروديت إلهة الحب).

وفى بافوس دعا الوالى الرومانى سرجيوس بولس كلاً من برنابا وشاول ليسمع كلمة الله، وربما كان ذلك بدافع معرفة طبيعة كرازتهما وأثرها على الولاية وعلى الرعية، وكان مع الوالى رجلاً ساحراً نبياً كاذباً يهودياً اسمه باريشوع، الذى يُترجم عليم الساحر، وقد قاومهما حتى يحوّل الوالى عن الإيمان. إلا أن الوالى برغم ذلك آمن لما رأى ماحدث للساحر من جرَّاء لعنة بولس له ومن تعليم الرب» (راجع أعمال ٣:٦-١٢).

ثم أقلع بولس ومن معه من بافوس إلى برجة بمفيلية



تمثال لرأس كلوديوس الأول



أطلال سلاميس

بآسيا الصغرى (أع ١٣ : ١٣) فى زيارة خاطفة. وقد صمت لوقا البشير ولم يذكر شيئاً عن كرازتهما فى تلك الزيارة، إلا أن لوقا يذكر شيئاً عن ذلك بعد عودتهما إليها (أع ١٤: ٢٥) حيث قد فارقهما يوحنا مرقس ورجع إلى أورشليم (أع١٣: ١٣)، ثم جازوا من برجة وأتوا إلى أنطاكية بيسيدية عبر الطريق الجبلى الوعر (أع ١٣: ١٤). وأنطاكية بيسيدية تقع فى منتصف الطريق الرومانى بين أفسس وطرسوس، حيث دخلوا المجمع يوم السبت، وقام بولس وخاطب اليهود والدخلاء، وبشرهم بأن الموعد الذى خاطب الله به الآباء قد أتمه فى شخص المسيح الذى صُلب، ودُفن فى قبر ولكن الله أقامه من الأموات (أع ١٣ : ١٤ و٤٣).

أما فى السبت التالى فقد ظهرت مقاومة اليهود «فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين (أع ١٣: ٤٥) وانتهى الأمر بأن ثار اضطهاد على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم، فأتيا إلى أيقونية (راجع أع ١٣: ٤٢ - ٥١).

دخل بولس وبرنابا المجمع فى إيقونية (هى قونية الحالية


صورة لبرجة

في وسط آسيا الصغرى) وآمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين بكلامهما، ولكن أثار اليهود ممن لم يؤمنوا الأمميين على الإخوة، وحدث أن انقسم أهل أيقونية إلى فريقين، فبعضهم كان مع الرسولين، وبعضهم كان مع اليهود.

وقد هرب الرسولان من شدة الاضطهاد الذى لقياه على أيدى اليهود والأممين رؤسائهم، إلى مدينتيْ ليكأونية لسترة ودربه وإلى الكورة المحيطة، وكانا هناك يبشران (راجع أع : ١٤ : ١ - ٧).

وفى لسترة ظن الجميع أنهما آلهة بعد أن شفى بولس


أطلال معبد جوبيتر

رجلاً عاجز الرجلين، وكانوا يريدون أن يذبحوا لهما، فكانوا يدعون برنابا زفس Zeus أو جوبيتر عند الرومان، وبولس هرمس Hermes أو(Mercury) أى عطارد عند الرومان) وبالجهد أقنعاهم أن لايذبحوا لهما، فتحوّل هذا التكريم والتبجيل إلى كراهية وصلت إلى حد رجم بولس بتحريض من اليهود ممن أتوا من أنطاكية وإيقونية (راجع أعمال١٤:٨ - ٢٠) وقد آمن فى لسترة تيموثاوس الذى أصبح رفيقاً لبولس (راجع أع ١٦ : ١ ، ٢٠ : ٤)

وفى دربة بشَّرا وتلمذا كثيرين (أع ١٤: ٢١).

ثم رجع بولس وبرنابا إلى **لسترة وأيقونية وأنطاكية بسيدية** يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان، وانتخبا لهما قسوساً فى كل كنيسة (أع ١٤ : ٢٢) « ثم أتيا إلى بمفيلية وتكلما بالكلمة فى برجة ثم نزلا إلى أتالية « ميناء

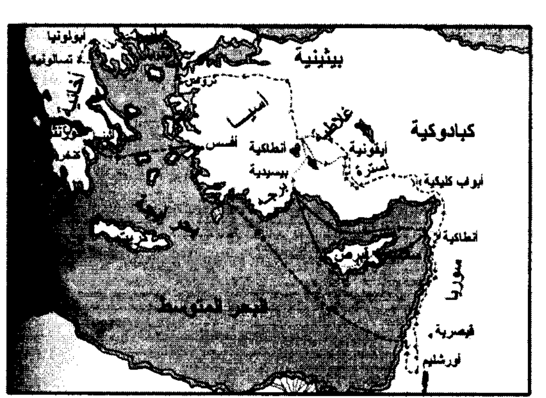


شهير أسسه فيلادلفوس» ثم عادا إلى أنطاكية بسورية وأقاما هناك زماناً ليس بقليل مع التلاميذ (راجع أع ١٤:٢١-٢٨). ويرجّح العلاّمة السير وليم رامساى وهو أحد المؤرخين المبرزين فى دراسة تاريخ تلك الفترة أن تلك الرحلة الأولى تمت فيما بين ٤٥ م - ٤٧ م.

٢ ـ الرحلة الثانية لبولس الرسول

أراد بولس أن يعود ليتفقد الإخوة فى كل المدن التى نادى فيها بكلمة الرب، فلما أشار برنابا أن يأخذا معهما يوحنا الذى يدعى مرقس لم يرد بولس أن يصطحباه لأنه فارقهما من برجة بمفيلية، فحدثت بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، فسافر برنابا ومرقس بحراً إلى قبرص، أما بولس فاختار سيلا واجتاز فى سورية وكيليكية يشدد الكنائس، **وقد عبرا أبواب كيليكية**، وهى معابرفى الجبال الوعرة بين سوريا وأسيا الصغرى، ليصلا إلى دربة ولسترة فى جنوبى أسيا الصغرى ليشدد الكنائس التى أسَّسها بولس فى رحلته التبشيرية الأولى، وحيث آمن تيموثاوس.

قابل بولس فى **لسترة** تيموثاوس بن افنيكى وهى يهودية مؤمنة وجدته لوئيس. طلب بولس أن ينضم تيموثاوس إليهما



رحلتا بولس الرسول الأولى والثانية

ويرافقهما فى التجوال والخدمة، أخذ بولس تيموثاوس وختنه من أجل اليهود الذين فى تلك الأماكن حتى لا يعثروا لأن الجميع كانوا يعرفون أن أباه يونانى (أع ١٦ : ١-٣).

وكان بولس وسيلا فى كل مدينة يجمعان الإخوة ويشددانهم ويزفان إليهم بشرى قرار مجمع أورشليم والقضايا التى حكم بها الرسل والمشايخ الذين فى أورشليم، وذلك لإزالة التوتر الموجود بين المؤمنين من اليهود والأمم، فكانت الكنائس تتشدد فى الإيمان وتزداد فى العدد كل يوم (أع ١٦: ٤ و٥).

وبعد ذلك لم يدعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة فى أسيا فى فريجية والكورة المحيطة، ولما مرّوا على ميسيا وانحدروا إلى ترواس وهى طروادة الإغريقية القديمة، هناك ظهرت لبولس رؤيا فى الليل إذ برجل مكدونى يطلب إليه قائلاً: «اعبر إلى مكدونية وأعنا» (أع ١٦: ٩)، **ومكدونية** ولاية فى أوربا شمالىّ بلاد اليونان، وقد اتجهوا إليها بحراً عبر مينابوليس ميناء مكدونية مروراً بساموثراكى، واذ يتبدل الكلام من صيغة ضمير المتكلم إلى الجمع فإن هذا يشير إلى أن لوقا قد رافقهم ابتداءً من ترواس (أع ١٦: ١١) وهكذا تنتقل الكرازة بالمسيحية من أسيا لتعبر إلى أوربا. وإذ وصلوا إلى **فيلبى** أول مدينة أوربية وهى أهم مدن مقاطعة مكدونية، وهى **كولونية** أى «مستوطنة رومانية»، وقد أعطى لأهل المدينة مزايا الرعوية الرومانية مثل أهل رومية أنفسهم، كان غالبية سكانها من اليونان والرومان وأقلية ضئيلة من اليهود الذين لم يكن يسمح لهم بتشييد مجمع يهودى للعبادة، إذ كان القانون ينص على أنه متى وُجد عشرة رجال من أصحاب العائلات، فيجب بناء مجمع لدراسة الشريعة، فمتى لم يتحقق ذلك فكان لابد أن تُعقد الاجتماعات التعبدية فى الهواء الطلق، وبخاصة بجانب نهر، وفى يوم السبت ذهب كل من بولس وسيلا وتيموثاوس ولوقا إلى خارج المدينة عند نهر

حيث «جرت العادة أن تكون صلاة» (أع ١٦ : ١٣) حيث فتح الرب قلب ليدية بياعة الأرجوان للكلمة، واعتمدت هى وأهل بيتها»، ودعت التلاميذ ليمكثوا فى بيتها (راجع أع ١٦: ١٤ - ١٦).

أثار بولس استياء موالى الجارية التى كان بها روح عرافة، وذلك بعد أن شفاها. إذ كان موالى الجارية يتكسبون من وراءها، فجاءوا إلى الولاة يشتكوهم ضد بولس و سيلا وجرُّوهما متقولين عليهما أنهما ضد النظم الدينية والمدنية: «هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا وهما يهوديان وينادیان بعوائد لايجوز أن نقبلها ولانعمل بها إذ نحن رومانيون (أع ١٦: ٢٠ و٢١) وقد تعرضا للضرب الكثير، وألقوهما فى السجن الداخلى، وضبط أرجلهما فى مقطرة (راجع أع ١٦: ٢٣و٢٤) ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان، فحدثت زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن، وفُتحت أبوابه وفُكت قيود الجميع(أع ١٦: ٢٥ و٢٦).

ونادى بولس حارس السجن ـ الذى كان مزمعاً أن يقتل نفسه ظاناً أن المسجونين قد هربوا بصوت عظيم قائلاً: ألا يفعل بنفسه شيئاً الآن الجميع موجودون، فآمن حارس السجن، وأحسن إلى الرسولين، وغسل جراحهما.

وقد تمسك بولس وسيلا بحقوقهما، عندما أطلقهما الولاة فى الصباح سراً، إذ طلبا أن يكون ذلك علناً كما يليق بمواطنَين رومانيين، فجاءوا وتضرعوا إليهما وأخرجوهما وسألوهما أن يخرجا من المدينة (أع ١٦:٣٩) وبعد أن عزّيا الإخوة تركا المدينة ـ كما طلب منهما الولاة .

ويبدو أن لوقا ظل هناك ليرعى الكنيسة الناشئة، ويمكن استنتاج ذلك.

من العودة مرة أخرى لاستخدام «ضمير الغائب».

المواطنة الرومانية

فضلا عن الحرية، فإن المواطنة الرومانية كانت شرطاً لابد منه للتمتع بالحقوق السياسية الخاصة والعامة. والمواطن (Civis) هو فى الأساس من يعيش متمتعاً بكامل حقوقه فى داخل المدينة Intra Muros وبعد ذلك، تم التوسع فى هذا المفهوم. وكان يتم الحصول على المواطنة بصفة أساسية بالولادة الشرعية لوالدين مواطنين. والابن لأب خارج الحدود يرث وضع أبيه القانونى، والعبد يحصل مع حريته على وضع المواطن، وكانت المواطنة تمنح أحياناً لمجتمعات بأسرها، وفى كثير من الأحيان للأفراد الذين يقدمون خدمات خاصة للدولة (خدمات عسكرية أو لاستحقاق خاص) أو بحسب الميول السياسية التى تسيطر بين آونة وأخرى، وتكون تقريباً مستعدة لقبول عناصر أجنبية.

وبين سنتىْ ٩٠ ـ ٨٧ ق.م. (الحرب الاجتماعية) حصل سكان إيطاليا جميعاً على المواطنة، وتم التوسع فيها شيئاً فشيئاً حتى شملت جميع رعايا الامبراطورية فى عهد كاراكالاً (٢١٢ م)، وتفجرت على نحو عنيف مشكلة منح المواطنة للإيطاليين كافة، لاسيما فى ظل الإصلاح الزراعى الذى حفز إليه طيباريوس جراتسوس، فقد تعرض الإيطاليون لمصادرة نصيبهم من الأراضى الزائدة، ولكنهم اُستبعدوا من إعادة التوزيع باعتبارهم ليسوا مواطنين.

وتتضمن حقوق المواطنة الرومانية حق التقاضى الجنائية، وحق التصويت لانتخابات المجالس التشريعية، وحق الاستئناف فى القضايا الجنائية، والحق فى الزواج الشرعى، والأهلية القضائية الكاملة. والمواطن الرومانى كان ملزماً من جانبه بتأدية الخدمة العسكرية ودفع الضرائب. وطبقاً لتشريعات جستنيان (القرن السادس) يتضح أن المواطن الرومانى كان لايزال يتمتع بتلك الامتيازات .

انطلق بولس وسيلا من فيلبى إلى تسالونيكى، بعد أن اجتازا أمفيبوليس وأبولونية،وكانت تسالونيكى ـ وما تزال من أكثر المدن اليونانية سكاناً (وتدعى اليوم سالونيك). وقد كرزا بالإنجيل فى مجمع اليهود ثلاثة سبوت، حيث اقتنع لمحاجة بولس كثير من اليهود واليونانيين المتعبدين والنساء المتقدمات (أع ١٧: ٤).

مما أثار اليهود من غير المؤمنين، فأثاروا الجمع ضدهما «فاتخذوا رجالاً أشراراً من أهل السوق (من أبناء الشارع) وقادوهم إلى حيث يقيمان فى بيت «ياسون»، ولما لم يجدوهما جروا مضيفهما وبعض الإخوة إلى مجلس الحكم، واتهموا بولس وسيلا تهمة ماكرة خبيثة، وهى خيانة قيصر، وهى تهمة يعاقب عليها القانون الرومانى بأقسى عقاب، وقد تعامل الحكام بحكمة إذ أخذوا كفالة من ياسون ومن معه وأطلقوهم حتى تهدأ الأمور، وقد أرسل الإخوة حالاً بولس وسيلا ليلاً إلى بيرية (أع ١٧: ١٠)، وقد عبر بولس عن شوقه لزيارتهم، وذلك فى رسالته إلى كنيسة تسالونيكى بعد ذلك بعدة أشهر فى نحو سنة ٥١م (١تس٢: ١٧)

ولما وصل بولس وسيلا إلى بيرية ذهب إلى مجمع اليهود. وكان يهود بيرية أشرف من يهود تسالونيكى. إذ أخذوا يفحصون الكتب كل يوم لكى يتأكدوا صدق ما يقول بولس



صورة لأطلال أكروبوليس

عن المخلص المقام من الأموات، وقد آمن عدد كثير من اليهود، ومن اليونانيين نساء نبيلات وعدد كبير من الرجال (راجع أع ١٧: ١٠ - ١٢)

ولحق تيموثاوس بهما في تلك المدينة، وظلت الأمور تجرى في مجراها الهادىء إلى أن عرف يهود تسالونيكى أن بولس يبشر بكلمة الله في بيرية، فجاؤا لإثارة بنى جلدتهم وتحريضهم ليثوروا عليه، ولكن بولس وبعض أتباعه غادروها إلى الميناء ومنه إلى أثينا بحراً. وأما سيلا وتيموثاوس فقد ظلا في بيرية لمواصلة الكرازة (أع ١٧: ١٠ -١٥).

وأثينا هي مهد الأدب والفنون والحكمة والفلسفة والعلوم، فقد كانت مقصداً لطلاب العلم والفلسفة في العالم في ذلك الوقت. وقد أنجبت قادة الفكر البشرى أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وسوفوكليس وغيرهم. وكان للفلسفتين الأبيقورية والرواقية في ذلك الوقت فلاسفتها وأتباعها.

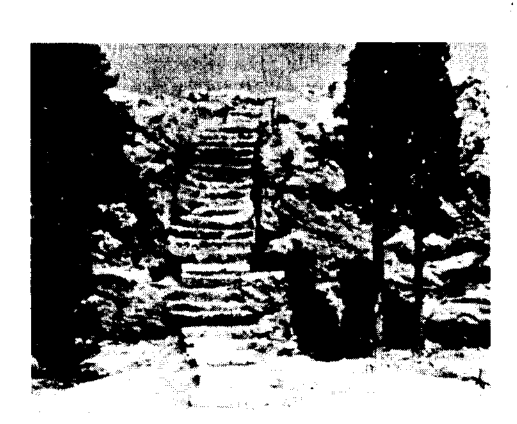
وبينما بولس في انتظار مجيء سيلا وتيموثاوس، احتدت روحه فيه وهو يطوف في المدينة، إذ كانت المدينة مملوءة أصناماً. فكرز في المجمع لليهود والمتعبدين، ومن كان يلقاهم كل يوم في ساحة المدينة، فجرت مناقشة بينه وبين بعض الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين، ولما وجدوا أنه يبشر بيسوع والقيامة من الموت ظن بعضهم أنه مهذار. وقال آخرون إنه ينادى بآلهة غريبة، فأخذوه إلى أريوس باغوس لعلهم يعرفون ماهو هذا التعليم الجديد الذى نادى في مسامعهم، وذلك لأن أهل أثينا والغرباء الساكنين فيها لايمضون أوقات فراغهم إلا في مناقشة الأفكار الجديدة (راجع أع ١٧: ١٦ - ٢١).

وأريوس باغوس تشير إلى مجلس كانت له مكانة رفيعة، وكان يجتمع على التّلة التى تحمل ذات الاسم في أثينا وهو للإله «أرس» إله الحرب عند اليونان. وكان المجلس ينعقد للنظر في الأمور الفائقة الأهمية فيما يتعلق بالشئون السياسية

الأبيقورية و الرواقية

هما فلسفتان يونانيتان قديمتان، **والفلسفة الأبيقورية** أسسها أبيقور (٣٤١-٢٧٠ق.م.)، ويرى الأبيقوريون أن العالم خُلق صدفة، وأن الآلهة لايعرفون شيئاً عن العالم، ومتاعبه، لذا فهم لا يمكن أن يهتموا بالبشر، وأن السعادة هى الغاية التى نسعى إليها، وأن اللذة هى الخير الأول لنا، فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت.

أما **الرواقية** فتنسب إلى رواق بوليجنوس المزخرف بأثينا، والذي اتخذه زينون (٣٣٦ ـ ٢٠٤ ق.م) مقراً له ليجتمع فيه مع أتباعه، فدعوا بالرواقيين، وكانت فلسفة الرواقيين تدعو إلى السعى وراء الفضيلة، والإصغاء إلى صوت الضمير، وضبط العواطف والانفعالات،وكانوا يؤمنون أن كل الأشياء تؤدى إلى الخير، وقد اقتبس بولس الرسول عن شعرائهم في قوله: كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً ذريته»(أع ١٧ :٢٨) وهى من قول الشاعر الرواقي أراتوس، وتبرز الفلسفة الرواقية بتعاليمها عن الفرد والمجتمع، وتبلغ درجة رفيعة من الإنسانية والتفاؤل والسعادة.



صورة أريوس باغوس

للدولة، وذلك خلال القرن الخامس قبل الميلاد. أما فى أيام الرومان فقد فقد المجلس قوته السياسية، وأصبحت اختصاصاته قاصرة على الإشراف على الأمور الاجتماعية والدينية والتعليمية، ولذلك فإن السير (وليم رامساى) يؤكد على أنه كانت للمجلس السلطة لدعوة محاضرين من أثينا، ولهذا السبب أحضروا بولس ليقف أمام المجلس ليفحصوا تعاليمه الجديدة. وقد تحدث بولس عن الآلهة العديدة المنتشرة، ومذبح «الإله المجهول» فدعاهم لعبادة «الإله الواحد» الذى خلق العالم وكل مافيه، إذ هو رب السماء والأرض، وهو لايسكن فى معابد بنتها أيدى البشر، كما كلمهم عن التوبة وعن إقامة الله ليسوع المسيح من الأموات (راجع أعمال ١٧: ٢٢-٣١) وقد تباينت ردود الأفعال بين الاستهزاء والإهمال، وكانت هذه ردود أفعال الغالبية أما الأقلية الضئيلة التى آمنت فكان من بينهم ديونيسيوس الأريوباغى وامرأة أسمهما دامَرِس (راجع أع ١٧ : ٣٢ - ٣٤).

ولعل النتائج المحدودة التى حصل عليها بولس من حديثه فى أريوس باغوس قد أصابته ببعض خيبة الأمل، فغادر بولس أثينا إلى **كورنثوس**، عاصمة ولاية أخائية، وقد ذكر بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أنه جاء إلى كورنثوس «فى ضعف وخوف ورعدة كثيرة» (٢:٣)، وهناك أقام مع أكيلا وبريسكلا، وهما زوجان يهوديان كانا يقيمان فى روما إلا أنهما طُردا منها بناء على المرسوم الذى أصدره القيصر كلوديوس بطرد جميع اليهود من رومية على إثر مشاغبات أحدثوها هناك عام ٥٠ م.

ولأن أكيلا وبريسكلا كانا خيامين، فإن بولس قد اشتغل معهما خلال أيام الأسبوع حيث كان يحاج فى المجمع كل سبت (راجع أع ١٨: ١-٤)، وبعد أن قاوم اليهود ورفضوا كرازته توجه ليكرز للأمم(١٨-٦).

بعد ذلك قدِم سيلا وتيموثاوس إلى كورنثوس ليكرزا مع بولس. ويبدو أن سيلا لم يذهب إلى أثينا، ولكن يذكر بولس فى رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى ما يؤكد أن تيموثاوس قد قابله فى أثينا «لذلك إذ لم نحتمل أيضاً استحسنا أن نترك فى أثينا وحدنا فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله ..



أطلال معبد أبولو فى كورنثوس

وأما الآن فإذ جاء إلينا تيموثاوس من عندكم وبشرنا بإيمانكم» (راجع ١تسالونيكى ٣ : ١-٦). يتضح من هذا أن تيموثاوس قابل بولس فى أثينا، فأرسله بولس إلى تسالونيكى، ثم عاد إلى كورنثوس، وقد أخبره تيموثاوس بأحوال الكنيسة فى تسالونيكى، وكانت الأخبار مشجعة ومعزية (١ تس ٣ : ٧-١٠) وبناءً على ذلك كتب إليهم رسالته الأولى ليشجعهم ويحثهم على النمو، ويثبتهم فى وجه الاضطهادات، ويكلمهم عن حقائق تتعلق بالمجئ الثانى للرب،

كما كتب لهم دفاعاً عن نفسه فى مواجهة الادعاءات الكاذبة التى اتهمه البعض بأنه يسعى إلى مكاسب مادية. وفى ختام رسالته يناشدهم أن تُقرأ الرسالة على جميع الإخوة، مما يدل على أن الرسائل كانت تقرأ للإخوة فى العبادة، وبعد عدة أسابيع أو أشهر لما علم بحيرتهم بخصوص المجيء الثانى للرب، إذ ظنوا أن مجيئه يوشك أن يقع، تبلبلت أفكارهم وحدث عدم استقرار لأعمالهم اليومية، فكتب رسالته الثانية



صورة لأطلال مدينة كورنثوس

إلى أهل تسالونيكى، وفيها يوضح أنه يجب أن يمارسوا حياتهم ويعملوا وأن لا يتزعزعوا أو يرتاعوا، وأن يثبتوا ويتمسكوا بالتعاليم التى تعلموها منه، وقد كُتبت الرسالتان إلى أهل تسالونيكى بين عامى(٥٠م، ٥١ م) تقريباً.

بعد أن قاومه اليهود ورفضوا كرازته، **توجه ليكرز للأمم**، ثم أقام فى بيت رجل اسمه يوستس، كان متعبداً لله، وكان بيته ملاصقاً للمعبد، وكان كريسبس رئيس المجمع من أوائل من آمنوا فى كورنثوس هو وجميع بيته، ثم آمن كثيرون من أهل مدينة كورنثوس واعتمدوا (أع ١٨ : ٦- ٨).

وقد شدّد الرب بولس وقال له فى رؤيا الليل «لاتخف بل تكلم ولاتسكت لأنى أنا معك ولايقع بك أحد ليؤذيك لأن لى شعباً كثيراً فى هذه المدينة» (أع ١٨: ٩ و١٠).

أراد اليهود فى كورنثوس استغلال فرصة مجيء الوالى الجديد غاليون الذى تولى أخائية فى غضون سنة ٥١م أو ٥٢م، فقام اليهود بنفس واحدة على بولس، وأتوا به إلى كرسى الولاية بتهمة الاعتداء على دينهم قائلين: «إن هذا يستميل الناس أن يعبدوا الله بخلاف الناموس»، وكانوا يقصدون بذلك أن بولس يناقض القانون الرومانى الذى يسمح باعتناق ديانة واحدة من الديانات التى يعترف بها الشعب. وأن الديانة التى يدعو إليها بولس إنما تناقض ناموس موسى كما يفهمون، وحين همَّ بولس للدفاع عن نفسه «قال غاليون لليهود: لو كان ظلماً أو خبثاً ردياً أيها اليهود لكنت بالحق قد احتملتكم، ولكن إذا كان مسألة عن كلمة وأسماء وناموسكم فتبصرون أنتم لأنى لست أشاء أن أكون قاضياً لهذه الأمور، فطردهم من الكرسى»(أع ١٨ : ١٤ - ١٦).

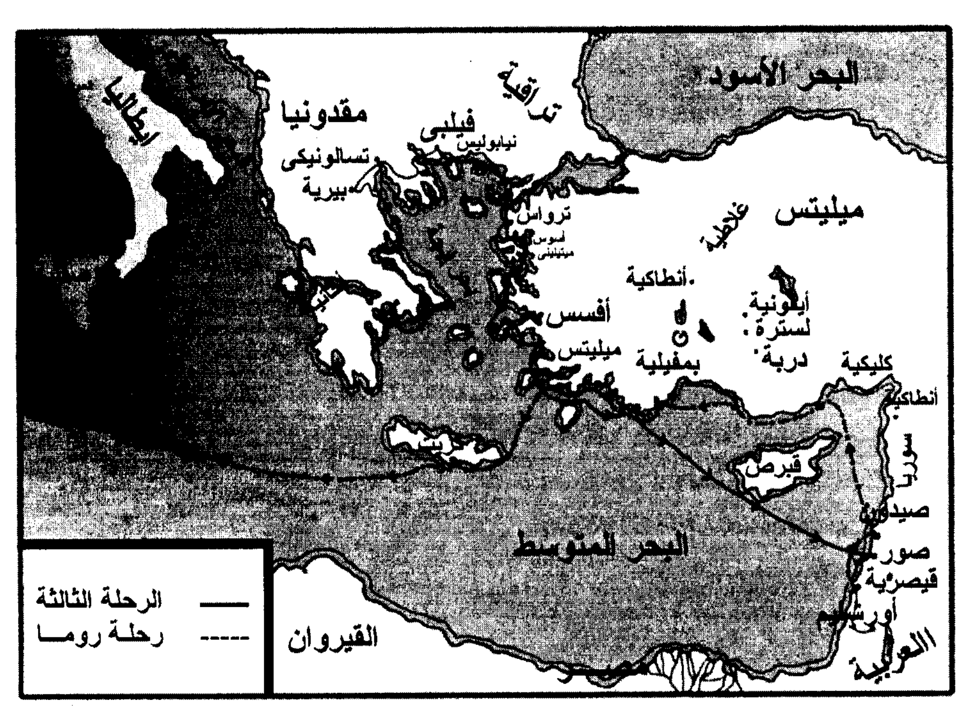
ونظراً لكراهية اليونانيين لليهود، فإنهم اغتنموا الفرصة وضربوا سوستانيس رئيس المجمع أمام الوالى، وهكذا فشلت محاولات اليهود فى مدينة كورنثوس فى إعاقة بولس عن الكرازة. فانطلق كارزاً لمدة سنة ونصف السنة فى المدينة (أع ١٨: ١١ و ١٨).

وفى طريق عودته إلى سورية مَرَّ بولس بأفسس، وكان معه أكيلا وبريسكلا حيث تركهما هناك، وقد تكلم بولس فى المجمع ولم يمكث هناك إذ يبدو أن كان ثمة مايدعوه للذهاب سريعاً إلى أورشليم (١٨ : ١٨ - ٢١) ثم أبحر إلى **قيصرية** ثم براً إلى **أورشليم** ليسلم على الكنيسة هناك، وأخيراً يرتحل إلى **أنطاكية سورية** فى الشمال (أع ١٨: ٢٢).

وهكذا تنتهى الرحلة الثانية لبولس الرسول، فى مدن أسيا واليونان و يرجح أن تكون رحلته الثالثة قد تمت فى الفترة بين سنتى(٥١-٥٤م).

٣- الرحلة الثالثة لبولس الرسول

لم يمكث بولس طويلاً فى أنطاكية بسورية، إذ بعدما صرف زماناً تركها، وكانت تلك هى المرة الأخيرة التى يزور فيها بولس أنطاكية بسوريا، وخرج منها إلى مسقط رأسه فى طرسوس، وسار فى الطريق إلى دربة ولسترة وأيقونية وأنطاكية



رحلة بولس الرسول الثالثة ورحلته إلى روما

بسيدية، هذه المدن التى كان زارها من قبل، وكان يشدد التلاميذ فى الإيمان فى جميع تلك المدن (أع ١٨: ٢٢ ، ٢٣)ثم جاء إلى أفسس (أع ١٩:١).

وأفسس مدينة تجارية هامة نظراً لموقعها المتميز كميناء على بحر إيجة، إلا أنه فى ذلك الوقت الذى زارها فيه بولس الرسول كانت تلك الأهمية قد بدأت تتراجع، كما كان فى أفسس المعبد الشهير للإلهة ديانا (أرطاميس)، أحد عجائب الدنيا السبع، وكانت زيارة السياح لذلك المعبد سبباً فى الازدهار الاقتصادى للمدينة بعد أن خبت شهرتها التجارية.

وقد جاء أبلوس إلى أفسس قبل أن يأتى إليها بولس.



صورة لعملة قديمة لمدينة أفسس


أطلال معبد أرطاميس

وأبلوس رجل يهودى، اسكندرى المولد، كان فصيحاً يبدو أنه ممن درسوا الفلسفة اليونانية فى الإسكندرية. إلا أن معرفته كانت ناقصة وقاصرة على كتب الآباء والأجداد، فلم يكن قد عرف شيئاً عن المسيحية إذ كانت معرفته قاصرة على ما علّمه يوحنا المعمدان. كان أبلوس «يعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً معمودية يوحنا فقط»(أع ١٨: ٢٥).

فعندما سمعه أكيلا وبريسكلا وهو يعلّم فى المجمع أخذاه وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق، فقبل ماعلّماه به وأصبح أحد التلاميذ الغيورين. وإذ ذهب إلى كورنثوس عاصمة ولاية أخائية بشّر فى الأوساط اليهودية التى نبذت بولس قبلاً (أى أن بولس وأبلوس لم يلتقيا فى أفسس) إذ أن أبلوس كان قد غادرها قبل مجىء بولس، فكان باشتداد يفحم اليهود مستنداً إلى الكتب أن يسوع هو المسيح، وقد سقى ما غرسه بولس «أنا غرست وأبلوس سقى لكن الله كان ينمى»(١كو ٣ : ٦).

لم يكن أبلوس هو الوحيد الذى آمن بتعاليم يوحنا المعمدان، إذ أن بولس وجد عندما جاء إلى أفسس اثنى عشر تلميذاً ممن اعتمدوا على أساس «معمودية يوحنا»، ولم يسمعوا بوجود الروح القدس، فعلمهم بولس أن يوحنا كان يدعو للتوبة ويهيء الطريق للمسيح الذى هو هدف الإيمان الحقيقى، فاعتمدوا مرة أخرى باسم الرب يسوع، وقد حل الروح القدس عليهم وأخذوا يتكلمون بلغات ويتنبأون. ويبدو من ذلك أنه كانت هناك طائفة تشايع يوحنا المعمدان بين اليهود فى أسيا فى القرن الأول لم تكن قد وصلتها بعد رسالة المسيح، لذلك كتب يوحنا الرسول ليوضح أنه لا أفضلية مطلقاً ليوحنا المعمدان عن يسوع (اقرأ يوحنا ١:٩-٣٤ ، ٢:٢٢- ٣:٣٦)، ولعله من الواضح أنه كان هناك من يجدون فى يوحنا المعمدان ذروة الإعلانات الإلهية، وكان فى نظرهم أعظم من يسوع، بينما كان هناك آخرون ينتظرون من هو أعظم من يوحنا، ويبدو أن أبلوس كان من بين هؤلاء قبل إيمانه بالمسيح.

كان بولس يجاهر مدة ثلاثة أشهر فى المجمع (أع ١٩ : ٨)، وكانت هذه أطول مدة قضاها بولس يحاج فى مجمع يهودى، ولكن لما عاندوه ولم يقتنعوا، انفصل عنهم، وأخذ من مدرسة «إنسان اسمه تيرانس مقراً له للكرازة»، «حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين فى أسيا من يهود ويونانيين (أع ١٩ : ١٠) وامتزجت فى أفسس فنون السحر والشعوذه بعبادة الإلهة ديانا، كما انتشرت كتب السحر. وكان الله يصنع على يدىْ بولس قوات غير المعتادة» (أع ١٩: ١١).

رأى السحرة والمشعوذون أن بولس يشفى المرضى ويخرج الأرواح الشريرة، وكان من بينهم قوم من اليهود، ورغم أن السحر والشعوذة كان محرماً عند اليهود إلا أن طائفة منهم لم تعبأ بهذا التحريم، فحاولوا محاكاة بولس، وكان من بينهم «سبعة بنين لسكاوا رجل يهودى رئيس الكهنة»، ولكنهم لم

يجنوا إلا الفشل الذريع، «وصار هذا معلوماً عند جميع اليهود واليونانيين الساكنين فى أفسس، فوقع خوف على جميعهم وكان اسم الرب يسوع يتعظم». فأقبل كثيرون من أولئك السحرة والمشعوذين إلى الإيمان، ولم يترددوا فى إحراق كتب السحر أمام الجميع.«وهكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة»(أعمال ١٩: ١٣ - ٢٠).

أرسل بولس اثنين من معاونيه هما تيموثاوس وأرسطوس إلى مكدونية، بينما لبث هو زماناً فى أسيا(أع ١٩: ٢٢).



تمثال نصفى لأرطاميس من أفسس، يرجع تاريخه إلى القرن الثانى الميلادى. (لاحظ رموز الأبراج الفلكية)



صورة للمكان الذى اجتمع فيه بولس للصلاة

فى ختام مقام بولس فى أفسس وقعت اضطرابات خطيرة قادها ديمتريوس الصائغ وأهل مهنته إذ كانوا يربحون أرباحاً طائلة من صناعة نماذج لتمثال أرطاميس التى كانت تباع للحجيج والعابدين ممن يفدون إلى المعبد من جميع أسيا والعالم، وكان لكرازة بولس هناك أثره على تحول عدد كبير عن عبادة أرطاميس الوثنية، وربما نادى هناك بما سبق أن نادى به فى أثينا أن «الله الذى خلق الكون لايسكن فى هياكل مصنوعة بالأيادى. ولا يُخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شيء»(أع ١٧: ٢٤ - ٢٥).

كانت الجموع الغاضبة وهى فى طريقها إلى مسرح المدينة، وقد اختطفوا غايوس وأرسترخس المقدونيين رفيقى بولس فى السفر، تصرخ قائلةً: «عظيمة هى أرطاميس الأفسسيين»، وإذ أراد اليهود أن يبرروا أنفسهم، دفعوا بواحد منهم اسمه «اسكندر» ليخطب فى الناس ويقول لهم إن اليهود لا علاقة لهم ببولس وهم بريئون منه. «فلما عرفوا أنه يهودى صار صوت واحد من الجميع صارخين نحو مدة ساعتين» عظيمة هى أرطاميس الأفسسيين»(أع ١٩: ٢٢-٣٤) ويرجع السير «وليم رامساى» أن «اسكندر» هذا هو «اسكندر النحاس»

الذى أظهر شروراً كثيرة لبولس (٢ تيموثاوس ٤ : ١٤)، وقد عانى بولس عناءً شديداً فى أفسس، ويتضح ذلك من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١كو ١: ٨ و ١٥: ٣٢).

كان بولس على اتصال مستمر بالكنائس التى أسسها خلال أسفاره المتعددة، فبينما كان فى أفسس كتب رسالة لأهل كورنثوس (١ كو ٥: ٩ ، ١٠) بناءً على ما تنامى إليه من أنباء حملها أقرباء سيدة يونانية تدعى « خلوى» (١كو ١ : ١١) بأن هناك خصومات وتحزباً، لكن تلك الرسالة التى كتبها لهم بولس لم تصل إلينا. وربما يوجد جزء منها فى الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس(٢ كو ٦: ١٤- ٧:١) وقد وصلت الرسول رسالة من بعض أعضاء الكنيسة هناك «وأما الأمور التى كتبتم لي عنها » (١كو ٧: ١) فيما يتعلق بالزواج والأطعمة التى قدمت أصلاً للأوثان، وسلوك المرأة، وممارسة عشاء الرب، والمواهب الروحية. لذلك كتب لهم بولس رسالة أخرى وهى المعروفة باسم الرسالة الأولى فى كتاب العهد الجديد يجيبهم عن أسئلتهم، كما يكتب لهم عن الانقسامات الحادثة فى داخل الكنيسة، كما كتب لهم «أنشودة المحبة الرائعة» (١كو ١٣)، وتقع هذه الرسالة فى ستة عشر فصلاً ، وقد كتبها بولس فيما بين عامى ٥٤ م - ٥٦م.

رحلة بولس الرسول الثالثة ورحلته إلى روما

وبعد أن انتهى الشغب (فى أفسس) دعا بولس التلاميذ وودعهم وخرج ليذهب إلى مكدونية (أع ٢٠ : ١) أبحر بولس من أفسس إلى ترواس، وكان يتوقع أن يلتقى مع تيطس ليعرف منه أحوال الكنيسة فى كورنثوس، ولكن تيطس أبطأ فلم يلتقيا إلا فى إحدى مدن مكدونية، إما فى تسالونيكى أو فى بيرية، ويرجح أنها فيلبى.

فبعد أيام قليلة قضاها بولس فى ترواس تركها دون كرازة (٢كو ٢ : ١٢ ، ١٣)، وعبر إلى مكدونية، وبعد أن قابل تيطس التقى بتيموثاوس، وقد كتب بولس رسالته الموجودة فى كتاب العهد الجديد باسم الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، وفى استهلال الرسالة يأتى ذكر تيموثاوس الذى كان معه وقت كتابتها، وكان ذلك نحو عام ٥٦ م، وقد حمل تيطس الرسالة إلى كورنثوس ثم مضى بولس إلى كورنثوس حيث قضى ثلاثة أشهر (أع ٢٠ : ٢ ،٣).

قبل أن يذهب بولس إلى **أورشليم** لحضور عيد الفصح كتب رسالته إلى أهل رومية، وقد سلمها إلى فيبى وذلك نحو عام ٥٧ م. كتب لهم رسالته قبل أن يلقاهم شخصياً ليعبّر لهم عن مدى محبته لهم، شارحاً كثيراً من الأمور التى تختص بناموس موسى، والخلاص بالرب يسوع المسيح وبر الله. وقد كتب بولس فى تلك الرسالة أنه من أورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكمل التبشير بإنجيل المسيح (رومية ١٥: ١٩)، وهذا يعنى أن بولس قد أتم الكرازة بالانجيل فى العالم اليونانى فى القسم الشرقى من الامبراطورية الرومانية.

وخلال الرحلة الثالثة لبولس الرسول اهتم بأن يجمع من أجل القديسين المحتاجين فى أورشليم (رو ١٥: ٢٥ -٣٢) وقد أراد أن يذهب بها هو نفسه (رو ١٥: ٢٥- ٣٢).

نما إلى علم بولس وبعض رفاقه أخبار المكيدة التى دبرها له اليهود. لذلك عدلوا عن السفر بحراً وسافروا براً شمالاً إلى فيلبى، حيث بقى بولس عدة أيام، وانضم إليه لوقا ليرافقه

فى رحلته مرة أخرى، وعبروا من ميناء فيلبى (منيا بوليس) إلى ترواس، حيث سبقه بعض رفقائه (أع ٢٠: ٥ و٦) وإذ كان بولس يود أن يكون فى أورشليم فى يوم الخمسين (أع ٢٠ : ١٦) لذا أرسل من ميليتس (ميناء يقع جنوبى أفسس) يستدعى من أفسس قسوس الكنيسة حتى لايصرف وقتاً فى أسيا (أع ٢٠: ١٦و١٧) وبعد أن قابلهم وخاطبهم «جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى»، وبكوا «ووقعوا على عنق بولس يقبلونه» لأنه قال لهم إنهم لن يروا وجهه بعد اليوم (أع ٢٠: ٣٦ -٣٨).

ثم أبحر بولس من ميليتس باتجاه كوس ووصلوا إلى (جزيرة) رودس، ومن هناك إلى (ميناء) باترا ثم إلى (ميناء) صور ومنه إلى (ميناء) بتولمايس ثم سافروا براً إلى قيصرية، (أع ١٢: ١-٨).

واذ وصل قيصرية مكث هناك «أياماً كثيراً» (أع ١٢: ١٠) منتظراً الوقت المناسب لدخوله إلى أورشليم، وقد حذره بعض الإخوة من الصعود إلى أورشليم إذ أنبأهم الروح القدس أنه سيلقى هناك السجن والقيود، وكذلك تنبأ نبى اسمه أغابوس (أع ٢١: ٤ و١٠و١١)، وقد ألح الحاضرون على بولس ألا يصعد إلى أورشليم، فأجاب بولس «إنى مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضاً فى أورشليم لأجل اسم الرب يسوع». وقد أجابوا على ذلك قائلين: «لتكن مشيئة الرب». ثم يصعد بولس إلى أورشليم فى رفقة بعض المؤمنين من قيصرية من حيث ذهبوا إلى رجل قبرسى يدعى مناسون (أع ٢١: ١٢ - ١٦)، وبعد أن يلتقى بولس بيعقوب وجميع المشايخ - وبعد أن سلموهم ما سبق أن جمعوه من أجلهم- يحدثهم بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته، يواجه بتهمة خيانة شريعة موسى.

وقد اقترح يعقوب والمشايخ على بولس أن يُظهر علناً احترامه للطقوس اليهودية وسلوكه بالشريعة، وإذ كان أربعة رجال عليهم نذر، اقترحوا أن يأخذ بولس هؤلاء ويتطهر معهم وينفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم، فيعرف الجميع أن ما سمعوه عنه غير صحيح، وأنه يسلك مثلهم طريق العمل بالشريعة (أع ٢١: ١٩-٢٤).

فشلت تلك الخطة التى وضعوها، إذ هاج الجمع لما رأوا بولس وتروفيموس الأفسسى فى المدينة، فكانوا يظنون أن بولس أدخله إلى الهيكل (أع٢١: ٢٩) وقد تعرَّض بولس للضرب، وتدخل كلوديوس لسياس القائد الرومانى لتهدئة الجموع، فلما رأى اليهود القائد وجنوده كفّوا عن ضرب بولس (أع ٢١: ٣٢)، وإذ لم يقدر القائد أن يتبين حقيقة الأمر أمر أن يؤخذ بولس إلى المعسكر، فتبعته جموع المحتشدين «صارخين خذه». وقبل أن يدخل بولس إلى المعسكر الرومانى طلب من القائد الرومانى أن يسمح له بمخاطبة الجمع، فأذن له، فوقف بولس على درج المعسكر وأشار بيده إلى الشعب، فساد سكوت عظيم، فبدأ يكلمهم بالعبرية عن حياته فى الديانة اليهود وكيف سلك بالتدقيق، ثم كيف أصبح مسيحياً، ولكن هاج الشعب مرة أخرى عندما ذكر لهم إرساليته للأمم، فصرخوا بقائد الكتيبة قائلين «خذ مثل هذا من الأرض لأنه كان لايجوز أن يعيش» (أع ٢٢: ١ -٢٢) فأمر القائد أن يؤخذ بولس إلى المعسكر وأن يستجوبوه تحت الضرب لمعرفة سبب صراخهم عليه هكذا، ولكن أفلت بولس من الضرب أذ أخطرهم بأنه مواطن رومانى، وفُكَّت عنه القيود (أع ٢١: ٢٤-٢٩).

وفى اليوم التالى أراد القائد أن يعرف حقيقة التهمة الموجهة إلى بولس، فأمر باحضار بولس أمام مجمع رؤساء الكهنة (السنهدريم) (أع ٢١: ٣٠). واذ وقف بولس يتكلم أحدث انقساماً فى المجلس إذ كان يعلم أن بعض أعضائه من مذهب الصدوقيين، وبعضهم من مذهب الفريسيين، وإذ حدثت منازعة كثيرة خاف القائد أن يشقوا بولس شقين، فأمرإعادته

إلى المعسكر مرة أخرى (أع ٢٣: ١ - ١٠).

فى صباح اليوم التالى تسرب خبر المؤامرة التى دبرها أربعون من اليهود. وسمع بها ابن أخت بولس، إذ نذر الأربعون نذراً أن يقتلوا بولس. وقد نجا بولس من تلك المؤامرة عندما أخطره بها ابن أخته، وكذلك أخطر القائد الذى أمر أن يُرسل ليلاً إلى قيصرية فى حراسة قوية حتى يصل بسلام إلى الحاكم فيلكس والذى قال له «سأسمعك متى حضر المشتكون عليك» (أع ٢٣: ١٢ - ٣٥).

وقف بولس ليحَاكم أمام فيلكس الوالى، الذى استدعاه لمقابلته عدة مرات. ولكن لم يتصرف فيلكس تصرفاً حاسماً فى قضية بولس، فمن جهة لم يشأ أن يطلقه فيثير عداوة اليهود، و من جهة أخرى لم يرد أن يحكم عليه ظلما. وظل بولس فى سجن هيرودس فى قيصرية لمدة سنتين كاملتين تحت الحراسة، ولكن كان يُسمح لأصدقائه بزيارته والقيام بخدمته (أع ٢٤:١- ٢٥).

تعين بوركيوس فستوس حاكماً خلفاً لفيلكس. وإذ أراد فيلكس أن يسترضى اليهود ترك بولس فى السجن (أع ٢٤: ٢٧).

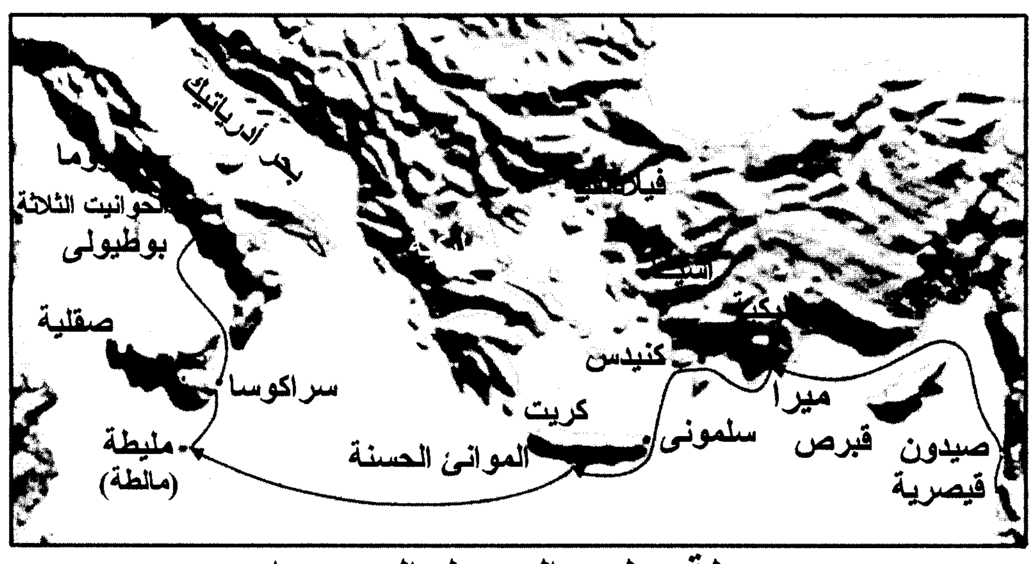
التمس اليهود من الوالى الجديد فستوس الذى زار أورشليم زيارة قصيرة، أن يرسل إليهم بولس ليحاكموه فى أورشليم. ولكن فستوس طلب منهم أن يذهب معه أصحاب النفوذ منهم لإثبات دعواهم(أع ٢٥: ١-٥).

وفى قيصرية لم يحسم أيضاً فستوس الوالى قضية بولس. وإذ كان يريد أن يسترضى اليهود سأل بولس إن كان يريد أن يذهب إلى أورشليم لتجرى محاكمته بحضور الوالى على هذه التهم؟ فأجاب بولس: «إلى قيصر أنا رافع دعواى». وهكذا حدث ما أعلنه فستوس «إلى قيصر رفعت دعواك، إلى قيصر تذهب»(أع ٢٥ : ٦ - ١٢).

وإذ جاء الملك أغريباس (هيرودس أغريباس الثانى) اليهودى وأخته برنيكى، ليقدما التهانى للوالى الجديد فستوس، كان ذلك قبل أن يرحل بولس من قيصرية. فعرض فستوس على أغريباس قضية بولس ليعرف ماذا يمكن أن يكتب بشأنها لقيصر(راجع أعمال ٢٥: ١٣ - ٢١) فطلب أغريباس من فستوس أن يسمع الرجل، فأجاب: «غداً تسمعه» (أع ٢٥: ٢٢) وهكذا وقف بولس أمام أغريباس الملك فألقى واحداً من أهم خطاباته (أع ٢٦ :١ -٢٣).

لم يستطع فستوس الوالى أن يدرك شهادة بولس عن الرؤى وما قاله عن قيامة السيد المسيح من الأموات، فاتهم بولس بالهذيان من كثرة الكتب التى قرأها! أما أغريباس الملك فقال لبولس «بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً» (أع ٢٦: ٢٤- ٢٩) وقد اتفق المجلس على أنه كان يمكن إطلاق سراح بولس إذ إنه لم يفعل شيئاً يستحق الموت، لكن لابد أن يذهب إلى قيصر مادام رفع دعواه إلى قيصر(أع ٢٦ : ٣٠- ٣٢).

وأخيراً تقرر سفر بولس إلى روما، ويروى لوقا البشير قصة الرحلة إلى هناك بضمير المتكلم، مما يفيد بأنه كان مع بولس فى تلك الرحلة ويصف لوقا مشقة الرحلة. البحرية وما تعرضوا له خلال تلك الرحلة من مخاطر، وكان ذلك فى خريف عام ٥٩ م أو ٦٠ م، وقد تعرضت السفينة لعاصفة عنيفة وتحطمت بالقرب من جزيرة مليطة(مالطة حالياً) (أع ٢٧ : ٩ ، ٢٨: ١٠)، ولم تكن تلك المرة هى الأولى إذ سبق وأن تحطمت به السفن، «ثلاث مرات انكسرت بى السفينة ليلاً ونهاراً قضى فى العمق (٢كو ١١: ٢٥). وبعد ثلاثة أشهر أقلعوا فى سفينة من الاسكندرية ووصلوا إلى ميناء بوطيولى فى خليج نابولى (بالقرب من موقع نابولى الحالى)، ثم ساروا براً إلى رومية، فخرج بعض المسيحيين لاستقباله ومن معه فى «فورن أبيوس» ثم الحوانيت الثلاثة، ثم وصل بولس



رحلة بولس الرسول إلى روما

أخيراً إلى روما عاصمة الأمبراطورية نحو سنة ٦٠م أو ٦١م. وقد سمح له قائد المئة أن يقيم فى منزل خاص مع العسكرى الذى كان يحرسه، وكان مسموحاً له أن يقابل زائريه. وقد قام بولس خلال السنتين اللتين قضاهما فى سجنه بروما بالكرازة بملكوت الله ومعلّماً الأمور المختصة بالرب يسوع المسيح بكل مجاهرة وبلا عائق (أع ٢٨: ١٦ - ٣١).

وعند هذا الحد يتوقف سرد لوقا لوقائع نشأة المسيحية فى أورشليم على أثر قيامة السيد المسيح من الأموات وحلول الروح القدس، ثم انتقالها إلى الأمم على يدى بولس، ونستطيع استنتاج بعض الأحداث المتعلقة بكرازة بولس وحياته من خلال رسائله إلى الكنائس والأشخاص، والرسالة التى كتبها كليمندس الرومانى إلى أهل كورنثوس، والتقليد وبعض كتب التاريخ.

التقى بولس بالكثيرين من المسيحيين أثناء سجنه بروما، ومن بين هؤلاء يذكر أربعة أشخاص هم أبفراس، تيخيكس، وأنسيمس، وأبفرودتس حيث حملوا إلينا أغلب الرسائل التى كتبها بولس.

يبدو أن بولس تعرف على أبفراس من خلال زيارته له فى السجن، أو ربما لأنه كان سجيناً معه (فليمون٢٣) وكان لأبفراس خدمة واضحة، وربما هو الذى أسس كنيسة كولوسى (كو:٧ ، ٤: ٢ و١٣).

وقد علم بولس من أبفراس بأن ثمة أفكاراً منحرفة مزجت الفكر المسيحى بالفلسفة اليونانية، والفقه اليهودى مع عبادة الملائكة وتُعرف بالغنوسية، وهى من الفلسفات الدينية الثنائية التى ترى أن الخلاص يتم عن طريق المعرفة فحسب، فالإنسان يخلص عن طريق المعرفة لاعن طريق الإيمان الذى يمنحه الله

للإنسان فى المسيح، وأن المادة شر لذلك فالله لايمكن أن يتجسد (راجع الفصل السادس الخاص بالهرطقات فى هذا المجلد)، وعلى ذلك كتب بولس رسالته إلى أهل كولوسى ليوضح لهم التعليم المسيحى الحقيقى والإيمان النقى.

وتدور الرسالة حول الرب يسوع المسيح الذى هو صورة الله غير المنظور (١ : ١٥) «الذى فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (٢: ٩)، ويحذرهم أن «لايكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس» (٢:٨).

وقد أرسلها بيد تيخيكس وأنسيمس نحو عام ٦١م أو ٦٢م.

كان أنسيمس عبداً هارباً من مدينة كولوسى (يرى البعض أنه سرق سيده فليمون) وبلغ روما، وهناك يعرف الإيمان بواسطة بولس ويقبل المسيح مخلصاً، ويقنع بولس أنسيمس أن يعود إلى فليمون سيده. فيكتب بولس رسالة إلى فليمون لكى يعفى عن أنسيمس، ويقول عنه إنه «نافع» لك ولى، ومعنى أنسيمس (نافع) ويستخدم بولس التورية هنا للتخفيف من لهجة الرسالة.

ويرى بعض الشراح أن تيخيكس حمل معه رسالتىْ فليمون وكولوسى، بينما يرى آخرون أنه حمل معه أربع رسائل- يرون أنها كتبت وأرسلت فى وقت واحد- هى: فليمون وكولوسى وأفسس وفيلبى فيما يُعرف برسائل الأسر، بينما يرى آخرون أنها فليمون وكولوسى وأفسس ولاودكية (راجع كولوسى ٤ : ١٦) وأن الرسالة إلى أهل لاودكية قد فُقدت.

إلا أن البعض يرى أن الرسالة إلى «لادوكية» هى نفسها الرسالة إلى «أفسس» حيث إن بعض المخطوطات القديمة خلت من كلمة «أفسس». ويرجح البعض أن الرسالة «دورية» بمعنى أنها تُرسل إلى كل الكنائس التى فى مقاطعة أسيا، ولذلك وُجدت كلمة أفسس فى بعض المخطوطات لأن مدينة أفسس تقع على رأس مدن مقاطعه أسيا. وفى الرسالة إلى أفسس يبتعد بولس عن كل جدل حول اليهود والأمم والطقوس والناموس، وإنما يتكلم عن قصد الله الأزلى المعلن فى المسيح، والتأكيد على قيامة الرب من الأموات، الذى فيه لنا الفداء، وشرح لهم أن قصد الله هو فداء الإنسان وخلاصه من الخطية.

عندما سمعت كنيسة فيلبى أن بولس فى سجن روما، أرسلت إليه أبفرودتس ومعه عطية من الكنيسة، ولم تكن تلك هى المرة الأولى التى تُرسل له معونة مالية، إذ سبق أن أرسلت إليه الكنيسة مرتين على الأقل (راجع فى٤: ١٥و١٦)، ولكن فى أثناء خدمة أبفردوتس لبولس وهو فى سجن رومية، مرض أبفرودتس مرضاً خطيراً، وكان أن اتفقا على أن يعود أبفردوتس إلى مدينة فيلبى بعد أن يتعافى، فكتب بولس رسالته إلى أهل فيلبى وأرسلها مع أبفرودتس.

فيكتب لهم عن مرض أبفرودتس حتى لايظنوا أنه قد قصَّر فى خدمته لبولس وقد وصفه فى الرسالة بكلمات طيبة رقيقة (فى ٢: ٢٥ - ٣٠) كذلك يكتب لهم عن أحواله ويحثهم على الثبات والوحدة، ويطمئنهم عن كرازته وهو فى السجن قائلاً: «إن أمورى قد آلت أكثر جداً إلى تقدم الإنجيل» (فى ٢:١٢) كما كتب يعبر عن أمنيته فى أن يزور فيلبى عن قريب (٢:٢٤) مما قد يعنى أنه كتب الرسالة إلى أهل فيلبى فى أواخر فترة سجنه الأولى فى رومية -أى نحو ٦٣م.

يقول يوسابيوس المؤرخ عن الفترة التى صمت عنها سفر أعمال الرسل فيما يختص بفترة سجن بولس وما أعقبها «بعد أن دافع الرسول عن نفسه دفاعاً موفقاً، خرج من رومية لنشر دعوة الإنجيل، ثم عاد إليها مرة أخرى، واستشهد فى عصر نيرون».

يتضح من ذلك أن بولس قد أُطلق سراحه إذ مرت سنتان على سجنه فى رومية، وهى أقصى مدة يقضيها السجين فى

السجن بعد أن يرفع دعواه لقيصر مادام لم يحكم فى قضيته بعد.

ويبدو أن بولس عاد مرة أخرى إلى السجن، يتضح ذلك من الرسالة الثانية التى أرسلها إلى تيموثاوس، وهى بمثابة رسالة الوداع، وذلك نحو نهاية ٦٥م أو ٦٦ م. كما يرى الاستاذ وليم رامساى، إذ كان بولس متوقعاً قرب نهايته «وقت انحلالى قد حضر» (٢تى ٤: ٦) حيث يقول التقليد الكنسى إن رأسه قد قُطعت نحو سنة ٦٧م بأمر من نيرون الطاغية. وكذلك يذكر كليمندس أسقف روما فى رسالته التى كتبها إلى أهل كورنثوس بعد نحو ثلاثين سنة من موت بولس، أن بولس الرسول حُكم عليه أن يموت بالسيف بعد محاكمة قانونية كمواطن رومانى.

ويبدو أن رسالته الأولى إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس قد كتبهما فى الفترة بين سجنه الأول والثانى فى روما، أى فى الفترة من ٦٣م - ٦٦م.

ففى الرسالة الأولى إلى تيموثاوس يكتب له مشجعاً ليقوم بمسئوليات الرعاية فى كنيسة أفسس، ويحثّه على التعامل بحزم مع المعلمين الكذبة، ونظام العبادة العامة والصفات الواجب توافرها فى الأساقفة أو الشيوخ والشمامسة.

أما رسالته إلى تيطس فيعهد فيها إليه برعاية المؤمنين، وفيها أيضاً يوصيه بالحرص فى إقامة الأساقفة أو الشيوخ، وأن يكون تيطس نفسه قدوة للمؤمنين.

وفى رسالته الثانية إلى تيموثاوس، «الرسالة الوداعية»، كان يشتاق أن يأتيه تيموثاوس سريعاً قبل الشتاء (٢تى ٤: ٩و٢١)، وكان يتطلع أن يكون تلميذه قدوة فى حياته، وأميناً فى خدمته. ويوصيه أن يكرز بالكلمة، ويعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب» (٢تيموثاوس ٤: ٢).

أما الرسالة إلى العبرانيين فاسم كاتبها مجهول وكذلك المرسل إليهم، وقد جاء ترتيبها بعد رسائل بولس الرسول الثلاث عشرة، ويظن البعض أنها ليست رسالة مقروءة كما فى سائر رسائل بولس، وإنما هى عظة مكتوبة. وقد وُضعت باللغة اليونانية فى أسلوب كلاسيكى رفيع المستوى، والرسالة زاخرة بالتعاليم اللاهوتية العميقة، وهى تحثّ المؤمنين على التمسك بالإيمان، واختبار الخلاص، والحذر من الارتداد. ويرجح أنها كُتبت قبل تدمير الهيكل (قبل ٧٠ م) وإلا لكان الكاتب أشار إليها.

(راجع أيضاً الفصل الثانى من الباب الثانى الخاص بكتابات العهد الجديد فى هذا المجلد).

و - الترتيب الزمنى للعصر الرسولى

الترتيب الزمنى للعصر الرسولى مؤكد فى جانب منه، وعلى الأقل فيما يتعلق بالأحداث الرئيسية من سنة ٣٠ م إلى ٧٠ م، إلا أنه استنتاجى واستدلالى فى جانب آخر منه، فضلاً عن السنوات الثلاثين الأخيرة من القرن الأول. أما المصادر فتشمل العهد الجديد (وبصفة خاصة سفر أعمال الرسل ورسائل بولس)، والمؤرخ الرومانى اليهودى يوسيفوس. وليوسيفوس الذى وُلد سنة ٣٧م وتوفى سنة ١٠٣م أهمية خاصة هنا، ذلك أنه كتب التاريخ اليهودى حتى خراب أورشليم) والتواريخ التالية صحيحة تقريباً، وهى فى معظمها مقبولة من غالبية المؤرخين:

١- تأسيس الكنيسة المسيحية فى عيد الخمسين، وذلك فى مايو ٣٠ م، بافتراض أن السيد المسيح وُلد فى سنة ٤ ق.م. وأنه صلب فى أبريل سنة ٣٠م، حيث كان فى الثالثة والثلاثين من عمره.

٢- كان موت الملك هيرودس أغريباس الأول فى سنة ٤٤م (طبقاً لما ذكره يوسيفوس)، وهذا يحدد تاريخ استشهاد يعقوب الكبير، الذى وقع قبل ذلك بقليل، وسجن بطرس،

وإطلاق سراحه بطريقة معجزية(أعمال١٢: ٢-١٩).

٣- المجمع الرسولى فى أورشليم فى سنة ٥٠م (أعمال ١٥: ١)، و(غلاطية ٢: ١- ١٠)، وقد تأكد هذا التاريخ بالرجوع إلى تاريخ تجديد بولس الرسول. وكذلك إلى فترة سجن بولس فى قيصرية. ومن المحتمل أن يكون بولس قد آمن بالمسيح فى سنة ٣٧م، وأنه قد انقضت مدة «أربع عشرة سنة» ما بين هذا الحادث وانعقاد المجمع فى أورشليم.

غير أن المؤرخين يختلفون بالنسبة لسنة تجديد بولس، ويعتبرونها ما بين سنة ٣١م وسنة ٤٠م.

٤- يقع تاريخ الرسالة إلى كل من أهل غلاطية، وكورنثوس، ورومية. بين سنة ٥٦ م، ٥٨م، علماً بأن تاريخ الرسالة إلى أهل رومية يمكن تحديدها فى الغالب حتى بالنسبة للشهر، وذلك من الدلالات التى تضمنتها الرسالة نفسها، فضلاً عما ورد من سفر الأعمال. وقد كُتبت قبل زيارة الرسول لروما، حيث شرع فى الذهاب إلى أورشليم ورومية فى طريقه إلى أسبانيا (رومية ١: ١٣و١٥، ١٥: ٢٣-٢٨، أعمال ١٩: ٢١، ٢٠: ١٦، ٢٣: ١١، ١كورنثوس١٦: ٣) بعد أن أتم جمع العطايا فى مكدونية وأخائية من أجل الإخوة الفقراء فى اليهودية (رومية ١٥: ٢٥ - ٢٧، ١كورنثوس ١٦: ١ و٢، ٢كورنثوس ٨ و٩، أعمال ٢٤: ١٧) وبعث بالرسالة بيد فيبى، وهى خادمة (شماسة) فى الكنيسة فى كنخريا (ميناء كورنثوس)، حيث كان هناك فى ذلك الوقت (رومية ١٦: ١، ٢٣، قارن أعمال ١٩: ٢١و٢٢)، (تيموثاوس ٤: ٢٠، ١كورنثوس ١: ١٤) وهذه الدلالات تشير بوضوح إلى ربيع سنة ٥٨ م، لأنه فى تلك السنة أخذ سجيناً إلى أورشليم ثم إلى قيصرية.

٥- سُجن بولس فى قيصرية من سنة ٥٨م إلى ٦٠م، فى أثناء ولاية كلٍ من فيلكس وفستوس، اللذين تبادلا مكانتيهما فى سنة ٦٠م أو ٦١ م، والأرجح أنه كان فى سنة ٦٠م، وهذا التاريخ الهام يمكننا تأكيده بناءً على الجمع بين عدة دلالات مأخوذة من بضع فقرات ليوسيفوس وتاسيتوس. وهذا يمكننا فى ذات الوقت، إذا ما رجعنا فى حسابنا إلى الوراء، من أن نحدد بعض الأحداث السابقة فى حياة بولس الرسول.

٦- فترة سجن بولس الأولى فى روما من سنة ٦١م إلى ٦٣م، وهذا على أساس التاريخ السابق المرتبط ببعض الأقوال التى وردت فى أعمال (٢٨: ٣٠).

٧- رسائل سجنه فى روما، هى الرسائل إلى كل من فيلبى، أفسس، كولوسى، وفليمون سنة ٦١ م -٦٣ م.



تمثال نصفى لتيطس

٨- الاضطهاد النيرونى فى سنة ٦٤م السنة العاشرة من حكم نيرون طبقاً لما يقوله (تاسيتوس) واستشهاد كل من بولس وبطرس إما أنه وقع فى تلك الفترة، وإما طبقاً للتقليد بعد ذلك بسنوات قليلة، ويتوقف الموضوع على فترة سجن بولس الثانية فى رومية.

٩- دمار أورشليم على يد تيطس فى سنة ٧٠م (وذلك طبقاً لما ذكره كل من يوسيفوس وتاسيتوس).

١٠- موت يوحنا بعد اعتلاء تراجان العرش فى سنة ٩٨م (طبقاً لتقليد كنسى عام).

وتاريخ الأناجيل المتشابهة (وهى الأناجيل الثلاثة الأولى) وسفر أعمال الرسل، والرسائل الرعوية (رسالتىْ بولس إلى تيموثاوس، ورسالته إلى تيطس)، والرسالة إلى العبرانيين، ورسالتىْ بطرس، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا لايمكن الجزم به على نحو من الدقة، سوى أن كتابتها تمت قبل خراب أورشليم بين سنة ٦٠ م، ٧٠م فى الغالب، أما كتابات يوحنا فكتبت بعد هذا التاريخ، وبالقرب من نهاية القرن الأول باستثناء سفر الرؤيا، إذ يرى بعض أفضل العلماء استناداً إلى دلالات داخلية، إنه كُتب فى سنة ٦٨م أو ٦٩م، أى بين موت نيرون، ودمار أورشليم فى سنة ٧٠م.

فيمايلى نوجز بعض الأحداث الكتابية و، والأحداث التى وقعت فى الامبراطورية الرومانية خلال العصر الرسولى.

جدول زمني خاص بالعصر الرسولي

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت في فلسطين	أحداث وقعت في الإمبراطورية الرومانية	السنة
٥ ق.م أو ٤ ق.م.	ميلاد يسوع	• موت هيرودُس الأول أو هيرودُس الكبير(٧٥٠ من تأسيس روما أو ٤ ق.م.) • أرخيلاوس في اليهودية والسامرة وأدوم • هيرودس انتيباس في الجليل وبيرية وفيلبس في أورانتيس، تراخونيتس، بانياس وتبانيا.	أوغسطس إمبراطوراً لروما من سنة ٢٧ ق.م. إلى سنة ١٤ م.	
		• تم خلع أرخيلاوس وتحولت اليهودية إلى ولاية رومانية.		٦م
	زيارة يسوع للهيكل وهو في سن الثانية عشر	• كيرينيوس والياً على سورية (للمرة الثانية) . (الاكتتاب للضرائب) (أعمال ٥ : ٣٧).		٩م
		• ثورة يهوذا الجليلي	طيباريوس معاصراً لأوغسطس	١٣م
		• كوبنيوس والياً على اليهودية • مرقس أمبيڤيوس والياً.	موت أوغسطس،	١٤م
		• أنيوّس دوفر حاكماً. • ڤاليريو جراتوس حاكماً .	وأصبح طيباريوس وحده إمبراطوراً	١٤م
		• بيلاطس البنطي حاكماً من سنة ٢٦م.		٢٦م
٢٧م	معمودية السيد المسيح	• قيافا رئيساً للكهنة من سنة ٢٥م.		

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت في فلسطين	أحداث وقعت في الإمبراطورية الرومانية	السنة
٢٧-٣٠م	خدمة السيد المسيح لمدة ثلاث سنوات			
٣٠م	صلب السيد المسيح وقيامته وصعوده حلول الروح القدس يوم الخمسين، ميلاد الكنيسة			
		مرسليوس حاكماً بيلاطس يرسله حاكم سوريا إلى روما		٣٦م
٣٧م	استشهاد استفانوس (أع : ٧) بطرس ويوحنا في السامرة (أع ٨) تجدد شاول (أع٩، قارن أع ٢٢ و٢٦، غل ١٦:١، ١كو١٥:٨)	تعيين مريليوس حاكماً أعلى تنصيب هيرودس أغريباس الأول ملكاً على اليهودية والسامرة	تتويج كاليجولا إمبراطوراً	٣٦م ٣٧م ٣٧م
٤٠م	هروب شاول من دمشق وزيارته الأولى لأورشليم بعد تجدده (غل١ :١٨)		فيلو في روما	٤٠م
			تتويج كلوديوس إمبراطوراً (٤١-٥٤م).	٤١م

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت في الإمبراطورية الرومانية	السنة
	قبول كرنيليوس فى الكنيسة (أع : ١٠، ١١)	موت هيرودس أغريباس الأول فى قيصريه		٤٤ م
٤٤	اضطهاد الكنيسة فى أورشليم، يعقوب الكبير ابن زبدي تقطع رأسه بالسيف. سجن بطرس وانقاذه ، مغادرته فلسطين (أع١٢: ٢-٢٣)		غزو بريطانيا ٤٣-٥١م	
	زيارة بولس الثانية لأورشليم، مع المساعدات التي جمعت من كنيسة أنطاكية (أع١١ : ٣٠).			
٤٥	إفراز بولس رسولاً (أع ١٣: ٢)	• تنصيب كاسبيوس فادوس حاكماً لليهودية • تنصيب طيباريوس الكسندر حاكماً. • تنصيب فنتيديوس كيومانوس حاكماً.		٤٦ م ٤٧ م
٥٠	رحلة بولس التبشيرية الأولى - مع برنابا ومرقس إلى قبرص ، بيسديه، لسترة، دربة. عودته إلى أنطاكية (أع : ١٣، ١٤)			

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت فى الإمبراطورية الرومانية	السنة
	رسالة يعقوب (تاريخها مختلف عليه وهو بين ٤٤م ـ٦٢م). المجمع الرسولي بأورشليم، خلاف بين المسيحيين اليهود والمسيحيين الأمميين، زيارة بولس الثالثة لأورشليم مع برنابا وتيطس، ومناقشة لموضوع الختان(أع: ١٥، غل٢ : ١-١٠).	• تنصيب فيلكس والياً		٥١ م
٥١م	بولس يبدأ رحلته التبشيرية الثانية من أنطاكية إلى آسيا الصغرى (كيليكية، ليكاؤنية، غلاطية - ترواس) واليونان (فيلبي، تسالونيكي، بيريه، أثينا)، كورنثوس، اعتناق أوربا للمسيحية (أع ١٥: ٣٦، ١٨: ٢٢)			
٥٢-٥٣م	بولس فى كورنثوس مدة سنة ونصف السنة، ويكتب الرسالتين الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي من كورنثوس.	• تنصيب هيرودس أغريباس الثاني رئيس ربع على تراخونيس (آخر الأسرة الهيرودسية).	مرسوم من كلوديوس بطرد اليهود من روما.	٥٢م

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت فى الإمبراطورية الرومانية	السنة
٥٤ م	زيارة بولس الرابعة لأورشليم (الربيع)، إقامته مدة بسيطة فى أنطاكية- رحلته التبشيرية الثالثة (خريف ٥٤م) التي استغرقت أربع سنوات تقريباً.			
٥٦م	بولس يكتب إلى أهل غلاطية (؟) من أفسس أو من جهة ما في اليونان وهو في طريقه إلى كورنثوس (٥٧م) (أع ٢٠)			
٥٧ م	بولس يكتب رسالته الأولى إلى كورنثوس من أفسس، ثم يذهب إلى مكدونية ويكتب الرسالة الثانية إلى كورنثوس من مكدونية.			
٥٨ م	الرسالة إلى رومية من كورنثوس حيث أمضى ثلاثة أشهر، ويزور (للمرة الخامسة) أورشليم، القبض عليه، مثوله أمام فيلكس، وسجنه فى قيصرية مدة سنتين (أع ١٧:٢١ إلى ٣٢:٢٦)			

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت فى الإمبراطورية الرومانية	السنة
٦٠ م	بولس يَمثُل أمام فستوس، يرفع التماسه إلى قيصر، ارساله إلى إيطاليا (فى الخريف)، تحطم السفينة في مالطة (أع : ٢٧ ، ٢٨).	تنصيب أبركيوس فستوس والياً.		٦٠ م
٦١ م	وصول بولس إلى روما سجيناً (فى الربيع).	بعثة من أورشليم إلى روما	• الحرب مع بواديكية فى بريطانيا. • أبولونيوس من تيانا- فى الألعاب الأولمبية . • يوسيفوس فى روما.	٦١ م
٦٢ م	استشهاد يعقوب «أخي الرب» في أورشليم (طبقاً لما ذكره يوسيفوس أو بحسب هيجيسيبوس).			٦٢ م
٦١-٦٣م	بولس يكتب إلى أهل فيلبي ، وأفسس ، وكولوسي من سجنه فى روما.			
٦٣م	يُفترض أنه قد أطلق سراح بولس (أع ٢٨ : ٣٠)	تنصيب ألبينيوس والياً.		٦٣م
٦٤ م	الرسالة إلى العبرانيين، كتبت من إيطاليا بعد إطلاق سراح تيموثاوس (عب ١٣: ٢٣).			

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت في فلسطين	أحداث وقعت في الإمبراطورية الرومانية	السنة
٦٤-٦٧م	رسالة بطرس الأولى رسالة بطرس(؟) رسالة بطرس الثانية (؟)	• تنصيب أجيسيوس فلورس والياً.	• اشتعال النار في روما (في شهر يوليو). • أول اضطهاد ضخم للمسيحيين (استشهاد بطرس وبولس).	٦٤-٦٧م
٦٤-٦٧م	بولس يزور كريت ومكدونية، ويكتب الرسالة الأولى إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس* (؟).	• ڤاسبيان حاكماً عاماً في فلسطين.		٦٧ م
٦٥-٧٠م	الأناجيل المتشابهة (الأناجيل الثلاثة الأولى)، وسفر أعمال الرسل .	بداية الحرب العظمى بين الرومان واليهود .	• نيرون يعدم سينيكا ولوكان	٦٥ م
٦٥-٦٧م	استشهاد بولس وبطرس في روما (؟) .			
٦٨-٦٩م	رؤيا يوحنا (؟)		• تتويج جالباً إمبراطوراً • تتويج أوتو وفيتاليوس امبراطوران. • تتويج ڤاسبيان إمبراطوراً.	٦٨م ٦٩ م ٦٩م
		• خراب أورشليم على يد تيطس (إطلاق سراح يوسيفوس).		٧٠م

* الذين ينكرون فترة سجن ثانية لبولس ينسبون هذه الرسائل إلى فترة إقامة بولس في أفسس (٥٤-٥٧م) والرسالة الثانية لتيموثاوس إلى ٦٣م، ٦٤م .

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت فى الإمبراطورية الرومانية	السنة
			•بداية الكوليزيوم (مدرج روما القديمة).	
			دمار بومباي وهيكولانيوم.	٧٩م
			تتويج تيطس إمبراطوراً	٧٩م
٨٠-٩٠م	يوحنا يكتب إنجيله ورسائله(؟) .		• تتويج دوميتيان إمبراطوراً.	٩١م
٩٢ م	يوحنا يكتب سفر الرؤيا (؟).			
٩٨-١٠٠م	موت يوحنا.		• اضطهاد المسيحيين.	٩٥م
			• تتويج ليزڤا إمبراطوراً.	٩٦م
			• موت أبولونيوس	٩٧م
			• تتويج تراجان إمبراطوراً.	٩٨م

الباب الثانى

الفصل الأول

رسل المسيح

الكنيسة الأولى بعد سفر أعمال الرسل

سبق القول إن سفر أعمال الرسل يذكر كيف نشأت المسيحية فى أورشليم، وكيف انتقلت من خلال كرازة الرسل إلى الأمم.

إلا أن السفر يتوقف عن هذا الحد فلم يُذكر شيء عن انتشار المسيحية فى بلاد الشرق مثل بلاد فارس أو أرمينيا أو أفريقيا أو الهند. كذلك لم يُذكر شيء عن انتشار المسيحية فى بعض بلاد أوربا مثل إنجلترا، ولذلك فإن فى تاريخ الكنيسة ثمة ما يلقى الضوء على كرازة الرسل فى مختلف أقطار الأرض.

لم تكن فكرة الرسولية ـ فى الكنيسة الأولى – قاصرة على رسل المسيح الإثنى عشر أو الثلاثة عشر (راجع أسماء الرسل فى الأصحاح العاشر من إنجيل متى والأصحاح السادس من إنجيل لوقا). فقد أطلق لقب رسول على يعقوب أخى الرب (غلاطية ١: ١٩ ، ٢ : ٩ ، ١كو ١٥: ٧) كذلك أطلق على «برنابا» أنه «رسول» (انظر أعمال الرسل ١٤: ٤و ١٤) كما يمكن اعتبار سلوانس وتيموثاوس رسولين (١تسالونيكى ١: ١ ، ٢: ٦)، وكذلك «أندرونكوس ويونياس .. المأسورين معى اللذين هما مشهوران بين الرسل (رومية ١٦: ٧) ويتكلم الرسول بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس عن أخوين (لم يذكر اسميهما يقول : «وأما أخوانا فهما رسولا الكنائس ومجد المسيح» (٢ كورنثوس ٨:٢٣).

لقد اختار السيد المسيح رسله من بين عدد كبير، فكان له تلاميذ كثيرون، ولكن «أقام اثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا (مرقس ٣:١٤-١٩).

وقد وردت شروط «الرسول» فى عدة مواضع فى سفر أعمال الرسل (١: ٢١و ٢٢) وفى كورنثوس الأولى (٩:١ ، ١٥: ٨٣) ومنها نستطيع أن نخلص إلى أن الرسول هومن كان مع الرب يسوع منذ معمودية يوحنا وحتى صعود المسيح، أى يكون قد اختبر ظهور المسيح بعد القيامة، وهذه الشروط لاتنطبق بالكامل على «بولس»، إلا أنه كان شاهداً للقيامة (أعمال ٢٦ : ١٦ – ١٨)، (١كورنثوس ٩:١ ،١٥: ٨) والطريقة التى يصف بها ظهور المسيح له شخصياً، تدل على أن اختباره شبيه باختبار التلاميذ، وكان لابد لمن لم يكونوا من التلاميذ فى أثناء خدمة الرب يسوع على الأرض أن يرجعوا إلى الرسل الذين كانوا مع السيد المسيح،



وعاشوا أحداث تلك الفترة. ونجد تأكيد بولس على أنه رسول فى رسالته إلى أهل غلاطية «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب الذى أقامه من الأموات» (غلاطية ١:١ راجع أيضاً كورنثوس الأولى ١: ١، ورومية ١: ١ - ٧ ، كولوسى ١:١، أفسس ١:١، تيموثاوس الأولى ١:١ ، ٢: ٧ ، تيموثاوس الثانية ١:١ ، ١: ١١، تيطس ١:١).

رســـول

عُرفت كلمة رسول أساساً من الديانة المسيحية وهى لقب لقائد دينى، ولا سيما فى أوائل عهد المسيحية. وأصل هذه الكلمة ومدلولها وتعبيراتها فى تقاليد دينية مختلفة هى أكثر تعقيداً مما كان يظن عادةً. هذا هو التعريف الذى ذكرته دائرة معارف الأديان.

والكلمة مأخوذة عن الكلمة اليونانية «أبوستولوس Apostolos» وباللاتينية «Apostolus» ومعناها رسول أو مبعوث، وهى تحمل هذا المعنى دنيوياً أو دينياً (أى رسول من قِبَل الله)- وقد عرَّف العلامة أوريجانوس «الرسول» فقال: «أى شخص يرسل من قِبَل شخص آخر هو رسول لذاك الذى أرسله» وقد وردت كلمة رسول فى الترجمة السبعينية للعهد القديم بمعنى «أرسل» (راجع تكوين ٤٥: ٥ و٧و٨، ملوك الأول ١٤: ٦) واستُخدمت فى العهد الجديد مرة واحدة فى الرسالة إلى العبرانيين عن الرب يسوع «رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع» (عب ٣: ١) وجاءت مرات عديدة فى إنجيل يوحنا «الذى أرسلنى هو حق...أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلنى» (يوحنا ٧: ٢٨و٢٩).

ترد كلمة «رسول» أو «رسل» عشر مرات فى الأناجيل، وفى سفر أعمال الرسل ثمانى وعشرين مرة، وثمانى وثلاثين مرة فى الرسائل، وفى سفر الرؤيا ثلاث مرات، وفى معظمها تشير إلى أناس دعاهم السيد المسيح للقيام بخدمة معينة فى الكنيسة.

وأما أسماء الإثنى عشر رسولاً فهى هذه، الأول سمعان الذى يقال له بطرس واندراوس أخوه، يعقوب بن زبدى، ويوحنا أخوه فيلبس وبرثولماوس، وتوما ومتى العشار، يعقوب بن حلفى ولبّاوُس الملقب تُداوُس، سمعان القانونى ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه.

(إنجيل متى ١٠: ٢-٤، أنظر أيضا إنجيل مرقس ١٤:٢-١٩، إنجيل لوقا ٦: ١٣ -١٦).

المحتوى

١- بطرس الرسول.

٢- أندراوس الرسول.

٣- يعقوب بن زبدى (انظر بند رقم ١٨ (أ) من هذه الدراسة).

٤- يوحنا البشير.

٥- فيلبس الرسول.

٦- برثولماوس الرسول.

٧- توما الرسول.

٨- متى الرسول.

٩- يعقوب بن حلفى(انظر بند رقم ١٨ ب من هذه الدراسة).

١٠- تداوس الرسول.

١١- القديس سمعان القانوى الغيور.

١٢- يهوذا أخو الرب.

١٣- بولس الرسول.

١٤- متياس الرسول.

١٥- لوقا البشير.

١٦- برنابا الرسول.

١٧- مرقس البشير.

١٨- دراسة عن كل من:

أ- يعقوب بن زبدى.

ب- يعقوب بن حلفى.

جـ- يعقوب الصغير.

د - يعقوب أخو الرب.

هـ- يعقوب أبو يهوذا.

١- بطرس الرسول

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح.

(ب) بطرس فى أورشليم.

(جـ) خدمة بطرس خارج أورشليم.

(د) إرسالية بطرس الأخيرة.

من أوائل من انضموا لاتباع السيد المسيح

وقد أطلقت عليه عدة أسماء، الاسم العبرانى شمعون (أعمال ١٥: ١٤)، وباليونانية سمعان على اسم أحد أبناء يعقوب ممن كون نسله أحد أسباط إسرائيل، صفا (يوحنا ١: ٤٢) وبطرس، وكل من هذين الأسمين الأخيرين يعنى «صخرة».

(أ) نشاته واتباعه للسيد المسيح

بيت صيدا هى مسقط رأس بطرس الرسول، وهى قرية يعمل أهلها بصيد السمك، وتقع على الشاطىء الشمالى لبحر الجليل، وليست بعيدة عن كفر ناحوم (يوحنا ١: ٤٤)، أما أبوه يونا، فلعله كان صياد سمك (يوحنا ١: ٤٢) وهى المهنة التى احترفها بطرس وأخوه أندراوس، وكان تعليمه محدوداً، غير أنه يرجح أنه كان بإمكانه أن يقرأ ويكتب الأرامية، ويتحدث قليلاً باليونانية التى كانت تستخدم على نطاق واسع فى المدن العشر (ديكا بوليس) ولو أنه كان يتحدث بلهجة جليلية (متى ٢٦: ٧٣) وكان بطرس وأندراوس شريكين فى أعمال صيد السمك مع زبدى وابنيه يعقوب ويوحنا (لوقا ٥: ٧ و ١٠). وعند اتباعه ليسوع أقام بطرس فى كفر ناحوم (مرقس١: ٢١-٢٩) وكان متزوجاً (مرقس ١: ٣٠)، وصحبته زوجته فى إحدى الإرساليات التى قام بها (كورنثوس الأولى ٩: ٥).

وكان بطرس وشركاؤه من أتباع يوحنا المعمدان، الذى كان أول من لفت نظرهما إلى يسوع، وحين قُدم بطرس إلى يسوع عن طريق أخيه أندراوس، أطلق عليه يسوع اسم صفا (اسم أرامى) أو بطرس (اسم يونانى) وكلاهما يعنى «صخرة» للإشارة إلى أنه عوض أن يكون له طبع شمعون العنيف المتقلب (تكوين ٤٩ : ٥-٧) سوف يكون ثابتاً كالصخرة (يوحنا ١: ٤٢).

وتشير الأناجيل المتشابهة إلى أن السيد المسيح دعا بطرس وأندراوس أخاه بينما كانا يلقيان شبكة فى البحر، ليصيرا صيادين للناس (مرقس١: ١٦ - ٢٠). ويصور لوقا البشير تلك الدعوة على نحو خاص بأنها كانت تشكل أهمية خاصة عند بطرس الرسول الذى كان يشعر تماماً بخطيته، بالإضافة إلى أنه لم يكن واثقاً من قدرته على اتباع الرب غير أن يسوع شجعه، ومنذ ذلك الوقت كرّس بطرس نفسه كليةً لخدمة الرب يسوع.

ونجد اسم بطرس الرسول يتصدر قوائم أسماء الرسل كما وردت فى الأناجيل المتشابهة، وسفر أعمال الرسل (راجع متى ١٠: ٢ - ٤، مرقس ٣: ١٦-١٩، لوقا ٦ : ١٤ - ١٦ وأعمال ١: ١٣-١٤)، وكان بطرس هو المتحدث والمعبِّر عن مشاكل وآمال جماعة الرسل، واعترافه العظيم: «أنت هو المسيح ابن الله الحى» (متى ١٦: ١٣-٢٠)، ونظيره فى(يوحنا ٦:٦٧-٦٩) يبلور موقف تلاميذ يسوع فيما كانوا يدخلون الطريق إلى الصليب.

كان بطرس أول من كرز بالرسالة الجديدة لليهود فى يوم الخمسين (أعمال ٢: ١٤)، وللأمم فى بيت كرنيليوس (أعمال ١٠: ٣٤)، ووعد السيد المسيح لبطرس تضمن تورية بالألفاظ: «وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس» (قطعة من الصخر) «وعلى هذه الصخرة (على هذه النوعية من الصخر) أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» ولم يبنِ السيد المسيح الكنيسة على بطرس، بل على الطبيعة الجديدة التى تشبه الصخر

والتى يعتزم أن يخلقها فى تلاميذه.

طلب السيد المسيح من بطرس ويوحنا أن يعدا الفصح (لوقا ٢٢: ٨) وكان بطرس أحد التلاميذ الثلاثة الذين اختيروا للسهر مع يسوع فى جثسيمانى (متى٢٦:٣٧-٤٦).

وأنكر بطرس السيد المسيح ثلاث مرات عندما قُبض عليه (راجع يوحنا ١٨: ١٥، متى ٢٦: ٥٨ و٦٩- ٧٥، مرقس ١٤: ٦٦ - ٧٢، لوقا ٢٢: ٥٤-٦٢، يوحنا ١٨: ١٥- ١٨ و ٢٥ - ٢٧). وإذ أدين فى الحال بنظرة من يسوع، ترك بيت رئيس الكهنة وندم بدموع غزيرة، وربما شهد أحداث صلب المسيح (بطرس الأولى٢: ٢١- ٢٤، ٥: ١) وإن كانت الأناجيل لم تذكر ذلك.

وحين أخبرت مريم المجدلية باكراً فى صباح القيامة أن القبر خالٍ، أسرع بطرس ويوحنا بالذهاب إلى القبر للتحقق من الأمر، فنظرا الأكفان موضوعة، بينما لم يجدا الجسد (يوحنا ٢٠: ١ - ١٠)، وقد ظهر السيد المسيح لبطرس(كورنثوس الأولى ١٥:٥، لوقا٢٤: ٣٣- ٣٤).

(ب) بطرس فى أورشليم

بعد صعود الرب يسوع المسيح تجمَّع التلاميذ فى عُلية للصلاة، منتظرين عطية الروح القدس التى وُعدوا بها، اقترح بطرس اختيار واحد ليحل بدلاً من يهوذا حتى يصبح عدد الرسل كاملاً، وفى يوم الخمسين كرز بالرسالة الأولى للجماهير التى كانت مجتمعة، معلناً أنه يتعين عليهم أن يتوبوا ويعتمدوا باسم الرب يسوع المسيح.

وقد تجدد فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس (أعمال ٢: ١٤ - ٢٢) وكانت تلك بداية ميلاد الكنيسة المسيحية.

عمل بطرس معجزات عظيمة (أعمال ٣: ١-١٠ ، ٥: ١٢- ١٦) ودافع عن رسالة المسيح أمام السنهدريم (أعمال ٤: ١٥- ١٢)، واشترك فى المجمع الذى كان يناقش حرية الأمميين(١٥: ٦ -١١).

(جـ) خدمة بطرس خارج أورشليم

حين نشب الاضطهاد ضد الكنيسة فى أورشليم على أثر رجم استفانوس، أرسل الرسل الذين فى أورشليم فى طلب بطرس ويوحنا لكى يتوجها إلى السامرة. وكان فيلبس قد سبقهما إلى هناك، وكان يكرز لهم بالمسيح، فقبلوا كلمة الله. قام بطرس بالكرازة فى المدينتين الساحلتين لدة ويافا، وشفى إينياس، وأقام طابيثا من الموت (راجع أعمال ٩: ٣٢ - ٤٣)، وكرز فى سهل سارون الساحلى، واستجابة لرؤيا بدأ فى الكرازة وتعميد الأمميين، حيث استدعاه كرنيليوس قائد مئة من الكتيبة التى تدعى الايطالية(أعمال ١٠: ١- ٤٥).

شخصية بطرس الرسول

كان بطرس الرسول من النمط الريفى، وكان نشيطاً، قوياً، صريحاً، جريئاً، مندفعاً، انبساطياً، وكان كثير الكلام، محباً للاستطلاع، عاطفياً إلى حد ما، حاد الطبع، مخلصاً لأصدقائه، متشدداً مع أعدائه، واثقاً تماماً فى نفسه، وكان يتميز بقدرة طبيعية عظيمة على القيادة بسبب طبيعته الحماسية.

(د) إرسالية بطرس الأخيرة

انعقد مجمع أورشليم فى منتصف القرن الأول (نحو عام ٥٠م) وقد سافر بطرس إلى أنطاكية بعد انعقاد المجمع مباشرة، ولم يُذكر سوى القليل عن بطرس فيما بين سنة ٥٠ م، وختام فترة العهد الجديد، ويشير بولس الرسول إلى أسفاره فى (كورنثوس الأولى ٩: ٥) وما ذكره بولس عن أن البعض

يقولون: «أنا لصفا» (كورنثوس الأولى١:١٢) يبدو إنها تشير إلى أن بطرس كان معروفا هناك (فى كورنثوس) والجهة التى أُرسلت إليها رسالة بطرس الأولى(١: ١) تشير إلى أنه ربما كان قد كرز فى مجامع الشتات فى شمالى أسيا الصغرى، ويُستشف من الرسالة الثانية أنه كان يتوقع وفاة فجائية وقد تكون عنيفة (بطرس الثانية ١: ١٢ - ١٥) وهذا ما يتفق مع نبوة يسوع (يوحنا ٢١: ١٨- ١٩).

وتبين الرسالة الأولى التى كتبها أنه كان كارزاً نشيطاً حتى وفاته، وأنه قام بإرسالية واسعة النطاق فى العالم الرومانى.

أما عن وصول بطرس الرسول إلى روما، فهذا الأمر محل جدل، فلا يوجد دليل على أنه أسس الكنيسة هناك، وأنه قام بخدمتها لربع قرن من الزمان حتى استشهاده، ولو أنه كان مقيماً فى روما فى الفترة ما بين سنتىْ ٢٥ ،٦٥م فيكون أمراً غير مفهوم أن يكتب بولس إلى الرومانيين دون أن يشير إليه، وألاّ تكون ثمة إشارة إلى وجوده هناك فى سفر أعمال الرسل لو كان موجوداً بالمدينة حين كان بولس بها، (موسوعة وكلف الكتابية: تينى ميريل Tinny Merril).

واستشهاد بطرس بروما يعتمد على شهادة متأخرة، فقد ذكر ايريناوس (نحو سنة ١٨٠ م) أن بطرس وبولس كرزا فى روما ووضعا أساس الكنيسة، ويشير ترتليانوس (ترتليان) (نحو سنة ٢٠٠ م) إلى استشهاد بولس وبطرس فى روما، لكنه لايذكر دليلاً وثائقياً، وأكَّد أوريجانوس أن بطرس زار روما أخيراً، وأنه صُلب ورأسه منكس إلى أسفل (نقلاً عن يوسابيوس: تاريخ الكنيسة).

٢- أندراوس الرسول

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح.

(ب) كرازة أندراوس الرسول.

(جـ) استشهاد القديس أندراوس.

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح

أندراوس هو ابن يونا و أخو سمعان بطرس، وهو أصلاً من مدينة بيت صيدا التى تقع على الشاطىء الشمالى لبحر طبرية (أو عبر الجليل) فى منطقة الجليل شمالى فلسطين، وفى شبابه سكن فى مدينة كفر ناحوم على الشاطىء الغربى لبحر الجليل، وكان يشتغل صياداً للسمك مع أخيه سمعان، وكان أحد تلاميذ يوحنا المعمدان.

بعد أن اعتمد الرب يسوع من يوحنا المعمدان، وبعد عودته من البرية التى جُرِّب فيها بأيام قليلة كان أندراوس هو ويوحنا بن زبدى واقفين مع يوحنا المعمدان معلمهما على ضفاف نهر الأردن عندئذ «نظر يوحنا المعمدان يسوع ماشياً فقال هوذا حمل الله الذى يرفع خطايا العالم».

فلما سمع أندراوس ويوحنا كلام معلمهما عن يسوع بدآ يسيران وراء يسوع «فالتفت يسوع ونظرهما يتبعانه، فقال لهما ماذا تطلبان؟ فقالا ربى - الذى تفسيره يا معلم - أين تمكث؟ فقال لهما تعاليا وانظرا فأتيا ونظرا أين كان يمكث، ومكثا عنده ذلك اليوم» (انظر يوحنا ١:٢٩-٣٥-٣٩).

وقد عبَّر أندراوس عن اكتشافه لشخصية المسيح بأن ذهب إلى أخيه سمعان قائلاً «قد وجدنا مسيا» (يوحنا١: ٤١).

وبهذه العبارة القصيرة شهد أندراوس للمسيح الذى تذوق واختبر معرفته، وبهذه العبارة أيضاً جاء بأخيه سمعان إلى المسيح ، بل ربما يكون أندراوس هو الذى عرَّف فيلبس بالمسيح، لأن فيلبس كان من مدينة صيدا التى هى مدينة أندراوس وبطرس أيضاً، وهذا ما يشير إليه إنجيل يوحنا بطريقة غير مباشرة عندما يتحدث عن لقاء فيلبس مع المسيح لأول مرة (راجع يو١: ٤٣ و ٤٤).

ولما بدأ المسيح خدمته الجهارية فى الجليل بعد سجن يوحنا المعمدان.« وإذ كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل أبصر سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخاه يلقيان شبكة فى البحر فإنهما كانا صيَّادَين، فقال لهما هلم ورائى فأجعلكما صيادى الناس، فللوقت تركا الشباك وتبعاه » (متى٤:١٨-٢٠، لو٥:١-١١).

(ب) كرازة أندراوس الرسول

بحلول الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين، امتلأ أندراوس من الروح القدس مع بقية التلاميذ، وكان معهم فى أورشليم يشهد للمسيح ويحتمل الإهانات والجلد والسجن لأجل اسم يسوع بفرح وشكر (أع ٥: ٤١، ٤٢).

وبعد أن قضى عدة سنوات فى أورشليم مع الرسل ، قاده الروح القدس ليذهب للكرازة فى منطقة **«سكيثيا» التى تقع فى تلال القوقاز شمالى البحر الأسود**، وقد ورد اسم سكيثيا فى العهد الجديد عندما أشار الرسول بولس إلى بعض أنواع الأجناس عندما قال « حيث ليس يونانى ويهودى بربرى سكيثى.. بل المسيح الكل وفى الكل (كو ٣:١١) وفى سكيثيا بشَّر أندراوس بالمسيح وآمن كثيرون من أهل سكيثيا على يديه، ولأن **سكيثيا تقع جنوبى روسيا، لذا فقد اتخذته روسيا - فيما بعد - القديس الخاص بها الذى أوصل الإيمان بالمسيح إلى أراضيها**.

وبعد سكيثيا عاد أندراوس إلى أسيا الصغرى وذهب إلى منطقة بالقرب من البحر الأسود يسكنها قوم من آكلى لحوم البشر، حيث بشرهم بالمسيح، هو و القديس متياس الرسول، وهناك فى مدينة سينوب قبضوا عليه وألقوه فى السجن، ولكن الله أنقذه من أيديهم قبل أن يأكلوه حياً.

وتذكر بعض المصادر أنه بَشَّر أيضاً بين البارثيين قرب البحر الأسود مع برثولماوس (انظر فرتيون أعمال٢:٩).

ومن أسيا الصغرى « ذهب أندراوس إلى بيزنطية (التى صارت فيما بعد القسطنطينية - استانبول حالياً)».

وهناك بشَّر بالمسيح، ويقول تقليد كنيسة بيزنطية أنه رَسم أسقفاً للمدينة اسمه « ستافس»، واستمر أندراوس فى تلك المنطقة من أسيا الصغرى يرسم أساقفة وقسوساً ويكرز بإنجيل المسيح المخلص، **ولذلك تعتبر كنيسة القسطنطينية أن أندراوس هو مؤسسها**.

صليب القديس اندراوس

ويقال إن الصليب الذى صُلب عليه أندراوس لم يكن على شكل صليب المسيح، ولكن على شكل حرف X ولذلك فهناك نوع من الصلبان ترسم إلى الآن بهذا الشكل وتُعرف بصليب القديس اندراوس.

(جـ) استشهاد القديس أندراوس

ومن بيزنطية أكمل أندراوس رحلته التبشيرية إلى بلاد اليونان حيث سافر إلى « تراس، ومكدونية» وعبر خليج كورنثوس إلى منطقة «باتراس» جنوبى اليونان حيث بشَّر بالمسيح طوال الفترة الأخيرة من حياته ، وآمن كثيرون بالمسيح على يديه، ومن بين الذين آمنوا هناك زوجة والى باتراس

«إيجاتيس» الوثنى وكانت تدعى «فاكسيميللا» فاغتاظ الوالى من أندراوس وحكم عليه بالسجن وأمر بصلبه، وبعد أن جُلد أندراوس عارياً رُبط فى الصليب بحبال غليظة، وظل معلقاً على الصليب بالحبال لعدة أيام، وكان يبشر ويعظ الجموع وهو على الصليب وبعد أن فاضت روحه بين يدىّ الرب أخذ المؤمنون فى باتراس جسد القديس أندراوس ودفنوه هناك.

وتقول بعض المصادر إن عظام ذراع أندراوس نقلت إلى اسكتلندا فى القرن الخامس، ودُفنت فى مكان سُمى فيما بعد باسم «القديس أندراوس» **ولذلك اعتبرت اسكتلندا أندراوس قديساً خاصاً بها. وصار «صليب اندراوس X هو الرمز الرسمى لاسكتلندا المسيحية».**

✣ ✣ ✣ ✣

٣- يعقوب بن زبدى

انظر بند رقم ١٨ من هذا الفصل.

✣ ✣ ✣ ✣

٤- يوحنا البشير

(أ) كرازة يوحنا الرسول.

(ب) يوحنا فى أفسس.

(جـ) يوحنا فى جزيرة بطمس.

(د) عودة يوحنا من بطمس إلى أفسس.

(هـ) أيام يوحنا الأخيرة وانتقاله.

كان يوحنا أول من جاء من الرسل إلى القبر فى أحد القيامة، وهو الوحيد من الرسل الذى آمن أن يسوع قام بمجرد أنه رأى الأكفان موضوعة والمنديل ملفوفاً فى موضع وحده .. أى قبل أن يظهر يسوع للتلاميذ بعد القيامة (يو ٢٠:٨).

كان يوحنا مع الرسل حاضراً لكل ظهورات السيد المسيح التى فيها أظهر نفسه لتلاميذه، وفى الظهور الثالث لجماعة الرسل على بحر طبرية بعد أن تحدث الرب يسوع مع بطرس وأخبره عن أنه سيربط ويحمل إلى حيث لايشاء متنبئاً بالميتة التى كان سيموت بها بطرس بعد ذلك، قال يسوع لبطرس عن يوحنا «إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك»، اتبعنى أنت فذاع هذا القول بين الإخوة إن ذلك التلميذ أى-يوحنا لا يموت-(يوحنا ٢١: ١٨ - ٢٣).

أ - كرازة يوحنا الرسول

وبعد يوم الخمسين وبعد أن امتلأ يوحنا مع الرسل بالروح القدس، كان يوحنا مع بطرس يتقدمان الرسل فى الشهادة لقيامة المسيح أمام رؤساء اليهود.

واشتركا معاً فى إقامة الرجل الأعرج عند باب الهيكل الذى يقال له الجميل، وحُبسا معاً فى السجن (أع ٣ ، ٤)، ولما قبل أهل السامرة بشارة الإنجيل بواسطة فيلبس الخادم (الشماس)، أرسل الرسل بطرس ويوحنا إلى السامرة فصلّيا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس ووضعا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس.

ويخبرنا كاتب الرسالة إلى أهل غلاطية أن يوحنا وبطرس ويعقوب كانوا هم أعمدة الكنيسة فى أورشليم (غلاطية ٢: ٩).

ب - يوحنا فى افسس

ظل يوحنا الرسول مقيماً فى أورشليم مع مريم العذراء لرعايتها حسب وصية السيد المسيح له، وكان يوحنا غير متزوج، وظل يخدم العذراء ويرعاها حتى انتقالها، ثم بعد عدة سنوات أخرى انتقل يوحنا الرسول من أورشليم إلى مدينة أفسس فى أسيا الصغرى، وكان ذلك قبل خراب أورشليم

الذى حدث فى سنة ٧٠ م.

وصار راعياً لكل الكنائس فى أسيا، وتظهر علاقته بكنائس أسيا من الرسائل التى أرسلت بواسطته إلى السبع الكنائس التى فى أسيا وأولها كنيسة أفسس(سفر الرؤيا ١ : ٤).

بقى يوحنا الرسول معظم السنوات التى تلت خروجه من أورشليم فى مدينة أفسس، وقد عاش يوحنا إلى شيخوخة متقدمة إذ عاش بضعاً وتسعين عاماً، وهو الوحيد من بين الرسل الذى لم يمت ميتة عنيفة.

ويشهد القديس إيريناوس أسقف ليون فى القرن الثانى الذى موطنه الأصلى من أسيا والذى كا ن تلميذاً ليوحنا الرسول، يشهد عن استماعه لتعليم يوحنا فى أفسس، ويقول إن يوحنا عاش هناك إلى زمن الإمبراطور تراجان أى إلى حوالى سنة ١٠٠ م أو أكثر. كما يشهد لخدمة يوحنا الرسول فى أفسس كل آباء الكنيسة والتقليد الكنسى من القرن الأول حتى القرن الخامس، فشهد بذلك كليمندس الاسكندرى وأبولونيوس وبوليكريتوس من القرن الثانى، كما شهد بذلك أيضاً أوريجانوس وترتليانوس ويوسابيوس وايرونيموس فى القرون الثالث والرابع والخامس. إن ما دعا يوحنا الرسول للذهاب إلى أفسس غالباً هو استشهاد الرسوليين بطرس وبولس نحو ٦٧م. وذلك لرعاية الكنيسة التى صارت معرضة لأخطار شديدة من الداخل ومن الخارج، فمن أفسس يستطيع الرسول أن يرعى ويشرف على جميع الكنائس ، وفى نفس الوقت يستطيع أن يتتبع الأفكار المنحرفة والبدع الناشئة، عن قرب، لحفظ المؤمنين منها، ولتثبيتهم فى حق المسيح.

وهكذا صارت أفسس بمجهودات بولس ثم يوحنا من بعده هى المسرح الرئيسى لمسار تاريخ الكنيسة فى النصف الثانى من القرن الأول وطوال القرن الثانى.

كان يوحنا الرسول هو الوحيد من الرسل على قيد الحياة الذى يستطيع أن يكمل عمل الرسولين بطرس وبولس، ويعطى الكنيسة تلك الوحدة الصلبة التى تحتاجها الكنيسة لحفظ نفسها وبقائها مع مواجهة الاضطهاد المستمر من الخارج، وفى مواجهة الأفكار المنحرفة والفساد من الداخل.

جـ- يوحنا فى جزيرة بطمس

أمر الإمبراطور دوميتيان نحو سنة ٩٥م بنفى يوحنا الرسول إلى جزيرة بطمس. **وهى جزيرة قاحلة وحجرية ولم يكن بها سكان تقريباً، تقع فى بحر إيجة، جنوبى غرب أفسس، وهى الجزيرة التى سجلها فى سفر الرؤيا الذى يختم أسفار العهد الجديد**. وهذا السفر يحوى إعلانات الروح له بخصوص صراعات المسيحية فى العالم، وانتصارات المسيح الحمل الغالب، و تشهد لنفى يوحنا فى بطمس وكتابته لسفر الرؤيا فيها، جميع مصادر التقليد الكنسى القديم.

د- عودة يوحنا من بطمس إلى أفسس

رجع يوحنا الرسول إلى أفسس من منفاه فى بطمس بعد وفاة الإمبراطور دوميتيان فى سنة ٩٦م وذلك فى أيام الامبراطور نرفا، وأقام فى أفسس، وهناك كتب رسائله الثلاث والإنجيل المعروف باسمه، ولذلك سُمى بالإنجيلى. وقد سجل فى هذا الإنجيل حياة السيد المسيح بكل ملء شخصيته الإلهية الإنسانية كتجسيد ومنبع للحياة الأبدية لكل من يؤمن به. ويتميز إنجيل يوحنا بالإعلان الواضح عن محبة الله للعالم وبذل ابنه الوحيد يسوع المسيح لأجل خلاص الإنسانية، كما يتميز بالتأثير الواضح على ألوهية المسيح ووحدته مع الآب بدون انفصال، بالإضافة إلى تميزه بالحديث عن الروح القدس المعزى كما نقله من فم الرب يسوع المسيح فى حديثه وقت العشاء الأخير.

أما رسائله ـ بخاصة الرسالة الأولى - فهى التطبيق العملى

للإنجيل وذلك بالإلحاح على الإيمان بأن يسوع هو ابن الله، ثم التأكيد المتكرر على وصية المحبة «وهذه هى وصيته: أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصية» (١يو ٣: ٢٣).

هـ- أيام يوحنا الأخيرة وانتقاله

يخبرنا القديس ايرونيموس نقلاً عن تقليد كنيسة أفسس أن يوحنا التلميذ المحبوب تقدمت به الشيخوخة جداً حتى إن التلاميذ كانوا يحملونه إلى الكنيسة، وحينما يجلس هناك كان يقول فى كل مرة «يا أولادى الصغار، أحبوا بعضكم بعضاً، وعندئذ سأله الإخوة لماذا يكرر نفس الكلمات، فقال لهم «لأن هذه هى وصية الرب، وإن تممتم هذه الوصية فهى تكفى» وقبل انتقاله من الجسد أقام يوحنا عدداً من الأساقفة فى أفسس وكنائس أسيا، وانتقل يوحنا إلى الراحة الأبدية فى سنة ١٠٠م وله من العمر نيف وتسعين عاماً.

✣ ✣ ✣ ✣

٥- فيلبس الرسول

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح.

(ب) كرازته.

فيلبس الرسول هو أحد الإثنى عشر تلميذاً الذين اختارهم الرب يسوع المسيح ليكونوا معه وليرسلهم للكرازة ببشارة الخلاص والحياة الأبدية.

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح

كان فيلبس من مقاطعة الجليل من مدينة بيت صيدا، كما يذكر الإنجيل حسب يوحنا عن نشأته واتباعه للمسيح هكذا «فى الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلبس فقال له اتبعنى، وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة أندراوس وبطرس، فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء يسوع بن يوسف الذى من الناصرة فقال له نثنائيل أمن الناصرة يمكن أن يكون شىء صالح، قال له فيلبس تعال وانظر» (يوحنا ١: ٤٣- ٤٦)

وهكذا نرى أن السيد المسيح وَجّه الدعوة مباشرة إلى فيلبس «اتبعنى» واستجاب فيلبس لدعوة المسيح، واكتشف فيلبس بملاقاته بشخص السيد المسيح أنه قد وجد المسيا الذى كان يبحث عنه بحسب نبوات موسى والأنبياء، وكان لملاقاة المسيح تأثير قوى فعّال على نفس فيلبس، ولذلك فإنه بعد أن تبع السيد المسيح دعا صديقه نثنائيل ليأتى ويؤمن بالمسيح الذى سبق أن عرفه فيلبس، ولما اعترض نثنائيل متسائلاً «أمن الناصرة يمكن أن يكون شىء صالح» فإن فيلبس لم يرد على الاعتراض بالمجادلة بل بالدعوة للتعرف الشخصى إذ قال له «تعال وانظر» أى تعال لتنظر بنفسك وتعرف المسيح كما عرفته أنا.

(ب) كرازته

كان فيلبس مع التلاميذ فى العلية بعد صعود السيد المسيح إلى السماء، ووقت حلول الروح القدس عليهم، وبقى مع الرسل فترة يبشر فى أورشليم ويحتمل الآلام من أجل البشارة بالمسيح.

وبعد ذلك قاد الروح القدس فيلبس إلى مقاطعة فريجية بأسيا الصغرى، وهناك بشّر بالمسيح فى مدينة هيرابوليس القريبة من مدينتى كولوسى ولاودكية، وظل فيلبس يبشر لفترة طويلة من الوقت فى تلك المنطقة، وآمن كثيرون بالمسيح بواسطة كرازته، وتذكر بعض المراجع التاريخية القديمة أنه بشّر أيضاً فى مقاطعة سيكيثيا (جنوبى روسيا الحالية على ساحل البحر الأسود)، ثم رجع مرة أخرى إلى مدينة هيرابوليس، وكان أهل مدينة هيرابوليس مأسورين بعبادة أفعى عظيمة كانوا يسمونها المشترى فلما رأى فيلبس حالتهم هذه أشفق عليهم من الضلال الذين هم عليه، ولذلك أمر الأفعى باسم

المسيح أن تختفى، وفى الحال زحفت الأفعى من تحت مذبح الأوثان وهى تنفث سماً قاتلاً من فمها مما تسبب فى موت بعض الناس الذين كانوا موجودين حينذاك ومن بينهم ابن الملك، ولما رأى الرسول فيلبس ماحدث أمسك بابن الملك بين يديه وصلّى، وباسم المسيح أقامه من الموت، فلما رأى كهنة الأوثان ما حدث اغتاظوا جداً، وقاموا بالقبض على فيلبس وقيدوه وعلقوه على صليب، وصاروا يرجمونه بالحجارة، وهكذا أسلم روحه وهو يصلى من أجل صالبيه وراجميه.

اسفار فيلبس - استشهاده

ذكرت بعض المراجع التاريخية المتأخرة التى ترجع إلى القرن السابع الميلادى وما بعده أن فيلبس الرسول بشّر أيضاً فى بلاد الغال (فرنسا حالياً)، ولكن هذا الأمر يفتقر إلى البراهين الأكيدة، وإن كان من المعروف أن أهل الغال هم أصلاً مهاجرون من غلاطية فى أسيا الصغرى بالقرب من هيرابوليس، فمن المحتمل أن يكون قد ذهب إلى فرنسا بعد ذهابه إلى منطقة فريجية وغلاطية. وذلك عن طريق الصلات القائمة بين أهل الغال ومنبعهم الأصلى فى غلاطية، ولكن يظل هذا احتمالاً معقولاً ولكنه غير مؤكد تاريخياً، وإذا كان صحيحاً أن فيلبس ذهب إلى بلاد الغال وبشر هناك، ففى هذه الحالة لابد أن يكون قد رجع ثانية إلى هيرابوليس وأكمل خدمته فيها حتى أستشهد هناك فإن كل المراجع التاريخية منذ القرن الثانى الميلادى تؤكد أن فيلبس أستشهد فى هيرا بوليس وأنه دفن هناك.

فيذكر القديس بوليكريتوس أسقف أزمير فى القرن الثانى قائلاً «إن فيلبس أحد الإثنى عشر يرقد فى هيرابوليس».

✣ ✣ ✣ ✣

٦ - برثولماوس الرسول (نثنائيل)

(أ) اتباعه للسيد المسيح.

(ب) كرازته.

(جـ) تبشيره فى أرمينيا والهند.

(د) استشهاده.

(أ) اتباعه للسيد المسيح

برثولماوس هو أحد الإثنى عشر تلميذاً الذين اختارهم الرب يسوع له المجد ليكونوا رسلاً كارزين بإنجيل الخلاص، ويرد اسمه فى قائمة الإثنى عشر رسولاً فى إنجيل متى (١٠: ٣)، وفى إنجيل لوقا (٦: ١٤). وفى سفر أعمال الرسل (١: ١٣). وكلمة برثولماوس ترجمة لاسم أرامى ويعنى «**ابن تلماوس**» ولكن يذكره الرسول يوحنا فى الإنجيل الذى كتبه باسم «نثنائيل» ولا يذكره أبداً باسم «برثولماوس»، وهو الشخص الذى وجده فيلبس وقال له «وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء يسوع... الذى من الناصرة، فقال له نثنائيل أمن الناصرة يمكن أن يكون شىء صالح؟ فقال له فيلبس تعال وانظر». (انظر المادة السابقة).

«ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه فقال عنه هوذا اسرائيلى حقاً لاغش فيه، قال له نثنائيل من أين تعرفنى؟ أجاب يسوع وقال له: قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك، أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك اسرائيل، أجاب يسوع وقال له هل آمنت لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت التينة، سوف ترى أعظم من هذا» (يوحنا ١: ٤٥ - ٥٠).

ويلاحظ أن برثولماوس يأتى اسمه فى الأناجيل الثلاثة الأولى مرتبطاً بفيلبس، كما أن إنجيل يوحنا يكشف بوضوح

العلاقة الخاصة التي ربطت فيلبس بنثنائيل، وهذا هو ما أدى إلى الاعتقاد بأن برثولماوس هو نفسه نثنائيل.

ب ـ كرازته

استمر برثولماوس ضمن مجموعة الإثنى عشر رسولاً ملازماً الرب يسوع أيام حياته حتى يوم الصليب، وكذلك بعد قيامة الرب من بين الأموات وظهوره لهم حيّاً عدة مرات بعد قيامته، وكان معهم يوم صعود الرب إلى السماء، وكان مع الرسل في العلية حينما كانوا يواظبون على الصلاة بنفس واحدة في انتظار موعد الروح القدس.

وفي يوم الخمسين امتلأ مع جماعة الرسل من الروح القدس، وكان يشهد للمسيح معهم واحتمل لأجل اسم يسوع الإهانات والجلد والسجن بفرح وشكر (أعمال ٥: ٤١-٤٢).

بعد ذلك قاد الروح القدس برثولماوس مع فيلبس للكرازة في مقاطعة فريجية بأسيا الصغرى.

حيث بشرا في مدينة هيرابوليس القريبة من كولوسي ولاودكية، وهناك آمنت زوجة الوالي الروماني بالمسيح بعد أن شُفيت بصلاة الرسولين برثولماوس وفيلبس، وقد أدى إيمان زوجة الوالي بالمسيح إلى غضب الوالي الشديد عليهما، فأمر بقتلهما صلباً، وفعلاً صُلب القديس فيلبس الرسول أما برثولماوس فبعد أن ربطوه بالصليب، قاموا بعد ذلك بحلّه وأنزلوه من على الصليب وطردوه من المدينة، فذهب شرقاً إلى مقاطعة ليكاؤنية التي يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم- في عظته على الاثنى عشر رسولاً - أنه بشَّر شعبها بالمسيح.

جـ تبشيره في أرمينيا والهند

وبعد ذلك ذهب برثولماوس الرسول شرقاً إلى بلاد أرمينيا والهند حيث بشَّر الوثنيين بالمسيح، وتذكر مصادر تاريخ الكنيسة الأرمينية أنه ذهب إلى أرمينيا في سنة ٦٠م قبل استشهاد القديس تّداوس الرسول وبشَّر هناك بالمسيح.

واستمر القديس برثولماوس يكرز بالمسيح في المنطقة التي تقع إلى الطريق الجنوبي الشرقي من بحر قزوين والتي كانت تُعرف في العصور القديمة على أنها جزء من بلاد الهند، لهذا السبب فإن مراجع التاريخ في القرون المسيحية الأولى تذكر أن الرسول برثولماوس بشَّر في بلاد أرمينيا والهند وفارس، فيذكر يوسابيوس المؤرخ الكنسي الشهير في القرن الرابع أن القديس بنتينوس مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ذهب في رحلة تبشيرية إلى الهند نحو سنة ١٨٠م في أيام القديس ديمتريوس أسقف الإسكندرية وأنه وجد هناك (أي في تلك البلاد التي كانت تسمى حينئذ بلاد الهند) مسيحيين عرف منهم أن برثولماوس الرسول هو الذي بشَّر هناك بالمسيح وأنه أي القديس برثولماوس، ترك عندهم نسخة من إنجيل القديس متى باللغة العبرانية، وأن

استشهاد القديس برثولماوس

تذكر مخطوطة «استشهاد القديس برثولماوس» التي وُجدت باللغة الأثيوبية (في سنة ١٩٠٧م والمحفوظة بالمتحف البريطاني) أن ملك بلاد أرمينيا المسمى أغرياس أمر بوضعه في جوال مملوء بالرمال وطرحه في البحر، وهكذا نفذوا أمر الملك، وكان ذلك في سنة ٦٨ م، ويذكر تقليد كنيسة أرمينيا أن قبر الرسول موجود في نفس المدينة (ديربند) حيث استشهد، أما عظامه فقد نُقلت إلى العراق في مدينة تسمى دوراس، وكان ذلك في القرن السادس، وبعد ذلك نقلت إلى جزيرة التيبر بروما حيث أقيمت هناك كنيسة باسم القديس برثولماوس، في القرن العاشر وذلك بحسب تقليد كنيسة روما، أما رأس القديس فهي موجودة في دير «كاراكللو» بجبل أثوس باليونان.

القديس بنتينوس أحضر معه هذا الإنجيل عند عودته إلى الإسكندرية.

د - استشهاده

يذكر القديس چيروم أن برثولماوس بشَّر فى أرمينيا، ويذكر كتاب «التاريخ الرسولى» لمؤلفه عبديا السريانى أن الله صنع على يدىْ برثولماوس عجائب كثيرة هناك أثناء تبشيره بالمسيح وآمن كثيرون على يديه وشفيت ابنة ملك مدينة «ألبانابوليس» التى هى الآن «ديربند»، وتقع الآن جنوبى روسيا، وخرج منها الروح الشرير مما أثار حنق كهنة الأوثان عليه بشدة، وآمن الملك وكثيرون معه، وعمَّدهم برثولماوس، ولكن كهنة الأوثان أثاروا شقيق الملك على الملك وعلى برثولماوس، فقام شقيق الملك ويسمى «أستيجاس» بالقبض على القديس برثولماوس وأمر بضربه وتعذيبه فقاموا بسلخ جلده حيًا وصلبوه، فاستشهد هناك.

✣ ✣ ✣ ✣

٧ - توما الرسول

أ - نشأته.

ب - كرازته.

أ - نشأته

وُلد بالجليل وكان صياداً واختاره الرب يسوع أحد الاثنى عشر ليكون صياداً للناس، فهو الذى قال للتلاميذ عندما كان الرب ذاهباً لإقامة لعازر «لنذهب نحن أيضاً لكى نموت معه» (يوحنا ١١:١٦) وكذلك عندما قال المسيح «فى بيت أبى منازل كثيرة وإلا فإنى كنت قد قلت لكم أنا أمضى لأعد لكم مكاناً وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلىَّ حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً، وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق، قال له توما ياسيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟ قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتى إلى الآب إلاَّ بى» (يو١٤:٦٢).

وبعد قيامة المسيح لم يكن توما حاضراً مع الرسل فى مساء أحد القيامة حيث ظهر لهم الرب فى العلية، وعندما عرف من التلاميذ أنهم قد رأوا الرب فقال لهم «إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع أصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أؤمن، وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً داخلاً وتوما معهم، فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى الوسط وقال سلام لكم، ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدىَّ وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً أجاب توما وقال له ربى وإلهى، قال له يسوع لأنك رأيتنى يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يوحنا ٢٠: ٢٥-٢٩).

ب - كرازته

كان توما الرسول موجوداً مع التلاميذ فى العلية يوم حلول الروح القدس عليهم، ثم بعد ذلك ذهب للكرازة فى بلاد ما بين النهرين وفارس (أى العراق وإيران حالياً) وهناك التقى بالمجوس وعمدهم واشتركوا معه فى البشارة، وبعد أن مكث فترة يخدم فى بلاد فارس ذهب إلى الهند إلى منطقة ملابار بجنوبى الهند. وهناك بشَّر بالمسيح وآمن كثيرون بواسطة كرازته وعمَّدهم. وتوجد فى سجلات الكنيسة فى الهند أخبار وقصص عديدة عن كرازته والمعجزات التى أجراها المسيح على يديه. وإحدى هذه القصص تفيد أن توما بيع كعبد لملك الهند، ولما سأله الملك عن صناعته أجابه بنَّاء، فأعطاه الملك أموالاً ليشيد بها قصراً فخماً، وكان توما يفكر فى قصر سماوى وليس أرضياً، فأخذ الأموال ووزعها على الفقراء، فألقى القبض عليه وأودع فى السجن. فلما مرض شقيق الملك

رأى فى رؤيا الليل قصراً بهياً جداً، وقيل له فى الرؤيا إنه القصر الذى بناه توما ، ثم شُفى أخو الملك وبعد ذلك آمن الملك وأخوه، وأطلق لتوما حرية التبشير ولا سيما بعد أن ظهرت خشبة ضخمة على شاطىء البحر لم يستطع كثيرون أن يرفعوها. فاستأذن القديس توما الملك فى رفعها والسماح له ببناء كنيسة من خشبها ، فأشار عليها بعلامة الصليب ورفعها وبنى منها الكنيسة. ثم انطلق إلى مدن أخرى فى الهند يبشِّر فيها بالمسيح وهناك قام عليه كهنة الأوثان، وطعنه أحدهم برمح بينما كان يصلى فنال إكليل الشهادة ودُفن جسده فى ملابار ثم نقل إلى أوديسا (الرها).

الكنيسة فى الهند

يتضح من سيرة توما الرسول أن الكنيسة فى الهند تأسست منذ العصر الرسولى. ومنذ القرن الرابع الميلادى كان كرسى أنطاكية يرسل مطارنة وأساقفة لكنيسة ملابار بجنوبى الهند.

وبلغ عدد المسيحيين بالهند الآن أكثر من (٢٠) مليون مسيحى منهم نحو ٢ مليون بكنيسة الهند السريانية الأرثوذكسية (التى تتحد فى العقيدة مع الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر) وهى كنيسة ناهضة فى العصر الحديث ولها نشاط كرازى فى نواحٍ مختلفة من بلاد الهند. ونحو (١٠) مليون من الكاثوليك، والباقى من مختلف الطوائف المسيحية هناك.

✣ ✣ ✣ ✣

٨- متى الرسول

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح.

(ب) كرازته.

القديس متى الرسول هو أحد الإثنى عشر رسولاً الذين اختارهم الرب يسوع المسيح ليكونوا تلاميذاً له، وليرسلهم للكرازة ببشارة الملكوت.

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح

كان متى من الجليل مثل غالبية رسل المسيح، وكان يعمل عشاراً (مت ١٠: ٣) فى مدينة كفر ناحوم، والعشار هو جابى المكوس(الضرائب) والذى كان يعمل لحساب الدولة الرومانية، ولذلك كان العشارون محتقرين، ويعتبرون خطاة فى نظر اليهود.

وبعد أن شفى المسيح الرجل المفلوج فى كفر ناحوم وغفر له خطاياه، خرج يسوع من هناك «وفيما هو مجتاز رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له اتبعنى، فقام وتبعه (مت ٩: ٩). وبعد ذلك يذكر الإنجيل أن متى صنع وليمة للمسيح فى بيته دعا إليها جمعاً كثيراً من العشارين، ولما تذمر الكتبة والفريسيون على المسيح وتلاميذه قائلين: «لماذا تأكلون وتشربون مع عشارين وخطاة»، فأجاب يسوع وقال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩: ١٠ -١٣، لو ٥: ٢٧ - ٣٢).

ومن ذلك الوقت تبع متى المسيح ولازمه مثل بقية الرسل الاثنى عشر، وسمع تعاليمه وحفظها ورأى آياته ومعجزاته، وكان شاهداً لآلامه وقيامته من بين الأموات.

ب ـ كرازته

كان الرسول متى مع بقية الرسل بعد صعود الرب إلى السماء، فى علية صهيون وقت حلول الروح القدس، وكرز معهم فى أورشليم بين اليهود ، واحتمل معهم بفرح الإهانات والجلد والسجن لاسم الرب يسوع ، ومثل غالبية الرسل، يبدو أن متى بشَّر فى عدد من البلاد ، ونعرف من كتابات الآباء



مثل كليمندس الاسكندرى وايريناوس وغيرهم، أنه بشّر بالإنجيل بين العبرانيين وقضى نحو ١٥ سنة يبشِّر بين اليهود فى فلسطين وخارجها. وأنه فى خلال هذه الفترة كتب إنجيله باللغة العبرانية لفائدة المؤمنين المسيحيين من أصل عبرانى.

وبعد ذلك ذهب متى الرسول إلى أثيوبيا وبشّر بالإنجيل هناك حيث تقابل مع الخصى وزير كنداكة ملكة الحبشة الذى كان اعتمد على يد فيلبس الشماس(أعمال ٨: ٣٦ - ٤٠) فرحَّب به الخصى واستضافه فى بيته بترحاب عظيم، وكان هناك فى المدينة ساحران فى المدينة أضلاَّ الناس بسحرهما. وكان الناس يعيشون فى رعب تحت سطوة هذين الساحرين، فغلبهما متى الرسول بالصلاة، وعلامة الصليب وأبطل سحرهما، فآمن كثيرون بالمسيح على يديه، واعتمدوا.

ويذكر فى تاريخ خدمته فى أثيوبيا أنه شفى ابنة الملك التى كانت مريضة بمرض عضال، وكانت تُسمى الأميرة «أفجانيا» فآمنت الأميرة بالمسيح وبعد ذلك نذرت نفسها لحياة البتولية، وتبعها عدد من العذارى كرسن أنفسهن لخدمة المسيح.

ولما مات الملك اغتصب أحدهم المُلك وحاول أن يتخذ الأميرة أفجانيا زوجةً له، فرفضت متمسكة بنذر بتوليتها للمسيح، وحاول الملك المغتصب أن يضغط على الأميرة عن طريق القديس متى فرفض الرسول أن يخضع لأمره، فما كان من الملك إلا أن حرَّض الجند ليضربوا القديس، وفى إحدى المرات بينما كان هو خارج من تقديم عشاء الرب، هاجمه الجند وضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات.

أما الأميرة أفجانيا فحاول الملك أن يخضعها بقوة السحر فلم يستطع، ولما عزم على قتلها، اعتراه مرض عضال، ثم أصيب بالجنون وقتل نفسه.

وقد ذكر كليمندس الإسكندرى من القرن الثانى أن القديس متى كان يعكف كثيراً على الصلاة والصوم، وأنه كان ناسكاً يقتات بالبقول والحبوب.

وقد خدم فى بلاد أثيوبيا حوالى ٢٠ سنة واستشهد فيها.

✣ ✣ ✣ ✣

٩- يعقوب بن حلفى

انظر بند رقم ١٨ من هذا الفصل.

✣ ✣ ✣ ✣

١٠- تدّاوس الرسول (يهوذا ليس الإسخريوطى)

(أ) خلفية عن وجوده مع الرسل.

(ب) كرازته.

(جـ) استشهاده .

(أ) خلفية عن وجوده مع الرسل

يرد اسمه فى قائمة الإثنى عشر رسولاً بحسب إنجيل متى هكذا: «ولبَّاوس الملقب تدّاوس»(متى ١٠: ٣) وفى إنجيل مرقس «تَدّاوس» (مرقس٣:١٨) وفى إنجيل لوقا وسفر الأعمال يدعى «يهوذا أخا يعقوب» (لوقا ٦: ١٦، أع ١:١٣) .أما إنجيل يوحنا فيسميه «يهوذا ليس الإسخريوطى» (يو ١٤: ٢٢).

ولا تذكر الأناجيل قصة دعوته لاتباع الرب يسوع مثلما ذُكرت دعوة بطرس ويوحنا وأندراوس ويعقوب ومتى وفيلبس وبرثولماوس، ولكن الأناجيل أوردت اسمه كأحد الرسل الذين عيَّنهم الرب يسوع «ليكونوا معه ليرسلهم ليكرزوا» (مرقس ٣:١٤)، وكلمة «تَدّاوُس» كلمة أرامية معناها «محبوب أو



عزيز»، أما كلمة «لبَّاوس» فهى كلمة عبرية لها نفس المعنى «حبيب».

ويسجل إنجيل يوحنا حواراً حدث بين تَدَّاوُس (يهوذا ليس الإسخريوطى) وبين الرب يسوع، وذلك عندما قال الرب للتلاميذ بعد العشاء فى ليلة صلبه «الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى» عندئذ سأله يهوذا ليس الإسخريوطى، تَدَّاوُس، ياسيد ماذا حدث حتى أنك مزمع أن تظهر لنا ذاتك وليس للعالم، فأجاب يسوع وقال له إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً(يو ١٤: ٢١ - ٢٣).

وكان يهوذا مع الأحد عشر رسولاً فى العلية عندما ظهر لهم يسوع بعد قيامته من الأموات وامتلأ بالفرح معهم لرؤية المسيح الحى. وبعد صعود الرب إلى السماء كان معهم فى العلية (أعمال ١: ١٠) مواظبين على الصلاة بنفس واحدة فى انتظار الروح القدس.

(ب) كرازته

بعد حلول الروح وامتلاء تَدَّاوُس بالقوة من الأعالى تحقيقاً لوعد الرب- بعد ذلك بفترة غير طويلة- ترك تداوس أورشليم وبشَّر فى اليهودية والسامرة وفى بلاد سوريا وما بين النهرين (العراق حالياً) وبلاد جنوبى أرمينيا والرها وبلاد فارس.

ويذكر مؤرخو كنيسة أرمينيا أن يهوذا تدَّاوس الرسول هو أول من بشَّر بالمسيح فى أرمينيا، وأنه قضى هناك حوالى خمس عشرة سنة من ٣٥ - ٥٠ م وأن القديس برثولماوس (نثنائيل الرسول) قد ذهب بعده إلى أرمينيا أيضاً حيث بشَّر هناك حتى سنة ٦٠م.

وبعد أرمينيا وأديسا (الرها) ذهب القديس تَدَّاوُس إلى بلاد فارس (فى الجزء الذى كان فى ذلك الوقت ضمن بلاد أرمينيا القديمة وهو الآن جزء من شمالى إيران عند حدودها مع جنوبى روسيا) حيث بشَّر هناك بالسيد المسيح مع القديس سمعان الغيور بعد رجوع الأخير من بريطانيا إلى فلسطين. وفى بلاد فارس كرز يهوذا (تَدَّاوُس) و سمعان رسولا يسوع المسيح مبشِّرين بالخلاص. وصنع الرب على أيديهما آيات كثيرة.

وكان «باراداش» قائد البلاد يستعد لحرب مع بلاد الهند، فطلب أن يسمع مشورتهما فى الوقت الذى كان فيه السحرة يشيرون عليه بالحرب، فأشار عليه الرسولان بأن هذه الحرب ستكون طويلة وعنيفة ودموية، وأنبآه بأن لا يتعجل بالحرب. لأن الأعداء سيحضرون فى اليوم التالى حاملين شروط الصلح، وقد تمت نبوتهما بالحرف. فعظم الرسولان فى عينى القائد ورجال بلاطه، فآمنوا بالمسيح وتبعهم فى إيمانهم كثيرون من شعب البلاد.

رسالة من ملك أديسا إلى السيد المسيح

يذكر يوسابيوس المؤرخ الكنسى الشهير فى القرن الرابع أن «أبجر» ملك أديسا (اديسا: الرها) (وهى مدينة تقع شمالى سوريا وجنوبى أرمينيا ومكانها الآن يقع جنوبى روسيا قرب البحر الأسود)، أرسل إلى السيد المسيح يدعوه إلى المجئ إلى أديسا لينجو من اضطهاد اليهود وأيضاً لكى يشفى أبجر من أمراضه. ويقول يوسابيوس إنه قد رأى هذه الرسالة فى محفوظات مدينة أديسا وأنه ترجمها بنفسه من اللغة السريانية إلى اليونانية. ثم يقول يوسابيوس إن يسوع رد على رسالة أبجر بالاعتذار عن الذهاب إلى أديسا ولكنه - أى الرب يسوع - وعد أبجر بأنه بعد صعوده سيرسل له أحد تلاميذه ليشفيه. ثم يذكر يوسابيوس أن هذا الوعد قد تحقق بعد صعود يسوع بذهاب تَدَّاوُس الرسول إلى أديسا حيث بشر هناك بالمسيح، وشفى كثيرين من بينهم. الملك أبجر الذى حاول أن يعطى هدية كبيرة من الذهب والفضة للرسول تَدَّاوُس فاعتذر عن قبولها.

وبقيا هناك عدة سنوات يبشران بكلمة الرب فانتشرت كلمة الإنجيل فى بلاد فارس انتشاراً كبيراً.

جـ- استشهاده

وصل القديس تدّاوُس مع سمعان الغيور للكرازة إلى شنعار شمالى فارس، وهناك قام عليهما السحرة وكهنة الشمس وأثاروا عليهما الشعب والحكام، فأمسكوهما وطرحوهما فى السجن، ثم عذبوهما فقتلوا تدّاوُس بالسهام والحربة، أما سمعان الغيور فنشروه بالمنشار.

✣ ✣ ✣ ✣

١١- القديس سمعان (القانوى الغيور)

(أ) اتباعه للسيد المسيح.

(ب) كرازته.

(جـ) استشهاد الرسولين سمعان وتدّاوُس.

١ - اتباعه للسيد المسيح

لقب سمعان بلقب القانوى فى إنجيل متى(١٠-٤) وفى إنجيل مرقس(٣: ١٨)، أما فى إنجيل لوقا (٦: ١٥)، وأعمال الرسل (١: ١٣) فيلقب بسمعان الغيور.

وسبب تلقيب سمعان بلقب الغيور يرجع إلى انتمائه أصلاً إلى حركة «الغيورين» قبل اتباعه للرب يسوع، هذه الحركة كانت إحدى الحركات اليهودية المتطرفة والتى كانت تسعى إلى طرد الرومان من فلسطين بالعنف وبالثورة. ويبدو أنه عندما التقى بالسيد المسيح، وجد فيه «المخلص» «المسيّا» الذى سيرد المُلك إلى إسرائيل، وينتصر على الرومان بدون استخدام العنف، ومن المرجح أن يكون هو الذى سأل الرب يسوع- بعد القيامة- نيابة عن التلاميذ قائلاً «يارب هل فى هذا الوقت ترد المُلك إلى إسرائيل»(أعمال١:٦) وكان رد المسيح على التلاميذ حاسماً فى انتزاع هذه الفكرة من عقول الرسل وبخاصة سمعان الغيور عندما قال لهم إنه ليس لهم أن يعرفوا زمن رد المُلك إلى إسرائيل، بل أن ينحصر اهتمامهم فى الكرازة بإنجيل المسيح لكل العالم بعد أن ينالوا قوة من الروح القدس.

(ب) كرازته

تذكر مراجع تاريخ الكنيسة فى العصور الأولى أن القديس سمعان الرسول بعد حضوره حلول الروح القدس يوم الخمسين مع بقية الرسل والتلاميذ وامتلائه بالقوة حسب وعد المسيح لهم، ترك أورشليم - بعد فترة من الوقت - وسافر للكرازة بالإنجيل فذهب إلى مصر ثم شمالى أفريقيا (قرطاجنة)، ومن هناك سافر إلى أسبانيا، وبعد ذلك اتجه شمالاً وبشّر بالإنجيل فى الجزر البريطانية مع القديس يوسف الرامى، وكان تبشيره فى بريطانيا فى نحو سنة ٥٠م .

ولم يستمر هناك فترة طويلة بسبب ظروف الحرب البوديكية Boaddicean War التى وقعت فى بريطانيا فى ذلك الوقت.

ولكن هناك دلائل تاريخية وأثرية تؤكد أن بعض البريطانيين آمنوا على يديه، وكان لهم كنيسة يعبدون فيها ترجع إلى ما قبل القرن الثانى، وقد أكتشفت بقاياها فى حفريات اكتشفت حديثاً.

(جـ) استشهاد الرسولين سمعان وتدّاوُس

رجع القديس سمعان الرسول من بريطانيا إلى فلسطين. ومن هناك ذهب ليبشّر بالإنجيل مع تدّاوُس الرسول أحد الإثنى عشر أيضا، ويذكر التاريخ القديم للكنيسة أنهما بشّرا معاً فى سوريا وفى ما بين النهرين (العراق حالياً) ثم بعد ذلك ذهبا للتبشير فى بلاد فارس، وبعد أن بشّرا هناك استشهدا فى تلك البلاد فمات سمعان منشوراً بالمنشار، أما تدّاوُس

فقد قُتل بالسهام والحربة.

وقد دفُن جسد القديسين سمعان الغيور وتَدّاوُس معاً، واختلطت عظامهما وهى محفوظة فى قبر كبير بكنيسة القديس بطرس بروما، وأجزاء من هذه العظام محفوظة فى كنيسة القديس ساتورنيوس بأسبانيا، وأجزاء أخرى منها كانت فى دير القديس نوربت بكولونيا فى ألمانيا حتى وقت تدميره فى الحرب العالمية الثانية.

✣ ✣ ✣ ✣

١٢- يهوذا أخو الرب

جاء ذكر الرسول يهوذا فى كل من(متى١٣:٥٥) وفى مرقس (٦ :٣)، والاسم يعنى فى اليونانية علاقة النسب من الدرجة الأولى، على أنه قد يعنى أيضاً «أخ» أو «أخت» بنفس الترتيب أى يأتى **أولاً** بمعنى المُذكر ثم **ثانياً**: بالمؤنث. واعتبر الباحثون من الكاثوليك أن الكلمة تعنى «ابن» أو ابنة» الخال أو الخالة، وذلك من أجل توضيح تعليمهم الخاص بعذراوية مريم الدائمة، على أنه فى كلا العددين المذكورين سابقاً، وكذلك ما جاء فى إنجيل (يوحنا ٦: ٤٢) فإنه يشار إلى السيدة العذراء بأنها «أم» مما لايدع مكاناً للشك أن «أخ» بمعنى قريب هو المقصود «موسوعة زوندرڤان المصورة للكتاب المقدس»، ويرجح أن يهوذا أخى الرب هو كاتب الرسالة التى تحمل اسمه (راجع رسالة يهوذا).

لا مجال للخلط بينه ويهوذا المذكور فى (يوحنا ١٤: ٢٢)، والذى يدعى تدّاوُس ولبّاوس فى(متى١٠:٣)، وفى إطار التأكيد على أقوال الرسل التى سبق أن قالوها (يهوذا ١٧) يستنتج من كلامه أنه ليس أحد التلاميذ.

كان يهوذا الرسول يتصف بالتواضع، وكان يذكر أنه أخو يعقوب وعبد يسوع المسيح، وقد أعلن فى رسالته حقائق لم تُذكر من قبل فى الكتب المقدسة (راجع ٩ ،١٤ ، ١٥).

✣ ✣ ✣ ✣

١٣- بولس الرسول

أ ـ نشأته.

ب ـ اضطهاده للكنيسة قبل الإيمان.

جـ ـ إيمانه بالمسيح.

(أ) نشأته

كان يدعى شاول قبل إيمانه بالمسيح، وُلد فى طرسوس، ولذلك كان يتمتع بالمواطنة الرومانية وحقوق المواطن الرومانى، وكان يتقن اليونانية نظراً لنشأته فى طرسوس التى كانت بها جامعة طرسوس العظيمة. فكانت ملتقى أجناس مختلفة من الشرق والغرب، وكانت تتحدث اليونانية، كان والده فريسياً (أعمال ٢٣: ٦).

درس بولس الشريعة فى أورشليم على يد غمالائيل أعظم معلمى اليهود، الذى حقق شهرة كبيرة لعلمه الغزير وسعة أفقه.

(ب) اضطهاده للكنيسة

كان شاول يضطهد المسيحيين، وكان راضياً بقتل استفانوس، حيث كان المضطهدون الذين رجموا استفانوس يخلعون ثيابهم عند رجلى شاول (راجع أعمال ٧: ٥٨ ، ٨:١)، واستمر شاول فى اضطهاده للكنيسة بعد رجم استفانوس «وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن»(أعمال ٨:٣)، وقد امتد اضطهاده حتى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة (أعمال ٢٦: ١٢).

(جـ) إيمانه بالمسيح

يعتبر إيمان شاول بالمسيح علامة مهمة فى تاريخ الكنيسة الأولى، وقد وردت حادثة الرؤية التى ظهرت له وهو فى

طريقه إلى دمشق ثلاث مرات، مرة يذكرها لوقا البشير (أعمال ٩: ٤-٨)، ومرتان يذكرهما بولس فى أعمال(٢٢: ٥-١٦، ٢٦: ١٢-١٨)، وأصبح شاول المضطهِد أعظم كارز فى تاريخ المسيحية.

(قصة حياة بولس الرسول: أسفاره وكرازته وسجنه وردت فى الفصل الثانى من الباب الأول، وكذلك يمكن مراجعة الرسائل التى كتبها فى موضعها من هذا المجلد.

طرسوس

مدينة تقع على نهر كيدنوس Cydnus فى سهول كيليكية، وتقع على بعد نحو (١٦) كيلو متراً من ساحل البحر المتوسط، وما خلفته السنون من آثار للمدينة، يجعلنا نستنتج أن المدينة كان يقطنها نحو ما لايقل عن نصف المليون من السكان فى عصر الرومان. كان نهر كيدنوس صالحاً للملاحة، غير أن السفن كانت ترسو على الميناء الذى يقع على بعد نحو(١٠) كيلو مترات إلى الجنوب من المدينة، وكان الميناء معروف بالمهارة فى تشييد أرصفته والمنشآت التى تحيط به، وكان ثمة طريق رئيسى يقود إلى الشمال، حيث «بوابات كيليكية»، المعبر المعروف الذى يقطع جبال طوروس، ويقع على بعد نحو (٥٠) كيلو متراً من المدينة.

وتمر به الطرق التجارية بين سوريا وأسيا الصغرى، وكان سبباً فى ثراء مدينة طرسوس.

إننا لانعرف شيئاً عن أصل المدينة ونشأتها، إلاّ أنه يرجع أنها كانت مدينة كيليكية أساساً، قام اليونانيون بغزوها واستعمارها، واسم موبسوس Mopsus يرتبط تقليدياً بالمستعمرات اليونانية فى كيليكية، وربما تشير - كما يرى المؤرخ رامساى إلى مستعمرات أيونية مبكرة، وربما يؤيد هذه النظرية ما جاء فى تكوين(١٠: ٤)، «وبنوا ياوان أليشه وترشيش وكتيم»، حيث يرى المؤرخ يوسيفوس أن ترشيش هى «طرسوس»، ومع ذلك فهذا الرأى لايحول دون وجود تفسيرات مختلفة، فى سياقات أخرى، ويُرفض هذا الرأى نظراً للقدم الشديد لسفر التكوين، وربما يكون برهاناً على تدخل أيونى مبكر.

ويوجد ذكر متقطع فى التاريخ عن طرسوس، فكما هو مسجل على المسلة السوداء المحفوظة فى المتحف البريطانى والخاصة بالملك شلمنأسر Shalmaneser الثالث، الملك الأشورى فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد أنه استولى على المدينة وحكمها. ثم بعد ذلك حكمها المديانيون والفُرس، ويصف زينوفون Xenophon نحو سنة ٤٠١ ق.م. طرسوس بأنها «المدينة العظيمة» التى يقع فيها قصر الملك سينيزيس Syeannesis. وقد خُلع هذا الملك نظراً لاشتراكه مع حركة كورش Cyrus(الأصغر) المتمردة، والتى كانت سبباً فى انتقال زينوفون وعشرة آلاف آخرين إلى كيليكية.

وقد وجد الإسكندر الأكبر فى نحو سنة ٣٣٤ ق.م. عندما أراد أن يضمها إليه أن المنطقة واقعة تحت حكم مرازبة الفرس، وثمة بعض المؤشرات التى تدل على تأثرها بالنفوذ الإغريقى والشرقى، ولا توجد حتى ذلك الحين أى مؤشرات على حكم ذاتى.

وبعد الإسكندر، منح ملوك السلوقيين طرسوس حكماً ذاتياً، وما يتبع ذلك من حرية، وإنه لمن المحتمل أن ذلك حدث نتيجة للصدمة التى أصابت الرومانيين نتيجة لانهزام أنطيوكس الكبير(الرابع). فحل السلام فى سنة (١٨٩ ق.م.) إلا أن ثمة رأياً آخر يرد ذلك لتمرد أهلها لأن أنطيوكس وهب أهل المدينة عبيداً لعشيقته أنطيوكيس، ولإنهاء ذلك التمرد، منح طرسوس شكلاً من الحكم الذاتى، ويبدو أن سوريا أيضاً مُنحت نوعاً من الحكم الذاتى مثل طرسوس، وقدرة طرسوس مسقط رأس القديس بولس على التوليف بين الشرق والغرب، اليونانى والشرقى ترجع إلى هذا الوقت.

وما ورد من سفر المكابيين الثانى (٤: ٣٠-٣٦) يكشف عن الاستقلال السريع، وعن إعادة التنظيم والتى حصل عليها أهل طرسوس المتمردون من أنطيوكس أبيفانوس فى سنة ١٧١ ق.م. وتكوين «عشيرة» اليهود بعد عصر الإسكندر ربما يرجع إلى ذلك الوقت.

وتاريخ مدينة طرسوس غامض خلال القرن الثانى قبل الميلاد، غير أن تاريخها خلال القرن الأول قبل الميلاد معروف على نحو أفضل.

فقد بدأ تغلغل الرومان فى كيليكية فى سنة ١٠٤ ق.م. وأصبحت مستعمرة رومانية عندما ضمها بومبى إلى الامبراطورية الرومانية، فى عام ٦٥ أو ٦٤ ق.م. ويرجح أن منح المواطنة الرومانية للطرسوسيين تم فى عهده، وقد حكمها شيشيرون فى سنة ٥١ ق.م. وكان عليه أن يحمى ساحل كليكية من القرصان، وأن يحمى البلاد والمصالح الرومانية. وقد جعلها أنطونيوس مدينة حرة فى سنة ٤١ ق.م. وأعفاها من الضرائب، وقد ازدهرت المدينة ولعبت دوراً مهماً فى الحروب الأهلية. وقد زارها أنطونيو وكانت الأثيرة لأوغسطس قيصر، لأنها مدينة أثينودورس Athendrorus معلّمه وصديق عمره. وقد عُرفت طرسوس بجامعتها العظيمة والتى كانت تبارى جامعتى الإسكندرية وأثينا فى الشهرة، كما كانت تشتهر بصناعة الكتان إلى جانب صناعة الخيام، التى كان يمارسها القديس بولس.

✣ ✣ ✣ ✣

١٤- متياس الرسول

(أ) خلفية عن وجوده مع الرسل.

(ب) كرازته فى أورشليم.

(جـ) كرازته خارج فلسطين.

(أ) خلفية عن وجوده مع الرسل

يأتى ذكر متياس الرسول لأول مرة فى العهد الجديد، فى سفر أعمال الرسل حينما قرر رسل المسيح القديسون بعد صعود رب المجد إلى السماء أن يختاروا واحداً عوضاً عن يهوذا الإسخريوطى. وقال بطرس الرسول فى وسط جماعة الرسل «فينبغى أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذى فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذى ارتفع فيه عنا، يصير واحداً منهم شاهداً معنا بقيامته. فأقاموا اثنين يوسف الذى يدعى بارسابا الملقب يوستس ومتياس، وصلوا قائلين أيها الرب العارف قلوب الجميع عيِّن أنت من هذين الاثنين أيًا اخترته، ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التى تعداها يهوذا ليذهب إلى مكانه، ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحُسب مع الأحد عشر رسولاً (أعمال ١: ٢١ - ٢٥).

وبذلك صار متياس هو الرسول الثانى عشر بدلاً من يهوذا الإسخريوطى الخائن.

ويظهر من الوصف الذى يسجله سفر الأعمال لمن ينتخب ليصير مُكملاً لعدد الرسل أن يكون قد تتلمذ للمسيح منذ معمودية يوحنا المعمدان وحتى صعود المسيح إلى السماء، وعلى هذا الأساس لابد أن يكون متياس أحد التلاميذ الأوَّلين من غير الاثنى عشر. ولذلك يرجح يوسابيوس المؤرخ الكنسى (القرن الرابع) أن متياس كان أحد السبعين رسولاً الآخرين الذين اختارهم يسوع (لو ١٠: ١)، ومن المرجح أيضاً أن يكون متياس قد تتلمذ على يوحنا المعمدان مثل أندراوس ويوحنا الحبيب، قبل أن يصير تلميذاً للمسيح.

وهكذا كان متياس أحد الذين تبعوا المسيح ولازموه أيام خدمته على الأرض وخدم مع الرب وكرز بملكوت الله فى فترة خدمة المسيح فى بلاد اليهودية، وكان مع الرسل بعد صعود المسيح من بين المئة والعشرين اسماً الذين كانوا يجتمعون فى

العلية للصلاة فى انتظار حلول الروح القدس، ولما وقعت عليه القرعة وصار الرسول الثانى عشر مع الرسل كان ذلك قبل يوم الخمسين.

(ب) كرازته فى أورشليم

فى يوم الخمسين امتلأ متياس، مع بقية الرسل، بالروح القدس، وبقى معهم فى أورشليم يشهد بقيامة المسيح، ويكرز باسمه فى فترة السنوات الأولى بعد حلول الروح على الرسل، ولكن سفر الأعمال لا يسجل لنا شيئاً عن كرازة متياس الرسول الخاصة.

(جـ) كرازته خارج فلسطين

بعد السنوات الأولى للكرازة فى أورشليم واليهودية مع باقى الرسل، ذهب متياس بإرشاد الروح القدس ليكرز بين يهود الشتات أى بين اليهود الساكنين فى وسط شعب الأمم الوثنية خارج فلسطين، ويخبرنا تاريخ كنيسة أرمينيا. أن متياس هو أحد خمسة من الرسل الذين اشتركوا فى تبشير أرمينيا وهم: تدّاوُس، وبرثولماوس، وسمعان القانوى، وأندراوس، ومتياس أى أن متياس بدأ يبشر أيضاً الوثنيين، بالإضافة إلى يهود الشتات، فذهب إلى منطقة يسكنها قوم من آكلى لحوم البشر تقع جنوبى البحر الأسود وربما كانت إحدى مقاطعات أرمينيا. وصار يبشرهم بالمسيح مخلص العالم، وبعد قليل قبضوا عليه وألقوه فى السجن. وفى أثناء تلك الفترة أرسل الله أندراوس الرسول الذى زاره فى السجن. ورأى العذاب الذى يقع عليه. وبعد ذلك حينما حاول أهل تلك المدينة أن يقبضوا على أندراوس الرسول. صلّى هو ومتياس إلى الرب فتفجرت المياه وأغرقت المدينة مما جعل أهل المدينة يأتون باكين أمام أندراوس ومتياس معترفين بخطاياهم. وعندئذ أرشدهم الرسولان أن يؤمنوا بالرب يسوع المسيح لكى يخلصوا، فآمنوا جميعاً وأطلقوا سراح القديس متياس، ثم صلّى الرسولان إلى الرب فانحسرت المياه عن المدينة، وبعد ذلك صرف متياس وأندراوس فترة من الوقت بين شعب تلك البلاد بعد أن عمداهم باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس. وصليا لأجلهم إلى المسيح فنزع منهم الطبع الوحشى ورسموا لهم أسقفاً وبعض القسوس لرعايتهم. وبعد أن أقاما عندهم فترة من الوقت تركاهم، وكان المؤمنون يسألونهما هما سرعة العودة إليهم. ويذكر كتاب «استشهاد القديس متياس» الذى يرجع إلى القرن الثالث أن متياس الرسول ذهب إلى مدينة دمشق وبشّر فيها بالمسيح. وأنه تعرّض لآلام شديدة هناك، ولكن بعض أهل المدينة آمنوا بواسطة كرازته فعمّدهم وأقام لهم قسوساً، وبعد ذلك رجع متياس إلى اليهودية وخدم بين اليهود فترة قصيرة فى أورشليم وما حولها، وهناك قام عليه اليهود ورجموه بالحجارة حتى الموت، ودُفن فى مدينة تدعى فاليون باليهودية، وكان ذلك فى سنة ٦٤ م.

رفات القديس متياس

يذكر تقليد كنيسة الروم الأرثوذكس، وكذلك تقليد كنيسة روما الكاثوليكية أن جسد متياس الرسول كان مدفوناً فى اليهودية منذ استشهاده وحتى عصر الملك قسطنطين حينما قامت الملكة هيلانة بنقل رفاته إلى روما. ويذكر تقليد كنيسة روما أن أجزاء من رفات القديس متياس قد نُقلت من روما إلى مدينة تريف (الآن ترير) بألمانيا. حيث بُنيت كنيسة باسم متياس الرسول وضُعت فيها رفاته منذ القرن الثانى عشر وما تزال هذه الأجزاء موجودة فى هيكل جانبى بدير كنيسة القديس متياس فى ترير، وهكذا فإنه يوجد مكانان لرفات القديس متياس الرسول أى فى روما وفى ترير إلى الآن.

✣ ✣ ✣ ✣

١٥- لوقا البشير

(أ) نشأته.

(ب) إيمانه بالسيد المسيح.

(جـ) كرازته.

(د) لوقا الكاتب الأديب.

(هـ) سنواته الأخيره واستشهاده.

هو كاتب الإنجيل الثالث، وكاتب سفر أعمال الرسل أيضاً، وهو ليس من الرسل الاثنى عشر.

وكان مصاحباً لبولس الرسول فى أسفاره الكرازية وشريكاً له فى كرازته وأتعابه.

(ا) نشاته

ليس لدينا معلومات أكيدة سواء من الإنجيل أو من تقليد الكنيسة الأولى عن الموطن الأصلى للقديس لوقا. ولكن يرجح أنه من مدينة أنطاكية فى سوريا حيث يذكر المؤرخ الكنسى يوسابيوس أن لوقا كانت له علاقات عائلية فى أنطاكية. وعلى هذا الأساس يكون لوقا الإنجيلى من أصل سورى ولم يكن يهودى الأصل، بل كان وثنياً قبل أن يؤمن بالسيد المسيح. وكان لوقا من بيئة مثقفة، وكان يتكلم ويكتب اللغة اليونانية بسهولة وطلاقة وهى لغة الثقافة فى عصر الإنجيل. وقد درس لوقا الطب فى ذلك الوقت وصار طبيباً.

(ب) إيمانه بالمسيح

لم يسجل لنا الإنجيل شيئاً محدداً عن كيفية دخول لوقا فى الإيمان بالمسيح واتباعه، فهو لم يكن من التابعين الأول الذين عاشروا الرب يسوع المسيح أيام خدمته له المجد على الأرض.

ومن المرجح أن يكون لوقا قد عرف المسيح وآمن به على أيدى التلاميذ الذين ذهبوا من أورشليم إلى أنطاكية، وكانوا يبشرون باسم الرب يسوع هناك حوالى سنة ٣٥م (انظر أع ١١:١٩-٢١).

أى عقب الاضطهاد الذى أثاره اليهود على الكنيسة فى أورشليم والذى فيه قُتل استفانوس أول الشمامسة (الخدام).

(جـ) كرازته

يظهر من سفر أعمال الرسل الذى كتبه القديس لوقا بعد الإنجيل لكى يكمل تاريخ المسيحية بعد قيامة الرب يسوع وصعوده إلى السماء. ويذكر انتشار الإيمان بواسطة الرسل القديسين والجهاد والأتعاب التى عانت منها الكنيسة الأولى وانتصارها الروحى فى وسط الضيقات والمقاومات التى تعرضت لها.

ويظهر من سفر أعمال الرسل أن لوقا قد التقى بالرسول بولس فى مدينة ترواس خلال رحلة بولس الرسول الثانية (يمكنك الرجوع إلى الرحلة الثانية لبولس الرسول لتتبع ذلك فى ميلاد الكنيسة). إذ فى هذه المدينة يبدأ القديس لوقا فى كتابته باستخدام ضميرالجمع وذلك حينما ظهرت لبولس رؤيا فى الليل رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول اعبر إلى مكدونية وأعنّا، فلما رأى (بولس) الرؤيا للوقت **طلبنا** أن نخرج إلى مكدونية متحققين أن الرب قد **دعانا لنبشرهم**، **فأقلعنا** من ترواس ... إلى فيلبى، **فأقمنا** فى هذه المدينة أياماً (أع ١٦: ١٢ - ١٠). ومنذ ذلك الوقت صار رفيقاً وشريكاً لبولس الرسول فى الكرازة بالمسيح. وقد مكث القديس لوقا فترة فى فيلبى، بعد أن تركها بولس وسيلا، يخدم هناك إلى أن رجع القديس بولس إلى فيلبى فى مقاطعة مكدونية مرة ثانية فى رحلته التبشيرية الثالثة (من سنة ٥٤م - ٥٨ م) (أع ٢٠: ٣-٥) ثم رافق بولس بعد ذلك وظل ملازماً له لم يفارقه ربما حتى آخر أيام بولس الرسول قبل استشهاده

(أي حوالى أكثر من عشر سنوات. إذ رافق بولس الرسول فى عودته للمرة الأخيرة إلى أورشليم، وكان قريباً منه فى فترة سجنه فى قيصرية، كان يخدم الرسول بولس ويواسيه. ثم سافر معه إلى روما لماأرسل الرسول مقيداً تحت الحراسة إلى عاصمة الامبراطورية الرومانية. وبقى بقربه فى روما خلال مدتىْ السجن الأولى والسجن الثانية، ولكن لوقا لم يسجن مع بولس بل بقى حراً، وكان الصديق الوفى الحبيب لبولس الرسول، كما يسميه الرسول بولس فى رسالته إلى كولوسى «لوقا الطبيب الحبيب» (كورنثوس ٤: ١٤). بل ويذكر بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس والذى كتبها وهو فى فترة السجن الثانية فى روما أنه لم يبق معه أحد من الأصدقاء هناك سوى لوقا «لوقا وحده معى» (تيموثاوس الثانية ٤: ١١). كما يذكره الرسول بولس فى الرسالة إلى فليمون كواحد من العاملين معه «ومرقس وأرسترخس وديماس ولوقا العاملون معى».

لاشك أن لوقا **الطبيب** كان نافعاً جداً لبولس الرسول فى أمراضه الجسدية ومجهوداته وأتعابه الكثيرة.

(د) لوقا الكاتب الأديب

كان القديس لوقا كاتباً أديباً يكتب اليونانية بسهولة، وأسلوبه فى الكتابة أسلوب أدبى جميل، والإنجيل الذى كتبه بإلهام الروح القدس هو أطول الأناجيل الأربعة من ناحية الحجم ، كما أنه أكثرهم جمالاً فى الأسلوب الأدبى اليونانى.

كما أن الإنجيل حسب القديس لوقا يتميز بالحرص على الدقة التاريخية، إذ يحاول أن يربط أحداث المسيح العظيمة بالتواريخ المدنية المعاصرة فى الامبراطورية الرومانية تحت حكم أوغسطس قيصر، وخلفائه، وهو نفسه يشير إلى اهتمامه بالتدقيق التاريخى فى افتتاحية الإنجيل قائلاً: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلّمها إلينا ، الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول. بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاؤفيلس لتعرف صحة الكلام الذى عُلِّمت به» (لو١: ١-٤).

ومن خصائص الإنجيل حسب لوقا أنه يهتم بإبراز الرحمة والحنان الإلهى نحو الإنسان مجسدة فى أعمال الرب يسوع التى سجلها مبيناً إشفاق المسيح ومحبته للخطاة. وبخاصة عطفه الذى أبداه نحو الوثنيين، أى الأمم غير اليهود ، فإنجيل لوقا هو تصوير جميل لحياة الرب يسوع على الأرض، وبصفته طبيب البشرية كلها ومخلص العالم كله.

أما كتاب أعمال الرسل الذى كتبه القديس لوقا الإنجيلى، فهو كما يذكر هو نفسه فى بدايته يعتبر تكميلاً وامتداداً طبيعياً للإنجيل بعد صعود السيد المسيح إلى السماء. وهو يبين أعمال الروح القدس التى عملها فى نشر وامتداد الإيمان

لوقا الطبيب الفنان

عرفنا من شهادة الرسول بولس عنه أنه كان طبيباً (كو ٤: ١٤). ولكن مصادر التقليد المسيحى بعد عصر الرسل مباشرة تذكر أن لوقا كانت له أيضاً مواهب فنية فى الرسم، وأنه رسم أيقونات يصوِّر فيها حياة السيد المسيح، ورسم السيد المسيح مصلوباً، كما رسم أيقونات للعذراء مريم وللرسل، ويذكر تقليد الكنيسة السريانية الأرثوذكسية أن هناك أيقونة ماتزال تحتفظ بها وهى عبارة عن رسم للسيدة العذراء مريم وهى تحمل السيد المسيح، وهى من رسم القديس لوقا نفسه. وماتزال الأيقونة محفوظة فى الكنيسة السريانية بالقدس، كما أن إنجيل القديس لوقا كان مصدراً لإلهام الرسامين المسيحيين فى العصور الأولى إذ كانوا يأخذون من مادته لرسم صورهم.

بالمسيح خارج اليهودية أى فى أنطاكية، ثم أسيا الصغرى، ثم فى بلاد اليونان وقبرس، وأوربا وحتى وصول الرسول بولس إلى مدينة روما.

ويعتبر الكتابان: أى الإنجيل، سفر أعمال الرسل هما أول سجل لتاريخ الكنيسة المسيحية حيث كتبهما القديس لوقا.

(هـ) سنواته الأخيرة واستشهاده

بعد استشهاد الرسول بولس فى روما فى سنة ٦٧م فى عهد نيرون الطاغية. ذهب القديس لوقا للتبشير فى عدة مواضع فى بلاد اليونان. وتذكر مصادر التاريخ أنه عاش إلى أن بلغ من العمر ٨٤ عاماً، وأنه مات مصلوباً مع القديس أندراوس فى مدينة بترا، أو فى مدينة إيلايا فى اليونان.

✣ ✣ ✣ ✣

١٦- برنابا الرسول

(أ) نشأته وخلفيته.
(ب) خدمته مع بولس.
(جـ) افتراق برنابا عن بولس.

(أ) نشأته وخلفيته

وُلد لاوى فى قبرس، وكان عضو الكنيسة الأولى فى أورشليم، ومرقس الذى كان يعيش فى أورشليم هو ابن أخته (كولوسى ٤: ١).

كان اسمه يوسف، وأطلق عليه الرسل لقب «برنابا»، والكلمة اليونانية مأخوذة عن الأرامية وتعنى «ابن النبوة»، وقد ترجمها البشير لوقا «ابن الوعظ»، وهى تعنى ابن التشجيع أو التعزية، وفى ذلك إشارة إلى شخصيته وصفاته (أعمال ٤: ٣٦).

يأتى أول ذكر للرسول برنابا لأنه باع الحقل الذى كان يمتلكه (ربما فى قبرس ؟) وأعطى النقود للرسل وذلك من أجل الفقراء من المؤمنين (أعمال ٤: ٣٧).

ثم يذكر بعد ذلك عودته إلى أورشليم فى السنة الثالثة بعد إيمانه بالمسيح، وقدمه للتلاميذ الذين لم يكونوا مصدقين ذلك، وربما يشير ذلك إلى أن برنابا كان يعرف بولس قبل ذلك، ربما عندما كانا يدرسان معاً فى طرسوس، وهذا مجرد تخمين.

(ب) خدمته مع بولس

بعد أن سمعت الكنيسة فى أورشليم أن بعض الذين تشتتوا من جراء الضيقة التى حصلت بسبب استفانوس اجتازوا إلى أنطاكية للكرازة، أرسلوا برنابا لكى يعضدهم ويعاونهم (أعمال١١: ١٩-٢٢). لما رأى برنابا نعمة الله، وأن الظروف مشجعة هناك، خرج إلى طرسوس ليطلب شاول. ولما وجده جاء به إلى أنطاكية (أعمال١١: ٢٣ - ٢٥). وكان لخدمتهما معاً نتائج طيبة، فكانت الكنيسة تنمو إذظلا يخدمان هناك سنة كاملة، ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً (أعمال ١١: ٢٦) وقد أرسلت الكنيسة فى أنطاكية بعض العطايا ـ لخدمة الإخوة الساكنين فى أورشليم ـ إلى المشايخ بيد برنابا وشاول (أعمال ١١:٢٩و٣٠)، ويرى بعض الدارسين أن تلك الزيارة التى قام بها برنابا وشاول هى نفسها التى ذكرها الرسول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية (٢:١-١٠)،إلاَّ أن تلك الزيارة كانت على الأرجح فى وقت انعقاد مجمع أورشليم (أعمال١٥).

والقائمة التى وردت فى (أعمال ١٣: ١) عن الأنبياء والمعلمين تتضمن أن برنابا كانت له خدمة معروفة، وقد أذعنت الكنيسة فى أنطاكية للروح القدس الذى قال لهم: «افرزوا لى برنابا وشاول»، وأطلقوهما فى رحلة كرازية (أعمال ١٣:

١-٣).

دُعي برنابا رسولاً في (أعمال ١٤: ١٤)، ويبدو أنه كان معروفاً في رحلته الكرازية التي قام بها مع بولس الرسول (أع ١٣: ٧)، وقد ذُكر برنابا مرة أخرى، وذلك حينما شَفى بولس في لسترة رجلاً عاجز الرجلين، فظنت الجموع أن بولس وبرنابا من الآلهة، فكانوا يدعون برنابا زفس (زيوس ZEUS) وبولس هرمس HERMES لأنه كان هو المتقدم في الكلام (أعمال الرسل ١٤:١٢). فكانوا يعتبرون أن برنابا هو الإله وأن بولس مجرد معاون ومتحدث عنه.

كان الرسول برنابا يتمتع بمكانة رفيعة في أورشليم حتى إن ذكره كان يأتي قبل ذكر الرسول بولس .. وكذلك ذُكر برنابا في الخطاب الذي صدر عن المجمع في أورشليم (أعمال الرسل ١٥: ٢٥)، وقد أعطاه الرسل المعتبرون أعمدة، يمين الشركة هو وبولس (غلاطية ٢: ٩).

القديس برنابا

يعتبر التقليد أن برنابا أحد السبعين تلميذاً، ويذكر أنه استشهد في قبرس، وإليه يعزى العلامة ترتلياوس السكندري أنه كاتب الرسالة التي تحمل اسمه ، وهاتان الإشارتان تشيران إلى التقدير الكبير الذي ظل يلازم الرسول برنابا.

(جـ) افتراق برنابا عن بولس

استمر برنابا وبولس في كرازتهما في أنطاكية، اقترح الرسول بولس أن يعودا ليفتقدا الكنائس التي بشَّرا فيها، فأراد برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذي يدعى مرقس والذي فارقهما في بمفيلية وعاد إلى أورشليم (أعمال ١٣:١٣). وأن يعطوه فرصة أخرى، أما الرسول بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما. وافترق كل منهما عن الآخر على أثر المشاجرة التي حدثت بينهما، وسافر برنابا الذي أخذ معه مرقس في البحر إلى قبرس (أعمال ١٥: ٣٦-٤١). وكان ذلك هو آخر ما ذكر عن الرسول برنابا.

انتهت العلاقة التي ربطت بين برنابا وبولس في الكرازة، إلاَّ أن الصداقة التي بينهما استمرت فقد امتدح الرسول بولس اتّباع برنابا لمبدأ الاعتماد على الذات، نفس المبدأ الذي تبنّاه بولس الرسول (راجع كورنثوس ٩: ٦).

✣ ✣ ✣ ✣

١٧- مرقس البشير

(أ) نشأته.

(ب) اتباعه للسيد المسيح.

(جـ) كرازته.

(د) تبشيره في ليبيا ومصر.

(هـ) كرازته في الإسكندرية.

(و) عودته إلى الاسكندرية.

(ز) استشهاده.

(أ) نشأته

وُلد في مدينة القيروان، إحدى الخمس المدن الغربية بشمالي أفريقيا ، وهو من أسرة يهودية تقية، ولما أغارت إحدى القبائل الهمجية على مدينة القيروان، ونهبوا أهلها. اضطرت عائلة مرقس للرحيل إلى أورشليم حيث شب مرقس، في الوقت الذي كان فيه الرب يسوع يبدأ خدمته الكرازية في فلسطين.

(ب) اتباعه للسيد المسيح

تعرَّف مرقس بالمسيح عن طريق الرسول بطرس الذي كانت زوجته ابنة عم مرقس وصار أحد التلاميذ السبعين الذين أرسلهم الرب يسوع اثنين اثنين أمام وجهه (لوقا ١٠: ١). وفي بيت مرقس صنع الرب يسوع العشاء الرباني في ليلة



آلامه، وفى العلية التى فى بيت مرقس حَلَّ الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين ، ويذكر سفر الأعمال أن التلاميذ كانوا يجتمعون ويصلون فى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس (أع ١٢: ١١-١٧).

وهكذا يعتبر هذا البيت أول كنيسة مسيحية.

(جـ) كرازته

كان أول شخص جذبه القديس مرقس إلى الإيمان بالمسيح هو والده أرسطو بولس الذى آمن بالمسيح بسبب المعجزة التى أجراها الله على يد القديس مرقس ابنه. فآمن والده أرسطو بولس بالمسيح وأعلن إيمانه أمام مرقس ابنه، كما يقول التقليد.

خدم القديس مرقس مع الرسول بطرس فى أورشليم واليهودية بعد صعود المسيح، ثم بشَّر مع الرسولين بولس وبرنابا (أع ١٣: ١-٥) فى جزء من الرحلة التبشيرية الأولى للقديس بولس، ولكنه فارقهما عند مدينة برجة بمفيليه بأسيا الصغرى (أع ١٣:١٣).

سافر بعد مجمع أورشليم الرسولى مع برنابا للخدمة فى قبرس، وخدم مع بولس الرسول نحو عام ٦٠ م فى رومية أثناء فترة السجن الأولى. إذ يتحدث عنه فى رسالة كولوسى قائلاً: «يسلم عليكم أرسترخس المأسور معى ومرقس ابن أخت برنابا الذى أخذتم لأجله وصايا، إن أتى إليكم فاقبلوه» (كو ٤: ١٠)، ويتضح من كلام الرسول بولس أن القديس مرقس ربما يكون قد ذهب إلى كولوسى للخدمة أيضاً بعد روما.

(د) تبشيره فى ليبيا ومصر

انفرد القديس مرقس بالكرازة - بحسب التقليد- فى الخمس المدن الغربية (ليبيا حالياً) ومصر، وذلك حسب توجيه الروح القدس له.

فجاء من روما إلى الخمس المدن أولاً - أى إلى موطنه الأصلى- وبشَّر فيها بإنجيل المسيح، وأجرى الله على يديه معجزات كثيرة من شفاء مرضى وإخراج الشياطين. فآمن كثيرون بالمسيح، وكسَّروا أصنامهم التى كانوا يعبدونها، فعمَّدهم باسم الآب والابن والروح القدس، وبعد ذلك أرشد الروح القدس القديس مرقس أن يذهب أيضاً إلى مصر ليكرز فيها بإنجيل المسيح، فجاء إلى الإسكندرية من ليبيا نحو سنة ٦١ م. (انظر الجزء الثانى:كنيسة الإسكندرية -مصر).

هـ ـ كرازته فى الاسكندرية

لما وصل القديس مرقس إلى الاسكندرية كان حذاؤه قد تمزق من كثرة السير على قدميه فى أسفار الكرازة والتبشير، فمال إلى إسكافى فى المدينة ليصلح له حذاءه، وبينما هو يصلحه دخل مخرز فى أصبعه ، فصرخ قائلاً: «ياالله الواحد» ففرح القديس مرقس عندما سمع هذه الكلمة، وبعد أن شفى جرح أنيانوس باسم يسوع المسيح بن الله بدأ يبشره بالمسيح مستخدماً الكلمة التى نطق بها أنيانوس عندما جُرح، ففتح الرب قلبه وآمن بالمسيح، ثم أخذ الإسكافى مرقس معه إلى بيته لكى يسمع منه أكثر عن الإيمان الجديد الذى اعتنقه، وبعد ذلك اعتمد انيانوس وكل أهل بيته على يد القديس مرقس (راجع أيضاً الباب الخاص بالإسكندرية ـ مصر فى الجزء الثانى من الموسوعة).

ثم أخذ الإيمان ينتشر بين عدد آخر، وكانت حياة المؤمنين الأوائل بالاسكندرية تتميز بعمق القداسة، وبحياة الشركة الكاملة مثل كنيسة أورشليم، وكانت قوة تأثيرهم الروحى سبباً فى ازدياد عدد الذين ينضمون إلى المسيحية مما أثار كهنة الأوثان وحكام المدينة ضد القديس مرقس حتى أنهم فكروا فى قتله، فطلب منه المؤمنون أن يبتعد عن الاسكندرية لفترة من الوقت، لذلك قام بسيامة أنيانوس أسقفاً على الاسكندرية، وذلك نحو عام ٦٢م، ورسم معه ثلاثة قسوس وسبعة من الشمامسة.

ثم غادرها إلى الخمس المدن الغربية، حيث افتقد المؤمنين فيها، وقضى فيها حوالى سنتين نظم فيها الكنيسة ورسم لهم أساقفة وقسوساً وشمامسة.

بعد ذلك ذهب القديس مرقس إلى أسيا الصغرى، إذ نقرأ للقديس بولس «لوقا وحده معى، خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لى للخدمة» (٢تيموثاوس ٤: ١١)، وهكذا ذهب مرقس مع تيموثاوس إلى رومية للخدمة هناك مع الرسول بولس أثناء سجن الرسول بولس فى الفترة الثانية فى رومية، وكان ذلك نحو سنة ٦٦م، وبقى هناك إلى وقت استشهاد الرسولين بطرس وبولس نحو سنة ٦٧م.

(و) عودته إلى الإسكندرية

رجع القديس إلى الإسكندرية فى سنة ٦٧م، فوجد أن الكنيسة قد نمت وازدهرت جداً، وبنوا لهم كنيسة فى شرقى الإسكندرية فى منطقة بوكاليا وعكف القديس مرقس على تعليم المؤمنين وتثبيتهم، كما كتب الإنجيل المسمى باسمه، وأسس المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية.

(ز) استشهاده

فى ليلة عيد القيامة فى سنة ٦٨م، بينما كان القديس مرقس مع المؤمنين يحتفلون بذكرى قيامة السيد المسيح تجمهر الوثنيون حول الكنيسة فى بوكاليا واقتحموها وقبضوا على القديس مرقس وربطوه بحبل غليظ حول وسطه. ثم أخذوا يجرونه فى شوارع المدينة فتجرح جسده وسالت دماؤه، وألقوه فى السجن وكان فى السجن يسبح الله ويشكره.

وفى اليوم التالى عاد الوثنيون مرة أخرى وأخذوا القديس من السجن وربطوا عنقه بالحبل، وأخذوا يجرونه كما فعلوا فى اليوم السابق حتى فاضت روحه الطاهرة ونال إكليل الشهادة. ولما حاول الوثنيون إحراق جسده هبت عاصفة شديدة مصحوبة بأمطار غزيرة، فأنطفأت النيران، فحمل المؤمنون جسده، ودفنوه فى كنيسة بوكاليا التى أسموها باسمه من ذلك الوقت (راجع أيضاً الإسكندرية فى موضعها من الجزء الثانى من الموسوعة).

❖ ❖ ❖ ❖

١٨- يعقوب

ثمة عدة أشخاص فى العهد الجديد يحملون هذا الاسم، مالم يكن لنفس الأشخاص ألقاب متباينة يُعرفون بها.

وفيمايلى نتناول كل شخص منهم بالدراسة:

١- يعقوب بن زبدى

أ - العائلة.

ب - دعوته.

جـ - تلمذته.

د- استشهاده.

٢- يعقوب بن حلفى

٣- يعقوب الصغير

٤- يعقوب «أخو الرب»

أ - العائلة.

ب - تجديده.

جـ - مكانته البارزة.

د - صفاته الشخصية.

هـ - كتاباته.

و - استشهاده.

٥- يعقوب أبو يهوذا

❖ ❖ ❖ ❖

١- يعقوب بن زبدى

القصص الكتابية الوحيدة ليعقوب بن زبدى أو تلك التى كُتبت عنه نجدها فى الأناجيل المتشابهة وفى سفر أعمال الرسل (متى ٤ :٢١ ، ١٠ :٢، ١٧ :١، ١٠ :٢٠) و(مرقس ١ :١٩و٩، ١٧:٣ ، ٥: ٣٧ ، ٩: ٢ ، ١٠: ٣٥ و٤١ ، ١٣:٣ ، ١٤: ٣٣)،(لوقا ٥ : ١٠ ، ٦: ١٤ ، ٨:٥١ ، ٩ :٢٨ و ٥٤)، (أعمال الرسل ١:١٣ ، ١٢ :٢).

وكان من تواضع الرسول يوحنا أنه لم يذكر أخاه بالاسم، على الرغم من أنه كشف عن حضوره مع الرسل الآخرين بعد القيامة (يو ٢١ :٢). والمرة الوحيدة التى ذكر فيها يعقوب بالاسم خارج الأناجيل الثلاثة الأولى كانت فى قائمة الرسل وذلك فى (أعمال ١ :١٣). وعند الإشارة إلى موته (أعمال ١٢: ٢). وهذا صمت يدعو إلى الدهشة بالنسبة لرسول له هذه المكانة.

(أ) العائلة

دُعى يعقوب «ابن زبدى» وهو أخو يوحنا. وشيوع استخدام اسم يعقوب قبل يوحنا فى الأناجيل ربما يشير إلى أن يعقوب كان الأكبر سناً (متى ١٠ :٢، ١٧ :١، مرقس ٣: ١٧ ، ٥: ٣٧). وفى كل هذه الفقرات عُرِّف يوحنا بأنه « أخو يعقوب» ومع ذلك فقد عُكس هذا التعريف فى سفر أعمال الرسل، حيث ذُكر يعقوب باعتباره «أخا يوحنا» وذلك بالنسبة لأولئك الذين كانوا أقل معرفة بسائر الرسل (أعمال١٢ :٢).

أما الوالد «زبدى» فكان صياداً يمتلك عدة مراكب فى بحر الجليل، وكان لديه عمال وخدم (مرقس ١ :٢٠، لوقا ٥: ١١)، ولابد أن كان يدير مؤسسة كبيرة. والبعض يستنبطون دليلاً إضافياً على غِناه من حقيقة أن يوحنا كان معروفاً عند رئيس الكهنة (يوحنا ١٨: ١٥).

وربما كانت العائلة تمتلك عقارات فى أورشليم، وكانوا يقضون بعض الوقت هناك، والصيادون الذين يمتلكون مراكب كبيرة وعمالة كافية، كان بمقدورهم أن يصطادوا سمكاً أكثر، وأكبر فى المياه العميقة.

وكانت الأسماك المملحة تسوّق فى أورشليم بعد اكتفاء السوق المحلى فى بيت صيدا، بل فى كفرناحوم أيضاً، وكان سمعان يعمل معهما (لوقا ٥: ١٠)، وربما كان أندراوس أيضاً (مرقس١: ١٦)، ومن المحتمل أن أم يعقوب ويوحنا هى سالومة، والتى يعتقد البعض إنها أخت أم يسوع (قارن مرقس ١٥ :٤٠، يوحنا ١٩: ٢٥).

ب - دعوته

يبدو أن يعقوب لم يكن مع بطرس وأندراوس فى رحلتهما إلى اليهودية، حين علما بمجيء «حمل الله» وتلقّيا دعوتهما للتلمذة (يوحنا ١ :٣٥ - ٥١) ولعل يوحنا كان تلميذاً للمعمدان والذى كان مع أندراوس (يوحنا ١ : ٤٠) وإذا كان الأمر كذلك، فمن المحتمل أن يعقوب لم يصحبهما، وذلك لكى يباشر العمل أثناء غياب ثلاثة أعضاء فى شركة العمل لذهابهم لرؤية الحركة العظيمة التى كان يقودها يوحنا المعمدان بل إنهما انضما إليه ليكونا ضمن تلاميذه، وحين سرد - إثر عودتهما إلى الجليل - الأحداث التى وقعت فى اليهودية، فلا ريب أن يعقوب أخذ عنهما إيمانهما وحماستهما، وعلى أى حال، كان يعقوب مستعداً تماماً لما بدا وكأنه دعوة مفاجئة أتته فى وقت لاحق عند بحر الجليل (لوقا ٥: ٢-١١).

جـ - تلمذته

ما أن أصبح يعقوب تلميذاً، إلا وسرعان ما احتل مكانة بارزة، فقد أُختير ضمن الاثنى عشر تلميذاً، وكان دائماً فى صحبة بطرس ويوحنا وأندراوس (متى ١٠: ٢، مرقس٣: ١٧، لوقا ٦: ١٤، أعمال ١ :١٣). وأصبح مع التلميذين بطرس ويوحنا موضع ثقة يسوع، وكان الثلاثة معاً فى بيت

حماة بطرس مع أندراوس (مرقس١: ٢٩-٣١).

وفى بيت يايرس، لم يسمح يسوع إلا لهؤلاء الثلاثة فقط من جماعة التلاميذ بالدخول معه إلى الغرفة حيث كانت الصبية (مرقس ٥:٣٧، لوقا ٨: ٥١) وعند التجلى اختار يسوع هؤلاء الثلاثة ليصعدوا معه إلى الجبل (متى ١٧: ١٠، مرقس ٩:٢، لوقا ٩: ٢٨)، بل ولم يسمح لهم بأن يتحدثوا عمّا رأوه إلاّ بعد أن أقام يسوع من بين الأموات (مرقس ٩: ٩).

وأخيراً، كان هؤلاء الثلاثة هم الذين اختارهم يسوع لمصاحبته فى بستان جثسيمانى (متى٢٦:٣٧، مرقس ١٤:٣٣).

وقد اشترك يعقوب فى مالايقل عن حدثين يظهر من خلالهما مدى إجلاله وتقديره للمسيح. فبعد التجلى مباشرة، وحين كان يسوع ماراً عبر السامرة فى طريقه إلى أورشليم (لوقا ٩: ٥١) لم يستقبله أهل السامرة الاستقبال اللائق (لوقا ٩ : ٥٣). فكان رد فعل يعقوب ويوحنا حاداً إذ قالا ليسوع: «يارب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً (آية ٥٤)، وذلك لأنهما كانا قد رأيا منذ فترة قصيرة جداً المجد الأسمى للرب. أما يسوع فالتفت إليهما وانتهرهما، ولعل هذا الميل إلى الحدة والاندفاع هو ماحدا بيسوع لأن يطلق عليهما لقب بوانرجس أى ابنى الرعد (مرقس٣: ١٧).

أما الموقف الآخر فهو حين عزم يسوع على القيام بآخر رحلة له إلى أورشليم (١٠:٣٢)، حيث قال الأخوان ليسوع: «أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك (مرقس١٠: ٣٧). وقد ساندتهما والدتهما فى هذا الالتماس، وكانت هى ممن يتبعون يسوع وممن يدعمون الجماعة بأمانة (لوقا ٢٠: ٢٠-٢٨). وقد وبخهما يسوع على طلبهما هذا (مرقس ١٠:٤٠) وأعاد السلام إلى جماعة التلاميذ (مرقس ١٠: ٤٢- ٤٥).

وقد ذُكر حضور يعقوب فى مناسبتين أخرتين، فقد كان أحد التلاميذ الأربعة الذين كانوا على جبل الزيتون وسألوا يسوع عن الأمور الأخيرة (مرقس ١٣: ٣ ،٤)، كما كان موجوداً أيضاً عند بحر الجليل حين ظهر الرب المقام للتلاميذ مرة ثالثة، وكذلك حين أُجريت معجزة الصيد الوفير (يوحنا ٢١:١- ١٤).

د ـ استشهاده

الرسول يعقوب هو الوحيد من الاثنى عشر الذى ذكر موضوع استشهاده فى العهد الجديد حيث استشهد بالسيف، وكان أيضاً أول الشهداء بين الرسل (أعمال ١٢: ١ ، ٢) وكان ذلك نحو عام ٤٤م، ثم جعل الملك هيرودس أغريباس الأول من سمعان الهدف الأول فى هجومه على الكنيسة فى حركة اضطهاد واسعة النطاق تضمنت إلقاء القبض على بطرس (أعمال١٢: ٣)، أما وأن يعقوب كانت له من المكانة البارزة حتى أنه هو وحده الذى تقرر قتله، فإن هذا يشير إلى أن الرسول يعقوب إذا لم يكن من بين أكثر التلاميذ مكانة، فلابد وأنه كان من أكثر المسيحيين الذين يخافهم أعداؤهم ويقيمون له وزناً كبيراً. وبموته تحققت نبوة يسوع بأنه سيشرب من كأس سيده(مر١٠: ٣٩).

الأساطير اللاحقة توسِّع من قصة يعقوب الرسول فى العهد الجديد.

ذلك أن كليمندس السكندرى، ويوسابيوس يشيران إلى مايسمى «سفر أعمال القديس يوحنا»، وهو كتاب هرطوقى يعود إلى القرن الثانى الميلادى، حيث يروى قصة دعوة يعقوب ووجوده أثناء التجلى، كما يذكر تفصيلات أخرى عن رحلات تبشيرية قام بها يعقوب إلى الهند، وإلى «الاثنى عشر سبطاً» المشتتين فى العالم، وكذلك إلى أسبانيا. واستناداً إلى أسطورة لاحقة (القرن السادس أو السابع) جُعل يعقوب القديس الشفيع لأسبانيا، وقد ذُكرت قصص عجيبة عن كرازته وإعادة الملائكة

لجسده بعد استشهاده فى فلسطين، وقيل إن الملائكة قادوا السفينة بدون شراع أو دفة، وتوجهوا بها إلى أسبانيا ومعهم الجسد المقدس، وقد ذُكرت سلسلة من المعجزات التى تستوجب توقيره، إلاَّ أن موت الرسول يعقوب فى وقت مبكر ينفى عن تلك الأساطير الحد الأدنى لأى أساس تاريخى.

ويُعرف الرسول يعقوب بن زبدى فى التقليد باسم يعقوب الكبير، وذلك للتمييز بينه وبين يعقوب الصغير.

✣ ✣ ✣ ✣

ب- يعقوب بن حلفى

الإشارات الوحيدة إلى يعقوب بن حلفى فى العهد الجديد هى مجرد تضمين اسمه فى قوائم الاثنى عشر رسولاً(متى ١٠: ٣، مرقس ٣: ١٨، لوقا ٦: ١٥، أعمال الرسل ١٣:١)، مالم يكن هو كما يفترض البعض - نفس الشخص (سوف نتناول ذلك فيما بعد) المعروف باسم يعقوب الصغير - ويُذكر مع تَدَّاوُس فى إنجيلى متى ومرقس، ومع سمعان الغيور فى إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل، حيث أن متى أو لاوى يُسمى أيضاً ابن حلفى (انظر متى ٩:٩، مرقس ١٤:٢) فمن المحتمل أن يكون أخا يعقوب، ومع ذلك، فإنه إذا كان ذلك صحيحاً، يكون من الغريب أن هؤلاء الإخوة لم يُذكروا معاً بأى حال فى الأناجيل، كما هو الحال بالنسبة ليعقوب وأندراوس وابنى زبدى، وقد رجمه اليهود لكرازته بالمسيح.

✣ ✣ ✣ ✣

جـ- يعقوب الصغير

يعتقد كثيرون أن يعقوب بن حلفى لُقِّب بعدة أسماء، بما فيها هذا الاسم، وإذا كان الأمر كذلك، فيكون هو أيضاً يعقوب الصغير، ابن مريم، وأخو يوسى أو يوسف(مرقس ١٥: ٤٠).

وقد ترجمت «أقل» أو «أصغر»، ولعلها تشير إلى القامة، وأما أنه إذا ما قورن بابن زبدى فلربما نجده أصغر منه سناً أو أقل منه شهرةً، وقد ذُكرت أمه مريم، بأنها كانت حاضرة عند الصليب (متى٢٧: ٥٦، مرقس ١٥: ٤٠)، وعند اكتشاف القبر الخالى (مرقس ١٦: ١، لوقا٢٤: ١٠)، ويعتقد أنها مريم زوجة كلوبا، غير أن النسخ العربية تترجمها «مريم ابنة كلوبا» وعلى هذا الأساس فإن التعريف الشائع ليعقوب بن حلفى بأنه ابن مريم يكتسب مزيداً من القبول، على الرغم من أنه يحتمل تماماً أن نفس الشخص كان يحمل كلا الاسمين، حلفى وكلوبا. وتشير الكتابات إلى سمعان بن كلوبا، الذى عُرف بأنه سمعان الغيور، وإذا ما تقبلنا هذا، فإن ذلك من شأنه أن يفسر لنا ذكر اسم يعقوب مع سمعان فى إنجيل لوقا وفى سفر أعمال الرسل (كما يذكر إخوة آخرون ضمن الاثنى عشر).

ومع قلة الإشارات الواردة فى العهد الجديد، فمن المحتمل أن تظل معظم هذه التعريفات - فى أفضل حالاتها - كمجرد تخمينات واجتهادات.

✣ ✣ ✣ ✣

د- يعقوب أخو الرب

ذُكر يعقوب أولاً ضمن إخوة يسوع، الأمر الذى يُستشف منه بلا ريب أنه الأكبر سناً (متى١٣: ٥٥، مرقس ٣:٦). ويذكره بولس كأحد الرسولين اللذين تقابل معهما فى أورشليم بعد تجدده بثلاث سنوات (غلاطية ١: ١٩).

ويبدو أنه هو الذى دُعى يعقوب فحسب (أعمال ١٢: ١٧، ١٥: ١٣، ٢١: ١٨، كورنثوس الأولى ٧:١٥، غلاطية ٢: ٩ و١٢، يعقوب ١:١، يهوذا ١)، ولم يذكر باسمه سوى

مرتين فقط فى الأناجيل (متى ١٣: ٥٥، مرقس ٦: ٣). وفى الغالب كان من بين الإخوة الذين سعوا لمقابلة يسوع لإقناعه بالعدول عن مهمته الشاقة (متى١٢: ٤٦، مرقس ٣: ٢٠ و٢١و٣١ و٣٢). ثم إن الإخوة صاحبوه أيضاً إلى كفر ناحوم (يوحنا ٢: ١٢). وفى وقت لاحق حاولوا إقناع يسوع بأن يترك الجليل ويذهب إلى اليهودية وذلك فى أيام عيد المظال (يوحنا ٧:٣). وفى ذلك الحين لم يكن الإخوة قد آمنوا بيسوع (يوحنا ٧:٥). إلا أنهم كيهود أتقياء ذهبوا إلى العيد (الآية١٠).

أ ـ العائلة: نوقشت العلاقة بين يسوع وإخوته بشىء من التفصيل. وأكثر تفسير معقول لكلمة «أخ» فى زمان كتابة العهد الجديد، وغيره من الكتابات المسيحية الأولى، هو أخذها بمعناها الحرفى، وهو أن يعقوب والآخرين كانوا أبناء يوسف ومريم بعد ولادة يسوع ابنها «البكر»، وقد سُمى هذا **بالتفسير الهلفيدى** نسبة إلى هلفيديوس Helvidios وعلى أساس وجهة النظر هذه يبدو أن يعقوب كان من عائلة كبيرةبكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وقد ذُكرت أسماءأربعة من إخوة يسوع: يعقوب، يوسف، سمعان، يهوذا، كما أشير أيضاً إلى «أخواته جميعهن »(متى١٣: ٥٦)، ولو كان له أختان فقط لاستخدمت كلمة «كلتاهما» بدلا من «جميعهن»، وعلى هذا فلابد وأن كان ليسوع سبعة إخوة وأخوات ـ وربما تسعة، ومع وجود مثل هذه الإشارات الواضحة إلى إخوة وأخوات بغية التعريف، وهو ما يترك انطباعاً وإتجاهاً يقويه الاستخدام العادى لكلمتى «ابن»، و«أم» (متى ١٣:٥٥و٥٦، مرقس٦: ٣).

إلا أنه ثمة وجهة نظر أخرى جاءت فى وقت مبكر تبنتها **طائفة ابيفانوس**، وقد راجت هذه الفكرة مع تبجيلها لمريم وبداية الاعتقاد بعذراويتها الدائمة، وقد أيد هذا الاعتقاد كل من العلامة أوريجانوس ويوسابيوس المؤرخ والقديسين «غريغوريوس» و«أمبروسيوس»، وهذه الفكرة تتلخص فى أن هؤلاء «الإخوة» كانوا أبناء يوسف من زواج سابق. وبالنظر إلى أن الأناجيل القانونية لم تقدم دليلاً على هذا الوضع، فقد حاولت الأناجيل الأبوكريفية أن تقدم ذلك الدليل، وتأكيداً أن يوسف كان قد تعدى الثمانين من عمره عند زواجه الثانى مما أضفى استحساناً على قبوله عذراوية مريم الدائمة، وأعطى وقتاً كافياً لعائلة لم تكن من أقارب يسوع ومريم.

ولكن هذه بالطبع، ولّدت تعقيدات أخرى، أهمها وضع «الإخوة» فى الجيل الخطأ لكى تتناغم مع المعلومات الواردة فى الأناجيل وسفر أعمال الرسل والرسائل.

أما **ثالث الآراء** الهامة، فقد اقترحه القديس چيروم، وذلك لكى يدحض ما قاله هلڤيديوس: فقال إن كلمة «إخوة» إن هى إلا تعبير عريض وعام يمكن أن يُعنى بها أيضاً «أقارب» أو أبناء العم» أو من هم على هذه الدرجة من القرابة، ولم يدَّع چيروم أنه يستند فى نظريته إلى أى مصدر تقليدى بل اعتمد كلية على الحجج النقدية واللاهوتية، وكما يقول لايتفوت Lightfoot فإنه على الرغم من أن چيروم لم يتمسك بنظريته بقوة أو بصفة مستمرة، إلاَّ أنها لاقت قبولاً وعلى نطاق واسع، وهى تشكل الرأى الرسمى الذى اعترفت به الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. والتعريفات الواضحة- ولكنها غير مؤكدة- وُضعت بالنسبة لأقارب يسوع وأصدقائه وأتباعه لدعم الرأيين الأولين اللذين عرضنا لهما، أوعلى الأقل لتقديم بدائل للمعنى الطبيعى لكلمة أخ.

ب ـ تجديده

لم يكن يعقوب وإخوته الآخرين متعاطفين مع خدمة يسوع وما يقوله عن نفسه.

فعلى الرغم من أنهم تربوا فى بيت صالح، ويبدو أنهم كانوا متجاوبين مع الديانة اليهودية، إلا أنهم لم يؤمنوا بيسوع (يوحنا ٧: ٢-٥). بل إن أقاربه شككوا فى توازنه

مرة واحدة على الأقل(حيث قال أقرباؤه إنه مختل مر ٢١و ٣١). وحين رُفض يسوع فى الناصرة، ألمح إلى أن المقاومة موجوده بين أقربائه وفى بيته (مر ٦: ٤). ولعل الوحدة والحزن اللذين اختبرهما يسوع انعكسا فى تحذيراته لاتباعه بأنه يتوجب عليهم أن يكونوا مستعدين للمقاومة التى تأتيهم من قِبَل أقرب وأعز الناس لديهم (متى ١٠: ٣٤ -٣٧، لوقا ١٤: ١٦).

ومع ذلك يبدو أن صداقة حميمة قامت بين يعقوب ويسوع على أساس إعجاب يعقوب إعجاباً حقيقياً بيسوع.

وإلاَّ فهل تحول يعقوب على هذا النحو من السرعة إلى الإيمان وقت القيامة؟!

ولابد أن تجديد يعقوب كان مثار دهشة، بل ولم يكن أمراً متوقعاً بالنسبة لأولئك الذين كانوا يعرفون موقفه من يسوع. ومع ذلك ـ وكما كان الحال بالنسبة لبولس ـ لابد وأنَّ تَّفجُّر الإيمان هذا كانت له سوابق مهَّدت لهذا التغيير المباغت. ولعل أقوال السيد المسيح عن نفسه نجم عنها استيقاظ ضمير يعقوب الذى سبق أن كبحه بشدة، ولم يكن موقف يعقوب من يسوع إلا انعكاساً لإحباطات يعقوب وارتباكه، وكان الحل الأكيد فى ظهور خاص للمسيح المقام(كورنثوس الأولى ١٥: ٧). وقد أعقب ذلك وعلى نحو من السرعة نتيجتان هامتان.

أولاً: أصبح يعقوب مؤمناً متقدماً، وانضم إلى مؤمنى أورشليم.

ثانياً: فإذ رأى الرب المقام قد اعترف به من جانب الجماعة المختارة التى شاهدت القيامة، وهى حقيقة ما كان بدونها سيرقى إلى هذه المكانة العظيمة التى أصبحت له فى الكنيسة (كورنثوس الأولى ٩: ١، أعمال ١: ٢٢) أما مكان ظهور المسيح ليعقوب والملابسات التى صاحبت ذلك غير معروفة.

أما الأهمية الفائقة للحدث فأمر واضح للغاية.

جـ ـ مكانته البارزة

يقول التقليد إن يعقوب كان أسقفاً على أورشليم (وكذلك يذكر يوسابيوس فى تاريخ الكنيسة ٢: ١) وليس من المحتمل أنه اختير لهذا المنصب على الإطلاق، غير أن خصاله الأخلاقية، ومواهبه الروحية السامية، بالإضافة إلى قرابته ليسوع، لابد وأن كانت لها تأثيراتها التى كان من شأنها أن أصبح أحد أعمدة الكنيسة.

إن كل المفسرين يجمعون على مكانة يعقوب الرفيعة، وقد تقابل مع بولس فى أورشليم(غلاطية ١: ٩) وذلك بعد ثلاث سنوات من تجديده.

أما بطرس فإذ قد أخرجه الرب من السجن، فقد أرسل إلى يعقوب والإخوة يخبرهم بذلك(أعمال١٢: ١٧). وفى مجمع أورشليم، كان رأى يعقوب هو الذى لاقى تأييداً كبيراً (أعمال١٥: ١٢-٢١).

وفى آخر زيارة قام بها بولس لأورشليم استقبله يعقوب والشيوخ (٢١: ١٨).

وقد وجد يهوذا، كاتب رسالة يهوذا أن عبارة «أخو يعقوب» تعد كافية للتعريف بنفسه (يهوذا).

وإذا كان يعقوب وصل إلى هذه الدرجة فى أورشليم، فمن الطبيعى أن ينتشر ذلك فى بقية فلسطين، التى كانت أورشليم مركز حياتها، أما أثر مكانته خارج فلسطين فيتركز معظمه فى أوساط اليهود المسيحيين الذين يعيشون فى الأمم الوثنية. وتوضح رسالة يعقوب التأثير الواسع النطاق لكاتبها.

د ـ صفاته الشخصية

يتفق التقليد مع ما جاء فى كتاب العهد الجديد بأن

يعقوب كان رجلاً ذا شخصية مؤثرة، ويتميز بتقوى هائلة، وواسع النفوذ، ويقول هيجيسبوس إن يعقوب كان يُعرف «بالبار» وبأنه «حصن الشعب» وقد عاش حياة القداسة والتقوى وكان يلقى الاحترام حتى من اليهود غير المؤمنين.

كما ذكر هيجيسبوس في رواية تنحو إلى المبالغة أن يعقوب كان نذيراً وناسكاً وكان مقدساً من بطن أمه، خمراً ومسكراً لايشرب، بل وما كان يأكل لحماً، ولم يمس رأسه موسى، ولم يطيب نفسه قط بالطيب، وأن ركبتيه كانتا في قوة ركبة الجمل، لأنه كان يصلي باستمرار ويتضرع إلى الله أن يغفر خطايا الشعب.

وعلى الرغم من أنه يجب غض الطرف عن العبارات المبالغ فيها، إلا أن الصورة الأساسية كانت تتفق مع ما هو معروف عن يعقوب، وربما كان حازماً صارماً، إلا إنه لم يكن ضيق الأفق.

ولنلاحظ فكره وسداد رأيه إبان مجمع أورشليم(أعمال ١٥:١٣- ١٩). وربما كان ذا طبع متشدد، غير أنه مامن أحد شكك في استقامته ونزاهته، وتعبير «البار» يشير إلى نزاهته وأمانته واستقامته من ناحية التمسك بالأسلوب الصحيح للحياة كما يراه هو.

هـ - كتاباته

انظر رسالة يعقوب

و - استشهاده

يقول يوسيفوس إنه في الفترة ما بين موت فستوس ووصول الحاكم الجديد ، انتهز حنانيا رئيس الكهنة الفرصة لدعوة المجلس التشريعي للاجتماع. واتهم يعقوب وآخرين بانتهاك القانون ، ولاتعرف التفاصيل، غير أنه ربما تكون الاتهامات قد تضمنت نشر العقيدة المسيحية. ونتيجة لذلك تم رجم يعقوب حتى الموت. ويقول يوسيفوس إن هذا العمل الظالم احتجَّ عليه يهود أتقياء غير مسيحيين كانوا يوقرون يعقوب لأمانته في حفظ التقاليد اليهودية، فكان من شأن ذلك أن أبعد رئيس الكهنة من وظيفته ، أما هيجيسبوس فيذكر قصة واضحة أكثر تفصيلاً عن الاستشهاد ، ولعل ذلك جاء في إطار من المبالغة الأسطورية ، وكان استشهاد القديس يعقوب في نحو سنة ٦٢ م.



٥- يعقوب أبو يهوذا

كل ما يعرف عن يعقوب هذا هو أنه أبو الرسول يهوذا (ليس الإسخريوطي)، كما جاء في (لوقا ٦: ١٦ وأعمال ١: ١٣).

الباب الثانى الفصل الثانى

كتابات العهد الجديد

نقدم فيمايلى لمحة موجزة عن كتابات العهد الجديد(الإناجيل وسفر أعمال الرسل والرسائل، ورؤيا يوحنا) التى تركها لنا الرسل. متتبعين الكاتب، وزمان ومكان الكتابة، والهدف من السفر، ولمن كُتب، والإطار العام للسفر، وذلك لكى تكون صورة الأدب المسيحى الذى كتبه الآباء الأولون متصلاً بكتابات الرسل. وحتى تكون القضايا الفكرية اللاهوتية التى تعرَّض لها الآباء واضحة فى ذهن الدارس جنباً إلى جنب مع الكتابات القانونية للأسفار المقدسة فى العهد الجديد. والحقيقة أننا لانستطيع أن نبدأ من كتابات الآباء الأولين دون عرض لما سبقتها من كتابات. فبعض هذه القضايا كانت ماتزال تعانى منها الأجيال التالية. فبعض الأفكار المنحرفة التى كتب الرسول بولس والرسول يوحنا لمواجهتها كانت مازالت قائمة فى أوقات لاحقة. وتعرَّض لها الآباء فى كتاباتهم. كما أن دراسة كيف تأسست الكنائس وكيف نشأت الحاجة لكتابة بعض الرسائل، والحركة الاجتماعية وملامحها والثقافات السائدة آنذاك والقوى السياسية، كل هذه علامات وخلفية لايمكن تجاوزها لتقديم الملامح الواقعية للمسيحية وما واجهته من أفكار وتيارات وحركات.

المحتوى

١- مقدمة للأناجيل الأربعة.

٢- إنجيل متى.

٣- إنجيل مرقس.

٤- إنجيل لوقا.

٥- إنجيل يوحنا.

٦- سفر أعمال الرسل.

٧- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية.

٨- رسالتا بولس الرسول إلى أهل كورنثوس.

٩- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية.

١٠- رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس.

١١- رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبى.

١٢- رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسى.

١٣- رسالتا بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى.

١٤- رسالتا بولس الرسول إلى تيموثاوس.

١٥- رسالة بولس الرسول إلى تيطس.

١٦- رسالة بولس الرسول إلى فليمون.

١٧- رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين.

١٨- رسالة يعقوب.

١٩- رسالة بطرس الرسول الأولى .

٢٠- رسالة بطرس الرسول الثانية.

٢١- رسائل الرسول يوحنا الثلاث.

٢٢- رسالة يهوذا.

٢٣- رؤيا يوحنا.

(١) مقدمة للأناجيل الأربعة.

(أ) تسجيل الأناجيل الأربعة.

(ب) نظريات تفسر نشأة الأناجيل لاسيما المتشابهة.

١- مقدمة للأناجيل الأربعة

إن الكتب الأربعة الأولى فى الترتيب فى كتاب العهد الجديد هى أناجيل متى، مرقس، لوقا ويوحنا. وتُسمى أناجيل لأنها عبارة عن تسجيل للكرازة الأولى بالأخبار السارة التى جاء بها السيد المسيح، وهى لم تذكر كل الأعمال التى قام بها السيد المسيح، أو كل الحقائق عنه، كما أنها ليست تاريخاً ولا عظات فحسب، برغم أنها تحتوى على التعليم والوعظ. ولا هى تقارير عن أخبار، وإنما كل هذه العناصر تظهر فيها وتتحد فى شكل جديد خاص بالمسيحية فحسب. وهذه الكتابات كانت بغرض التعبير عن الرسالة الرئيسية للكرازة الأولى بالمسيحية. ولكى تمد المؤمنين بالتعليم الذى يؤكد إيمانهم.

الإنجيل

الإنجيل كلمة مأخوذة من الكلمة اليونانية إڤانچيليُون، وهى من مقطعين الأول: (إڤا) ويعنى سار أو مُفرح، والآخر: (إنچيليون) ويعنى خبر أو بشارة أو رسالة.

فالإنجيل هو الخبر السار أو البشارة المفرحة ورسالة الخلاص، وهو إعلان الله لكل ما يحتاج الناس أن يعرفوه عن خلاصهم، وقد استخدمها الرب يسوع المسيح نفسه قائلاً: «توبوا وآمنوا بالإنجيل» وذلك عندما ذهب يسوع إلى الجليل «ليكرز ببشارة ملكوت الله» (مرقس١: ١٤). فالإنجيل ليس كتاباً فحسب، وإنما هو الرسالة التى نادى بها السيد المسيح ورسله وتلاميذه.

وقد أُطلق على الأناجيل الثلاثة الأولى «الأناجيل المتشابهة»، وبالرغم من الاختلاف فيما بينها فى بعض النواحى فإنها تتبع نفس النظام فى ترتيب الأحداث، وتذكر بإسهاب كرازة السيد المسيح فى الجليل. أما إنجيل القديس يوحنا فإنه يختار بعض الأحداث، ويركز على كرازة وأعمال السيد المسيح فى اليهودية، ويفسر حياة السيد المسيح من منظور لاهوتى بأكثر مما فعل البشيرون الآخرون.

لقد قُبلت الأناجيل الأربعة، فمن بداية تأسيس الكنيسة المسيحية أعتُرف بما سُجل فيها عن حياة السيد المسيح وأعماله، وأول كاتب ذكرها بالاسم هو بابياس Papias من هيرابوليس، الذى عاش فى الثُلث الأول من القرن الثانى الميلادى.

وذلك طبقاً لما ذكره بابياس فى تاريخ الكنيسة، حيث ذكر تقريره «لقد كتب متى تاريخه باللغة العبرية، وأن مرقس هو الشارح لبطرس، وقد كتب بدقة شديدة ما سجله، ولكن ليس بنفس الترتيب الذى قام به سيدنا ...» أما يوستينوس الشهيد فيذكر فى سنة ١٥٠م «إن المذكرات التى كتبها الرسل، والتى تُسمى الأناجيل» كتبها الرسل ومن اتبعوهم (١ الدفاع ٦٦-٦٧)، وقد قام تاتيان، أو (طاطيان) الكاتب الغنوسى فى منتصف القرن الثانى، وجمع الأحداث التى وردت فى الأناجيل الأربعة فى كتاب واحد هو الدياطسرون، وعلى ذلك فإنه لابد أن الأناجيل الأربعة قد عُرفت وقُبلت على أنها المرجع الذى تستند إليه الكنيسة وذلك ليس متأخراً عن بداية القرن الثانى.

أسفار العهد الجديد القانونية

اجتمع المجمع المسيحى فى قرطاجنة فى سنة ٣٩٧م وقرر أن أسفار العهد الجديد القانونية هى الأسفار السبعة والعشرون التى بين أيدينا اليوم، والتى تقبلها كل الطوائف المسيحية.

(أ) تسجيل الأناجيل الأربعة

لم تبدأ الكنيسة المسيحية كرازتها بتوزيع كتبها المقدسة

و إنما من خلال الكرازة الجهارية، وقد تركزت شهادة الرسل على موت السيد المسيح وقيامته (راجع أع ٤: ١٠)، الذى قال عنه بولس «الذى أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا»(رو٤: ٢٥) وقد شهد التلاميذ الأوائل أينما ذهبوا عن المسيح الذى تنبأ عنه العهد القديم، وقد بشَّروا بحياته وأعماله، والأحداث التى بلغت أوجها فى آلامه، والتى كتب عنها بولس قائلا: «فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وإنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب، وإنه ظهر لصفا ثم للإثنى عشر»(١كو ١٥: ٣-٥).

إنه مما لاشك فيه أن الرسل لم يقيدوا أنفسهم بهذه الحقائق فقط، لأن كان لسامعيهم الرغبة فى الحصول على المزيد من المعلومات عن يسوع، إن الأحداث الهامة فى حياة المسيح قد ذُكرت، وهو ما تحتويه الأناجيل التى بين أيدينا.

لقد تلقَّى الرسل الذين دخلوا إلى الإيمان حديثاً التعليم «تعليم الرسل»(أع٢: ٤٢)، ولابد أن ذاك التعليم قد احتوى على تاريخ حياة السيد المسيح، موته وقيامته، وبدون هذا التعليم، لكانت الكنيسة قد فقدت رسالتها المميزة. فبينما التعليم الشفهى قد لايكون نمطياً، وليست له صفة الاستمرارية، وهذا ماقد ألمح إليه لوقا عندما كتب إلى صديقه ثاؤفيلس .. «لتعرف صحة الكلام الذى عُلِّمت به» (لوقا ١: ٤) وكلمة «علِّمت» هى فى اليونانية Catechized وتتضمن معنى نقل المعرفة عن طريق الكلمة المنطوقة، وربما تعنى التعليم الرسمى، وقد عُلِّم ثاؤفيلس فعلاً معرفة عامة عن محتوى الإنجيل، وقد وضع لوقا الحقائق مكتوبة ليؤكد على الحقائق التى سبق وعرفها.

وحيث أن المؤمنين الجدد بحاجة إلى التعليم دائماً، وأن المؤمنين من المعاصرين للسيد المسيح أصبحوا شيئاً فشيئاً غير موجودين إما بسبب الشتات، أو بسبب الموت، ومن ثم أصبح لزاماً وجود تسجيل مستمر. والانتقال من الوعظ إلى الكتابة يُستنتج من الإشارات الواردة فى الأناجيل الموجودة بين أيدينا، والكتابات الأولى الأخرى. وتوجد نظريات عديدة تفسر أصل نشأة الأناجيل، ولاسيما الأناجيل المتشابهة، حيث تقدم المشكلة الخاصة بالتشابه اللفظى فى بعض الأجزاء، وللاختلاف الكبير فى أجزاء أخرى.

(ب) نظريات تحاول تفسير نشأة الأناجيل ولاسيما الأناجيل المتشابهة وهى:

١ـ نظرية التقليد الشفهى

كان لدى رسل السيد المسيح ممن لازموه وكانوا مقربين إليه مخزوناً هائلاً من الذكريات وكذلك من التعليم.

فتبشير الرسل هو إعادة ذكر للأحداث الهامة، والتعليم: مثل الموعظة على الجبل، وأحداث آلام السيد المسيح.

وثمة أحداث تبدو أقل فى الأهمية لم يذكرها الرسل، وعندما بدأ الرسل فى تسجيل كتاباتهم كتبوا الأحداث الهامة والرئيسية، وقد اختار كل كاتب ما يحتاجه لمن يكتب إليهم. ولذلك فإن الحقائق العامة والأساسية يمكن أن تكون هى نفسها مشتركة للجميع، أما الترتيب والأسلوب فيختلفان. فالتشابه فى الأناجيل إنما هو تكرار للكرازة التى تقوم بها الكنيسة، والاختلافات ترجع نتيجة للاختيار من الحقائق المتنوعة والأحداث التى تناسب كل كاتب.

٢- نظريات ترى أن الأناجيل يعتمد بعضها على بعض

يرى بعض المفسرين أن الأناجيل الأربعة يعتمد بعضها على بعض.

فهل التغييرات والتباديل فى الترتيب كانت متاحة؟، لم يستطع أحد أن يبرهن على ذلك، ولم يعد أحد يؤمن بهذه

النظرية كذلك.

٣- نظرية الوثيقتين

توجد نظرية حديثة ترى أن هناك مصدرين أساسيين استقى منهما كاتبو الأناجيل الثلاثة المتشابهة، وهذان المصدران هما «إنجيل مرقس»، وافتراض جدلى بأنه ثمة مجموعة من أقوال السيد المسيح والأمثال يطلق عليها «Q» وهى تعنى المصدر، وهذه النظرية ترجع إلى الملاحظة بأن معظم محتوى إنجيل مرقس إنما هو جزء رئيسى فى إنجيل متى وإنجيل لوقا.

فبينما مرقس ومتى قد يذكران مالم يذكره لوقا، ولوقا ومرقس قد يذكران مالم يذكره متى، لكن متى ولوقا قد ذكرا كل ماذكره مرقس، ويُفترض أن «Q» يحتوى على المواد التى جاءت فى إنجيلى «متى» و «لوقا» ولم تُذكر فى إنجيل مرقس. وطبقاً لنظرية الوثيقتين هذه، فإن مرقس يذكر الحقائق الأساسية فى حياة الرب يسوع كما كان يُكرزَ بها ويُعلَّم فى الكنيسة، وأن «Q» أو المصدر فيتكون من أقوال وأعمال السيد المسيح ولكنها لم تكن مرتبة.

إن مثل هذه النظرية تشكل خطراً داهماً للشك الذى تصوِّبه تجاه دقة واستقلالية كل من إنجيلى متى ولوقا. فإذا كان كل منهما قد دمج إنجيل مرقس بكامله أو أدخلا بعض التعديلات، والإضافات كما رأيا من المناسب، فهل كتبا ما يمكن أن يصنف معه من أجل أهميته وسلطانه؟ إنه لايوجد مطلقاً أى أثر للمصدر «Q» ووجوده، إنما هو مجرد فرض جاء بناءً على أساس افتراض أن متى ولوقا لهما مصدر واحد للمادة المشتركة بينهما والتى لم تذكر فى مرقس. إن بناء النظرية مبنى على مجرد افتراض، وإن ثمة اختلافاً على ماهى المواد التى ذُكرت - أو لم تُذكر- فى المصدر أو «Q».

على الرغم من أنه من المحتمل أن كاتبى الأناجيل قد استخدموا مصادر مكتوبة، إلا أنه لايوجد أى سبب يوضح لماذا لايعتمدون على مدى واسع. على معرفة مباشرة أو معلومات شفهية مباشرة لمعظم المادة التى كتبوها. وهناك برهان غير مقنع تماماً لتأييد النظريات التى ترجع بزمن كتابة الأناجيل إلى أواخر القرن الأول، أو إلى أوائل القرن الثانى الميلادى. إذا كان فى إمكان الكُتّاب (كُتّاب الأناجيل) أنفسهم أن يكتبوا معظم المادة التى كتبوها والتى تنسب إلى المصادر المزعومة!

٤- نظرية نقد الشكل

وهى النظرية التى اقترحها دبلوى Dibeluis فى عام ١٩١٩م، وحاول من خلالها أن يتغلغل فى مصادر التقليد الشفهى.

وهو يرى أن المادة التى تكونت منها الأناجيل كانت فى الأساس عبارة عن تقارير قصيرة مستقلة متداولة والتى كان من الممكن أن تصنف بحسب الشكل الأدبى التى اقترح لها سلسلة من العناوين: قصة الآلام التى تتعلق بنهاية حياة المسيح، و النماذج أو نماذج من أعمال المسيح التى استخدمت فى توضيح رسالته، وسرد أحداث المعجزات التى تدخل البهجة على السامعين، وقصص حياة الرجال المقدسين. كما ذكروا نماذج من الأقوال تفوه بها السيد المسيح واستخدمت فى العظات، ومن هذا التنوع فى العدد الكبير للاقتباسات والقصص، طبقاً لهذه النظرية، فإن العظات الأولى قد أُلقيت، ثم فيما بعد دُونت فى الأناجيل.

وبينما ليس من المستحيل أن أعمال المسيح وأقواله المتفرقة قد تم تسجيلها فى الأناجيل، وإنه لأمر مشكوك فيه أنها قد خضعت لسلسلة طويلة من الإعداد. إن كل إنجيل يحمل سمات خاصة لغرض محدد بالأحرى عن كونه تجميع تم بالصدفة لتقليد منتشر.

إن البرهان المحدد الذى يتعلق بأصل الأناجيل المتشابهة

ربما يرجع إلى ماجاء فى استهلال إنجيل لوقا. إذ يكتب الإنجيلى «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا» (أى عن حياة يسوع) (راجع لو ١:١)، ولكنه وجد أن تلك الكتابات لايعتد بها، ولذلك كتب «رأيت أنا أيضا... أن أكتب على التوالى»(٣:١)، فهو يرى أن له نفس الحق أن يكتب عن حياة السيد المسيح كما فعل الآخرون أيضاً. فعنده من المعلومات مايفوق معلومات الآخرين. إن لوقا يعتبر أن ذلك قد لاقى قبول الكنيسة كلها، وأنها قد انتقلت إليه من خلال «الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة»(لو ١:٢).

إن الكلمة المستخدمة «خداماً للكلمة» هى نفسها التى استخدمها فى (أع ١٣:٥) لتصف يوحنا مرقس الذى كان حاضراً مع برنابا وبولس فى كرازتهما الأولى. وحيث أن لوقا لم يكن معهم فى ذلك الحين، فيبدو أنه قد حصل من مرقس على جانب من المعلومات التى وردت فى إنجيل مرقس، الحقيقة التى ربما تفسر إلى حد ما حقيقة الألفاظ المستخدمة.

كان البشير لوقا حريصاً على الاستعانة بمصادر علمية موثوق بها. بل وكان معاصراً للسياق العام للأحداث (٣:١)، كان باحثاً مدققاً فى المعرفة، ومدققاً كذلك فى نقلها. وعلى الرغم من أن متى ومرقس لم يذكرا شيئاً محدداً شبيهاً بما ذكره لوقا فيما يتعلق بهذا الأمر،إلا أن اتباعهما لنفس الترتيب والمحتوى لكتابتهما، إنما يدل مقدماً على دقة على نفس المستوى.

إن الكلمات الختامية للإنجيل الرابع إنما تلقى بالأضواء على هذه المشكلة التى تتعلق بالكتابة، فقد كتب البشير يوحنا قائلاً: «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب فى هذا الكتاب، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا..» (يوحنا ٢٠: ٣٠و٣١)، إذ أن يوحنا كان قد اختار بعض الحقائق عن حياة المسيح وتعليمه من الأحداث التى يختزنها فى ذاكرته مما يخدم الغرض من الكتابة، فقد كان للإنجيل الذى كتبه غرضاً محدداً، ولذلك فقد استخدم من المواد ما يمكنه من الوصول إلى هدفه. وحيث أن الأناجيل لم يُقصد بها أن تكون شاملة، فإنه لا يتوقع أنها تمدنا بالكامل عن كل ما قاله وما فعله يسوع، وكذلك لا يجب أن ننظر إليها على أنها غير دقيقة لأن ثمة أحداثاً ذُكرت فى بعض الأناجيل بينما لم تُذكر فى الأناجيل الأخرى.

ربما يكون أفضل تفسير لعملية الكتابة أن كل كاتب من كُتّاب الأناجيل الأربعة كان يسعى لنقل جوهر الرسالة للجمهور الذى يكتب له، ولذلك فقد قام كل منهم على حدة باختيار وترتيب الأحداث بطريقته الخاصة ومن ناحية أخرى، فإن الرسالة كانت قد تكررت كثيراً لدرجة أنها أصبحت محددة، وأن الكلمات المستخدمة كان يمكن لأى إنسان أن يذكرها، وليس من المستبعد أن كلاً من متى ومرقس ولوقا قد التقوا فى وقت ما، أثناء جولاتهم التبشيرية، وتبادلوا الملاحظات.

٢- إنجيل متى

أ - لمحة موجزة.
ب - الكاتب.
جـ - زمن الكتابة.
د - هدف إنجيل متى.
هـ - الإطار العام لإنجيل متى .

١ - لمحة موجزة

يعد إنجيل متى أقدم الأناجيل وأوسعها استخداماً. وكما سبق الإشارة فإن يوسابيوس القيصرى المؤرخ الكنسى فى القرن الرابع الميلادى، ذكر ماقاله بابياس: «لقد كتب متى تاريخه باللغة العبرية، وكل شخص قادر على الترجمة قام

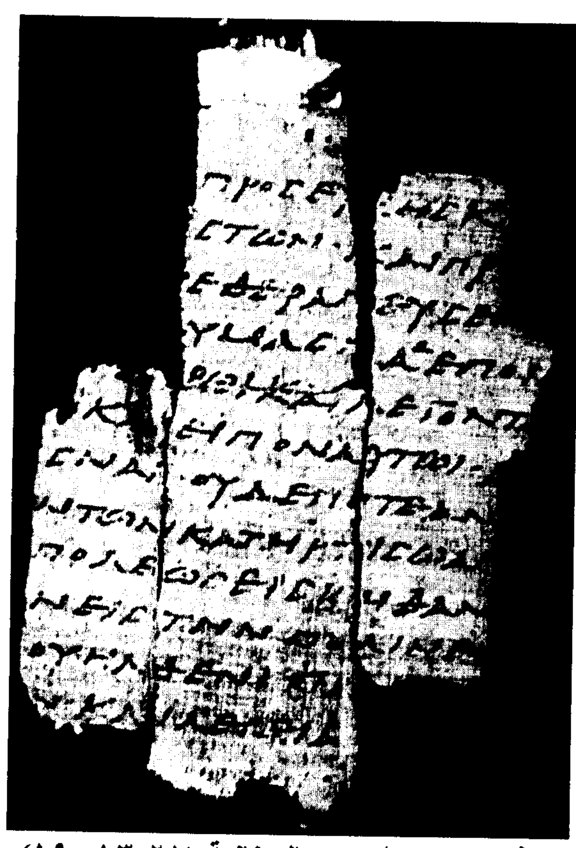
بترجمته» (يوسابيوس تاريخ الكنيسة ٣: ٣٩) ولأن يوسابيوس لم يذكر كاملاً كل ماقاله بابياس فإن المعنى غير واضح. فربما ماكان يقصده باللغة العبرية هو اللغة الأرامية، حيث كانت اللغة الشائعة أنذاك ليهود فلسطين. وهو لايقصد أن البشير متى ساهم بمعلومات محددة عن يسوع فى الفترة السابقة للامتداد الأممى فى الكنيسة، والتى لابد أنها عرفت بناء على ذلك قبل عام ٥٠م، إن الاقتباسات أو الإشارات من الإنجيل فى تعاليم الرسل Didache (١٢٥ م)، ورسالة برنابا (١٥٠ م)، ورسالة أغناطيوس إلى أهل سميرنا (١١٨م)، وحوار يوستينوس الشهيد مع تريفون Trypho (١٤٠م) تتفق إلى حد كبير مع إنجيل متى بأكثر من اتفاقها مع إنجيلى مرقس ولوقا، ولابد أن الإنجيل كان متداولاً فى أواخر القرن الأول، وربما قبل ذلك.

ب ـ الكاتب

إننا لانعرف سوى القليل عن كاتب إنجيل متى، وهو من يدعوه الإنجيل «لاوى»، وكان عشاراً أى جابياً للضرائب بالقرب من كفر ناحوم (متى ٩: ٩، ١٠) وقد دعا المسيح إلى وليمة فى بيته (راجع مر ٢: ١٥)، ولم يُذكر عن «متى» شىء آخر فى الأناجيل غير ماذُكر فى قائمة أسماء الرسل (مرقس ٢: ١٤، لوقا ٦: ١٥، أعمال ١: ١٣) وكلمة متى تعنى عطية يهوه ولابد أنه كان متعلماً، لأنه كان يُجبر الناس على دفع الضرائب لحساب الحكومة الرومانية.

جـ ـ زمن الكتابة

إن تاريخ إنجيل متى غير معروف. ولكن صمته عن ذكر تدمير أورشليم، التى لها أهمية فى النبوات اليهودية، وفى قلب كل يهودى، يشير إلى أن الأصل كُتب ليس متأخراً عن سنة ٥٠م، حيث وجد الإنجيل فى ذلك الوقت باليونانية فحسب بين المسيحيين من الأممين. حيث أن استخدامه على نطاق واسع بين المسيحيين الأمميين بدأ بعد التشتت من أنطاكية، وقد بدأ تداوله هناك بين سنة ٥٠م، وسنة ٦٥م.



شذرة من إنجيل متى باليونانية (٢١: ١٣ ـ ١٩)
بردية ترجع إلى القرن الثالث الميلادى

وقد كتب إيريناوس «إن متى أصدر إنجيلاً مكتوباً بين العبرانيين بلغتهم الخاصة» (ضد الهرطقات ٣: ١، ١) وتأكيداً لما قاله بابياس، فربما يكون إنجيل متى هو الأول الذى يجمع فى وقت واحد بين تعاليم المسيح والتى قام متى بنقلها، وأعماله التى شكلت جوهر الكرازة المسيحية. والتى أعلنها بطرس، وذكرها مرقس بشىء من الاختصار. ويعتبر إنجيل

الأماكن الرئيسية كما وردت فى إنجيل متى.

متى أقدم الكتابات التى أستخدمت فى المرحلة الانتقالية من الكنيسة فى أورشليم إلى كنيسة الأمم اليونانية.

د - هدف إنجيل متى

إن هدف إنجيل متى هو إعلان مسيانية يسوع، وكان هذا الموضوع يأتى على رأس قائمة الموضوعات التى كان الرسل يبشرون بها، وذكر سلسلة نسب المسيح توضح إتمام العهد الذى قطع لابراهيم وإسحق ويعقوب وداود (راجع متى ١:٢٢و٢٣ ، ٢:٥و٦ و١٥و١٧و ١٨ ، ٣:٣ ، ١٤:٤). وقد ارتبطت أحداث حياته بتحقيق النبوات، وتؤكد الموعظة على الجبل علاقة المسيح بالناموس(متى ٥: ١٧ - ٢٠) كما قال السيد المسيح عن نفسه إنه أعظم من يونان، وأعظم من الملك سليمان (متى ١٢: ٤١ -٤٢) لقد قبل السيد المسيح اعتراف سمعان عنه «أنت هو المسيح بن الله الحى»، ومدحه أيضاً (متى١٦: ١٣- ٢٠) وقد أكد السيد المسيح ما قاله عندما أراد أن يستحلفه (متى٢٦: ٦٣- ٦٤).

لقد اتبع متى بصفة عامة نفس الترتيب الزمنى الذى أتبعه كاتبا الإنجيلين المتشابهين الآخرين، ويوجد قسمان كبيران يبدآن بعبارة «من ذلك الزمان، ومن ذلك الوقت» (متى ٤: ١٧ ،١٦: ٢١) وهما يقدمان بداية خدمة يسوع الجهارية، والفساد الذى قاد ابن الله إلى الصليب، وقد جمع متى بينهما ليوضح حقائق النبوات المسيانية.

لقد سجل الكاتب سبعة موضوعات مهمة هى :

١- كرازة يوحنا (٣: ١-١٢).

٢- الموعظة على الجبل (٥: ١-٧: ٢٩).

٣- إعداد التلاميذ للخدمة (١٠:١-٤٢).

٤- أمثلة الملكوت(١٣: ١- ٥٢).

٥- معنى الغفران(١٨: ١- ٣٥).

٦- نبوات عن آخر الأيام(٢٣: ١- ٢٥: ٤٦).



٧- الوكالة العظمى (٢٨: ١٨-٢٠).

يُعتبر إنجيل متى هو الإنجيل الوحيد الذى ذكر «الكنيسة» (١٦:١٨ ، ١٨: ١٧).

هـ- الإطار العام لإنجيل متى

١- قصة الميلاد (١:١-٢:٢٣).

٢- يوحنا المعمدان (٣: ١-١٧).

٣- يسوع يخدم فى الجليل (٤ : ١-١٨: ٣٥).

أ- الإعداد (١٤- ٢٥).

ب- الموعظة على الجبل(٥: ١-٧: ٢٩).

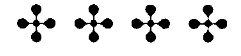
جـ- معجزات السيد المسيح وتعاليمه (٨:١-١٨: ٣٥).

٤- خدمة يسوع فى تخوم اليهودية وأورشليم (١٩:١٠-٢٥: ٤٦).

٥- آلام السيد المسيح (٢٦:١-٢٧: ٦٦).

٦- قيامة السيد المسيح(٢٨: -٢٠).

✢ ✢ ✢ ✢



٣-إنجيل مرقس

أ- الكاتب.

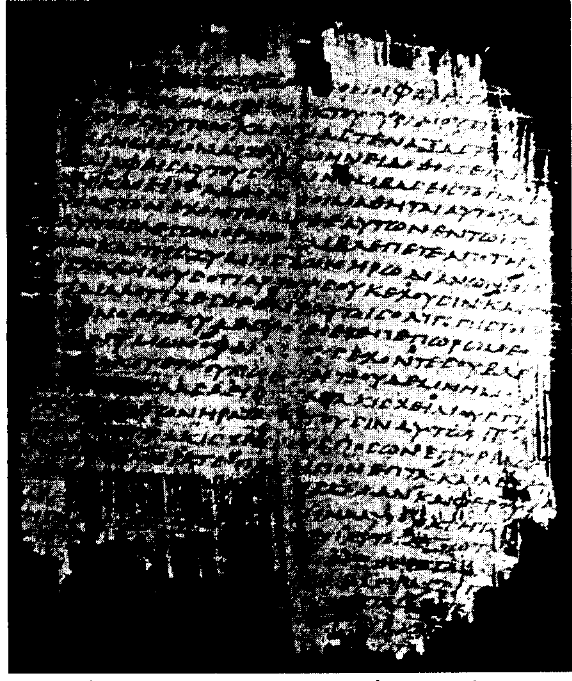
ب- مكان كتابة إنجيل مرقس.

جـ- زمن كتابة إنجيل مرقس.

د- خصائص إنجيل مرقس.

هـ- هدف إنجيل مرقس.

و- الإطار العام لإنجيل مرقس.



شذرة لبردية من إنجيل مرقس باليونانية (من القرن الثالث الميلادى)

أ- الكاتب

لقد لخص إيريناوس ما كتبه بابياس عن إنجيل مرقس، الذى كتبه الرسول الشاب يوحنا مرقس، فكتب إيريناوس بعد أن رحلا (بطرس وبولس) فإن مرقس التلميذ، والمفسر لبطرس، سلّمنا كتابةً «ماسبق لبطرس أن بشَّر به» وقد ردد تلك الجملة كل من ترتليانوس (٢٠٠م) وأوريجانوس السكندرى (٢٥٠م) وچيروم (٤٠٠ م).

ب- مكان كتابة إنجيل مرقس

إن مكان كتابة إنجيل مرقس غير معروف على وجه التحديد، وإن كان التقليد العام يربطه بروما. فيعزى أسلوب مرقس الواضح المُركَّز الجذل إلى العقلية الرومانية العملية،

ETRESPONDENSDIXITILLIS IHS
UIDETEHASMAGNASSTRUCTURAS
AMENDICOUOBIS
QUIANONRELINQUETURHICLAPIS
SUPERLAPIDEMQUINONDESTRUATUR
ETPOSTTERTIUMDIEM
ALIUTRESUSCITETURSINEMANIBUS

شذرة من (إنجيل مرقس ٣:٢) باللاتينية

فهى عملية أكثر منها نظرية، وتوجد كلمات لاتينية فى النسخة الأصلية اليونانية أكثر من سائر الأناجيل. فإذا لم يكن مرقس البشير يكتب للرومانيين، فلعله قد تأثر بالبيئة الرومانية، ومن المحتمل أنه بدأ تدوين الإنجيل فى فلسطين، وأكمله فى روما. وربما يكون قد كُتب تلخيصاً للكرازة الرسولية للأمم، ولذلك لكى يمد حديثى الإيمان بحقائق الإيمان المسيحى. والأقوال التى وردت فى مقدمة ضد أتباع مارقيون وكتابات كليمندس وإيريناوس تشير إلى روما كمكان للكتابة.

جـ ـ زمان كتابة إنجيل مرقس

يعتقد معظم المفسرين أن إنجيل مرقس كتبه مرقس البشير مابين سنة ٦٥ م وسنة ٧٠ م، وأفضل ما يمكن أن نرتكز عليه لمعرفة تاريخ كتابة الإنجيل هو ما نستقيه من معلومات من آباء الكنيسة. فالقديس إيريناوس وكاتب مقدمة ضد أتباع مارقيون يضعان تاريخ كتابة الإنجيل بعد وفاة الرسولين بطرس وبولس. وهو ما يتطلب تاريخاً بعد سنة ٦٧ م، السنة التى يرجح أن القديس بولس قد أُستشهد فيها. كما أن صمت القديس مرقس عن ذكرخراب أورشليم (٧٠م) فى إتمامه للأصحاح الثالث عشر، إنما يعنى أن تاريخ الكتابة يرجح أن يقع بين سنتى ٦٧ م، ٧٠ م.

د ـ خصائص إنجيل مرقس

إن محتوى إنجيل مرقس موجز ولكنه شامل وهو مثل آلة تصوير، وكل صورة منها تسجل حدثاً أو فعلاً من حياة السيد المسيح. ولإنجيل مرقس بعض الصفات التى تميزه فهو يركز على النواحى العملية لا النظرية، ولم يذكر سوى القليل من أقوال وأمثال السيد المسيح، إلا أنه ذكر معجزات أكثر مما جاء فى الأناجيل الأخرى وذلك قياساً إلى حجم الكتاب. وأسلوبه جذل تصويرى(راجع مر ١: ١، ٥:١٣، ٨: ٧) وهو يتنقل بسرعة بين الأحداث، إلا أن هذا الإنجيل ينقل لنا صورة محددة عن السيد المسيح. ومن أعماله المختلفة يرسم صورة موحدة للشخص الفائق السمو الذى يقدر أن يغفر

الأماكــن الرئيسيــة كما وردت فى إنجيل مرقــس

الخطايا ،ويشرِّع للأخلاق المسيحية، ويشبع الجموع الجائعة، ويشفى المرضى، ويتحاور مع مثقفى اليهود.

وينفرد مرقس بذكر ردود أفعال الجماهير، وقد ذكر ذلك عدة مرات (راجع ١: ٢٧ ، ٢:٧ ، ٤: ٤١ ، ١٠: ٢٦ ، ١١: ١٨ ، ١٢: ٣٤)، ويوجد نحو ثلاثة وعشرين تعبيراً تعكس ردود أفعال من قابلوا يسوع، والانطباع الذى تركه عليهم.

هـ ـ هدف إنجيل مرقس

يبدو أن الهدف من كتابة إنجيل مرقس هدف تبشيرى، فهو يتضمن تعليماً نظرياً أقل مما ورد فى إنجيل متى. ودفاعاً أقل مما جاء فى إنجيل لوقا، وقد كُتب بأسلوب يناسب بسطاء الناس، وذكر تطبيقات الإيمان، والقديس مرقس يعطى إحساساً لمن يقرأ الإنجيل الذى كتبه أنه يشاهد الحدث فى موقعه.

و ـ الإطار العام لإنجيل مرقس

١- العنوان ١: ١.
٢- تمهيد لخدمة المسيح (١: ٢-٣).
٣- خدمة المسيح فى الجليل (١٤:١ ، ٦: ٣٠).
٤- المسيح يغادر الجليل (٦: ٣١ ،٩: ٥٠).
٥- خدمة المسيح فى تخوم اليهودية (١:١٠ - ٥٢).
٦- المسيح يختتم خدمته فى أورشليم (١١: ١- ١٣و ٣٧).
٧- آلام المسيح وقيامته (١٤: ١ - ١٦و٢٠).

✣ ✣ ✣ ✣

٤-إنجيل لوقا

أ- الكاتب.

ب- زمن الكتابة.

جـ- مكان الكتابة.

د- هدف إنجيل لوقا.

هـ- خصائص إنجيل لوقا.

و- الإطار العام لإنجيل لوقا.

١ ـ الكاتب

تتوفر لدينا معلومات أوفر عن إنجيل لوقا وذلك بأكثر مما تتوفر عن إنجيلى متى ومرقس، لأن القديس لوقا يكتب بنفسه مقدمة مختصرة (لوقا١: ١-٤). وهذا مايوضح طريقته وغرضه من الكتابة، وهذه المقدمة هى المفتاح للإنجيل التى تجعل القارىء يفهم ماهى دوافع وظروف الكتابة. ومقارنة مقدمة إنجيل لوقا مع مقدمة سفر أعمال الرسل تبين لنا أن السفرين قد كتبهما نفس الشخص، وأنهما موجهان إلى ثاؤفيلس. يتضح ذلك من قراءة المقدمة التى جاءت فى سفر أعمال الرسل (١: ١-٥) إذ يقول «الكلام الأول الذى أنشأته يا ثاؤفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به إلى اليوم الذى ارتفع فيه». وحيث أن الكلمات التى وردت فى السفرين والأسلوب تكاد تتطابق لذا فإنه لايوجد أدنى شك فى أن كاتبهما شخص واحد هو القديس لوقا.

والقديس لوقا هو رفيق القديس بولس، وقد كتب بولس عنه «لوقا الطبيب الحبيب» (كولوسى٤: ١٤) والتقليد المبكر يؤكد أن كاتب هذا العمل هو القديس لوقا وقد اقتبس يوستينوس الشهيد (١٤٠م) ماجاء بالتحديد فى (لوقا ٢٣: ٤٦). أما تاتيان (١٤٠ - ١٥٠م) فقد ضم إنجيل لوقا إلى الدياطسرون، ومارقيون الغنوسى اعترف بإنجيل لوقا على أنه الإنجيل القانونى الوحيد. واستشهد ايريناوس (١٧٠م) بالكثير مما ورد فى إنجيل لوقا، واعترف صراحةً بأن لوقا هو كاتبه (ضد الهرطقات ٣:١:١).

وما يدعم رأى التقليد هو البرهان الداخلى، حيث أن لوقا الرفيق الوحيد لبولس، استطاع كتابة سفر أعمال الرسل، وبالتالى يستطيع أن يكتب هذا الإنجيل. فاللغة فى الكتابين تبين اهتمام الكاتب بالمرضى والمرض، وهو يستخدم ألفاظاً وصفية يستطيع الطبيب أن يستخدمها أكثر من أى شخص آخر، ففى وصف مرقس لمرض حماة سمعان قال «كانت حماة سمعان مضطجعة محمومة» (مر١: ٣٠)، و أما لوقا الطبيب فقال: «وكانت حماة سمعان قد أخذتها حُمَّى شديدة (لوقا ٤: ٣٨)، (قارن أيضاً مرقس١: ٤٠ ، لوقا ٥: ١٢، مرقس ٣: ١، لوقا ٦ : ٦، مرقس ٥: ٢٥ و ٢٦، لوقا ٨: ٤٣ و ٤٤).

إن المقدمة التى كتبها البشير لوقا تتضمن أن الكثير قد كُتب عن حياة السيد المسيح وكان متداولاً عندما كتب الإنجيل (١: ١)، وربما كتب ذلك لأنه لم يقنع بدقة المعلومات والحقائق



صورة لصفحة من إنجيل لوقا باليونانية (٩:٤٥ - ١:١٠)

التى ذكرها الآخرون، وقد كان ترتيب الأحداث عند القديس لوقا هو نفسه عند كل من القديس متى والقديس مرقس.

ب ـ زمن الكتابة

على الرغم من أن زمن كتابة هذا الإنجيل غير معروف بالتحديد، إلا أن الاحتمال الغالب هو أنه لم يكتب متأخراً عن سنة ٦٢م، فلابد أن لوقا كتب الإنجيل قبل أن يكتب سفر الأعمال، فالأرجح أن سفر الأعمال قد انتهت كتابته بينما كان بولس فى سجن روما، حيث كان الكاتب يعرف كثيراً عن ما يحدث لبولس بأكثر مما سجل فى سفر الأعمال، إذ أنه بعيد عن الاحتمال أنه انتهى من كتابة سفر الأعمال دون أن يكشف عن الحقائق التى تتعلق بحياة بولس، وربما لم يكتب المزيد لأنه لم يكن ثمة جديد يمكن أن يذكره، ولابد أن سنتى سجن بولس فى روما قد انتهتا فى سنة ٦٢م، وفى هذه الحالة فإن تجميع الحقائق من أجل كتابة الإنجيل لابد أنه سبق هذا الزمان. كان لدى لوقا فرصة كبيرة لكى يقابل من شاهدوا وعاصروا حياة السيد المسيح. ولكى يزور على الطبيعة الأماكن التى خدم فيها يسوع، وذلك خلال سجن بولس فى قيصرية لمدة سنتين.

جـ ـ مكان الكتابة

لايعرف على وجه اليقين مكان كتابة هذا الإنجيل، على الرغم من أنه لابد أن قام لوقا بكتابته خلال الجزء الأول من سجن بولس. وربما أرسله لوقا بصفة خاصة لثاؤفيلس، بعد أن أنتهى من كتابة سفر الأعمال، ومن المحتمل أن كلا الكتابين قد أعطيا لكنيسة الأمم اليونانية، وكذلك فإنه ربما كُتبا قبل تدمير أورشليم، حيث أنه لاتوجد أية إشارة لذلك على صفحاتهما.

د ـ هدف إنجيل لوقا

والغرض من كتابة السفر ذُكر فى المقدمة «أن أكتب إليك أيها العزيز ثاؤفيلس»(١:٣) ربما كان ثاؤفيلس أحد أصدقائه وهو على قدر كبير من الثقافة وله مكانة اجتماعية رفيعة. وربما كتب له كصديق شخصى لعله يبدد شكوكه، كشخص حديث فى الإيمان، وليقوده إلى الإيمان الحقيقى.

هـ ـ خصائص إنجيل لوقا

يتميز إنجيل لوقا بأنه كُتب بأسلوب أدبى. والأسلوب الذى كُتبت به المقدمة يتفق إلى حد كبير مع الأسلوب الأدبى للكتب الكلاسيكية. وقد كتب مقدمة عن ميلاد وحياة المسيح، وكذلك كتب مقدمة عن خدمة يسوع الجهارية بشىء من التفصيل يفوق الأناجيل الأخرى. وقد كتب لوقا على نحو متميز الجزء (٩: ٥١ ،١٨: ١٤) وهذا الجزء يتضمن العديد من الأمثال والأحداث التى وضعها لوقا فى أسلوب أدبى وبترتيب متميز. فالأمثال التى جاءت فى (لوقا ١٥) عن الخروف الضال، والدرهم المفقود، والابن الضال، كُتبت باختصار، ولكن بأسلوب أدبى بديع. مع الأخذ فى الاعتبار حقيقة أن قائلها هو يسوع، ونقل القديس لوقا لها يبين مدى استخدام الأسلوب البديع للكاتب الذى يستطيع أن يكتب بطريقة مؤثرة.

قدم القديس لوقا المسيح المخلص للبشرية، الذى كان يهتم بالفقراء والمضطهدين، وقد جاء ليخلصهم.

لقد ركز البشير لوقا على الحقائق التاريخية، لكى يقنع ثاؤفيلس برسالة السيد المسيح. لذا فقد شرح على نحو وافٍ البيئة التى نشأ فيها يسوع، وسلسلة النسب الطبيعى التى جاء منها، ولم يتبع فى ذلك ما اتبعه القديس متى. وقام لوقا بوضع الأحداث التاريخية فى ترتيبها الزمنى وعلاقتها الأحداث العالمية المعاصرة (لوقا ٢: ١و٢ ،٣: ١و٢). لقد كان لوقا يرى أن المسيحية هى إعلان خطة الله للعالم، لا مجرد طائفة أو دين.

كان القديس لوقا فناناً وأديباً، فكان هو الوحيد من بين كاتبى الأناجيل الذى ضمن إنجيله أربعة أناشيد روحية هى التطويبات (لو ١: ٤٦ - ٥٥)، مباركة زكريا (١: ٦٨ - ٧٩)، تسبيح الملائكة عند ولادة يسوع (٢: ١٤)، والترنيمة

التى نطق بها سمعان فى الهيكل عندما رأى الصبى يسوع (٢: ٢٩ - ٣٢).

يقدم إنجيل لوقا المسيح ابن الإنسان الذى ينتمى لكل البشرية والذى يتعاطف مع كل إنسان. وينفرد بذكر مثل السامرى الصالح، الذى يوضح أن القريب لا يتحدد بالجنس أو الثقافة بل بالمحبة. وقد اهتم القديس لوقا اهتماماً خاصاً بالمرأة والطفل. وقد ركز على خدمة يسوع بين الفقراء والمقهورين(١: ٥٣). لقد عكس لوقا اهتمام يسوع بالفقراء (راجع ٤ : ١٨ ، ١٢: ١٦ - ٢١ ، ١٤: ١٥ - ٢٤ ، ١٦: ١٩ - ٣١).

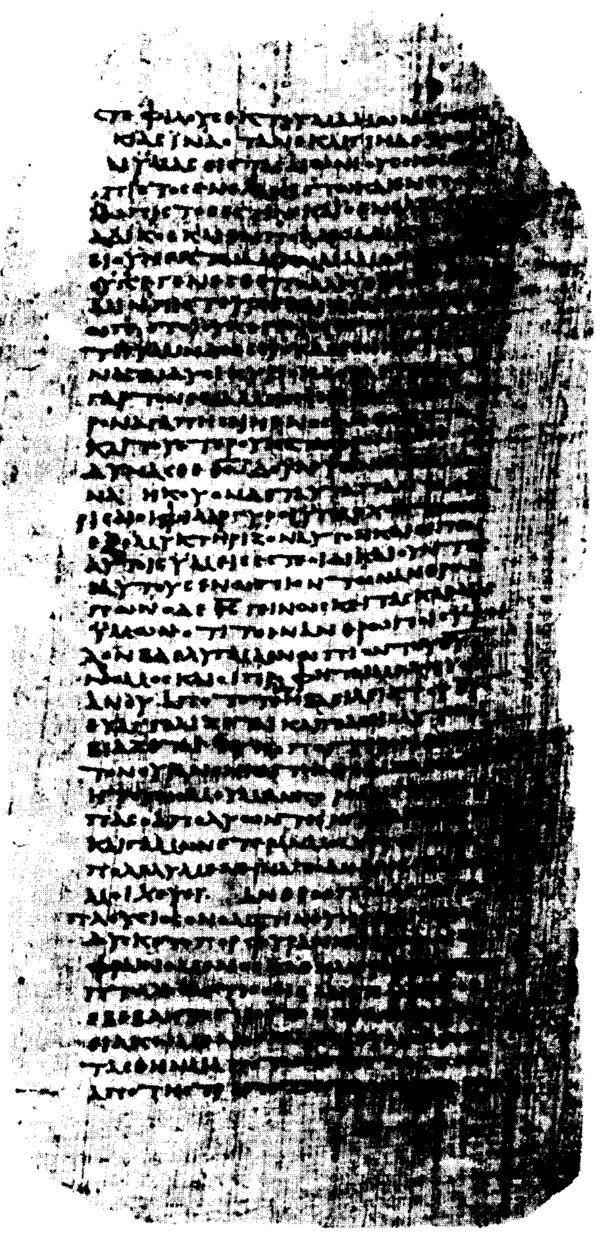
لقد ركّز القديس لوقا على هدفين أساسيين هما:

١- الصلاة: أحد أبرز الموضوعات التى اهتم بها، وقد ذكر أن يسوع قد صلّى عندما اعتمد (٣: ٢١)، وعندما اعتزل فى البرارى (٥: ١٦)، وقبل أن يدعو تلاميذه (٦:١٢)، وقبل أن يعلم تلاميذه (١١: ١)، ومن أجل سمعان (٢٢:٣٢) وفى جثسيمانى (٢٢: ٤١)، وعلى الصليب (٢٣: ٣٤. ٤٦).

٢- الروح القدس: حيث ذكر لوقا الروح القدس مرات تفوق المرات التى ذُكرت فى كل من إنجيلى متى و مرقس معاً.

(راجع ١: ٣٥ ، ٣ : ٢٢ ، ٤:١ ، ٤: ١٤و ١٨ ، ١٠: ٢١)، وأمر تلاميذه بأن يقيموا فى أورشليم إلى أن يلبسوا قوة من الأعالى (٢٤: ٤٩)، ونرى كذلك الاهتمام بهذين الهدفين فى سفر الأعمال إلى جانب الاهتمام بالحقائق التاريخية.

إن المحتوى التعليمى ليس واضحاً فى إنجيل لوقا كما هو واضح فى إنجيلىْ متى ويوحنا، إلا أنه كافٍ ليعلن الفكر اللاهوتى المسيحى ، ومفهوم الخلاص قد أُعلن فى



جزء من إنجيل لوقا
من القرن الثالث الميلادى

الثالث وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم» (٢٤: ٤٦ و٤٧).

إن الغرض النهائى من تعليمه هو نقل الحقائق الروحية الهامة للقارىء.

و - الإطار العام لإنجيل لوقا

١- مقدمة (١: ١ - ٤)

٢ - قصة ميلاد يسوع (١: ٥ ،٢: ٥٢)

٣- خدمة يوحنا المعمدان (٣: ١ - ٢٠)

٤ - خدمة يسوع فى الجليل (٣: ٢١ ،٩: ٥٠)

٥- جولات المسيح (٩: ٥١ ، ١٩ :٤٤)

٦- خدمة المسيح فى أورشليم (١٩: ٤٥ ،٢١:٣٨)

٧- الآلام (٢٢: ١ ، ٢٤: ٥٣)

الأماكن الرئيسية كما وردت فى إنجيل لوقا

الكلمات التى قالها يسوع «لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ماقد هلك» (١٩: ١٠)، ويركِّز لوقا على أن يسوع هو المسيَّا الذى سبق أن تنبأ عنه العهد القديم الذى «كان ينبغى أن (المسيح) يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم

٥-إنجيل يوحنا

أ- الكاتب.

ب- خصائص إنجيل يوحنا.

جـ- زمن الكتابة.

د- مكان الكتابة.

هـ- هدف إنجيل يوحنا.

و- التركيز على شخص المسيح.

ز- الإطار العام لإنجيل يوحنا.

أ ـ الكاتب

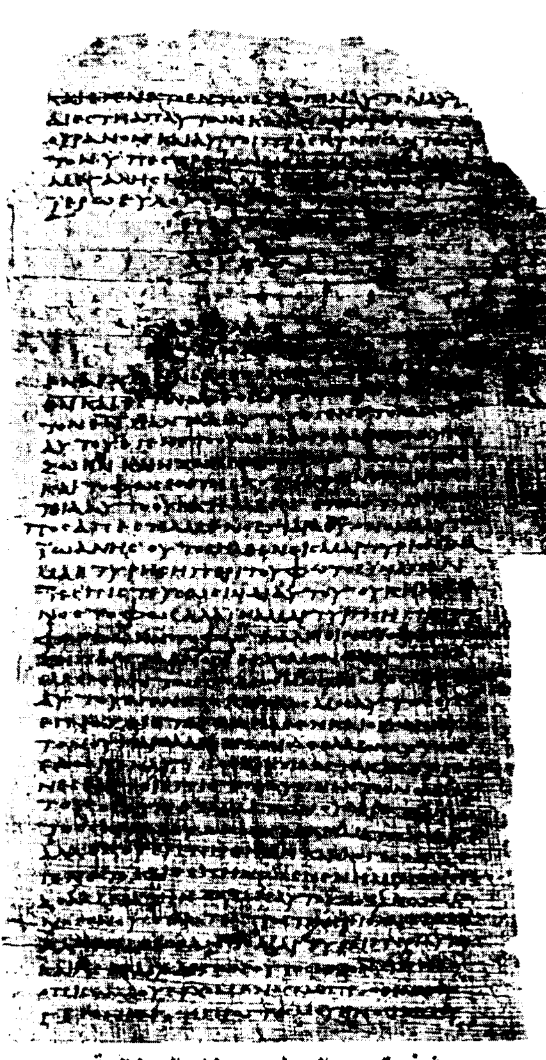
يختلف إنجيل يوحنا اختلافاً بيّناً عن الأناجيل الثلاثة المتشابهة التى سبق أن تحدثنا عنها فى المحتوى والترتيب، فإنجيل يوحنا لايحتوى على أية مثل من أمثال السيد المسيح، ولكن على القليل من أقواله، التى ذُكرت كثيراً فى الأناجيل الثلاثة المتشابهة، وقد ذكر يوحنا سبع معجزات، لم يُذكر خمس معجزات منها فى باقى الأناجيل. لقد كُتب إنجيل يوحنا على مثال عظة بالحرى بأكثر من كونه ترجمة لسيرة حياة. وهو يعالج حياة يسوع على أنها الباعث للإيمان أكثر منها محاولة لتلخيص الأحداث التاريخية.

إن الشذرات التى يقتنيها رايلاندز (Rylands) من ورق البردى تحمل على كل من وجهيها كلمات البشير يوحنا، ويرجع تاريخها إلى الرّبع الأول من القرن الثانى، وتوضح أن هذه النسخة كُتبت نحو عام ١٢٥م، وتوجد إشارات واقتباسات من هذا الإنجيل فى الرسالة إلى برنابا (١٢٥م)، ورسائل اغناطيوس (١١٠م) ويوستينوس الشهيد (١٤٠م)، فيما يبدو إنها اقتباسات من هذا الإنجيل. وهيراقليون الغنوسى، الذى ازدهرت مدرسته الفكرية بين عامى ١٤٠م و ١٨٠م كتب تفسيراً لإنجيل يوحنا، كما استخدمه تاتيان (١٤٠م) ضمن الدياطسرون.

وبذلك فإنه لايوجد شك فى أن إنجيل يوحنا كان موجوداً قبل منتصف القرن الثانى، وفى عصر إيريناوس (١٧٠م-١٨٠م) فإن شهادة الرسل تؤكد على وجود حقيقى للإنجيل الذى كتبه يوحنا التلميذ الذى كان يسوع يحبه.

ب ـ خصائص إنجيل يوحنا

إن هذا الإنجيل نفسه يحمل سمات كاتبه، فالكاتب على معرفة جيدة بالعادات والتقاليد اليهودية، وكذلك يعرف العهد القديم، ويعرف الأماكن المختلفة فى فلسطين، وعاش فى أورشليم. وقال إنه رأى يسوع «ورأينا مجده» (١:١٤)، وكان عند الصليب (١٩: ٣٥)، وذكر الساعة التى جلس



شذرة من إنجيل يوحنا باليونانية
(الأعداد الثلاثة من إنجيل لوقا وبداية إنجيل يوحنا١:١٦)



شذرة من إنجيل يوحنا
(أقدم نسخة موجودة من العهد الجديد)
وهي جزء من بردية لإنجيل يوحنا (١٨: ٣١ - ٣٣)

فيها يسوع عند بئر يعقوب بمدينة سوخار (٤: ٦). وكذلك ذكر عدد وحجم الأجران في عرس قانا الجليل(٢: ٦).

وكذلك عندما وصف المكان الذي اتكأ فيه الجمع في معجزة إشباع الخمسة الآلاف(٦: ١٠)، والتفاصيل الكثيرة التي ذكرها في الأصحاحين الثامن عشر، والتاسع عشر، والأصحاح الأخير يقول عنه «التلميذ الذى كان يسوع يحبه» دون أن يذكر اسمه، الذى كان رفيقاً لبطرس وقت الصيد بعد قيامة الرب يسوع (٢١: ٧)، وكذلك عندما ركضت مريم المجدلية إليه وسمعان بطرس بعدما ذهبت ونظرت الحجر مرفوعاً من القبر (يو٢٠: ٢)، وكان يجلس إلى جوار المسيح في العشاء الأخير.

ربما لم ينل القديس يوحنا سوى قدر ضئيل من التعليم. إلا أنه يحتمل أنه قد اهتم بتثقيف نفسه لتنمية قدرته على التعبير بالدرجة التى نراه عليها فى الإنجيل، وقد أُستخدمت اللغة اليونانية فى الجليل التى نشأ فيها. وإذا كان الإنجيل قد كُتب قرب نهاية حياته، وتوجد إشارات فى الإنجيل عن طول عمره (٢١: ٢٢و٢٣) فلابد أنه كانت عنده فرصة واسعة لكى ينمى كلاً من لغته اليونانية ومعرفته اللاهوتية. لقد كتب الإنجيل من خلال خبرته ومعايشته للرب يسوع.

إن الفرق بين إنجيل يوحنا والأناجيل المتشابهة الثلاثة الأخرى، هو أن قصة حياة الرب يسوع قد كُرز بها فى هذه الأناجيل الثلاثة، وأن يوحنا كان على علم بها.

وعلى ذلك فإن القديس يوحنا حاول أن يقدم ما يتكامل معها، مقدماً رؤية جديدة عن حياة الرب يسوع.

جـ - زمن الكتابة

إن تاريخ كتابة هذا الإنجيل مجهول، وثمة العديد من الافتراضات أُقترحت لذلك. إن جود إنف وإروين يقترحان سنة ٤٠م للزمن الذى ربما كتب فيه يوحنا الإنجيل، ولكن يوجد اقتراح آخر بأنه ربما يكون قد كُتب فى سنة ٨٥ م، حيث يكون التعليم العام للإنجيل قد تبلور، وحيث يحتاج التعليم وكذلك الاعتراضات التى نشأت من جانب الفلاسفة الوثنيين إلى تقديم ذى سلطة فى تفسير خدمة يسوع.

د - مكان كتابة إنجيل يوحنا

إن المكان الذى كُتب فيه إنجيل يوحنا غير معروف. وهناك عدة افتراضات لذلك وهى: فلسطين، الإسكندرية، وغيرها. ويقول أيريناوس فى كتابه ضد الهرطقات (٣:١:١) إن يوحنا كتب الإنجيل أثناء إقامته فى أفسس بأسيا، وربما كتبه للكنيسة التى نمت ونضجت، والتى كان عليها أن تواجه اعتراضات الفلاسفة الوثنيين. وشرح العادات اليهودية (١: ٣٨و٦٢و١٣، ٤: ٩، ٩:٢٢، ١٨: ٢٨.. إلخ) يشير إلى أن الكتابة كانت موجهة للأميين. وعلى ذلك فإن الاحتمال

الغالب هو أن الإنجيل والرسائل التى كتبها كانت موجهة إلى الكنيسة اليونانية فى أسيا.

هـ - هدف إنجيل يوحنا

كان تركيز القديس يوحنا هو أن يجعل القارىء يؤمن بالمسيًا، وقيادته إلى الحياة الجديدة بحسب إيمانهم، فالهدف هو الحياة الأبدية، والحياة قد أُعلنت بين الناس،وذلك باختيار بعض الأحداث من حياة المسيح لتوضح ذلك المعنى.

و - التركيز على شخص المسيح

وفى مقدمة الإنجيل يقدم يوحنا شخص المسيح الكلمة الأزلى، و «الابن الذى فى حضن الآب هو خبَّر، والكلمة صار جسداً» ليعلن الحياة الأبدية للناس، و«النور يضئ فى الظلمة، والظلمة لم تدركه» (١: ٥).

إن إعلان الحياة، مثل النور، فلا تستطيع الظلمة أن تدركه، ومن ثم يبدأ الصراع فوراً نتيجة لذلك. وتاريخ هذا الصراع الروحى يتضح فى شرح حياة السيد المسيح. وهنا يوجد خياران:

الأول: **الإيمان** وهو يعنى قبول النور (١١، ١٢).

والآخر **عدم الإيمان**، ويعنى رفض النور (١: ١٠و١١) والأحداث التى تقع بعد ذلك توضح مآلهما.

إن أساسيات الإيمان تتألف من سبع معجزات مختارة أو آيات قام بها السيد المسيح:

(١) تحويل الماء إلى خمر (٢: ١ -١١).

(٢) شفاء ابن خادم الملك (٤: ٤٦ -٥٤).

الأماكن الرئيسية كما وردت فى إنجيل يوحنا

(٣) شفاء مريض بركة بيت حسدا (٥: ١-٩).

(٤) إشباع الخمس الآلاف (٦: ١- ١٤).

(٥) المشى على الماء (٦: ١٦ - ٢١).



(٦) شفاء المولود أعمى (٩: ١-٤١).

(٧) إقامة لعازر (١١: ١-٤٤).

إن كلاً من هذه المُعجزات تُمثل القوة المسيطرة للمسيح من خلال بعض الأمور الأساسية التى تتعلق بالاحتياج الإنسانى، فهى تظهر قدرته على التغلب والانتصار القوى على تلك الاحتياجات التى تضغط على الإنسان وتحط من قدره، وكل معجزة كانت تجاوباً مع الإيمان الرئيسى الذى صاحبها، ومن هذه المعجزات توجد خمس منها على الأقل كانت بهدف تعليم التلاميذ، وقد كتب يوحنا بالتحديد الغرض من ذلك «وآيات أُخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب فى هذا الكتاب، وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (٢٠: ٣٠و٣١).

إن إنجيل يوحنا يبرز شخص المسيح أكثر مما يبرز أعماله. ويتضح ذلك فى المرات السبع الرئيسية التى ذُكرت، واستخدم فيها السيد المسيح عبارة «أنا هو» فقال: «أنا هو خبز الحياة» (٦: ٣٥)، «أنا هو نور العالم» (٨: ١٢ ، ٩: ٥)، «أنا باب الخراف» (١٠:٧)، «أنا هو الراعى الصالح» (١٠: ١١و١٤)، «أنا هو القيامة والحياة» (١١: ٢٥)، «أنا هو الطريق والحق والحياة» (١٤:٦)، «أنا الكرمة الحقيقية» (١٥: ١).

لقد أُستخدم المجاز فى الإشارة إلى كل وظيفة من وظائف السيد المسيح. فالمسيح كالطعام، غذاءً لكل إنسان. وهو كالباب، الوسيلة للأمان. وكالراعى يؤكد الحماية. وهو كالقيامة والحياة، يحقق الانتصار على الموت. وكالطريق والحق والحياة يمنح اليقين. وكالكرمة الحقيقية، فإنه يميزها بالعناصر الرئيسية للإثمار.

لقد ذكر يوحنا مقابلات يسوع بأكثر مما ذكرت الأناجيل الأخرى. بعضها مقابلات قصيرة مثل التى تمت مع خادم الملك. وبعضها طويلة مثل التى تمت أثناء محاكمته أمام بيلاطس البنطى. ومعظم هذه اللقاءات كانت توضح محاولة يسوع لحث الشخص الذى يتحدث معه ليؤمن به.

لقد استخدم البشير يوحنا كلمات مميزة مثل «الكلمة»، «الحياة»، «الجسد»، «الساعة»، «آية»، «محبة»،(يوجد فعلان مختلفان فى اليونانية) «أرسل»، «بداية»، «عرف» (يوجد فعلان مختلفان فى اليونانية)، «المجد»، «الآب» وغيرها، وهذه الألفاظ قاصرة على استخدام القديس يوحنا لها.

إن إنجيل يوحنا يؤكد على ألوهية المسيح، سواء الإنجيل نفسه أو من خلال الشخصيات التى تعترف وتشهد بذلك. ففى بداية الإنجيل يقول عن المسيح إنه «الكلمة» (راجع ١: ١و٢) ويعترف يوحنا المعمدان بألوهيته فيقول: «وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله» (١: ٣٤)، «وأنه نزل من السماء» (٣: ١٣)، وأن الله أرسله(٣: ٣٤)، وقالت عنه السامرية «المسيح مخلص العالم» (٤: ٤٢)، وإكرامه مساوٍ لإكرام الآب (٥:٢٣)، وأن للابن حياة فى ذاته(٥: ٢٦).

وعندما عاد الخدام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين ولم يأتوا به إليهم «أجاب الخدام لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان» (٧: ٤٦) وماقاله المسيح عن نفسه «الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن» (٨: ٥٨). «أنا والآب واحد» (١٠: ٣٠)، ولكن وفى نفس الوقت فإنه كإنسان «قد تعب» (٤:٦)، «وانزعج بالروح واضطرب» (١١: ٣٣)، وقال عن نفسه: «الآن نفسى قد اضطربت» (١٢: ٢٧)، كان يهتم بالروابط الأسرية(١٩: ٢٦).

تمتاز لغة إنجيل يوحنا بأنها بسيطة ومباشرة، وأن ثمة كلمات تتكرر، فهو حافل بتكرار الألفاظ الجديدة التى استخدمها. افتتاحية الإنجيل تحمل سمة شكل الشعر العبرى، فهى إلى حدما تماثل المزامير فى بنائها. وهو يكرر الموضوع

الذى يتحدث بشأنه بكلمات مختلفة (راجع ٥: ٢٦و٢٧)، ربما يشير ذلك إلى أصل سامٍ فى الكتابة، إلا أنه لايوجد برهان على أن هذا الإنجيل كُتب بلغة أرامية فى الأصل.

إن كل إنجيل من الأناجيل الأربعة يصور لنا شخص المسيح من زاوية مختلفة. فإنجيل القديس متى يوضح لنا أن يسوع هو المسيا الذى فيه تتحقق نبوات العهد القديم، ويكمل هدف الله للفداء. والقديس مرقس يقدمه كمن له سلطان ليغلب المرض والخطية والموت، وأنه هو السيد على الجميع. أما القديس لوقا فيقدمه على أنه صالح ويهتم بكل شئون الإنسان. ويقدمه القديس يوحنا على أنه هو الله، الإنسان الحقيقى والإله الحقيقى. على أنه برغم اختلاف أسلوب معالجة كل منهم، وكذلك الاختلاف فى التفاصيل، فهم يجمعون على شخص المسيح، ويحملون شهادة واحدة لشخصيته فائقة السمو.



آخر صفحة من إنجيل يوحنا باليونانية

ز ـ الإطار العام لإنجيل يوحنا

١- مقدمة (١: ١- ١٨).

٢- خدمة وشهادة ابن الله بين الناس(١: ١٩، ١٢:٢٥).

٣- المسيح يعلم خاصته (١٣: ١ ، ١٧: ٢٦).

٤- المسيح يمجد الله فى موته وقيامته (١٨: ١، ٢٠: ٣١).

٥-ختام (٢١: ١-٢٥).

ابوكريفا

هذه الكلمة تعنى(سرى)، وقد استخدمت في الكنيسة أولاً للإشارة إلى الكتب التى تتطلب قراءتها معرفة خاصة (على سبيل المثال النصوص الغنوسية المكتوبة بلغة السحر).

أو كتب يوصى بقراءتها على انفراد، بالمقابلة مع القراءة العلنية للكتاب المقدس(وهو استخدام كان موجوداً بالفعل في العالم اليهودي). وقد اعتبرت كتب الأبوكريفا في كلتا الحالتين غير قانونية. وقد استخدم الآباء كلمة «أبو كريفا» لوصف الكتابات غير المعروفة المصدر، والتى نسبت زيفاً لكاتب أو لآخر، أو بوصف كتابات تتضمن حقائق مفيدة ولكنها تحتوى أيضاً على أخطاء فى العقيدة. أو كتابات غير مسموح بقراءتها علانية فى الكنيسة بالنظر إلى أنها غير قانونية، أو لوصف الكتابات الهرطوقية، أو التى يستخدمها الهراطقة.

وقد صُنِّفت كتب «أبو كريفا» فى البداية إلى نوعين، أحدهما خاص بالعهد القديم، والآخر خاص بالعهد الجديد. وكان هذا يعتمد فى الأساس على الموضوع أو الشخصية إذا كانت تنتمى إلى العهد القديم أو العهد الجديد. وتنقسم أبوكريفا العهد القديم إلى مجموعتين: الأولى تعود إلى أصل

فلسطيني والأخرى ترجع إلى أصل هيلّيني، ومن بينها نعرف «سفر أخنوخ» و«سفر اسدارس الثالث»، و«رؤيا اسدارس» أو «أسدارس الرابع». أما بالنسبة لأسفار الأبو كريفا الخاصة بالعهد الجديد، فإن تقسيمها الأول قام على أساس نوعية كتاباتها الأدبية. فثمة أسفار أبو كريفية للأناجيل، وسفر أعمال الرسل، والرسائل، وسفر الرؤيا، وقد قُسّمت إلى ثلاث مجموعات وهى:

أ- الأناجيل الأبوكريفية المتشابهة وهى التى يستخدمها المسيحيون من أصل يهودى مثل

إنجيل المصريين، وإنجيل بطرس، وإنجيل العبرانيين، وإنجيل الأبيونيين، وإنجيل النذيرين.

ب- الأناجيل التى تتناول تعليماً هرطوقياً

فطائفة النحشتان الهرطوقية (راجع الباب الخاص بالهرطقات) استخدمت إنجيل توما، وأتباع باسيليدس ذكروا اتباعهم لإنجيل سري نبوة للقديس متى، وابيفانوس ذكر إنجيل يهوذا وإنجيل مارقيون..

جـ- التى تستخدم الخيال فى محاولة لتوضيح بعض الأحداث فى الأناجيل القانونية

وتهتم بإعطاء معلومات عن حياة يسوع، وعائلته مثل (إنجيل الطفولة العربى، إنجيل نيقوديموس أو أعمال بيلاطس (عن محاكمة يسوع)، وإنجيل يعقوب المنحول، سفر أعمال الرسل الأبوكريفى.

وتوجد مجموعة أخرى من أسفار«الأعمال» تتناول اختبارات رسول واحد (أعمال فيلبس، أعمال برنابا، وأعمال تدّاوس. أو الرسولين معاً (أعمال أندراوس ومتياس، أعمال بطرس وأندراوس، وأعمال بولس وأندراوس، أعمال أندراوس وبرثولماوس)، وقد ظهرت فى أواخر القرن الرابع. كما ظهرت «عظات كليمندس» المنحولة وهى ليست لرسول، وهو كليمندس الرومانى،

وختاماً يمكننا أن نخلص إلى ما يلى:

(١) فى بعض الوثائق القديمة مما يطلق عليها أبو كريفا، كانت الرغبة فى الإثبات الكتابى(أى التدوين) لما ينسب إلى السيد المسيح وتلاميذه من قبل التقليد الشفهى.

(٢) جاءت بعض الكتابات الأبوكريفية نتيجة الخيال وباستخدام المعلومات الكتابية كاستجابة للاحتياجات المحلية، ولحب الاستطلاع الشعبى لمصير الإنسان، وبالنسبة ليسوع وعائلته.

(٣) سعى البعض لاضفاء الشرعية على الهرطقة وذلك عن طريق التلاعب بالنصوص القانونية.

(٤) المكاتبات الأبوكريفية المتأخرة تعكس المشاكل الدفاعية والعقيدية للعصر الذى كُتبت فيه.

(٥) كان للأسفار الأبوكريفية تأثير كبير على الأدب والفن والعبادة.

وكتب الأبوكريفا لها قيمة تاريخية كبيرة، فهى تعكس لنا النواحى الأخلاقية والدينية التى كانت سائدة فى المجتمع (أو بالنسبة لبعض طبقاته).

كان اهتمام بعض الآباء برفض الكتابات الأبوكريفية مثل القديس أيريناوس، والعلامة أوريجانوس فى القرن الثانى، وما بعد ذلك. وكان من ثمره صياغة ما أطلق عليه «القائمة الموراتورية» والتى قُسمت فيها الأسفار إلى: مقدسة، وموضع جدل وأبو كريفية، أما قائمة يوسابيوس فتنقسم إلى أربعة أجزاء (أسفار مقبولة من الكنيسة كلها، أسفار موضع جدل، وأسفار زائفة غير هرطوقية، وأسفار أبو كريفية) (يوسابيوس تاريخ الكنيسة ٣: ٢٥). ثم القوائم الرسمية للكنيسة (من القرنين الخامس والسادس وبعدهما) وقد صُنّفت فيها النصوص إلى: (قانونية) موضوع جدل أو (أبوكريفية)، وأكثر القوائم

التى تزخر بأسفار أبوكريفا العهد الجديد هى القائمة المسماه: Decretum gelasianum.

وقد ذكر البابا إنوسنت بعض الكتابات على أنها أبوكريفية فى رسالة بعنوان « Consulenti tibi » أرسلها إلى أكسيوبيريوس التولوزى فى ٢٠ فبراير ٤٠٥م. كما توجد ثلاث قوائم يونانية يجب ذكرها : « Stichometric Catatogue » التى وضعها نيسفورس بطريرك القسطنطينية(٨٠٦-٨١٨م)، وقائمة أثناسيوس المنحولة (الأسفار المقدسة المتشابهة) ، والقائمة مجهولة المصدر التى نشرها مونتفوكون كوتيلييه (Montfaucon Cotelier) موسوعة تاريخ الكنيسة: م.ج. مارا M.G. Mara.

٦-أعمال الرسل

(أ) استقلالية سفر أعمال الرسل.

(ب) الإطار العام للسفر.

(جـ) الكاتب.

(د) زمن الكتابة.

(هـ) هدف سفر الأعمال.

أ - استقلالية سفر أعمال الرسل

يُمثِّل سفر أعمال الرسل نحو عشرين بالمائة من كتاب العهد الجديد، ويعتبر ثانى أقدم الكتب المسيحية، بعد إنجيل لوقا، وكلاهما كتبهما القديس لوقا إلى ثاؤفيلس(لوقا ١: ١- ٤، أعمال ١: ١٠) وقد أشار القديس لوقا فى سفر الأعمال إلى « الكلام الأول عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويُعلم به »، وهذا ما يتفق مع مضمون الإنجيل، ومما يؤكد أن الكاتب هو القديس لوقا لكل من الإنجيل الذى ينسب إليه وسفر أعمال الرسل هو التماثل الشديد بينهما فى اللغة، وتأكيد التقليد، ورفقته للقديس بولس. ويحتمل أن السفر قد حمل هذا العنوان، عندما ضُم إنجيل لوقا إلى الأناجيل الأخرى متى ومرقس ويوحنا، حيث أصبحت فى مجموعة مستقلة تضطلع بقصة حياة السيد المسيح، وقد اختصَّ سفر الأعمال بالتأريخ للفترة اللاحقة، وقد حدث هذا الأمر فى وقت مبكر، حيث تعتبر أقدم قائمة للكتب القانونية هذا العمل مستقلاً.

بالرغم من أن السفر يدعى سفر الأعمال، وحتى بعض المخطوطات تحمل اسم «الأعمال»، إلا أنها لا تسرد كل أعمال الرسل (أتْباع يسوع)، وإنما هى مُختارات سُجلت بدافع الرغبة فى تتبع نمو كنيسة الأمم وذلك منذ يوم الخمسين وحتى امتدادها إلى أنطاكية، وذلك مروراً بكرازة بولس فى روما، وكذلك يركز على شخصيات بطرس، واستفانوس وفيلبس، وبرنابا وبولس ..

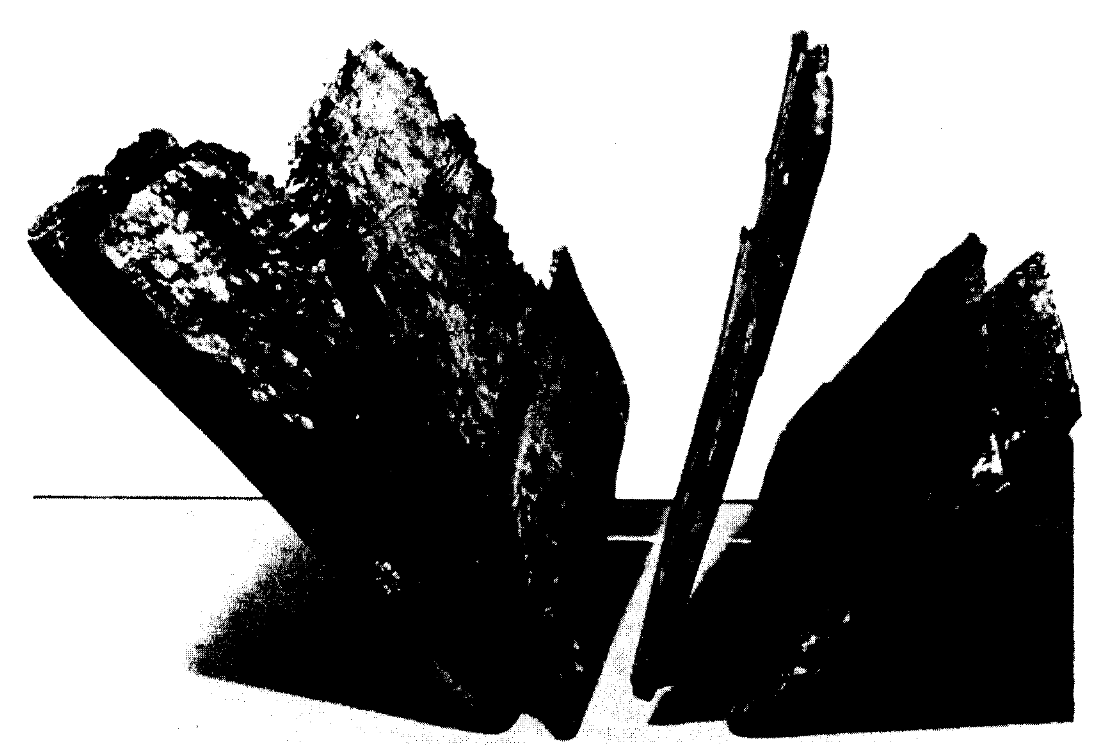
يتأسس سفر الأعمال على قول السيد المسيح المشار إليه فى سفر الأعمال «لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض(١: ٨).

يغطى سفر أعمال الرسل ثلاث مراحل وهى:

المرحلة الأولى: تختص بالبداية فى أورشليم.

المرحلة الثانية: هى المرحلة الانتقالية والتى يميزها تطور الفكر الجديد تجاه الأمم.

المرحلة الثالثة: تغطى خدمة بولس للأمم والتى بدأها من أنطاكية إلى روما مروراً بأسيا الصغرى.



ألواح للكتابة من نحو زمن العهد الجديد. وهى فى الأصل ستة أوراق كانت ملتصقة ببعضها. ووجدت فى مصر

ب ـ الإطار العام للسفر

بداية الكنيسة المسيحية

١-أورشليم: البداية (١: ١ - ٨ ، ٣)

أ- إرسالية المسيح (١: ١- ٨)

ب- الإعداد لحلول الروح القدس(١:٩-٢٦)

جـ- تأسيس الكنيسة بأورشليم (٢: ١- ٧:٦)

د- خدمة استفانوس (٦: ٨ ، ٨: ٣)

٢- المرحلة الانتقالية: أنطاكية (٨: ٤ -١١: ١٨)

أ- خدمة فيلبس (بالسامرة) (٨: ٤- ٤٠)

ب- تجدد بولس(٩: ١- ٣١)

جـ- خدمة بطرس (بقيصرية)(١٠:١-١١: ١٨)

٣- فترة امتداد الخدمة: (روما) (١١:١٩-٣١:٢٨)

أ- الانتقال إلى أنطاكية(١١: ١٩- ٢٥:١٢)

ب- الرحلة الكرازية الأولى(١٣: ١ ،٢٨:١٤)

جـ- مجمع أورشليم(١٥:١- ٣٥)

د- الرحلة الكرازية الثانية (٣٦:١٥ ،١٨: ٢٢)

هـ- الرحلة الكرازية الثالثة (٢٣:١٨ ،٢١: ١٤)

و- سجن بولس ومحاكمته (١٥:٢١ ،٣١:٢٨)

جـ - الكاتب

يعزى التقليد كتابة سفر أعمال الرسل إلى القديس لوقا ، الطبيب اليونانى الذى رافق القديس بولس فى رحلتيه الثانية والثالثة. وتأتى أولى الإشارات إليه فى(أعمال ١٦: ١٠ - ١٧) ثم فى(أعمال ٢٠:٥-١٧:٢١) ثم مرة ثالثة فى (أعمال ٢٧:١- ٢٨: ١٦). لقد رافق لوقا بولس من ترواس إلى فيلبى، إذ يبدو أنه بقى هناك إلى أن عاد بولس فى الرحلة الثالثة، ثم صاحبه إلى روما. وقد بقى قريباً من بولس عندما سُجن. وقد أشار بولس فى رسالة كولوسى إلى «لوقا الطبيب الحبيب»(كولوسى ٤: ١٤، أنظر أيضاً فليمون ٢٤)، وقد أشار إليه فى وقت لاحق مرة أخرى(٢ تيموثاوس ٤: ١١) .

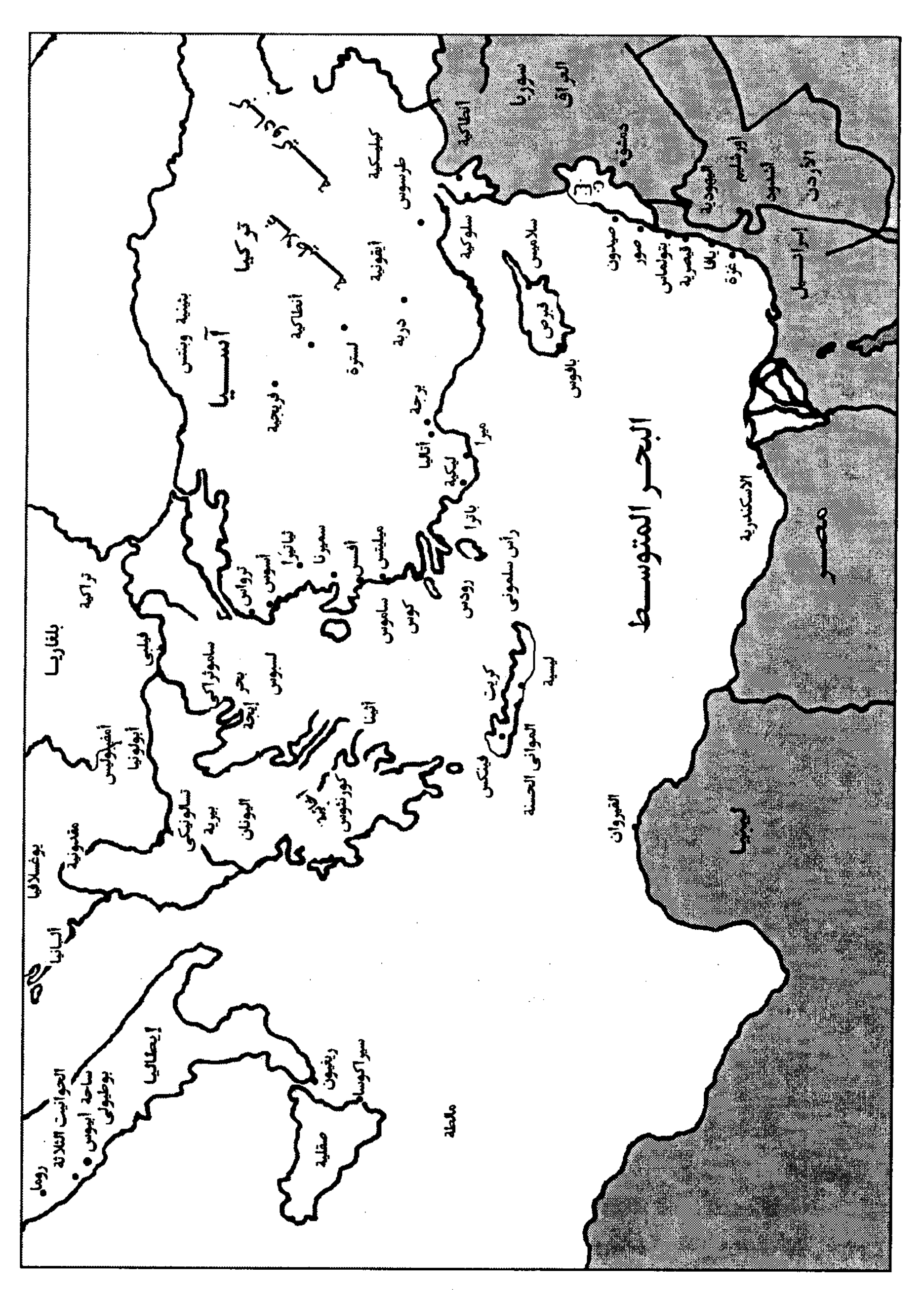
ويقتبس إيريناوس أحد آباء الكنيسة الأولين من سفر أعمال الرسل وينسبه إلى القديس لوقا (ضد الهرطقات ١: ٢٣ :١).

وهذا الدليل يوضح لنا أن الكاتب كان يتمتع بثقافة



صفحة من (أعمال الرسل ٩:١٧ ـ ١٧) باليونانية بحروف كبيرة من القرن الثالث الميلادى

الأماكن الرئيسية كما وردت في سفر أعمال الرسل



يونانية بالإضافة إلى كثرة الترحال، وكانت له ملاحظات دقيقة، ويرى هوبارت Hobart فى كتابة اللغة الطبية عند القديس لوقا، أن الألفاظ الطبية التى استخدمها القديس لوقا إن هى إلا برهان على أن لوقا كان طبيباً.

د ـ زمن الكتابة

يتوقف سفر أعمال الرسل عند سجن بولس للمرة الأولى فى روما ـ أى نحو سنة ٦١م أو ٦٢ م، فلم يُكتب سفر أعمال الرسل قبل هذا الوقت، حيث أنه ذكر أحداثاً ما كان يمكن أن يذكرها هو لو أنه كُتب قبل وقوعها.

وتوجد عدة آراء عن زمن كتابة السفر، فمدرسة توبينجن Tubingen school تعزى زمن الكتابة إلى منتصف القرن الثانى، حيث أنها ترى أنه كتاب دفاعى جاء مفسراً للاختلافات التى حدثت فى الكنيسة فى وقت سابق. بينما يرى آخرون أن زمن كتابته يرجع إلى ختام القرن الأول، وهذا الرأى قائم على أساس أن لوقا استخدم أعمال يوسيفوس كمصادر له، ولكن لم تكن تلك الأعمال قد كُتبت حتى سنة ٩٠ م، على أنه ربما يكون لوقا قد استعان بمصادر أخرى، يُحتمل أنها كانت هى نفس المصادر التى استخدمها يوسيفوس أيضاً، إلا أن الإشارات الدقيقة عن الأماكن والأشخاص والأحداث التى وردت فى سفر أعمال الرسل قد تأكدت بالآثار والتاريخ، فإنها تشير إلى أن لوقا كان معاصراً لكل ما ذكره، وعلى الرغم من أن الكاتب كان مهتماً بدرجة كبيرة ببولس الرسول، إلا أنه لايذكر أية إشارة إلى الرسائل التى كتبها، فهل هذا يعنى أن سفر الأعمال قد كُتب بعد جمعها وتوزيعها، أم قبل ذلك؟ وعلى ذلك فإن زمن الكتابة قبل عام ٦٥م يعتبر هو الأكثر احتمالاً.

هـ ـ هدف سفر الأعمال

يعد سفر الأعمال هو الوثيقة التاريخية الأولى لكل من تاريخ الكنيسة الأولى وللعالم فى ذلك الوقت. وبدون سفر أعمال الرسل لكانت ثمة هوة غير معبورة بين الأناجيل والرسائل. إذ لايوجد توضيح عن كيف تم الانتقال من خدمة الرب يسوع إلى خدمة الرسل وكرازتهم وتعليمهم، فمعظم المعلومات التى لدينا وتتعلق بالرسل وأسفارهم تنبع من سفر الأعمال. وسفر الأعمال ليس سفراً شاملاً، إذ لايذكر كثيراً من التفاصيل وإنما يقدم الأحداث والحقائق الأساسية التى تعاون فى تفسير التاريخ.

إن الإشارات للأحداث المعاصرة التى ذكرت فى سفر الأعمال تمكّن الباحثين من ربط المسيحية بالعالم الذى نشأت فيه، فقد ذكر موت هيرودس أغريباس الأول (١٢: ٢١ - ٢٣)، وتولى غاليون أخائية (١٨: ١٠)، وتولى فيلكس (٢٣: ٢٤) وفستوس (٢٤: ٢٧)، الولاية على اليهودية، وكان هذا هو الاسم الرسمى الذى يطلق على رجال الدولة ممن يحكمون مناطق فى إطار الامبراطورية الرومانية. والمعلومات الدقيقة المذكورة عن التفاصيل الجغرافية عن الرحلة الأخيرة إلى روما (٢٧-٢٨) تمدنا بمعلومات يمكن أن يعتمد عليها المؤرخون المعاصرون، وهى تبين مدى دقة معلومات القديس لوقا.

إن سفر أعمال الرسل يتضمن أول تعليم للكنيسة، وذلك فى العظات التى ذكرها السفر، ويؤكد سفر الأعمال على عمل الروح القدس، ويرسم صورة للعمل الكرازى كنموذج للخبرة العملية التى اختبرها الرسل.

✣ ✣ ✣ ✣

٧-رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية

(أ) تأسيس كنيسة روما.

(ب) الهدف من الرسالة.

(جـ) الكاتب.

(د) زمان ومكان كتابتها.

(هـ) طبيعة الرسالة.

(و) الإطار العام للرسالة.

يعتبر اللاهوتيون أن الرسالة إلى أهل رومية تأتي من حيث الأهمية في مقدمة الرسائل التي كتبها القديس بولس، فهي تشرح خلاص المسيح بتوسع، وبتفاصيل تطبيقية.

روما

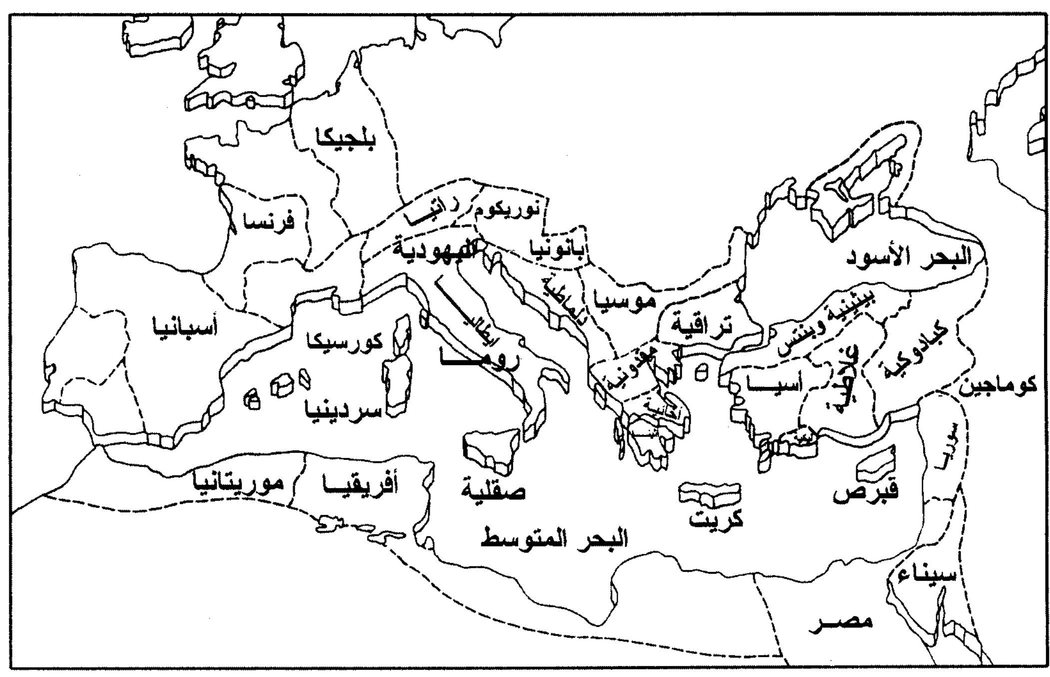
يرجع التاريخ التقليدي لتأسيس مدينة روما إلى سنة ٧٥٣ ق.م. وثمة بعض الروايات تنسب تأسيس روما إلى روميولوس، الذي سُميت المدينة على اسمه، ونُصِّب أول ملك لها. وكانت روما في الأصل كما تبرهن على ذلك الاكتشافات الأثرية- نقطة التقاء، هي بمثابة البوتقة التي يتجمع المهاجرون فيها ولا ينصهرون في وطن واحد. فقد تأسست دولة روما على أساس الاتحاد الذي أقامته فيما بينها العشائر التي كانت تقيم هناك، وقد نمت الدولة الرومانية وتطورت شيئاً فشيئاً بفعل الاستراتيجية التي وضعها الاتروسكانيون حيث جذبوا إلى المدينة كثيرين من المهاجرين، وكثيراً من الأفكار الليبرالية من أنحاء البحر المتوسط. وبعد مرور ألف عام من بداية تأسيسها كانت قد اندمجت مع الحضارات الأخرى. كان كل العالم رومانياً، حيث كانت روما هي العاصمة، إلا أن اتساعها الشديد وشمولها للجنسيات المتنوعة قضى على تفرُّدها. ثم فقدت استراتيجيتها التي أملت عليها النماء والتطور، وبحلول العصور الوسطى لم تكن روما بأكثر من مدينة تقع في إيطاليا!

كانت روما في زمن العهد الجديد في كامل قوتها وملء نموها وقد أقيمت العديد من المباني الضخمة المؤلفة من عدة أدوار، والمقسمة إلى وحدات مستقلة، وذلك لإقامة البروليتاريا التي وصلت إلى أكثر من مليون شخص، ممن جاءوا بهم من كل مكان. وقد أصبحت الأرستقراطية سمة تميز القياصرة، حيث كانوا يصرفون بسخاء من الإيرادات التي يحصلون عليها من القادات الثلاث وذلك لشراء العقارات الخاصة للدولة، فقد أقاموا المباني الضخمة التي تعبر عن الأبهة، في قلب العاصمة، والتي ربما لم يكن ثمة مثيل لها في أي عاصمة أخرى. وقد جذبوا المواهب الأدبية والفنية من الدول الأخرى. وأقامت روما مع دول البحر المتوسط علاقات دبلوماسية، ساعدت الطرق التي أنشأتها لنقل الأغذية والبضائع في تدعيم تلك الروابط.

(أ) تأسيس كنيسة روما

عندما كتب القديس بولس رسالته ذكر أنه يشتاق إلى زيارة أهل روما منذ سنين كثيرة (راجع١٥: ٢٣)، وكذلك شهد عن إيمانهم الذي ينادى به في العالم (١: ٨).

لقد طرد الإمبراطور كلوديوس Claudois اليهود من روما وذلك نحو منتصف القرن الميلادي الأول (أع ١٥)، لما أحدثوه من اضطراب بسبب التبشير بالمسيح يسوع، وقد اضطر أكيلا وبريسكلاً زوجته أن يغادرا روما إلى كورنثوس، وحيث أقام بولس عندهما وعمل معهما، فلابد أنهما كانا مؤمنين (أع ١٨: ٢، ٣) ويبدو أن الرومانيين قد عرفوا الإيمان من خلال المسيحيين من اليهود- حيث كانوا حاضرين يوم الخمسين (أعمال ٢: ١٠)- وقد قصدوا روما للتبشير. ثم بعد ذلك حين زارها القديس بولس، ويبدو أن القديس بولس لم تكن تتوفر له معلومات عن القديس بطرس في ذلك الحين حيث لم يذكر عنه أي شيء.



خريطة لموقع روما من العالم القديم

(ب) الهدف من الرسالة

لم يكن القديس بولس معروفاً بالوجه عند المؤمنين فى كنيسة رومية، بالرغم من أنه كان يتمتع بالعديد من الصداقات معهم. وقد كتب لهم يخبرهم عن شوقه لزيارتهم «إننى مراراً كثيرة قصدت أن آتى إليكم، ومُنعت حتى الآن»(١: ١٣)، وربما يرجع ذلك لأنه شعر أنه يريد أن يعاونهم على امتداد رسالة الإنجيل فى العالم الغربى، حيث كان انتهى من خدمته فى أورشليم، أو لأنه كان يريد أن يعالج الظروف التى تجتازها الكنيسة فى روما، وإن كان ذلك غير واضح من الرسالة نفسها.

(جـ) الكاتب

تذكر الرسالة نفسها أن الكاتب هو بولس (١:١). وهى تتشابه كثيراً مع الرسالة إلى أهل غلاطية، وهو ما يعد دليلاً على أن الكاتب لكليهما هو بولس، وثمة دليل آخر يتفق مع ما جاء فى سفر الأعمال عن جمع الصدقات وإرسالها للقديسين الفقراء فى أورشليم (رومية ١٥: ٢٥ ، ٢٦ قارن مع أعمال ٢٤: ١٧) ورغبة القديس بولس فى زيارة روما (رو١:١٣و١٥ ،٢٣و٢٤ قارن مع أع ١٩: ٢١).

(د) زمان ومكان كتابتها

عندما كتب القديس بولس رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس كان مشروع جمع الصدقات للقديسين الفقراء فى أورشليم قد قارب على الانتهاء (أصحاح ٨ و٩).

وعندما كتب بولس رسالته إلى أهل رومية كانت الصدقات قد وصلت إليهم (راجع رومية ١٥: ٢٥-٢٨) وحيث أن رسالة

رومية قد كُتبت بعد الرسالة الثانية إلى كورنثوس، فإنه يبدو أن الرسول كان فى كورنثوس كما كتب، لأن فيبى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كانت موضع ثقة كما كتب بولس فى الرسالة (رومية ١٦: ١و٢)، وحيث أنه مكث هناك لمدة ثلاثة أشهر فقط فى هذه الزيارة (أعمال ٢٠: ٣)، لذا يمكن تحديد تاريخ تقريبى وذلك نحو سنة ٦٥ م، أى قبل أن يذهب مباشرة إلى أورشليم.

(هـ) طبيعة الرسالة

هذه الرسالة تدرج مع الرسائل التعليمية. وبولس الرسول فى هذه الرسالة وهو يبشر بالإنجيل، يركز على الخلاص فى ضوء بر الله (رومية ١:١٦و١٧) حيث أنه لدى الله البار خطة لفداء العالم الفاسد، وذلك بتقديم ابنه ذبيحة «الذى قدمه الله **كفارة بالإيمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة**».

فغفران الخطايا يتطلب إيمان الخطاة بدم المسيح، ومن ثم طاعة الإيمان كما قبلوه (راجع١: ٥، ١:١٦و١٧). وهذه هى نفس الخطة التى اتبعها الله مع ابراهيم (الأصحاح الرابع)

خريطة لموقع روما

حيث أنه تبرر بالإيمان لا بالأعمال.

والخلاص ليس قاصراً على شعب بعينه، وإنما هو لكل من يؤمن لليهودى، ولليونانى (راجع١: ١٦).

و ـ الإطار العام للرسالة

• **التقديم والهدف**: إعلان بر الله، وإيمان الإنسان (١:١-١٧)

١- احتياج الجميع للبر الإلهى: فاليهود والأمم أُدينوا لأنهم خطاة (١: ١٨ - ٣ : ٣٩)

٢- التدبير الإلهى للبر من خلال الخلاص: (٣: ٢١ - ٨: ٣٩)

أ- **التبرير**: على أساس الإيمان بالمسيح، وهو عطية من الله. (٣: ٢١ - ٥: ٢١)

ب- **التقديس**: إن روح الله يعمل كقوة مغيرة للحياة الجديدة للمؤمنين للتبرير والتقديس (٦:١-٨ : ٣٠).

جـ- **الحفظ** : لاشىء يفصل المفديين عن محبة الله التى فى المسيح يسوع (٨: ٣١ - ٣٩)

٣- البرهان على بر الله: معالجة قضية الأمة الاسرائيلية (٩: ١ - ١١: ٣٦)

٤- مسئوليات البر: (١٢: ١ - ١٦: ٢٧).

أ- التكريس بالكامل لله (١٢: ١، ٢)

ب- التواضع فى السلوك (١٢: ٣- ٨)

جـ- محبة المؤمنين (١٢: ٩ - ١٦)

د- السلوك الحسن مع الجميع (المجتمع) (١٢ :١٧-٢١)

هـ- الخضوع للسلطات الحاكمة(١٣: ١-١٤)

و- إحتمال المؤمنين الضعفاء(١٤: ١-١٥:١٣)

ز- مسئوليات تجاه المؤمنين (١٥:١٤-١٦:٢٧).

٨-رسالتا بولس الرسول إلى أهل كورنثوس

أ- الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.

ب- الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس .

ج- زمان كتابة الرسالتين.

د- رسالتا كورنثوس فى الكتابات الأولى للآباء

هـ- كم رسالة كتبها الرسول بولس لكنيسة كورنثوس؟

تنتمى الرسالتان إلى أهل كورنثوس بالإضافة إلى الرسالة إلى أهل غلاطية، والرسالة إلى أهل رومية إلى مجموعة الرسائل الخلاصية.

كورنثوس

كورنثوس مدينة يونانية تقع فى نهاية غرب البرزخ بين وسط اليونان وبلوبنيزوسPeloponnesus، وهى تشرف على الطرق التجارية بين شمالى اليونان وبلوبنيزوس والطريق الذى يمر بالبرزخ. غير أن طريق البرزخ كان أكثر أهمية فى التجارة من الطرق الأخرى. وكان ثمة ميناءان الأول ليكايوم ويبعد نحو ٢,٥ كيلومتر جهة الغرب من خليج كورنثوس، والميناء الآخر: سينكريا Cenchreae ويبعد ١٤ كيلو متراً جهة الشرق مع الخليج السارونيكى Saronic. وهكذا أصبحت كورنثوس مركزاً هاماً للتجارة، كما كانت كذلك فى الصناعة، ولاسيما صناعة الخزف. كانت المدينة محاطة بأكمة أكروكورنثوس (أى كورنثوس العالية)، والتى كان ارتفاعها يصل إلى (٥٦٦ متراً)، أما جبل الأكروبوليس فكان مقاماً عليه معبد أفروديت، إلهة الحب، والتى عرفت خدمتها بالنواحى اللا أخلاقية فى تلك الأيام ولا سيما فى وقت أرستوفانيس(استرابو: ٣٧٨، أثيناماس٥٧٣)، وكانت كورنثوس تحت حكم المقدونيين منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وحتى عام ١٩٦ ق.م. إلا أنها تحررت فى ذلك العام- وباقى اليونان - من حكم المقدونيين حيث أستولى عليها ت. كونكتيوس فلامينيوس T. Qunictius flamininus وانضم لحلف أخائية. وبعد فترة من الخلاف مع روما، والثورة الاجتماعية التى قام بها كريتولاوس Critulaus قام ل.موميوس L. Mummius بتدمير المدينة تماماً فى عام ١٤٦ ق.م. وقام ببيع سكانها كعبيد. وفى عام ٤٦ ق.م. أعاد يوليوس قيصر بناء المدينة ليعيد إليها الرخاء الاقتصادى الذى كانت عليه. وعندما جاء أوغسطس قيصر جعلها عاصمة الولاية الجديدة أخائية، وهكذا انفصلت عن ولاية مقدونية وأصبحت تحت حكم والٍ مستقل.

أ-الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس

١- تأسيس كنيسة كورنثوس.
٢- الهدف من الرسالة.
٣- الإطار العام للرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.

١- تأسيس كنيسة كورنثوس

لايذكر الرسول بولس إلا القليل بالنسبة لتأسيس الكنيسة، ، لكننا نجد إشارة موجزة إلى ذلك فى (أعمال ١٨)، ولقد أقام بولس الرسول مع الزوجين اليهوديين أكيلا وبريسكلاً، ولعلهما كانا قد اعتنقا الإيمان المسيحى من قبل، وكانا قد طُردا من رومية منذ عهد قريب. وقد قام بولس - كعادته - بالكرازة فى المجمع وأقنع « يهوداً ويونانيين »(أعمال ١٨: ٤)، أى يهوداً ودخلاء، أو « خائفى الرب » (وهى عبارة تتضمن

يهوداً ودخلاء وأمميين ممن تبنَّوا معظم ما يختص بالديانة اليهودية،دون اتخاذ الخطوة الأخيرة المتعلقة بالختان).

شرعت السلطات اليهودية تعارض استخدام بولس للمجمع في كرازته. ولقد انسحب بولس وأخذ معه عدداً من اليهود الذين آمنوا بالرب، ومن أبرزهم رئيس المجمع هو وجميع بيته، وانتقل إلى بيت ملاصق للمجمع يخص رجلاً متعبداً لله اسمه تيطس يوستس، وقد شكلت هذه الجماعة نواة كنيسة كورنثوس، والتي كانت تنمو بسرعة (أعمال ١٨: ٨ و١٠). ولعل العلاقات بين هاتين المجموعتين من الجيران ظلت متوترة، واستغل اليهود فرصة تغيير الحاكم الإداري (غاليون) لكي يشنوا هجوماً على بولس في المحاكم، ولكن باءت جهودهم بالفشل، وكان من شأن ذلك أن استطاعت الكنيسة أن تنمو دون مضايقات، فيما مكث بولس مدة طويلة غير عادية (في نظره) بلغت ثمانية عشر شهراًقبل أن يبحر إلى سوريا مع أكيلا وبريسكلا.

٢ ـ الهدف من الرسالة

كتب الرسول بولس الرسالة الأولى ليعالج المشكلة القائمة آنذاك «أخبر أن بينهم خصومات»(١: ١٠- ٤ : ٢١). انضم البعض إلى بولس بإخلاص كمؤسس للكنيسة، في حين انضم البعض لأبُلُوس وانضم آخرون لصفا (كورنثوس الأولى ١: ١٢). وقد كتب لهم بولس موضحاً أن المسيح وحده هو الذي يستحق أن يُكرز به، لأن المسيح هو الذي صُلب لأجلهم، وقد اعتمدوا على اسمه. إن للخدمة مكاناً «فإننا نحن عاملان مع الله» (٣: ٩)، إن كل خدمة هي من أجل الكنيسة (٣: ٢١ ، ٢٢). فالمسيحية ليست فلسفة لها مدارس فكرية متعددة، ولكل فيلسوف أو معلم تلاميذه وأتباعه وخاصته.

أما المشكلة الثانية التي كتب ليعالجها فكانت مشكلة أخلاقية، حيث انتشرت رذيلة الزنى بينهم. ولأن المؤمنين يشتكون بعضهم البعض عند غير المؤمنين (٦: ١ - ٨). ويركِّز الرسول بولس في التعليم على تقديس الجسد (٦: ٩ - ٢٠).

ثم كتب لهم عن الزواج وبعض التعاليم الخاصة به (٧: ١ - ٤٠). ثم كتب لهم عن الطعام الذي يُذبح للأوثان (٨: ١- ١١: ١). فقد كان صعباً على أولئك المسيحيين من الشباب أن ينسلخوا من تلك البيئة التي نشأوا فيها. فقد كانوا بحاجة إلى مساعدة لتوجيه سلوك المرأة في الكنيسة. كذلك أسدى بعض الملاحظات الهامة فيما يتعلق بعشاء الرب (١١: ٢-٣٤).

ولأن أهل كورنثوس من اليونانيين فإنهم يحبون التعبير عن الذات، لذا فقد كانوا يقدِّرون مواهب الروح لاسيما التكلم بألسنة، لذلك يعالج الرسول بولس كل ما يتعلق بالمواهب الروحية، وهو لم يمنعهم من التكلم بألسنة، وإنما أشار إلى المحبة التي هي أكثر أهمية من كل المواهب، ونجد أنشودة المحبة الرائعة في الأصحاح الثالث عشر (١٢: ١ -١٤: ٤٠)

ستبلغ الرسالة الذروة في تعليم بولس الرسول عن القيامة (١٥: ١- ٥٨)، فلم تكن الفلسفة اليونانية تؤمن بقيامة الجسد ، فإذا كان المسيح قد قام من بين الأموات في اليوم الثالث (وآمن أهل كورنثوس بذلك)(١٥: ٣- ١١)، فعلى ذلك فإن قيامة المؤمنين مقبولة أيضاً. أما الأصحاح الأخير فيتكلم عن «الجمع» من أجل القديسين، وعن خطط مستقبلية.

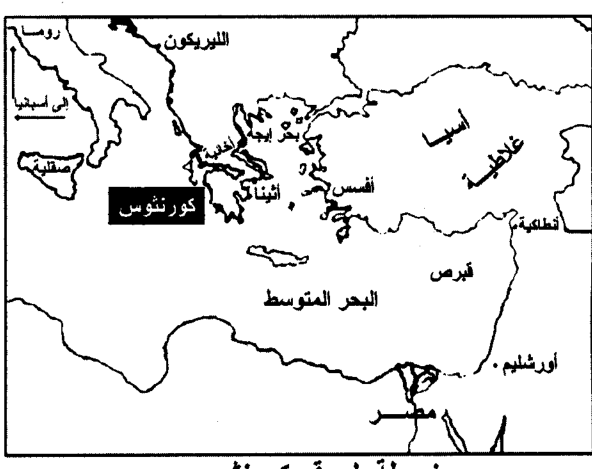
٣ـ الإطار العام للرسالة الأولى لأهل كورنثوس

أولاً: تقديم (١:١ - ٩)

ثانياً: مشاكل في وسط الشعب (١: ١٠ - ٦: ٢٠)

أ - روح الخصام (١: ١٠ - ٤ : ٢١)

ب - مشاكل أخلاقية (٥: ١ - ٦: ٢٠).



خريطة لموقع كورنثوس

ثالثاً: مسائل عملية وتعليمية (٧:١- ١٥: ٥٨)

أ- أمور تتعلق بالزواج (٧: ١ - ٤٠)

ب- ما يتعلق بما يذبح للأوثان (٨:١- ١١:١)

جـ- أمور تتعلق بسلوك المرأة في الكنيسة، وعشاء الرب (١١ : ٢ - ٣٤).

د- ما يتعلق بالمواهب الروحية (١٢:١- ١٤:٤٠).

هـ- مايتعلق بالقيامة (١٥: ١ -٥)

رابعاً: ختام (١٦: ١- ٢٤).

✣ ✣ ✣ ✣

ب-الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

١- هدف الرسالة وظروف كتابتها.

٢- الإطار العام للرسالة.

ا - هدف الرسالة وظروف كتابتها.

رد بولس على أولئك الرسل الكذبة، وأكد على سلطته كرسول في رسالته الثانية(٢كو ١٠-١٣). ويبدو أن أحد أعضاء الكنيسة هناك تحول عن بولس بفعل الدعاية التي قام بها أولئك الرسل الكذبة عن أنفسهم (كورنثوس الثانية ٢: ٥ وما بعده ، ١٢:٧)، ويبدو أن الموقف هناك جعل الرسول بولس يقوم برحلة سريعة إلى كورنثوس ويترك أفسس مؤقتاً حتى يعالج تلك المشكلات القائمة (كورنثوس الثانية ٢: ١ ، ١٢: ١٤ ، ١٣: ١ و٢) وحتى تم اللقاء وجهاً لوجه يبدو أنه لم يؤت ثمره، ففي طريق عودته إلى أفسس كتب بولس الرسول رسالة مليئة بالحزن والدموع (كورنثوس الثانية ٢ : ٤ ،٧ : ٨) وقد أرسلها بيد تيطس. وقد تعرض القديس بولس لخطر الموت فكتب عن ذلك «فإننا لانريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً.. الذي نجانا من موت مثل هذا وهو ينجي» (كورنثوس الثانية ١: ٨ ، ١٠). فترك المدينة إلى ترواس ثم إلى مكدونية حيث إلتقى بتيطس (كورنثوس الثانية ٢: ١٢ ، ١٣).

وكان للأخبار السارة التي حملها إليه تيطس عن الكنيسة في كورنثوس أثرها في التعزية والراحة (راجع كورنثوس الثانية ٧: ٥ ومابعده). وقد قادته تلك الأخبار السارة لكتابة رسالته الثانية والتي من خلالها دافع عن خدمته (كورنثوس الثانية ٢: ١٤- ٧: ٤).وكانت ثمة أمور لم ينته منها، بما في ذلك الجمع الذي كان يجمعه للفقراء من القديسين في أورشليم (كورنثوس الأولى ١٦: ١-٤)، وهو يشير إلى ذلك في الأصحاحين الثامن والتاسع من رسالته الثانية.

وقد واصل الرسول بولس هجومه على الرسل الكذبة وذلك في الأصحاحين العاشر والحادي عشر، وهو يذكر خدمته التي أمتزجت بالمعاناة والأتعاب، ويذكر المخاطر التي تعرّض لها

(١١: ٢٢- ٢٩). ثم يذكر أولئك الذين سمحوا للمتطفلين بأن يخدعوهم (١١: ١٩ ، ٢٠). وكما يقول الرسول بولس فإنهم ألزموه أن يمدح نفسه(راجع ١٢:١١).

إنه لمن الجلى أن الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس قد كتبت بعد فترة قصيرة من الرسالة الأولى.

٢ - الإطار العام للرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

١- الاعتراف بعمل الله وتعزيته (١:١-٢: ١٣ ،٧: ٥- ١٦)

٢- امتيازات الخدمة المسيحية والمعاناة فى سبيلها (٢:١٤-٧:٤).

٣- العطاء المسيحى (٨: ١ - ٩: ١٥).

٤- خدمة بولس الرسول وتباينها مع خدمة الرسل الكذبة (١٠: ١ - ١٣: ١٤).

جـ - زمان كتابة الرسالتين

ثمة رأيان عن زمن كتابة الرسالتين:

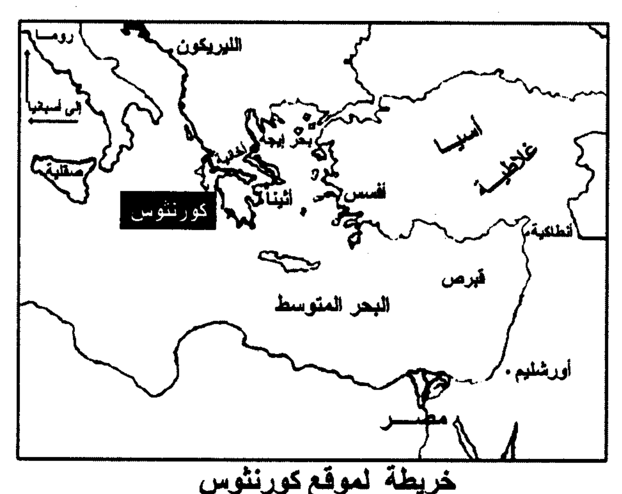
يرى **الرأى الأول** أن الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس قد كُتبت بين عامى ٥٤ - ٥٦ م، وأن الرسالة الثانية قد كُتبت نحو عام ٥٩ م، أما **الرأى الآخر** فيرى أن الرسول بولس قد كتب رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس بعد ولاية غاليون (وكان ذلك نحو منتصف٥١ أو ٥٢ م) وبعد زيارة قصيرة لأفسس ثم لأورشليم ثم العودة ثانية إلى أفسس حيث أقام هناك مايزيد عن سنتين، وهى الفترة التى يرون أنها كانت مناسبة لكتابة رسالته.

د - رسالتا كورنثوس فى الكتابات الأولى للآباء

لرسالتى كورنثوس مكانة بارزة فى الكتابات الأولى، فقد ذكرها الآباء عقب العصر الرسولى مثل كليمندس الرومانى (نحو عام ٩٥ م)، وقد ذكره الرسول بولس فى فيلبى(٤: ٣). واغناطيوس(من النصف الأول من القرن الثانى). وبوليكاربوس(من النصف الأول من القرن الثانى). والشهيد «يوستينوس» (فى أواخر القرن الأول). وكذلك ذكرها مارقيون الغنوسى فى «كتابات الرسل» (نحو ١٤٠م). وكذلك أخذت مكانة بارزة فى أقدم القوائم التى تحتوى كتابات الرسول بولس فقد ذكرت فى الوثيقة المواراتورية (نحو ١٧٠ م)

هـ - كم رسالة كتبها الرسول بولس لكنيسة كورنثوس ؟

ثمة آراء ترجح أن الرسول بولس كتب أربع رسائل إلى كورنثوس، ويشار إلى الرسالة الأولى «بالرسالة المفقودة» (راجع كورنثوس الأولى٥ :٩) أما الرسالة الثانية فهى الموجودة بين أيدينا وتحمل اسم «الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس». وثمة إشارة إلى رسالة ثالثة توصف بأنها «الرسالة الحزينة» (راجع كورنثوس الثانية ٢: ٤). أما الرسالة الرابعة فهى «رسالة شكر» وهى الرسالة التى بين أيدينا والمعروفة «بالرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس».

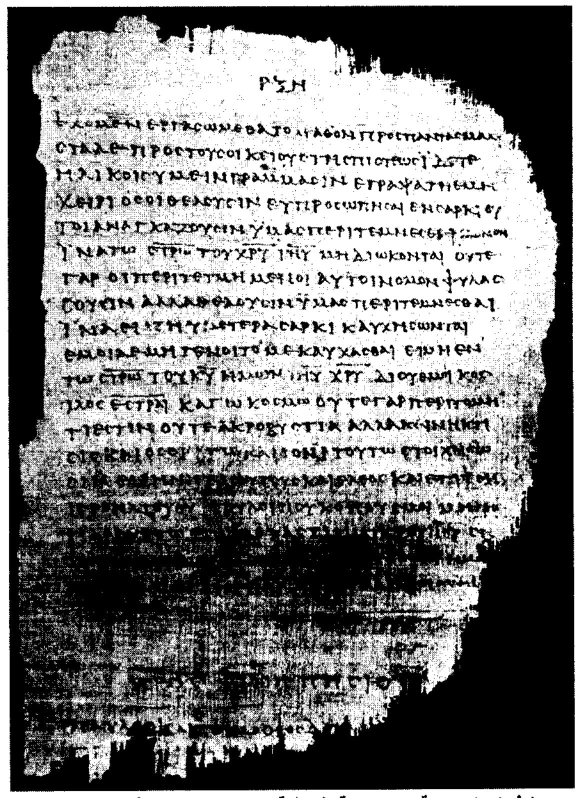


خريطة لموقع كورنثوس

٩-رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية

أ-كاتب الرسالة.
ب- زمان ومكان كتابة الرسالة.
جـ- الهدف من الرسالة.
د- الإطار العام لرسالة غلاطية.

تحتل هذه الرسالة مكانة بارزة فى العهد الجديد، فهى تكشف الكثير من طباع الرسول بولس، كما تلقى الضوء على بعض من أهم تعاليمه.



شذرة باليونانية من رسالة غلاطية (٦: ١٠ - ١٨) وفيلبى (١:١)

أ - كاتب الرسالة

تقدم الرسالة لمحات موجزة ولكنها معبرة عن خبرة الكاتب قبل أن يصبح مسيحياً. فهو يذكر حياته السابقة فى ظل اليهودية (١: ١٣).

ويذكر سمتين من سمات اختبار تجديده كان لهما تأثير عظيم عليه، إحداهما تتمثل فى قصد الله لحياته الذى يُذكر عنه إنه يعود حتى إلى ما قبل ولادته (١: ١٥)، أما السمة الأخرى لتجديده والتى أثَّرت فيه بشدة فهى إدراكه أن دعوته للكرازة يمكن إرجاعها إلى تلك المناسبة، فكرازته كانت بإعلان من الله(١: ١٢).

ب - زمان ومكان كتابة الرسالة

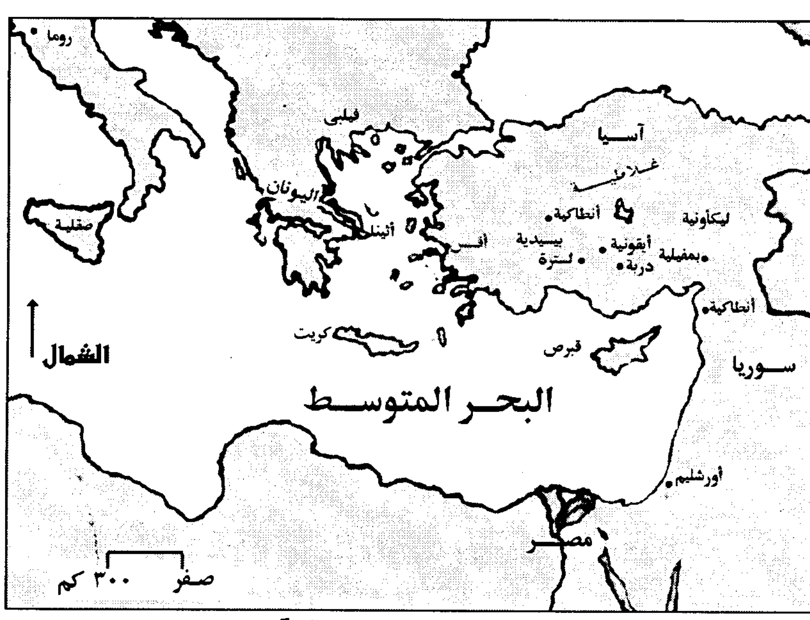
غلاطية

توجد نظريتان عن موقع غلاطية.

النظرية الأولى ترى أن غلاطية يُقصَد بها جغرافياً جزء من المقاطعة الواقعة فى الشمال حيث استقرت مجموعات من الناس جاءت من بلاد الغال(فرنسا) وأطلقوا اسمهم على المنطقة بأسرها، أما **النظرية الأخرى** فترى أن غلاطية أُستخدمت بالمعنى السياسى، ويُقصد بها المقاطعة التى كانت قائمة من حدود بمفيلية فى الجزء الجنوبى من أسيا الصغرى إلى حدود بُنتس تجاه البحر.

لا نستطيع على وجه اليقين أن نحدد زمن كتابة الرسالة. فأتباع النظرية القائلة بأن غلاطية هى الجزء الشمالى من المقاطعة، يرون أن الرسالة كُتبت بعد الأحداث التى ذُكرت فى (أعمال ١٨: ٢٣) أى أثناء الرحلة التبشيرية الثالثة لبولس، ولعل ذلك كان إبان تواجد بولس فى أفسس، أو بعد ذلك بوقت قصير.

ومن ناحية أخرى، فإنه إذا ما كانت الرسالة قد وجهت إلى كنائس جنوبى غلاطية التى أسسها الرسول فى الرحلة



خريطة لموقع غلاطية

كان مجمع أورشليم قد سبق أن انعقد، هنا تكون كنائس جنوبى غلاطية قد تلقَّت بالفعل تلك القرارات (١٦:٤)، وبهذا يكون التهوديون اتخذوا موقفاً أكثر تشدداً من الموقف الذى تبنَّاه الرسل فى أورشليم. أما إذا كانت الرسالة إلى كنائس الشمال، فلا يوجد دليل صريح على أنهم تسلموا تلك القرارات.

ولنا أن نستخلص من ذلك أن الرسول استهدف من وراء هذه الرسالة أمرين اثنين:

الأول: التأكيد على قانونية رسوليته.

الآخر: عرض وتوضيح طابع الإنجيل الذى يبشر به.

ونراه فى الجزء الأول من الرسالة معنى بأن يبيِّن علاقته مع الرسل «الأعمدة» فى أورشليم، حتى يوضح مساواته بهم، بينما هو فى ذات الوقت يظهر استقلالية عنهم، وإن دعوته للرسولية هى من قبل الله لا من قبل الناس، فضلاً عن ذلك، نراه يؤكد أنه لا يوجد سوى إنجيل واحد، الأمر الذى يوحى بأن خصومه كانوا يتهمونه بأنه يبشر بإنجيل مختلف، وأنه يدَّعى أنه تلقَّى إنجيله من الله. ويضمِّن بولس رسالته تعبيرات عن بعض الحقائق اللاهوتية الهامة، والجزء الأساسى من الرسالة يصدر تحذيراً قوياً ضد التقيد الحرفى بالناموس، الأمر الذى ينطبق لاعلى الموقف الذى واجهه بولس فى كنائس غلاطية فحسب، بل حيثما كان هناك اعتماد على الممارسات الحرفية للناموس على اعتبار أنها ضرورية للخلاص. فإذا لم يكن فى مقدور الأممى أن يصبح مسيحياً إذا لم يختتن، فإن

التبشيرية الأولى، فأى تاريخ بعد هذه الرحلة يكون محتملاً، بما فى ذلك أثناء الرحلة الثالثة كما سبق القول. إلا أن ثمة احتمالاً آخر يطرح نفسه بالنظر إلى أن تاريخاً أقدم يتناسب بالأكثر مع خلفية الرسالة. كما أنه من المحتمل أن تكون هذه الرسالة ضمن الرسائل الأولى التى كتبها الرسول بولس.

جـ - الهدف من الرسالة

ثارت الصعوبات فى كنائس غلاطية لأن جماعة من الناس كانت تصر على ضرورة ختان الأمميين، ولابد أن هؤلاء كانوا من أصل يهودى، حيث رأوا أنه لا رجاء للأمميين ما لم يقبلوا الختان كأمر استهلالى.

تتباين التفسيرات طبقاً للتاريخ الذى يُنسب لكتابة الرسالة، فإذا كانت قد كُتبت قبل مجمع أورشليم (أعمال ١٥)، ولم يكن قد تم الفصل بعد فى موضوع الختان، فيكون موقف الغلاطيين هو أول عقبة رئيسية بالنسبة له. أما إذا

هذا لا يعنى أنه جعل من ممارسة خارجية شرطاً للخلاص المسيحى فحسب، بل إن هذا يعنى أيضاً التزاماً بحفظ الناموس اليهودى كله. وبولس يعارض التبرير بأعمال الناموس، وهو إذ يفعل ذلك يبيِّن سمو التبرير بالإيمان. والرسالة كلها تمجِّد تعليم النعمة، ومع ذلك فإن نفى الرسول لتعليم التبرير بالأعمال يأتى من منطلق أن الأعمال وحدها لاتؤدى إلى الخلاص، فهو يرى بكل وضوح أن البديل للتمسك بحرفية الناموس لايعنى التحرر من كل قيد. فعلى الرغم من أن المسيح قد حقق الحرية للمؤمن، فلا ينبغى استخدام هذه الحرية للانغماس فى شهوات الجسد (٥: ١)، والواقع أن عرض الرسول بولس للحياة المسيحية فى هذه الرسالة إنما هو عرض لنظام أخلاقى سامٍ وقد كان هو نفسه قدوة بإعلانه أنه صُلب مع المسيح (٢: ٢٠). ولم تكن هذه الرسالة مثياقاً للحرية المسيحية فحسب، بل كانت ميثاقاً للحياة المسيحية أيضاً.

د - الإطار العام لرسالة غلاطية

يرى معظم الدارسين أن ثمة أقسام تميز الرسالة- بالإضافة للتحية والختام - ويمكن عرض الإطار العام للرسالة على النحو التالى:

أولاً: تحية وتوبيخ (١ - ١٠)

أ- تحية (١: ١ -٥)

ب- توبيخ (١: ٦ - ١٠)

ثانياً: التأكيد على أن رسوليته من قِبل الله(١: ١١ - ٢: ٢١)

أ- توضيح: يوضح الرسول أن رسالته ليست بحسب البشر، بل من قِبل الله مباشرة (١: ١١-١٢).

ب - سرد لتاريخ بولس قبل إيمانه المسيحى (١:١٣- ٢: ٢١).

١- إثبات سلطانه الرسولى (١:١٣- ٢٤)

٢- ممارسة سلطانه مع الرسل (٢: ١- ٢١)

ثالثاً: التعليم عن الحرية (٣:١- ٤ :٣١)

(أ) البر والوراثة يأتيان بالإيمان لا من الناموس (٣: ١- ٤: ٧)

(١) اختبار شخصى(٣: ١ -٥)

(٢) إيمان ابراهيم أبو الآباء (٣: ٦ - ٩)

(٣) إعلان بشأن الناموس (٣ :١٠ - ١٤)

(٤) أسبقية الوعد (٣: ١٥- ١٨)

(٥) هدف الناموس (٣: ١٩- ٢٢)

(٦) دور الإيمان (٣: ٢٣ - ٤: ٧)

(ب) بولس يناشد أهل غلاطية (٤:٨-٢٠)

(١) الظروف التى دعته إلى ذلك (٤:٨ -١١)

(٢) مضمون المناشدة (٤: ١٢ - ١٦)

(٣) سبب المناشدة

(جـ) تشبيهات مجازية تتعلق بالموضوع (٤: ٢١ - ٣١)

(١) الموقف التاريخى(٤: ٢١ -٢٣)

(٢) توضيحات باستخدام الرمز (٤:٢٤ - ٢٧)

(٣) تطبيق شخصى(٤: ٢٨ -٣١)

رابعاً: توضيح معنى حياة الحرية(٥:١-٦:١٠)

(أ) حياة الحرية من نظام حَرفية الناموس (٥:١- ١٢)

(١) وصية وتوصية (٥: ١)

(٢) موضوع خطير (٥: ٢ -١٢)

(ب) حياة المحبة فى روح الله (٥: ١٣- ٦:١٠)

(١) حياة المحبة تنبذ: الانحلال والشهوات الجسدية (٥:١٣ - ١٥)

٢- قوة حياة المحبة الناجمة عن سيطرة الروح (٥: ١٦-٢٤)

٣- التعبير عن حياة المحبة: توجيه الروح (٥:٢٥ - ٦: ١٠)

خامساً: خاتمة (٦: ١١- ١٨).

أ- تحذير ختامى (٦: ١١- ١٦).

ب- رجاء ختامى (٦: ١٧).

جـ- بركة ختامية (٦: ١٨).

١٠- رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس

أ- الكاتب.

ب- زمن كتابة الرسالة.

جـ- الهدف من الرسالة.

د- الإطار العام لرسالة أفسس.

أفسس

كانت **أفسس** أكثر المدن أهمية فى أسيا الصغرى، وتقع على نهر الكايستر، ولها ميناء على بحر إيجة. وبالنظر إلى موقعها هذا أصبحت مركزاً للرحلات التجارية، حيث كانت فى ملتقى طرق تجارية كبرى تصل إليها من جهات عديدة، وكان بها هيكل وثنى عظيم للإلهة أرطاميس (ديانا).

وهى رسالة إلى المسيحيين فى مدينة أفسس العظيمة وما يجاورها. وقد كُتبت بأسلوب رائع، وتقدم لنا فكرة عن دور الكنيسة وهدفها.

خريطة لموقع أفسس

أ ـ الكاتب

يعرِّف كاتب الرسالة نفسه بأنه الرسول بولس (١:١، ٣: ١)، كما أنه يصف خدمته بعبارات تعكس ما نعرفه عن بولس (٣: ٧و١٣، ٤:١، ٦: ١٩-٢٠)، وقد قام القديس بولس بكتابة الرسالة للكنيسة التى فى أفسس، إلا أنه لعدم ورود عبارة «فى أفسس» فى أقدم المخطوطات، فلعل الرسول بولس كان يقصد أن تكون الرسالة لكل الكنائس التى أسسها فى المنطقة، وما يؤكد ذلك أنه لم يذكر أية أسماء كما فى سائر الرسائل الأخرى، وعوضاً عنها نجد تحية عامة وُجهت إلى «الإخوة»(٦:٢٣)

ب ـ زمن كتابة الرسالة

ماجاء فى(أفسس ٤: ١، ٦: ٢) يفيد أن هذه الرسالة كُتبت فيما كان بولس سجيناً، ويعتقد معظم الباحثين أن رسالة أفسس(مع رسائل كولوسى وفليمون وربما فيلبى) كُتبت إبان فترة سجن بولس فى رومية الذى استمر لمدة سنتين

(أعمال ٢٨:١٦و ٣٠)، ولعل ذلك كان فى فترة مابين سنة ٥٩ م وسنة ٦٣م.

وإذ كُتبت الرسالة فى نفس الوقت تقريباً الذى كُتبت فيه رسالة كولوسى، فقد جاءت الرسالة إلى أهل أفسس لتبين مدى التشابهات والاختلافات إذا ما قورنت معها.

أقام بولس الرسول فى المدينة ثلاث سنوات (أعمال ٢٠: ٣١) حيث حوّلها إلى مركز تبشيرى، واستخدم مدرسة انسان إسمه تيرانس لخدمة رسالة الكنيسة(أعمال ١٩: ١)، ولذلك كان طبيعياً بالنسبة لرسالة قُصد أن يقرأها الناس على نطاق واسع فى ذلكم الجزء من آسيا الصغرى أن تُرسل بصفة أساسية إلى أفسس.

جـ ـ الهدف من الرسالة

ترد كلمة «سر» فى رسالة أفسس للمرة الأولى فى (١:٩) وفيها يحدد الرسول بولس هدف الرسالة، حيث يشير بالتحديد إلى خطة الله للعالم. فالله يهدف أن يجمع كل شىء فى المسيح. والوسيلة الرئيسية التى يستخدمها الله فى العالم الحاضر لتحقيق هذا الهدف هى الكنيسة. وقد أسقط الله كل الحواجز فى ذلكم المجتمع الجديد(الكنيسة)، وبين اليهود والأمم وقد وحّد بينهما إذ جعل منهما«إنساناً واحداً جديداً»(٢: ١٤و ١٥). وليس هذا التوحيد بين الفرقتين التى كانت تعادى إحداهما الأخرى سابقاً سوى رمز للوحدة التى تصبح حقيقة بين كل أعضاء جسد المسيح. وفى ذلكم المجتمع الجديد، ومجتمع القديسين لاتوجد حواجز أو معوقات قومية أو خاصة بالجنس أو اللون أوالثقافة، فالكنيسة جسد واحد فى المسيح يسوع، وتلك هى الخطوة الأولى فى التوصية طبقاً لخطة الله، حيث يوحّد الله كل الأشياء فى المسيح، هذا هو «السر» الذى خطط الله من أجله.

وتمثلت وحدة الكنيسة فى ثلاث صور:

الهيكل (٢: ١٩ -٢٢)،و **الجسد** (٤:١١-١٦)، **والعروس** (٥:٢١-٢٣)، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الوحدة لكى تكون أكثر من مجرد وحدة نظرية، فالرسول بولس يؤكد على أنه فى إطار العلاقة بين الأشخاص فإن الكنيسة عليها أن تجتهد لكى تحفظ وحدانية الروح برباط السلام (٤: ٣).

د ـ الإطار العام لرسالة أفسس

أولاً: التحية(١-٢).

ثانيا: تقديم الشكر لله (١: ٣ -١٤).
أ- سبق التعيين (١: ٣- ٦).
ب- الفداء الذى تممه الابن (١: ٧ - ١٢).
جـ- الختم بروح الموعد (١: ١٣- ١٤).

ثالثاً : الشكر والصلاة (١: ١٥ - ٢٣).

رابعاً : مناقشة أمور عقيدية (١:٢ -٣ : ٢١).
أ- فداء الأمم (٢ : ١ - ٢٢)
ب- التبشير للأمم (٣ : ١ -٢١)

خامساً: مناقشة أمور عملية (٤: ١ - ٦ :٢٠)
أ- الحض على الوحدة (٤: ١ - ١٦).
ب- التحريض على السلوك بتدقيق -(باستقامة) (٤: ١٧- ٥: ٢٠).
ج- نصائح للمجموعات التى يتكون منها أهل البيت (٥: ٢١ - ٦ : ٩) .
١- الزوجات والأزواج (٥: ٢١ - ٣٣).
٢- الأبناء والآباء (٦: ١ - ٤).
٣- السادة والعبيد (٦: ٥ - ٩).

سادساً: ختام (٦: ٢١ - ٢٤).

❖ ❖ ❖ ❖

١١-رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبى

أ- الخلفية التاريخية.
ب- زمان ومكان كتابة الرسالة.
جـ- الإطار العام لرسالة فيلبى .

رسالة وعظية كتبها القديس بولس، وكانت موجهة لكنيسة فيلبى، وهذه الرسالة مع رسائله إلى أهل كولوسى، وإلى أهل أفسس أو إلى فليمون، هى الرسائل التى كتبها وهو فى السجن.

١ ـ الخلفية التاريخية

بعدما وصل بولس وسيلا وتيموثاوس إلى فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة فى أسيا ثم مروا على ميسيا وانحدروا إلى ترواس، وهناك ظهرت لبولس رؤيا فى الليل رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول له «اعبر إلى مكدونية وأعنا »(راجع أعمال ١٦: ٦ - ٩)، فخرجوا فى الحال إلى مكدونية ليتحققوا من دعوة الرب للتبشير (١٦: ١٠).

من المؤكد أن ليديا بائعة الأرجوان من مدينة ثياتيرا Thyatira هى من أوائل من آمنوا، واستضافتهم، «فألزمتنا» (أع ١٦: ١٥) وبسبب الجارية التى بها روح عرافة، حين أمر بولس الروح باسم يسوع المسيح أن يخرج منها، فخرج فى تلك الساعة، فأمسك موالى الجارية ببولس وسيلا وأتوا بهما إلى الولاة، وانتهى الأمر بسجنهما. (راجع أعمال ١٦:١٦-٢٤)، وفى السجن حوّلاه إلى مكان صلاة وتسبيح، فحدث بغتة زلزلة عظيمة، فانفتحت أبواب السجن، وانفكت قيود الجميع، وآمن السجان وجميع أهل بيته بالله(راجع ١٦: ٢٥-٣٤) وأطلق الولاة صراحهما، وطلب بولس أن يأتى الولاة بأنفسهم ويخرجوهما لكونهما رجلان رومانيان، فجاءوا وتضرعوا إليهما وأخرجوهما، وسألوهما أن يخرجا من المدينة (راجع أعمال ١٦: ٣٥ - ٤٠).

فيلبى

يرجع اسم المدينة إلى فيليب المقدونى الذى أطلق اسمه عليها، حيث استولى عليها من التاسوسيين (المهاجرون إليها من جزيرة تاسوس Thasos)، وذلك نحو عام ٣٦٠ ق.م. وكان اسم فيلبى قبلاً «كرينيدس Crenides»، وقد دعم حدودها بقوات لحمايتها من غزوات التاسوسيين.

وكانت صناعة الذهب فى المناجم فى ذلك الوقت قد تطورت، فكانت تسك العملات الذهبية وتحمل اسم فيليب، وأصبحت شائعة ومعروفة.

وقد أصبحت فيلبى جزءاً من الإمبراطورية الرومانية بعد معركة « بيدنا » فى سنة ١٦٨ ق.م. وبعد أن قسَّم إيميلوباولو فى سنة ١٦٧ ق.م. مقدونية إلى أربع مقاطعات، كانت فيلبى تتبع المقاطعة الأولى، وأصبحت جزءاً من مقدونية، وتسالونيكى عاصمة له، ويظن البعض أنها مسقط رأس لوقا البشير، وذلك لاهتمامه الواضح بها (أعمال ١٦: ١٢ - ٤٠) وفى عام ٤٢ ق.م. قامت الحرب المشهورة حيث نجح أنطونيو فى الهجوم على معسكر كاسيوس، فانتحر كاسيوس قبل أن يعرف أن قوات بروتوس انتصرت على قوات أوكتافيوس، إلا أن بروتس هُزم بعد ذلك، فانتهت الحرب. وبعد ذلك اتسعت رقعة المدينة بمجيء جنود الرومان واستيطانها، وبعد معركة أكتيوم فى سنة ٣١ ق.م. ازدادت شهرتها، فبعد انتصار أوكتافيوس مع انطونيو وكليوباترا، أجبر أنصار أنطونيو على التنازل عن ممتلكاتهم وأراضيهم بإيطاليا لأوكتافيوس، الذى سمح لهم بالانتقال إلى المدينة، حيث أطلق أوكتافيوس عليها لقب كولونية-أى مستعمرة - مما جعلها تتمتع بنوع من الاستقلالية عن باقى الولاية.

ب ـ زمان ومكان كتابة الرسالة

لقد حمل أبفرودتس إلى بولس عطايا (فيلبى٤: ١٠-

خريطة لموقع فيلبى

١٩) والإشارة إلى «بيت قيصر» (٢٢:٤) إنما تشير إلى روما وكما سبق وكتب عن دار الولاية (١٣:١) والمقصود بها القصر. ومن الواضح أن بولس كتب رسالته من روما بينما كان فى فترة السجن الأولى (قارن أعمال ٢٨: ٣٠، ٣١). وعلى ذلك فإنه يرجَّح أن زمن الكتابة هو حوالى سنة ٦٠م.

جـ- الإطار العام لرسالة فيلبى

أولاً: المسيح هو مصدر فرح المؤمنين(١:١-٣٠).

أ- السلام والتحية (١: ١ و ٢).

ب- الصلاة بفرح من أجل جميع أهل فيلبى (١:٣-١٧).

جـ- الفرح بالرغم من الآلام والمدَّعين (١:١٢-١٨).

د- الفرح بالرغم من احتمالات الموت (١:١٩-٣٠).

ثانياً: المسيح مثال للمؤمنين(٢ : ١-٣٠).

أ- الدعوة للوحدة (٢: ١- ٤).

ب- الدعوة للتواضع (٢: ٥ - ١١).

ب١- اتضاع المسيح (٢: ٥ - ٨).

ب٢- سمو المسيح (٢: ٩-١١).

جـ- الدعوة من أجل حياة مسيحية إيجابية (٢:١٢-١٨).

د- وصايا بولس للعاملين معه من أجل الكنيسة (٢: ١٩ - ٣٠).

ثالثاً: المسيح رجاء المؤمنين (٣: ١- ٢١).

أ- تحذير من الناموسيين (٣: ١ - ٣).

ب- بولس يصف حياته قبل الإيمان بالمسيح وبعده (٣: ٤-١٤).

جـ- بولس مثال وقدوة (٣: ١٥ - ١٩).

د- مصير المؤمنين الحقيقيين(٣: ٢٠ و٢١).

رابعاً: المسيح كفاية المؤمنين (٤: ١- ٢٣).

أ- الدعوة للفرح (٤: ١- ٤).

ب- الحض على تسليم أمور الحياة للمسيح (٤: ٥-٧).

جـ- التفكير والسلوك المسيحى السليم (٤:٨ و٩).

د- بولس يشكر أهل فيلبى (٤:١٠- ٢٠).

هـ- البركة وكلمات ختامية (٤: ٢١ -٢٣).

إن دعوة بولس لأفودية وسنتيخى أن يفتكرا فكراً واحداً، قديشير إلى عدم الانسجام فى الكنيسة وعدم الوحدة، مما دعا بولس أن يكتب عن الوحدة من ظلال الفكر الواحد، والمحبة الواحدة، والنفس الواحدة (راجع فيلبى١: ٢٧ ، ٢: ١- ٤و١٤) وتعد هذه الرسالة إحدى أهم الرسائل التى أرسلها للأفراد، وربما تكون تعبير عن شكر بولس للكنيسة هناك حيث أرسلت له بيد أبفردوتس بعض العطايا (٤: ١٠ - ٢٠).

لقد ساهمت هذه الرسالة فى إلقاء الضوء على بعض الأمور الهامة مثل:

(١) استخدم بولس الكلمة اليونانية Kenosis وتعنى «إخلاء النفس»، ولهذا التعبير أهميته فى تفسير «التجسد»

(راجع ٢: ٥ - ١١).

(٢) حديث القديس بولس عن حياته (راجع ٣:٤- ٩).

(٣) إن قيامة المؤمنين تعتمد على المعرفة الاختبارية فى الزمن الحاضر (٣: ١٠و ١١).

(٤) الموطن السماوى (راجع ٣: ٢٠و٢١).

(٥) المستوى المسيحى فى الفكر والسلوك الحياتى (٤: ٨ و٩).

(٦) تأكيد القديس بولس على الفرح، حيث وردت الكلمة فى مختلف الاشتقاقات نحو(١٦) مرة فى الرسالة.

✣ ✣ ✣ ✣

١٣-رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسى

أ- الكاتب.

ب- زمان ومكان كتابة الرسول.

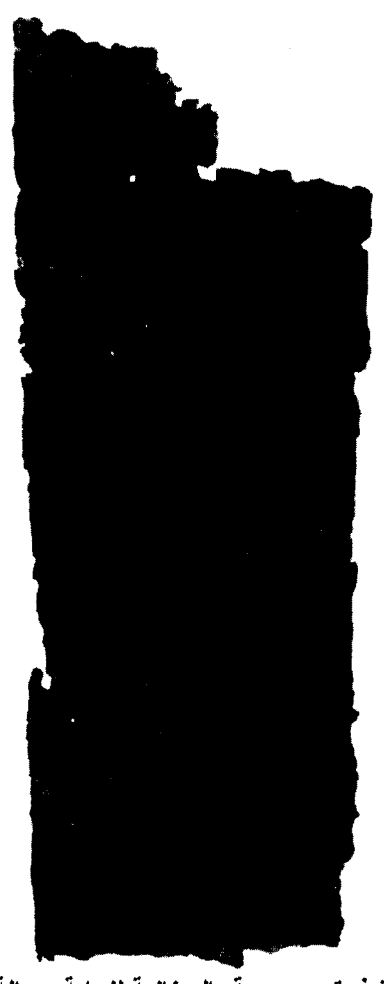
جـ- الهدف من الرسالة.

د- الأفكار الرئيسية فى الرسالة.

هـ- الإطار العام لرسالة كولوسى.

١ـ الكاتب

لقد اتفق كل اللاهوتيين على أن القديس بولس هو كاتب هذه الرسالة ، فالكاتب قد ذكر أنه هو بولس نحو ثلاث مرات (١ : ١ ، ١: ٢٣ ، ٤: ١٨) كما أن المفاهيم التى ترددت فى الرسالة عن شخص المسيح وعمله، والموت والقيامة مع المسيح، والإنسان الجديد، كلها تعبِّر عن فكر القديس بولس. ونكرر ما سبق وقيل عن رسالة أفسس، أن الجدل حولها قام لتشابهها مع الرسالة إلى أهل كولوسى، وكما يقول هـ . س تايسين



شذرة من بردية باليونانية لنهاية رسالة بولس إلى أهل كولوسى (٤:١٦ ـ ١٨) وبداية رسالة تسالونيكى الأولى (١:١) ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادى



خريطة لموقع كولوسي

H.C. Thiesen إن هذا التشابه الظاهرى مع رسالة كولوسي هو كل ما نرغب فيه.

ب ـ زمان ومكان كتابة الرسالة

والرسالة إلى أهل كولوسي هى إحدى الرسائل الأربع التى يطلق عليها عادة رسائل الأسر أو السجن، وربما تتزامن كتابة هذه الرسالة مع رسالة فليمون (نحو عام ٦٠ م أو ٦١م)، وقد حملهما تيخيكس إلى من كتب بولس إليهم (راجع كولوسي٤:٧ -٩). إنه بحسب علمنا، فإن بولس لم يخدم فى كولوسي، على أنه يفترض أن تيخيكس بشَّر هناك بينما كان بولس فى أفسس (راجع أعمال ١٩: ١ - ١٠)، وهذا الافتراض مرجح. فقد شعر بمسئولية شخصية تجاه الكنيسة هناك.

كولوسي

كانت المدينة تقع فى المنطقة الخاضعة للحكم الرومانى بأسيا الصغرى.. حيث تقع إلى الغرب فى الجزء المعروف الآن بتركيا الأسيوية. كانت تقع فى وادى ليكيوس، وتبعد نحو خمسة عشر كيلو متراً عن لاودكية، على الطريق الرئيسى المتجه جهة الشرق. وكانت تقع علي الطريق الواصل بين ساروس وأفسس. وكانت تعد منطقة دفاعية حصينة، وكانت مدينة هامة فى عصر كل من مملكتى ليديا وفارس، إلا أنه بدأت أهميتها فى التراجع بعد نقل طريق ساردس- برغامس إلى جهة الغرب، ليمر بمدينة لاودكية التى بدأت تأخذ مكانتها. ومكانها الآن غير مأهول بالسكان، ويقع بالقرب من بلدة جوناز وتبعد ستة عشر كيلو متراً إلى الشرق من مدينة دينزيلى (Denzili).

جـ ـ الهدف من الرسالة

كتب بولس هذه الرسالة حيث كان تيخيكس مزمعاً أن يزور كولوسي، وقد تزامن ذلك مع الأخبار التى حملها أبفراس إلى بولس (١: ٧-٩ ، ٤:١٢) حيث أخبره بالتعاليم والممارسات الخاطئة التى بدأت تزحف إلى الكنيسة، وقد أُطلق عليها هرطقة كولوسي، وقد فُرضت تلك التعاليم الخاطئة بين بعض الأفكار اليهودية والأفكار الغنوسية، ويلخص لايتفوت (Lightfoot) ملامح تلك الهرطقة فتقول إنها كانت هرطقة عقلانية (راجع كورنثوس الثانية : ٨) طقسية (٢: ٦ ، ٢٠-٢٢) وباطنية (٢: ١٨) وتقشفية (٢: ٢٣).

كان الغرض الأساسى من كتابة هذه الرسالة هو مقاومة تلك الهرطقات، وقد قاومها بولس بكل وسيلة نبيلة من خلال استعراض الحقائق التى تدحضها.

د- الأفكار الرئيسية فى الرسالة

يركز القديس بولس الرسول فى (كولوسي١:١٢-٢٠) على شخص المسيح الذى فيه يحل كل الملء، الذى هو صورة الله غير المنظور. فالمسيح كائن قبل كل شيء، وهو الخالق، وهو رأس الجسد، الكنيسة. وقد وصف القديس بولس عمل المسيح أنه هو المصالحة للكل ما على الأرض وما فى السماء. وقد أصبح ذلك ممكناً من خلال موت المسيح على الصليب فحسب.



أما فى (كو ٢: ١١ - ٣: ٤) فيكتب القديس بولس عن المسيح الذى فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً، وهذا الاختبار قد وصفه بأنه أولاً: الدفن معه حيث يرمز له بالختان الروحى غير المصنوع بيد. وبالمعمودية، وثانياً: القيامة معه من الأموات (أقمتم أيضاً معه)، الحياة التى لنا فى المسيح، وذلك من خلال الإيمان بعمل الله.

وعلى هذا فإن عمل المسيح هو الأساس للخلاص الشخصى (راجع٢: ١١ - ١٥) ويتبع ذلك النتائج العملية، عن طريق رفض التعاليم الكاذبة (راجع ٢: ١٦- ٢٣)، ومن خلال الاختبار الأساسى فى المسيح والذى يعنى حياة جديدة، وطلب ما فوق، والاهتمام بما فوق (راجع ٣: ١-٤).

وفى (كو ٣: ٥ ،٤: ٦) يذكر القديس بولس بالتفصيل التعبيرات العملية للحياة الجديدة فى المسيح، إذ تم خلع الإنسان العتيق مع أعماله، ولبس الطبيعة الجديدة (راجع ٣: ٥ - ١٤) والسلام يملك فى القلوب، حيث تسكن الكلمة بغنىً، وحيث توحى النعمة بالترنيم للرب (٣: ١٥-١٧) ويجب أن يظهر السلوك الجديد فى العلاقات الأسرية، وفى الخدمة لمن هم من خارج (٣: ١٨-٤: ٦).

هـ- الإطار العام لرسالة كولوسى

١- الإنجيل وأثره الفعَّال بين أهل كولوسى(١: ١-١٤).

٢- شخص المسيح وعمله(١: ١٥-٢٣).
أ- الذى هو قبل كل شىء(١: ١٥-٢٠).
ب- عمل المسيح هو المصالحة (١:٢١-٢٣).

٣- بولس يبشر بسر المسيح (١:٢٤-٢:٥).

٤- اختبار المسيح (٢: ٦ - ٣: ٤).
أ- الدين الزائف - عدو الحق.
ب - الاختبار الحقيقى للمسيح يجاوب على كل الأخطاء.
جـ- الاختبار المسيحى الجوهرى.
١- مدفونين مع المسيح.
٢- أقمتم أيضاً معه.
٣- الإيمان بعمل الله.
د- النتائج العملية لاختبار المسيح.

٥- الحياة فى المسيح تظهر فى الصفات الشخصية والعلاقات مع الآخرين (٣: ٥ - ٤: ٦).

٦- اهتمامات بولس الشخصية والتحيات (٤:٧-١٨).

✣ ✣ ✣ ✣

١٣-رسالتا بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى

أ- الفكر اللاهوتى فى رسالتى بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى.

ب- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى.

ج- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكى.

(أ) الفكر اللاهوتى فى رسالتى بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى

رسالتا تسالونيكى هما أقل رسائل بولس الرسول تعليماً عن العقيدة، فلا يوجد ذكر لموضوع التناقض بين الناموس والنعمة، ولم تستخدم كلمة التبرير على الإطلاق وكذلك كلمة النعمة، وهى الشعار المفضل للرسول بولس سوى مرتين فقط (تسالونيكى الثانية ١: ١٢ ، ١٢: ١٦) ويرجع ذلك إلى طبيعة الظروف التى دعته إلى كتابة هاتين الرسالتين.

ومع ذلك قُدمت بعض التعاليم العقيدية الخاصة.

أولاً: بالنسبة للتعليم عن الله، يشير بولس الرسول إلى أنه لايوجد سوى إله حقيقى واحد على النقيض من كل آلهة

الوثنيين (تسالونيكى الأولى ١: ٩، اقرأ أيضاً ٢: ٢ ، ٢ : ٤و١٠ ، ٣: ١١ ، ٥: ٢٣).

ثانياً: بالنسبة للتعليم عن المسيح يوحِّد الرسول بين الابن والآب كى يشير بوضوح إلى مساواة الابن مع الآب (١:١) ، وقد وصف المسيح بأنه السيد، وكان هذا هو اللقب الشائع لله بين اليهود فى ذلكم الوقت.

ثالثاً: بالنسبة للتعليم الخاص بالروح القدس، يعلم الرسول أن الروح القدس هو الذى يجعل الرسالة فعالة فى قلوب السامعين (١: ٥، ١:٦، ١:٩و١٠، ٤:٧-١٨).

رابعاً: بالنسبة لعقيدة الخلاص، يذكر الرسول التعليم العظيم الخاص بالفداء بموت المسيح مرة واحدة، وكان ذلك بطريقة عامة للغاية (٥: ١٠)، غير أنه يتعين علينا أن نتذكَّر أن هذا الحق الأساسى سبق أن أعلن بالكامل، وقبله أهل تسالونيكى (٢:١٣، ١:١٠ ، ٤: ١٤).

خامساً: كان على الرسول بولس أن يوضح التعليم الخاص بالأخرويات فى الرسالتين (راجع ١:٥ - ٩ ، ١: ١٠، ٢:١٩، ٣:١٣ ، ٤ :١٣- ١٨ ، ٥: ١-١١و٢٣).

✣ ✣ ✣ ✣

ب-رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى

١- تأسيس الكنيسة فى تسالونيكى.

٢- كاتب الرسالة.

٣- زمن كتابة الرسالة .

٤- مكان كتابة الرسالة .

٥- هدف الرسالة.

٦- الإطار العام لرسالة تسالونيكى الأولى.

١ ـ تأسيس الكنيسة فى تسالونيكى

فى أثناء رحلته التبشيرية الثانية فى نحو (سنة ٤٩م) جاء بولس ورفيقاه - سيلا وتيموثاوس- من فيلبى إلى تسالونيكى وأسَّس الكنيسة المسيحية بها (انظر تسالونيكى الأولى١: ١و٥-٨ ،٢: ١-٤ ،٣: ١ - ٦، فى ٤:١٦، أع ١:١٧-١٠ ،٥:١٨). وكانت أغلبية الكنيسة تتكون من مسيحيين من الأمم (إش ١: ٩ ، ٢: ١٤ ، أعمال ١٧: ٤)، على الرغم من أنه جاء بصفة خاصة ذكر أرسترخس وهو مسيحى من أصل يهودى فى (أعمال ٢٠ : ٤ ، كو ٤ : ١٠ ... إلخ).

ورواية سفر الأعمال (١٧: ٢) قد يفهم منها أن بولس أقام فى تسالونيكى مدة تتراوح ما بين ثلاثة إلى أربعة أسابيع على الرغم من أن بعض الدراسين يقولون إن هذه المدة «ثلاثة سبوت» ما كانت سوى إشارة إلى خدمته فى المجمع، ومن هذا يستخلصون خدمة شاملة فى المدينة، استغرقت مدة أطول لعلها وصلت إلى ستة أسابيع.

لقد نمت الكنيسة بسرعة سواء من الناحية العددية أو من الناحية الروحية، والواقع أن تقدمهم كان مدعاة للغبطة، حتى إن بولس وصفهم بأنهم قدوة للقديسين فى مكدونية وفى أخائية(تسالونيكى الأولى١: ٧-١٠).

رحب أهل بيرية بالرسالة وقاموا بفحص أقوال الرسول ،حسب الأسفار المقدسة، إلا أنه فيما كان الرسول يتابع رسالته، فإذ باليهود فى تسالونيكى وهم يلاحظون تقدم الرسول بولس ونجاحه فى خدمته هناك ، يسرعون بالمجيء إلى بيرية كى يثيروا الغوغاء ضد خدام الله. وكان من شأن ذلك أنه ـ فيما تُرك سيلا وتيموثاوس فى بيرية كى يساندا الكنيسة الوليدة، أرسل الإخوة بولس نفسه إلى البحر(أعمال ١٧:١٤) أما الذين صحبوه فقد أتوا به إلى أثينا(أعمال ١٧:١٥). وقد طلب بولس من سيلا وتيموثاوس أن يوافياه بأسرع ما فى

استطاعتهما (أعمال ١٧: ١٥) .

كان الرسول مهتماً اهتماماً بالغاً بحالة الكنيسة التى أقيمت حديثاً فى تسالونيكى وقد خطط مرتين لزيارتها مرة أخرى، غير أن الشيطان أعاقه فى المرتين من تحقيق رغبته هذه(تسالونيكى الأولى ٢:١٧) وكان نتيجة لذلك أن قرر أن يبقى وحده فى أثينا، وأرسل تيموثاوس ليقوى القديسين فى تسالونيكى ويشجعهم (٣: ١ - ٣).

وحال أن تسلم ما بعث له به تيموثاوس بخصوص أهل تسالونيكى، قام بالكتابة إليهم (٣: ٦)، ويبدو أنه فى ذلك الحين كان قد سافر من أثينا إلى كورنثوس حيث شرع يكرز فى المجمع حتى قابله سيلا وتيموثاوس أخيراً(١٨:١-٥).

٢ ـ كاتب الرسالة

اتفق كثيرون من الدارسين على أن بولس الرسول هو كاتب هذه الرسالة وذلك للأسباب التالية:

(أ) الرسالة مقدمة على أنها من بولس(١:١)

(ب) الرفقاء الذين جاء ذكرهم كان من المعروف أنهم صاحبوه فى رحلته التبشيرية الثانية (١:١، ٢:٣، ٣: ٦ انظر أعمال ١٥:٤٠، ١٦:١- ٣و١٩، ١٧: ٤ و١٠و ١٤، ١٨:٥).

(جـ) الرسالة تحمل بكل وضوح طابع بولس وأسلوبه، فتكوين الرسالة وبناؤها يتطابق مع رسالة رومية، ورسالتى كورنثوس، ورسالة غلاطية - وهى رسائل نُسبت إلى بولس من قبَل معظم أولئك الذين يشككون فى أصالة الرسالة الأولى إلى تسالونيكى.

(د) الأسلوب اللغوى والفكر اللاهوتى من الواضح أنهما لبولس.

(هـ) يشهد كل من أوريجانوس وكليمندس السكندرى، وترتليان، ومارقيون وأيريناوس بطريقة أو بأخرى بصحة الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى.

٣ ـ زمن كتابة الرسالة

ثمة اتفاق عام بين الدارسين على أن هذه الرسالة كُتبت فى أوائل الخمسينات أى نحو (٥٠ أو ٥١م)، وإذا كان هذا صحيحاً، فلسوف تكون الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى أقدم رسالة من رسائل بولس، على الرغم من أن البعض ينسبون إلى رسالة غلاطية تاريخاً أسبق.

٤ ـ مكان كتابة الرسالة

كتبت بعد حضور تيموثاوس إلى أثينا بوقت قصير، والشائع بالأكثر أن الرسالة كُتبت فى كورنثوس. والرسالة موجهة إلى تسالونيكى.

تسالونيكى

تسالونيكى هى سالونيكا حالياً، والتى أسسها كاسندر Casender فى سنة (٣١٥ ق.م) وأطلق عليها أسم زوجته، أخت الإسكندر الأكبر غير الشقيقة، وكانت أكبر مدن مكدونية وأوسعها شهرة. كما كانت أيضاً عاصمة المقاطعة، وكانت تقع على طريق روما العسكرى وهو الطريق الاغناطى، الذى يربط روما بالشرق. كانت ميناءً ومركزاً تجارياً، وهى مدينة تناسب بشكل نموذجى استراتيجية بولس التبشيرية.

٥ ـ هدف الرسالة

تقرير تيموثاوس عن تسالونيكى حمل بولس على أن يكتب لهم فى موضوعات عديدة:

(أ) امتدحهم لثباتهم فى التجارب، وشجعهم بالنسبة للمتاعب التى قد تصادفهم فى المستقبل (٢: ١٤، ٣: ١-٤).

(ب) دافع عن مسلكهم ضد أولئك الذين كانوا يسعون لايذائه (٢:١- ١٢).

(جـ) كرر الحديث عن معيار القداسة بالنسبة لهؤلاء المؤمنين المتجددين حديثاً والذين كانوا ما يزالون تحت إغراء الانحلال السائد فى ذلكم الحين (٤: ١ - ٨).

(د) أوضح بعض نواحى معينة فى التعليم القائل بعودة المسيح من أجل أعضاء الكنيسة الذين أصبحوا قلقين على مصير أحبائهم الذين رحلوا، ولقد عمل بولس على تعزية أمثال هؤلاء بواسطة المزيد من التعليم (٤:١٣- ١٨).

(هـ) وبَّخ أعضاء الكنيسة الذين أصبحوا متراخين فى تأدية أعمالهم اليومية بسبب ما ذهبوا إليه من أن المجئ الثانى للمسيح أصبح وشيكاً (٤: ١١).

(و) حث قرّاءه على احترام مرشديهم (٥:١٢).

(ز) حاول إصلاح السلوكيات الخاطئة بالنسبة للمواهب الروحية التى يبدو أن البعض حاول قمعها (٥:١٩و٢٠). والرسالة برمتها رسالة عملية، وتتضمن رسالة كُتبت لمواجهة مشاكل مجتمع الكنيسة الأولى.

(٦) الإطار العام لرسالة تسالونيكى الأولى

أ- الكنيسة الكارزة النموذجية (١:١ - ١٠).

ب- الكارز الصالح (٢: ١-٢٠).

جـ- محبة واهتمام الكارز الصالح (٣:١-١٣).

د- وصايا وتحريض للمؤمنين (٤: ١ - ١٢).

هـ- تعليم عن الراقدين فى المسيح (٤: ١٣-١٨).

و- وصايا أخرى من أجل الحياة المسيحية (٥:١-٢٢).

ز- كلمات ختامية (٥:٢٣- ٢٨).

✣ ✣ ✣ ✣

جـ- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكى

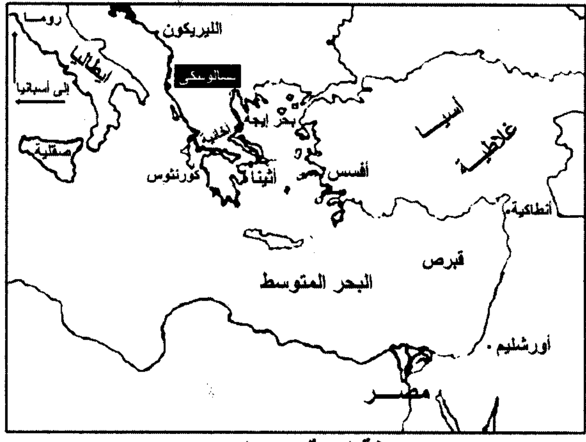
١- كاتب الرسالة.

٢- زمن كتابة الرسالة.

٣- مكان كتابة الرسالة.

٤- الهدف من كتابتها.

٥- الإطار العام لرسالة تسالونيكى الثانية.



خريطة لموقع تسالونيكى

(١) كاتب الرسالة

كما سبق أن تكلمنا- فى معرض تناولنا للرسالة الأولى فإن بولس الرسول هو نفسه كاتب الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى.

(٢) زمن كتابة الرسالة

من الواضح أن تاريخ كتابة الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى يعتمد على تقدير الفترة الزمنية بين الرسالتين الأولى والثانية، فالبعض يرى أنها لا تتعدى أياماً قلائل،

وآخرون يقدرونها بنحو سنة، إلا أن الأمر المأخوذ به هو أن المدة كانت نحو ما بين شهرين إلى ثلاثة أ شهر، وهو ما يعنى أنها تعود إلى خريف أو بداية شتاء سنة ٥٠ أو ٥١ م.

(٣) مكان كتابة الرسالة

إذا كان التاريخ هو ماذُكر آنفا، إذن تكون الرسالة الثانية قد كُتبت أيضاً من كورنثوس. وثمة دليل آخر لهذا يتمثل فى حقيقة أن بولس وسلوانس وتيموثاوس (١:١) لايظهرون ثانيةً معاً فى رواية العهد الجديد بعد رحيل بولس من كورنثوس.

(٤) الهدف من كتابتها

تلقَّى الرسول بولس معلومات عن كنيسة تسالونيكى، بعضها كان مشجعاً، وبعضها الآخر كان يحتاج إلى أن يجاوب عليها الرسول.

لذا نجد أن الرسول بولس كتب مادحاً إياهم على نموهم الروحى مشجعاً لهم على المثابرة فى مواجهة الاضطهاد، إلا أن جل اهتمامه كان يتركز على تصحيح مفهومهم الخاطىء فيما يختص بيوم الرب وتوبيخهم على استسلامهم لحياة الكسل.

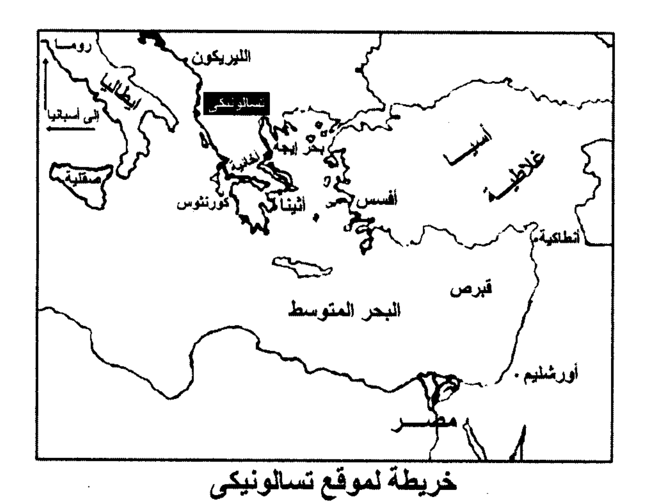
(٥) الإطار العام لرسالة تسالونيكى الثانية

أ- تعزية وصبر فى الضيقات (١:١- ١٢).

ب- يوم الرب وإنسان الخطية (٢:١-١٢).

جـ- تعليم وتحريض المؤمنين (٢: ١٣- ٣: ١٥).

د- البركة والختام (٣: ١٦- ١٨).



خريطة لموقع تسالونيكى

✣ ✣ ✣ ✣

١٤- رسالتا بولس الرسول إلى تيموثاوس

أ- براهين على أصالة الرسالتين.

ب- نقد الرسالتين.

جـ- الهدف من الرسالتين.

د- زمان الكتابة.

هـ- رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس.

و- رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس.

الرسائل الرعوية

لقد أطلق الدارسون للاهوت على رسالتى بولس الرسول إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس لقب «الرسائل الرعوية».

أ- براهين على أصالة الرسالتين

توجد براهين تاريخية كثيرة تعضد أصالة الرسالتين إلى تيموثاوس، فتشهد على ذلك نسخة بيشيتو Peshito السريانية (نُسخت بالقرن الثانى) ، والنسخة اللاتينية القديمة (القرن الثانى) والنسخة القانونية الموراتورية Muratorian(١٧٠م) التى تنسب إلى موراتورى Muratori العالم الإيطالى الذى قام بتحريرها.

وكذلك يشهد كل من ثاؤفيلس الأنطاكى(١٨٠م)، وايريناوس(١٧٨م)، وكليمندس الرومانى(٩٣ -٩٥ م) وكليمندس السكندرى(١٩٤م) وترتليانوس (٢٠٠م) وغيرهم كثيرون إن رفض الغنوسيين لهذه الكتب لايبرهن على شيء، فإن سياستهم الثابتة هى إنكار كل الكتب التى تعارض أفكارهم الخاصة، وتستبعدها من كتابات العهد الجديد.

ب - نقد الرسالتين

قام بعض الدارسين بنقد الرسالتين اللتين تنسبان إلى بولس، وكان على رأسهم شميت (Schmidt)، وشليرماخر (Schleiermacher)ثم تبعهم إشهورن (Eichhorn) ، وديويت (Dewette) وإف.س. بور (F.C. Baur)، ثم هولتزمان (Holtzmann) ، وهاريسون (Harrison) ، وديبيليوس (Debelius) وتتلخص آراؤهم فيما يلى:

(١) إن الأسلوب والألفاظ تختلف فى هذين الرسالتين عنها فى الرسائل الأخرى فهما- على سبيل المثال- تحتويان على (١٦٥) كلمة كلاسيكية يونانية لم يستخدمها بولس فى الرسائل الأخرى. وهذه الحجة واهية، فلا يوجد كاتب يستخدم كل الألفاظ التى يستعين بها طوال الوقت. بل يزداد عدد الكلمات التى يستخدمها الكاتب مع مرور الوقت، فخطاب بولس الرسول إلى أهل رومية كانت الثقافة اليونانية واضحة فيه. وربما قد ازدادت معرفته بالكتابات الأدبية الكلاسيكية واتسعت. وكذلك كان الحال فى الرسائل الرعوية، حيث كان بولس يكتب باليونانية إلى أصدقاء مقربين عن شئون خاصة. وتغير الأسلوب، واختيار الكلمات ليس مفاجأة، فالأسلوب الذى يستخدمه بولس فى الرسائل الرعوية، وكذلك الكلمات، تتفق مع الرسائل الأولى التى كتبها بولس.

(٢) إن الإشارات الواردة عن الهراطقة فى الرسائل الرعوية تبرهن على أن الرسائل كُتبت فى وقت ظهرت فيه تلك الهرطقات ، وبعض الفقرات مثل (١ تيموثاوس ١: ٤ ، ٦: ٢) تشير إلى الغنوسية، ومن المعروف أن الغنوسية ظهرت مبكراً، ففى الوقت الذى كان يحمل البعض من المسيحيين اسماً يهودياً وقد انحرفوا أخلاقياً ، كانت الغنوسية تتنامى. وعندما كان بولس يحذر من التعليم الكاذب كان يتحدث من منطلق التحذير من تلك الهرطقات.

(٣) كانت مازالت كلمتا « شيخ » وأسقف» تستخدمان بالتبادل.

(٤) لايمكن أن تتفق المعلومات الواردة فى الرسائل الرعوية مع ما جاء فى سفر أعمال الرسل عن سفر بولس. إلا أن رسالة فليمون(٢٢) ، ورسالة فيلبى(٢: ٢٤) تظهران أن بولس كان يتوقع أن يُطلق سراحه فى فترة سجنه الأولى فى روما، ويؤكد كليمندس الرومانى (٩٥م) وكذلك شذرات دوراتوريان (نحو ١٧١م)، وكذلك يؤكد يوسابيوس على أن هذا حدث بالفعل، والتقليد يقول أن بولس ذهب إلى أسبانيا، وأن الرسائل الرعوية أكدت على أن بولس ذهب فى رحلة إلى الشرق(راجع تيموثاوس الأولى١: ٣، وتيطس١: ٥) حيث كان يود أن يقضى الشتاء فى نيكوبوليس (تيطس ٣: ١٢)، إلا أنه بدلاً من ذلك ذهب إلى روما، ربما كسجين.

جـ - الهدف من الرسالتين

تعبِّر الرسائل الرعوية عن النصيحة الملحَّة التى أراد بولس الرسول أن يقدمها لمعاونيه فى وقت الشدة والخطر، ومن

الصعوبة بمكان التعبير عن التلامس الشخصى الذى يميز هذه الرسائل.

د ـ زمن الكتابة

تبرهن الرسائل الرعوية على أنها كُتبت فى زمن حكم نيرون، أو خلال فترة قصيرة بعدها. ويحتمل أن تكون فى الفترة ما بين ٦٢ م، ٦٥ م.

✣ ✣ ✣ ✣

هـ-رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس

الإطار العام للرسالة الأولى

١- التحية(١: ١-٢).

٢- وصية بولس لتيموثاوس(١: ٣ - ٢٠).

أ- أن يعلم التعليم الصحيح فحسب (١:٣-١١).

ب-أن يقتدى ببولس ويتخذ منه مثالاً (١:١٢-١٧).

جـ- أن يحارب المحاربة الحسنة (١: ١٨-٢٠).

٣- تقديم النصح بشأن ترتيب نظام للعبادة العامة (٢: ١ - ١٥).

أ- الصلاة لأجل جميع الناس ولأجل الحكام والمسئولين (٢: ١-٨).

ب- سلوك المرأة(٢: ٩-١٥).

٤- ما يجب أن يتوفر فى القائمين على شئون الكنيسة (٣:١- ١٣).

أ- فيما يتعلق بالشيوخ(٣: ١ -٧).

ب- فيما يتعلق بالشمامسة والشماسات(٣: ٨-١٣).

٥- السلوك الأساسى للخدمة الكنسية(٣: ١٤-٦: ١٩).

أ- الكنيسة عمود الحق وقاعدته(٣: ١٤- ١٦).

ب- التحذير من التعاليم المضلّة(٤:١-٥).

جـ- ترويض النفس للتقوى (٤: ٦ -١٢).

د- الاهتمام بالخدمة والتعليم(٤:١٣-١٦).

هـ- تعليمات للرجال والنساء ولاسيما الأرامل (٥:١-١٦).

و- تكريم وتأديب وإقامة شيوخ(٥:١٧-٢٥).

ز- نصائح للعبيد المسيحيين(٦: ١و٢).

ح- التحذير من محبة المال(٦: ٣-١٩).

٦-الختام والنصح بالإعراض عن مخالفات(٦:٢٠ - ٢٢) العلم الكاذب الاسم(الغنوسية).

✣ ✣ ✣ ✣

و-رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس

١- الخلفية التاريخية.

٢- الإطار العام للرسالة الثانية لتيموثاوس .

(أ) الخلفية التاريخية

كتب بولس الرسول هذه الرسالة فى روما، عندما كان سجينا هناك. وفيها يذكر أن وقت انحلاله قد حضر(٤: ٦و٧). وهو يكتب لتيموثاوس لكى يتعجله أن يكون بجانبه، لقد تعرَّض كثيرون للموت بصورة وحشية خلال الاضطهاد الذى شنَّه نيرون ضد المسيحيين، فلابد أن بولس كان يعرف شخصية نيرون، ومدى الخطر الذى قد يواجه المسيحيين من حكم ذلك الطاغية عندما كتب رسالته الأولى إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس.

تحتم الكتابة فى مثل هذه الظروف أن تكون الرسائل عاجلة ومباشرة للغاية التى كُتبت من أجلها. وبولس يدعو

تيموثاوس أن يكون جندياً صالحاً من أجل المسيح في هذا الوقت الصعب.

من خلال دراسة الرسائل الرعوية يتبين لنا أن بولس كان قد زار كريت، وميليتُس، وترواس، ومكدونيا، وكورنثوس. ومن كورنثوس إلى نيكوبوليس في رحلة قصيرة حتى قابل تيطس(تيطس٣: ١٢)، وربما ألقي القبض عليه هناك حيث تفجَّرت اضطهادات نيرون نحو عام ٦٤م .

لقد تركه (أي بولس) بعض الأصدقاء غير المُخلصِين، ولم يكن معه سوى القديس لوقا (٢تيموثاوس ٤: ١١)، وكان يشتاق إلى رفقة تيموثاوس المخلص لاسيما في أوقات الخطر واحتمال التعرُّض للموت(٢تيموثاوس٤: ٩).

ومن المعروف أن الرسول بولس مات شهيداً في روما، نحو عام ٦٥م، وكان قُبض على تيموثاوس أيضاً، إلا أنه أُطلق سراحه(عبرانيين ١٣: ٢٣) ولكن لاتوجد أي معلومات عنه بعد ذلك.

(ب) الإطار العام للرسالة الثانية لتيموثاوس

١- تحية تيموثاوس وشكر لله من أجله(١:١-٥).

٢- بولس يطلب منه ألا يخجل من الشهادة للمسيح(١:٦-١٨).

أ- موهبة الروح القدس(١: ٦و٧).

ب- بولس مثال لاحتمال المشقات(١: ٨-١٤).

جـ- ثبات أنيسيفُورس (١:١٥- ١٨).

٣- بولس يوصي تيموثاوس أن يكون قوياً(٢: ١-١٣).

أ- كمعلم(٢:٢).

ب- كجندي صالح (٢: ٣و٤).

جـ- كالرياضي(٢: ٥).

د- كالحَّراث (٢: ٦و٧).

هـ- من أجل المسيح(٢: ٨-١٣).

٤- بولس يوصي تيموثاوس أن يواجه التعاليم الكاذبة (٢: ١٤-٣: ١٧).

أ- مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة (٢:١٤:١٥).

ب- بتجنب الإثم (٢: ١٩-٢٢).

جـ- بتجنب المباحثات الخبيثة (٢: ٢٣).

د- بأن يؤدب بالوداعة (٢: ٢٤- ٢٦).

هـ- بأن يتجنب ارتداد آخر الأيام (٣:١-٩).

و- بأن يتبع خطى بولس خلال الاضطهاد(٣:١٠-١٣).

ز- بالثبات على ما تعلمه من الكتب المقدسة (٣: ١٤- ١٧).

٥- بولس يوصي تيموثاوس بأن يكرز بالكلمة(٤: ١-٨).

أ- لأنه سيكون وقت لايحتملون فيه التعليم (٤:١-٤).

ب- لأن وقت انحلال بولس قد حضر (٤:٥-٨).

٦- تعليم شخصي لتيموثاوس والختام (٤:٩-٢٢).

✣ ✣ ✣ ✣

١٥-رسالة بولس الرسول إلى تيطس

(أ) الهدف من الرسالة.

(ب) الإطار العام لرسالة تيطس.

الرسالة إلى تيطس هي إحدى الرسائل الرعوية الثلاث لبولس، من بين كتب العهد الجديد. وكُتبت قبل الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، وقد كتب بولس له فيما يتعلق بالعمل الذي أوكله إليه ليكمله في كريت(١:٥)، حيث يذكر أن عليه أن يقيم «شيوخاً» في كل مدينة، ومن الواضح أن بولس كان يستخدم كلمة Elder (Presbyteros) وتعني شيخاً، بالتبادل مع كلمة (Episcops) بمعنى أسقف، إذ أنه وهو يشرح

الخصائص التى يجب أن تكون موجودة فى الشيخ Elder يقول لأنه يجب أن يكون الأسقف Presbyteros بلا لوم كوكيل الله(١: ٥- ٩).

وقد سبق أن قال لشيوخ أفسس:«احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة Bishops لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه(أع ٢٠: ٢٨)، ويبدو أن هذا يؤكد رأى الأسقف لايتفوت Lightfoot وهو أن هذه الألفاظ فى الكنيسة الأولى كانت مترادفة.

فكان تيطس أسقفاً فى كريت، وكذلك كان تيموثاوس فى أفسس. كان كل منهما أسقفا يقوم بإنجاز العمل الذى يعزيه بولس إلى كل واحد منهما.

ا- الهدف من الرسالة

تحتوى معظم الرسالة على تعليم شخصى موجه لتيطس، إلا أنها أيضاً تحتوى على تعليم هام لكل مسيحى. فالقديس بولس يذكر أنه على الأسقف أن يكون بلا لوم، غير معجب بنفسه، ولا غضوب، ولا ضَّراب، ولا طامع فى الربح القبيح بل مضيفاً للغرباء، محباً للخير متعقلاً باراً ورعاً، ضابطاً لنفسه. فأعمال المعلمين الكذبة تستدعى التوبيخ الحاد (راجع الأصحاح الأول).

ثم يكتب بولس بعض التعاليم لتيطس، ويطلب منه أن يقدم نفسه قدوة للأعمال الحسنة وللتعليم الصحيح (راجع الأصحاح الثانى) فيجب أن يظهر ثمر الإيمان فى السلوك الحسن والأعمال الحسنة. وعليه أن يتجنَّب المباحثات الغبية والأنساب والخصومات والمنازعات الناموسية مع الهراطقة لأنها غير نافعة وباطلة.

بل وينصحه بأن يعرض عن المبتدعين والمنحرفين(راجع ٣: ١- ١١).

ونستطيع أن نؤكد أن تيطس قد نجح فى كورنثوس كما نجح فى كريت، وقد طلب منه الرسول بولس أن يقابله فى نيكوبوليس(٣: ١٢).

ب ـ الإطار العام لرسالة تيطس

١- التحية (١:١-٤).

٢- الخصائص التى يجب أن تتوفر فى شيوخ الكنيسة (١:٥ -١٦).

أ- صفات يجب أن يتحلى بها الشيوخ (١: ٥-٩).

ب- الحاجة إلى الشيوخ الصالحين لمقاومة المعلمين المتمردين (١: ١٠-١٦).

٣- الصفات التى يجب أن تتوفر فى العائلة المسيحية (٢:١ - ١٥).

أ- التعليم الصحيح فى البيت (٢: ١-١٠).

ب- نعمة الله هى الأساس لكل سلوك مسيحى (٢: ١١- ١٥).

٤- العمل الصالح فى العالم(٣: ١-١١).

أ- الخضوع للرياسات والسلاطين(٣: ١- ٧).

ب- فعل كل ماهو صالح وتجنُّب المباحثات الغبية (٣: ٨ -١١).

٥- ختام (٣: ١٢- ١٥).

١٦-رسالة بولس الرسول إلى فليمون

أ - الهدف من الرسالة.

ب- مكان وزمان كتابة الرسالة.

جـ- الإطار العام لرسالة فليمون.

د- طريقة معالجة بولس لبعض القضايا.

١- الهدف من الرسالة

تعد هذه الرسالة أقصر رسائل بولس، وقد كتبها باختصار لسببين:

(١) هروب أُنسِيمُس Onesimus العبد من سيده فليمون، وإقامته في كولوسى في وادى ليكوس بآسيا الصغرى.

(٢) آمن أنسيمس بواسطة بولس، وقد كتب بولس من أجل المصالحة حتى يقبله فليمون، ويغفر له ما اقترفه وفراره منه .

ليس معروفاً على وجه الدقة إذا كان أنسيمس قد عرف بمكان بولس، عندما ترك كولوسى. وذهب عن قصد ليتقابل معه، أو أن بولس عرف بقصته أثناء وجوده في كولوسى. وربما قصد أنسيمس بولس من أجل احتياجه للمال، أو خوفاً من افتضاح أمره، أو بوخز الضمير لما ارتكبه. وربما لذلك كان يبحث عن بولس، وقد أصبح أنسيمس إنساناً جديداً في المسيح بواسطة بولس الرسول.

واضح من الرسالة أن بولس يذكر عائلة فليمون ، وكذلك يذكر الكنيسة التى تجتمع في بيته(عدد ٢٠)، وبالتأكيد فإن بولس كان يريد أن يعرف كل هؤلاء ماكان مزمعاً أن يطلب من فليمون، إذ طلب بولس أن يغفر فليمون لأنسيمس ما فعله، بل وإن أمكن أن يعتقه (٢١)، وأن يأخذ قراره في ضوء حقيقة أن الآخرين يعرفون الموقف، إن من الصعب رفض طلب بولس، وإن كان أكثر صعوبة مقاومة الإلحاح العائلى وإلحاح الأصدقاء.

ب ـ مكان وزمان كتابة رسالة فليمون

المكان المرجح لكتابة هذه الرسالة هو روما ، وذلك بعد عام ٦٠م بفترة قصيرة. حيث كان يمكن زيارة بولس خلال الفترة الأولى لسجنه هناك(أعمال ٢٨ : ٣٠و٣١)، وربما كان أنسيمس في روما يشعر بأمان أكثر حيث المدينة الكبرى التى تمتلئ بالناس، عن أى مدينة صغيرة أخرى في الشرق الأدنى. بينما يرى آخرون أن بولس كتبها في أفسس، ولكن لايوجد برهان أكيد على سجن بولس فيها . ويرجح أن بولس أرسل أنسيمس إلى فليمون بالرسالة التى تحمل اسمه، وكذلك حمل أنسيمس معه رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسى.

جـ ـ الإطار العام للرسالة

١- التحية(١-٣).

٢- الصلاة والشكر من أجل فليمون(٤-٧).

٣- مخاطبة فليمون أن يقبل أنسيموس بعد قبوله الإيمان (٨: ٢١).

٤- الختام.

د ـ طريقة معالجة بولس لبعض القضايا

تعطينا هذه الرسالة فكرة جيدة عن موقف بولس تجاه أصدقائه المقربين. وهذه الرسالة هى مزيج ممتاز بين ثقة بولس في فليمون. وأنه سوف يتجاوب مع طلب بولس، وطريقة تناول بولس للموضوع، وطلبه من فليمون أن يقبل أنسيمس، ورفضه أن يستغل صداقته بأن يظل في خدمته «لكى يخدمنى عوضاً عنك في قيود الإنجيل»(راجع١١-١٤)، بل وطلب من فليمون إن كان أنسيمس قد ظلمه أو مدين له بشىء فيحسب ذلك عليه أى(على بولس) فهو يفى عنه(راجع ١٨، ١٩) كان أنسيمس بمثابة الابن لبولس الذى ولده في قيوده (راجع ١٠، ١٢).

كذلك تبرز الرسالة قيمة مهمة وتؤكد عليها ، وهى موقف المسيحية منذ عصرها الأول من العبودية، فبينما كان من المستحيل الثورة ضد نظام الرّق والعبودية إلا أنه من الممكن محبة العبد والتعامل معه كأخ في المسيح.

✣ ✣ ✣ ✣

١٧-الرسالة إلى العبرانيين

أ- كاتب الرسالة.

ب- زمن كتابة الرسالة.

جـ- لمن كُتبت الرسالة ؟ ولماذا ؟

د- الإطار العام للرسالة إلى العبرانيين.

أ ـ كاتب الرسالة

موضوع معرفة كاتب الرسالة كان يشكِّل أهمية بالغة بالنسبة للكنيسة الأولى، لأن هذا الأمر يتوقف عليه قانونية الرسالة.

آراء الأباء : نسبها القديس ترتليانوس إلى القديس برنابا، فى حين أن العلامة أوريجانوس يقول إن كثيرين من القدماء ينسبون كتابتها إلى الرسول بولس (ذكر ذلك المؤرخ يوسابيوس القيصرى). ويؤيد هذا الرأى القديس كليمندس السكندرى، ويرى أنها كُتبت بالعبرية، ثم قام لوقا البشير بترجمتها، ويبدو أنه تسلم هذا التقليد من سلفه بانتينوس. ويقول العلاَّمة أوريجانوس إن البعض فى أيامه نسبوها إلى كليمندس الرومانى، بينما رأى آخرون إن كاتبها هو لوقا البشير، إلا أنه شخصياً يعتقد أن الأفكار التى تحتويها الرسالة هى أفكار القديس بولس، ولكن ليست الكلمات، وهو يقول إن الله وحده هو الذى يعرف بالتأكيد من الذى كتبها. ولكن هذا التحفظ لم يأخذ به السكندريون اللاحقون، فقد تمسكوا بشدة بأن كاتبها هو الرسول بولس، وقد قُبلت على أنها سفر قانونى لا فى الشرق فحسب، بل فى الغرب أيضاً، حيث كانت الشكوك السابقة فى هذا الخصوص تتسم بالقوة. ومع ذلك، فلم تستقر قانونية الرسالة فى الغرب إلا فى أيام القديسين چيروم وأغسطينوس، ولم يواجه التقليد الذى ينسب كتابة الرسالة إلى الرسول بولس أى اعتراض بعد ذلك حتى وقت الإصلاح، حين عارض ذلك كل من إراسموس (إرازموس) ولوثر وكالڤن. وفكرة لوثر أن كاتبها هو أبلُوس لاقت استحساناً لدى كثيرين من الدارسين المعاصرين له، ولو أن أحداً لم ينظر إلى هذه الفكرة سوى أنها تقوم على التخمين فحسب. أما جروتيوس Grotius فقد أحيا الفكرة القديمة بأن لوقا البشير هو كاتبها.

وثمة تخمينات أخرى ترد فى هذا الشأن، فيقترح المؤرخ رامساى Ramsay أن فيلبس المبشر كتب الرسالة من قيصرية بعد اتصاله ببولس الرسول ثم أرسلها إلى الكنيسة فى أورشليم، أما هارناك Harnack فقال إن هذه الرسالة كُتبت بمعرفة أكيلا وبريسكلا.

ب ـ زمن كتابة الرسالة

على الرغم من أن المعلومات المتاحة لأغراض تحديد تاريخ الرسالة هى معلومات ضئيلة، إلا أنها كافية لإمكانية تأكيد أكثر فترة محتملة، ونظراً لأن كليمندس الرومانى ذكر هذه الرسالة فى نحو سنة ٩٥م، فلابد وأنها قُدمت فى فترة ما قبل هذا التاريخ، ومن الأرجح أنها كُتبت قبل سنة ٧٠م، بالنظر إلى أنها لا تشير إلى سقوط أورشليم، ومن حيث أن الوضع الكنسى يتناسب مع تاريخ سابق (انظر١٣: ٧و١٧)، إلا أن الأمر يتطلب ترجيح فترة زمنية بعد تأسيس الكنيسة الموجهة إليها الرسالة، وذلك حتى يمكن أخذ عبارة « تذكروا الأيام السالفة ... » (١٣: ٣٢-٣٤) على أنها تشير إلى الماضى. وإذا كان الاضطهاد المشار إليه هو الاضطهاد الذى شنَّه نيرون، فلسوف يتطلب الأمر تاريخاً يقع فى نحو سنة ٦٧م أو ٦٨ م. ولكن قد يكون المقصود مقاومة عامة فقط، وفى تلك الحالة يمكن أن يقع التاريخ قبلَ سنة ٦٤م، وينسب بعض الدارسين تاريخ الرسالة إلى سنة تقع ما بين سنتى ٨٠م، ٩٠م على أساس استخدام الكاتب لرسائل بولس، غير أنه بالنظر إلى أن تاريخ جمع هذه الرسائل يشوبه الغموض، وبالنظر إلى أن الكاتب لم يُظهر تأثيرها كلها، فلا يكون لهذا الدليل

إلا أهمية قليلة.

جـ - لمن كُتبت الرسالة؟ ولماذا؟

لم يُذكر في الرسالة نفسها إلى من كُتبت. ولكن يمكن الاستدلال على أنهم كانوا يهوداً من ذوى الثقافة اليونانية ممن قبلوا الإنجيل، وثمة عدة قرائن تدل على أن معرفتهم كانت قوية بالعهد القديم والكهنوت اللاوى (راجع عبرانيين ٧:١١ ، ٨: ١٣ ،١٣:١٣). وليس من السهل معرفة مكان إقامتهم ، وإن كان يرجح أنهم جماعة من اليهود كانت تعيش في روما.

وثمة آراء -أخرى- ترى أن الرسالة عظة مكتوبة وليست رسالة مقرؤة -كما في رسائل بولس- وإن كان البعض يرجح أنها رسالة كتبها شخص ما إلى جماعة ما يعرفها. وقد وُضعت باللغة اليونانية، في أسلوب كلاسيكي رفيع المستوى.

وثمة رأى آخر يرى أن الرسالة كانت رداً على هرطقة غنوسية سابقة- تماثل تلك التى تمت مقاومتها في كولوسي- إلا أنه لاتوجد أية أدلة على وجود ميول غنوسية سابقة في الموقف الذى يشكِّل خلفية الرسالة، كذاك الذى كان قائماً في كولوسي.

أما الرأى الذى ساد على نطاق واسع فهو أن الرسالة موجهة إلى المسيحيين من أصل يهودى تحذرهم من الارتداد لليهودية، ويستند هذا الرأى إلى النصائح التحذيرية الخطيرة الواردة في الأصحاحين(٦ ، ١٠) والتى تفترض أن ثمة خطراً للسقوط لا يقل عن صلب ابن الله من جديد (٦: ٦)، وتدنيس لدم العهد (١٠: ٢٩)، وبالنظر إلى أن الكاتب يخاطب أولئك الذين ذاقوا مرة صلاح الله (٦:٤-٥)، والذين لهذا هم معرَّضون لخطر الارتداد إلى إيمانهم القديم، ومن حيث أن الرسالة أوضحت سمو المسيحية على طقوس العهد القديم، فإن من الطبيعي افتراض أن المسيحيين من اليهود كانوا في ذهن الكاتب.

د - الإطار العام للرسالة إلى العبرانيين

١- وصف خلاص الله (١: ١- ٤:١٣).

أ- تدبير الخلاص : ابن الله (١: ١-٣: ٦).

١- المسيح أعظم من الملائكة (١: ١-١٤).

٢- لماذا أخذ المسيح جسداً(٢: ١-١٨).

٣- المسيح يسوع رسول ورئيس كهنة (٣:١- ٦).

ب- راحة الله (٣:٧ -٩).

١- خطورة عدم الدخول إلى راحته(٣:٧-٩).

٢- من يخيب عن الدخول إلى راحته(٤:١-١١).

٣- كلمة الله (٤: ١٢ ،١٣).

٢- رئيس الكهنة الأعظم : يسوع ابن الله (٤:١٤- ٧: ٢٨).

أ- لمحة عن رئيس الكهنة(٤: ١٤-٥:١٠).

ب- نصائح للمُخلَّصين(٥:١١- ٦:٢٠).

جـ- ملكي صادق: رئيس الكهنة المشبَّه بابن الله (٧: ١-١٠).

د- كمال كهنوت المسيح(٧: ١١- ٢٨).

٣- خطة الله للخلاص(٨ : ١-١٠: ١٨).

أ - العهد الجديد(٨ :١- ١٣).

ب- المسكن الأرضى والمسكن السماوى(٩: ١-١٤).

جـ- إقرار العهد الجديد(٩:١٥-١٠:١٨).

٤- الحياة بعد نوال الخلاص(١٠:١٩- ١٣: ١٦).

أ- تحريضات للسلوك المسيحى(١٠:١٩-٣٩).

ب- شهادات لحياة الإيمان من الماضى (١١: ١-٤٠).

جـ- حياة إيماننا (١٢: ١ -١٣: ١٦).

٥- ختــــــام (١٣: ١٧- ٢٥).

١٨-رسالة يعقوب

أ- الرسائل العامة.

ب- الكاتب.

جـ- هدف الرسالة.

د- الأسلوب.

هـ- زمن الكتابة.

و- خصائص الرسالة.

ز- الإطار العام لرسالة يعقوب.

ح- أبرز التعاليم التى وردت فى الرسالة.

أ- الرسائل العامة

تُعد هذه الرسالة أقدم رسائل العهد الجديد، وهى الأولى بين الرسائل العامة، فقد أطلق يوسابيوس المؤرخ الكنسىُ (القرن الرابع) على كل من رسالتى يعقوب ويهوذا الرسائل العامة وذلك نظراً للمحتوى العام لكل منهما.

ب- الكاتب

تُجمع الآراء على أن يعقوب أخى الرب هو كاتب هذه الرسالة، ويطلق عليها رسالة يعقوب إلى الاثنى عشر سبطاً (يعقوب ١:١).

جـ- هدف الرسالة

تعالج الرسالة وتبرهن على أن الإيمان يكتمل بالأعمال، وقد أطلق عليها رسالة الحياة المقدسة، والمسيحية العملية، والأخلاق المسيحية، التى تغطى الحياة المسيحية كلها.

د- الأسلوب

الأسلوب جذل ، وجذاب، يزخر بالحكم والأمثال حيث يعبِّر عن كثير من الأفكار بأقوال حكيمة موجزة، وقد اعتبرت هذه الرسالة بمثابة سفر الأمثال للعهد الجديد. ويستخدم القديس يعقوب اللغة المجازية المستوحاة من الطبيعة(راجع على سبيل المثال ١:١٦ ، ٢ : ١٠و١١ ، ٣ : ١٢ ، ٥: ٧).

هـ- زمن الكتابة

إن من يقبلون القديس يعقوب البار، أخو الرب، كاتباً لهذه الرسالة، فإنه لابد أن تاريخ الكتابة يقع قبل عام ٦٢م ، أى قبل العام الذى توفى فيه القديس يعقوب، (أى بين حكم كل من فستوس Festus وألبينوس Albinus. ولكن يظهر سؤال آخر هل تم كتابتها قبل مجمع أورشليم (٥٠م) أم بعده؟ وترجح الظروف المستقرة، وتوفر الأموال، كذلك الثقافة للمجتمعات المسيحية أن يكون التاريخ نحو عام٦٠م، وتعد هذه الرسالة أقدم رسائل العهد الجديد، فالرسالة لا تحتوى على أى معلومات عن المسيحيين من الأمم، وكذلك لا تتضمن أية إشارة إلى مجمع أورشليم، ومن الواضح أن يعقوب كان يتمتع بمكانة بارزة منذ البداية (راجع أع ١٢:١٧).

و- خصائص الرسالة

يبدأ يعقوب وينتهى فجأة، والرسالة تتضمن كثيراً من الأمثال على غرار أمثال السيد المسيح، وتوجد بعض أوجه الشبه لاسيما فيما يتعلق بالموعظة على الجبل، أكثر من أية رسالة فى العهد الجديد(قارن متى ٥:٣٤ - ٣٧ ، ٦: ١٩، ٧: ١) مع يعقوب ٥: ١٢ ، ٥: ٢ ، ٤: ١١و١٢) وأسلوب القديس يعقوب أكثر قرباً لأسلوب القديس بطرس منه للقديس بولس، حيث توجد بعض أوجه الشبه بالمقارنة مع الرسالة

الأولى لبطرس (قارن بطرس الأولى ١:٧ ،١:٢٤ ، ١: ٢٣، ٢:١١ ، ٥: ٥و٦ مع يعقوب ١:٣ و١١و١٨ ، ٤ :١، ٤: ٦-١٠).

لا تحمل الرسالة أية بركات رسولية، ربما لأنها تدين غير المسيحيين بين القرّاء (٤:٤ ، ٥:١-٦). ويجد البعض أن الرسالة ينقصها بعض كلمات العهد الجديد مثل: الإنجيل، الفداء، القيامة، الصعود، وإن كانت تتكلم عن الرب يسوع المسيح (١:١ ،٢: ١)، الميلاد الجديد(١: ١٨)، والإيمان (٢: ١٤- ٢٦) وتتكلم عن المجيء الثانى للرب (٥:٧و٨)، ومن الواضح أن الرسالة موجهة إلى المسيحيين من أصل يهودى (١:١ ، ٢: ١و٢١).

ويتكلم عن معلمى الكنيسة وشيوخها(٣:١ ، ٥:١٤).

ز - الإطار العام لرسالة يعقوب

ليس من السهل وضع الخطوط العريضة للرسالة، لأنه ينقصها الترتيب والنظام المنطقى.

١- المؤمنون والتجارب(١:١- ١٢).
٢- المؤمنون والرغبات الداخلية(١:١٣-١٦).
٣- المؤمنون وكلمة الله(١: ١٧ - ٢٧).
٤- المؤمنون وجيرانهم(٢: ١ - ١٣).
٥- المؤمنون بين الإيمان والأعمال(٢:١٤-٢٦).
٦- لسان المؤمنين(٣: ١ - ١٢).
٧- الحكمة السماوية(٣: ١٣- ١٨).
٨- العالم والجسد والشر(٤: ١- ٧).
٩- الله والناموس(٤: ٨-١٧).
١٠- الأيام الأخيرة(٥:١ - ٨).
١١- الصبر والصلاة فى التجارب(٥:١٠-٢٠).

يبدأ القديس يعقوب الرسالة وينتهى أيضاً بمناقشة التجارب والصبر والصلاة بإيمان، ويرى البعض أن جوهر رسالة يعقوب هو: «إن كان أحد لايعثر فى الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً (٣:٢)، وهذا ما يعتبر أبرز أهداف الرسالة.

ح - ابرز التعاليم التى وردت فى الرسالة

• **الصلاة:** الصلاة من أجل طلب الحكمة(١:٥ -٧)، الصلاة غير المستجابة (٤: ٢و٣)، والصلاة بإيمان (٥:١٣-١٨).

• **الكلمة:** «شاء فولدنا بكلمة الحق» (١:١٨)، قبول الكلمة (١: ٢١)، طاعة الكلمة(١: ٢٥).

• **اختبارات ثلاثة للديِّن:** أن يلجم لسانه، وأن يكون محباً، وطاهراً(١: ٢٦و٢٧).

• التجارب تصيرنا كاملين فى حياتنا على الأرض (١:١-٤) كما أنها تجعلنا ننال إكليل الحياة فى السماء (١:١٢).

كيف تجعل إبليس يهرب منك، وكيف تقترب من الله (٤: ٧و ٨).

• **تعريف الخطية:**(٤: ١٧).

وما يُوجه إلى يعقوب لما جاء عن الإيمان فى(٢:٢٤)، وأنه يخالف ما جاء فى رسالة رومية(٣:٢٨) يسقط أمام الحقيقة التى يذكرها يعقوب وفيها يشير إلى «بر الإنسان» (٢: ١٨).

بينما بولس يشير إلى «بر الله»(رو٤:٢). إن القديس يعقوب يتكلم عن الإيمان الذى قد يقول قائل إن عنده إيمان، بينما تنقصه الأعمال (٢:٢٠).

❖ ❖ ❖ ❖

١٩-رسالة بطرس الرسول الأولى

أ- الكاتب.

ب- زمن الكتابة.

ج- مكان الكتابة.

د- لمن كتب بطرس الرسالة.

هـ- هدف الرسالة.

و- الإطار العام لرسالة بطرس الرسول الأولى.

أ - الكاتب

لا تحمل الرسالة الأولى للقديس بطرس اسم القديس فحسب، وإنما تعكس إلى درجة ما صفاته، وخبراته أيضاً. يقول الكاتب عن نفسه «رسول يسوع المسيح»(١:١)«أنا الشيخ رفيقهم» وهو يشير إلى الرجاء الجديد الذى ناله بقيامة المسيح من الأموات(راجع ١:٣) وإلى آلام السيد المسيح (١١:١ ، ٢: ٢١ - ٢٤ ، ٣: ١٨ ، ٤: ١٣) وهو يردد ماقاله السيد المسيح: «ارعوا رعية الله»، «ارعَ غنمى» (راجع بطرس الأولى، يوحنا ٢١ :١٦)، وقد اقتبس من هذه الرسالة كثيرون من آباء الكنيسة، ووردت فى كتاباتهم، فنجد اقتباسات منها فى رسالة بوليكاربوس إلى فيلبى(١٢٥م)، وفى رسالة برنابا(١٣٥م)، وفى كتابات يوستينوس الشهيد(١٥٠ م)، والرسالة الثانية للقديس بطرس تتضمن وجود الرسالة الأولى (راجع بطرس الثانية ٣:١) ربما تكون هذه هى الرسالة التى تشير إليها الرسالة الثانية. منذ عهد إيريناوس (١٧٠ م) والكنيسة تعترف بالرسالة الأولى لبطرس.

ب - زمن الكتابة

لأن بطرس يذكر سلوانس(٥ :١٢)، ومرقس أيضاً(٥ :١٣) فإنه من المحتمل أن الرسالة كُتبت بعد أن أصبح لكل واحد منهما دوره البارز فى الكنيسة. فإذا كانا هما نفس الشخصين اللذين كانا مع بولس، فإن الرسالة ترجع إلى الفترة التى ترك فيها سلوانس(سيلا) بولس، وقبل أن يذهب إليه مرقس، خلال الفترة الأولى لسجن بولس فى روما (كولوسى٤ :١٠، فليمون ٢٤)، وما لم يكن مرقس قد رافق بطرس قبل الفترة الثانية لسجن بولس(٢تيموثاوس٤ :١١) فإن الرسالة لا يمكن أن تكون كُتبت قبل نهاية العقد السادس، ولابعد منتصف العقد السابع من القرن الأول، حيث استشهد بطرس، وربما يكون التاريخ المرجح بين سنتى٦٣ م- ٦٤ م .

جـ - مكان الكتابة

أُرسلت الرسالة من بابل (٥ :١٣)، ولا أحد يعرف على وجه التحديد إن كانت بابل هى التى تقع على نهر الفرات، حيث كان كثيرون من اليهود يعيشون هناك،أم بابل كانت إشارة مجازية إلى روما (رؤيا ١٧: ٥ ، ١٨: ١٠) ومازال هذا الأمر موضع دراسة الباحثين. والمرجح أن بطرس كان قد قابل سلوانس ومرقس فى روما ،لا فى بابل التى بين النهرين.

د - لمن كتب بطرس هذه الرسالة؟

كتب بطرس هذه الرسالة إلى المسيحيين على الحدود الشمالية لأسيا الصغرى حيث لم يكن بولس قد بشَّر هناك. بالرغم من أنه قد وجه الرسالة إلى المتغربين من أصل يهودى وهو يشير إلى الماضى حيث عملوا إرادة الأمم(راجع ٤: ٣)، كما لو أنه أراد أن يشير إلى أنهم- أو على الأقل بعضهم- كانوا أميين، وهو ربما يشير إلى أن الدخلاء الذين مع اليهود قد أصبحوا مؤمنين.

هـ - هدف الرسالة

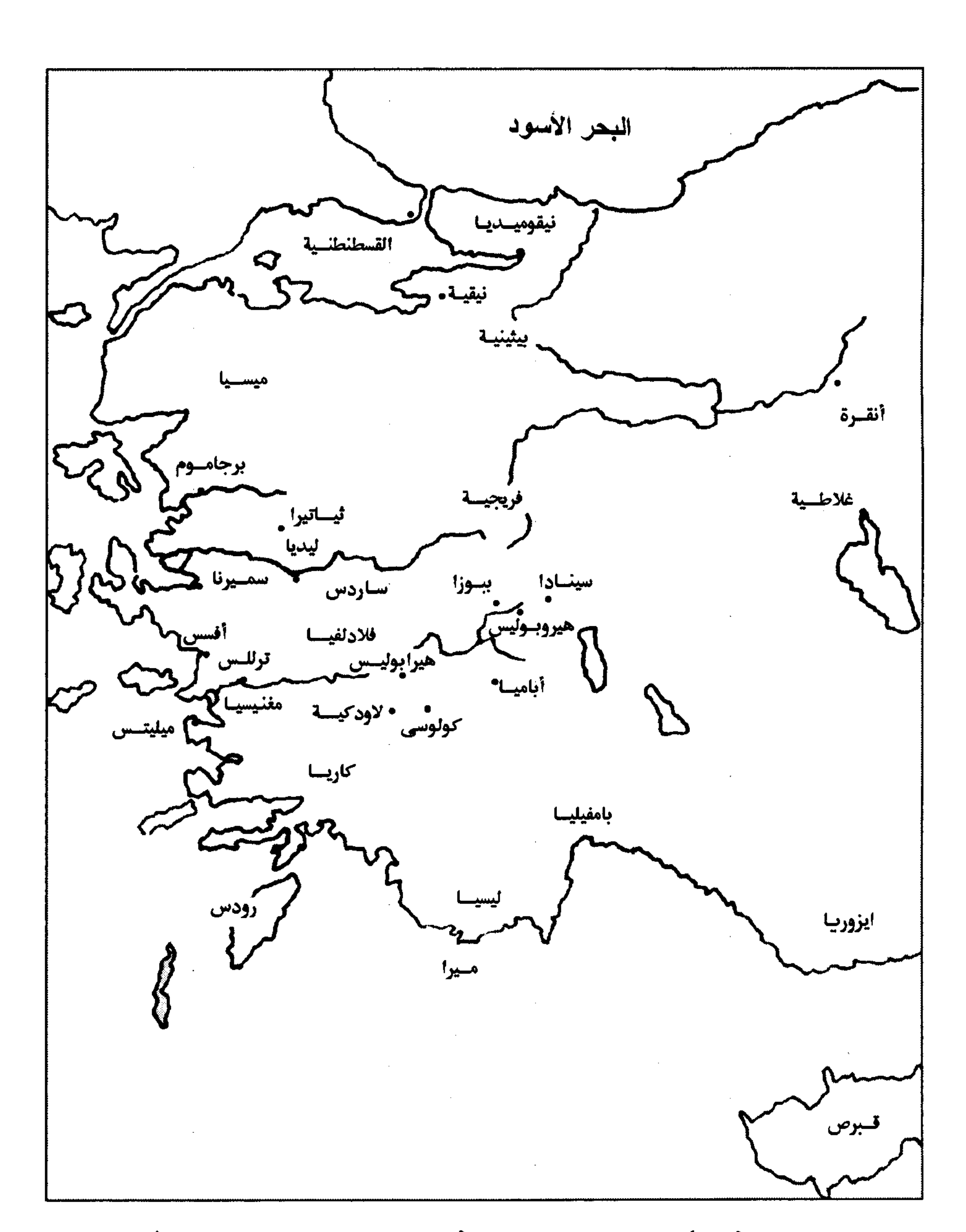
كتب القديس بطرس هذه الرسالة من أجل تشجيع الكنيسة التى تعرضت للآلام والاضطهادات(٤ :١٢-١٩). والفكرة الرئيسية للرسالة هى العلاقة بين الألم والخلاص ، فالألم طريق إلى الكمال إذ يقول القديس بطرس: «بعدما تألمتم يسيراً هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم» (٥: ١٠).

و - الإطار العام لرسالة بطرس الرسول الأولى

١- تقديم الشكر لله من أجل إعلان محبته فى المسيح (١: ١- ١٢).

٢- يوصى بالحياة المقدسة (١ :١٣ ، ٢ :١٠).

٣- الأخلاقيات المسيحية فى الكنيسة (٢ :١١-٣ :١٢).



خريطة لأسيا الصغرى فى زمن الرسول بطرس

٤- الشهادة الصالحة فى مواجهة من يفترون عليهم (٣:١٣-٤:١١).

٥- نصائح للكنيسة(٤:١٢- ١٩).

٦- نصائح للشيوخ(٥: ١- ٩).

٧- البركة والتحيات (٥: ١٠ -١٤).

٢٠-رسالة بطرس الرسول الثانية

أ- الكاتب.

ب- زمن و مكان كتابة الرسالة.

جـ- لماذا كتب بطرس هذه الرسالة؟

د- الإطار العام لرسالة بطرس الرسول الثانية.

ا ـ الكاتب

إن البرهان الخارجى أو التاريخى على أن كاتب الرسالة الثانية هو القديس بطرس أقل بالمقارنة مع ماتوفر للرسالة الأولى. و ثمة إشارات عنها وردت فى راعى هرماس(١٤٠م)، وفى تعليم الرسل الاثنى عشر(١٥٠م).

وقد كتب أوريجانوس (٢٢٠ م) أن ثمة بعض الشك يحيط بكاتب رسالة بطرس الثانية. ويوسابيوس القيصرى المؤرخ الكنسى(القرن الرابع) يضعها بين الكتب موضع الجدل.

إلا أن اسم الكاتب يرد صراحة فى هذه الرسالة كما فى الرسالة الأولى، وفى هذه الرسالة إشارة إلى رسالة سابقة لنفس الكاتب، وربما تكون هى رسالة بطرس الرسول الأولى (بطرس الثانية ٣:١).

على أنه فى ضوء القبول المبكر للرسالة، فقد وُجدت مخطوطة تحتوى على رسالتى بطرس الرسول الأولى والثانية بالإضافة إلى رسالة يهوذا، وقام قبطى أرثوذكسى فى مصر بنسخها فى القرن الثالث الميلادى، وقد قام الناسخ بتزيين عنوان الرسالة الثانية بينما لم يقم بعمل نفس الشىء مع الرسالتين الأخريين. ويستنتج أ. كنج» A. King أن ثمة تقديراً كبيراً قد أحاط بالرسالة فى القرن الثالث(ملاحظات على مخطوطة بودمر Bodmer).

أما البرهان الداخلى النابع من الرسالة نفسها على أن بطرس الرسول هو الكاتب، فيعد أقوى من البرهان التاريخى. فالكاتب يقول عن نفسه إنه «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله»(١:١).

ويقول إنه شاهد «التجلى»(١:١٦و١٧) تلك الحادثة التى أخبرنا بها القديس مرقس، وكتب عن حضور القديس بطرس لها(راجع مرقس ٩:٥ - ٧) ويقول إن الرب يسوع أعلن له عن موته (١:١٤، قارن يوحنا ٢١: ١٨و١٩). وكتب عن نفسه على أنه أحد رسل الرب (٣:٢)، وفى إشارته إلى كتابات بولس كتب عنه «أخونا الحبيب بولس»، وفى ذلك يصف العلاقة بينهما فى شىء من الألفة.

إن أسلوب الكتابة والكلمات المستخدمة فى رسالة بطرس الثانية يختلف عن أسلوب الكتابة والكلمات التى جاءت فى رسالة بطرس الرسول الأولى، ولكن يجب أن نشير إلى أن سلوانس قد عاون بطرس على كتابة الرسالة الأولى. وكان سلوانس يعاون بولس أيضاً(راجع بطرس الأولى٥:١٢، تسالونيكى الأولى١:١) بينما فى أواخر عمره لم يكن معه من يعينه ، وأسلوب الكتابة فى الرسالة الثانية يختلف عن أسلوب القديس بولس فى الكتابة، ولكنه يماثل إلى حد كبير أسلوب القديس بطرس الصريح والمباشر فى التعبير.

ب ـ زمان و مكان كتابة الرسالة

حيث أن الرسالة الثانية لبطرس قد كُتبت فى ختام حياة

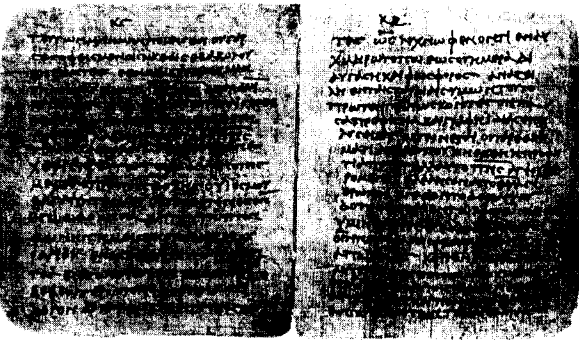
القديس بطرس، فربما يكون قد كتبها فيمابين عامى ٦٤م، ٦٨ م.

وطبقاً للتقليد فإن بطرس توفى فى روما، وربما يكون قد كتب هذه الرسالة هناك.

جـ - لماذا كتب بطرس هذه الرسالة ؟

لأن الكاتب يشير إلى الرسالة الأولى التى أرسلت إلى نفس الجماعة (٣: ١) فإنه من المرجَّح أن الرسالة الثانية لبطرس الرسول قد كتبها للكنيسة فى أسيا الصغرى (بطرس الأولى١:١).

كانت ظروف عديدة قد تغيرت فى الزمن الذى يفصل بين الرسالتين، وكان بطرس يتوقع أن المعلمين المُضلِين والكذبة يُشكِّلون خطراً فى المستقبل على المؤمنين أكثر مما يشكِّل الاضطهاد، وإن فساد أخلاق المعلمين الكذبة سيؤدى إلى أن



صفحتان من رسالة بطرس الثانية أقدم مخطوطة معروفة ويرجع تاريخها إلى نحو عام ٣٠٠ م

«وسيتبع كثيرون تهلكاتهم»(بطرس الثانية ٢:٢)، وهم طمَّاعون (٣:٢) ويذهبون وراء الجسد فى شهوة النجاسة (٢: ١٠).

«وينطقون بعظائم البُطل»(٢: ١٨)، ويعدون بالحرية المزَيَّفة (٢: ١٩)، ولهذا كتب لهم القديس بطرس محذراً من المعلمين الكذبة، ومن خطر الارتداد.

د - الإطار العام لرسالة بطرس الرسول الثانية

- **التحية** (١: ١و ٢).

١- طبيعة المعرفة الحقيقية(١:٣ - ٢١).

أ- هبة من الله (١: ٣و٤).

ب- النمو فى الاختبار (١: ٥-١١).

جـ- أساس هذه المعرفة (١: ١٢-٢١).

- **اختبار بطرس وشهادته الخاصة** (١:١٢-١٨).
- **الكلمة النبوية** (١:١٩ - ٢١).

٢- مخاطر ترك المعرفة الحقيقية (٢:١-٢٢).

أ- المعلِّمون الكذبة (٢: ١- ٣أ).

ب - حكم الله على المعلمين الكذبة (٢:٣ب - ١٠أ).

جـ- انغماس المعلِّمين الكذبة فى الخطية (٢:١٠ب - ١٧).

د- الخطر الذى يشكِّله المعلِّمون الكذبة (٢: ١٨-٢٢).

٣- الرجاء فى المعرفة الحقيقية(٣:١- ١٨أ).

أ- مواعيد ضد ادعاءات المستهزئين (٣:١-٧).

ب- تحديات تواجه المؤمنين (٣:٨ - ١٣).

جـ- نصح المؤمنين فى ضوء الرجاء فى المستقبل (٣: ١٤- ١٨أ).

- **تمجيد الله** (٣: ١٨ب).

إن الفكرة الأساسية فى رسالة بطرس الرسول الثانية هى: **المعرفة**: فالكلمات المشتقة من «معرفة» قد ورد ذكرها

ست عشرة مرة فى الأصحاحات الثلاث، تشير فى ست مرات منها إلى معرفة المسيح، فى مقابل المعرفة الزائفة التى قدمها المرتدون، بينما يؤكد القديس بطرس على المعرفة الاختبارية التى تمنح النعمة والسلام «لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا» (١: ٢)، وتجعلهم مثمرين (١:٨)، وتحررهم (٢: ٢٠)، وتجعلهم نامين(٣:١٨).

وقد تم تقسيم الرسالة إلى أصحاحات ملائمة فى المضمون، فالأصحاح الأول يبرز كفاية إعلان الله فى المسيح يسوع وفى الكتاب المقدس، حيث المصدر الذى يحدد لنا مستوى السلوك الأخلاقى والرجاء الموضوع فى الأخرويات. والأصحاح الثانى يتضمن تحذيراً ضد الأنبياء أو المعلمين الكذبة الذين سيُهلكون الكنيسة بتعاليمهم المدمِّرة، أما الأصحاح الثالث فيكرر الوعد بمجىء الرب ثانيةً. مؤكداً للقارىء أنه «لايتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلِك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة (٣: ٩).

وربما يمكن تلخيص هذه الرسالة بكلمات القديس بطرس التى جاءت فى (١: ١٠و١١) «لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين، لأنكم إن فعلتم ذلك لن تزِلُّوا أبداً، لأنه هكذا يُقدَّم لكم بسعةٍ دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى».

٢١-رسائل الرسول يوحنا الثلاث

تنسب إلى الرسول يوحنا ثلاث رسائل موجزة، إلا أنها تتناول موضوعات عميقة ومهمة فى الطبيعة الأساسية للاختبار المسيحى.

الرسالة الأولى ليوحنا الرسول

(أ) الهدف من الرسالة الأولى.

(ب) مواجهة الهرطقات.

(جـ) الكاتب.

(د) زمان الكتابة.

(هـ) الإطار العام لرسالة يوحنا الرسول الأولى.

١ - الهدف من الرسالة الأولى

الرسالة رد بسيط إلاَّ أنه عميق على هرطقة كانت تهدد الكنيسة فى ذلكم الوقت. على أن للرسالة هدفاً آخر إيجابياً أيضاً، فالكاتب يهدف إلى أن يُعَرِّف أولاده الحق وأن يتجاوبوا فى علاقتهم بالله الذى أُعلن فى المسيح. والهدف الإيجابى نجده أيضاً فى(٥: ٢٠):«ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق، ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح».

والفهم الواضح لطبيعة المسيح أمر بالغ الأهمية بالنسبة للكاتب. واستجابة المؤمن التى يدعو إليها أن «يولد من الله»، وأن «يثبت فيه».

وافتراض أن الرسالة كُتبت لتفنيد ادعاءات الهراطقة يتيح لنا أن ننفذ ببصيرتنا إلى عمق هويتهم. وطبقاً لما جاء فى (١٩:٢) فإن أولئك كانوا أعضاءً فى المجتمع المسيحى، ولكنهم انسحبوا الآن لكى يروجوا لمعتقداتهم.

والخطأ الأكبر الذى وقع فيه الهراطقة فى تعليمهم عن المسيح، تمثَّل فى إنكارهم لبشرية يسوع، مع ما يتضمن ذلك من أنه ليس المسيَّا. والأرواح المضَلِّلة فى العالم يمكن التعرف عليها من إنكارها ليسوع، كما تعرف روح الله ممن يعترف بيسوع المسيح: «بهذا تعرفون روح الله، كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله»(٤: ٢). والآية الافتتاحية فى الرسالة تفنِّد بشدة إنكار بشرية يسوع، وقد عُرِّف الكذاب بأنه «الذى ينكر أن يسوع هو المسيح» هذا هو ضد المسيح الذى ينكر الآب والابن»(٢:٢٢).

والناتج العملى لهذه المواقف كان متمثلاً فى انتفاء

المسئولية الأخلاقية التى تشجع على حياة الخطية واللامبالاة بالآخرين، ولذلك احتاج الرسول يوحنا أن يدعو هؤلاء المرتدين إلى الرجوع إلى حياة الأخلاق والمحبة الأخوية فى المسيح.

ب ـ مواجهة الهرطقات

التأكيد على المعرفة السرية يشير إلى هرطقة ذات طابع غنوسى، وإنكار بشرية يسوع يشير إلى هرطقة دوسيتية، وقد ورد ذكر اسم شخصى يدعى كيرنثوس Cerinthus.

«للمزيد من المعرفة يمكن الرجوع إلى الباب الخاص بالهرطقات»، وقد ذكر ايريناوس اسمه مرات عديدة حيث ارتبط بحركة المقاومة التى وردت فى رسالة يوحنا الأولى.

جـ ـ الكاتب

المقارنة الدقيقة بين الرسالة الأولى للرسول يوحنا والإنجيل الرابع تكشف لنا تشابهاً ملحوظاً فى مفردات اللغة، الأسلوب والفكر، وثمة كلمات مميزة استخدمت فى كلا السفرين أمثال: المحبة، الحياة، الحق، النور، الابن، الروح(أظهر)، الخطية، العالم، الجسد، يسكن، يعرف، يسلك، الوصايا.

وكذلك ثمة عبارات متشابهة مثل: «روح الحق»، «مولود من الله»، «أولاد الله»، «يغلب العالم»، وهى أيضاً تشير إلى أن الكاتب شخص واحد.

والموقف التقليدى فيما يتعلق بكاتب هذه الرسالة هو أن الرسول يوحنا هو كاتب الإنجيل، وكذلك كاتب الرسالة.

والكلمات الافتتاحية فى الرسالة الأولى (١:١) تؤكد على أن الكاتب كان شاهد عَيَان لتلك الأحداث. والقول بأنه شاهد عيان هو أمر يؤيد صحة الرأى الخاص بطبيعة السيد المسيح وفهمهما. وقد أشار إيريناوس (القرن الثانى) فى كتابه ضد الهرطقات، وكذلك فى القائمة الموراتورية (القرن الثانى) إلى أن كاتب رسالة يوحنا الأولى.. هو الرسول يوحنا، ويتحدث التقليد عن تقدم الرسول فى السن، وإلى أنه عَلّم فى أفسس. وعن تأكيده على المحبة حتى نهاية حياته. وهو ما تعكسه الرسالة الأولى تماماً.

د ـ زمان الكتابة

تاريخ كتابة رسالة يوحنا الأولى ترجع - عادة- إلى قرب نهاية القرن الأول. وقد أكدت هذا التاريخ طبيعة الهرطقة التى أدانتها الرسالة، وكذلك الإشارات التى اختصتها فى كتابات بوليكاربوس وايريناوس، إلا أنه لا يمكن تحديد التاريخ بدقة كافية.

النص: وردت عبارة «وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (٥:٧ ، ٨) وهى موضع جدل، إذ ربما تكون أضيفت للنص فى تاريخ متأخر إلى حد ما. أما أول إشارة لها فتأتى من الهرطوقى الأسبانى بريسيليان Priscillian الذى توفى فى سنة ٣٨٥م، وفى تاريخ لاحق قُبلت هذه الإضافة فى الفولجاتا. أما إرازموس Erasmus الذى نشر أول نسخ العهد الجديد باليونانية، فقد حذف هذه العبارة على أساس عدم وجودها فى المخطوطات اليونانية. والمخطوطتان اليونانيتان الوحيدتان اللتان تحتويان على هذه العبارة ترجعان إلى ذلك التاريخ، ولهذا فإن بعض الترجمات الحديثة حذفت هذه العبارة.

هـ ـ الإطار العام لرسالة يوحنا الرسول الأولى

١- مقدمة (١:١-٤).

٢- شركتنا مع الله(السلوك فى النور) (١:٥ -٢: ٢٨) وتُختبر من خلال :

أ- الحياة البارة(١: ٨ - ٢:٦).

ب- محبة الأخوة بعضهم لبعض(٢:٧:١٧).

جـ- الإيمان بالمسيح الإله المتجسد (٢:١٨-٢٨).

٣- أولاد الله (٢:٢٩ - ٤: ٦) **ونلمسها من خلال:**

أ- البر(٢:٢٩ - ٣: ١٠ أ).

ب- المحبة (٣: ١٠ب - ٢٤).

جـ- الإيمان بالمسيح الإله المتجسد (٢:١٨-٢٨).

٤- **الوصية بالمحبة المسيحية (٤:٧-٢١).**

٥- **ضرورة الإيمان المسيحى (٥:١-١٢).**

٦- **حقائق عن الحياة المسيحية (٥:١٣-٢٠).**

٧- **وصية ختامية (٥:٢١).**

الرسالة الثانية ليوحنا الرسول

أ- الكاتب والمستهدفون.

ب- اللغة وزمان الكتابة.

جـ- الإطار العام لرسالة يوحنا الرسول الثانية.

أ ـ الكاتب والمستهدفون

كُتبت هذه الرسالة فى ظروف مماثلة للظروف التى كُتبت فيها الرسالة الأولى للرسول يوحنا، ويعرِّف الكاتب نفسه بأنه «الشيخ» ويُعرِّف من يوجه إليه الرسالة: «إلى المختارة»، «وإلى أولادها». ويرى البعض أنه ربما كانت تشير إلى سيدة معينة، إلاَّ أنه من المحتمل أن تكون «المختارة» كنيسة ما، «وأولادها» هم أعضاء هذه الكنيسة. وكانت الهرطقات التى هوجمت فى رسالة يوحنا الأولى تزعج هذه الكنيسة، وقد حذرت من أن تتعامل الكنيسة مع دعاة الهرطقة، وأن تواجه تلك الهرطقات.

ب ـ اللغة وزمان الكتابة

اللغة ومفرداتها والأسلوب المستخدم فى الرسالة الثانية مماثل إلى حد كبير لتلك التى نجدها فى الرسالة الأولى ليوحنا، وثمة ثمانى آيات من الثلاث عشرة آية التى تتكون منها رسالة يوحنا الثانية تكاد تكون مطابقة لآيات فى رسالة يوحنا الأولى. وتشابه هذه الرسالة مع رسالة يوحنا الأولى يوحى بأنها كُتبت فى نفس الفترة.

جـ ـ الإطار العام للرسالة الثانية

١- إطراء من أجل الإخلاص فى الحق(١: ٣).

٢- وصية المحبة التى ينبغى السلوك بمقتضاها(٤- ٦).

٣- أهمية الثبات فى تعليم المسيح(٧-٩).

٤- عدم قبول من يأتى بتعليم آخر (١٠-١١).

٥- ختام (١٢-١٣).

الرسالة الثالثة ليوحنا الرسول

أ- هدف الرسالة الثالثة.

ب- زمن الكتابة.

جـ- الإطار العام لرسالة يوحنا الرسول الثالثة.

أ ـ هدف الرسالة الثالثة

كُتبت هذه الرسالة أيضاً فى ظروف مماثلة للرسالتين السابقتين، ومع ذلك فما دعا إلى كتابتها لم يكن التهديد الذى تشكِّله هرطقة ما. بل شخص يدعى ديوتريفس Diotrephos كان ينكر سلطة «الشيخ» «ويمنع أيضاً الذين يريدون ويطردهم من الكنيسة»(٣يوحنا: ١٠) وقد وجهت هذه الرسالة إلى «غايس» الذى كان لا يزال مخلصاً «للشيخ»، والشيخ يطلب من غايس أن يساعد المرسلين الحقيقيين الذين يعانون من الحاجة.

ب ـ زمن الكتابة

لاتتوفر لنا معلومات كافية لتحديد تاريخ هذه الرسالة. أما مفردات اللغة وأسلوب الكتابة المألوفين فيربطان بشكل وثيق بين هذه الرسالة والرسالتين الأخريين.

جـ ـ الإطار العام لرسالة يوحنا الرسول الثالثة

١- مقدمة(١-٤).

٢- مدح من أجل الأمانة تجاه الغرباء (٥-٨).

٣- إدانة ديوتريفس(٩-١١).

٤- الشهادة من أجل ديمتريوس(١٢).

٥- ختام (١٣-١٤).

٢٢- رسالة يهوذا

(أ) الكاتب.

(ب) زمن الكتابة ولمن كتبت.

(جـ) هدف الرسالة.

(د) الأفكار الرئيسية فى الرسالة.

(هـ) الإطار العام لرسالة يهوذا.

(أ) الكاتب

يهوذا هو أخو يعقوب، وربما كانا أخوا الرب (متى١٣: ٥٥، مرقس ٦: ٣)، وعنوان هذه الرسالة يحمل اسم كاتبها يهوذا، كما يأتى فى صدر الرسالة نفسها، وهذه الرسالة هى الرسالة الوحيدة التى تتناول بالكامل موضوع الارتداد.

ب - زمن الكتابة ولمن كتبت

إن تشابه هذه الرسالة مع الأصحاح الثانى من رسالة بطرس الرسول الثانية يطرح سؤالاً عن مدى اعتماد القديس يهوذا عليها. فالقديس يهوذا فى وقت لاحق، ربما بعد سقوط أورشليم، يشير إلى الأقوال التى قالها الرسل سابقاً(راجع عدد ١٧)، ولا يرجح أن يهوذا اعتمد على الأصحاح الثانى من الرسالة الثانية لبطرس الرسول. وإنما المرجح هو أن كلتا الرسالتين نبعتا من ظروف واحدة للكرازة ضد المعلمين الكذبة. وحيث كان يوجد حفيدين ينتميان إلى أسرة داود، فإنه ربما كان يهوذا كاتب هذه الرسالة أحدهما، لذا استدعاهما الامبراطور دوميتيان Domitian(٨١م - ٩٦ م) عندما علم بانتمائهما لأسرة داود. ولكنه صرفهما إذ وجدهما مجرد فلاحين من الفقراء، ولا يشكلان أى خطر على روما (راجع يوسابيوس تاريخ الكنيسة ٣: ١٩، ١ - ٢٠: ٦) وهذا الحدث يبين أهمية يهوذا تجاه حكم دوميتيان، ولا سيما أنه ظهرت براءة ساحته.

ويتضح أن هذه الرسالة قد كتبت بصفة خاصة للقراء المسيحيين من أصل يهودى، وهذا بخلاف رسالة بطرس الثانية. فخروج شعب بنى إسرائيل من أرض مصر،(راجع عدد ٥) والإشارات التى وردت من العهد القديم (راجع عددى ٩، ١١) قد ذكرت فى رسالة يهوذا فقط، ولم تذكر فى رسالة بطرس الرسول الثانية، وكذلك ذكر نبوة أخنوخ (راجع عددى ١٤و١٥).

جـ - هدف الرسالة

بينما يبدأ سفر أعمال الرسل بتاريخ الكنيسة على الأرض، فإن يهوذا يبدأ بالحديث عن النهاية. ففى معرض حديثه عن الارتداد يتكلم عن الدينونة، و يُعِّد القراء لما جاء عنها فى سفر الرؤيا.

والهدف من الرسالة يظهر فى العدد الثالث منها، إذ بينما كان الكاتب يرغب فى الكتابة عن الخلاص المشترك، فإنه اضطر أن يكتب لهم عوضاً عن ذلك، ضد التعاليم المنحرفة التى ظهرت فى الكنيسة، مؤكداً على الإيمان الرسولى.

د - الأفكار الرئيسية فى الرسالة

تحاول الإعلانات الإلهية منذ فجر الإنسانية، أن ترد الإنسان عن الخطية (١١) ويذكِّرهم بالدينونة التى سوف تحدث بالمجيء الثانى للسيد المسيح (١٥) وتحدث عن البحر والنجوم (١٣) وعن نار أبدية وظلام إلى الأبد (٧ و١٣)، كما تحدث وعلمهم عن العالم غير المنظور للملائكة وعملهم (٦و٩).

لقد أعلن يهوذا حقائق جديدة فيما يتعلق بخطية الملائكة وسقوطهم (٦)، وخصام ميخائيل رئيس الملائكة مع إبليس (٩)، ونبوة أخنوخ (١٤و١٥).

لقد اقترنت التحية فى الرسالة بالبركة، كذلك يستخدم القديس يهوذا كلمات المحبة الحانية فى استهلال رسالته وختامها. وذلك حتى لا يشعر المسيحيون أنهم بعيدون عن الحق. وموضوع العددين (٣، ٢٣) هو الخلاص، ويؤكد على الإيمان فى عدد (٣)، بل ويطلب «أن يبنوا أنفسهم على الإيمان الأقدس»(٢٠) ويبدأ تذكيرهم بالعهد القديم فى عدد (٥). ويبدأ بالعدد (١٧) لتذكيرهم بالعهد الجديد (١٧). ويقرن بين الارتداد فى العالم السماوى(٩) والارتداد فى العالم الطبيعى (١٢و١٣).

يذكر القديس يهوذا فى عدد(١١)ثلاثة نماذج من العهد القديم للإنسان المرتد. ويذكر أنواع الارتداد فى الأعداد(٤، ١٦، ١٩) والتى يوضحها بمزيد من الأمثلة فى الأعداد (٥-٧).

لقد كتب القديس يهوذا يوصى المسيحيين أن يبنوا أنفسهم مصلين، ويحفظوا أنفسهم فى محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح (راجع ٢٠، ٢١) ويحثهم على معاونة غير المؤمنين لينالوا الخلاص وذلك فى عددى (٢٢، ٢٣).

ويختم رسالته بالبركة مصلياً أن تنتقل الكنيسة من الحالة التى كانت عليها إلى أن تقف أمام الله بلا عيب فى الابتهاج، وبلا عثرة بمعونة المخلص.

هـ- الإطار العام لرسالة يهوذا

١- التحية (١و٢).

٢- المناسبة والهدف من الرسالة. وحثهم على الدفاع عن الإيمان(٣و٤).

٣- توضيح ضرورة الدفاع عن الإيمان (٥-١٦).

أ- ثلاثة نماذج من التاريخ تدين من ارتدوا (٥-٧).

ب- ثلاثة نماذج من التاريخ تصف التعاليم الخاطئة(٨-١٦).

٤- مسئولية المسيحيين الحقيقيين.

كيف يدافعون عن الإيمان(١٧- ٢٣).

٥- الختام وتمجيد الله(٢٤و٢٥).

٢٣- رؤيا يوحنا

(أ) الكاتب وزمن الكتابة.

(ب) خصائص السفر.

(جـ) التفاسير المختلفة لسفر الرؤيا.

(د) الإطار العام لرؤيا يوحنا.

يأتى سفر رؤيا يوحنا فى ختام ترتيب أسفار العهد الجديد، ويعلن النصر النهائى والتام لملك الملوك ورب الأرباب، ويكشف عن مدى جماله ومجد الموطن السماوى، وهذا السفر يعد ختام الإعلانات الإلهية.

أ- الكاتب وزمان الكتابة

أجمعت الكنيسة الأولى على أن كاتب سفر الرؤيا هو الرسول يوحنا، وهو أيضاً كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه، وقد ذكر القديس يوحنا اسمه صراحةً أربع مرات فى هذا السفر (راجع١:١و٤ و٩، ٢٢: ٨) وأغلب الدارسين المحافظين من المعاصرين يقبلون أن القديس يوحنا كتب هذا السفر فى جزيرة بطموسPatmos حيث نفى عقاباً أوقعه به الأمبراطور دوميتيان Domitian (٨١م -٩٦ م).

ب ـ خصائص السفر

ربما يكون من المشوق معرفة أن ثمة (٩١٦) كلمة مختلفة استخدمت فى الكتابة وُجدت فى النص اليونانى لسفر الرؤيا، وقد وُجدت (٤١٦) كلمة منها فى إنجيل يوحنا، بينما لم تُستخدم(١٠٨) كلمة منها فى العهد الجديد، وتُقدَّر الآيات الواردة فى سفر الرؤيا بـ(٢٦٥) آية تحمل إشارات واقتباسات من العهد القديم تُقدَّر بـ(٥٥٠) اقتباساً، منها (٧٩) اقتباساً من سفر إشعياء،ويرى البعض أن السفر نفسه يعد امتداداً للنبوات التى وردت فى سفر دانيال (راجع موسوعة ويكلف Wycliffe).

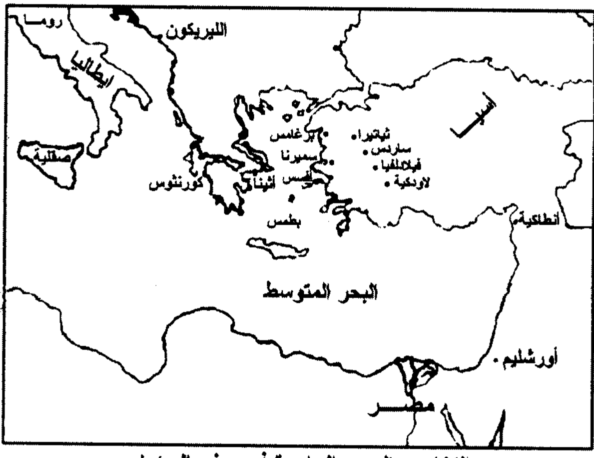
رؤيـــــا

رؤيا Revelation مشتقة من الكلمة اللاتينية Revelare وتعنى(يبوح أو يكشف عن شيء كان مخفياً)، وكانت الفولجاتا اللاتينية والترجمة الإنجليزية تحملان نفس العنوان للسفر. والعنوان اليونانى Apocaliypse مأخوذ من الكلمة اليونانية Apocalypsis بمعنى **يكشف**، وقد أُستخدم الفعل فى عدة مواضع فى العهد الجديد، ولاسيما فى الإشارة إلى استعلان الرب يسوع للإنسان(راجع لوقا ١٧: ٣٠، رومية ١٨:٨، تسالونيكى الثانية ٧:١، بطرس الأولى ٧:١و١٣).

تشير الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر الرؤيا إلى الكنائس السبع التى تأسست فى أسيا فى نهاية القرن الميلادى الأول. ويقدم فى الأصحاحين الرابع والخامس مشهداً لما رآه فى السماء وفيهما لايذكر أى تحديد للزمن، على أنه بدءاً من الأصحاح السادس فإن الأحداث التى ذُكرت لاتقع على الأرض بعد، وأياً كانت التفاسير المختلفة لها فى محاولة فى تفسير الجراد الذى خرج من الدخان الذى خرج من بئر الهاوية فى الأصحاح التاسع، فإن مثل هذه الكارثة التى يذكر أن عدد جيوش الفرسان مئتا ألف ألف لم تقع بعد (٩:١٦)، وفى الأصحاح الثالث عشر فإن ضد المسيح لم يتحدد فى أيٍ من الأحداث التى وقعت فى الماضى.

وسفر الرؤيا من بين أسفار العهد الجديد هو سفر العالم الواحد، وقد ذُكرت بعض الألفاظ مثل شعوب وأمم وألسنة وملوك وقبائل (١٠:١١، ٩:١١، ١٧، ١٥:١٧). ويذكر الملوك فى مرات عديدة على أنهم ملوك العالم وكل المسكونة (راجع ١٤:١٦، ١٢:١٧و١٨، ٩:١٨، ١٩:١٩).

يذكر السفر أربع عشرة ترنيمة أُنشدت فى السماء (راجع ٤: ٨، ١١ :٤، ٥: ٩و١٠، ١٢:٥، ١٣:٥، ٧ : ١٠، ١٢:٧ ، ١١: ١٥، ١١: ١٦و ١٧، ١٤: ٣ ، ١٥: ٣و٤، ١:٩و٢ ، ١٩: ٣ - ٥ ، ١٩: ٦-٨)، وقد أنشدتها جماعات



الكنائس السبع الواردة فى سفر الرؤيا

مختلفة لأغراض متعددة، فأحياناً كانت موجهة للآب، وأحياناً أخرى للسيد المسيح، وأحياناً لكليهما.

جـ التفاسير المختلفة لسفر الرؤيا

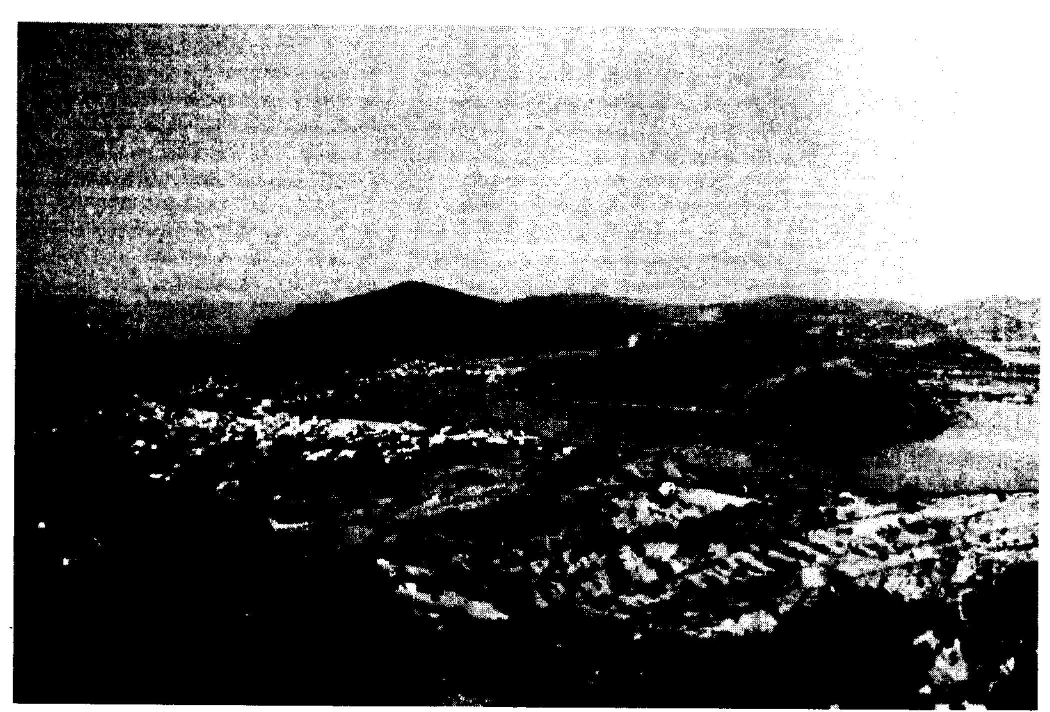
بخلاف أى سفر من أسفار العهد الجديد، فإن سفر الرؤيا يتيمز بأن ثمة تفاسير عديدة قد تناولته، وتوجد أربعة اتجاهات رئيسية للتفاسير، ونتناولها هنا ونترك للقارىء أن يختار ما يناسب اتجاهه وأفكاره فى ضوء الحق الكتابى.

التفسير الأول

ظهر منذ أيام القديس أغسطينوس- وحتى الآن- اتجاه يقول إن ليس غرض الكتاب أن يعلّم عن أحداث سوف تقع فى المستقبل، بل بالأحرى أن يشجع المسيحيين على السلوك بمقتضى أسس روحية، ولاسيما التعليم عن قوة الله، والانتصار الأبدى للمسيح.

التفسير الثانى

أما التفسير الثانى فيرى أن الأحداث التى ذكرت فى الكتاب المقدس، أحداث وقعت فى الماضى، حيث كان الكاتب يكتب عن أحداث معاصرة له وقعت فى إطار الامبراطورية الرومانية وقد قال بذلك كل من موفات Moffat، وسيمكوكس Simcox ...وغيرهما، وهم يرون أن الوحش الذى جُرحه للموت



منظر لجزيرة بطمس يبين البرزخ الضيق الذى يربط بين نصفى الجزيرة فى ميناء فورا وتسمى حالياً لاسكالا



صـــــورة أطلال أفسس

أفسس: (فى تركيا بين الطريق الأركادى الذى يقود إلى مسرح المدينة. تأسس خلال الفترة الهيلينية (فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد) ولكنه تغير أثناء حكم كل من كلوديوى (٤١م - ٥٤م) ونيرون (٥٤م - ٦٨م) وتراجان (٩٨م - ١١٧م). وكان يسع نحو ٢٤,٠٠٠ مقعد).

يشير إلى نيرون Nero، وأن الوحش المذكور فى أصحاح (١٣) يشير إلى دوميتيان Domitian.

التفسير الثالث

ويعرف هذا الاتجاه بأنه الاتجاه التاريخى فى التفسير، ولا سيما فيما يتعلق بالختوم السبعة، فالكتاب يتنبأ بأحداث معينة سوف تقع فى الكنيسة، اعتباراً من القرن الأول وحتى العصور الحديثة، ويرى البعض تفسيراً للزلزلة التى حدثت فى (٩:١١)أنها تشير إلى الثورة الفرنسية ... إلخ.

وهذه الطريقة فى التفسير تسمح لمن يعتنقونها بأن يحددوا الحدث الذى يريدون أن يجدوا تفسيراً له ثم يحاولون أن يجدوا له من سفر الرؤيا ما يرون أن يفسره.

التفسير الرابع

هذا الاتجاه فى التفسير يعرف بالتفسير المستقبلى، حيث يؤمن أصحاب هذا الاتجاه فى التفسير بأن الرؤى الواردة فى هذا السفر، من الأصحاح السادس وحتى ظهور المدينة المقدسة تشير إلى أحداث سوف تقع فى المستقبل. ومن بين أتباع هذه المدرسة فى التفسير كل من: يوسف سيس Joseph seiss، ووليام كيلىWilliam Kelly، ونثنائيل وست Nathaniel West، وهنرى ألفورد Henry Alford ، وولتر سكوت Walter Scot.

د ـ الإطار العام لرؤيا يوحنا

فى محاولة لوضع تحليل لسفر الرؤيا توجد عدة اقتراحات، وسوف نضع فيما يلى الموضوعات الرئيسية بحسب ذكرها فى السفر.

• **التقديم**(١ - ٨).

١- **الرؤيا الخاصة بالمسيح الممجد ورسائله للكنائس السبع التى فى أسيا**(١:٩ -٣: ٢٢).

٢- **فتح السفر وفك ختومه السبعة وإعلان الأحداث التى تقع على الأرض**(٤:١ - ١٧:٦).

٣- **أحوال القديسين على الأرض وفى السماء ، والأحداث التى تعلنها الملائكة السبعة الذين معهم السبعة الأبواق** (٧: ١-٩:٢١).

٤- **حكم ضد المسيح والأحداث الصعبة** (١٠ : ١ - ١٨:١٣).

٥- **الملائكة السبعة تسكب الجامات على الأرض وحرب هرمجدون**(١٤:١ - ١٦ :٢١).

٦- **سقوط بابل** (١٧:١ - ١٩ :٢١).

٧- **أورشليم الجديدة والدينونة الأخيرة، والأبدية** (٢١:١- ٥:٢٢).

• **الختام** (٢٢:٦ - ٢١).

✣ ✣ ✣ ✣

الباب الثالث

المسيحية والمفاهيم الاجتماعية

فى العصور الأولى

(أ) تمهيد.

(ب) مفهوم الإقامة المؤقتة.

(جـ) الأخوة والمساواة.

(د) الرق والعبودية.

(هـ) النسك والتقشف.

(و) المسيحية ومفهوم الأسرة.

(ز) المسيحية ومفهوم الزواج.

(ح) المسيحية والمرأة.

(ط) احترام العمل اليدوى.

(ى) الرجاء والبشاشة والمرح.

(ك) المسيحية و السياسة.

(أ) تمهيد

المسيحية العملية هى مظهر الحياة الجديدة، والحياة الروحية، والحياة الفائقة للطبيعة، الحياة التى تتسم بالقداسة والسلام. حياة الشركة والوحدة مع الله الآب والابن والروح القدس. وقد بدأت هذه الحياة فى ذروة حدث القيامة، وهى تقع فى أعماق شخصية الإنسان، فتحرره من سلطان الخطية، وتأتى به إلى علاقة جوهرية مع الله فى المسيح. وهذه الحياة هى التى تقدس الإنسان وتسمو به وتعطيه قوة فى كل صفاته البشرية من مشاعر وإرادة وفكر، وهذه الحياة هى التى تجعل الجسد هيكلاً للروح القدس.

لقد بلغت المسيحية مستوى رفيعاً نظرياً وعملياً فى الفضائل والتقوى، ففى تعاليم المسيحية نجد درجة سامية من

الحب تجاه الله والناس، هذا ليس مجرد تعاليم تجريدى، أو هدف للرجاء والجهد. ولكنه حقيقة حية تمثلت فى شخص الرب يسوع الذى نجد فى شخصه «النموذج» وفى حياته «الأثر» القوى والفعَّال أكثر من كل أثر تركه الحكماء والفلاسفة والمشرعين. فالأعمال أعلى صوتاً من الأقوال. فأفضل النظريات الفلسفية والنظم الأخلاقية لم تقدر أن تنتصر على العالم وتغلبه. ولكن استطاع إنجيل المسيح أن يفعل ذلك، بل ويفعل ذلك على الدوام. فأحكم الرجال فى اليونان وروما أسروا العبيد، وأخذوا لهم محظيات وقهروا الناس، وانتقموا منهم، بل وقتلوا الأطفال. وبذلك أعطوا بسلوكهم مثالاً سيئاً عما كانت عليه أخلاقهم، ومقدار ما وصلوا إليه من تدنى فى القيم.

الحياة المسيحية هى الاقتداء بحياة السيد المسيح الحية والفاعلة فى الكنيسة. فالحياة المسيحية هى التيار القوى الدافق بالفداء والقداسة والمجد، حيث يفيض على الأفراد والعائلات والشعوب إلى أن يقبل العالم دعوة المسيح ويصبح الله هو الكل فى الكل.

إن أحد أقوى البراهين على العنصر الفائق للطبيعة المسيحية هو تساميها فوق مستوى الثقافة والأخلاق السائدة لمعلميها الأوائل. فإن التعاليم الكاملة، والحياة التى عاشها صيادو السمك غير المتعلمين، حيث قضوا حياتهم فى الجليل، ولم يبرحوا فلسطين، وبالكاد كانوا يقدرون أن يقرأوا ويكتبوا، وقد قاموا بتعليم أسرار ملكوت السموات، والتجسد والفداء، والقيامة لجماهير من الفقراء، والبسطاء وغير المتعلمين، للعبيد، وللأحرار.

وكما قال القديس بولس: « **ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله جُهَّال العالم ليخزى الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه، ومن أنتم بالمسيح يسوع الذى صارلنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء حتى كما هو مكتوب من افتخر فليفتخر بالرب** » (كورنثوس الأولى ١:٢٦-٣١).

إذا ما قارنا بين البيئة الأخلاقية للكنائس التى أسسها الرسل، والواقع المحيط بكل من اليهودية والوثنية فإننا نجد التباين الشديد، كما لو قارنا بين واحة غنَّاء وصحراء جرداء، فاليهودية فى أعلى درجات عدلها أخذت قرار ارتكاب جريمة الجرائم وهى الحكم بصلب مخلص العالم.

أما الوثنية فقد كان يمثلها بعض الأباطرة مثل طيباريوس (Tibarius) وكاليجولا (Caligula)، ونيرون (Nero) ودوميتيان (Domitian) وكانوا مثالاً للفساد، كما ظهرت فى الصورة التى رسمها لنا القديس بولس، وبل وفيما كتبه الفيلسوف سينيكا أحد المعاصرين له من الفلاسفة الرواقيين، وضحية نيرون الطاغية.

✣ ✣ ✣ ✣

ب ـ مفهوم الإقامة المؤقتة

لقد سجل لنا قلم كاتب مجهول فى رسالته إلى ديوجنيتوس Diognetus وصفاً واضحاً يعبر عما كانت عليه الحياة المسيحية فى القرن الثانى فيقول: «كان المسيحيون متميزين عن الآخرين، لم يكن ذلك التميز بسبب اللغة أو طريقتهم فى ارتداء ملابسهم أو بسبب الأعياد التى يحتفلون بها. وقد ضربوا لنا نموذجاً رائعاً فى الحياة، فقد كانوا يعيشون فى بلادهم، كما لو كانوا يحلون فيها حلولاً مؤقتاً. وكانت البلاد التى يولدون فيها، يعتبرونها بلاد غربة، وكانت بلاد الغربة بمثابة بلادهم التى وُلدوا بها» (شيلدون Sheldon: الجزء الأول).

«وكمواطنين، كانوا يشاركون مواطنيهم فى كل شىء،

ويتحملون كل شيء، كما لو كانوا غرباء، كانوا فى الجسد، ولكنهم لم يعيشوا بحسب الجسد، كانوا يطيعون القوانين الوضعية ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يتسامون بحياتهم إلى ما وراء القوانين، كانوا يحبون الجميع، الا أنهم كانوا مضطهدين من الجميع، كانوا يواجهون الازدراء والاحتقار بالمحبة والاحترام، كانوا يفعلون الخير، إلا أنهم كانوا يُعاقبون كما لو كانوا يقترفون الشر» (شاف: الجزء الأول). ويمكننا أن نلخص فى عبارة واحدة ما كان عليه المسيحيون فى القرون الأولى: «كما الروح من الجسد، هكذا المسيحيون من العالم».

كان يسيطرعلى المسيحيين فى ذلك الوقت النموذج المثالى للحياة، إلا أن ثمة عناصر كانت تنتقص من ذلك. فمنذ نشأة الكنيسة وُجد أعضاء غير جديرين بها، وفى الفترات التى كان يحل فيها الهدوء بين فترات الاضطهادات كان يعتنق المسيحية بعض المسيحيين الدنيويين (شاف - الجزء الأول). وقد مهد جهل العديد منهم لنمو وانتشار الخرافات فيما بينهم، ولكن كان المناخ العام للحياة المسيحية فى العصور الأولى مناخاً روحياً، فقد كانوا فى العالم ولكنهم لم يكونوا من العالم، كانوا يعيشون فى العالم الوثنى، إلا أنهم كانوا يمثلون الخليقة الجديدة، بما يحملون من مبادىء جديدة لمجتمع جديد.

كان المسيحيون يتميزون بأنهم لم يشاركوا فى المتع التى كان يمارسها الوثنيون إلا أن العلاَّمة ترتليانوس كتب كما لو كان ثمة مسيحيون يرغبون فى المشاركة فيها، فالكنيسة ترى - لا سيما فى فترات الاضطهادات والحروب والصراعات- أن المشاركة فى اللهو هو ضرب من ضروب الفساد. وامتد ذلك ليشمل لا المشاهدة فى المدرجات فحسب وإنما مشاهدة ألعاب السيرك والمسرحيات. إذ كان يُنظر إليها على أنها لا تتفق والدعوة المسيحية. أما من كان يحترف مثل تلك الألعاب أو المسرحيات، فكان ذلك كافياً لمنع إقامة أى علاقة معه.

(جـ) الأخوة والمساواة

تمسك المسيحيون فى القرون الأولى بالفضائل الإنسانية، فقدّموا مثالاً لأعمال الخير ومفهوم الأخوة، وهو مالم يكن معروفاً للعالم فى ذلك الوقت، وإن كنا- فى الواقع- نجد بين الرواقيين إشارات إلى الأخوة العالمية، غير أن الرابطة الحقيقية التى تربط تلك الأخوة لم تكن قد عرفت أو كانت نموذجاً لذلك سواء فى الرواقية أو أى مدرسة أخرى فى العالم القديم.

المحبة من وجهة النظر المسيحية هى دافع قلبى قوى، تحمل المودة عبر كل الروابط على كل المستويات والطبقات الاجتماعية، وهى بهذا المعنى كانت مفهوماً جديداً فى ذلك الوقت.

لقد أضافت المسيحية قيمة جديدة للإنسان، فكسرت بذلك القاعدة القديمة التى تقول بأن قيمة الفرد ترجع إلى مكانته فى المجتمع والدولة. فكانت تعاليم الكنيسة تنادى بأن قيمة الفرد إنما هى مقدرة فى عين الله الخالق الذى فداه.

لقد بدأ المسيحيون فى تطبيق مبدأ مساواة كل البشر فى عينيّ الله. وقد وضع لاكتانتيوس تعبيراً عن هذا المبدأ الذى تكرر ذكره كثيراً عندما كتب «هل يجب أن نسأل أيوجد بينكم فقراء وأغنياء عبيد وسادة، وفروق بين الأفراد؟ كلا إننا ندعو أنفسنا إخوة لا لسبب آخر غير أننا متساوون، لأنه حيث أن محك كل ماهو إنسانى، لابمظهره الخارجى، وإنما بقيمته الجوهرية، بالرغم من الاختلاف فى العلاقات الظاهرة». وبنفس هذا المعنى كتب كليمندس السكندرى أيضاً.

لم تقم المسيحية فى العصور الأولى بشن الحرب مباشرة على «الرق» وإلا كان عليها أن تقوم بثورة اجتماعية وسياسية، ولكنها سلكت طريقاً عملياً للقضاء عليه. ولايُذكر قبل عصر قسطنطين سوى مرات قليلة جداً أن أُعتق فيها الأرقاء(راجع بندَ - الرق والعبودية فى هذا الفصل).

من خلال ممارسة مبدأ المساواة، فإن كل الطبقات الاجتماعية قد شملتها المحبة الأخوية، وقد نظمت كل كنيسة لقاءً أسبوعياً للتقدمات التى تقدم للفقراء من شعبها. وتقديم هذه العطاءات -كما يرى إيريناوس- كان يتطلب شروطاً صعبة، كعطاء وبذل حر للدعوة المقدسة السامية. ويضيف قائلاً: «إن اليهود يعشرون كل شيء لإلههم، ولكن أولئك الذين قد نالوا الخلاص والحرية فإنهم يجعلون كل أملاكهم فى خدمة السيد الرب، فهم يقدمونها بفرح وحرية حيث أنهم يترجون ماهو أفضل».

لقد كتب ترتليانوس عن واجبات الضيافة فكتب يقول: «إذا جاء أخ من بلد آخر، فماهى الضيافة التى تقدم له فى بلد غريب؟» وأضاف هرماس أن أحد الأسباب التى تدعو للصوم، هو توفير ما يمكن أن يوزع سواء للأرامل أو اليتامى أو أى شخص فى احتياج. وكما يقول كليمندس الاسكندرى: «إنه لأمر بغيض أن يعيش شخص فى رفاهية بينما آخرون فى احتياج، وهل تجد مجداً أكثر من أن تصنع الخير لكثيرين من أن تعيش وحدك فى ترف! هل توجد حكمة أكثر من أن تنفق على الإنسان بأكثر مما تنفق على الذهب والجواهر! وكم هو أنفع أن تكسب أصدقاءً من أن تنفق على جواهر جامدة» (شاف-الجزء الأول).

إن أحد أوجه الاختلاف الشديد بين المسيحيين والوثنيين هو فى المكانة التى تبلغها المحبة الأخوية عند كل منهما. وقد ظهرت المحبة جلياً على أثر ما أحدثه وباء الطاعون القاتل الذى انتشر فى قرطاجنة والاسكندرية. وقد عبَّر كبريانوس فى بساطة عن المحبة الأخوية وكيف تخطت المحبة حدود الكنيسة. وذلك عندما وعظ شعبه بأن يشملوا الجيران الوثنيين بخدمتهم، مذكراً إياهم أنهم كشعب الله عليهم أن يشابهوا أباهم السماوى فى الرحمة التى يمنحها للصالحين والطالحين.

✣ ✣ ✣ ✣

د-الرق والعبودية

١- خلفية تاريخية.

٢- معالجة المسيحية للرق.

أ - خلفية تاريخية

العبد هو الإنسان الذى يمتلكه إنسان آخر. وكانت العبودية منتشرة على مدى واسع فى الشرق الأوسط قديماً على الرغم من أن النظام الاقتصادى فى الشرق لم يكن يعتمد على الرق كقوة للعمل، على عكس ما كان عليه الحال فى أوربا حيث كانت العبودية منتشرة على نحو كبير فى زمن الإمبراطورية الرومانية، إذ كان يوجد عبد من بين كل اثنين من أفراد الشعب، أى كان لكل سيد عبد، وكان الأسر فى الحرب هو أحد المصادر الرئيسية للعبودية (انظر تكوين ١٤: ٢١، العدد ٣١ : ٩، وتثنية ٢٠:١٤، قضاة ٥:٣٠، صموئيل الأول ٤:٩، ملوك الثانى ٥:٢، أخبار الأيام الثانى ٢٨: ٨) (موسوعة بيكر للكتاب المقدس).

كان يمكن أن يُشترى العبد محلياً من مالك آخر، أو عندما يعرضه التاجر الأجنبى جنباً إلى جنب مع الملابس، والفضة، والذهب، والبضائع الأخرى، وهو يتنقل من مكان إلى آخر مثلما حدث مع يوسف فى مصر عندما باعه المديانيون لفوطيفار خصى فرعون رئيس الشُرط(تكوين ٣٧: ٣٦، ٣٩:١).

كما كانت الديون هى السبب الرئيسى لعبودية العائلات، حيث تصبح العائلة بأكملها من العبيد (ملوك الثانى٤:١، ونحميا ٥:٥-٨).

وكان من المكروه جداً أن يختطِف إنساناً نفساً ليبيعها كما حدث مع إخوة يوسف حين اختطفوه وباعوه (راجع٣٧: ٢٧و٢٨). وكان يحكم على المختطِف بالموت(راجع تثنية ٢٤:٧) كما كان نفس الحكم يُطبق فى شريعة حمورابى

(قسم١٤).

كانت شريعة حمورابى تحدد مدة العبودية بثلاث سنوات على الأكثر(قسم ١١٧) فى مقابل ست سنوات فى الشريعة اليهودية (تثنية ١٥:١٨) ثم يطلق العبد بعدها حراً.

دافع أعظم الفلاسفة فى العالم القديس عن نظام العبودية على أنه نظام طبيعى وضرورى، فقد أعلن أرسطو أن كل البرابرة عبيد بالميلاد، لا يصلحون لشيء سوى الطاعة (شاف: الجزء الأول).

وطبقاً للقانون الرومانى فإن العبيد لا مكانة لهم فى الدولة، ولا اسم ولا لقب، ولا سجل، ولا حق لهم فى الزواج، ولا حماية لهم من الزمن. ويمكن أن يباعوا ويشتروا أو يوهبوا لآخرين باعتبارهم ملكية خاصة، وكان للسيد الحق فى الحكم بالموت على عبيده بدون قيد، وقد وصف أحد كُتَّاب تلك الفترة حالة العبيد فى الإمبراورية الرومانية فقال: «كانوا فى حالة أسوأ من حالة أى حيوان».

وقد فقأ هادريان-أحد أكثر الأباطرة إنسانية- عين أحد عبيده عن عمد. وثمة العديد من القصص عن مدى القسوة والطريقة اللاإنسانية فى معاملة العبيد فى تلك الفترة.

فى المجتمع السومرى كان للعبيد حقوق مشروعة مثل اقتراض المال، أو القيام بأعمال تجارية. وكان يحدو العبد دائماً الرجاء فى أن يجمع المال اللازم لشراء حريته. كان العبيد يؤدون الأعمال الشاقة والمثيرة للضجر والملل، سواء فى المزارع أو فى البيوت إلا أن بعض الموهوبين منهم كانوا يقومون بأعمال تنفيذية فى البيوت. وفى اليهودية كان العبد الذى يختار العبودية طواعية، يُطلق حراً فى سنة اليوبيل (لاويين ٢٥: ٣٩-٤٢) فنظرياً لم يكن ثمة عبد يظل مدى الحياة عبداً فى إسرائيل(خروج ٢:٢١، لاويين ٢٥: ١٠و١٣، تثنية ١٢:١٥-١٤).

كان الناموس يحكم بإطلاق العبد الذى يصيبه سيده إصابة بالغة (عاهة) (خروج ٢٦:٢١و٢٧).

كانت تتوفر للعبيد الحماية المعقولة، وذلك بالمقارنة بمن تهددهم الفاقة والجوع ممن يملكون حريتهم.

كانت الزوجة التى لا نسل لها وتريد أن يكون لها بنون تجعل رجلها يدخل على جاريتها، لعلها ترزق منها بنسل، وهو ماحدث مع سارة وزوجها أبرام وجاريتها هاجر التى أنجبت له إسماعيل(راجع تكوين ١٦:١-٤).

كان من بين المقبول شرعاً أن يتزوج الرجل بأمته، أو يتزوج بها ابنه، أو أن تكون محظيته، فإذا حدث بعد ذلك أن نُبذت فإنه يُطلقها حرة (راجع خروج٢١: ٧-١١).

وكان على الشعب المهزوم أن يقوم بأعمال سخرة للشعب المنتصر(صموئيل الثانى١٢:٣١) وكذلك سخَّر سليمان الملك من شعب إسرائيل ثلاثين ألف رجل أرسلهم إلى لبنان وذلك لجلب الخشب اللازم لبناء بيت الرب (ملوك الأول ٥:١٣-١٨).

كان من بين العبيد الذين استخدموهم جبعونيون ومديانيون (يشوع ٩:٢٣-٢٥، عدد ٣١:٢٨ و٣٠ و٤٠)واستمرت هذه الممارسات حتى عهد داود وسليمان (عزرا٢:٥٨، ٨: ٢٠) وقد سجل نحميا فى كتابه أن عبيداً أجنبيين قد ساهموا فى بناء أسوار أورشليم(نحميا ٣:٢٦و٣١).

وفى وقت سيادة الحضارة اليونانية والإمبراطورية الرومانية تلقى العبيد معاملة طيبة حيث كان عددهم يزداد بشكل ملحوظ، وأصبح العديدون منهم محل ثقة سادتهم، حتى أن بعضهم كان مديراً لأعمال أسيادهم.

٢ـ معالجة المسيحية للعبودية

يشير موقف العهد الجديد من العبودية إلى أن حالة العبد كانت أشبه ما يكون بالخادم، وأن نظام العبودية بعامة كان

فى طريقه إلى الزوال. لم تكن ثمة معارضة قوية للعبودية والرق أقوى من معارضة السيد المسيح والرسل. غير أن بولس الرسول يطلب من العبيد أن يطيعوا سادتهم حسب الجسد بخوف، وأن يخدموهم بأمانة، وأنه يجب على السادة أن يقدموا للعبيد العدل والمساواة (أفسس ٦:٩، كولوسى ٤:١، تيموثاوس الأولى٦:٢٢، فليمون ١٦). ولما أصبح فيما بعد السادة والعبيد مسيحيين (أعمال ١٦: ٣١و٣٢) عملوا معاً من أجل الرب (أفسس ٦:٥-٨، كولوسى ٣:٢٢)(موسوعة بيكر للكتاب المقدس).

العبيد فى اليونان وروما قديما

يذكر شاف عن أعداد العبيد وظروفهم فى اليونان وروما أنه فى أتيكا كان عدد العبيد- طبقاً لتيسيكليس- فى أثناء حكم(دمتريوس Demetrius) (٣٠٩ ق.م)نحو ٤٠٠,٠٠٠ عبد ، ١٠,٠٠٠ أجنبي ، ٢١,٠٠٠ مواطن حر فحسب. وفى أسبرطة كان التباين أكبر.

أما فى الإمبراطورية الرومانية، فإن (جبون Gibbon) يقدر عدد العبيد تحت حكم كلوديوس(Claudius) ليس أقل من نصف العدد الكلى للسكان، وكان نحو ٦٠ مليوناً.أما طبقاً (لروبرتسون Robertson) فكان عدد العبيد ضعف عدد المواطنين الأحرار غير أن(بلير Blair) يقدر عدد العبيد بنحو ثلاثة أضعاف عدد المواطنين الأحرار وذلك فى الفترة بين انتصار اليونان(١٤٦ ق.م.) وحُكم (اسكندر ساويرس Alexander Severus) (٢٢٢ - ٢٣٥ ق.م.)، أما (ماركارت Marquerdt) فيفترض أن نسبة العبيد إلى المواطنين الأحرار فى روما كانت ثلاثة إلى اثنين، أما (فريدلاندر Fried lander) فيرى أنه من الصعوبة تقدير ذلك مادمنا لا نعرف على نحو دقيق عدد العائلات الغنية، غير أننا نعرف أنه فى عام٢٤م كانت روما ترتعد فرائصها خوفاً من قيام العبيد بتمرد. و يقتبس(جبون) من أثيناوس (Athenaeous) تأكيده أن ثمة عديدين من الرومانيين، كانوا يملكون عشرة آلاف بل وعشرين ألفاً من العبيد لا بغرض الاستخدام بل بغرض التفاخر والتباهى.

كانت معاملة العبيد تتوقف على صفات السيد، وكقاعدة فإن معاملتهم كانت قاسية وعنيفة. كانت المشاهدات الدموية التى تحدث فى مدرجات المسارح الكبيرة تخدِّر المشاعر الرقيقة حتى عند النساء ويصف(چوفينال Juvenal) سيدة رومانية تأمر الإماء الخاضعين لها بألا يترأفوا بل أن يكونوا قساة فى الضرب حتى يتعبن. وكان قبل هادريان (Hadrian) يمكن للسيدة أن تحكم بموت العبد مصلوباً بدون إبداء الأسباب، وكان أمثال سينيكا وبلاتينى وبلوتارك فى القرنين الأول والثانى يحملون وجهات نظر أكثر اعتدالاً تجاه معاملة العبيد بأكثر من غيرهم من الفلاسفة، وأوصوا بمعاملة إنسانية للعبيد. أما أنطونينس فقد حَسَّن من ظروفهم إلى حد ما، وقد قصر السلطان بالحكم على العبيد بالموت على الحكام فحسب. إلاَّ أن المبادىء المسيحية، والمحبة التى تنادى بها كانت قد انتشرت فى ربوع الإمبراطورية الرومانية فى ذلك الوقت، فأحدثت تأثيراً صامتاً فى نفوس المثقفين من الوثنيين. وقد امتد هذا الأثر بفعل جهود المسيحيين، ليشمل العالم المحيط، والذى لولا تلك الجهود لكان فى حالة أكثر سوءاً مما كانت عليه.

ويظهر موقف الإنجيل من الظلم والانحلال الأخلاقى، تترك من خلال روح العهد الجديد والموقف الكتابى العام، أكثر مما يظهر فى قانون خاص. فلا توجد إشارة إلى اتجاه ثورى، كان يمكن أن يؤدى إلى نتائج إيجابية فى تلك الأوقات، فإن ذلك كان لابد أن يؤدى إلى نتائج سيئة فضلاً عن أنه لافائدة من ورائه. فرسالة العهد الجديد تحمل شفاءً جذرياً للنفوس، حيث يهتم العهد الجديد فى الأساس بخلاص الإنسان، وبعلاج الشر والإثم، وما يترتب على ذلك من آثار تؤدى فى النهاية إلى إبطال الاسترقاق. فالمسيحية تهدف قبل كل شىء إلى

خلاص الإنسان من تلك الرابطة السيئة المتسمة بالإثم والشر، ولتعطيه الحرية الروحية الحقيقية.

والمسيحية تؤكد على الوحدة الروحية لكل الناس، فهم يشتركون جميعاً فى أنهم على صورة الله ومثاله، وتعلَّم بالفداء المقدم للجميع.. فالجميع متساوون أمام الله فى المسيح، والسيد المسيح قد جاء لتكون لنا حياة وليكون لنا أفضل (يوحنا ١٠-١٠) فدعوة السيد المسيح هى دعوة للحرية والخلاص من العبودية، ونستطيع أن ندرك رسالته من اختياره لسفر إشعياء النبى عندما دخل إلى المجمع فى الناصرة «ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه روح الرب علىَّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة» (لوقا ٤:١٦-١٩) (إشعياء٦١: ١و٢).

لقد أعاد الرسول بولس أنسيمس العبد الهارب إلى سيده الأرضى فليمون. وقد أصبح أنسيمس خادماً للإنجيل ومعاوناً لبولس الرسول فى كرازته. وكان أنسيمس قد هرب من سيده فليمون، ربما لدين كان عليه أو ربما لأنه سرق منه بعض المال (راجع رسالة فليمون فى موضعها من هذا المجلد). وقد طلب بولس الرسول من فليمون أن يقبل أنسيمس ويتعامل معه منذ ذلك الوقت فصاعداً لا كعبد بل أفضل من عبيد كما كتب بولس أنه إن كان أنسيمس قد ظلمه بشيء أو عليه دين لفليمون «أنا أوفى» (فليمون ١٩) وهكذا يعالج الرسول بولس قضية من القضايا الاجتماعية الشائكة التى واجهته فى عمله الكرازى، وقد عالجها فى ضوء المبادئ المسيحية كالمساواة والإخوَّة. ولعل من المستحيل أن نتصور علاجاً جذرياً لهذا الشر فى تلك الأوقات وفى إطار القوانين المستقرة والعرف السائد. إنه لم يذكر فى الأدب القديم مايسمو إلى تلك الرسالة القصيرة إلى فليمون فى طرح أفكار جديدة فى العلاقة بين السيد والعبد، ومن أجل التعاطف مع العبيد الفقراء.

إن روح المسيحية فى المحبة، والإنسانية، والعدالة والحرية كما هى واضحة فى كل أسفار العهد الجديد، قد أبطلت العبودية كنظام أساسى فى المجتمع فى كل الأمم المتحضرة تقريباً حيث تتحقق الحرية والأخوة التى دعت إليها المسيحية.

(هـ) النسك والتقشف

وقد ظهرت حركة من النسك والتقشف والتى بلغت ذروتها فى الأديرة. ومن المعروف تاريخياً أن الأديرة التى تبنت أسلوب النسك والتقشف أسلوباً للحياة، قد بدأت فى مصر، ومنها انتشرت إلى مختلف بقاع العالم. (انظر كنيسة الاسكندرية- مصر- الجزء الثانى من الموسوعة).

✣ ✣ ✣ ✣

و ـ المسيحية ومفهوم الأسرة

١- خلفية تاريخية.

٢- الأسرة فى المسيحية.

ا - خلفية تاريخية

كانت الأسرة فى زمن الكتاب المقدس تتألف من الأبوين والأبناء، كما كانت تشمل بعض الأنسباء والمحظيات، بل العبيد والإماء أيضاً، وكذلك المسافرين العابرين والغرباء. وكان رب الأسرة هو الذى يكفل حمايتهم وعلى سبيل المثال كانت أسرة يعقوب تشمل ثلاثة أجيال (تكوين ٤٦:٨- ٢٦).

تشير أحياناً كلمة «أسرة» أو «عائلة» كتابياً إلى السكنى المستقلة أو إلى تأسيس أسرة. وفى المعنى الأشمل فإن كلمة بيت قد تعنى «شعب إسرائيل». وقد وصل عدد أعضاء بعض العائلات العائدة من الأسر البابلى إلى أكثر من مائة شخص (راجع عزرا ٨:١- ١٤). وكانت الأسرة هى الوحدة الأصغر التى تتألف منها العشيرة والقبيلة.

كان أعضاء العشيرة يعرفون أن عليهم أن يعملوا من

أجل عشيرتهم، فكانوا يقومون بالدفاع عنها ومد يد المعونة فى وقت الحاجة إلى ذلك.

فى فترات الاستقرار، عاشت العائلات فى قرى تحيط بها حقول نباتات القمح والشعير والكتان وأراضٍ ترعى فيها الماشية، وكانت ثمة قرى يعتمد بعضها على بعض فى الغذاء والزواج مثل عشيرة الدانيين من صرعة ومن أشتأول (قضاة ١٨:١). وكانت الحياة الصعبة آنذاك تتطلب المشاركة فى العمل، والتعاون المخلص من كل أفراد العائلة من أجل البقاء على قيد الحياة.

كان يتعين على الأبناء تعلم المهارات التى يجيدها آباؤهم (راجع أخبار الأيام الأول٤: ١٤، نحميا١١:٣٥). وأصبحت ثمة تخصصات فى الصناعات اليدوية، والتجارة. على أن أولئك الذين يقومون بالأعمال اليدوية كان لديهم إحساس أقل بتحقيق الذات لاعتمادهم على نحو كبير على الفلاحين من أجل الغذاء، وعلى قرى أخرى من زارعى الكتان لاستخدامه فى صناعة ملابسهم(أخبار الأيام الأول ٤:٢١).

ثم بالانتقال للحياة فى المدن تفتتت العائلة الكبيرة، ونتيجة لضعف الروابط التى كانت تربط العائلة الكبيرة، أصبحت الأسرة الصغيرة تتألف من الزوج والزوجة وأولادهما، يعيشون معاً فى بيت واحد.

كانت الديانة اليهودية تهتم باشتراك الأسرة فى مناسبات معينة، والتى من شأنها تعزيز الأسرة الصغيرة، فعلى سبيل المثال كان الفصح يُمارس فى البيوت على أنه وجبة شكر عائلية(راجع خروج١٢:٣ و٤و٤٦).

الأب

كان الأب فى الأسرة فى العهد القديم رمز الحماية وكان هو السيد المطلق الذى له الحق فى الحكم بالموت على أفراد أسرته.

الأم وبناتها

كانت ممتلكات الأب تمتد لتشمل زوجته ،والعبيد، والإماء والحيوانات(خروج ٢٠:٣، عدد ٥:٢١) وفى الحقيقة فإن كلمة «يتزوج بامراة» تأتى فى العبرية أصلاً بمعنى «أن يصبح سيداً لامرأة» فكان الرجل سيداً لزوجته كما كان سيداً على بيته أو حقوله، وبالتالى كانت الزوجة تعبر له عن ذلك (تكوين ١٨:١٢، قضاة ١٩:٢٦)، وهذه المكانة المتدنية أمتدت لتشمل البنات فى تلك العصور، فكانت الأنثى دائماً تحت سلطان أقربائها من الذكور: أولاً الأب، ثم الزوج، وإذا أصبحت أرملة تصير زوجة لأقرب رجل من أقرباء زوجها.

الفتاة المخطوبة

كانت الفتاة المخطوبة تعتبر من خاصة خطيبها، كما لو كانت متزوجة به فعلاً(تثنية ٢٢:٢٣ -٢٧) وكانت المرأة بالزواج تترك بيت أبيها، لتنتقل وتعيش وتصبح عضواً جديداً فى بيت عائلة زوجها.

الأم

على الرغم من الحالة المتدنية التى كانت عليها «الأم» فى العائلة اليهودية إلا أن حياتها لم تكن على هذا القدر من السوء كما نظن، بل كانت تأخذ دوراً قوياً كمشير لزوجها فى شئون العائلة، وكانت وظيفتها المهمة إلى جانب إنجاب الأطفال هى أن تنظم شئون البيت، فكانت هى المديرة الفعلية لشئون بيتها.

غير أنه إذا كانت مكانة الزوجة غير راسخة، كان لزوجها أن يطلقها لأتفه الأسباب فيقول «إنها لم تعد زوجتى، ولا أنا زوجها»، ربما كان ذلك بسبب خطأ بسيط فى إعدادها للطعام، أو ربما لأنه يضع عينيه على امرأة أخرى، على أن المرأة تحصل على قدر من الحماية بكتاب الطلاق، حيث كانت تستعيد حريتها رسمياً. ولم يكن التقليد اليهودى يسمح للمرأة أن

تطلق زوجها.

الزواج فى شريعة حمورابى وشريعة اشور

فى حضارة ما بين النهرين قديماً، وطبقاً لقانون حمورابى، يُقدّم العريس هدية لعروسه، فإذا ما انتهى الزواج بالطلاق، فإنه يجب على عائلة العروس أن تعيد ضعف قيمة الهدية التى أخذوها.

وطبقاً للقانون الأشورى فإن كلاً من العروس ووالديها يأخذون هدايا، على أنه معظم- إن لم يكن كل تلك الهدايا- يجب أن تعاد للعروس لاستخدامها الشخصى.

لم يكن ثمة ما يشبه المهر، غير أن المرأة البابلية كانت تأخذ هدايا من زوجها عند الزواج، وكان يمكن للزوج استخدامها، حتى وإن لم تكن تخصه، وكانت ملكيتها تتبع الزوجة، حتى إذا ما أصبحت أرملة يمكن أن تستفيد بها.

كان قانون حمورابى يسمح للرجل أن يطلق زوجته بإعلانها بصيغة محددة، إلا أنه بالرغم من ذلك، كان مسئولاً عن دفع تعويض لها. كما كان للمرأة أيضاً الحصول على الطلاق إذا ما حصلت على حكم بإدانة زوجها. وفى شريعة أشور لم يكن ثمة تعويض يدفع للمرأة التى يستغنى عنها زوجها، ولم يكن لها الحق فى الطلاق إطلاقاً.

لم يكن مسموحاً للمرأة العبرية أن تظهر لضيوف زوجها، وكانت المرأة تضع برقعاً عندما تكون خارج بيتها (تكوين ٢٤: ٦٥ ،٣٨ :١٤،أشعياء ٤٧:٢).

وفى تشبيه قاسٍ، يشبّه سفر الأمثال المرأة المخاصمة «بالوكف المتتابع»(أمثال ١٩:١٣ ،٢٧: ١٥) إلاّ أنه يذكر أيضاً صفات المرأة الفاضلة (راجع أمثال٣١: ١٠ -٣١).

كانت الأم هى التى تقوم بالتعليم المبكر للأولاد والبنات (أمثال ١:٨ ، ٦:٢٠) فكانت تعلمهم الصلوات والأغانى الروحية عند بداية ظهور قدرتهم على التكلم، حيث يبدأ الأب فى الاضطلاع بمسئولية تعليم أبنائه، بينما تستمر الأم فى تعليم بناتها فتعلمهن كيف يغزلن وينسجن، وكيف يطبخن، وينظفن البيت... ألخ. فكانت الأم تعلمهن وتدربهن ليكن قادرات على أداء كل الواجبات العائلية (أمثال ٣١:١٣- ٣١).

حقوق الأبناء

ميزت طبيعة العهد القديم بين الذكور والإناث من الأطفال، وكانت الابنة يمكن أن تُباع كأمة أو تكون محظية لرجل، وكان يمكن أن تُباع مرة أخرى (خروج ٢١:٧-١١) فكانت منزلتها أقل من منزلة الابن، على أنه فى وقت آباء العهد القديم كان يجوز- للأب - الحكم على الابنة أو الابن بالموت لعدم طاعتهما له.

وقد تطورت حقوق الأطفال فى الشريعة الموسوية، فلم يكن مسموحاً للأب أن يحكم بالموت على ابنه المعاند أو المارد دون أن يعرض الأمر أولاً على شيوخ مدينته(تثنية ٢١:١٨-٢١). وكان هذا الأمر ينسحب على الابنة كما على الابن، حيث كان يعرض كل منهما على الشيوخ. فإذا اقتنع الشيوخ فإنهم كانوا يحكمون بالرجم بالحجارة. وسلطة الأب المطلقة كانت تعتمد لتشمل حتى ابنه المتزوج وأسرته إذا كانوا يعيشون معه فى نفس البيت. كذلك منع الناموس قتل الأبناء نتيجة لجريمة اقترفها الآباء(تثنية ٢٤:١٦) وفى زمن الملك داود كان من حق أحد الأفراد، إذا ما أدانته العشيرة أن يستأنف لدى الملك(صموئيل الثانى ١٤:٤ - ١١).

كان الوالدان فى العائلات العبرية يتمتعان بالاحترام والإكرام، فكان إكرامهما واجباً بحسب الوصية (خروج٢٠: ١٢).بل كان الناموس يدين من يخطىء فى أى من والديه(خروج ٢١:١٧،لاويين٢٠: ٩،تثنية ٢١:١٨،تثنية ٢٧:١٦).

الأمان

كان الأمان يتحقق للزوجة عندما تضع مولودها الأول، وبخاصة إذا كان ولداً، وكان واجب المرأة الأساسى هو الإنسان (تكوين١ :٢٨ ،٩:١) وكانت الزوجة تعيش فى خوف حتى تضع مولودها الأول خشية أن يتزوج رجلها بأخرى، أو يتخذ محظية له، وتعدد الزوجات كان موجوداً وإن كان قليلاً على أية حال، لا سيما فى العائلات الموسرة.

وإذا نذرت المرأة، فإن نذرها يكون ثابتاً فحسب متى سكت أبوها أو زوجها، ومتى أصبحت أرملة فإنه يظل سارياً، وربما يُستخدم ضدها(عدد ٣٠: ٤-١٥).

كانت المرأة فى العهد القديم دائماً تحت حماية الذكور، سواء كان والدها، جدها، جدها الأكبر، أخوها، زوجها، أو أى رجل آخر فى عائلة زوجها. كانت للمرأة العبرية بعض الحقوق الشرعية، هذا على النقيض من التقاليد البابلية، إذ لم يكن للمرأة هناك الحق فى أن ترث زوجها عند وفاته.

كانت الأرامل تُصنف مع الأيتام، ويعاملن على أنهن فقيرات يستحققن الشفقة، كان يمكن للأرملة التى ليس لها نسل أن تعود إلى بيت أبيها (تكوين ٣٨ :١١ ،لاويين٢٢ :١٣، راعوث١: ٨)، وهكذا تصبح مرة أخرى تحت سلطان أبيها.

وكان يمكن للأرملة العبرية أن تبقى مع عائلة زوجها الراحل، وهكذا تظل فى حماية «الولى»، أى الذكر الذى عليه أن يتحمل مسئوليتين تجاهها، حيث كان التقليد أنه متى مات الزوج وكانت أرملته بلا نسل، كانت مسئولية أخيه أن يتزوج بها. وكان الابن الأول الذى يأتى ثمرة هذا الزواج يعتبر الوريث للزوج الأول (المتوفى) ويحمل اسمه.

وكان يعد أمراً عادياً أن يستجيب الأخ لمثل هذا الزواج الإجبارى، وكان يمكن رفض الزواج نظراً لعدة اعتبارات، ولكن هذا الرفض كان يعتبر خيانة، حيث كان من واجبات الأخ أن يخلد اسم أخيه، وأن يحفظ ثروة عائلته.

مكانة الأبناء

كان الأطفال موضع محبة والديهم بصفة عامة، غير أن فترة الطفولة كانت قصيرة. وكان ينظر إلى الأطفال على أنهم هم الذين يقومون بالعمل فى الحقل، وفى البيت، وطبقاً لشريعة البكورية، كان للابن الأكبر نصيب اثنين.

وكانت الابنة فى الأسرة التى ليس لها ذكور هى التى ترث أبيها (عدد ٢٧: ٨)، وكان الزواج بمثابة عقد أو اتحاد بين عائلتين. وكثيراً ما لم يكن يؤخذ رأى الأبناء والبنات، وكان قليلاً الزواج المبنى على الحب. وعلى الرغم من أنه قد يحدث أن يتزوج الابن على غير رغبة والديه كما فعل عيسو (تكوين ٢٦: ٣٤و٣٥) وعلى الرغم من أن الشباب كان نادراً ما يعبر عن عواطفه بطريقة صريحة، إلا أن ميكال ابنة شاول، كان حبها لداود معروفاً آنذاك(صموئيل الأول ١٨: ٢٠) وغير معروف بالتحديد ماهو العمر السائد للزواج فى زمن الكتاب المقدس(موسوعة زوندرڤان).

٣- الأسرة فى المسيحية

كان للتغيير الذى أحدثته المسيحية باستعادتها للمرأة مكانتها .أثره العظيم على الأسرة كلها. فقد منعت المسيحية تعدد الزوجات، وجعلت الزواج بامرأة واحدة هو الشكل الوحيد للزواج. والمسيحية تدين التسرى بالمحظيات، وكل أشكال عدم الطهارة(موسوعة الكنيسة الأولى).

والمسيحية تضع الواجبات المتبادلة بين الزوج والزوجة وبين الآباء والأبناء، فالمسيحية تستعرض الزواج على أنه صورة للاتحاد السرى بين المسيح وعروسه، التى هى الكنيسة، وهكذا تمنح المسيحية الزواج صفة مقدسة وغاية سماوية(راجع أفسس ٥ :٢٢و٢٣ ، ٦ :١-٩ ،كولوسى٣ :١٨-٢٥).

وقد أصبحت الأسرة- الكنيسة المصغرة- هى القائمة

والراعية لأنبل القيم وأسماها حيث يقوم الأب بدور الراعى الذى يقود رعيته إلى المراعى، التى هى الكلمة السماوية. وهم جميعاً يصلّون معاً من أجل احتياجاتهم المشتركة، كما يصلّون من أجل بعضهم البعض، ويشتركون فى التسبيح وتقديم الشكر لله.

ويوجد أيضاً إلى جانب من يتزوجون أولئك العازبون وهم استثناء للقاعدة. فقد كرّسوا أنفسهم لخدمة ملكوت الله، ونرى ذلك جلياً فى حالة كل من بولس وبرنابا (راجع متى ١٩: ١٠-١٢، وكورنثوس الأولى ٧:٧ ومابعده رؤيا ١٤: ٤).

ويرى شاف أن الحماس للعزوبة والذى كان سائداً فى الكنيسة الأولى، ينبغى النظر إليه على أنه أمر طبيعى، وربما يكون رد فعل مفيد ضد حالة الفساد والتعاسة التى كانت عليها حياة الأسرة بين الوثنيين (شاف: الجزء الثانى). وربما كان ذلك أيضاً بسبب توقع سرعة مجىء السيد المسيح ثانيةً).

وكانوا فى زمن العهد الجديد، فى أورشليم، يكسرون الخبز فى البيوت (أعمال ٢: ٤٦) فكانت الاجتماعات تعقد فى بيوت المؤمنين بسبب معارضة السلطات. ويتضمن سفر أعمال الرسل نماذج لعائلات بأكملها تعتنق المسيحية (أعمال ١٠: ٢٤و٤٤-٤٨، ١٦: ١٥و٣١ و٣٢).وتعلم تيموثاوس تلميذ الرسول بولس الإنجيلى من جدته لوئيس وأمه أفنيكى (تيموثاوس الثانية ١:٥) وفى ساحة الصلب ومن على الصليب أوصى السيد المسيح تلميذه يوحنا بأمه مريم (يوحنا ١٩:٢٧).

ز- المسيحية ومفهوم الزواج

لقد أثر نمو وتطوير مفهوم النسك والزهد على مفهوم الزواج.ودارت مناقشات عديدة ضد موضوع الزواج الثانى. قبل نهاية القرن الثانى، وربما يرجع هذا للوهلة الأولى إلى التركيز على تقديس العلاقة الزوجية، أكثر من أى دوافع أخرى، وقد طبقت على العلمانيين نفس القيود التى فرضت على رجال الإكليروس فيما يتعلق بتفسير (تيموثاوس الأولى٣:٢) حيث جرى التفسير فى ذلك الوقت بتحريم الزواج الثانى.

ومن هذا الاعتراض على تجديد العلاقة الزوجية، مضى البعض فى الانتقاص من قدر الزواج، حتى الزواج الأول نفسه، على الأقل باعتباره فضيلة سامية لحالة العذراوية.

لقد استنكر (أثيناغوراس Athenagoras) الزواج الثانى فيعتبر إنه زنى مقنَّع فى حين أنه أطرى وأثنى على من يختارون حالة عدم الزواج كوسيلة للعيش فى شركة مع الله. كذلك رأى- فيما بعد- كل من ترتليانوس وكبريانوس وأوريجانوس فيما يتعلق بالعذراوية. وتفضيلهم النظرى لهذا الأمر يجب ألا يبالغ فيه. وهم لم يشككوا فى مسألة الزواج وقد تركت هذه المسألة المتطرفة للهراطقة. وقد ناقش مجمع إلفيرا (Elvira) تلك المسألة، ووضع لها قيوداً وكان هذا المجمع مجرد مجمع إقليمى.

ولم يوجد فى ذلك الوقت رأى راديكالى، كذلك الرأى الذى عبَّر عنه ترتليانوس فيما يتعلق بالزواج إذ قال: «لايوجد مكان على الإطلاق لما نقرأ عن تحريم الزواج..... فعدم الزواج حسن جداً أما الزواج فهو حسن، وقد تعلمنا هذا من الرسول بولس الذى سمح بالزواج، ولكنه أبدى تفضيله لعدم الزواج»، وحتى هذا التفضيل الشديد لم يكن قد أصبح فكراً سائداً فى أواخر القرن الثانى، فإننا نجد مثلاً القديس كليمندس الاسكندرى يفضل الرجل الذى يتزوج وتكون له أسرة وهو يقول عن الغنوسى الحقيقى أو المسيحى المثالى: «إنه يأكل ويشرب أو يتزوج لا باعتبار أن هذه الأمور هى غايات الوجود، ولكن لأنها ضرورية».

إننا يجب أن نشير أيضاً إلى من يرفعون من شأن العذراوية عن الزواج إنما يميلون بهذا الرأى لا الحط من شأن المرأة ومكانتها، ولكن الأساس لهذا التفضيل يرجع إلى أن العذوبة

هى الحالة التى فيها يكون الشخص بمنأى عن النزاعات العائلية والاهتمامات الدنيوية التى قد تصرفه عن الله.

بينما كانت الاتجاهات الرهبانية تشجع وتمتدح العذراوية فإنه وُجدت أفكار سامية عن الزواج رفعته إلى حد أن اعتبرته أحد الأسرار المقدسة.

لقد رفعت المسيحية من شأن المرأة فأعطتهامكانة متقدمة، إذ رفعت مكانتها إلى درجة التبجيل والاحترام، فأصبحت على قدر المساواة مع الرجل. ومن المعروف آنذاك مقدار ما وصلت إليه مكانة المرأة من الانحطاط وصلت إلى حد العبودية.

كان ثمة إحدى الصياغات التى تدافع عن رسامة المرأة خادمة أو شماسة وهى «إن الابن الوحيد لم يحتقر وجوب ولادته من امرأة». وهو ما يعد تحولاً كبيراً ورائداً فى تقدير مركز المرأة.

لقد كتب القديس كليمندس السكندرى قائلاً: «للمرأة أن تشارك الرجل فى الكمال على قدم المساواة»، ويردف قائلاً «يجب أن نعتبر أن تاج المرأة هو الرجل، وتاج الرجل هو الزواج، وأن زهور الزواج هم الأبناء، وأن مجد الأبناء هم آباؤهم، وأن مجدنا هو أب الجميع، وتاج الكنيسة كلها.. المسيح»، أما ترتليانوس فيقول «إنه لاتوجد كلمات يمكن أن تعبر بوضوح عن أن السعادة فى الزواج هى بمثابة الملاط للكنيسة والتأكيد بالسرور وعلامة البركة» ويضيف ترتليانوس قائلا: «ياله من رباط واحد ذاك الذى يجمع بين اثنين مؤمنين برجاء واحد واشتياقات واحدة، وتعاليم واحدة، فيصليان ويصومان معاً، ويعظ ويشدد أحدهما الآخر».

(ح) المسيحية والمرأة

١- خلفية تاريخية.
٢- موقف السيد المسيح من المرأة.
٣- المرأة فى الكنيسة الأولى.
٤- المرأة فى فكر الآباء.

١- خلفية تاريخية

(راجع مادة: جـ- الأسرة: المادة السابقة، وكذلك مادة: هـ - مفهوم الزواج، فى موضعهما من هذا الفصل فهما جزءان أساسيان).

لقد رفعت المسيحية مكانة المرأة من مستوى العبودية المتدنى الذى كانت قد وصلت إليه لاسيما عند الشعوب الوثنية، وردّت إليها احترامها وقدرها، فالنساء يرثن الخلاص كالرجال تماماً. «كذلكم أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائى كالأضعف معطين إيّاهن كرامةً كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة» (بطرس الأولى ٣:٧).

تعتبر السيدة العذراء نقطة مرجعية فى تاريخ المرأة. وهى كأم ليسوع، آدم الأخير، فإنها تشبه حواء، وهى بالمعنى الروحى أم كل حى «ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حى» (تكوين ٣: ٢٠). وقد تباركت كل النساء بمباركتها «مباركة أنت فى النساء»(لوقا ١:٢٨). وهى كانت فى احتياج للخلاص، كابنة لآدم، وللتقديس من خلال المسيح، فقد قالت هى عن نفسها «تبتهج روحى بالله مخلصى»(لوقا ١:٤٧). فلم تعد المرأة أمَة للرجل، وأداة لإشباع شهواته، بل أصبحت سبباً من أسباب سعادة زوجها وفرحه(شاف: الجزء الأول).

المرأة

تذكر موسوعة (وكلف) أن الكلمة العبرية «إشًا» أى «امرأة أو زوجة» يرجح إنها من الكلمة العبرية «إنش» وتعنى «لتكون ناعمة، ورقيقة».

وحيث أنها تشبه الكلمة العبرية «إش» أى رجل، لذا فإن التضاد فى المعنى يبدو واضحاً حيث أن كلمة «إش» العبرية يبدو أنها من أصل كلمة «يش» وتعنى «ليكون قوياً»أما الكلمة العبرية «نيكيبا» أى أنثى فمشتقة من الصفة الجنسية من كلمة «نيكاب» والتى تعنى يثقب.

إنه من الضرورى أن ندرك أن الله عندما خلق الإنسان (وبالعبرية: آدم)، خلقه على صورته ومثاله، لقد خلقهم ذكراً وأنثى(تكوين ١:٢٧، ٥: ١و٢، متى ١٩:٤). إن صورة الله تظهر على نحو متساوٍ فى كل من الرجل والأنثى.

إن نفس كلمة «إشًا» العبرية، قد تعنى ما خصَّ الله به المرأة من حساسية ومشاعر.

لأن المرأة أُخذت من آدم (تكوين ٢: ٢١-٢٣) وخلقها الله من أجله، لذا فإن الكتاب يجعل الرجل هو الرأس (كورنثوس الأولى ١١:٣-٩). فالترتيب الإلهى يجعل الرجل رأس المرأة على أساس أسبقية الخلق لا على أساس أن الرجل أسمى أو أعلى من المرأة (١تيموثاوس ٢:١٢و١٣).

لقد خلق الله المرأة لتكون شريكاً للرجل، لتكون «معيناً نظيره»(تكوين ٢: ١٨و٢٠)، وتعنى حرفياً معيناً مماثلاً له، وهكذا فإنها مكملة له، ضرورية لكمال وجوده.

إن الرجل والمرأة متساويان، ويكمل أحدهما الآخر. إن سيادة الرجل على المرأة ترجع إلى السقوط لا إلى الخليقة (راجع تكوين٣: ١٦،تيموثاوس الأولى٢:١٤).

٢ـ موقف السيد المسيح من المرأة

يتضح من مواقف السيد المسيح التى تتصل بالمرأة والتى ذكرتها لنا الأناجيل أن السيد المسيح قد ردَّ للمرأة مكانتها التى فقدتها، ورأبَ الصدع القائم فى علاقة الرجل بالمرأة، كما صحّح نظرة المجتمع تجاهها. وفى دراسة للدكتور القس صموئيل حبيب يمكن أن نكتشف المبادىء والقيم التى أراد السيد المسيح أن يرسيها من خلال تعاليمه فى هذا الشأن، ونوجزها فيمايلى:

(أ) المرأة إنسان

لم تشهد حياة السيد المسيح أى مواقف تقلل من شأن المرأة أو تقلل من إنسانيتها، بل إن السيد المسيح تحدث مع السامرية عند البئر (يوحنا ٤:٢٧) وكان هذا الأمر غير متعارف عليه، فكان يقلل من شأن الرجل أن يتحدث مع امرأة. وقد عامل السيد المسيح المرأة كما عامل الرجل بمساواة كاملة دون فرق.

(ب) حرّر المرأة من سلطان الرجل الظالم

وضع السيد المسيح ضوابط للطلاق، فقد كان الطلاق يتم لأتفه الأسباب، فلم يسمح السيد المسيح بأن يُطلّق الرجل امرأته إلاَّ لعلة واحدة فقط وهى الزنا «وبذلك حرر السيد المسيح المرأة من سلطان الرجل الذى كان يطلقها لأتفه الأسباب، وكان قول المسيح بعدم الطلاق حمايةً للمرأة من عبث الرجل، واستقراراً للأسرة» (متى٥: ٢٧و٣٢)، بهذا أراد السيد المسيح أن يثبت قيم الأسرة، وعلاقة العهد التى تربط الاثنين.

لقد أراد السيد المسيح أن يعيد العلاقة إلى ماكانت عليه قبل دخول الخطية، رجل واحد وامرأة واحدة، متساويين فى المكانة، متعاونين فى الرسالة والعمل، يحرصان على الحياة الزوجية كل العمر.

وقد وجَّه السيد المسيح تهمة «الشهوة» للرجل بنفس القدر الذى توّجه به التهمة للمرأة (متى ٥:٢٧و ٢٨).

(جـ) سمح السيد المسيح بتعليم المرأة

سمح السيد المسيح للمرأة بحضور تعاليمه، فقد اختارت مريم النصيب الصالح بجلوسها عند قدميّ المعلم، والتتلمذ على يديه (لوقا ١٠:٣٨-٤٢).

وأعطى الله النساء وزنات كالرجال (متى ٢٥:١٤- ٣٠) سمح السيد المسيح للمرأة بأن تأخذ دورها بالكامل كالرجل، لقد قدَّر المسيح قدرة المرأة الإنسانية والعقلية.

(د) المستوى الروحى للنسوة

تسجل لنا الأناجيل صوراً رائعة عن نساء بلغن القمة الروحية، فالعذراء مريم، أم المسيح، ظهر لها الملاك

(متى١:١٦)، وكانت مريم مباركة فى النساء(لوقا ١:٢٨) وفى الأناجيل سجِّل لكثيرات من النساء اللاتى أخذن رسالة الإنجيل من المُعلم: السامرية، مريم أخت مرثا ولعازر، وغيرهن كثيرات(راجع لوقا ٨: ٢، لوقا ٨: ٤٧، متى ٩: ٢٠-٢٢) وكثيرات منهن كن يخدمن من أموالهن(لوقا ٨:٣).

(هـ) قبِل المسيح اتّباع المرأة له

بالرغم من أن العادة لم تكن تسمح لربى يهودى أن يسمح لامرأة باتِّباعه، إلا أن السيد المسيح سمح لهن لا بالاستماع إلى تعاليمه فحسب، بل ليكن تلميذات أيضاً. وقد رافقته النسوة فى سفراته، متزوجات كن أو عازبات(لوقا ٨: ١-٣).

(و) قبِل المسيح خدمة المرأة

كثيرات كن يخدمنه من أموالهن (لوقا ٨: ٢و ٣) والنسوة تبعنه عند الصليب (متى٢٧: ٥٥و ٥٦) وكن أول من ذهب إلى القبر فى فجر القيامة.

(ز) تلاميذ المسيح ورسله

اختار السيد المسيح، رسله الاثنى عشر كلهم من الرجال وكذلك الرسل، وذلك لأن المجتمع اليهودى يرفض شهادة المرأة، فقد كان على التلاميذ أن يشهدوا لقيامة المسيح لذلك اختار الرجل فى الوظائف الرسمية، حتى لاتعاق الخدمة فى مجتمعات اليهود واليونان والرومان. وإن كان السيد المسيح قبِل شهادة المرأة، وكانت السامرية نموذجاً واضحاً على ذلك.

(د.ق صموئيل حبيب: المرأة فى الكنيسة والمجتمع ص٥٤-٦١).

(٣) المرأة فى الكنيسة الأولى

إن ما يذكره البشير لوقا بعد صعود السيد المسيح عن اجتماع نحو ١٢٠ شخصاً «كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطِلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته»(أعمال ١٤:١) يدلنا على وجود المرأة وحضورها فى الاجتماعات التى عُقدت فى الكنيسة الأولى، وكانت ليديا أول من آمن بالمسيح فى كنيسة فيلبى(أعمال ١٦:١٤و ٤٠) ويسجل تاريخ الآباء أن الكنيسة كانت مجتمعة للصلاة فى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس من أجل بطرس الذى كان فى السجن (أعمال ١٢: ٦-١٧)، ويمكننا أن ندرك أهمية بريسكلا حيث يذكر اسمها دائماً مقترناً باسم زوجها أكيلا(راجع أعمال ١٨: ٢و١٨و٢٦، رومية ١٦:٣، وكورنثوس الأولى ١٦:١٩، تيموثاوس الثانية ٤:١٩). ويذكر د.م.ليك D.M. Lake فى دراسة له عن المرأة أن تعليم كل من القديس بولس والقديس بطرس عن خضوع المرأة وصمتها فى الكنيسة يؤخذ على أن كلا القديسين كانا من أصحاب المواقف المتشددة ضد المرأة (راجع كورنثوس الأولى١٤: ٣٣ - ٣٦،تيموثاوس الأولى٢:١١و١٢، بطرس الأولى ٣:١). غير أن ملاحظة السلام الختامى فى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية فى الأصحاح السادس عشر حيث يذكر نحو تسع سيدات مسيحيات وهن (فيبى، بريسكلا، مريم، تريفنيا، تريفوسه، برسيس، أم روفس، چوليا، وأخت نيريوس)(رومية ١٦: ١و ٣و ٦و ١٢و ١٣و ١٥) يدلنا على تقدير بولس لهن. كما كان للوئيس جدة تيموثاوس وأمه أفنيكى تقدير رفيع عند الرسول بولس (راجع تيموثاوس الثانية ١:٥ ، ٣: ١٤و١٥) كما أن الرسول بولس فى تعليمه يشبه الكنيسة بالعروس أو الزوجة، والكنيسة- بدون شك- تقع فى مركز الفكر اللاهوتى عند بولس(أفسس ٤: ٢١- ٣٢، رؤيا ١٩:١-١٠).

ويذكر سفر أعمال الرسل أن فيلبس المبشر كان له أربع بنات عذارى كن يتنبأن (أعمال الرسل٢١: ٨ و٩)، ويذكر الرسول بولس عن فيبى إنها خادمة الكنيسة التى فى كنخريا، ويقول عنها أيضاً أنها: «صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضاً ..»(رومية ١٦:١ و٢).

وعن كلمة «تكتتب» التى كتبها الرسول بولس فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس توجد ثمة بعض الآراء تحملها الكلمة، فالكلمة تعنى «سجل أو قائمة الأرامل»، وربما يعنى ذلك أن ثمة ترتيباً أو تنظيماً محدداً كان فى الكنيسة، وقد عرف العديدون من الآباء مثل هذه الخدمات ومنهم القديس ترتليانوس والقديس يوحنا ذهبى الفم، هذا فضلاً عن واجبات منتظمة مثل الصلاة، والصوم، وزيارة المرضى، وتعليم السيدات، المساعدة فى المعمودية، والمعاونة فى الإعداد للعشاء الربانى(**راجع موسوعة زوندرڤان**).

(٤) المرأة فى فكر الآباء

إن وضع المرأة فى المسيحية ينبعث من بعض الأولويات التى نسبها إليها كُتَّاب العهد الجديد، ومن أهمها: أنها كانت أول من تلقى إعلان قيامة السيد المسيح (وقد ذكر ذلك كل من أوريجانوس، چيروم، امبروزيوس وأغسطينوس) والمرأة مساوية للرجل-روحياً- وقد جاء ذلك فى كتابات كليمندس السكندرى وترتليانوس، إلا أنه لا يُعترف دائماً بهذه المساواة، فبعد أن اعترف القديس يوحنا ذهبى الفم بهذه المساواة يبدو أنه أنكرها فى موضع آخر، ذلك إنها خُلقت لتكون مُعيناً (تكوين٢:١٨)، إلا أنها فقدت تلك الكرامة بسبب الخطية (بحسب ما قاله ذهبى الفم)، والخطيئة الأصلية تنسب دائماً للمرأة، والتى لهذا السبب،أُعتبرت سبب الخطية (يذكر ذلك كل من إيريناوس، ترتليانوس، كيرلس الأورشليمى.... وغيرهم): وكل امرأة تحمل حواء فى نفسها، ومن ثم عليها أن تتحمل العقوبة(ترتليانوس). ودَينْها قِبَل الرجل، والذى نشأ بطبيعة كونها أنثى عند خلقها، قد سدَّدته مريم العذراء التى ولدت السيد المسيح ميلاداً عذراوياً (كيرلس الأورشليمى)، وقد صُحِّح وضع المرأة من خلال علاقة السيدة العذراء والسيد المسيح.

ونجد أن بعض الآباء ينظرون للمرأة تلك النظرة المزدوجة فى تفاسيرهم المجازية: فهى قيمة إيجابية، حينما تفسر على أنها صورة الكنيسة (ونجد ذلك فى كتابات كل من القديسين چيروم ويوحنا ذهبى الفم)، وهى قيمة سلبية، أو على الأقل خاضعة للرجل، وذلك حين يُنظر إليها كالنفس، فى الوقت الذى يُنظر فيه إلى الرجل على أنه الروح (كما يرى أوريجانوس)، وكالجسد الذى يتعين عليه أن يتبع الروح (أوريجانوس أيضاً). وكالحواس، فى حين أن الرجل هو العقل (امبروزيوس)، كما يُنظر إليهاكمرادف للضعف (فى رأى غريغوريوس الكبير). وقد اعترف للمرأة فى إطار الكنيسة بالوظيفة النبوية (راجع كورنثوس الأولى١١:٤ و٥).

وثمة دلائل كافية على وجود شماسات (راجع تيموثاوس الأولى٣:١١، ورومية ١٦:١) وكذلك فى كتابات كل من بلينى وكليمندس وأوريجانوس وغيرهم، إلا أنه ليس واضحاً ما إذا كانت قد أجريت للشماسات المراسيم الخاصة بالرسامة لكى تؤهلها للخدمة بصفة رسمية.

وبحسب ما ذُكر فى مجمع نيقية فإن الشماسات تنتمين إلى طائفة العلمانيين، نظراً لأنه لم توضع عليهن الأيادى، غير أن تعاليم الرسل تذكر الطقس الخاص بسيامة الشماسات، والذى تم من خلاله وضع الأيادى بمعرفة الأسقف (راجع موسوعة الكنيسة الأولى).

✣ ✣ ✣ ✣

ط ـ احترام العمل اليدوى

كذلك أرست المسيحية مبدأً جديداً، فقد نحَّت جانباً النظرية القديمة التى تنادى بأن العمل اليدوى غير جدير بالرجل الحر. وكانت تلك خطوة عظيمة للأمام، فالمبدأ الذى وضعه الرسول بولس هو: «أنه إن كان أحد لايريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً»(تسالونيكى الثانية ٣:١٠). يعتبر حجر الزاوية للحضارة الجديدة، وقد ساهم هذا المبدأ فى إرساء مبدأ آخر

هو مبدأ الديمقراطية المسيحية. وقد وجد ذلك المبدأ صداه عند المسيحيين، وذلك بتوقير العمل اليدوى، فقد قدموا الاحترام لكل من يعمل بإخلاص، وفى قوانين الرسل يشيرون إلى نموذج الرسل حيث عملوا صيادين للسمك وخيَّامين، وقد وجَّهوا نصيحة لمن لا يعمل قائلين «إن الرب إلهنا يكره الكسلان».

✣ ✣ ✣ ✣

ى - الرجاء والبشاشة والمرح

وأخيراً نذكر أن من بين الصفات التى ميزت المسيحيين فى العصور الأولى- فى حياتهم العملية، صفات الرجاء والبشاشة والمرح. وقد بدأ الوجه يكتسى بمسحة من الصرامة مع بداية تأسيس الرهبنة، حيث بدأت تنتشر فى الكنيسة، وبعد ذلك بدأ النزوع إلى الانتقاص من النظام الطبيعى للأمور، وكان فرض الصيام من بين تلك المظاهر، ولكن مما لطَّف من عنصر الصرامة ما كان وراء النسك من حماسة وغيرة.

الصوم والصلاة

قال (بريزينسى Pressense): كانت الكنيسة فى وقت ترتليانوس تستخدم حرية كبيرة فيما يتعلق بالصيام. فلم يكن الصيام فرضاً، باستثناء أسبوع الآلام الذى يسبق القيامة، وعشية الاحتفال بذكرى دفن المسيح. وقد بدأت تتعدد قواعد الصوم. وعادة الصيام والصلاة يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع كذكر للفصح، وشيئاً فشيئاً أصبحت قاعدة عامة.

وإذا نظرنا إلى الحياة المسيحية نظرة عامة خلال القرون الثلاثة الأولى، فإننا نجد أن من بين أهم ما كان يميزها روح الرجاء، المرح، والابتهاج. كان يسود الشعور بالغنى فى المسيح وتوقع السعادة الأبدية، مما جعلها تتغلب على المحبة والشدائد التى واجهتها. وقد استطاع كثيرون من الوثنيين ممن اعتنقوا المسيحية الانتقال من الظلمة والضياع، واختبار ما قاله القديس كليمندس الاسكندرى: «لقد حوَّل الرب يسوع الغروب إلى شروق، ومن خلال الصليب جعل الموت حياة، وقد أنقذ الإنسان من الهلاك، وسما به إلى مرتبة عالية، لقد حوَّل الرب يسوع الفناء إلى خلود».

إن الفرح ليس حق نكتسبه بالميلاد فحسب، وإنما هو امتياز لكل المسيحيين. وكما قال راعى هرماس «انزعوا الحزن من قلوبكم، حتى لا يحزن الروح القدس الساكن فيكم، لأن روح الله الممنوح لنا ليسكن فى هذا الجسد لا يحتمل الحزن، لذلك تحلوا بالبشاشة والمرح، فهما دائماً مقبولان عند الله».

لقد تأمل المسيحيون فى العصور الأولى فى نظام الله الفائق للطبيعة. إلا أنهم لم يكونوا على الإطلاق منصرفين عن إعلانات الله فى الطبيعة، وها نحن نجد كليمندس الرومانى يسهب فى شرح التناغم الإلهى والعطايا المطبوعة فى الطبيعة. كما أن العبادة المنتظمة للجماعات المسيحية تمجد وتسبح الله لأنه إله الطبيعة. وكما يقول (بريزينسى Pressense): «إن صلاة الأفخارستيا دائماً تُرفع لتشكر فى آن واحد على هبات الله الطبيعية والفائقة للطبيعة وعنايته الوافرة التى تنضج الحصاد، ومن أجل غفرانه الواسع الذى يقبل الضال مرة أخرى».

✣ ✣ ✣ ✣

ك - المسيحية والسياسة

لا تتحدث المسيحية فى أى موضع عن أى شكل من أشكال الحكم، وكذلك لا تتدخل فى الشئون السياسية والدنيوية للمجتمعات والدول التى انتشرت فيها، فالمسيحية تتكيف مع النظم الملكية كما مع النظم الجمهورية، وكذلك يمكنها أن تزدهر فى فترات الاضطهادات التى تقوم بها الدولة، وهذا ما يوضحه تاريخ الكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى.

فالكنيسة تقوم بدور تعليمى تجاه الحكام والرعية، إذ تعلِّم كل طرف الواجبات التى عليه أن يؤديها نحو المجتمع.

إن المسيحية تقف فى وجه الفوضى السياسية والاستبداد.

فالمسيحية تهدف من وراء أى شكل من أشكال الحكم أن يسود النظام والعدل، والإنسانية، والسلام، واللياقة.

فالمسيحية تعاون الحكام على إدراك معنى مسئولية الحكم تجاه القاضى والملك الأعظم، وكذلك تساعد الشعب على التمسك بالفضيلة والإخلاص والتقوى، من أجل أن تسود القيم النبيلة فى المجتمع، ليصبح المجتمع فاضلاً ومتماسكاً.

لقد أعادت المسيحية تشكيل العلاقات الدولية، وذلك بإزالة حواجز البغضة والأذى بين مختلف شعوب العالم وأجناسه، فروح المسيحية هى روح عالمية جامعة حقاً، وترتفع فوق كل المعوقات والحواجز- حتى فى إطار البلد الواحد. فمثلاً نجد أنه فى أورشليم فى عصر الرسل «كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة»(أعمال ٤:٣٢). حقاً لقد حدثت بعض المشاكل العارضة والوقتية بين بطرس وبولس، وبين المسيحيين من التهوديين والأمميين، وبدلاً من أن نندهش لوقوع مثل هذه الأمور، علينا أن نُقدِّر روح الانتصار الدائمة للمحبة التى تغلبت على القوى المتبقية من الطبيعة العتيقة، والحالة السابقة التى كانوا عليها.

وكما رأينا- من قبل- فإن المسيحيين من الأمميين الفقراء فى كنيسة اليونان التى أسسها الرسول بولس قد أرسلت مساعدة مالية لجماعة التهوديين (الفقراء) فى أورشليم بفلسطين، «ولكن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين. لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين فى أورشليم» (رومية ١٥: ٢٥ و٢٦). «إذ هم باختبار هذه الخدمة يمجدون الله على طاعة اعترافكم بإنجيل المسيح وسخاء التوزيع لهم والجميع» (كورنثوس الثانية ٩:١٣). وهكذا فإنهم اعتبروا هذه العطية المقدسة فرصة لحفظ وحدانية الروح برباط السلام. (أفسس٤: ٣).

بينما كان اليهود يفتخرون بجنسهم، ازدروا وأبغضوا الأمم، واحتقر اليونانيون باقى الشعوب لأنهم «برابرة» وأنصاف بشر. والرومانيون برغم كل قوتهم لم يقدروا أن يفعلوا أكثر من أن يجمعوا الشعوب التى هزموها، لتكون جسداً ضخماً بلا روح، أما المسيحية فقد أسست مؤسسة روحية عالمية، ومجتمع القديسين. وما زالت إلى يومنا هذا تقوم برسالتها لتجمع كل الأمم على الأرض أعضاءً أحياءً بها، وتصالح الجميع مع الله.

الباب الرابع

الفصل الأول

التعليم فى الكنيسة الأولى

أ- نشأة التعليم فى الكنيسة الأولى.

ب- الوحدة فى تعليم الرسل.

ج- التنوع فى التعليم الرسولى.

د- الفكر اللاهوتى للمسيحيين من أصل يهودى- يعقوب وإنجيل الناموس.

هـ- بطرس الرسول وإنجيل الرجاء.

و- بولس الرسول وإنجيل الإيمان.

ز- يوحنا البشير وإنجيل المحبة.

(أ) نشأة التعليم فى الكنيسة الأولى

* تمهيــــد

يمكننا القول إن المسيحية ديانة تاريخية. فقد أسست كل رؤاها على العالم ومصير الإنسان فيما وراء الأحداث التاريخية المعينة.

وثمة أحداث فى التاريخ أكثر أهمية من أحداث أخرى. فهناك حقائق فريدة وهامة يجب استخدامها فى تقييم وشرح الحقائق الأخرى. وهى حقائق سامية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، هذه الحقائق هى حياة وشخص وتعليم وموت السيد المسيح، وفوق كل ذلك قيامته، وإليها يجب أن نضيف الكنيسة التى هى جسده.

لكى نفهم طبيعة التعليم المسيحى، علينا من البداية أن نلاحظ أنها ترتبط بحقائق تاريخية هامة لها مغزاها، فتعليم الرسل، على سبيل المثال، قد تركز على الحقائق التاريخية.

إن الحقائق المتعلقة بشخص يسوع المسيح التاريخية هى ألف باء الفكر اللاهوتى، فالفكر اللاهوتى هو محاولة لشرحها

أو لتفسير معناها ومغزاها للحياة والفكر البشرى.

إن الهدف الأسمى للإيمان المسيحى هو شخص المسيح نفسه، فلا يجب أن نوحد أو نربط بين التعليم المسيحى أو أى فكر لاهوتى خاص بشخص من المفكرين اللاهوتيين والمسيحية.

فالمسيحية التاريخية (ويقصد بها الاتجاه الرئيسى لتطور الفكر المسيحى منذ القرن الأول حتى القرن الجارى) ليست نسقاً من الأفكار، ولكنها الموقف تجاه شخص تاريخى محدد. فالمسيحية مؤسسة على شخص المسيح نفسه، لا على عقيدة أو تعليم عنه. فالمسيحية هى أن تحيا حياة المسيح، وقبول المسيحية كديانة شخصية لا يعنى مجرد الموافقة أو التصديق على مسألة عقلية، ولكن هو التجاوب الحى لكل كياننا مع حقيقة المسيح.

إن الإدراك الواضح لجوهر المسيحية يوضح شيئين:

أولاً: يوضح لماذا يوجد دائماً ذلك الاحتكاك بين الفكر اللاهوتى من ناحية، والدين من ناحية أخرى، فالفكر اللاهوتى قد يكون فكراً جامداً، وقد يكون أكاديمياً. إلاَّ أنه من ناحية أخرى، الدين بدون فكر لاهوتى كالجسد بدون هيكل عظمى: فإنه يفتقد إلى ما يجعله ثابتاً و يصبح ضعيفاً ورخواً. فالدين بدون فكر لاهوتى يصبح ضعيفاً وهلامياً ومجرد عواطف ومشاعر. وبذلك يميل الدين إلى الجنوح ناحية الخرافات أو إلى أحلام اليقظة. الحقيقة إن الدين بدون فكر لاهوتى هو أمر ناقص لايُتصور، مثله مثل الفكر اللاهوتى بدون دين: فالاثنان هما كوجهى العملة الواحدة لا يمكن فصلهما، فكلاهما يكمل الآخر كالنظرية والتطبيق.

ثانياً: إن إدراك أن جوهر المسيحية هو الاعتقاد فى شخص المسيح أكثر منه فى تعليم أو فى نسق من الأفكار يوضح لماذا يجب على التعليم أن تعاد صياغته فى كل جيل.

فيجب على كل عصر أن يعيد شرح الحقائق الجوهرية الهامة للتاريخ من خلال نظرته ورؤيته الخاصة. فالمسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد، فحقائق التاريخ لاتتغير.

إن دراسة الفلسفة أو الفكر اللاهوتى تختلف عن دراسة العلوم الأخرى. فربما لايدرى الطالب المتوسط للعلوم الفيزيقية عن تاريخ العلوم، وعن تاريخ نيوتن أو ما قبل نيوتن، وربما لا يكون ضرورياً دراسة ذلك، حيث يمكن إحراز تقدم فى العلوم بدون فهم تاريخها أولاً. ولكن الأمر يختلف فى حالة الفكر اللاهوتى، فالنتائج والتاريخ لا يمكن الفصل بينهما هكذا. فلا يمكن إحراز تقدم فى العلوم الإنسانية أو اللاهوتية بدون فهم تاريخها فهماً كاملاً. فلا نستطيع أن نفهم أنساق الأفكار الحديثة مالم نفهم أولاً القديمة منها. إننا قد لانتفق مع كل تلك الآراء، ولكننا لا نستطيع أن نتجنب الأخطاء التى وقع فيها الأولون، ما لم ندرس تعاليمهم. وإنه كذلك يكون ضرباً من الكبرياء أو الغرور أن نظن أننا يمكن أن ننسى الماضى برُمته، ونبدأ نحن بدايتنا الخاصة. فيجب ألا ننظر إلى الماضى باستعلاء نتيجة ما وصلنا إليه من إنجازات، فكتابات المفكرين العظماء الأوائل قد تكون مفيدة من جهة ما تحتويه من تعليم أو تحذير لنا. فأن نتجاهل حكمتهم، هذا يعنى أننا بذلك نفتح الباب للخرافات والافتراضات، وهذا أمر حقيقى، وبخاصة فيما يتعلق بتعليم الكنيسة، التى يمكن فهمها من خلال أولئك الذين تجشموا عناء دراسة الخلفية التاريخية، إلا أن النقد غير المؤسس على معرفة تاريخية لازمة هو أمر غير نافع وغير حكيم.

إن كل التعليم المسيحى جاء ثمرة الاختبار، وقد ساد الاعتقاد أن عقيدة الرسل قد تمت من خلال مجمع اجتمع فيه الرسل الاثنا عشر، وقد أسهم كل واحد منهم فى صياغته. وكان يؤمن بذلك العلامة أمبروزيوس أسقف ميلانو (توفى سنة ٣٩٧م) إلا أن ذلك الأمر ليس حقيقياً كما يرى (ألان ريتشاردسون Alan Richardson) فكل تعليم كان محاولة لتجسيد الخبرة الحية وللمحافظة عليها.

فالتعليم لم تتم صياغته مطلقاً فى القرن الأول الميلادى وحسب، فمثل تلك الصياغات الأولية للتعليم كما ظهرت فى العصر الأول من تاريخ الكنيسة كانت بصفة عامة فى شكل رسائل كتبها شخص ما كان يود أن ينقل خبرته بالديانة الجديدة إلى مؤمنين آخرين ربما فى مناطق أخرى من العالم. وربما نجد نموذجاً لذلك فى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، أو فى الرسالة إلى المسيحيين من أصل يهودى، وهم غير معروفين على وجه التحديد، وذلك فى الرسالة المعروفة باسم: «الرسالة إلى العبرانيين». فليست كل الرسائل التى كُتبت فى العهد الجديد كتبت بغرض محاولة صياغة تعاليم وعقائد. فبعض تلك الرسائل كُتبت كرسائل وعظ عملى أو أخلاقى مثل رسالة يعقوب. على الرغم أنها قامت بالضرورة على افتراضات تعليمية محددة، وأحياناً كانت الرسائل لمعالجة مسائل عقيدية، وسلوكية كانت الكنائس المحلية قد وقعت فى حيرة منها. وهذا واضح مثلاً فى كنيسة كورنثوس، حيث كتب المؤمنون فيها لبولس ليسألوا إرشاده فى بعض الأمور مثل الطلاق والزواج الثانى، وعشاء الرب أو عن قيامة الأموات. ولذلك فإن الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس والموجودة بين أسفار العهد الجديد، هى إجابة على تلك المسائل التى كانت موضع تساؤلاتهم.

التهذيب

يرتبط التهذيب- التأديب(Discipline) بكل الشرائع والأعراف أو المفاهيم العامة، وكانت تشمل قديماً كل ما يمكن للتلميذ أن يحصل عليه من معلمه. وبهذا المعنى فإنها أشارت إلى التلاميذ فى علاقتهم المباشرة بالسيد المسيح. وقد أطلقها ترتليانوس، على ما نقله الرسل من تعليم الكنائس التى أسسوها. ولذلك فإنه ليس للكلمة صلة بالشرائع، وإنما تشير فى مجملها إلى ما سلّمه السيد المسيح للرسل ثم قاموا هم بدورهم بنقله إلى الكنائس(موسوعة آباء الكنيسة الجزء الأول)

وعلى ذلك فإننا يجب أن نفهم بوضوح أن بداية التعليم المسيحى كان ثمرة خبرة حية مباشرة، وأن الصياغات الأولى للتعليم كانت مجرد محاولة لإخبار آخرين عن هذه الخبرة، وحتى يمكنهم أيضاً فهم وإدراك ذلك. لم تكن التعاليم إذن فكراً لاهوتياً جامداً، ولكنها كانت محاولة جريئة لشرح بعض حقائق الإيمان السامية، ولشرح طبيعة الخبرة الدينية الجديدة. حتى يمكن لآخرين أن يؤمنوا بها، ولذلك كان هدف الرسل هوتسجيل الحقائق لاعرض فكر غامض. «الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا»(١يوحنا ١:٣).

فى السنوات التى رافق فيها التلاميذ يسوع فى أثناء خدمته على الأرض، شعر التلاميذ أن يسوع له قدرات روحية غير عادية، وحتى قبل أن يُصلب يسوع، كان يعامل باحترام عميق، يصل إلى حد العبادة (راجع مرقس ٥:٦). ويضع دارسو العهد الجديد أهمية كبيرة على اعتراف بطرس الرسول فى قيصرية فيلبس بأن يسوع هو المسيح ابن الله (متى ١٦: ١٦).

المسيحية ليست ديانة الماضى فحسب، ولكنها ديانة خبرة الحاضر والرجاء فى المستقبل أيضاً، وبدون قوة الإيمان بقيامة المسيح ماكانت المسيحية، فالتبشير والوعظ فى الكنيسة الأولى- وكما يتضح من سفر أعمال الرسل ورسائل العهد الجديد - كانت تركز أساساً على قيامة السيد المسيح من بين الأموات.

كان تبشير بطرس واستفانوس- كما هو مسجل فى سفر أعمال الرسل - يرتكز أساساً على الأخبار المجيدة أن يسوع قد قام من بين الأموات، «وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم» (أعمال الرسل ٤:٣٣). كما أن اعتراف بطرس (السابق ذكره) إنما هو إشارة إلى أن يسوع هو «المسيا» كما جاء فى نبوات العهد القديم، وحسب انتظارات الشعب، وقيامة المسيح من بين الأموات، هذا الفعل المذهل إنما يعنى أن الله افتقد شعبه

وافتداه «إله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة «أعمال الرسل ٥ : ٣٠»، وقد دعا التلاميذ أنفسهم شهود القيامة (انظر أعمال الرسل ٣:١٥).

لقد تأسست المسيحية تاريخياً على أساس الإيمان بالقيامة، فاختبار القيامة كان بداية المسيحية. وعلى هذا الأساس نشأ التعليم فى الكنيسة، كما كانت القيامة جوهر الدفاع عن المسيحية وكان ذلك حجر الأساس للفكر اللاهوتى عند بولس الرسول. «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات. وصار باكورة الراقدين »(كورنثوس الأولى ١٥:١٧و٢٠)، «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله»(كورنثوس الأولى ١٥: ١٤و١٥).

لقد كانت القيامة فى خبرة بولس الرسول وفى خبرات المؤمنين حقيقة مؤكدة. وقد ذكر بولس قائمة بالمرات التى ظهرفيها الرب يسوع بعد القيامة «فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفن وقام فى اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهر لصفا- بطرس- ثم للإثنى عشر. وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باقٍ إلى الآن، ولكن بعضهم قد رقدوا، وبعد ذلك ظهر لى أنا »(كورنثوس الأولى ١٥: ٣-٨).

إننا لانستطيع أن ندرك تطور التعليم المسيحى، مالم نضع أيدينا على تلك الحقائق، التى من أجلها جُعل التعليم لشرحها وتفسيرها، وجوهر تلك الحقائق كانت خبرة الرسل عن قيامة المسيح. فبدون هذه الخبرة ما كان للتعليم المسيحى أى معنى.

يستعرض إنجيل القديس مرقس كيف أن التلاميذ لم يدركوا تعليم الرب يسوع أنه ينبغى أن يتألم ويموت، وكان الطريق الوحيد أمام الرب يسوع ليحمل رسالته إلى الجميع هو طريق الآلام. ولكن تلاميذه لم يدركوا لماذا كان ذاهباً إلى أورشليم، فكانوا خائفين إلا أن الأمل كان لا يزال يراودهم أن مجد المسيا ينتظرهم فى المدينة المقدسة. لذلك كانوا يسألون من هو الأعظم(راجع متى ١٨: ١، ومرقس ٩:٣٤، ولوقا ٩: ٤٦). وعلى ذلك فإنهم هربوا بينما كان يسوع فى طريقه للآلام لأنهم ظنوا أن كل شيء قد انتهى. إلاَّ أنه بعد أسابيع قليلة نجد أنهم يبرهنون من الكتاب المقدس أن المسيَّا يجب أن يتألم، نفس ذلك التعليم الذى لم يستطيعوا أن يدركوه فى أثناء حياة المُعلم، إذ أنهم أصبحوا فيما بعد يحاجون بذلك الأمر على الملأ فى شجاعة أمام الناس وأمام السنهدريم. ويبدو أن معجزة قد حدثت فى حياتهم، فالجبناء الذين هربوا حتى فى وجود المسيح على الأرض أصبحوا بعد صلب مُعَلِّمهم يواجهون ذوى النفوذ ممن حكموا على السيد بالموت بدون خوف. وتحول الشك إلى اليقين، والحذر والخوف إلى الجرأة والإقدام وعدم الاهتمام بالنتائج، لقد أعلن الرب يسوع خلال سنى حياته فى الجسد عن تلك الآلام ولكنَّ شيئاً من ذلك التغيير لم يحدث آنذاك، ولابد أن ثمة سبباً عظيماً قد أدَّى لذلك التغيير الكبير، ولابد أن معجزة القيامة كانت هى السبب وراء ذلك.

وهكذا فإن التعليم فى الكنيسة الأولى كان ثمرة محاولة شرح وتفسير خبرة الرسل الأوائل عن المسيح المُقام.

ب ـ الوحدة فى تعليم الرسل

المسيحية ليست مجرد تعليم، وإنما هى حياة، وإبداع أخلاق جديدة فى ضوء الحقائق الجديدة التى أتت بها، والتحديات الجديدة التى نشأت عن ذلك. لقد تجسد الحق فى المسيح المُخلِّص، الكلمة المتجسد، الله- الإنسان، لكى يؤمن به كل إنسان.

المسيحية حياة جديدة، متجددة ومُتغيِّرة ومقدسة، وهى اختبار جديد خلاَّق، فهى تسمو بالإنسان كله وبكل خصاله

وصفاته وطاقاته، وتحرره من الشعور بالخطية ومن سلطان الخطية، وتصالحه مع الله وتجدد الانسجام والسلام مع النفس، وفى النهاية تمجد الجسد نفسه. وهكذا فإن حياة المسيح تنعكس في أتباعه، وتظهر شيئاً فشيئاً من خلال حياة الإيمان والمحبة، وحتى تبلغ كمالها فى القيامة.

وبدون شك فإن للحياة الجديدة عناصر تعليمية، أو معرفة بالحق، لقد قال السيد المسيح عن نفسه «أنا هوالطريق والحق والحياة»(يوحنا ١٤: ٦). فالمسيح نفسه هو الإعلان الشخصى للحق المُخلِّص، إلا أن هذه العناصر التعليمية لاتظهر فى العهد الجديد فى شكل نظرى مجرد، وانتاج عقلى، وعلم مؤسس على براهين رياضية أو منطقية. ولكنها مؤسسة على التعبير المباشر للحياة الإلهية، الفائقة السمو، والقوة المانحة للحياة، عملياً ونظرياً. إن معرفة الله من خلال المسيح، هى فى نفس الوقت الحياة الأبدية. ويجب ألاّ نخلط بين الحق والعقيدة، فالحق جوهر إلهى، أما العقيدة فهى فهم وإدراك بشرى للحق الإلهى والتعبير عنه. فالحق قوة حية تعطى حياة، أما العقيدة فهى صياغة منطقية له. الحق لانهائى ولايتغير وأبدى، أما العقيدة فقابلة للتغيير والتعديل (من خلال ما يحدث من تغيير فى إدراك الحق الإلهى أو فى التعبير عنه).

وهكذا فإن الكتاب المقدس ليس أساساً كتاباً تثقيفياً علمياً، ولكنه كتاب الحياة لكل شخص، رسالة مكتوبة بالروح القدس للجنس البشرى، ففى أقوال السيد المسيح وتلاميذه نجد أسمى وأقدس قوة روحية، فهى صوت الله المحيى. «لأن كلمة الله حية وفعّالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته»(عبرانيين ٤:١٢).

إن جوهر كل تعليم الرسل هو شهادة المسيح، والإنجيل، والرسالة الواضحة لذلك الحب الإلهى الذى أدى إلى موت المسيح ليخلص البشرية أعلن فى شخص المسيح وقد أدرك شيئاً فشيئاً فى ملكوت الله على الأرض، وسوف يصل إلى كمال مجده فى المجيء الثانى للمسيح.

إن العهد الجديد إن هو إلا كتاب واحد، فالتعليم الذى يتضمنه إنما هو صادر عن شخص واحد هو المسيح، فقد أعطى لتلاميذه كلمات الحياة التى أعطاها له الآب.

وقد أوحى لهم روح الحق لإعلان مجده لهم، فكان ذلك سبباً فى تلك الوحدة والانسجام للأسفار السبعة والعشرين التى تكوِّن العهد الجديد، ومن أجل استخدامها للأبد، وإلى أن تتحقق الكلمة المكتوبة عندما يجيء الكلمة الحى فى ذلك المشهد البهيج مع القديسين.

جـ ـ التنوع فى التعليم الرسولى

يظهر التعليم المسيحى فى العهد الجديد فى أشكال عديدة، وذلك طبقاً للخواص الشخصية والثقافية والبيئية التى نشأ عليها الكاتبون الملهمون. فالحق نفسه فى الكتاب المقدس لا نهائى ولاحدود له، ويمكن أن يكيف نفسه مع كل صنوف البشر، ومع أى أنواع من المواهب والأمزجة. مثل ضوء الشمس الذى يتحلل إلى ألوان طبقاً لطبيعة الأجسام التى يسقط عليها الضوء ومثل الأحجار الكريمة حيث تبعث إشعاعاً جديداً مع كل ضوء يسقط عليها فى المقابل.

يتحدث القديس إيريناوس عن الأناجيل الأربعة. ولعله يربط بينها وبين تعاليم أربعة من الرسل. فرسالة يعقوب تهدف إلى ما يهدف إليه إنجيل متى. وكذلك رسالتا بطرس مع إنجيل القديس مرقس، ورسائل بولس مع إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل ورسائل يوحنا مع إنجيل يوحنا.

إن لدينا نوعين من المعلمين: رسل لليهود أى أهل الختان، ورسل للأمم أى الغُلف، وهذا التمييز يمتد إلى أبعد من مجرد الكرازة، فيصل إلى كل مناحى التعليم والحياة العملية للفريقين.

أما الاختلاف فكان نسبياً ومؤقتاً، كالذى حدث بين بولس وبطرس فى أنطاكية (غلاطية ٢: ١١- ٢١) لأن لهذين الشكلين من المسيحية أصل واحد فى ملء حياة المسيح، المخلص لكل من الأمم واليهود، وقد نميا معاً شيئاً فشيئاً إلى وحدانية الكنيسة الجامعة، فبطرس يمثل الكنيسة التى كان أعضاؤها من اليهود، وبولس يمثل الكنيسة التى كان أعضاؤها من الأمم، ويوحنا يمثل الوحدة بينهما فى ختام العصر الرسولى.

ومع هذه الاختلافات فى وجهات النظر تقترن الاختلافات الثانوية فى الأسلوب والشكل، فقد تميز يعقوب بأنه رسول الأعمال، كما بطرس بأنه رسول الرجاء، وبولس بأنه رسول الإيمان، ويوحنا بأنه رسول المحبة.

د ـ الفكر اللاهوتى للمسيحيين من أصل يهودى

يعقوب وإنجيل الناموس

ثمة بعض الأسفار كُتبت على وجه الخصوص لكى تخاطب المسيحيين من أصل يهودى مثل رسائل يعقوب وبطرس ويهوذا وإنجيل متى، على الرغم من أنها ليست قاصرة عليهم، وهذه الكتابات قائمة على التأكيد وتوضيح الفكرة الأساسية فى الموعظة على الجبل التى قالها السيد المسيح وهى «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل» (متى ٥: ١٧). لقد أوضحت الأناجيل - لاسيما إنجيل متى- تاريخياً أن يسوع هو المسيا الذى أعطى الناموس، وهو النبى، والكاهن والملك.

وعلى هذا الأساس التاريخى بنى كل من الرسولين يعقوب وبطرس تعليمهما ووعظهما، على أن يعقوب يبين توافق الإنجيل مع الناموس، وبطرس يوضح توافق الإنجيل مع الأنبياء.

إن يعقوب أخا الرب يتمسك بالديانة الموسوية، ويعتبر الإنجيل نفسه ناموساً، ولكنه «الناموس الكامل ناموس الحرية» (يعقوب ١-٢٥). وهنا يوجد الاختلاف وكذلك الوحدة بينهما، فكلمة «الناموس» هنا تشير إلى التوافق، وكلمتا «الكامل» و«الحرية» تشيران إلى سمو المسيحية، وتلمحان بأن اليهودية لم تكن كاملة، وأن الناموس كان قيداً وقد حررنا المسيح منه. أما بولس فقد وصف الإنجيل بأنه محرر من الناموس الذى هو «نير عبودية» (غلاطية ٥: ١) ولكنه أعاد الناموس على أساس من الحرية، وقد رأى أن الحياة المسيحية تتم فى ناموس المحبة لله وللقريب (راجع غلاطية ٦: ٢، رومية ١٣: ٨ - ١٠، ٣: ٢٢، ٨: ٢).

ويلتقى يعقوب مع بولس ولكن من طريق آخر، فيعقوب يركز كثيراً على الأعمال الصالحة التى يطلبها الناموس، ولكنه يطلب الأعمال، التى هى ثمرة الإيمان الذى فى المؤمن، هذا الإيمان هو نتاج الميلاد الجديد «شاء فولدنا بكلمة الحق» (يعقوب ١: ١٨).

إلاَّ أن بولس كان يركز على الإيمان الحى، وأن التبرير بالإيمان وحده، أما الأعمال الصالحة فهى تتبع الإيمان لتبرهن على وجوده. إن الاختلاف بين فكر كلٍ من بولس ويعقوب هو اختلاف لفظى وليس اختلافاً فى المنطق، وهو ما يفسح المجال للمصالحة التى هى بمثابة الرابطة التى لاتنفصم بين الإيمان الحى والأعمال الصالحة أو الرابطة بين التبرير والتقديس، حتى إن كلاً منهما يكمل ويؤكد الآخر. فالأول يضع الأساس الحقيقى، والآخر يحث الإنسان على إظهاره عملياً.

لقد استخدم كل من بولس ويعقوب نفس الكلمات التالية «التبرير»، «الإيمان»، و«الأعمال» ولكن كتب كل منهما من وجهة نظر مختلفة. وبذلك قدما رؤيتين متميزتين لنفس الحقيقة، فإذ قال يعقوب: «إيمان بدون أعمال ميت» (٢: ٢٠) فإن بولس يقول: «إن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس» (رومية ٣: ٢٨). فأحدهما يؤكد على الإيمان العامل، والآخر يؤكد على التبرير بالأعمال، والحقيقة إن كلاً

منهما على صواب، فيعقوب يعارض الإيمان اليهودى الميت وبولس ينكر التبرير الذاتى، إن يعقوب لم يطلب أعمالاً بدون إيمان، ولكنها الأعمال التى يدفع إليها الإيمان، بينما بولس - من ناحية أخرى- يوضح أن الإيمان بدون محبة لا قيمة له، وحتى وإن كان ينقل الجبال (كورنثوس الأولى١٣: ٢٠). كما أن يعقوب لا يعزو قوة التبرير لمجرد الإيمان بوجود الله، لأن الشياطين يؤمنون ويقشعرون (٢: ١٩).

إن يعقوب ينظر بالتحديد إلى الثمر، بينما بولس إلى الأصل. فالأول يهتم بالدليل أو الاختبار العملى، بينما الآخر يهتم بالأساس ويدخل إلى الأعماق التى ينبع منها العمل، ولكنه يصل إلى نفس النتيجة: حياة المحبة، الحياة المقدسة، وطاعة الله كدليل ضرورى على الإيمان الحقيقى، وبولس يوجز ذلك فى قوله: «الإيمان العامل بالمحبة» (غلاطية ٥: ٦).

إن رسالة يعقوب تأتى على رأس الرسائل التى تسمى «الرسائل الجامعة» وهى تمثل المرحلة الأولى للمعرفة المسيحية.

إن الارتباط بين رسالة يعقوب وإنجيل متى يأتى طبيعياً من الأصل المسيحى اليهودى، والفلسطينى كما يقول شاف (مرجع سابق جـ١ ص ٥٢١).

هـ- بطرس الرسول وإنجيل الرجاء

يأتى الاعتراف العظيم لبطرس بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى (متى١٦: ١٦) فى قلب التعليم. إنه اعتراف فى عبارة قصيرة، ولكنه تعليم جوهرى وأساسى وشامل، ويعتبر حجر الأساس للكنيسة المسيحية. إن أقوال بطرس فى سفر أعمال الرسل وفى رسالتيه زاخرة بالخبرات من تعاملاته مع السيد المسيح التى أضافت إليه الحماسة والنبل إلى جانب طبيعته القيادية. إن المسيحية هى تحقيق لكل النبوات المسيانية، وإن كانت هى نفسها فى ذات الوقت نبوة عن المجىء الثانى المجيد، وهذا المستقبل المجيد مسبوق هنا بالفرح والرجاء الحى الذى يحرضنا لكى نحيا الحياة المقدسة استعداداً لذلكم المستقبل المجيد، حتى أن بطرس الرسول قد أُطلق عليه - عن استحقاق -«رسول الرجاء».

لقد بدأ الرسول بطرس شهادته بإعلان حقائق تاريخية عن قيامة المسيح وحلول الروح القدس. وهذه الحقائق إنما هى تأكيد إلهى على مسيانيته، وذلك طبقاً لأنبياء العهد القديم. حيث شهدوا له أن كل من يؤمن به ينال غفران الخطايا. وهو المسيح الذى أقامه الله من بين الأموات، ورفعه ليجلس عن يمين الآب، وهو المخلص الذى يأتى مرة أخرى. إنه لايوجد خلاص بعيداً عن الرب يسوع المسيح، وشرط الخلاص هو الاعتراف بمسيانيته، فيتغير الفكر والسلوك من خدمة الخطية إلى القداسة.

إننا لايمكن أن نتصور كيف استطاع الرسول بطرس أن يعظ بفاعلية فى هذا الوقت المبكر من تاريخ المسيحية. ويجب ألاّ نندهش من تجديد ثلاثة آلاف نفس بعد عظته. وقد استنار بإعلان خاص فى المسألة التى تتعلق «بالختان»، إذ وصل إلى القناعة بأن «فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده»(أعمال الرسل ١٠: ٣٥) وأن اليهود والأمم قد نالوا الخلاص بنعمة المسيح من خلال الإيمان، بدون حمل نير الناموس الطقسى (راجع أعمال الرسل ١٥: ٧-١١).

لقد قبل من آمنوا، تعليم بطرس الرسول والذى ورد فى سفر أعمال الرسل وجوهره أن فى المسيح قد تحققت النبوات المسيانية والرجاء المسيحى. إن الفكر اللاهوتى للرسول بطرس عن شخص المسيح إنما ينبع من شخص المسيح التاريخى، المسيح المُقام. فالرسول بطرس يؤكد فى رسالته الأولى- كما فى سفر أعمال الرسل - على قيامة المسيح «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى من أجل رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات. لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم»، «ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى» (بطرس الأولى ١: ٣-٥ ، ٥: ٤).

أما فى الرسالة الثانية فيشير مباشرة إلى «سموات جديدة وأرض جديدة يسكن فيها البر» (بطرس الثانية ٣: ١٣) وهو يربط بين قيامة السيد المسيح والتحقيق النهائى للعهد، وبالإضافة إلى القيامة فإنه يوضح فاعلية كفارة ذبيحة المسيح وموته أيضاً بنفس القوة التى شرحها بولس «فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله» (بطرس الأولى٣: ١٨)، الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (بطرس الأولى٢: ٢٤)، الذى فدانا «بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح» (بطرس الأولى ١: ١٩) فالمسيح هو المُخَلِّص الوحيد، رئيس الحياة الذى يحكم على العالم. ويتكلم عن الوجود السابق للمسيح فيقول «معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكنه قد أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (بطرس الأولى ١: ٢٠)..

ويشير الرسول بطرس إلى أن السيد قد «كرز للأرواح التى فى السجن «فى الفترة بين الصلب»، «القيامة» (بطرس الأولى ٣: ١٩ ،٤: ٦) وكذلك كتب بولس الرسول عن هذا فى رسالته إلى أفسس (٤: ٩و١٠).

لقد قدَّم بطرس الرسول المسيحية التى تؤمن بالمسيح التاريخى، الذى هو الرجاء المحيى، والذى سيجىء فى مجده وهو ما يجعل المسيحيين يفرحون فى قلب التجارب والضيقات.

فإن المسيح أيضاً قد تألم من أجلنا تاركاً لنا مثالاً لكى نتبع خطواته.

و ـ بولس الرسول وإنجيل الإيمان

لقد جسدت كتابات بولس الرسول ولوقا البشير الفكر المسيحى الذى يخاطب الأمم، ويتضح الفكر اللاهوتى لبولس فى سفر الأعمال (لا سيما فى أريوباغوس) كما فى سائر رسائله.

بولس الرسول هو الوحيد الذى تلقى تعليمه على يد الربيين، وكان معروفاً بمهارته فى الجدل والمنطق. إن تعليمه ينبع من القلب كما من العقل، وكان ذلك ثمرة إيمانه بالمسيح. وتعليمه مفعم بمحبة المسيح، ويفيض بالحرارة والعمق، وقد امتزجت العناصر الدينية والأدبية والعقيدية والأخلاقية فى شخصيته لتثمر كلا منسجماً فريداً.

أثار الرسول بولس فكرة التبرير بأعمال الناموس، ومن ثم إدراك البر الإلهى، فبولس يرى أن البر بالإيمان بالمسيح. تمسك بولس بشعار: «الإنجيل، والإيمان»، فالإنجيل الذى يؤكد عليه بولس هو الإنجيل الذى يقود إلى الخلاص، إنجيل الحرية « فإنكم إنما دعيتم للحرية » (راجع غلاطية ٥: ١٣)، الإنجيل الذى للعالم أجمع، الذى يقدم عمل المسيح والذى يشترط الاتحاد به، وبولس لم يعزم أن يعرف شيئاً إلاَّ يسوع المسيح وإياه مصلوباً (كورنثوس الأولى٢: ٢)، وهذا يمثل جوهر رسالة التعليم اللاهوتى لبولس الرسول، فالمسيح الذى مات هو المسيح الذى قام ثانيةً، وهو الإله الحى والمخلص «الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسةً وفداءً، فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم» (كورنثوس الأولى ١٥: ١٣و١٤). وبولس يضع حقيقة موت السيد المسيح وقيامته معاً فى عبارة واحدة، الذى أسلم من أجل خطايانا وأُقيم من أجل تبريرنا (رومية ٤: ٢٥).

إن بولس الرسول يُعَلِّم باحتياج العالم للخلاص، ولكن الخلاص الفعلى لكل إنسان يعتمد على الإيمان أو القبول الشخصى والتكريس للمسيح، إن الخطية وحكم الموت قائمان بدون خلاص المسيح، أما البر والحياة فبالمسيح، ورسالة بولس الرسول إلى أهل رومية تتضمن الملامح الرئيسية لتعليمه اللاهوتى، والتعليم الرئيسى هو:

«إن إنجيل المسيح هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن

لليهودى أولاً ثم لليونانى »(راجع رو ١: ١٦).

الإيمان هبة مجانية من الله، وهو فى ذات الوقت أسمى ما يمكن أن يحصل عليه الإنسان، الإيمان هو الثقة المطلقة فى الله، والذى من خلاله يمكننا أن نعرفه بل ونتحد به.

ز - يوحنا البشير وإنجيل المحبة

يلتقى الفكر اللاهوتى المسيحى ـ اليهودى، والمسيحى - الأممى فى كتابات القديس يوحنا، والرسول يوحنا يخبرنا عن حق الإنجيل وعالميته فيقول: «لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق بيسوع المسيح صارا »(يوحنا ١: ١٧) والفكر اللاهوتى عند الرسول يوحنا هو أوج المعرفة الإلهية فى العصر الرسولى، وتتضح شخصية الرسول يوحنا من خلال الإنجيل ورسائله الثلاث، وأقواله عن الآخرويات. إنه يتكلم من واقع اختبار شخصى ويشهد لما رأته عيناه «ورأينا مجده كما لوحيد من الآب» (يوحنا ١: ٤، اقرأ أيضاً رسالة يوحنا الرسول الأولى ١:١-٣).

المحبة والحياة هما محور المسيحية كما يراها الرسول يوحنا، وهو يلخص لنا عقيدته فى عبارة «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (يوحنا الأولى ٤: ١٩) «ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً»(يوحنا الأولى٤: ٢١)، لذا لقب الرسول يوحنا «رسول المحبة». ويجب ألا نفهم المحبة بالمعنى العاطفى فحسب وإنما أن نفهمها فى أسمى درجات التعاون والأخلاق. والرسول يوحنا تقترن عنده المعرفة الفائقة بالمحبة السامية، فكلاهما يؤسس الحياة الأبدية، التى هى ملء السعادة « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته»(يوحنا ١٧ :٣ واقرأ أيضاً يوحنا ١١:١٥، ١٦: ٢٤، ١يو ١: ٤).

إن الرسول يوحنا يجعل تجسد الكلمة الأزلى فى أسمى إعلانات الله التى تبين محبة الله للعالم، والذى ينكر هذه الحقيقة فإنه يعتبر ضد المسيح(يوحنا الأولى ٤: ١-٣).



الباب الرابع

الفصل الثانى

العبادة فى الكنيسة الأولى

١- العبادة المسيحية فى القرنين الأول والثانى.

٢- العبادة المسيحية فى القرنين الثالث والرابع.

١ - العبادة المسيحية فى القرنين الأول والثانى

أ- خلفية تاريخية.

ب- عناصر العبادة فى المجتمع.

ج - عناصر العبادة فى العصر الرسولى.

العبادة المسيحية هى العبادة لله فى اسم المسيح، وهو احتفال جماعة المؤمنين فى شركة بينهم ورأس الكنيسة المسيح، لتمجيد الرب، ولتسبيحه وشكره، وكذلك للفرح والنمو فى الحياة الروحية، فالعبادة تهدف فى الأساس إلى انشغال النفس بالله ذاته. وكان هذا هو الحال فى يوم الخمسين.

١ - خلفية تاريخية

بدأ المجتمع المسيحى فى أورشليم كجماعة فى إطار الإيمان اليهودى السلفى-على الأقل يبدو ذلك ظاهرياً- فمثلاً ترتُلُس قد أشار إلى بولس فى سخرية على أنه مقدام شيعة الناصريين (ارجع إلى أعمال الرسل ٢٤:١-٥) وفى سفر الأعمال يؤكد كاتب السفر على أن الكنيسة الأولى كانت تبدو كما لو أنها إحدى الشيع اليهودية، وذلك فى عيون اليهود.

وكلمة «شيعة» فى أعمال (٢٤:٥) هى نفس الكلمة المستخدمة فى أعمال (٢٢:٢٨) والمترجمة مذهب، وتعنى شيعة فى أعمال (١٤:٢٤) وهو تعبير مألوف عن الطائفة فى اليهودية، كما تأتى فى أعمال (١٧:٥)، تعبيراً عن شيعة الصدوقيين، وفى أعمال (٥:١٥ ، ٥:٢٦) عن مذهب الفريسيين.

وللوهلة الأولى لا يبدو أن ثمة شيئاً يدعو للعجب لاجتماع اليهود المثقفين فى الرأى من طائفة الناصريين معاً.

إلا أن ثمة ما يميزهم عن الطوائف اليهودية الأخرى، وذلك لاعتقادهم بأن «المسيا» قد جاء، وإنه هو يسوع الناصرى، أى الذى جاء من الناصرة (أعمال ٢:٢٢، متى ٢: ٢٣) إلا أن فى الأيام الأولى من حياة الكنيسة، يبدو أنه لم يكن ثمة رغبة فى ترك ديانة الآباء- على الأقل على قدر الاهتمام بالممارسات الظاهرية للإيمان. وقد واظب أتباع الرب المقام على الصلوات والطلبات (أعمال ١: ١٤) وهذا العدد يتضمن أن المؤمنين كانوا يجتمعون من أجل الصلاة، والكلمة اليونانية المستخدمة فى ذلك هى نفس الكلمة المستخدمة فى أعمال (١٦:١٣- ١٦) والتى تشير إلى الاجتماع للصلاة فى المجمع، حيث أن المشنا كانت تسمح لعدد عشرة رجال من اليهود أن يؤسسوا مجمعاً أينما كانوا، والوصف الذى جاء فى أعمال الرسل (٢: ٤٢- ٤٧) يفترض استمرار الخدمات فى الهيكل (انظر لوقا ٢٤: ٥٢و٥٣، أعمال ٣:١). وكان الهيكل يستخدم فى الصلوات فى اسم المسيح (أعمال الرسل ٢: ٤٢ و ٤٦ ، ٤: ٢٤ - ٣٠).

وبنمو الكنيسة واتساع حدودها خارج أورشليم، أقبل إليها المتدينون ممن تأثرت خلفيتهم الثقافية بالمجمع.

ونذكر ما كتبه (ت.و مانسون T.W. Manson): «كان التلاميذ الأوائل يهوداً بالمولد والنشأة، ومن المحتمل أنهم أرادوا فى البداية أن يُدخلوا إلى المجتمع الجديد على الأقل بعضاً من الاستخدامات الدينية التى اعتادوا عليها. وخلفية العبادة فى الكنيسة الأولى لابد أن ننظر إليها فى ضوء الهيكل والمجمع اليهوديين»(رالف پ. مارتن : العبادة فى الكنيسة الأولى).

(أ) مكانة الهيكل

فى أثناء خدمة السيد المسيح، كان مهتماً بقداسة هيكل الله، ويرى بعض المفسرين فى العبارة الواردة فى إنجيل لوقا (٢: ٤٩) «ينبغى أن أكون فى ما لأبى» أنها تعنى «ينبغى أن أكون فى بيت أبى»، إذ كان آنذاك جالساً فى الهيكل (انظر لوقا ٢:٤١- ٤٩) وكذلك ما ذكره البشير مرقس (١:١٣) فقد حضر السيد المسيح إلى الهيكل بغرض العبادة فى مناسبات عديدة (راجع يوحنا ٢: ١٣-١٦ ، ١٠: ٢٢-٢٤)، هذا فضلاً عن ما ذُكر عند دخوله الأخير للمدينة المقدسة، وفى الفصح الأخير، وكان للهيكل تقدير كبير عند السيد المسيح (يوحنا٤: ٢٢).

إنه لأمر لا يقبل الجدل أن السيد المسيح لم يقدم ذبيحة فى الهيكل.

كان اهتمام السيد المسيح عظيماً بحماية بيت الرب، وقال عنه إنه بيت صلاة لجميع الأمم»(مرقس ١١: ١٧) لذلك صنع سوطاً وطرد الباعة والصيارفة وباعة الحمام (مرقس ١١: ١٥و١٦).

ويرى (إرنست لوميير Ernest Lohmeyer) إن ثمة سبباً قوياً لطرد السيد المسيح الباعة والصيارفة من الهيكل، فالسيد المسيح قد زار المدينة من أجل تحقيق نبوة العهد القديم (مرقس ١١: ١-١١) وكان جانب من ذلك هو إعداد الهيكل لنفسه، وهكذا أعلن نفسه السيد العادل على مقدس الله. وبدخول السيد المسيح إلى أورشليم وإلى الهيكل أعلن بذلك أن النبوات التى سبق أن أعلنها إشعياء النبى أصبحت الآن حقيقة. وهذا ما نجده فى متى (١٢: ٦): «ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل» وفى ذلك إشارة إلى الملكوت الذى تحقق فى شخصه بوجوده بين الناس (مرقس ١: ١٥، لوقا ١١: ٢٠). وذلك ينبع من تلك الحقيقة التى أعلنها بنفسه أنه هو الإله الحقيقى للهيكل الذى كانت العبادة فيه يقترب موعد انتهائها. حيث أُبطلت العبادة فيه فى العهد الجديد. ويتكلم الرب يسوع عن الممارسة التى حدثت فى تقليد إيمان السابقين وأشكال العبادة (راجع مرقس ٢:١٣ ، ١٤:٥٧- ٥٩).

وقد لاحظ السيد المسيح أن أساليب التدين الظاهرى

يمكن أن تكون فخاً وخطراً روحياً داهماً (راجع إرميا ٧ فكل الأصحاح يحذر من الثقة العمياء فى ممارسة الطقوس الدينية).

٢- موقف السيد المسيح

كان السيد المسيح يقدر الهيكل أساساً على أنه المكان الذى كان يتيح للناس الشركة مع الله، ومن أجل الصلاة والعبادة. إلاَّ أن السيد المسيح وضع نظاماً جديداً يحل محل فكرة المكان المقدس(ارجع إلى يوحنا ٤:٢١-٢٤)، وملخص تعليم الرب يسوع هو إن العبادة الحقيقية والداخلية متاحة لكل من يسجد «بالروح والحق» فى أى مكان، وكان تعليم السيد المسيح مخالفاً للتعاليم اليهودية فى تلك الأيام.

إن مقارنة لوقا (١٥: ١و٢) ومتى (٢٣: ١- ٢٨) ومتى (٩: ١٣ ،١٢: ٧) حيث اتّكأ يسوع مع عشارين وخطاة كثيرين (الذين كان يحتقرهم الفريسيون)، وتعليم الرب يسوع الخاص بيوم السبت يتفق مع نبوة هوشع: «أريد رحمة لا ذبيحة» (هوشع ٦: ٦ انظر أيضاً صموئيل الأول ١٥: ٢٢، عاموس ٥: ٢١- ٢٤).

وقد اتبع تلاميذ السيد المسيح خطى سيدهم، فالرسولان بطرس ويوحنا ذهبا للهيكل فى ساعة الصلاة (أعمال ٣:١) غير أنه لم يذكر أنهما ذهبا ليذبحا ذبيحة. والشهيد استفانوس يعلن حقيقة الهيكل الجديد (ارجع إلى أعمال ٦:١٤ إلى ٧:٥٠).

(٣) العبادة فى المجمع

إن خدمة السيد المسيح فى الجليل تمت فى الخلاء،وكذلك فى المجمع فى المنطقة التى زارها. فقد علّم فى المجامع حيث اعتاد أن يعبد هناك فى أيام السبت (مرقس ١: ٢١- ٢٨، ٣ : ١-٦ ، ٦:٢، متى ٤:٢٣، لوقا ٤:١٥و١٦-٣٠ و ٣١ وما بعده، ٤٤ ، ٥: ٦ ، ١٣: ١٠، وما بعده، ويوحنا ٦:٥٩، ١٨ : ٢٠) والرسول بولس فى رحلته التبشيرية استخدم المجمع اليهودى، لليهود خارج أورشليم (المشتتين) وما سجل فى سفر أعمال الرسل يستند إلى هذه النقطة (ارجع إلى أعمال ١٣: ٥ ، ١٤:١و١٠و ١٧ ، ١٨: ٤ و ١٩).

ولم يكن الرسول بولس وحده هو الذى مارس الكرازة والعبادة فى المجامع واعتبرها نقطة الإنطلاق لرسالة الإنجيل لخلاص إسرائيل، وحتى تصل الرسالة أولئك اليهود ممن يجتمعون فى المجمع للعبادة، فقد فعل أبُلوس هذا الأمر فى أفسس (أعمال ١٨: ٢٦)، إنه من الواضح أن المجمع اليهودى كان جسراً مهماً فى نشر الأخبار السارة.

ب- عناصر العبادة فى المجمع

يعاوننا الدارسون على رسم صورة للعبادة فى المجمع اليهودى، وثمة عناصر ثلاثة رئيسية فى العبادة:

١- الشكر والتسبيح.

٢- الصلوات.

٣- التعليم.

١ـ الشكر والتسبيح

تبدأ خدمة العبادة بالشكر الجماعى، وهذا ما يتفق مع ما جاء فى التلمود: «على الإنسان أن يبدأ على الدوام بالشكر أولاً، ثم بعد ذلك الصلاة».

وما جاء فى كورنثوس الأول (١٤: ٢٦) ربما يؤكد إتباعهم نفس الترتيب، حيث تأتى وصية بولس بالترنم بمزمور على رأس القائمة التى يذكرها عن العبادة المسيحية المشتركة.

٢ـ الصلوات

تنقسم الصلوات فى العبادة اليهودية إلى قسمين غير منفصلين: **القسم الأول** منها يشتمل على عبارتين جميلتين: عبارة (يوتزر) وتعنى «هو الخالق» وترفع شعار الله كخالق

لكل شيء،(والأهاباه) وتعنى «محبة» وتعنى أن محبة الله هى لشعبه، والضمان بمحبتهم له فى المقابل، وفى النهاية تأتى عبارة «مبارك أنت يا سيدنا، لأنك اخترت شعبك إسرائيل بالمحبة».

ثم بعد ذلك مباشرة تأتى «شيما» وهى اعتراف بالإيمان وبالبركة المفرحة فى نفس الوقت، و«شيما» مشتقة من الكلمات الافتتاحية الواردة فى تثنية (٦:٤) «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» لأن «شيما» تذكر بطريقة تجاوبية، ويردف الخادم الذى يقود الصلاة فى هتاف مفرح قائلاً: «مبارك اسم مجد ملكوته إلى أبد الآبدين». إن كلمة «واحد» تؤكد وحدة الله، وتأتى دائماً فى مركز الاعتراف اليهودى. وقد أعطيت مكانة واضحة فى الصلوات، «وشيما» بالكامل تتكون من تثنية (٦: ٤-٩) وعدد (١٥: ٣٧-٤١).

والقسم الثانى من الصلاة فى العبادة الواحدة هو ذكر لصلوات معروفة مثل «حقيقى وراسخ»(وهى كلمة شيما اسمع لنا إلى الأبد) وهى تذكرهم بأن وعود الله أكيدة وتتوقف على شعبه، وهنا يطلب الخادم من أحد المصلين أن يقود «الصلاة المعروفة» والتى تحتوى على الأدعية الثمانية عشر، ويأخذ الخادم خطوات نحو تابوت الرب، ووجهه ناحيته، ويقود الصلوات التى يرددونها والتى يختمونها بقولهم «آمين».

والأدعية الثمانية عشر تغطى كثيراً من الموضوعات، فبعضها يعبر عن الشكر، والتوسل من أجل أمور روحية ومادية، والتضرع من أجل المحتاجين، ومن أجل القضاة، والمشيرين والمختارين.

ويمكننا أن ندرك شيئاً من تلك الصلوات، بقراءة الصلاة الأخيرة «امنح السلام لإسرائيل شعبك ومدينتك، وميراثك، وباركنا جميعاً(كفرد واحد) مبارك أنت ياسيدنا، صانع السلام».

٣ـ التعليم

وبتلاوة الصلوات فإن الخدمة كانت تأخذ شكلاً مميزاً، حيث تعطى للمجمع صفته التى تميزه. وفى الواقع، أطلق اليهود أنفسهم على المجمع «دار التعليم» إذ كان التعليم مبنياً على قراءة العهد القديم وتفسيره، والتعليم كان مبنياً على عنصرين: **الأول** الناموس، والأنبياء التى كان يقرأها المصلون حيث يجتمعون معاً ويشتركون فى قراءتها (وذلك حسب طول الجزء موضوع القراءة) وحيث أن اللغة التى كتب بها العهد القديم، لم يكن يفهمها كل الشعب الحاضر للعبادة لذا كان يقوم المترجم بالترجمة إلى اللغة التى يفهمها كل الشعب، وكانت هى اللغة الأرامية عادة.

ثم تأتى العظة وهى مبنية على الأجزاء التى قرئت، وكان يمكن أن يدعى أى شخص يعتبر مناسباً لإلقاء «العظة»- وذلك كما حدث مع السيد المسيح عندما كان فى مجمع الناصرة (لوقا ٤: ٢١، وما بعده) وفى أنطاكية (أعمال ١٣:١٥ وما بعده) وتختتم الخدمة بالبركة ويرد الشعب قائلاً آمين.

وكانت تحدث بعض تعديلات على النموذج الأساسى، باختلاف أيام الأسبوع والوقت من السنة (حيث كانت القراءة فى فصول العهد القديم قصيرة فى أيام انعقاد الأسواق فى يومى الاثنين والثلاثاء) غير أن العناصر الرئيسية فى العبادة، وهى الشكر والصلاة والتعليم كانت موجودة فى كل الأوقات.

العبادة

الكلمة المستخدمة للتعبير عن العبادة فى العهد القديم، وهى الكلمة العبرية «هيشاوه» وتعنى «ينحنى»، تؤكد على الطريقة التى كان يفكر بها اليهودى عند وجوده فى حضرة الله القدوس، فكان اليهودى ينحنى فى تواضع واحترام، وكذلك استخدمت الكلمة بمعايير أخرى(انظر تك ٢٧:١٩، صموئيل الأول ٢٥:٣٥، صموئيل الثانى ١٦:٣٣، ٢٦:٢٠:٢) إلا أن المغزى الكامل للكلمة يتضح فى الاقتراب إلى الله السيد والملك العظيم (انظر تك ٢٤:٥٢، ٢ أخ ٧ :٣، ٢٩ :٢٩)

والكلمة اليونانية «بروسكونيان Proskunein التى استخدمت فى الترجمة السبعينية لترجمة الكلمة العبرية «شاها» لها نفس المعنى الذى يشير إلى الخضوع فى تواضع، والاحترام العميق.

أما الكلمة العبرية «عَبده» إذ كان اليهودى عندما يصلى لله يعتبر نفسه «عَبوده» فقد تُرجمت أيضاً «عبد» أو «خادم» إذا كان اليهودي عندما يصلي لله يعتبر نفسه «عبد» ويكون سعيداً عندما ينعت نفسه فى تسبيحه أو صلاته بذلك «أنا عبدك» (راجع مز ١١٦: ١٦). وعلى عكس ذلك المفهوم يأتى مفهوم العبد فى الفكر اليونانى حيث يحمل معه معنى الذل والاحتقار بينما عند اليهودى فإنه يحمل معنى علاقة العبد بالسيد الطيب (انظر خروج ٢١: ١- ٦) ولذلك فإن أعظم القادة دعوا عبيد الرب، لاسيما داود (انظر مزمور ٨٩: ٣و ٢٠). والكلمة اليونانية المناظرة لها هى (Latereia) ترجمت «عبادة» أو «خدمة». وفى ضوء خلفية العهد القديم فإن بولس قد استخدم نفس الكلمة اليونانية فى رسالته إلى رومية (راجع رومية ١:٩ ، ١٥: ١٦، وكذلك فى إشارته لعبادة إسرائيل انظر رومية ٩:٤). ونجد نماذج للصلاة والعبادة فى المزامير (مزامير ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٥ ، ٨٤ ، ١٢٢، وغيرها). حيث يعبر صاحب المزمور عن شكره لله وعن فرحه وسعادته لدخوله إلى مقادس الرب.

جـ - عناصر العبادة فى العصر الرسولى

تألفت العبادة فى العصر الرسولى من عدة عناصر وهى كالتالى :

١ - الكرازة بالإنجيل

فى بداية العصر الرسولى تظهر الكرازة بالإنجيل فى شكل خدمة موجهة لغير المؤمنين، وهى ببساطة تقديم حقائق الإيمان والتركيز على حياة السيد المسيح مع الحث على الندم والتجديد، وكان موت السيد المسيح وقيامته هما جوهر البشارة. وكانت الكرازة بالإنجيل قد وجدت صداها فى نفوس سامعيها.

كانت بعض الاجتماعات تُعقد للجميع بغرض الكرازة بالإنجيل والوعظ (كورنثوس الأولى ١٤:٢٣ - ٢٥). وتوجد العديد من العظات لكل من بطرس وبولس كنماذج لذلك فى سفر أعمال الرسل. وقد دعت الحاجة إلى التعليم إلى ضرورة وجود خدمة الكلمة (أع ٦:٤) متضمنة فى العبادة فى بادىء الأمر، كما كان يجب على الأسقف أن يكون صالحاً للتعليم (١تى ٣:٢) وقد تضمنت الكرازة بالإنجيل عدة أمور تتعلق بالعبادة مثل إعلان عمل الله، والاعتراف بالإيمان، والصلاة التى هى قمة تسبيح الله وتمجيده، وقد انتقلت إلى المسيحيين من الأمم المعلومات والتعليم وحقائق الإيمان عن المسيحية من خلال الكرازة بالإنجيل ليكونوا على نفس المستوى الذى كان عليه المسيحيون من اليهود من حيث المعلومات والتعليم وحقائق الإيمان عن المسيحية.

ويرى المؤرخ «شاف» أن بعض الرسائل التى ينظر إليها على أنها رسائل وعظية أُرسلت للمؤمنين لتشديدهم وتشجيعهم أو لكى تعاونهم على النمو فى الحياة الروحية.

٢ - قراءة أجزاء من أسفار الكتاب المقدس

كانت القراءة فى العهد القديم جزءاً من العبادة اليهودية، ومنها انتقلت إلى الكنيسة المسيحية (قارن أع ١٣:١٥، ١٥: ٢١) فكانت رسائل بولس الرسول تقرأ فى أثناء الاجتماعات (تسالونيكى الأولى ٥:٢٧) وربما يكون ذلك هو الأساس لقراءات العهد الجديد التى ظهر فيما بعد. وقد أصبحت كتابات الرسل بعد وفاتهم على قدر كبير من الأهمية إذ استخدمت كتاباتهم كنوع من التعويض عن عظاتهم الشفوية، وقد استخدمت على مدى واسع.

ويرى البعض أن الاقتباسات المتعددة من كتب العهد القديم فى رسائل العهد الجديد يجعل من المستحيل عدم وجود قراءات من العهد القديم فى العبادة الجماعية فى كنيسة

العهد الجديد. وكانت العظات التى ألقاها بولس وبطرس تهدف أيضاً إلى إظهار اكتمال العهد القديم فى المسيح، إلاَّ أن تقدير أسفار الكتاب المقدس يعتبر موضوعاً آخر (تيموثاوس الثانية ٣: ١٥). وكانت القراءة فى كلمة الله المكتوبة،أولاً فى العهد القديم، ثم فى العهد الجديد تشكل جانباً من اجتماعات العبادة فى الكنيسة الأولى فى بداية تكوينها، حيث بدأت فى كل من الهيكل والمجمع، ثم مرة أخرى فى الكنيسة فى القرن الثانى الميلادى.

٣ـ الصلاة

لم يذكر العهد الجديد معلومات مفصلة عن نظام العبادة والصلوات، إلا أن الصلاة أخذت عدة أشكال من الطلبات والشكر. وهى تشبه الصلوات اليهودية، إلا أنها كانت ترفع فى ثقة الأطفال للآب الذى تم الصلح معه فى اسم المسيح، وكانت الصلاة من أجل كل الناس فى كل المستويات والظروف وحتى من أجل الأعداء والمضطهِدين. وقد قرن المسيحيون الأوائل كل عمل هام، سواء فى حياتهم الخاصة أو حياتهم الجماعية بهذه العادة المقدسة، ويعظ بولس قائلاً: «صلوا بلا انقطاع» (تسالونيكى الأولى ٥: ١٧). كذلك فى الظروف الجادة قرنوا أيضاً الصوم بالصلاة، طبقاً لاحتياجاتهم وظروفهم الخاصة لتساعد فى العبادة، وكانت صلواتهم نابعة من القلب وبحرية، مقودين بالروح القدس.

وكما يقول المؤرخ «شاف» فإنه لا يوجد أثر لصلوات بعينها أو نظام محدد للعبادة، فذلك يتعارض مع الحرية التى كانت تتمتع بها الكنيسة آنذاك، ولكن فى نفس الوقت كانت هناك عدة صور للصلوات باستخدام المزامير، وصور قصيرة من الصلوات، مثل الصلاة الربانية، ربما يستدل من ذلك على عادات يهودية، من توجيهات الرب بالنسبة لنموذج الصلاة الذى قدمه (مت ٦:٩، لو ١١: ١و٢). وأقدم صلوات مسجلة هى تلك التى ذُكرت فى كتاب «الدسقولية» أو تعاليم الرسل. وكذلك كان ثمة صلوات من أجل الحكام وهى صلوات رائعة تخالف ولا تتفق مع قساوة وعداوة كل من نيرون ودوميتيان كما جاءت فى الرسالة الأولى لكليمندس.

الحقيقة إنه لاأحد يستطيع أن يخبرنا على وجه اليقين كيف كانت الكنيسة الأولى تصلى.

لقد اكتسبت كلمة (آمين)معنًى جديداً عميقاً عندما استخدمها الرب يسوع المسيح بنفسه (انظر أيضاً كورنثوس الثانيه ١:٢٠). واستخدمت فى العهد الجديد مرات عديدة، وربما تكون إجابة الشعب فى الصلاة، وكما كانت العبادة فى المجمع.

٤ ـ التسبيح

التسبيح أو الترنيم هو أقرب أجزاء العبادة للصلاة، حيث الاعتراف بأعمال الله وبطبيعته، إن الصلاة فى صورة شكر لله هى فى حد ذاتها تسبيح، ومعظم الصلوات التى ذُكرت فى العهد الجديد تحمل معها عنصر التسبيح. والتسبيح لله ظلت له مكانته الخاصة فى العهد الجديد. والترانيم هى شعر بهيج نُظم فى أسلوب بديع بإرشاد الروح القدس، يرتفع بالشعب إلى أعلى درجة من درجات العبادة، وقد ارتبطت هذه الترانيم مع مزامير العهد القديم، الزاخرة بالخبرة الروحية، وقد انتقلت من المجامع اليهودية إلى الكنائس المسيحية، وقد ذكر فى إنجيلى متى ومرقس أن الرب يسوع المسيح «اتكأ مع الاثنى عشر»، وبعد أن تناولوا عشاء الرب سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون »(راجع متى ٢٦: ٢٠ - ٣٠، مر ١٤: ١٧- ٢٦).

وكذلك أوصى الرسول بولس باستخدام الترانيم والتسابيح واعتبرها وسيلة للبنيان قائلاً: «مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانٍ روحية مرنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب (راجع أفسس ٥: ١٩، كورنثوس ٣: ٦).

وتوجد أيضاً فى رسائل العهد الجديد وسفر الرؤيا بعض الأجزاء التى يرى بعض الدارسين أنها إشارات إلى مقتطفات مختصرة لترانيم وتسابيح استخدمت فى العبادة(راجع أف

١٤:٥، تسالونيكى الأولى ٣: ١٦، تيموثاوس الثانية ٢: ١١-١٣، رؤ ١: ٥-٨، ٣: ٧و١٤، ٥: ٩و ١٢و١٣، ١١: ١٥و١٧و١٩، ١٥: ٤، ١٩: ٦-٨ وغيرها).

وربما كان كتاب سفر المزامير (مع الموسيقى) هو كتاب الترنيم فى الكنيسة الأولى، ولكن إذا كانت إشارة بلينى (Pliny) فى رسالته إلى تراجان (١٠: ٩٦) عن ترانيم تدور حول شخص السيد المسيح، فإنه يبدو من ذلك أن ترانيم جديدة كثيرة قد كُتبت للتسبيح.

٥ـ الاعتراف بالخطية

يأتى الاعتراف بالخطية فى قلب العبادة المسيحية، إذ أن الله السامى والمرتفع يستحق أن نعترف له بخطايانا.

إن صلوات ومزامير العهد القديم زاخرة بالاعتراف وعودة الإنسان إلى الحالة التى كان عليها قبل اقترافه الخطية، وذلك مع التسبيح والشكر لله على رحمته وغفرانه.

إن كتاب العهد الجديد، هو كلمة الله أى البشارة المفرحة للخطاة، وكانت إرسالية ومعمودية يوحنا المعمدان ومناداته بالتوبة هى التمهيد للعهد الجديد. كانت دعوة السيد المسيح هى أنه جاء ليدعو خطاة إلى التوبة، وهكذا فعل تلاميذه ورسله من بعده، وقد اعترف بطرس فى مواجهة الرب يسوع المسيح قائلاً: «إنى رجل خاطىء» (لوقا ٥ :٨) يتضح من المثل الذى ذكره الرب يسوع المسيح (أن فريسياً وعشاراً صعدا إلى الهيكل، واستجاب الله صلاة العشار الذى طلب الرحمة لأنه خاطىء، بينما لم تستجب صلاة الفريسى الذى لم يعترف بخطيته، بل مدح نفسه، لوقا ١٨: ٩-١٤).

وقد كان الاعتراف الجهارى باقتراف خطايا معينة أمراً مطلوباً لعودة الشخص بعد حرمه، وربما يتضح ذلك فى (يوحنا الأولى ١: ٨، وما بعده) وهذا الاعتراف بالخطية فى حضرة الله سواء الفردى أو فى جماعة كان أمراً مستمراً فى حياة المؤمنين. وبولس يشير مرات عديدة فى رسائله إلى اعتماده الكامل على رحمة الله، ولا يوجد دليل على صلوات بعينها للاعتراف فى عبادة العهد الجديد، وهذا الأمر يجب أن يكون مفترضاً كأساس لكل صلوات العهد الجديد، فالصلاة نفسها ينبغى أن تكون فى اسم المسيح (راجع دور المسيح ككاهن إلى الأبد وشفيع فى عبرانيين ٧).

٦ ـ الاعتراف بالإيمان (المعمودية)

فى العهد القديم بالرغم أن كلمة «شيما» استخدمت فى الأساس بمعنى «وصية»، إلا أنه استخدمت أيضاً بمعنى الاعتراف بالايمان: «الرب إلهنا رب واحد» ولهذا استخدمت العبادة فى المجمع، ولم يستخدم الاعتراف بالايمان كما هو فى المجمع بل فى الكنيسة الأولى حيث استخدموا الاعتراف بالإيمان المسيحى المتميز فى العبادة وهو «المسيح رب». فإيمان الكنيسة الأولى هو إيمان بالمسيح كمخلص وإله. وكان بطرس هو أول من أكد على تلك الحقيقة (راجع متى ١٦: ١٦). ويتكرر ذلك الأمر مرة أخرى فى اعتراف توما «ربى وإلهى» (راجع يو ٢٠ :٢٨) وقد كتب إنجيل يوحنا لهذا الغرض «لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو ٢٠: ٣١). ولهذا فإن عمل الروح القدس فى المسيحيين هو التأكيد على أن «يسوع المسيح هو رب» (فى ٢ :١١) وعلى هذا الاعتقاد تأسس الاعتراف بالإله المثلث الأقانيم (مت ٢٨: ١٩).

ويتم الاعتراف فى الكنيسة بالتحديد عند العماد، حيث يتم العماد على اسم يسوع المسيح (أع ٢: ٣٨) وقد اعترف الخصى الحبشى بالرب (راجع أع ٨: ٣٧) وكرنيليوس اعتمد باسم الرب (أع ١٠: ٤٨) وكذلك اعتمد حافظ السجن فى فيلبى بعدما آمن واعترف بالرب يسوع المسيح (أع ١٦: ٣-٣٤)، وتوجد دلائل من عصور تالية فى الكنيسة تؤكد على نفس الممارسة (يوستينوس. والدفاع ١، ٦١ وغيرها) فالاعتراف قبل العماد كان دائماً يتم فى صورة استفهامية، ثم كان العماد فى اسم الله المثلث الأقانيم، وسواء كان ثمة

اعتراف محدد للإيمان فى العبادة المعتادة أم لا فإن الأمر مازال محلاً للنقاش، والعهد الجديد لا يقدم مثالاً على ذلك. كانت المعمودية نفسها جزءاً عادياً من أجزاء العبادة إذ كانت سائدة منذ عهد يوحنا المعمدان، وأوصى بها يسوع، وكانت مطلوبة من أجل اعتراف الشخص أمام الكنيسة، فكانت تتضمن فى جوهرها الاعتراف بالإيمان والتوبة، وقد مورس الاعتراف بالإيمان فى مختلف الظروف وبتعبيرات كثيرة متنوعة، وقد اكتسب معالمه من تلك الظروف المتغيرة. كانت معمودية المتجددين هى محل اهتمام شعب الكنيسة كله. فالاعتراف الجوهرى للمعمودية هو اعتراف بعمل الله الخلاصي فى موت المسيح وقيامته إلا أنها كانت تعد فرصة أيضاً لتأكيد الإيمان لشعب الكنيسة كله من المؤمنين الحاضرين.

٧ ـ عشاء الرب

إذا كانت المعمودية إضافة للعبادة فى المجمع وإن كانت لا تخلو من تشابه مع معمودية الدخلاء، فهذا ما ينطبق أيضاً على عشاء الرب، فإن الدلائل الكتابية ومن تاريخ الآباء تؤكد أن عشاء الرب كان جزءاً أساسيا من العبادة الأسبوعية منذ البداية.

وفى عصر يوستينوس لم يكن ثمة فصل بين خدمة الكلمة وخدمة عشاء الرب، والأمثلة فى ترواس وكورنثوس تفترض ذلك، مع الاختلاف فى الزمن والبناء، ونفس التطبيقات فى العهد الجديد أيضاً، وما يجعل الشعب يلتف ويجتمع معا لا للصلاة والتسبيح والقراءة فى الكتاب المقدس والوعظ فحسب، بل أيضاً من أجل الوليمة المقدسة، والتى كانت على الأرجح قد اقترنت بالبركات (انظر تعاليم الرسل : ٩-١٠).

وكما كان الفصح، هكذا حدث عشاء الرب، وفى الحقيقة لا الفصح فحسب وإنما تقدمة القرابين فى الهيكل أيضاً، ولذلك نجد أن لغة الذبيحة والتقدمة قد استخدمت فيما يتعلق بذلك (ملا١:١١). إلا أن ذلك لا يعد استبدالاً أو إحلالاً كاملاً. إن عشاء الرب يظهر الذبيحة الواحدة التى رُفعت من أجل الخطايا مرة واحدة وإلى الأبد، فالمسيح ككاهن قد رفع من شأن الخدمة المقدسة. فالنقطة الجوهرية هى إعلان موت السيد المسيح وقيامته من أجل الجنس البشرى، وهذا هو أساس الشركة التى يتمتع بها المؤمنون مع الله. وفى النهاية، فإن عشاء الرب مؤسس على شخص الرب يسوع وبالحرى عن المفهوم الضيق للعبادة فى العهد القديم. إن لعشاء الرب مكانته ومغزاه فى العبادة الكنسية تتركز دائماً بأن العبادة ممكنة فقط على أساس الكفارة التى قدمها الله بواسطة ابنه.

٨ ـ جمع العطايا

توجد إشارة إلى جمع العطاء أسبوعياً فى (كورنثوس الأولى ١٦) كما فى (فى ٤: ١٨) وقد ذكر الآباء فى كتاباتهم أيضاً عن العطاء والتقدمة، مما يوضح كيف أن ذلك شكل عنصراً أساسياً فى العبادة الكنسية. ولكن تعترضنا هنا بعض المشاكل، لأن بولس لم يكن يتكلم عن «عطاء الكنيسة» عندما تحدث عن جمع الصدقات لإرسالها إلى أورشليم فربما يكون ذلك مجرد مشروع خاص (لكنه لقى نجاحاً سريعاً بإعانة كثيرين من الفقراء) إلا أن ترتليانوس يشير إلى صندوق لجمع العطايا فحسب (الدفاع ٣٩:١-٦) ولكن بعض الباحثين يرون أن ترتليانوس كان يشير إلى تقدمات الخبز والخمر من أجل عشاء الرب، إلا أن هذا الأمر ليس واضحاً فى الكنيسة الأولى، ولكن من ناحية أخرى، يجب أن نراعى أن العطايا والتقدمات كان لها تاريخ طويل فى العهد القديم. وأهمية السخاء كجزء من خدمة الله.

٩ ـ خدمات المناسبات

إنه لأمر معروف أنه لم تُذكر خدمات خاصة بحفل الزواج أو الصلاة على الموتى فى العهد الجديد، على أنه يجب أن نتذكر أن مثل هذه الخدمات هى تطبيق فقط للعناصر الرئيسية التى تتألف منها العبادة وهى: الصلاة، والتسبيح، والقراءة

فى الكتاب المقدس، والتفسير والوعظ، وعشاء الرب متى كان مناسباً. وقد ذكر العهد الجديد مناسبات معينة، حددها الرسل كما يشير الكتاب «أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب»(يعقوب ٥ : ١٤) وقد استخدمت فى تلك المناسبات عناصر ليتورجية، وهذا لا يعنى أن هناك خدمات متطورة لتثبيت المؤمنين، إلا أنها تبين- ببساطة أنه كان ثمة تواؤم وتكيف سريع مع الحاجات الأساسية، أحياناً مع علامة خاصة، كما حدث فى أنطاكية، عند إفراز برنابا وشاول للخدمة الكرازية (راجع أع ١٣: ٢ و٣).

✣ ✣ ✣ ✣

٢- العبادة المسيحية فى القرنين الثالث والرابع

كانت العبادة المسيحية بسيطة فى القرنين الثالث والرابع إذ يتوقع ذلك من الظروف التى كانت قائمة فى فترة الاضطهاد ، وهذا على عكس ما كان عليه المجتمع اليونانى، والمجتمع الرومانى، من مظاهر الترف والأبهة فى تلك الفترة. إلا أن المجتمع المسيحى كان مجتمعاً تقوياً.

أماكن العبادة

حتى نهاية القرن الثانى كان المسيحيون يعقدون اجتماعات للعبادة فى بيوتهم الخاصة، أو فى الأماكن المهجورة، أو فى مدافن الشهداء، أو فى سراديب المدافن تحت الأرض. وكان ذلك يرجع إما لفقرهم، أو لاضطهادهم، ومطاردتهم أو لحبهم للخلود إلى السكينة والعزلة. هذا فضلاً عن مقتهم الشديد لكل أشكال العبادة الوثنية التى كانت تتم فى هياكل. مما جعل بعض الآباء المدافعين يؤكدون مرات عديدة على أنه ليس لاجتماعات الإخوة هياكل أو مذابح (بما تحمله هذه الكلمات من دلالات وثنية) وأن عبادتهم روحية ومستقلة فى الأماكن، كما فى نظام العبادة، وقد ألقى بعض الوثنيين باللائمة عليهم، ومنهم سلسوس(أو كلسوس) Celsus الذى قال: «إن ذلك أمر يرجع إليهم» إلا أن القديس أوريجانوس أجاب عليهم فى حصافة قائلا: «إن البشر خليقة المسيح هم أسمى هيكل وأفضل صورة جميلة لله، وأن المسيحيين الحقيقيين هم هياكل حية للروح القدس. وهم لا يمكن مقارنتهم بجوبيتر أو زيوس». وكذلك قال يوستينوس الشهيد للوالى الرومانى: «إن المسيحيين يجتمعون فى أى مكان ملائم لأن إلههم ليس مثل سائر آلهة الوثنيين مقيداً بمكان، فالله فى المسيحية موجود فى كل مكان، ولكننا لانراه بالعين» وقد واجه القديس كليمندس الاسكندرى خرافة أن الديانة لابد أن ترتبط بمبنى (شاف: الجزء الثانى).

كانت إحدى حجرات البيت تُعَدُ إعداداً جيداً للعبادة، ولوليمة المحبة، وكانت الحجرات مستطيلة الشكل وهو ما لم يكن معروفاً عند الرومانيين أو اليونانيين. وكان يوجد بها غالباً مشكاة غير نافذة على شكل نصف دائرة، وكان يستخدم كرسى مرتفع (أى دَرَج) لقراءة الكتاب المقدس وإلقاء العظة كما كانت توجد منضدة بسيطة للعشاء الربانى، ونفس هذه الإعدادات فى القبور، كانت تأخذ شكل كنيسة تحت الأرض.

تخصيص أماكن للعبادة

وفى عهد ترتليانوس توجد أول آثار لتخصيص بيوت للعبادة، حيث كان يتكلم عن الذهاب إلى الكنيسة، وفى نحو عامى ٢٣٠م أعطى الكسندر ساويرس ALexander Severus الحق فى تخصيص مكان للعبادة فى روما و ذلك ضد المعترضين من أصحاب الحانات، وذلك لأنه رأى أن عبادة الله فى أى شكل كانت أفضل من الذهاب إلى الحانات.

وفى منتصف القرن الثالث، أصبح بناء الكنائس يتم بجدية كبيرة بعد نحو أربعين سنة من الهدوء النسبي (٢٦٠-٣٠٣) ويفترض أنه مع بداية القرن الرابع كان يوجد نحو أكثر من أربعين كنيسة، ولكننا لانعرف شيئاً عن تنظيمها. لقد بدأ عصر العمارة الكنسية فى عصر قسطنطين الكبير، وأول

نموذج لها هو الكنائس ذات الشكل المستطيل، وقد وضع الإمبراطور بنفسه النموذج الخاص بها، وبنى كنائس ضخمة فى كل من أورشليم، وبيت لحم، والقسطنطينية والتى خضعت لتغييرات كثيرة (راجع فن العمارة الكنسية فى موضعها من هذا المجلد)، وقد أعطانا يوسابيوس المؤرخ والمعاصر له أول فكرة عن الكنائس الضخمة التى بناها بولينوس Paulinus فى مدينة صور فيما بين سنتى ٣١٣ - ٣٢٢ م، حيث اشتملت على رواق متسع عند المدخل الخارجى المربع الشكل، تحيط به صفوف من الأعمدة، ويوجد فى منتصف ذلك المدخل نافورة، وذلك حيث جرت العادة لغسل الأيدى والأرجل قبل دخول الكنيسة، ثم رواق داخلى وصحن الكنيسة، مع مقصورات تعلو الممرات الجانبية، ومغطاة بسقف من أرز لبنان، ثم المذبح المقدس، كذلك يذكر سابيوس العروش للأساقفة، والشيوخ، وأرائك ومقاعد. كانت الكنيسة محاطة بردهات تحيطها الأسوار التى يمكن تتبع آثار لها فى مدينة صور المتهدمة، حيث توجد بقايا لخمسة أعمدة من الجرانيت لهذا البناء.

لقد ذكر فى تعاليم الرسل وصف لتنظيم الكنيسة على النحو التالى:

«إن رجال الإكليروس يشغلون أقصى الطرف الشرقى من الكنيسة» (فى وسط جوقة التسبيح)، والشعب يشغلون صحن الكنيسة، ولكنه لايذكر أى حواجز بينهما، إذ ظهرت تلك الحواجز مع بداية القرن الرابع حيث مُنع العلمانيون من دخول المنطقة المحيطة بالمذبح.



الباب الرابع

الفصل الثالث

الممارسات فى الكنيسة الأولى

العقائد الرئيسية فى المسيحية فى العصور الأولى

ا- العشاء الربانى(الافخارستيا) فى فكر الآباء.

ب- المعمودية عند الآباء.

جـ- يوم الرب.

د- الصوم والعطاء(الصدقة).

(ا) العشاء الربانى (الافخارستيا) فى فكر الآباء

يقول شاف(Shaf) عن العشاء الربانى «إن الرب يسوع المسيح نفسه قد أسسه فى ظروف بالغة الصعوبة، وذلك عندما اقترب موعد تقديم نفسه ذبيحة لخلاص العالم» (شاف-الجزء الأول). إنه المناسبة التى فيها نقدم الشكر لله- فالكلمة اليونانية افخارستيا تعنى الشكر- متذكرين موته الكفارى، وهى المناسبة التى يتم فيها الاتحاد الحى للمؤمنين معه، والشركة بين المؤمنين بعضهم وبعض. وكما كان يشير الفصح إلى الذكرى الحية للخلاص المعجزى من أرض العبودية، وفى نفس الوقت إلى حمل الله. وأعمق سر فى المسيحية يتجسد دائما أمامنا فى العشاء الربانى حيث تُرسم قصة الصليب أمامنا. ومع أن المسيح جالس عن يمين الله فى الأعالى، لكنه حاضر فعلاً فى كنيسته إلى نهاية العالم، فهو الخبز النازل من السماء، لكل من يمتحن نفسه بتدقيق، ويتقدم معترفاً بجوعه وعطشه للوليمة السماوية. ولذلك فإن شركة العشاء الربانى تأتى دائما فى أعمق مكان من العبادة المسيحية. وثمة تعبير مسيحى آخر وهو «كسر الخبز» «Fraction Panis» وقد استخدمه القديس لوقا فى وصفه للعشاء الأخير الذى أقامه الرب يسوع المسيح (لوقا٢٢: ١٩، أعمال الرسل ٢: ٤٢ و٤٦).

ويعتقد شاف أنه فى العصر الرسولى كان يتم الاحتفال يومياً بالعشاء الربانى، وكان يُقدم مع وليمة محبة(Agape)

بسيطة تعبر عن المحبة الأخوية والتى من خلالها ينسى المسيحيون فى شركتهم مع فاديهم كل الفروق التى بين المؤمنين بعضهم، ومن مكانة اجتماعية أو جاه أو غنى أو ثقافة، ويشعر كل واحد منهم أنه عضو فى عائلة الله. ولكن أصبحت وليمة المحبة البسيطة، التى تعبر عن الوحدة بين الإخوة، أمراً صعباً مع نمو الكنيسة وازدياد عدد أعضائها. حيث أن هناك من أساءوا استخدامها. يرتبط العشاء الربانى بيوم الأحد. «الصلة وثيقة بين الأفخارستيا ويوم الرب-يوم الأحد هذا يوم قيامة المسيح من الموت، وإعلانه عن الحياة الجديدة. فصار هذا فى الكنيسة يوم الافخارستيا». (د. وليم سليمان قلادة: تعاليم الرسل-الدسقولية). ولارتباط العشاء الربانى بيوم الأحد يستنتج بعض الباحثين أن ممارسة العشاء الربانى كانت تتم فى يوم الأحد فحسب، فى الكنيسة الأولى.

إن يوم السبت هو يوم الراحة الذى يذكرنا بخلق الله للعالم، والخلود إلى الراحة يعنى الانتهاء من الخلق واكتماله. وقيامة الرب يسوع المسيح من بين الأموات فى يوم الأحد لها دلالة هامة، إذ تأتى قيامته بعد انقضاء أيام الأسبوع، فيوم الأحد إذن هو اليوم الثامن، أى اليوم الأول فى الدهر الجديد. حيث أكمل السيد المسيح عمله الخلاصى بموته على الصليب ثم بقيامته. «من هنا فإن اليوم الثامن يوضع فى مقابل الأسبوع. ويكون الأسبوع جزءاً من الزمن الحاضر. أما اليوم الثامن فهو خارجه. الأسبوع يتكون من تعاقب الأيام، أما اليوم الثامن فليس من يوم يأتى بعده. إنه اليوم الأخير» (د.وليم سليمان قلادة: تعاليم الرسل-الدسقولية).

إن الرسول بولس يطلب أن يعد المسيحيون أنفسهم للعشاء الربانى بأن يمتحن الإنسان نفسه (راجع كورنثوس الأولى١١:٢٨). أى أنه كان على المؤمنين أن يفحصوا أنفسهم فحصاً دقيقاً، وفيما يتعلق بالإيمان والتوبة، حتى بدلاً من أن ينالوا بركة من المسيح، يأخذون دينونة (راجع كورنثوس الأولى١١:٢٩). وهذا التحذير هو السبب فى الممارسات الكنسية التى تتم استعداداً للعشاء الربانى.

ومع مرور الوقت أصبحت وليمة المحبة-التى تسبق دائما العشاء الربانى- محل اعتراض شديد، لذا انفصلت شيئاً فشيئاً عن العشاء الربانى، وقد اختفت تماماً خلال القرنين الثانى والثالث.

ويذكر آ.هامان (A.Hamman) فى موسوعة تاريخ الكنيسة أن القديس اغناطيوس يستخدم عبارة «العشاء الربانى» كتعبير فى كتاباته(Eph.13,1 ; phil.4 ; Smyrn.7,1 ; 8 ,1) ولعله يستخدم أيضا عبارة «وليمة محبة» مقترنة بالمعمودية (Smynn8,2). أما القديس يوستينوس(يوستين) فيستخدم عبارة «العشاء الربانى» بمعنى صلاة، ويستخدمها أيضاً بمعنى طعام، وكذلك يستخدم تعبير «للذكرى»(Dial 41,1; 70, 4; 117, 3) وكذلك يكررها أحيانا القديس يوحنا ذهبى الفم.

وقد استخدمت الكنيسة اليونانية فى القرن الرابع تعبير الأسرار(Mysteyion) بصيغة الجمع ولا سيما عبارة الأسرار المقدسة وباللاتينية «Mysteria» وترجمت أيضا(Sacramenta) واستخدمها كل من كبريانوس وترتليانس وأمبروزيوس، وأغسطينوس.

فى القرون الأولى للمسيحية كان «كسر الخبز» جزءاً أساسياً من العبادة- كما سبق القول- فكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات»(أعمال الرسل ٢:٤٢). ويبدو أن كسر الخبز ارتبط بالوجبة التى تناولها المسيح المقام حيث أخذ خبزاً وبارك وكسر(لوقا٢٤: ٣٠). وارتبط كسر الخبز بالعشاء الأخير للمسيح مع تلاميذه، بالفرح بقيامته، حتى أن القديس بولس قال عن هذه المناسبة «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ»(كورنثوس الأولى١١:٢٦).

يأخذ موضوع «العشاء الربانى» مكاناً رئيسياً فى رسائل

القديس اغناطيوس، حيث يرتبط العشاء الربانى بالصلاة. (Eph.5,2;b13,1;20,2;Magn.7,1-2;phil;1-4;Smyrn.7,1; 8,1-2)

أما القديس يوستينوس فيقدم لنا أول شرح للعشاء الربانى فى علاقته بالمعمودية وبيوم الأحد(1Apol.65 and 67) «تُقرأ الفصول التى كتبها الرسل والأنبياء»، ومن يقوم بالصلاة يلقى العظة، ويحضر الخبز والخمر الممزوجة بالمياه، ثم يصلى صلاة الشكر التى للتكريس. ويجيب كل المصلين: آمين. ويتم توزيع العشاء الربانى بدون نسيان من لم يحضروا. إن عشاء الرب الذى يقدم الأحد هو ذكر لكل التاريخ، منذ الخلق وحتى إتمام الخلاص.

أما بالنسبة للقديس إيريناوس(توفى سنة ٢٠٠م) فيأتى العشاء الربانى فى قلب رؤيته للعالم والتاريخ، مناقضاً النظريات الغنوسية، بديناميكية ما يحمله العشاء الربانى من أسرار. فالخبز والخمر لم يخلُصا ،بل يُخلِّصا أيضا، وهى دائرة من نعمة المسيح وجسده ودمه. أو بالحرى، سر كل تاريخ الخلاص، أو كما يعبر عنها ايريناوس «التدبير». فالعشاء الربانى هو تحقيق لكل التاريخ الطويل لكل العطايا الروحية التى قدمت على الأرض فى المسيح(Adv. haer.iv,17-18). وقد تكرر الحديث عن مكانة العشاء الربانى فى «أعمال الشهداء»، وذلك لإبراز أن الاستشهاد هو طريق الآلام المؤدى إلى المجد، وقد كتب ذلك كل من أغناطيوس وبوليكاربوس (Ignatius,poly carp,martyrs of Lyons).

وقدم قدم القديس كبريانوس أول تعليق واضح عن العشاء الربانى. فقد ربط بين العشاء الربانى وآلام المسيح وقيامته بالإضافة إلى النشوة الروحية والفرح الروحى. وهو يرى أن كل ذلك متضمن فى المسيح، فيرى فى ذلك درساً للوحدة. وذلك من خلال الرمز، كما جاء فى الدسقولية. حيث تتحد حَبَّات القمح معاً لتكوِّن خبزاً واحداً.

العصر الذهبى للآبائيات هو عصر الليتورجيات العظيمة، فى الشرق وفى الغرب. حيث نشأت الليتورجيات وتطورت فى كل من كنائس أنطاكية وإسكندرية والقسطنطينية. وشيئاً فشيئاً أصبحت لكل كنيسة الليتورجية الخاصة بها.

فقد قدمت الكنيسة فى الشرق «السر» فى القرن الرابع. فالليتورجية السريانية(والبيزنطية التى نبعت منها، قد أكدتا على الصلاة من أجل حلول الروح القدس، والصلاة من أجل طلب حلول الروح القدس والشفاعة، قد تغيرت من عائلة لأخرى من الكنائس. أما فى الغرب قد نزعوا إلى عدم الربط بين الجزء الخاص بالوعظ وصلاة الشكر وتمجيد الله فى العشاء الربانى والعقيدة، وكما تتضمن الكلمة فإنها تعنى أنه تم تنظيمها مرة واحدة ولكل الكنائس.

إن معلوماتنا عن تعاليم الآباء والخاصة «بالأسرار» تأتى من التعليم الخاص بالمعمودية بالأحرى عن كوننا نعرفها من خلال الاعتراضات التى واجهتها(والتى هى فعلياً غير موجودة).

إن الآباء يشرحون مختلف الطقوس المرتبطة بالعشاء الربانى، من صلوات وإعداد للشركة المقدسة، شركة العشاء الربانى وصلاة الشكر. وهم يؤمنون أن العشاء الربانى هو الفداء. السر الذى يتضمن تدبير لكل عمل الفداء والخلاص والذى أتمه المسيح، من الموت وحتى القيامة.إن بعض آباء كنيسة أنطاكية مثل ثيودورس الموبسوستى- لا يهتمون بالرموز الكتابية.

ويرى القديس يوحنا ذهبى الفم والقديس أغسطينوس أن سر الافخارستيا قد تأسس مع مذبح الرب، إنه السر الذى تسلمتوه والذى تجيبون عليه «بآمين»(Aug.,Serm.272) ويوضح ذهبى الفم النتائج الاجتماعية والملموسة لعشاء الرب فيقول: «إن المذبح قائم على أعضاء المسيح وخاصته، وجسد الرب هو لكم أساس الذبيحة»(John Chrys.,in2

(cor.hom20,3).

ويذكر شاف النظريات المختلفة والتى تعرّف العشاء الربانى على أنه:

١- ذكر لذبيحة المسيح الكفارية على الصليب.

٢- وليمة اتحاد حى بين المؤمنين والمخلص وبواسطتها يقبلون المسيح روحياً وبالإيمان، ويتغذون بحياته إلى الحياة الأبدية.

٣- شركة المؤمنين بعضهم وبعض كأعضاء فى جسد المسيح السرى الواحد.

٤- ذبيحة شكر نقدمها ونخدم بها المسيح الذى مات من أجلنا، وحيث ينبغى أن نعيش من أجله.

إنه لمن نعمة الله أن بركة العشاء الربانى لا تتوقف على فهمنا وتفسيراتنا المختلفة للعبارات التى أسس بها الرب يسوع المسيح العشاء الربانى.

بل على وعد الرب يسوع وعلى الإيمان الذى يشبه إيمان الأطفال. وعلى ذلك فإن المسيحيين من مختلف الطوائف، ومختلف الآراء يمكنهم أن يجتمعوا حول مائدة إلههم ومخلصهم ويشعرون بالوحدة معه وفيه.

✣ ✣ ✣ ✣

(ب) المعمودية عند الآباء

١- معمودية الكبار.
٢- الاعتراضات على إعادة المعمودية.
٣- المعمودية بالرش.
٤- معمودية الأطفال.

(أ) معمودية الكبار

لم يكن منشأ المعمودية فى المسيحية، فقد عُرفت المعمودية ومارستها جماعات عديدة قبل زمن السيد المسيح، فمارسها اليهود لقبول الدخلاء. ويذكر أ.هامان (A.Hamman) أن المعمودية عند الآباء كانت تتم بالتغطيس. وباختصارفإن المعمودية فى المسيحية تشير إلى المراحل التى كانت تتم لطالب المعمودية. حيث كان يقطع كل صلته بالخطية، وينتقل - من خلال الإيمان - إلى علاقة جديدة. بالله المثلث الأقانيم. (موسوعة الكنيسة الأولى).

إن أول معلومات محددة عن المعمودية نجدها فى سفر أعمال الرسل(٨:٣٧)، وفى تعاليم الرسل(Didache)، وفى كتابات يوستينوس الشهيد(ضد الهرطقات١:٦٣)، وهى المرة الأولى التى يذكر فيها طقس المعمودية (الطقس الآبائى٢١ وقد أكدت ذلك مخطوطة فيرونا). ولكن بعض الآباء الأولين مثل ايريناوس وأوريجانوس تناولوا موضوع المعمودية لاهوتياً بالحرى بأكثر مما تناولوه طقسياً.

ويبدو أن طقس المعمودية قد أصبح معترفاً به من الجميع بحلول القرن الرابع الميلادى. ومعظم الآباء مثل القديسين، كيرلس الأورشليمى، يوحنا ذهبى الفم، أمبروزيوس، أغسطينوس، وتيودوروس الموبسوستى يقدمون لنا تعليماً عقائدياً وطقسياً معاً. ويرى هامان أن هذا يساعدنا على أن نصف تطورها وتوضيح ما هو عادى أو غير عادى للطقوس العديدة فى العصر الذهبى للآبائيات .وأول كل شئ يجب أن نوضحه هو أن المعمودية ليست عملاً سحرياً.

فالإيمان شرط لفاعليتها وتأثيرها وتبدأ فعالية المعمودية بجحد الشيطان والاعتراف بالإيمان المسيحى(موسوعة الكنيسة الأولى).

ويقوم طالب المعمودية بالإجابة عن ثلاثة أسئلة عن (الشيطان والغواية والأعمال. ترتليانوس). وهذا غير مذكور فى النسخة اللاتينية، بل يبدو أنه انعكاس لتقليد شرقى. ويبدو أن الصياغة المستخدمة للمفرد تدل على الممارسة الفردية.

كان القديسان كيرلس وايزيدور يمهدان للمعمودية بالمسح بالزيت. فكانا يقومان بمسح كل أجزاء الجسد بالزيت (وقد كان القدماء يغطون أجسادهم بالزيت قبل الاغتسال لحمايتها). وكان يبارك الزيتَ الأسقفُ-إذا كان موجوداً-أو الكاهن. كما يذكر القديس امبروزيوس ذلك. وكان المسح بالزيت لتشجيع طالب المعمودية فى حربه ضد العدو(الشيطان). وجدير بالملاحظة أن الكنيسة السريانية لم تعرف المسح بالزيت قبل المعمودية قبل القرن الخامس.

كانت المعمودية فى **الغرب** تتم بأن طالب المعمودية ينزل إلى جرن المعمودية حتى خصره. وكان الماء يسكب عليه.

ويأتى ذكر سكب الماء فى الدسقولية أو تعاليم الرسل(١:٧) ثم يأتى الاعتراف بالآب والابن والروح القدس(ويذكر ذلك كل من ترتليانوس وهيبوليتس) كما يذكر ثيودورس فى كتابه(Hom.Cat.14,16) الصياغة (N) حيث تتم المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس، وهذا ما يذكره أيضا القديس ذهبى الفم فى كتاب: (Catech bab. 2:26) ،وكذلك الطقوس السريانية المتأخرة.

والتفاصيل الطقسية للمعمودية توضح أنه فى الكنيسة السريانية كان التأكيد على الدور الأساسى الذى كان يتم فى المعمودية تشبهاً بالسيد المسيح. فالمعمودية هى موت وقيامة، وهى بذلك تعنى المشاركة فى الفصح، من الآلام وحتى القيامة. إنه الخروج الجديد، عبور البحر الأحمر والأردن ودخول أرض الموعد. فمياه المعمودية هى بمثابة القبر أو رحم الأم كما يقول القديس كيرلس(Cat 20,4).

فالانغمار فى المياه يذكِّر بأمومة الكنيسة. وهذا الكلام يرد فى التعليم عن المعمودية كما قال زينون(Zeno) الذى مسقط رأسه فيرونا بإيطاليا: «الكنيسة هى حواء الجديدة، التى أصبحت أم كل حى».

ويميز القديس ترتليانوس بين المسح بالزيت، ورسم علامة الصليب على جبهة الرأس، ووضع اليد أو الأيادى. والنصوص اللاتينية لا تذكر ما يساعدنا على معرفة موضوع التثبيت.

والقديس ثيودورس يتكلم عن نوعين من رسم إشارة الصليب؛ قبل المعمودية وبعدها. ولكن لا يذكر شيئاً عن الزيت العطرى(Hom.14,27).

ويبدو أن القديس أغسطينوس يفرق بين المسح بالزيت ووضع اليد. وهنا تظهر مسألة الميرون، أى المسح بالزيت المقدس، فهل يتم المسح بالزيت في اسم الروح القدس أم فى اسم الثالوث (Cyril:cat.21,3 Theodore:Catech bap 3,8.).

وفى الشرق، منذ القرن الرابع، فإن الميرون يصلى عليه الأسقف ويقول: «ختم هبة الروح القدس»، ويفهم منه أنه يعنى هبة الروح القدس(Cyril:Cat 21)

وبعد المعمودية يرتدى المبتدئ فى الإيمان رداءً أبيض، وإن كان يبدو أن هيبولتيس لا يعرف عنه شيئا.

وقد أصبح ذلك الرداء الأبيض شائعاً فى الشرق والغرب خلال القرن الرابع(Cyril : cat 22,8). وذلك الرداء الأبيض يرمز إلى نقاوة القلب، وعدم فساد الجسد. ويرى الآباء فى ذلك استرداداً للحالة التى كان عليها الإنسان فى جنة عدن(ويقول بذلك كل من امبروزيوس وغريغوريوس). والتشبه بالمسيح المتجلى يعد علامة أخروية (ثيودورس) (Theodore: Catech. 14,26) وقد أضاف إليه الغرب «النور» فى القرن الخامس، كما أضاف الشرق «التاج»، وربما يرجع ذلك إلى تقليد يهودى-مسيحى.

٢- الاعتراضات على إعادة المعمودية

إن الانقسام الذى أحدثه نوڤاتيان(Novatian) (وتذكره بعض المراجع نوڤاتوس/أونوڤاتيانوس) أبرز سؤالا هاماً، وهو هل يعيد من اعتمدوا على يد نوڤاتيان المعمودية مرة أخرى

إذا عادوا إلى الكنيسة مرة أخرى(يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ٤٣:٦). وكانت هذه بداية الاعتراضات على المعمودية(٢٥٥م-٢٥٧م). إذ قام أتباع نوفاتيان بإعادة المعمودية لكل من انتقل إليهم من الكنيسة(يوسابيوس المرجع السابق٨:٨، وكبريانوس (Ep. 4:32). وقد سأل شخص يدعى ماجنوس(Magnus) القديس كبريانوس عمَّا إذا كان الأشخاص الذين رجعوا من أتباع نوفاتيان يجب أن يعتمدوا مرة أخرى فى الكنيسة. وقد أجاب القديس كبريانوس على ذلك فى الرسالة رقم (٦٩) إلى ماجنوس(سنة٢٥٥م) قائلاً: «**حيث أن الهراطقة لا سلطة لهم لأن يقوموا بالتعميد، فإن تعميد من تحولوا عن الهرطقة لا تعتبر المعمودية الثانية بالنسبة لهم، بل المعمودية الأولى**». وهذا الرأى مبنى على أساس أن المعمودية غير موجودة فى ذاتها حيث أنه لا تعتبر أى معمودية خارج الكنيسة(راجع كبريانوس الوحدة ١١، ضد نوفاتيان). ويرى دوسيمون(De simone)أن كبريانوس ارتكب خطأ عندما ربط بين صحة الطقس واستقامة من يقوم بممارسته. وقد أرسل كبريانوس سؤالاً مشابهاً إلى ثمانية عشر أسقفاً من نوميديا (Numidia) المشاركين فى المجمع الخامس المنعقد بقرطاجنة(وهو المجمع الأول الذى ناقش أموراً خاصة بالمعمودية (PL3,1035-1044) وذلك فى ربيع سنة(٢٥٥م) (كبريانوس الرسالة رقم٧٠) وجاء فيها:

"لا أحد يمكن أن يعتمد خارج الكنيسة. (المرجع السابق١). ولم يوافق الأسقف كونتوس (Quintos) ممثل موريتانيا على ذلك، وقال لكبريانوس إنه وزملاءه كانوا على علم بصحة المعمودية التى كان يقوم بها الهراطقة. وقد رد كبريانوس على كونتوس قائلاً:

«يجب ألا يحتكم المرء إلى العُرف بل إلى العقل للتغلب على المشاكل» وقد احتكم إلى سلفه على كرسى أغريبيوس(Agrippinus)، وإلى مجمع قرطاجنة الأول (وكان قد عُقد فى سنة ٢٢٠م) الذى قرر أن معمودية الهراطقة غير صحيحة (كبريانوس الرسالة رقم ٢٤:١٧) الرسالة رقم ٣:٧٢).

وفى ربيع عام (٢٥٦م) اجتمع الأساقفة ممثلو أفريقيا ونوميديا فى المجمع السادس بقرطاجنة(المجمع الثانى الذى ناقش ما يختص بالمعمودية). (P13,1044-1050) والذى أكد على ما سبق أن قرره المجمع الخامس. وقد وصل الأمر إلى البابا استفانوس عن طريق رسالة كتبها القديس كبريانوس وأرسلها المجمع إلى البابا(الرسالة رقم ٧٢ إلى استفانوس سنة ٢٥٦). وقد جاء فيها: «إننا لا نرغب فى سَن أى قانون، لأن كل أسقف مسئول أمام الله عن أعماله» (المرجع السابق٣) فى حين فُقدت رسالة البابا، ويبدو أنه هددً بالحرم(كبريانوس رسالة رقم ٢٤:٧٥، من فرمليانوس (Firmilian) إلى كبريانوس، سنة ٢٥٦م).

لقد رفض البابا أن يستقبل وفداً من قِبَل البابا فى أفريقيا(المرجع السابق٢٥). وفى الرسالة رقم ٧٣ إلى يوبايانوس(Jubaianus) فى سنة ٢٥٦م ذكر أن كبريانوس رأى أن ممارسة أتباع نوفاتيان لإعادة المعمودية لاعلاقة لها بالمعمودية الجديدة فى الكنيسة، لأن نوفاتيان ربط بين أن يعتمد الشخص معمودية واحدة وأن يقوم هو بها (أو أتباعه)، وهو فى ذلك إنما يقوم بمحاكاة ما فعلته الكنيسة(المرجع السابق-٢).

وفى(١سبتمبر سنة ٢٥٦م) نجح كبريانوس فى ضم كل الأساقفة من الأفارقة إلى صفه: وقد حصل على رضى الأساقفة بالإجماع فى المجمع السابع والذى عقد بقرطاجنة. (وهو المجمع الثالث الذى يناقش موضوع المعمودية (P1 3: 1051-1078) وقد صرح البابا استفانوس: «إنه يجب وضع الأيادى فحسب- علامة على التوبة- على رأس من يرجع عن الهرطقة (كبريانوس رسالة رقم ١:٧٤). ولم يقتصر ما فعله البابا

استفانوس- فيما يتعلق بالمعمودية التى يقوم بها الهراطقة- على شمالى أفريقيا. فقد كتب للكنائس فى أسيا الصغرى، أى كنائس كيليكية وكبادوكية وغلاطية وإلى المناطق المجاورة. طالباً منهم التخلص من ممارسة إعادة المعمودية وهدد بالحرم (رسالة رقم٧٥:١٨، ويوسابيوس تاريخ الكنيسة ٧:٥:٤-٥). وقد أيّد فرمليانوس أسقف قيصرية فى كبادوكية رأى القديس كبريانوس وألقى باللوم على البابا استفانوس للتفرقة بين روما والشرق(كبريانوس رسالة ٧٠). وقد احتكم البابا استفانوس بإنجيل متى(١٦:١٨). فانتهى الأمر على نحو غير متوقع، وذلك بموت البابا استفانوس وذلك فى سنة ٢٥٧م، واستشهاد القديس كبريانوس فى ١٤ سبتمبر ٢٥٨م.

وقد عمل القديس ديونسيوس السكندرى على استرضاء الأطراف المتصارعة (راجع يوسابيوس- مرجع سابق ٧ : ٣-٦، ٧:٩:١و٦). وقد بحث مجمع أريس (Aries) فى سنة (٣١٤م) موضوع المعمودية التى يجريها الهراطقة وأجازها (قانون٩و٨) ويونسيوس١٢٣). وقد تناقص إجراء إعادة المعمودية فى أفريقيا والفضل فى ذلك يرجع إلى القديس أغسطينوس وموقفه ضد أتباع دوناتيان.

٣- المعمودية بالرش

يذكر شاف(Schaff) أن المعمودية بالرش أو سكب الماء كانت تتم فى الكنيسة الأولى فى حالتين وهما:

١-للمرض.

٢-من كانوا على فراش الموت.

وفى هاتين الحالتين لم يكن الغمر الكامل أو الجزئى فى المياه أمراً عملياً. ويرى بعض الباحثين أن هذا الأمر ينطبق أيضا على حالة معمودية الآلاف الثلاثة فى الكنيسة الأولى فى يوم الخمسين، لأن أورشليم لم يكن بها مصادر للمياه، وقدرون مكان جاف فى الصيف، وكان يوجد بها العديد من البرك. ولكن لا يتفق مع روح الإنجيل أن نحد من عمل الروح القدس بكمية المياه، وفيرة أو قليلة، دافئة أم باردة،عذبة أم مالحة، سواء من نهر أو نبع مياه، فهى أمر نسبى، ولا يمكن أن يؤثر على صحة الطقس الممارسة. فالماء ضرورى جداً لعملية المعمودية، كرمز مناسب للتطهير والتجديد الذى يحدثه الروح القدس.

٤-معمودية الأطفال

لقد أنكر بعض علماء اللاهوت - وكذلك بعض ممارسى الطقس- معمودية الأطفال. أو يؤكدون على أن معمودية الأطفال لاتتفق مع فكرة الطقس نفسه. فالمعمودية تتطلب من الراغب فى المعمودية التوبة والإيمان والكرازة بالإنجيل. والأطفال لا يمكنهم أن يدركوا معانيها وأبعادها. وإنما هى موضوعات مهمة لراغبى التجديد من الراشدين. صحيح، أنه لا يوجد فى العهد الجديد أى وصية تشير إلى معمودية الأطفال، وكما يرى شاف، فإن مثل هذه الوصية لا تتفق مع روح حرية الإنجيل. ولم يكن ثمة إلزام أو تعميد للأطفال بعامة قبل أن تتحد الكنيسة والدولة. وقد أجل قسطنطين، أول امبراطور مسيحى، اعتماده حتى توفى. وقد كان هناك معلمون بارزون أمثال غريغوريوس النزيانزى، وأغسطينوس، ويوحنا ذهبى الفم، لم يعتمدوا قبل أن يؤمنوا فى شبابهم، بالرغم من أن أمهاتهم كن مسيحيات.

وفى نفس الوقت فإنه ليس فى العهد الجديد أمر صريح يمنع معمودية الأطفال. بل يعتقد أنه فى ضوء المفهوم العام لليهود، وهو السماح للأطفال من خلال الختان فى اليوم الثامن بعد الولادة للدخول فى العهد(القديم). فمن المتوقع أنه يسمح بمعمودية الأطفال على غرار المفهوم العام اليهودى. وتوجد آراء إيجابية وافتراضات ترجع إلى عصر الآباء فيما يتعلق بتعميد الأطفال. كالعلامة التى تربط الآباء المسيحيين بأبنائهم، فى ضوء طبيعة العهد الجديد، حيث أنه أكثر شمولاً من

العهد القديم. فالمسيح - له المجد - يفدى ويخلص كل الأجناس والأعمار والمستويات الاجتماعية. ويتضح ذلك جلياً فى دعوته للأطفال، حيث قال: «دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات»(مت١٩: ١٤). وهو بالتأكيد لن يتركهم بدون علامة أو ختم الشركة، ليكونوا أعضاءً فى الجسد الذى هو الكنيسة.

ويرى البعض أن النظرة المسيحية هى نظرة واضحة، فهى تتجه لكل المسيحيين، لا لأفراد فحسب، بل لكل الأمم، وهذا يتضمن الأطفال، بدون شك. لقد عبَّر بطرس الرسول فى الممارسة الأولى للمعمودية، أن المعمودية هى وعد بغفران الخطايا، والوعد بالروح القدس هو لليهود «ولأولادهم».

وتوجد خمسة أمثلة فى العهد الجديد عن معمودية كل العائلات، حيث أن وجود أطفال فى تلك العائلات أمر محتمل إلى حدٍ بعيد، عن غيابهم فى كل العائلات. وأخيراً فإن الممارسة العامة للكنيسة الأولى، ضد الاعتراض الوحيد الذى وصلنا من ترتليانوس. وهذا الاعتراض يتفق مع الأفكار المونتانية. إلاَّ أن اعتراض ترتليانوس يتضمن أن معمودية الأطفال كانت منتشرة وشائعة فى ذلك الوقت.

وكان ترتليانوس ينصح بتأجيل المعمودية كنوع من الحكمة، خشية أن يعود من اعتمد ويخطئ مرة أخرى، وربما للأبد. مما يُفقد الطقس مزاياه. ولكن لا موضع - فيما عدا ذلك - لإنكار النشأة الرسولية لمعمودية الأطفال.

على أنه يجب أن نضيف أن معمودية الأطفال لا معنى لها، وتعتبر تقليلاً من الطقس، ما لم يكن الأبوان مسيحيين ويعتنيان بطفلهما ويعلمانه التعليم المسيحى.

وهكذا تكتمل المعمودية بالتكريس الشخصى، إلى أن يؤمن الطفل بالمسيح عن حرية بعد أن يحصل على القدر المناسب من تعليم الإنجيل. أما عن التثبيت فتوجد آثار مبكرة عن الممارسة الرسولية للتثبيت وتمثل ذلك فى وضع الأيادى.

✣ ✣ ✣ ✣

(جـ) يوم الرب

(١) سبب الاحتفال بيوم الأحد.
(٢) أقدم صياغة للاحتفال بالأحد.
(٣) الأسماء التى أطلقت على يوم الأحد.

(١) سبب الاحتفال بيوم الأحد

يرجع الاحتفال بيوم الرب - كذكرى بقيامة السيد المسيح من بين الأموات - إلى العصر الرسولى. وقد تأكد هذا التقليد من خلال شهادات الكُتَّاب الأوائل إبان العصر الرسولى. فالاحتفال بيوم الأحد كان معروفاً فى الكنيسة الأولى، وقد ذكر للمرة الأولى فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس(١٦: ٢). ولم يكن الاحتفال بيوم الأحد يقام فى الصباح، بل فى المساء(أعمال ٢٠: ٧).

ومن ناحية أخرى فإنه حتى القرن الثانى لم تكن قيامة السيد المسيح تذكر باعتبارها سبب احتفال الأحد إلاَّ بصفة عابرة. ومن ثم فقد طرحت فى هذا الصدد نظريتان وهما:

(أ) كان المسيحيون يجتمعون فى البداية فى أيام السبت (كما يقول هـ.ريسنفيلد(H.Riesenfeld)، (ر. ستاتس R.Staats) حيث كان من الطبيعى أن يجتمعوا «لكسر الخبز» بالارتباط مع السبت اليهودى(الذى كان المسيحيون الأوائل لا يزالون يحتفلون به).

ولم ينتقل الاحتفال إلى صباح الأحد كذكرى لقيامة السيد المسيح إلا فى القرن الثانى.

(ب) يفترض أن المسيحيين الأوائل كانوا يجتمعون من أجل «العشاء الربانى» مساء الأحد(أعمال الرسل ٢٠: ٧،

بلينى الأصغر: رسالة عيد الفصح، يوحنا ٢٠:١٩). وعلى أساس أن المسيح المقام تناول الطعام مع تلاميذه(لوقا ٢٤: ٣٠، ٤١-٤٣، أعمال الرسل١:٣-٢٦). وهذا ما ذكره كل من كولويرت Callewaert، وكولمان(Cullmann، د.روردورف (Rordorf)، ودوماين(Domaine)، على سبيل المثال.

(٢) اقدم صياغة للاحتفال بالأحد

أقدم صيغة لاحتفال الأحد، يمكن الاستدلال عليها من الدسقولية، ورسالة بلينى Pliny، ومما كتبه يوستينوس وهيبوليتس تحت عنوان «التقليد الرسولى».

(أ) فى البداية، كان يحتفل بالأفخارستيا فى المساء مع وجبة كاملة(كورنثوس الأولى١١:٢٥) وكان لهذا الاحتفال طابع أخروى، إلا أنه لم يقتصر على معنى انتظار نهاية العالم، بقدر ما تمثل فى حقيقة أنهم كانوا مدركين لحقيقة حضور الرب الممجد، ومن أجل هذا كانوا يولون اهتماماً بالشركة المقدسة.

ولهذا السبب أخضعوا أنفسهم لفحص شديد لضمائرهم قبل التناول من الشركة المقدسة، وكانوا يغفرون بعضهم لبعض زلاتهم(كورنثوس الأولى١١:٢٨-٣٤، الدسقولية ١٠:١٦، ١٤:١و٢) (وذلك تطبيقاً لما جاء فى متى ٥:٢٣-٢٦، وما ذكره ترتليانوس الدفاعيات:٣٩)

(ب) كما يذكر و.رودورف (Rordorf) أن ثمة احتفالاً مسيحياً فى الصباح الباكر قبل الفجر، وبعد ذلك كان فى فترة مبكرة من تاريخ الكنيسة وكان بلينى أول من ذكر هذا. ويشير البعض إلى أن لذلك علاقة بالمعمودية وبعد إلغاء الاحتفال المسائى فى نفس الفترة (يذكر بلينى أن السبب فى ذلك هو منع تردد بنات الليل). وبذلك أصبحت الليتورجية قاصرة على وقت مبكر من صباح الأحد.

(٣) والأسماء التى اطلقت على يوم الأحد هى

أ- يوم الرب: هذا هو الاسم المسيحى الجديد لهذا اليوم، وأول ذكر جاء فى سفر الرؤيا(١٠:١) ثم فى الدسقولية، وفى كتابات ديونيسيوس الذى من كورنثوس(وهو يماثل ما ذكره يوسابيوس القيصرى وآخرون من أن «يوم الرب» يعد صيغة مماثلة لعبارة «عشاء الرب» (كورنثوس الأولى١١: ٢٠). ويوم الأحد هو اليوم الذى يذكرنا بالرب يسوع المسيح، وذلك يرجع لأنه احتفل فيه «بعشاء الرب». وقد شهد ايريناوس، ومسقط رأسه ليون، نحو عام ١٧٠م بالاحتفال بيوم الرب.أما ترتليانوس فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث فيرى «إن يوم الرب هو صورة رمزية للراحة من الخطية، وهو ما يماثل تماماً الراحة الأبدية للإنسان». ويضيف قائلاً:«إننا لدينا احتفالاتنا الدينية الخاصة مثل يوم الرب، وعيد حلول الروح القدس». وكان يظن أنه من الخطأ الصوم فى يوم الرب، أو الصلاة بسجود فى ذلك اليوم «إننا يجب أن نعرف يوم الرب فى فرح». وكذلك رأى أنه من الواجب المسيحى أن لا نعمل أو نهتم اهتمامات دنيوية فى يوم الرب، خشية أن نفسح مكاناً لابليس. وكذلك كان ترتليانوس هو أول من تحدث عن التوقف عن العمل فى يوم الأحد بين المسيحيين. وكذلك أشار ترتليانوس إلى عادة الوقوف للصلاة فى يوم الرب كأمر ضرورى ومهم كتعبير عن الفرح والبهجة الذى يتصف به ذلك اليوم، والتى كان المجمع المسكونى قد وافق عليها، إلا أن الكنيسة فى الغرب رفضت ذلك الاقتراح.

ب- اليوم الثامن: ذكره كبريانوس وباسيليوس، وامبروزيوس، كما جاء ذكره فى الدسقولية.. وغيرها). وكما يقول روردورف فإن ذلك يعبر عن حقيقة أن يوم الأحد «يسمو» على بقية أيام الأسبوع، ويمثل نافذة مفتوحة على الأبدية. إن يوم الأحد هو اليوم الأول فى الدهر الجديد(راجع مادة العشاء الربانى).

جـ- أول الأسبوع: هكذا أطلق على يوم الأحد فى التقليد اليهودى، وفى الأناجيل (راجع مرقس ١٦:٢، ويوحنا ٢٠:١٩).

وعلى ذلك يبدأ الأسبوع المسيحى بيوم الأحد. وطبقاً للتقليد الكتابى، هذا هو يوم خلق النور(تك١ :٣). وهذه الحقيقة تجعل المسيحيين أن يتبنوا ذلك اليوم دونما حرج حتى وإن تسمى باسم وثنى هو يوم الشمس، والذى انتشر فى اللغات الجرمانية. ثم أن المسيح أيضا شُبِّه بالشمس(وقد ذكر ذلك كل من اغناطيوس الأنطاكى ويوستينوس، وأوريجانوس، أثناسيوس، وچيروم). ومن المؤكد أن هذا الأمر ترك خطر التوفيق بين الأديان. وكان القديس إغناطيوس هو أول من قارن يوم الأحد مع السبت فى التقليد اليهودى والذى كان قد أهمل. وقال يوستينوس فى مجادلة بينه وأحد اليهود: «إن اختيار اليوم الأول من الأسبوع للعبادة المسيحية إنما يرجع إلى أن الله فى مثل هذا اليوم بدد الظلمة والفوضى، ولأن المسيح قام من بين الأموات وظهر لتلاميذه المجتمعين» إلا أنه لم يشر إلى الوصية الرابعة (شاف: الجزء الثانى).

وقد أقدم قسطنطين الكبير على اعتبار أن يوم الأحد يوم راحة (عطلة) عامة فى الإمبراطورية الرومانية وكان ذلك فى سنة٣٢١م، على اعتبار أن الأحد هو يوم «سبت مسيحى»

(وكان المسيحيون قبل ذلك التاريخ يواصلون العمل فيه، كما ذكرچيروم فى (EP.108,20,3 وغيره) وترسخت فكرة مساواة يوم الأحد بالسبت بشكل تام فى القرن السادس.

ويرى شاف أن الكنيسة فى فترة ما قبل نيقية قد ميزت بين يوم الأحد فى المسيحية، ويوم السبت اليهودى. وقد جعلته مستقلاً تماما وأسسته على أساس مسيحى. لقد اعتبرت الكنيسة أن يوم الأحد يوم مقدس، لأنه يوم الرب، كذكر أسبوعى لقيامة المسيح، وهو من ثم يوم للفرح المقدس، والشكر، ليحتفل به قبل بزوغ الشمس بالصلاة والتسبيح، والشركة مع المسيح المخلص المقام.

وتميز **الكنيسة الشرقية** اليوم السابع من الأسبوع بعدم الصيام فيه(فيما عدا السبت السابق لعيد القيامة) وكذلك بالوقوف أثناء الصلاة. بينما كنيسة اللاتينى - فى تعارض مباشر مع اليهودية - جعلت يوم السبت يوماً للصوم. وقد بدأت هذه المسألة تكون محل خلاف فى أواخر القرن الثانى. (شاف: الجزء الثانى).

⁂ ⁂ ⁂ ⁂

(ء) الصوم والعطاء(الصدقة).

١- الخلفية التاريخية.

٢- الصوم فى العهد القديم.

٣- الصوم فى العهد الجديد.

٤- الصوم فى فكر الآباء.

٥- العطاء (الصدقة).

الفعل العبرى «صُم» بمعنى يغطى الفم أو يغلقه. والفعل اليونانىsesteuo يعنى«يمتنع»(موسوعة بيكر).

ا - الخلفية التاريخية

«كان القدماء على قناعة بأن «الأكل» هو الطريق المفضى إلى الموت: لذا فالآلهة تشتم الطيب من الأريج لكى تحافظ على خلودها. والصوم هو الطقس الذى يمنع قوى الموت- التى تتركز فى الطعام- من التغلغل والنفاذ فى الإنسان. »(موسوعة الكنيسة الأولى).

فى العصور القديمة كان الإنسان يعتمد على إنتاج الأرض من مزروعات، وكذلك على الصيد، وحيث أنه لم يكن ثمة ما يؤكد حصوله على الطعام، فمن ثم كان صومه حتمياً. وكانت الخرافات والجهل تلعب دوراً فى ذلك، إذ كان يمكن تفسير ذلك على أنه إرادة الآلهة. وهكذا كانت تعتبر الصوم على أنه واجب دينى. فكانوا يؤمنون أن الآلهة تغار من سعادة الإنسان، وأن الامتناع عن الطعام يسترضيهم.

وبدراسة الأمر فإننا نجد أن الصوم كواجب دينى أمر شائع فى كل الأديان(قاموس أنجر unger الكتابى الجديد).

٢- الصوم فى العهد القديم

لم ترد الكلمة العبرية «صُم» والتى تدل على الصوم فى أسفار موسى الخمسة، وإنما وردت كثيراً فى الأسفار التاريخية (ارجع إلى: صموئيل الثانى١٢:١٦، ملوك الأول ٢١:٩-١٢، عزرا ٢١:٨)، وفى الأنبياء (إشعياء ٥٨:٣-٥، يوئيل١١:١٤، ٢:١٥، زكريا ٨:١٩وغيرها).وتعبير إذلال النفس الذى ورد بالناموس(لاويين ١٦:٢٩-٣١، ٢٣:٢٧، عدد ٣٠:١٣) يتضمن أن يضحى الإنسان بإرادته الشخصية، ليعطى للصوم كل قيمته.

يتسم الصوم عند اليهود باقترانه بكثير من التشديد. وعندما كانت مدة الصوم يوماً واحداً، كان يُمتنع عن كل أنواع الطعام من المساء إلى مساء اليوم التالى. وبينما فى حالة الصوم الخاص، والذى يمتد لفترة أطول، كان يُمتنع فقط عن الطعام العادى. وذلك بغرض إذلال النفس أمام الله، والندم، وكبح الشهوات وعقاب الشخص لنفسه على ما اقترفه من آثام. ولم يكن ارتداء الخيش والمسوح أمراً غير عادى، وتمزيق الملابس وذر الرماد فوق الرؤوس (صموئيل الثانى ١٣:١٩، ملوك الأول ٢١:٢٧، مكابيين الأول ٣:٤٧، مراثى إرميا ٢:١٠، يونان ٣:٥-٨). ويذكر فى سفر صموئيل الأول: «واستقوا ماءً وسكبوه أمام الرب وصاموا فى ذلك اليوم وقالوا هناك قد أخطأنا إلى الرب». (صموئيل الأول ٧:٦)كما يذكر فى مراثى إرميا «اسكبى كمياه قلبك قُبالة وجه السيد.» (مر إر٢:١٩). ويبدو ذلك للإشارة إلى إنهاء حالة البؤس الألم الداخلية للإنسان. واقترانها بالصوم ربما يكون ذلك للتعبير عن الاعتراف العملى بالبؤس، وفعل صادر من الإنسان قبالة الله.

ويأتى وصف مناسبة عامة فى ناموس موسى للصوم بالتحديد مرة السنة فى يوم الكفارة فى الشهر السابع فى عاشر الشهر «تذللون نفوسكم» (لاويين ١٦:٢٩، ٢٣:٢٧).

وقد اعتاد العبرانيون الصوم فى وقت مبكر من تاريخهم، متى واجهوا ظروفاً صعبة (صموئيل الأول ١:٧، ٢٠:٣٤، ٣١:١٣، صموئيل الثانى ١:١٢). أو فى حالة اقتراف إحدى الخطايا الشنيعة (عزرا ١٠:٦).

أو من أجل تفادى كارثة (استير ٤:١و٣ و١٦). والصيامات غير المعتادة كانت تتم بأمر السلطة الثيوقراطية فى الظروف الصعبة الى تمر بها الأمة وذلك حتى يتواضع الشعب أمام الله بسبب خطاياهم، وذلك تجنباً لغضب الله، حتى ينظر إليهم الرب مرة أخرى (قضاة ٢٠:٢٦، صموئيل الأول ٧:٦، أخبار الأيام الثانى ٢٠:٣، يوئيل ١:١٤، مكابيين ١٣:١٢). فيما عدا ذلك جاءت بعض الصيامات التى ارتبطت بذكر لحوادث معينة بعد السبى. (ارجع إلى إرميا ٥٢:٦ و٧، زكريا ٨:١٩، ملوك الثانى٢٥:٨ و٩، زكريا ٧:٣، ٨:١٩، إرميا ٤١:٤، وزكريا ٧:٥، ٨:١٩).

وأصبح الصوم يتكرر كثيراً..فقد اعتبروه شكلاً من أشكال ممارسة التقوى المألوفة، حتى أن الفريسيين كانوا يصومون بانتظام فى اليومين الثانى والخامس من كل أسبوع .(متى ٩:١٤،لوقا١٨:١٢). مع أن طوائف أخرى مثل طائفة الأسينيين قد أسست كل عبادتها على الصوم.

٣- الصوم فى العهد الجديد

يرد ذكر الصوم عند اليهود فى العهد الجديد فى سفر أعمال الرسل(٢٧:٩) ويفهم منه أن مناسبة الصوم كانت عيد الكفارة. وكذلك الإشارة إلى الصوم الأسبوعى كما جاء فى الأناجيل: متى(٩:١٤)، ومت (٢:١٨)، لوقا(٥:٣٣، ١٨:١٢). وقد تأسست هذه الأصوام فى وقت ما بعد السبى، وكان الصوم يتم فى اليومين الثانى والخامس من كل أسبوع، حيث يشار إليهما على أنهما يومان للصوم العام (إذ يفترض

أن موسى صعد الجبل ليتلقى لوحى الشريعة من الرب مرة أخرى فى يوم الخميس وعاد فى يوم الاثنين). وقد تم اختيارهما من أجل الصوم الاختيارى.

وقد وبّخ بشدة السيد المسيح الفريسيين من أجل ريائهم لأنهم يغيرون وجوههم ليظهروا للناس صائمين(متى ٦:١٦-١٨).وقد امتنع السيد المسيح عن تحديد أى أصوام للمسيحية (ارجع إلى متى ٩:١٤و١٥ ، ١١:١٨و١٩) وقد ذكرت الصلاة مقترنة بالصوم فى إنجيل متى(١٧:٢١) وإنجيل مرقس (٩:٢٩) على أنهما وسيلتان لنمو الإيمان، وعملان صالحان.

وقد ورد ذكر الصوم أيضا فى كنيسة الآباء(أعمال ١٣:٣، ١٤:٢٣، كورنثوس الثانية ٦:٥).ويقدم الرسول بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس موضوع الصوم على أنه اختيارى، كما يميز بين «الصوم» «والجوع والعطش»(٢كو ١١:٢٧).

ارتبط الصوم بالصلاة، حتى لا ينشغل العقل بالأمور الدنيوية، وليكرس الصائم نفسه للتأمل فى الأمورالإلهية. وكما صام الفريسيون يومى الاثنين والخميس هكذا حدد المسيحيون يومى الأربعاء ولا سيما الجمعة للانقطاع عن الطعام وأكل اللحم. وذلك ذكرى لآلام وصلب السيد المسيح. عملاً بقول السيد: «ولكن ستأتى أيام حُين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون» (متى ٩:١٥).

وفى القرن الثانى ظهر تقليد الصوم قبل عيد القيامة، وقد اختلفت مدة الصوم باختلاف البلدان. فقد اقتصرت أحيانا على أربعين ساعة، بينما فى أحيان أخرى امتدت أربعين يوماً أو لعدة أسابيع على الأقل.

ويرجح أن الصوم كان جزءاً أساسياً فى الصلوات الصباحية والصلوات المسائية قبل الأعياد متبعين فى ذلك السيد ورسله. وفى ظروف خاصة كان يحدد الأساقفة صيامات خاصة، ويوجهون الأموال التى ادخروها من شراء الطعام، للأعمال الخيرية، وهكذا أصبح هذا الأمر بركة للفقراء.

٤- الصوم فى فكر الآباء:

يرى الآباء أن ثمة نوعين من الصوم الأول: روحى: بطاعة الوصايا وعدم الوقوع فى الخطيئة. **والآخر**: بالامتناع عن الطعام: ويعتبرونه فرصة لكبح شهوات الجسد ليعيش فى شركة مع المسيح وفرصة لتوفير نفقاته، ومساعدة الإخوة فى احتياجاتهم إذ كانوا يرون فى ذلك تطبيقاً عملياً للإيمان المسيحى.

«أما الصوم الروحى المسيحى فهو الامتناع عن اقتراف الشر» (راعى هرماس) وطاعة الوصايا والإيمان بالله، وخدمته بقلب نقى، إلا أن الصوم بالامتناع عن الطعام فهو يخدم الفقراء. «فى يوم الصوم، تناول طعامك من خبز وماء وقدم ما وفرته من تكلفة لشراء الطعام، لأرملة، أو يتيم أو لشخص فى احتياج (المرجع السابق) ولكى تشترك كل الأسرة فى هذا: «اتبع ذلك مع أطفالك وكل أهل بيتك، وهكذا تكون سعيداً(المرجع السابق). ويرى القديس كلميندس أن الامتناع عن الطعام هو صوم جزئى، لا سيما عن اللحم والخمر اللذين يسمحان لنا بالحياة، ومن ثم من الصوم مرة أخرى.(Clem Al. Paed ,II,1ff.).

وثمة بعض الشيع الهرطوقية (للمزيد من المعرفة يمكن الرجوع للباب الخاص بدراسة الهرطقة) قد امتنعت عن أنواع محددة أساسية من الطعام) ومن تلك الشيع (الأبيونيون، أتباع مارقيون، والمانويون، والممتنعون: وسموا كذلك لامتناعهم عن اللحم والخمر والزواج).

وقد ادعى البعض أن القديس بطرس كان طعام الخبز والزيتون والأعشاب»(Ps. Clem. rec. VII 6,4)

«طوبى للجياع» دعوة للصوم وذلك للتجرد من الأرضيات ليعيش على الضروريات: إن إرادة الآب هى الطعام الحقيقى

الذى يقود إلى القيامة»: -Ieiun 15,6-17,7 Orat.6,2) 3;Novat.,cib.b;Aug.,util. leiun.1,1) ويوصى القديس كلمينيدس السكندرى بالاعتدال والاقتصاد لكى يتحرر الإنسان من الأشياء (Paed. II1,1-2 , 34 ; III 12,90).

أما العلامة أوريجانوس فيرى أن الصوم اختبار للحرية، وليس الإجبار، كما فى التناسخ الفيثاغورسى(Cels. 5,49 8,30). وإماتة الجسد بكبح شهواته تجعل الإنسان فى شركة مع المسيح، الذى رفعه من الوجود الإنسانى إلى الوجود الإلهى (Lev. 10,1-2; cf. Ambr. in ps 40,1;Greg. Nyss.,Beat. iv; Aug., util.ieiun.1,1).

والقديس باسيليوس يرى أن الصوم يكفل السلام فى العالم وفى العائلات لأنه يحرر من الأنانية (Basil, ieiun. Hom. 2,5; cf. Chrom.,Serm. 35,4 Mt.29).

والقديس امبروزيوس يرى أنه من خلال الصوم نحيا الحياة الملائكية التى تقودنا مرة أخرى إلى الفردوس، حيث دخلت الخطية من خلال «الطعام» فيقول «وأولئك الذين لا يؤمنون بالحياة بعد الموت يسرفون فى الطعام والشراب». (Ambr. Hel. 3,4;4,7;Ep 63,17)

وقد رفعت شيعة المونتانية الهرطوقية- ارجع إلى الباب الخاص بالهرطقات- من شأن الصوم إلى حد غير معقول.

ويذكر البابا أثناسيوس فى كتابه عن الأنبا أنطونيوس أنه كان يأكل الخبز والماء والملح. (Artan.,Ant. 7,6) وكان الأنبا باخوم، يصوم إلا أنه لم يكن يريد أن يقلل أتباعه الرهبان من طعامهم. (vita pach.25)

أما چيروم فإنه يرى أن على الراهب أن يظل على الدوام جائعاً بعض الشئ: «فإذا أردت أن تكون كاملاً، فعليك أن تغذى النفس بأكثر مما الجسد. (Jov. 2,6;Ep.54,105)

وقد أوصى كل من باسيليوس وكاسيان بالاعتدال، بأن يتبع كل شخص صوماً يتفق وظروفه (Basil, leiun.1&2;Cass., Coll.21, 13ff. & inst.coen. 5,5ff; cf. Hipp., trad. ap. 25; Epiph., Haer.3; Exp. fid.23; Theodor. Haer. fab. 5,29). (ميلونى- سيمون: موسوعة الكنيسة الأولى)

وبحلول القرن السادس الميلاد أصبح الصوم اجبارياً على أثر مجمع أورليانز الثانى فى(٥٤١م) وقد تقرر أن من لا يطيع الصوم فى الوقت المحدد يعامل أنه خاطئ (موسوعة أنجر الكتابية الجديدة).

✣ ✣ ✣ ✣

(هـ)- العطاء (الصدقة)

ارتبط الصوم والصلاة والصدقة معاً فى العهدين القديم والجديد. وقد وردت فى تعليم الرب يسوع فى الموعظة على الجبل(متى٦). والمقصود بالصدقة أو العطاء العطف على الفقير بطريقة عملية. ويؤكد الرب يسوع على أهمية العطاء بقوله: «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أعمال ٢٠ :٣٥). وقد استشهد كثيرون من الآباء بقول السيد المسيح ومن بينهم كلمينيدس السكندرى. (1 Clem. 2,1).

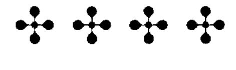
وكان موضوع العطاء أيضاً من بين «تعاليم الرسل» وأوصوا أن يكون بسخاء.ويسهب راعى هرماس فى الحديث عن حقيقة الصدقات دون أن يستخدم الكلمة نفسها. وهو يشبه العلاقة بين الفقراء والأغنياء بتلك التى بين الكرمة والأغصان. (vis 3,9,2; Sim. 1,8 & sim 2).

والعطاء فى العهد الجديد تعبير حر عن المحبة، وليس عملاً جامداً كما كان فى العهد القديم. ويعتبر القديس كبريانوس من كنيسة شمالى أفريقيا (يمكن الرجوع إلى المادة الخاصة بكنيسة شمالى أفريقيا بالجزء الثانى للمزيد من المعرفة من أكثر وأعظم من وعظوا عن العطاء إذ كرَّس لذلك رسالة كاملة. (De opere et eleemosy nis).

أما فى القرن الرابع فكان من شأن نمو المجتمع أن أصبحت أشكال المساعدة - البدائية التى كانت متبعة فى القرون الأولى غير كافية- وتدهور الظروف الاجتماعية والاقتصادية حمل الآباء من اليونانيين واللاتين على استنهاض الضمير المسيحى للاهتمام بواجب المشاركة. وقد نظر إلى موضوع العطاء كل من القديسين باسيليوس ويوحنا ذهبى الفم، وأمبروزيوس فى ضوء الفكر اللاهوتى: فالصدقات تنظيم عطايا الله، وواجب تقتضيه العدالة. ويقول القديس امبروزيوس: «الأرض قد أعطيت للجميع، للأغنياء والفقراء على حد سواء» (Ambrose , De. Nab, 1).

ويرى أغسطينوس أن الفقر يعتبر إهانة لسخاء الرب. والعطاء يعد انتصاراً على الفقر، الذى هو أصل لكل الشرور، وهو يغفر الخطايا (اغسطينوس)، ويعمل على تقدم الحياة الروحية(باسيليوس، وغريغوريوس النيصى) والعطاء يجعل القاضى ميالاً إلى الرحمة(يوحنا ذهبى الفم) ويتكرر موضوع العطاء كثيراً فى عظات القديس أغسطينوس(PL 46, 272-274)

ويقول القديس ليو(leo) إن الصدقات واجب عام حتى الفقير عليه أن يصوم لكى يكون بمقدوره أن يعطى. بل وحتى الرهبان ملزمون بممارسة العطاء: فعليهم أن يعملوا من أجل توفير احتياجاتهم وتقديم العطايا التى يحصلون عليها للفقراء (هامَّان موسوعة الكنيسة الأولى).



الباب الرابع

الفصل الرابع

القوانين الكنسية

القانون الكنسى هو قاعدة شرعية تصدر عن سلطة كنسية معترف بها، لتقرير أمر من الأمور، أو لتنظيم حياة الأفراد أو الجماعات أو الكنيسة العامة. (القمص صليب سوريال: دراسات فى القوانين الكنسية الكتاب الأول).

● والسلطة الكنسية التى تصدر القوانين هى:

١- الآباء الرسل.

٢- المجامع المسكونية المقدسة.

٣- المجامع المكانية أو الإقليمية.

٤- آباء الكنيسة المعترف بسلطانهم.

● ومجموعات القوانين التى تعترف بها الكنيسة (الأرثوذكسية) هى:

١- قوانين الرسل.

٢- قوانين المجامع المسكونية وهى:

أ- مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥م.

ب- مجمع القسطنطينية فى سنة ٣٨١م.

جـ- مجمع أفسس فى سنة ٤٣١م.

٣- قوانين المجامع الإقليمية

أ- مجمع أنقرا فى سنة ٣١٤م.

ب- مجمع قيسارية (قيصرية) الجديدة فى سنة٣١٥م.

ج- مجمع قرطاجنة فى سنة ٢٥٧م.

د- مجمع غنغرا.

هـ- مجمع أنطاكية.

و- مجمع لاودكية.

ز- مجمع قرطاجنة فى سنة ٤١٩م.

٤- قوانين آباء الكنيسة الكبار.

٥- مجموعات قانونية فى الأجيال المتأخرة.

(المرجع السابق ٧-١٠).

القوانين الرسولية

لقد وصلت إلينا من القرون الأولى تعاليم كنسية عديدة عن العبادة العامة بمختلف اللغات. وكلها تدّعى بطريق مباشر أو غير مباشر السلطة الرسولية، ولكنها استُبعدت من الأسفار القانونية. وقد أعطتنا معلومات مهمة عن القوانين والأخلاق

والطقوس الكنسية قبل عصر نيقية، ويغلب عليها الأسلوب الأدبى فى الكتابة. (شاف: الجزء الثانى).

أ- تعليم الرسل الاثنى عشر

يعتبر أقدم وأكثر التعاليم سهولة للمسيحيين من أصل يهودى(فلسطيين أو سريان) وترجع إلى نهاية القرن الأول.

واكتشفت حديثا، ونشرها برينيوس (Bryennios) فى سنة ١٨٨٣م باليونانية وتقع فى ستة عشر فصلاً، وتحتوى على تعليم أخلاقى مؤسس على الوصايا العشر، والوصية الذهبية عن محبة الله والناس (متى٧:١٢). وكذلك تعليم عن المعمودية والافخارستيا ووليمة المحبة. وتعليم عن المعلمين والأنبياء والأساقفة والشمامسة.

وتدعو للسهر فى انتظار المجئ الثانى للرب، وقيامة القديسين. وهو كتاب متميز جداً، ومادة الكتاب ترد فى الكتاب السادس من قوانين الرسل. (المرجع السابق).

ب- القوانين الكنسية لنظام الكنيسة الرسولية

وترجع أصولها إلى مصر نحو القرن الثالث. وهى عبارة عن حوار خيالى أدبى مع الرسل. قام بيكل (Bickell) بنشرها فى اليونانية أولاً، ففى سنة ١٨٤٣م ثم بعد ذلك نُشرت فى القبطية والسريانية. وهى تعاليم عن الأخلاق والعبادة والأحكام الكنسية(التأديبية) (المرجع السابق).

جـ- قوانين كليمندس

وتعتبر من أهم وأكثر التعاليم الكنسية اكتمالاً. فمن جهة الشكل مكتوبة بأسلوب أدبى. وقد انتقلت عن طريق الأسقف كليمندس الرومانى أو كُتبت له (شاف).. وذكر فى أول هذه القوانين أن الرسل دفعوها على يد اكليمندس الذى أرسلوه. (القمص صليب سوريال: مرجع سابق) وتبدأ قوانين كليمندس هكذا: «من الرسل والشيوخ إلى كل من يؤمن بالرب يسوع المسيح فى أنحاء الأمم، لتكن معكم نعمة الله وسلامه»، وهى تقع في ثمانية كتب وتحتوى على مجموعة من النصائح الأخلاقية، والقوانين الكنسية.

وتحتوى على صياغات ليتورجية، حيث ظهرت شيئاً فشيئاً فى العديد من الكنائس فى ختام القرن الأول وهى كنائس أورشليم، أنطاكية،الإسكندرية،وروما. (المرجع السابق).

يغلب على الكتب الستة الأولى طابع المسيحيين التهوديين، باستثناء بعض الشروحات التى أضيفت إليها فى نهاية القرن الثالث، فى سوريا. والكتاب السابع هو كتاب «تعاليم الرسل الاثنى عشر»(Didache) أما الكتاب الثامن فيحتوى على ليتورجية وملحق الكتاب يحتوى على قوانين الرسل. وهذه الأجزاء الثلاثة قد يكون من جمعها فى كتاب واحد هو من جمع الكتاب الثامن، وهو بدون شك من الكنيسة الشرقية. وكان الهدف منها هو نشر الحياة الكنسية للعلمانيين والإكليروس. وكانت هذه القوانين أكثر شأنا من أى عمل آخر من أعمال الآباء فى الشرق، حيث استخدمتها واسترشدت بها الكنيسة الشرقية. واستخدمتها فى الأحكام الكنسية كما استخدمت الكتاب المقدس فى التعليم. وقد رفضها مجمع ترولان الثانى (Trtullan) فى سنة ٦٩٢م لأجل الإضافات الهرطوقية التى أضيفت إليها بينما اعترف بمجموعة القوانين الخمسة والثمانين (شاف: الجزء الثانى).

و«القوانين الكنسية» تحتوى على ملخص لقواعد كنسية. فى بعض النسخ تتألف من خمسة وثمانين قانوناً، بينما فى بعض النسخ الأخرى تتألف من خمسين قانونا، ويبدو أنها تنتسب لأصل رسولى، حيث أن كليمندس الرومانى قام بترتيب موادها بإرشاد الرسل. الذين يتحدثون فى مواضع عديدة بصيغة «المتكلم» وقد اشتركوا فى وضع القوانين كملحق للكتاب الثامن. وقد وُجدت نسخ بلغات يونانية، وسريانية، أثيوبية، وعربية. والمحتويات مقتبس بعضها من الكتاب

المقدس وبخاصة الرسائل الرعوية وبعضها من التقليد، وغيرها من التوجيهات والقرارات الصادرة عن مجامع أنطاكية، وقيصرية (قيسارية) الجديدة، ونيقية، ولاودكية. وبناء على ذلك فإنه من الواضح النمو التدريجي، وأنه تم جمعها إما نحو منتصف القرن الرابع، أو نحو النصف الأخير من القرن الخامس. ولكن ليس معروفاً من قام بجمعها.

وكتبت بغرض وضع نظام كامل لرجال الدين. أما عن العلمانيين فلا تكاد توجد كلمة. (شاف: مرجع سابق).

لقد التزمت الكنيسة اليونانية بالقوانين الخمس والثمانين التي أقرها مجمع ترولان(Trullan) في سنة ٦٩٢ م . وقد وضعها يوحنا الدمشقي في منزلة مرتفعة حتى إنه وضعها في نفس درجة رسائل القديس بولس. وهذا يوضح أنه لم تكن لديه قدرة على تمييز السمو الفائق للكتابات المكتوبة بوحي روح الله. وقد رفضتها الكنيسة اللاتينية في البداية، إلا أنها فيما بعد أقرت المجموعة الأصغر التي تحتوي على خمسين قانونا. والتي كان ديونيسيوس اكسيجينوس ترجمها في نحو عام ٥٠٠م من مخطوطة يونانية (شاف).

د- قوانين الرسل التي تعترف بها الكنيسة القبطية

١٢٧ قانوناً للرسل وتقع في كتابين يضم **الأول** ٧١ قانونا، **والثاني** ٥٦ قانوناً والكتاب الثاني يوجد عند الروم في مجموعة تتراوح بين ٨١ ،٨٣ قانوناً، وهي تقريباً نفس القوانين القبطية ولكن مع اختلاف في ترقيمها. وتُسمى قوانين الرسل أحياناً قوانين كليمندس الروماني (راجع البند السابق).

ويأتي ذكر لبعض قوانين الرسل ١٢٧ قانوناً في بعض المخطوطات، وهي خاصة بموضوعات معينة ولذلك تأخذ عناوين مثل: «قوانين سمعان القانوي»، «قوانين بطرس وبولس». إلا أن ثمة قوانين أخرى مزوَّرة منسوبة إلى الرسل مثل مجموعة تتألف من ٣٠ قانوناً تسمى قوانين «علية صهيون».

هـ- قوانين هيبوليتوس

اعتمدت هذه القوانين بدرجة كبيرة على قوانين الرسل، وفي بعض القوانين تكاد تتطابق معها، وفي بعضها الآخر تتفق في روح النصوص، ولا تختلف إلا في الألفاظ. وهي تتألف من (٣٨) ثمانية وثلاثين قانوناً. وقد ذُكرت قائمة بعناوينها في «مصباح الظلمة» بالكتاب الخامس لابن كبر، واعتمد عليها ابن العسال في كتابه «المجموع الصفوي» كما جاءت في مجموعة الآباء السابقين لنيقية في الجزء التاسع.

وتركز معظم قوانين هيبوليتوس(أبوليدس أسقف روما على موضوع رسامات الإكليروس. غير أن القانون الأول هو قانون للإيمان، والقانون الأخير عظة في الفضائل (القمص صليب سوريال: دراسات في القوانين الكنسية : الكتاب الأول).



الباب الرابع

الفصل الخامس

قوانين الإيمان

يتضمن العهد الجديد كثيراً من الصيغ المتعلقة بالعقيدة سواء المحلية منها أو ما كان أكثر انتشاراً (راجع رومية ١: ٣ و٤ ، ٤: ٢٤- ٢٥، كورنثوس الأولى ٨: ٦، تيموثاوس الأولى ٢: ٥ ، ٣: ١٦ ،تيموثاوس الثانية٢: ٨، بطرس الأولى ٣: ١٨) وكذلك فى الكتابات المسيحية الأولى (على سبيل المثال كتابات أغناطيوس وبوليكاربوس. ونجد فى الكنيسة الأولى صيغتين واضحتين فى موضوع العقيدة. **الأولى** هى صيغة عقيدة الثالوث القدوس القائمة على ما جاء فى (متى ٢٨: ٢٩) أو مأخوذة منه مباشرة، وهى مرتبطة بالمعمودية، كما يستشف من النص. والواقع أنه ليس ثمة دليل على أنها استخدمت بمعزل عن ممارسة المعمودية، وبمقدورنا أن نتبع تطورها التدريجى من حيث المدة والمضمون رجوعاً إلى القرنين الأولين، وذلك من خلال أمثلة وردت فى كتابات الآباء يوستينوس، وإيريناوس، وترتليانوس، وقد جاءت فى صيغة استفهامية بمعنى أنها كانت تقدم للمرشحين للمعمودية فى صورة سلسلة من الأسئلة.

أما الصياغة الثانية لقانون الإيمان فهى اعتراف قائم على تعليم كامل عن السيد المسيح، أو الكرازة الأولى، وليس من شك فى أنها مأخوذة من الاعتراف القديم جداً، «يسوع رب» (كورنثوس الأولى١٢: ٣) أما فى عهد يوستينوس (١٥٠م) فقد تطور التعليم عن شخص الرب يسوع المسيح، فكان التعليم موجزاً عن حياة السيد المسيح قبل التجسد، وكذلك عن حياته على الأرض بالجسد. ويمكننا أن نجد صيغة من هذه النوعية فى كتابات إيريناوس وترتليانوس، وقد ظن بعض الدارسين (مثل كيلى) أن هذه الصيغة لم يكن لها فى الأصل علاقة بالمعمودية، إلاَّ أن الدليل المستمد من التقليد الغربى فى المخطوطات (مخطوطة روما) (انظر أعمال٨: ٣٧) حيث اعتراف الخصى لفيلبس: «أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله»، وما يذكره البابا استفانوس(فى منتصف القرن الثالث الميلادى) أنه يعرف صيغة معمودية باسم المسيح وحده، وقبلت باعتبارها صحيحة، (كبريانوس رسالة ٧٣ ،٤: ١ ، ١٦: ١و٢) ويشير بكل تأكيد إلى أن هذا الاعتراف الخاص بشخص السيد المسيح ربما كان مرتبطاً أيضاً بالمعمودية، على الرغم من أنه من المحتمل أنه كان يستخدم أيضاً فى مناسبات أخرى.

وهذا الاعتراف المتطور بشخص السيد المسيح تضمنته أبسط صيغة (قديمة) خاصة بالثالوث القدوس، وتُعرف الآن باسم قانون الإيمان الرسولى، على الرغم من أن ثمة صياغات أخرى تختلف بين كنيسة وأخرى. ثم إننا نجد أن كلاً من هيبوليتس وكليمندس السكندرى وأوريجانوس وكبريانوس

قد توسعوا فى كتاباتهم فيما يتعلق بشأن عقيدة المعمودية، وقد ظهرت صيغة لقانون الإيمان فى منتصف القرن الثانى الميلادى تقريباً، وقد وجدت الفكرة والمصطلحات الخاصة بها لأول مرة فى كتابات ايريناوس (١٦٠- ٢٠٠م تقريباً). غير أننا نجدها أيضاً فى كتابات ترتليانوس أو هيبوليتس، وتعاليم الرسل (بالسريانية)، وأوريجانوس، وكبريانوس، وديونيسيوس السكندرى و(ڤيكتورينوس البوطيومى Victorinues of petovium). كما يمكننا أن نجد مراجع أخرى وهى تتضمن موجزاً عاماً للإيمان المسيحى كما يُعلَّم ويُكرز به فى كنائس الكُتَّاب الذين يتكلمون عنه، حيث لُخِّص فى عبارات مختلفة اختلافاً طفيفاً طبقاً لاتجاهات وميول الكاتب، ولكنها فى كل مكان تتضمن نفس قانون الإيمان الأساسى. ويميل كل من ايريناوس وترتليانوس إلى التأكيد على أن لها مصدراً مستقلاً عن الكتاب المقدس لأنها مأخوذة بصفة مباشرة من الرسل، إلا أن من الواضح أنهم يعتقدون أن المضمون العقيدى للقانون مطابق لذاك الخاص بالكتاب المقدس، وأن ميلهم لإيجاد تعارض بين القانون والكتاب المقدس لم يتخذ شكلاً جدياً أو ثابتاً.

ولم يكتف أوريجانوس بذكر الموضوعات التى لم ترد فى قانون الإيمان(وبذلك يكون قابلاً للتطور) بل يشجع تلاميذه المتقدمين على بحثها واستقصائها (على سبيل المثال، ما يتعلق بقيامة الجسد).

وينظر كل الكُتاب القدامى إلى قانون الإيمان على أنه دليل على الفكر المستقيم، وأنه صمام أمن ضد التعاليم الخاطئة والهرطقات، فى حين أن قانون الإيمان الخاص بالمعمودية والذى ذكره كثيرون منهم، يُنظر إليه كنموذج مبسط أو موجز،أو كخلاصة (كما يقول ايريناوس) أما النقاط الرئيسية والأكثر أهمية، فهى ملخص، أو بذار مقدسة (أوريجانوس) ولا يتوفر لنا دليل واضح أنه فى تلك الأزمنة المبكرة كان قانون الإيمان الخاص بالمعمودية يستخدم كمعيار للعقيدة الصحيحة، ولقد استخدمت بعض الشيع الغنوسية قانوناً خاصاً بها.

وفى الجيل الثانى من القرن الثالث، وطبقاً لما يقوله «كيلى» بدأ التقليد يُمارس على نطاق واسع فى الكنيسة، وكان قانون الإيمان يقدم لطالب العماد فى وقت ما من بداية تعليمهم. وكانوا يكررونه فى وقت لاحق أثناء فترة تعليمهم، وكذلك أثناء الطقس الفعلى الخاص بالمعمودية، وليس معروفاً على وجه الدقة السبب الذى دعا الغرب إلى استخدام كلمة Symbolum (بمعنى رمز أو علامة) بالنسبة لقانون الإيمان، ولكن هذه الممارسة قدتكون دليلاً على أنه فى وقت تبنّيها، لابد وأنه كان هناك نمطان مختلفان لقانون الإيمان: «النمط الاستجوابى»، يوَّجه للشخص بعد تعميده، و«النمط التصريحى» وهو إقرار مستمر للإيمان من قِبَل الشخص نفسه، ومن المؤكد أن النمط التصريحى «لقانون الإيمان قد صيغ على أساس قانون الإيمان الخاص بالمعمودية وذلك من حيث المضمون.

أما فى الغرب فإن صيغته التى تم التوصل إليها فى نحو عام ٣٣٠ م فى كنيسة روما (قانون الإيمان الرومانى القديم المعروف للعلماء بحرف R) لابد وأنه صيغ أساساً فى وقت مبكر من القرن الثانى، وأصبحت الصيغة اليونانية هى نمط كل قوانين الإيمان الغربية المماثلة. وقوانين الإيمان الشرقية الخاصة بالمعمودية تختلف اختلافاً بيِّناً طبقاً للمكان الذى نشأت فيه، وما قانون الإيمان الرسولى الذى نعرفه الآن سوى نسخة موسعة ومعدلة بشكل ضعيف من R (ويشار إليه بالحرفT) والذى جاء من سبتيمانيا Septimania جنوبى غرب فرنسا، وانتشر فى أوربا الغربية بشكل واسع النطاق قبل أن تقبله كنيسة روما المحافظة فيما بعد، وكان ذلك فى فترة ما بين سنتى ٨٠٠ - ١٠٠٠م. أما الأسطورة التى تقول بأن كل رسول صاغ مادة واحدة من قانون الإيمان هذا فقد انتشرت بشكل واسع مع نهاية القرن الرابع الميلادى.

أما فى القرن الثالث تقريباً فبوسعنا أن نتتبع مثالين لاستخدام صيغة عقيدية صحيحة كدليل على إيمان صحيح: الصيغة التى اقترحها الأسقف (هيراقليدسHeraclides) فى مناقشته مع أوريجانوس فى نحو سنة ٢٤٦ م لاثبات استقامة رأيه، وما يسمى رسالة هيميناوس (Hymenaeus)، والتى من المحتمل أنها قُدمت لبولس الساموساطى (Samosta Paul of)) فى وقت ما بين سنتى ٢٦٤ ، ٢٦٨ م، إلاَّ أن أول مثال أكيد لقانون الإيمان التصريحى والذى استخدم كدليل على تعليم مستقيم الرأى نجده فى الرسالة التى كتبها يوسابيوس القيصرى المؤرخ، لكنيسته بعد مجمع نيقية الذى عقد فى سنة ٣٢٥م. والذى يقول بأنه قانون الإيمان الذى قام هو بدراسته أثناء فترة تعليمه، والسابق على عماده. ولكى ما نتجنب سوء فهم معين كان فى الماضى، علينا أن نوضح أنه ما من كاتب مسيحى فى القرنين الرابع والخامس اتبع مستويات معاصرة من الدقة الأدبية عند استعراضه أو تقديمه لقوانين الإيمان. ذلك أن القدماء كانوا يركزون على المضمون الأساسى، لا على التعبيرات الدقيقة لصيغ الإيمان الخاصة بهم (انظر رسالة غريغوريوس النزيانزى أو (النزينزى) رسالة ٥٨ : ٩-١١، وغريغوريوس النيصى) ويقول يوسابيوس: إن قانون الإيمان الخاص بالعماد مطابق للقانون الذى تم التوصل إليه - حديثاً - بمعرفة المجمع الذى حضره مؤخراً، وقانون الإيمان هذا هو المعروف بقانون نيقية فى سنة ٣٢٥م، كان من عمل مجمع للأساقفة دعا إليه الإمبراطور قسطنطين فى مدينة نيقية Nicaea فى بيثينية، لفض النزاع حول لاهوت المسيح، وهو النزاع الذى قام بين اسكندر أسقف الاسكندرية وأريوس، وهو من أحد القسوس التابعين له، الأمر الذى كان يهدد بانقسام الكنيسة التى كان الإمبراطور قد حررها مؤخراً من خطر الاضطهاد، وساندها بدعمه لها. وكانت هذه هى المرة الأولى التى يُعقد فيها مجمع عام، أو يصدر فيها قانون الإيمان قُصد به أن يكون معياراً يأخذ به جميع المؤمنين كأساس لاستقامة الرأى. ومن المؤكد أن صيغته الأصلية ليست هى الصيغة المستخدمة فى الكنيسة التى يتبعها يوسابيوس القيصرى، وقد استخدم أساقفة نيقية فى قانون الإيمان هذا عبارات معينة قصد بها تفادى التفسيرات الأريوسية للعبارات التى استخدموها، على سبيل المثال الكلمات المستخدمة عن الابن «المولود من جوهر الآب»،مولود غير مخلوق، وفوق كل هذا «مساوٍ للآب فى الجوهر». وسلسلة الإدانات والرفض لبعض العقائد التى جاء بها أريوس، مثل «كان ثمة وقت لم يكن فيه»، و«خُلق من العدم»، ومشتق من «أقنوم مختلف» أو جوهر«غير الآب»، وهو «قابل للتغيير» وهذا القانون المهم أطلق عليه العلماء اسم (N).

والواقع أن هذه الصياغة التاريخية لقانون إيمان مسكونى صادر عن مجمع، لم تخدم بصفة مباشرة الهدف التى صدرت من أجله،

ذلك أنها لم تُنشر فى الغرب على نطاق واسع، كما أنها بعد مجمع نيقية سرعان ما اختفت فى الواقع من المجادلات التى ظلت مستعرة مدة ست وخمسين سنة أخرى، ومع ذلك فإن قانون الإيمان N أضاء الطريق لصياغات أخرى، وشهدت الفترة الواقعة بين سنتى٣٤١م ،٣٦٢م سلسلة من المحاولات محل الاختلافات فى الآراء، فى الشرق والغرب. وذلك عن طريق صياغة قانون للإيمان يمكن أن يقبله جميع الأطراف، أو يعبر عن معتقد الأغلبية على الأقل، وقرب نهاية هذه الفترة نجد أنه حتى الامبراطور نفسه قام بدور فى هذه الجهود.

وأكثر النماذج أهمية لقوانين الإيمان المكتوبة هذه، والتى ترجع إلى هذه الفترة هى:«قانون التكريس»أو «قانون الإيمان الأنطاكى الثانى» الذى وضعه مجمع أنطاكية فى سنة ٣٤١م. وقد حذف كلمة «Homoousios من ذات الجوهر»، ووصف أقانيم الثالوث بأنهم «ثلاثة أقانيم»، ولكنهم واحد فى الجوهر، والابن بأنه «صورة الآب» دون اختلاف فى الجوهر، وحرَّمت

كثيراً من الآراء الأريوسية، وكان هناك احتمال كبير لفترة ما (حتى نحو سنة ٣٧٠م) بأن قانون الإيمان هذا سيكون بديلاً للقانون (N). أما نسبته إلى لوقيان Lucian الأنطاكى العالم اللاهوتى والشهيد الذى عاش إبان السنوات الأولى من القرن الرابع، فهذا أمر موضع جدل.

أما «قانون الإيمان الأنطاكى الرابع (فى سنة ٣٤١م أيضاً) فقد أرسله الأساقفة الشرقيون إلى الإمبراطور قسطنطيين فى الغرب، فى محاولة للتوفيق مع الرأى الغربى دون الرجوع إلى القانون (N) والذى قام بحذف كلمة Homoousios أيضاً وتعنى (من ذات الجوهر) وحرَّم بعض الاقتراحات الأريوسية.

لكنه بكل بساطة قال عن المسيح إنه «إله من إله» وعلى الرغم من أن قانون الإيمان هذا قليل الأهمية فى حد ذاته، إلا أنه أصبح أساس وجوهر قوانين عديدة أخرى، مثل ذلك الذى أصدره الأساقفة الشرقيون فى مدينة فيليبوبوليس Philippopolis(٣٤٣م)، أو قانون الإيمان الأنطاكى الخامس، الذى وُضع فى أنطاكية سنة ٣٤٤م، والذى تضمن ملحقاً مطولاً يدين فيه سلسلة كبيرة من الآراء الهرطوقية، ولاسيما تلك التى تميل إلى الأقوال السابليانية(رفض وجود أى اختلافات بين الأقانيم) ولاسيما أقوال(مارسيليوس Marcellus Ancyra) الذى من أنقرة (عاصمة غلاطية فى نهاية القرن الرابع. وقانون الإيمان الأول الذى وضعه مجمع سيرميوم الثانى(٣٥١م)، يهدف بالدرجة الأولى إلى معارضة مارسيليوس وتلميذه(فونتينوس Phontinus).

وثمة اتجاه جديد تماماً اتخذ فى سنة ٣٥٧م مع ظهور«قانون الإيمان السيرميومى الثانى». وهنا، وللمرة الأولى ظهر ما يشبه الفكر اللاهوتى الأريوسى الثابت، وقد عارض أى استخدام لكلمة «جوهر» كتعبير يحدد علاقة الابن بالآب، حيث رفض هذا التعبير، بكل تزمت وإصرار أخضع الابن للآب، وكذلك الحال بالنسبة للخليقة كلها. وقد أثار هذا القانون رد فعل بين عدد من اللاهوتيين الشرقيين، الأمر الذى أدى إلى ظهور«قانون الإيمان» السيرميومى الثالث» وذلك فى مجمع سيرميوم الرابع(فى سنة ٣٥٨م) ورُفض البديل الأريوسى لسنة ٣٥٧م. وقد وُضع قانون إيمان وسيط وهو المعروف باسم «قانون الإيمان القديم» والذى أصدره مجمع سيرميوم الخامس فى مايو ٣٥٩م، تمهيداً لمجمع عام منقسم (الشرقيون فى سلوكية فى كيليكية، والغربيون فى رمينى Rimini بإيطاليا)، وقد رفض هذا القانون استخدام كلمة «جوهر» ومشتقاتها ولكنه وصف الابن بأنه «مشابه للآب فى كل شىء. وقانون الإيمان الذى نجم عن هذا المجمع العام بعد صراعات لاهوتية لم يكن سوى نسخة مخففة من «قانون الإيمان القديم»، ووُصف الابن أنه «مشابه لما جاء عنه فى الكتاب المقدس» الأمر الذى ترك مجالاً كبيراً للتفسير الأريوسى. ومنذ ذلك التاريخ، وحتى مجمع القسطنطينية (٣٨١م) الذى وضع نهاية للجدال الأريوسى كانت قوانين الإيمان التى صدرت قليلة الأهمية، ولعل ذلك يرجع إلى أن كل واحد كان يدرك أن إجراء وضع القوانين لم يهدىء من حدة الخلاف فقد استهدف معارضو الأريوسية - فى ذلك الوقت -إعادة قانون الإيمان(N) تحت قيادة أثناسيوس السكندرى(٢٩٦-٣٧٣م تقريباً) والذى كان قد قاد منذ فترة طويلة النضال ضد الأريوسية وما يماثلها. وكان مجمع القسطنطينية(٣٨١م) يمثل انتصار قانون الإيمان الذى أصدره، وذلك الذى أصدره الكبدوكيون الثلاثة العظماء باسيليوس القيصرى(٣٣٠- ٣٧٩م تقريباً) وغريغوريوس النزيانزى (٣٢٩ -٣٨٩م) وباسيليوس أخو غريغوريوس النيصى(٣٣٠- ٣٩٥م تقريباً) وإلى مجمع القسطنطينية ينسب التقليد أشهر وأهم قانون للإيمان فى تاريخ المسيحية والذى يعرف عادة باسم قانون الإيمان النيقوى أو النيقوى- القسطنطينى(ويطلق عليه العلماء C).

وثمة جدل حول ما إذا كان مجمع سنة ٣٨١م قام بالفعل

بوضع قانون الإيمان هذا، فلا توجد فى الواقع قبل سنة ٤٥١م أية شهادة معاصرة أو لاحقة عن قانون إيمان وضع فى ظل تلك الظروف، أما أول دليل واضح عن وجود القانون النيقوى(C) فقد جاء فى الإعلان الأخير لمجمع خلقيدونية (٤٥١م)، والذى يقوم فى واقع الأمر بذكر قانون الإيمان(C) بالحرف الواحد، وعلى وجه العموم يبدو أنه من الأفضل أن نوافق على ما ذهب إليه كيلىKelly، من ناحية أن قانون الإيمان هذا وضعه المجمع المنعقد فى سنة ٣٨١م، فى محاولة عقيمة للوصول إلى اتفاق مع المعارضين المعتدلين حول الاعتراف الكامل بلاهوت الروح القدس، غير أن أغلبية اللاهوتيين ظلوا ينظرون إلى هذه المحاولة على اعتبار أنها ليست أكثر من الرجوع إلى قانون الإيمان الذى رمز إليه بالحرف (N)، ولقد تم تجاهله فى الغرب بصفة خاصة ولمدة طويلة، على اعتبار أنه صادر عن مجمع مضت مدة طويلة حتى اعترفوا به على مضض بأنه مسكونى.

أما قانون الإيمان الذى كان أساساً للعقيدة (C) فلم يكن (N) بل لعله قانون الإيمان الذى كانت تعتنقه كنيسة أورشليم، والتى أعادت استخدام كلمة Homoousios(من ذات الجوهر)، وتم التأكيد على ولادة الابن الأزلية، وأنه غير مخلوق. وثمة عبارة قصيرة هى «ولا يكون لملكه نهاية»، وقد وُضعت هذه العبارة لتناقض تعليم مارسيليوس(يكاد يكون ليس له وجود الآن)، وتم التوسع بدرجة كبيرة فى الإشارة إلى الروح القدس، والتى جاءت موجزة فى قانون الإيمان (N)، بحيث جاءت تعبيراً عن أنه رب الحياة ومعطى الحياة، باعتباره منبثقاً من الآب،«والمسجود له مع الآب والابن» وذلك طبقاً لتعليم الكبدوكيين ولاسيما باسيليوس.

ومع مرور الوقت أصبح قانون الإيمان (C) محوراً للعقيدة المسيحية. وقد تم الاعتراف به على نطاق واسع كما هو عليه الحال فى أيامنا هذه(موسوعة الكنيسة الأولى).



الباب الخامس

الثالوث القدوس فى فكر الآباء قبل نيقية

١- إله واحد- الخالق.
٢- الآباء والثالوث.
٣- الآباء والكلمة (اللوجوس).
٤- الآباء والروح القدس.

١- إله واحد- الخالق

تستهل العقائد المسيحية التقليدية بإعلان الإيمان بإله واحد، خالق السماء والأرض. وفكرة التوحيد المتأصلة فى العهد القديم، تتردد بشكل كبير فى أقوال الآباء الأولين، فقد كانوا يدركون تماماً أنها تمثل الخط الفاصل بين الكنيسة والوثنية. وطبقاً لما ذكره راعى هرماس «فالوصية الأولى هى أن تؤمن بأن الله واحد، هو الذى خلق كل الأشياء من العدم. فالله هو الذى بقوته غير المنظورة وحكمته العظيمة خلق الكون، وبقصده المجيد كسا خليقته بالجمال، وبكلمته القوية ثبت السموات، وأسس الأرض فوق المياة». وبالنسبة للقديس كليمندس(Clement) الله هو «الآب، خالق **الكون كله**»، أما القديس برنابا (Barnabas)- فى تعليم الرسل- فيقرر أن «الله هو خالقنا» وقدرته على كل شئ، وسيادته الشاملة، أمور معترف بها، لأنه «الرب القدير»، «الرب الذى يسيطر على الكون كله»، «وسيد كل الأشياء». ولسوف يلاحظ القارئ أنه فى هذه الفترة، كانت صفة «القدير» تعنى سيطرة الله وسيادته الشاملة على الكون مثلما تشير صفة «الآب» بشكل أساسى إلى دوره كخالق وموجد كل الأشياء.

وهذه الأفكار مأخوذة على وجه الحصر من الكتاب المقدس، ونادراً ما كانت تُنسب إلى الفلسفة المعاصرة، ومع ذلك فإننا نجد صدى رواقية متأخرة فى إشارات كلميندس إلى تنظيم الله للكون. وحين ننتقل إلى أقوال الآباء المدافعين نلمس مدى اطلاعهم على الفكر السائد والثقافة المعاصرة.

ونجد على سبيل المثال أن أرستيدس(Aristides) من

أثينا يستهل رسالته «الدفاعية» التى وجهها إلى الامبراطور(هادريان (Hadrian) ١١٧-١٣٨م)- ومن المحتمل أيضا إلى الامبراطور أنطونينو بيوس (Antoninus pius) -١٣٨-١٦١م) -بعرض موجز لوجود الله قائم على الحجج التى استمدها أرسطو من الحركة. ذلك أن تأمله فى نظام الكون وجماله، قادة إلى الإيمان بكائن أسمى، هو المحرك الأول، والذى ظل هو نفسه غير منظور، ولكنه سكن فى خليقته. وحقيقة وجود الكون تتطلب وجود إله فنان ينظمه. وبصفته السيد والرب، فقد خُلق كل شئ للإنسان. فالكون قد خلق من لا شئ بناءً على أمره، وهو غير قابل للفساد أو التغيير، كما أنه غير منظور. وهو نفسه غير مخلوق، ليست له بداية ولا نهاية، وليس له شكل أو حدود أو جنس، والسموات لا تسعه (ونلمس هنا نقداً لما يقول به الرواقيون من وحدة الوجود أى أن الله والطبيعة شئ واحد) وعلى النقيض من ذلك، فهو يسعهم كما يسع كل شئ منظور وغير منظور. ومن هنا يعترف المسيحيون بالله باعتبار أنه الخالق الذى خلق كل الأشياء.. ولا يعبدون أى إله سواه.

ووحدة الله فى كتابات يوستينوس (يوستين)(Justin) (القرن الثانى)، وكذلك سموه ودوره كخالق، أكدها بلغة صبغها بقوة بالرواقية الأفلاطيونية السائدة. ومن الواضح أنه كان يعتقد مخلصاً بأن المفكرين اليونانيين كانوا مطلعين على كتابات موسى. والله أبدى يجل عن الوصف، لا اسم له، ولا يتغير، ومنزه عن الألم، وغير مولود (تعبير يشدد على إبراز أنه لا بداية له وذلك على النقيض من المخلوقات)، ثم أنه «خالق الكون، خالق وأب كل شئ، هو نفسه فوق الوجود، وهو علة كل وجود. ولقد كان مارقيون(ماركيون أو ماريكون) على خطأ لتمييزه بين الله وبين خالق الكون المادى (Demiurge). ويقول مارقيون: «لقد تعلمنا أنه إذ هو صالح، فقد خلق كل الأشياء فى البداية من مادة لا شكل لها». وكان هذا تعليم أفلاطون فى كتابه (Timaeus)، والذى اعتقد يوستنيوس أنه قريب الشبه بما جاء فى سفر التكوين وأنه استعار منه. ومن الطبيعى عند أفلاطون أن المادة سابقة الوجود كانت أزلية، لكن من غير المحتمل أن يكون يوستنيوس قد سلم بنظرية الثنائية التى ألمح إليها. وما يبدو واضحاً أن اعتبر السموات والأرض -والتى طبقاً لما ذكره موسى- خُلقت أولاً، ومن مادتهما خلق الله الكون. وثمة نقطة مهمة أخرى عرض لها، وهى أنه بخلقه الكون ورعايته له استخدم الله كلمته أو اللوجوس كأداة للخلق.

أما الآباء المدافعون الآخرون فكانوا على نفس ما ذهب إليه يوستينوس، على الرغم من أن البعض -وبشكل محدد تماماً- أيدوا الخلق من العدم. وكما أوضح تاتيان(طاطيان،Tatian):

«المادة التى خلق منها الكون، خلقت هى نفسها بواسطة الفنان الوحيد الذى خلق الكون»، وأنه خلقها عن طريق كلمته. أما ثاؤفيلس(ثيؤفيلس Theophilus) الأنطاكى فقال: «من العدم خلق الله كل ما شاء وبالشكل الذى أراده».

ومع ذلك ينظر أثيناغوارس (Athenagoras) إلى العناية الإلهية على أنها شكلت المادة سابقة الوجود. إلا أن الكل أجمعوا على تأكيد «سمو الله» ولقد قال أثيناغوارس مندهشاً: «أليس من الحماقة أن توجه تهمة إنكار وجود الله إلينا نحن، الذين فرّقنا بين الله والمادة، ونعلم بأن الله والمادة تفصل بينهما هوة عظيمة؟ لأن اللاهوت ليس له بداية وهو أزلى، ومن ثم لا يمكن إدراكه بالفهم والمنطق وحدهما. فى حين أن المادة لها بداية ومصيرها الهلاك».

وبالنسبة لثاؤفيلس(القرن الثانى) فإنه يرى أنه لم تكن بداية لله لأنه غير مخلوق، وهو غير قابل للتغيرلأنه خالد. وهو الرب، لأنه سيد كل الأشياء، وهو الآب، لأنه السابق

على كل شئ، وهو العلى لأنه يسمو على كل الأشياء، كما أنه «القدير» لأنه يمسك بكل الأمور، فعُلو السموات وأعماق الهاوية، وأطراف العالم كلها فى يديه، وكان ثاؤفيلس ينتقد بصفة خاصة-الفكرة الأفلاطونية القائلة بخلود المادة، قائلاً إنه إذا كان ذلك صحيحاً، فلا يمكن أن يكون الله هو خالق كل الأشياء، وعلى هذا فإن سيادته المطلقة أى باعتباره العلة الأولى الوحيد، لا أساس لها. وبحسب تعبيره: «قوة الله ظاهرة فى أنه من العدم يخلق ما يشاء» أما بالنسبة لايريناؤس(ايرينيئوس) Irenaeus (القرن الثانى) فإن التأكيد على أن الله واحد، وأنه الخالق، له مكانة خاصة فى كتاباته، ومهمته تختلف عن مهمة الآباء المدافعين إذ كان عليه أن يرد بالحجة والبينة على نظرية الدهور أو الفترات أو الأيونات (Aeons) المنبثقة من إله سامٍ لا سبيل إلى معرفته، أو خالق الكون المادى. وموقفه من ذلك واضح إذ كتب يقول: «إنه لأمر صحيح أنه يجب علينا أن نبدأ بالموضوع الأول ذى الأهمية القصوى، أى، الله الخالق. الذى خلق السموات والأرض وكل ما فيهما، الإله الذى وصفوه (أى الغنوسيون أو الغنوصيون)- بكل تجديف- كأنه نتاج ناقص النمو، وأنه من واجبنا أن نبين أن لاشئ قبله أو بعده..لأنه هو وحده الله، وهو وحده الرب، الخالق الوحيد، والآب الوحيد، وهو وحده حامل كل الأشياء، وهو الذى يمنحها الوجود». وأوضح أن أول بند فى إيماننا هو: «الله الآب، غير المخلوق، وغير المولود، وغير المنظور، الإله الواحد والوحيد، خالق الكون» وأقوال المسيح ذاتها تدل على أن العالم ليس له إلا خالق واحد، وأنه هو نفسه الإله الذى أعلنه الناموس والأنبياء. وقد علم بأن الله قد خلق الكون بواسطة كلمته وحكمته أو «الروح». وكان يؤمن إيمانا راسخاً بالخلق من العدم، مشيراً إلى أن الناس فى الواقع لا يستطيعون عمل شئ من لا شىء، بل من مادة موجودة بالفعل لديهم، ولكن الله يسمو على الإنسان. بهذه السمة الأساسية، وهى أنه هو نفسه الذى أوجد المادة التى خَلَقَ منها الكون، والتى لم يكن لها وجود من قبل.

ولكى يرسخ هذه المبادئ، استشهد ايريناوس- فضلا عن الكتاب المقدس -بالمنطق الطبيعى «الأشياء المخلوقة لابد وأن تنشأ عن علة أولى، والله هو بداية الكل، فهو لم يأت من أحد، بل كل الأشياء جاءت منه... ومن بين هذه الأشياء يوجد ما نسميه العالم،وفى العالم نجد الإنسان، وعلى هذا فإن هذا العالم أيضاً خلقه الله. وهنا أيضا نجده يبتهج إذ يكشف التناقض الموجود فى افتراض سلسلة من الانبثاقات فى تسلسل متدرج من الآلهة، وكذلك المنطق الذى يحاول جاهداً إثبات أنه يوجد ملء اللاهوت فوق خالق السموات والأرض، وأنه يوجد آخر فوقه، وفوق بيثوس (الإله الأسمى) مجمع آخر من الآلهة.

وهكذا فإن هذا التعليم ينتج عنه وجود آلهة كثيرين لا نهاية لعددهم، ويستلزم دائما القول بوجود أكثر من «ملءلاهوت»، «وآباء أسمى» آخرين. وعلى أية حال، إن كل انبثاق ثانوى لابد أن يشارك فى طبيعة الأصل الذى انبثق منه، غير أن مبدأ الألوهية نفسه يستبعد تعدد الآلهة. فإما أنه لابد وأن يكون ثمة إله واحد حامل كل الأشياء، وأنه خلق كل المخلوقات بحسب إرادته، وإما أنه يوجد عدد غير محدود من الآلهة ومن الخالقين كل منهم يبدأ أو ينتهى فى مكانه من هذه السلسلة.. إلا أننا لابد وأن نعترف فى هذه الحالة أنه ليس من بينهم من هو إله حقاً، لأن كل واحد منهم.. سيكون ناقصاً بمقارنته بالباقين، ولقب «القدير» لن يكون له معنى. وخالق الكون المادى الذى تقول به الغنوسية (الغنوصية) لا يمكن أن يكون الله، لأنه يوجد آخر أسمى منه.

كان التعليم بالإله الواحد، الآب والخالق، يشكل خلفية إيمان الكنيسة، فكان موروثها الإيمانى من اليهودية هو حصنها ضد تعدد الآلهة عند الوثنيين. وضد الانبثاقات الغنوسية، وثنائية مارقيون.. والمشكلة التى كانت تواجه الفكر

اللاهوتى. آنذاك - تتمثل فى دمج هذا التعليم مع المعطيات الجديدة التى جاء بها الإعلان الإلهى المسيحى الواضح. وقد بُسِّطت إلى أقصى حد، حيث كانت هذه هى القناعات، بأن الله أعلن ذاته فى شخص يسوع المسيح، الذى أقامه من بين الأموات، وقدَّم للناس الخلاص بواسطته، وأنه سكب من روحه القدوس على الكنيسة. وحتى فى مرحلة العهد الجديد فإن الأفكار الخاصة بالوجود السابق للمسيح، ودوره فى عملية الخلق بدأت تأخذ مكانها، وبدأ يظهر إدراك عميق- ولو أنه كثيراً ما كان غير واضح- بعمل الروح القدس فى الكنيسة. ومع ذلك لم تتخذ أية خطوات، لنظم كل هذه العناصر ككل متماسك.

وقد اضطرت الكنيسة إلى الانتظار مدة تزيد عن ثلاثمائة سنة لتصل إلى الصيغة النهائية، لأنه لم تعتمد بصفة رسمية، حتى مجمع القسطنطينية فى سنة ٣٨١م، حيث الصيغة القائلة بإله واحد فى ثلاثة أقانيم متساوية. ومع ذلك فإنه توجد نظريات، بعضها مقبول، والبعض الآخر أقل قبولاً، امتزجت فى القرون السابقة، وسوف نستعرض حركة الفكر المسيحى حتى مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥م.

قبل استعراض الكاتبين الرسميين، على القارئ أن يلاحظ كيف انطبع مفهوم الأقانيم بعمق فى التقليد الرسولى والإيمان الشعبى. وعلى الرغم من أن أسفار العهد الجديد لم يكن قد اعترف رسمياً بقانونيتها بعد، إلا أن ذلك المفهوم قد فرض تأثيره القوى. ويتضح ذلك من تلك اللمحات التى يمكن الحصول عليها من ليتورجية الكنسية وممارستها التعليمية اليومية. ولم تكن ثمة عقائد فى الفترة الأولى من تلك النوعية التى أصبحت بعد ذلك شائعة. إلا أنه من الواضح أنه كما كان الحال فى العصر الرسولى، فإن الموضوع الرئيسى فى رسالة الكنيسة، كما فى عبادتها هو أن الله أرسل ابنه يسوع المسيح، الذى مات وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وسوف يأتى أيضا فى مجده ليدين الأحياء والأموات.

ويُفهم من كتابات اغناطيوس ويوستينوس أن هذا الفكر بدأ يستقر فى وقت مبكر جداً فى الصيغ الدينية شبه الثابتة للكاتبين. وكثيراً ما تتضمن هذه إشارة إلى الروح القدس، ملهم أنبياء العهد القديم، والعطية الذى أُعطى للمؤمنين فى هذه الأيام الأخيرة.

وباقتراب القرن الثانى، نجد ذكراً «لقانون الإيمان» (راجع مادة قوانين الإيمان فى موضعها فى هذا المجلد). وأصبح ذكر الثالوث الذى يؤكد الإيمان بالآب الذى خلق الكون، وبابنه يسوع المسيح، وبالروح القدس، أصبح شيئاً فشيئاً أمراً عادياً. ويمكن أن نقتبس من رسالة لإيريناوس يقدم لنا بها صورة جلية لتعليم كنسى وُجدت فى تلك الفترة «هذا إذاً هو ترتيب قانون إيماننا.. الله الآب غير مخلوق غير ملموس، غير منظور، الله واحد، خالق كل شئ. هذه هى النقطة **الأولى** من إيماننا. أما النقطة **الثانية** فهى: كلمة الله، ابن الله، يسوع المسيح ربنا، الذى أُعلن للأنبياء، بحسب تدبير الآب، والذى به (أى الكلمة) خُلقت كل الأشياء والذى أيضا فى ملء الزمان، ولكى يكمل ويجمع كل الأشياء، جاء فى الهيئة كإنسان، وظهر بين الناس، مرئياً وملموساً، وذلك لكى يُبطل الموت، ويمنح الحياة، ويحقق المصالحة الكاملة بين الله والإنسان. أما النقطة الثالثة فهى:

«الروح القدس، الذى به تنبأ الأنبياء، وبه تعلَّم الآباء الأمور الخاصة بالله، وبه اهتدى الأبرار إلى طريق البر، والذى فى آخر الدهر سُكب بطريقة جديدة على البشر، من مختلف أقطار الأرض، حيث أعاد الإنسان إلى الله».

سواء كانت المعمودية تجرى باسم الرب يسوع المسيح أم لا فى العصر الرسولى، كما يُفهم من كثير من نصوص العهد

الجديد، إلا أن النموذج الذى يتم باسم الثالوث لم ينقطع، ولاشك أن ذلك جاء نتيجة لأمر الرب الوارد فى (متى ٢٨: ١٩) (راجع مادة التعليم فى الكنيسة الأولى: المعمودية).

كذلك وصفت تعاليم الرسل ممارسة المعمودية باسم الثالوث. ويذكر يوستينوس أن أولئك الذين كانوا سيعمَّدون، كنا نقودهم إلى مكان تتوفر فيه المياه، وهناك وبنفس الطريقة التى تعمدنا بها نحن، تعمدوا هم أيضا بها، باسم الله الآب وسيد كل الأشياء، ومخلصنا يسوع المسيح. وفى وقت لاحق يضيف يوستينوس أن المعمودية «باسم الله الآب سيد كل الأشياء، ويسوع المسيح الذى صُلب على عهد بيلاطس البنطى، والروح القدس الذى نطق فى الأنبياء بكل قصة يسوع».

وكذلك كتب ايريناوس يقول: «لقد قبلنا المعمودية لمغفرة الخطايا باسم الله الآب، وباسم يسوع المسيح ابن الله، الذى صُلب ومات وقام ثانية من بين الأموات، وباسم روح الله القدوس.

٣- الآباء والثالوث

الكُتَّاب الأوائل، الذين يتحتم أن نعرض لهم، أى الكتبة الرسوليون، هم شهود على الإيمان التقليدى لا مفسرين يجاهدون لفهمه. ومع ذلك فإن أراءهم - التى عادة ما تأتى فى قصاصات أو شذرات وغالباً ما تكون بسيطة- تمدنا برؤية مفيدة عن الخطوط التى ينبنى عليها الفكر اللاهوتى للكنيسة. وهذه الرؤية لها قيمتها الكبرى لأنهم وإن لم يكونوا جماعة متجانسة، إلا أنهم كانوا المتحدثين عن اتجاهات جماعة إلى حدٍ كبير (كيلى: التعليم فى الكنيسة الأولى).

يعد كليمندس الرومانى (نهاية القرن الأول) من أوائل الكتاب المسيحيين، إلا أن ما يمكن جمعه من كتاباته قليل. وقد نظم «الثالوث» فى قسم واحد:

«حى هو الله، وحى هو الرب يسوع المسيح، وحى هو الروح القدس». بل وكذلك فى التساؤل «أليس لنا إله واحد، ومسيح واحد، وسُكب علينا روح نعمة واحد؟». وهو يأخذ الوجود السابق للسيد المسيح قبل التجسد أمراً مسلماً به، لأنه هو الذى تكلم بواسطة الروح القدس فى المزامير، وهو صولجان العظمة، أى الأداة الذى كان الله دائماً يمارس من خلاله سيادته. كما أنه الطريق الذى بواسطته وجدنا الخلاص، وهو رئيس الكهنة الذى يرفع تقدماتنا، وبواسطته ننظر إلى أعالى السموات. ويؤمن كليمندس أن الروح القدس هو الذى يلهم أنبياء الله فى كل العصور، كما ألهم كُتَّاب العهد القديم، وكذلك كُتَّاب العهد الجديد. ولكنه لم يلتفت إلى مسألة العلاقة بين الأقانيم الثلاثة.

إلا أن «كليمندس» و «برنابا» كان لكل واحد منهما اتجاهاته الخاصة. **فالأول** يستهل كتاباته بنصح قرائه أن «ينظروا إلى المسيح يسوع باعتباره الله، وديان الأحياء والأموات. فهو مخلصنا، وبواسطته عرفنا الآب حقيقة. ويكشف فى فصل لاحق عن مفهومه الأساسى لعلاقة المسيح بالآب، قائلاً: لأنه أول كل الأرواح. فالمسيح الرب، الذى خلصنا، صار جسداً، وبذلك دعانا» كما أنه يعترف بالأقانيم الثلاثة، الله الآب، والمسيح الذى كان روحاً وصار جسداً، والروح القدس. .أما برنابا فأحياناً نجده يشير- بطريقة تقليدية- إلى الروح القدس باعتبار أنه يلهم الأنبياء، وأنه الذى يُعِد مقدَّماً أولئك الذين يدعوهم الله.

وكان الاهتمام الرئيسى للفكر اللاهوتى لبرنابا هو أنه يعطى مكانة بارزة للوجود السابق للمسيح قبل التجسد. فالمسيح هو الذى عمل مع الله الآب فى الخلق و(وعبارة: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» كانت موجهة من الآب للمسيح).

أما إغناطيوس (Ignatius) الأنطاكى (نهاية القرن الأول) فكان أكثر إلهاماً، على الرغم من أن توجهه كان مختلفاً

بشكل ملحوظ. فمحور تفكير اغناطيوس هو المسيح. كما أنه أعطى مكاناً لائقاً فى كتاباته للروح القدس. فبالروح القدس حدث حمل الرب العذراوى، وبواسطته أقام المسيح خدام الكنيسة وثبّتهم وكان هو العطية الذى أرسله المخلص، وقد وردت صيغة الثالوث ثلاث مرات على الأقل فى كتاباته، وكثيراً ما يتكلم عن الله الآب، ويسوع المسيح، معلناً أنه لا يوجد سوى إله واحد، الذى أعلن عن ذاته فى ابنه يسوع المسيح، الذى هو حكمته، وكلمته الناطقة. والمسيح هو فكر الآب: الفم الذى لا يكذب، والذى أعلن الآب الحق. بل إن إغناطيوس الأنطاكى أعلن أن المسيح هو «إلهنا»، ووصفه بأنه «الله المتجسد»، الله الذى ظهر فى الهيئة كإنسان، وهو «فى الجوهر واحد مع الآب». وفى وجوده السابق للتجسد كان «غير مولود»، لا يحده زمن، وغير منظور، وغير محسوس، ومنزه عن الألم، ولكنه من أجلنا دخل الزمن، وأصبح منظوراً، ومحسوساً، وخاضعاً للألم. ويذكر إغناطيوس أن المسيح» كان مع الآب قبل كل الدهور» وجاء من عند الآب..كان معه، وعاد إليه..»

٣- الآباء والكلمة (اللوجوس)

كان بطرس الرسول أول من اعترف بأن يسوع هو المسيا ابن الله الحى. وذلك بصفته شاهد عيان لمجده الإلهى البادى فى أعماله. وذلك عندما شهد له قائلاً: أنت هو المسيح ابن الله الحى» (متى ١٦:١٦).

لقد كان الفكر اللاهوتى - فى فترة ما قبل نيقية- مركّزاً على التعليم بأن المسيح هو الله المتجسد، والفادى للعالم. وكان هذا التعليم هو الأساس لكل العقائد المتعلقة بالتجديد بالمعمودية. بل وكان مطبوعاً على الحياة العامة، فكان دستور عبادة الكنيسة الأولى. فلم يكن الأمر مجرد تأكيد الآباء على ألوهية السيد المسيح فى مواجهة الهراطقة، ولكن كما يقول «شاف» المؤرخ الكنسى كان هذا الإيمان يُعلن فى العبادة اليومية والأسبوعية، وفى الاحتفال بالعماد، وفى العشاء الربانى، وفى الأعياد السنوية، ولا سيما عيد القيامة. وقد وجد هذا الإيمان مكانه فى الصلوات والتسابيح.بل نجده فى شهادة وثنى، إذ كتب بلينى (Pliny) الصغير إلى الامبراطور تراجان (Trajan) رسالة تفيد أن المسيحيين فى أسيا «اعتادوا أن يرنموا للمسيح كإله لهم». ويقتبس يوسابيوس من أحد الكُتّاب، ربما يكون هيبوليتس، حيث يشير إلى كتابات يوستينوس، وتاتيان وكليمندس، وآخرين فى شهاداتهم لألوهية السيد المسيح ضد هرطقة أرتيمون (Artemon). وكانت الترانيم التى يكتبها الأخوة تشهد بأن المسيح هو «كلمة الله»، وكانوا يؤكدون على ألوهيته.وقد دفع كثيرون من المؤمنين حياتهم ثمناً لشهادتهم بأن المسيح هو ابن الله (ارجع إلى تاريخ الكنيسة المسيحية لشاف جـ٢) فكانوا جميعاً يؤمنون بإله واحد، ويصممون على ألا يتهاونوا فى هذا الحق الجوهرى مهما كلفهم الأمر (كيلى: التعليم فى الكنيسة الأولى).

كان الإيمان بألوهية السيد المسيح، وألوهية الروح القدس عقيدة راسخة لا تتزعزع، فى عقل الكنيسة المسيحية وقلبها، وكان ذلك هو جوهر إيمانها. فهم يرون أن المسيح سابق للوجود، فقد كان هو فكر الآب أو عقله الناطق. ولشرح هذا التعليم استعانوا بالتشبيه المجازى للكلمة الإلهى (اللوجوس) الأمر الذى كان معروفاً لليهود فيما بين العهدين وللرواقيين أيضاً حيث أصبح أمراً شائعاً نتيجة تأثير «فيلو» كما يقول كيلى (المرجع السابق).

ففى الإنجيل بحسب يوحنا على سبيل المثال نقرأ أنه «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.. والكلمة صار جسداً» (يوحنا ١: ١و١٤).

أما إغناطيوس فإنه يقول: «إنه المسيح المصلوب هو الإله المتجسد» كما يقول «إن المسيح هو فكر الآب، الفكر الناطق

الذى قطع الصمت» (كيلى: مرجع سابق). وكما سبق القول فأن الغنوسية (الغنوصية) كانت منتشرة فى ذلك الوقت وقد هاجمها الرسول يوحنا. وكان إغناطيوس يشدد على حقيقة أن المسيح صار جسداً وحلَّ بيننا، وأن المسيح هو الله.

وهو بهذا يحارب عقيدة الأبيونيين (راجع الباب الخاص بالهرطقات فى هذا المجلد) وعقيدة الإبيونيين لم تكن تعترف بلاهوت المسيح. كما يرفض عقيدة الغنوسيين أيضاً (راجع الباب الخاص بالهرطقات فى موضعه من هذا المجلد).

وكانت طائفة الغنوسيين ترفض ناسوت المسيح.

وقد استطاع إغناطيوس أن يتكلم عن ناسوت المسيح وعن لاهوته دون أن يمزجهما مزجاً كلياً أو أن يفصلهما فصلاً تاماً، الواحد عن الآخر. ويقول إغناطيوس: «إن الكلمة صار جسداً» فهذا الاتحاد الذى تم فى المسيح بين اللوجوس والساركس، بين الكلمة والجسد، كان واضحاً فى تصرفات المسيح. فقد كان يتعب ويأكل ويشرب لأنه كان إنساناً. وكان يعمل المعجزات لأنه كان الله. كان هناك توافق واتحاد بين اللوجوس والساركس. ويقول أيضا إن الجسد الذى وُلد من مريم العذراء يربط يسوع بالبشرية. ولكن الكلمة الذى صار جسداً أى اللوجوس، هو من الله،بل هو الله نفسه، وهو الذى يربط المسيح بالله الآب.

لقد استخلص الآباء المدافعون المضامين الأخرى لفكرة اللوجوس لتوضيح الحقيقة المزدوجة المتعلقة بوحدة المسيح مع الآب قبل الزمن واستعلانه فى المكان والزمان. وهم إذ فعلوا هذا فيما كانوا يستخدمون شواهد من العهد القديم مثل «بكلمة الرب صنعت السموات» (مزمور ٣٣:٦)، لم يترددوا فى أن يمزجوا معها التفريق الرواقى بين «الكلمة» أو الفكر الداخلى، «والكلمة» أو الفكر المنطوق أو المعبر عنه بالكلام. (كيلى: مرجع سابق).

(د. حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى جـ١).

وتعليم الآباء فى هذه المسألة يبدو واضحاً تماماً فى كتابات يوستينوس، وبرغم أن فكره اللاهوتى لم يكن نظامياً (كيلى: المرجع السابق) إلا أن تطور الفكر اللاهوتى عن شخص السيد المسيح يبدأ بيوستينوس، ليصل إلى قمته عند أوريجانوس كما يقول شاف (ارجع إلى تاريخ المسيحية لشاف جـ٢).

كانت نقطة البداية عند يوستينوس هى أن العقل هو الذى وحَّد الناس بالله، وأعطاهم معرفته. وقبل مجئ المسيح كان الناس يملكون «بذار» اللوجوس، فهو يرى أن الكلمة الإلهى كالبذور نُثرت بين البشر من يهود ووثنيين، وبذلك أعطوا القدرة على الوصول إلى أوجه جزئية من الحق. وعلى هذا فإن الوثنيين الذين كانوا يعيشون فى ظل العقل، كانوا من ناحية ما مسيحيين، حتى قبل المسيحية. ومع ذلك، فقد أخذ اللوجوس شكلاً، وجاء فى الهيئة كإنسان فى يسوع المسيح. وقد فُهم اللوجوس هنا على أنه عقل الآب، أو فكره المنطقى. لكن يوستينوس يقول إن اللوجوس ليس متميزاً عن الآب من ناحية الاسم فقط، مثل تميز الضوء عن الشمس، وإنما عددياً أيضا (كيلى: مرجع سابق، شاف مرجع سابق) فالقديس يوستينوس يرى أن اللوجوس يتمتع بوجوده الذاتى والمتميز عن الله الآب، ويعتقد البعض أن يوستينوس كان يحارب بطريقة خفيفة لكن بثبات ووضوح، بعض المسيحيين الذين كانوا يتمسكون بفكرة إغناطيوس التى ترفض فصل أى شئ عن لاهوت الآب. (د.ق حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى جـ١). واعتبر أن ظهورات الله فى العهد القديم هى ظهورات اللوجوس. (كيلى: مرجع سابق، أو شاف: مرجع سابق). ويرى أن السيد المسيح هو علة العلل. وهو التجسد الأزلى، والمطلق للعقل، وهو الهدف الحقيقى للعبادة.

كما يرى يوستينوس أن ما جاء فى (تك ١:٢٦) نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا هو حوار يقدم لنا الله كمن يتكلم مع آخر (اللوجوس). وكذلك ما جاء فى (أم ٨: ٢٢-٣١) الرب قنانى أول طريقه» فكان الآب يحادثه (أى يحادث

الابن) ثم إنه إله: «فلكونه الكلمة فهو أيضاً الله» وعلى ذلك فهو يستحق العبادة لأنه الله. ثم إننا نعبد اللوجوس ونحبه لأنه الله غير المخلوق الذى يجل عن الوصف، لأنه تجسد من أجلنا (كيلى مرجع سابق).

وعن انبثاق الابن من الآب يرى يوستينوس أن ذلك لا يعنى أن اللوجوس جرَّد الآب من لاهوته، أو نزعه عنه، فالإنسان يفكر فى الكلمة التى ينطق بها قبل أن يخرج لفظ الكلمة من المتكلم، فالكلمة التى ينطق بها لا تجرد الإنسان الذى نطق بها من جوهره كإنسان أو تقلل أو تنقص من كيانه ووجوده. إن انبثاق الابن من الآب يشبه أيضا توليد النار من النار، وهذه العملية لا تنقص من كمية أو قوة النار الوالدة ولا تجددها من قوتها وكيانها. وقد عبَّر عن انبثاق الابن من الآب بأنه انبثاق داخلى فى الله ذاته. ويتفق أيضا وقول الرسول يوحنا: «كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان» (يو ١:٣). فالقديس يوستينوس يرى أن اللوجوس الابن هو العامل فى الخلق.

وعندما تعرض القديس يوستينوس لشرح علاقة الآب بالابن لم يستطع أن يتجنب السقوط فى مشكلة التابعية أو الخضوع (Subordinatianisme) أى تابعية الابن للآب أو خضوع الابن للآب، لأن الآب أعظم وأسمى منه، فقد كتب يقول: «إن اللوغوس أصبح ابناً إلهياً، ولكن خاضع للآب» (حوار٦١). (راجع د.ق. حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى جـ١ صفحة ٤٥١).

وبالرغم أن يوستينوس يعتبر أحد الآباء المدافعين ممن ساهموا فى الدفاع عن الحق الإلهى، بل وعاش ومات لأجل المسيح، إلا أن بعض تعاليمه قد تعرضت للنقد حيث أنه تأثر بالأفكار الأفلاطونية تأثراً واضحاً، وقد بدا ذلك فى تعليمه عن اللوجوس وعن انبثاقه، فإن خروج اللوجوس من الآب يشبه إلى حد ما خروج اللوجوس (بعض الأرواح) من الإله الأسمى فى المفهوم الوثنى الغنوسى (راجع ذلك فى الباب الخاص بالهرطقات)، كما أن يوستينوس كان يعتقد بأن الابن أدنى من الآب، وأن الروح القدس أدنى من الابن) (راجع د.ق حنا جرجس الخضرى جـ١صـ٤٥٢، ٤٥٣).

وقد سار تعليم ثاؤفيلس الأنطاكى من كُتَّاب النصف الأخير من القرن الثانى على نهج مماثل لما سار عليه يوستينوس وأثيناغوراس على الرغم من أنه استخدم بصراحة التعبيرات الرواقية لتوضيح أفكاره. وكان هو أول من استخدم كلمة الثالوث. وقد استخدم هذا المصطلح فى صيغة غير مألوفة هى «ثالوث الله». كذلك يرى كل من كواستين وشاف أن ثاؤفيلس هو أول من كتب مميزاً بين اللوجوس فى الداخل (Internal) واللوجوس فى الخارج أو منطوقاً (uttered). ويشرح ثاؤفيلس ذلك قائلاً: «إن الكلمة كان عند الله، فى حضن الله، الكلمة فى الداخل وقد ولده مع حكمته قبل الكون، والكلمة أى هو الذى خلق كل شئ. وعندما نطق الله هذا الكلمة، أى اللوجوس، خارجا عنه كان هذا هو الكلمة المنطوق خارج الله. ويدعوه أيضاً المصدر والسيد لكل الأشياء التى خلقها» وكيلى مرجع سابق وشاف مرجع سابق- ود. ق حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى كما يرى ثاؤفيلس أن اللوجوس المنطوق هو الذى كان يتحدث مع آدم فى الجنة. ولكن يُوَجِّه إلى نظرية اللوجوس فى داخل الله، واللوجوس فى خارج الله نقداً عن أبدية اللوجوس! وكذلك عن تابعية الابن وخضوعه (د. ق حنا جرجس الخضرى-المرجع السابق).

وعلى غرار يوستينوس، اعتبر ثاؤفيلس ظهورات العهد القديم على أنها فى الواقع ظهورات اللوجوس (كيلى- المرجع السابق).

أما ترتليانوس (القرن الثانى الميلادى). فيؤكد على أن ميلاد المسيح حقيقة واقعية لا شك فيها. ويعتمد ترتليانوس أن اللوجوس ظهر بالتدريج، وهو يصف اللوجوس بالحكمة

والكلمة.

ويميز بين الميلاد الأول لأقنوم الحكمة قبل الخليقة، والميلاد الكامل عندما نطق الله باللوجوس وصار الكلمة، حيث أنه فى تلك اللحظة صار منظوراً وكاملاً. فالكلمة انبثق من الله، لكى يعمل مع الله فى خلق العالم(أم ٨:٢٢-٢٧).

ويسمى ترتليانوس تلك الحالة - بعد التجسد- حالة مزدوجة، ففى المسيح توجد الطبيعة الإلهية، والطبيعة البشرية، أى اتحاد الإلهى بالبشري، وهو بذلك وجود طبيعتين فى شخص المسيح. فالابن يتميز عن الآب، وكذلك يتميز عن جسده. فالروح والجسد هما إذن متميزان وغير مختلفين وغير ممتزجين، مع أنهما متحدان، فاللوجوس كان يعمل المعجزات، من شفاء مرضى وإقامة الأموات ..إلخ، وخصائص الجسد كانت ظاهرة فى الجوع والعطش والآلام والاضطراب والحزن والبكاء...إلخ (راجع شاف مرجع سابق-ود.ق حنا جرجس الخضرى مرجع سابق).

أما إيريناوس القرن الثانى الميلادى فأخلص من يمثل مدرسة الرسول يوحنا. فهو يحافظ على استخدام الكلمات والمفاهيم فى الإطار الذى وردت فيه بالإنجيل. وهو يقترب بوجه عام فى إيمانه من الإيمان النيقوى. ويفضل استخدام التعبيرين «الكلمة» و« ابن الله»، ويستخدمهما بالتبادل.

لقد رفض إيريناوس كل فكرة تحاول أن تشرح العلاقة بين الابن والآب، حيث قال إنها أسرار لا تسبر أغوارها (راجع شاف جـ٢ تاريخ الكنيسة المسيحية صـ٥٥٣) **ويحتج بشدة كذلك، على اللاهوتيين الذين يقدمون شروحات مطولة ومتصلة عن أصل ومنبع ابن الله ووجوده كما لو أنهم كانوا حاضرين فى يوم ميلاده. ثم يقول إن هذه الأمور لا يمكن وصفها لأنها تفوق كل وصف، والإنسان لا يمكن أن يفهمها ويشرحها، ولا أحد يعرف سر ميلاد ابن الله إلا الآب والابن.** (راجع د. حنا جرجس الخضرى الفكر المسيحى جـ١ صـ٤٣٤).

ولكن حين حاول إيريناوس أن يشرح ذلك فإنه قام بالتمييز بين الآب والابن قائلاً: إن الآب هو« الله الذى يعلن نفسه» أما الابن فهو «الله المعلَن»، أى أن الله «الآب هو أساس الإعلان»، أما الابن فهو «الإعلان الظاهر نفسه» ولذلك فهو يدعو الآب «الابن غير المنظور»، والابن «الآب المنظور» كما يتفق إيريناوس مع يوستينوس فى الرأى عن ظهورات الله فى العهد القديم، فالابن هو الكلمة الذى فيه كلَّم الله الآباء. فالكلمة المتجسد الذى لم يكن حتى ذلك الحين منظوراً للبشر، صار -بعد التجسد- منظوراً. وأعلن للمرة الأولى صورة الله التى على صورتها خلق الله الإنسان الأول. (كيلى- التعاليم المسيحية الأولى- صـ١٠٧).

ويميز إيريناوس بوضوح بين مفهومى الولادة «والخليقة». فالابن بالرغم من أنه مولود من الآب، لكنه على مثاله، مميز عن العالم المخلوق، فهو غير مخلوق، لا بداية له، أى أنه أزلى، وأبدى. وهو يقترب كثيراً من عقيدة نيقية فى مسألة «تطابق الابن والآب فى الطبيعية» وأن تعبير «أبى أعظم منى» «ينطبق على المسيح التاريخى فقط، وهو مثل يوستينوس وأوريجانوس، يشير أيضاً إلى المسيح الأبدى.

وكما يقول شاف: فإنه «بغض النظر عن عدم دقته فى التعبير فى أحيان كثيرة، فإنه بوجه عام، ينحو نحو التعبيرات الكتابية والكنسية، ويؤكد الوحدة الجوهرية والتميز الشخصى الأزلى للآب والابن.

وقد ركّز ايريناوس على ما يختص بقضية الخلاص، فكان يؤكد بشدة على الخلاص، الذى تم فى شخص المسيح، إذ كان الغنوسيون يعلّمون أن السيد المسيح هو واحد من الأيونات (Aeons) (العوالم أو الدهور أو الآلهة)، التى صدرت عن الإله الأسمى، ونزل لكى يخلص الإنسان أو ليحرره من الشرارات الإلهية السجينة فى الإنسان. والخلاص عند الغنوسيين هو رجوع الشرارات أو الذرات الإلهية التى سقطت

من فوق، إلى اللاهوت. وهذه العودة لا تتم إلا عن طريق، المعرفة وهى التى تمنح الخلاص. ودور المسيح هو أن يساعد الإنسان على الوصول إلى هذه المعرفة. هذا هو الخلاص عند الغنوسيين.

كما قال الغنوسيون إن المسيح جاء من فوق ولا يمكن أن يلتصق بالمادة لأنها شر وخطية. لذلك قال إيريناوس إن المسيح جاء فعلاً للخلاص، ولكن هذا المسيح الذى يتكلم عنه الغنوسيون ليس هو نفس المسيح بحسب الإنجيل. فالمسيح بحسب الإنجيل هو مسيح واحد فريد جاء لفداء الإنسان، وقد جاء وصار جسداً.

فالمسيح إن لم يكن إنساناً حقاً وإلهاً حقا، لأصبح خلاصنا مستحيلاً. ولذلك فإنه أكد بشدة على أنه كان من الضرورى بل من اللازم لاتمام عملية الفداء، ووجود مخلص، وأن يكون هذا المخلص مشتركاً فى اللاهوت ومشتركاً أيضاً فى الناسوت. أى كان لابد وأن يكون إلهاً وإنساناً فى نفس الوقت، حتى يستطيع أن يصالح الإنسان والله. فقد كان المسيح إذاً هو الوسيط المؤهل للقيام بهذه العملية، عملية الوساطة بين الله الذى لا يمكن أن يُدنى منه، وبين الإنسان الخاطئ (بتصرف د.ق حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى ج١).

لقد رفض القديس إيريناوس كل عقيدة تؤدى إلى الفصل أو التقسيم فى الله أو اللوجوس. فهو يرى الوحدة الكاملة والجوهرية بين الله الآب والله الابن. ومع ذلك فإنه اضطر مراراً كثيرة إلى أن ينسب ما هو للجسد للجسد، وما هو للطبيعة الإلهية. وذلك لأن الكتاب المقدس نفسه استخدم هذا الأسلوب فى الكلام عن المسيح، فإنه الله الذى ظهر فى الجسد لم يلاشِ ما فى الجسد الذى ظهر فيه، من صفات مختصة به. كذلك الجسد الذى ظهر فيه الله لم ينتقص شيئاً من هذا اللاهوت. فهناك أفعال وتصرفات صدرت من المسيح لا يمكن أن ننسبها للجسد، كما صدرت أمور عن المسيح لا يمكن نسبتها للاهوت (راجع إلى تاريخ الفكر المسيحى: د. حنا جرجس الخضرى ج١ص ٤٤١).

(القرن الثانى الميلادى)

ويستخدم كليمندس السكندرى(القرن الثانى للميلاد) أرفع العبارات عندما يتكلم عن اللوجوس(٥٢، ١٥)، وإن كان حديثه عن شخصية المسيح المستقلة بلغة الغموض، وهو يرى أن اللوجوس هو العلة الأساسية لكل الوجود). فهو بلا بداية، ولا نهاية، وهو الذى يعلن الله، وهو جُماع كل كلمة وحق، وهو الكلمة الناطقة والقوة الخلاقة، وهو خالق الكون، ومصدر النور والحياة، وهو أعظم معلم للجنس البشرى، وأخيراً جاء فى الهيئة كإنسان، ليجعلنا فى علاقة شركة معه، ويجعلنا شركاء طبيعته الإلهية.

أما أوريجانوس(نهاية القرن الثانى وبداية الثالث) فقد كان يدرك أن المسائل التى تتعلق بشخص السيد المسيح، والثالوث هى مسائل شائكة، ومع ذلك فقد كان جريئاً فى تناولها ومعالجتها، إلا أن فكره كان يكتنفه الغموض نظراً للشطحات الغريبة التى لازمته. فقد خلط بين مفهومى «واحد مع الآب فى الجوهر» homo-ousian، و«مشابه للآب فى الجوهر» homoi- ousian أى نظرية التابعية كما يقول شاف فى تاريخ الكنيسة المسيحية. وقد حدث صراع فكرى حاد بين المفهومين، ظهر بقوة فى الجدل الأريوسى فمن جهة، جعل الابن أقرب ما يكون لجوهر الآب، فلم يجعله الحكمة المتجسدة المطلقة والحق والبر والعقل فحسب، ولكنه أيضا الإعلان الأزلى الذى يعبر عن الآب، وهو الذى اقترح عقيدة الكنيسة فى مسألة أزلية ولادة الابن، وهو يقدم أزلية ولادة الابن على أنها صادرة من إرادة الآب، كما أنه يصورها على أنها منبثقة أيضاً من جوهره، ومن ثم فهو يعلن على الأقل فى أحد أقواله مساواة الابن للآب فى الجوهر أو الطبيعة، مع أن فكرة أزلية الولادة أخذت عند أوريجانوس شكلاً خاصاً. من ارتباطها

الوثيق مع تعليمه عن الخليقة الأزلية، فلم يعد فى مقدوره أن يفكر فى وجود الآب، دون وجود الابن، أو التفكير فى إله قادر على كل شئ بدون الخليقة،كما لا يمكن التفكير فى الضوء بدون شعاع. حيث يصف هذه الولادة على أنها عمل لحظى فريد. ولكن على أنها مستمرة كاستمرار الخلق. إلا أنه من ناحية أخرى، يميز بين جوهر الابن وجوهر الآب، متكلماً عن اختلاف الطبيعة. وجعل بكل وضوح الابن فى درجة أدنى من الآب. مستشهداً بما جاء فى (يو١:١) «وكان الكلمة إلهاً» بدون أداة تعريف. علَّم أوريجانوس أنه يجب ألا توجه الصلاة إلى الابن مباشرة، بل إلى الآب من خلال الابن بالروح القدس.

ولكن هذا الأمر يجب أن يقتصر على العبادة. لأنه فى موضع آخر يعترف بالصلاة للابن، وللروح القدس. لكن تابعية الابن للآب هذه كانت خطوة إلى الأريوسية. وبعض تلاميذ أوريجانوس، وبخاصة ديونيسيوس السكندرى اقترب من تلك الهرطقة بصورة واضحة.

ويوجز كيلى فى نقطتين ما يرى أنه يجب التأكيد عليهما فى تعليم الآباء هما:

(أ) بالنسبة لهم جميعاً لا تشير عبارة «الله الآب»إلى الآب فحسب، وإنما تشير إلى الإله الواحد الخالق لكل ما هو موجود.

(ب) إنهم جميعاً، يحددون ميلاد اللوجوس منذ قام بأعمال الخلق، والإعلان الإلهى، والفداء.

وما لم تُفهم هاتان النقطتان بكل عمق،وتقدَّر أهميتهما حق قدرهما فمن المحتمل أن ينجم عن ذلك رأى مشوَّه تماماً عن الفكر اللاهوتى للآباء المدافعين إلا أن ثمة نقدين يوجهان لتلك الآراء:

إنهم لم يميزوا بين اللوجوس والآب، إلى أن قام الابن بعملية الخلق، مما نجم عنه اتهامهم بأنهم أخضعوا الابن للآب، وهذه الاعتراضات تبدو صحيحة ظاهرياً على ضوء الإيمان القويم بعد مجمع نيقية، وتعليمهم القائل بولادة الابن منذ الأزل، ومفهومهم السليم الذى توصلوا إليه عن الأقانيم الثلاثة. وإنها لحقيقة أنهم كانوا يفتقرون إلى مفردات اللغة المتخصصة (الفنية)، والكافية لوصف تلك الفروق فى إطار الألوهية، غير أنه ليس هناك شك فى أنهم كانوا يدركونها. فقبل الخليقة ومنذ الأزل كان لدى الله كلمته (اللوجوس)، لأن الله بالضرورة عاقل.

فقد أدركوا أن الكلمة شخص يمكن للآب أن يحادثه. والفكر القويم وصف هذه العلاقة الأزلية بالآب على أنها ولادة. وهذا التعبير يجب ألا يحملنا على الاستنتاج أنهم لم يكونوا يدركون وجود الكلمة قبل ذلك.

وحين أكد كل الآباء المدافعين على أن ولادة الابن جاءت نتيجة إرادة الآب، فلم يكن غرضهم أن يخضعوه للآب بأى حال، **بل كانوا يستهدفون حماية الإيمان بإله واحد**، الأمر الذى يعتبرونه حتمياً وضرورياً. فاللوجوس من ناحية ظهوره لابد وأن يكون محدوداً بالمقارنة بالألوهية نفسها.

وكان من الضرورى التأكيد على أنه لم يكن هناك مصدران للمبادرة فى الله.

ولم يدَّخر الآباء المدافعون وسعاً فى تكرار القول بأن اللوجوس واحد مع الآب فى الجوهر، لا ينفصل عنه من ناحية كيانه الأساسى سواء بعد ولادته أو قبل ذلك.

٤- الآباء والروح القدس

ما ذكره الآباء المدافعون عن الروح القدس كان ضئيلاً للغاية، حتى يكاد لا يستحق أن يُطلق عليه الفكر اللاهوتى العلمى. وهذا أمر مفهوم لأن المشكلة التى استغرقتهم بصفة

أساسية كانت علاقة المسيح بالله الآب كما يقول كيلى (مرجع سابق صـ١٠١) فحتى منتصف القرن الرابع الميلادى لم يكن الروح القدس موضع جدل أبداً. وفى قانون الرسل يُذكر بند واحد فقط عن الروح القدس بينما الاعتراف بابن الله يأتى ذكره فى حوالى ستة أو سبعة بنود، وحتى قانون نيقية الأول يتوقف مع الكلمات «وبالروح القدس». أما البنود الأخرى فقد أضيفت لاحقاً (شاف - مرجع سابق).

ويضيف شاف مؤكداً أن التعاليم عن ألوهية السيد المسيح والروح القدس لم تكن قد اكتملت دراستها على نحو دقيق، فى الفترة السابقة على نيقية، فلا يتوقع أن يكون التعليم عن الثالوث فى تلك الفترة أكثر وضوحاً. وذلك ينطبق أيضا على كل العقائد الكتابية البسيطة والعملية خلال القرون الثلاثة الأولى حيث اعتمد الرسل ومجمع نيقية على صيغة المعمودية. ومن ثم نُظمت فى ثالوث. وقد ظهر ذلك بداية فى التسبيح للثالوث. وقد ذكر ذلك فى رسالة كليمندس الرومانى إلى كنيسة سميرنا عن استشهاد بوليكاربوس فيدعوه «الله، الرب يسوع المسيح، والروح القدس»(شاف مرجع سابق).

يذكر يوستينوس فى مناسبات عديدة مساواة الأقانيم الثلاثة فى المرتبة. ويقتبس فى بعض الأحيان صيغاً مستمدة من صيغة المعمودية والإفخارستيا. وقد قاوم تهمة الإلحاد التى وجهت إلى المسيحيين بالإشارة إلى التبجيل الذى يوليه المسيحيون للآب والابن وروح النبوة. والواقع إن كتاباته تزخر بالإشارات إلى «الروح القدس»، أو «روح النبوة». وعلى الرغم من أن كثيراً من كتاباته كان يشوبها الغموض بالنسبة لعلاقة أعمال الروح القدس بأعمال اللوجوس. إلا أنه ينظر إليهما ككيانين أو شخصين متميزين بالفعل(كيلى-مرجع سابق صـ١٠٢).

وطبقاً لما يقوله تاتيان(طاطيان)(Tatian) فإن روح الله لا يكون فى الجميع، بل يحل فى البعض ممن يعيشون باستقامة، فهو يوحد نفسه مع نفوسهم. وبواسطة تنبؤاته يعلق المستقبل الخفى بالنسبة لنفوس أخرى. والروح القدس كما يرى أثيناغوراس هو الذى يلهم الأنبياء، وكان أثيناغوراس يعرف صيغة الثالوث القدوس، بل إنه عرف الروح القدس، على أنه «يتدفق أو ينبثق من الله» ثم يعود إليه مثل شعاع الشمس. وقد اختلف ثاؤفيلس حول هذه النقطة مع يوستينوس، إذ عرف الروح بالحكمة، مساوياً بين الحكمة والروح. والتى طبقاً للمزمور(٦:٣٣) استخدمها الله مع كلمته فى عملية الخلق.

وكما سبق أن ذكرنا كان ثاؤفيلس هو أول من استخدم تعبير «الثالوث»، وقال إن الأيام الثلاثة التى سبقت خلق الشمس والقمر، كانت إشارة إلى الثالوث، الله وكلمته وحكمته.

وإذا قورن هذا مع فكر الآباء المدافعين فيما يتعلق باللوجوس، فسوف يتضح أنهم كانوا فى حيرة تامة بالنسبة للدور الحقيقى للروح القدس. إذ يبدو أن عمله الأساسى، كما فهموه، كان إلهام الأنبياء وعلى ضوء هذا يفسر يوستينوس ما جاء فى (إش١١:٢)«ويحل عليه روح الرب» على أنه إشارة إلى أنه مع مجئ المسيح، سوف يغدق مواهبه ونعمه على المؤمنين. حيث هو روح الاستنارة التى تجعل من المسيحية أسمى فلسفة. ومع ذلك فهناك فقرات ينسب فيها إلهام الأنبياء إلى اللوجوس. **ومما يجدر ذكره فى هذا السياق أن يوستينوس لم ينسب إلى الروح القدس أى دور فى التجسد.** وهو مثل آباء ما بعد مجمع نيقية الآخرين، قد رأى أن «الروح القدس» «وقوة العلى» اللذين ورد ذكرهما فى (لو١:٣٥) لا يشيران إلى الروح القدس، بل إلى اللوجوس، الذى تخيل أنه دخل إلى بطن السيدة العذراء مريم، وعمل كوسيط لتجسده(راجع كيلى المرجع السابق)، ومع ذلك وعلى الرغم من عدم الترابط فى كتابات الآباء المدافعين، إلا أن تعليم الثالوث المقدس نراه واضحاً فى كتاباتهم. والروح القدس فى كتاباتهم هو

روح الله، ومثل الكلمة، يشارك فى الطبيعة الإلهية، إذ إنه (حسب ما قاله أثيناغوراس) هو «دفق من الله» وعلى الرغم من أن كثيراً مما قاله يوستينوس عنه يتسم بنغمة أقل من شخصية، إلا أنها تصبح شخصية أكثر حين يتكلم عن «روح النبوة»، ولا يمكن إغفال المضامين الشخصية التى احتوتها حججه من أن أفلاطون استعار مفهومه عن «ثالث» من موسى، والعادة الوثنية بإقامة تماثيل للصبية المدثرة كورى(Kore) عند ينابيع المياة، استلهمت من الصورة الكتابية للروح الذى يرف على وجه المياه (كيلى- مرجع سابق).

أما الرأى العقلانى الذى يرى أن تعليم الكنيسة عن الثالوث ينبع من الأفلاطونية الحديثة إنما هو عارٍ تماماً من الصحة كما يرى شاف، ويضيف إن الثالوث الهندوسى(براهما- فيشنو-سيڤا) حيث يتحدون معاً فى الروح ما يزال بعيداً جداً عن الثالوث فى المسيحية. وما يعتبر حقيقياً فعلاً هو أن الفلسفة الهيلِّينية قد عملت من الخارج كقوة مؤثرة تركت أثرهافى معظم صيغ الفكر اللاهوتى عند الآباء.ومن بين التعليم الذى تأثر بذلك، التعليم عن اللوجوس والثالوث. وقد رأى فى وقت سابق بعض المثقفين من الوثنيين وجود ثالوث متميز فى الجوهر الإلهى. وبالرغم من أن الفكرة غامضة وبعيدة، إلا أنها استخدمت فى تدعيم الإيمان المسيحى.

وكانت الأفكار التى عرضت فى العهد القديم، أكثر وضوحاً لا سيما فيما يتعلق بالتعليم فى موضوعات عن المسيا، والروح، والكلمة، وحكمة الله. (وحتى فى نظام الأعداد الرمزية، والتى اعتمدت على تقديس الأرقام: ثلاثة (وهى ترمز إلى الله). وأربعة (وترمز إلى العالم) وسبعة واثنا عشر(ويشيران إلى اتحاد الله والعالم) وهى أرقام العهد. أما سر الثالوث فقد أُعلن بالكامل فى العهد الجديد فحسب، بعد اتمام الفداء وعمل الروح القدس. والظهور التاريخى للثالوث هو أساس المعرفة بالثالوث.(شاف مرجع سابق).

كان الثالوث العامل يأتى فى المقام الأول من فكر الكنيسة. أى الثالوث الذى أعلنه الله فى عمله فى:الخلق والفداء، والتقديس. لقد ظهر الثالوث فى كتابات الآباء باعتبار أنه حقيقة حية. وعلى ذلك، وباتفاق العقل والكتاب المقدس، أعلن جوهر الثالوث. حيث يمكن فهمه-إلى حد ما- عندما يعلن نفسه فى أعماله وأقواله. فالطبيعة الإلهية فُهمت لاعلى أنها وحدة مجردة، مطلقة، بل على أنها ملء لانهائى.

يعترف أثيناغوراس نهاية القرن الثانى بالإيمان بالآب والابن والروح القدس وأنهم واحد فى القوة، ولكنه يميز بينهم فى الدرجة أو المنزلة ويشير إلى التابعية (تابعية الابن للآب).

أما أوريجانوس فيصور الثالوث بثلاث دوائر متحدة المركز، وكل دائرة تغطى جزءاً صغيراً من الدائرة التى تليها. فالله الآب يتسع مجال عمله ليشمل كل المخلوقات، واللوجوس يعمل فقط فى دائرة المخلوقات العاقلة، والروح القدس يعمل فى دائرة القديسين فى الكنيسة. ولكن عمل الروح للتقديس يعود مرةأخرى للابن، ومن الابن للآب، الذى هو غاية كل الكائنات، وحيث أن نطاق عمل الآب هو الأكثر اتساعاً فهو يأتى فى مرتبه أعلى.

ولا يذهب إيريناوس أبعد من صياغة المعمودية وثالوث الإعلان الإلهى. متتبعاً تطور رسالة الله إلى العالم. ويمثل العلاقة بين الأشخاص كما وردت فى(أفسس ٤:٦) **الآب الذى على الكل**، ورأس المسيح، الابن، الذى **بالكل**، ورأس الكنيسة، والروح الذى **فى الكل**، ومصدر الحياة.

أما ترتليانوس(القرن الثانى الميلادى) فيتقدم خطوة. إذ يفترض تميزاً فى الله نفسه، على أساس أن الصورة المخلوقة تكون بمثابة المفتاح للأصل غير المخلوق، فيشرح التمييز فى الطبيعة الالهية بمناظرته بالفكر الإنسانى، فالإنسان يعبر عن نفسه بالكلمة، ولكنه يؤكد على ضرورة وحدانية الآب والابن والروح القدس وهذه الوحدة مؤسسة على التمييز لا على

الانقسام، ولكن فى محاولته لشرح العلاقة بين الآب والابن سقط فى عقيدة التابعية وأولية الآب على الابن، أو سمو الآب على الابن باستشهاده بكلمات السيد المسيح: «أبى أعظم منى»(يو ١٤: ٢٨). ويستخدم العديد من التشبيهات لشرح هذه العقيدة، فيقول إن خروج الابن من الآب يشبه خروج شعاع الشمس من الشمس، وكما يخرج الفرع من الشجرة والنهر من الينبوع، كل هذه خارجة من مصادر مولودة منها. ونحن نقول بلا تردد إن الفرع هو ابن الجذع، والنهر ابن الينبوع، والشعاع ابن الشمس، وهكذا يمكن أن نطبق نفس الشئ على الكلمة الذى دُعى ابن الله. ولا يفرق ترتليانوس بين جوهر الينبوع وجوهر النهر، هكذا فإن الابن هو من نفس جوهر الآب وخارج منه.

كان ترتليانوس أول كاتب لاتينى يستخدم اصطلاح «التثليث» كما كان أول شخص يستخدم اصطلاح(Persona) وهو ما ندعوه «أقنوما»، وهذا الاصطلاح كان له دور مهم جداً فى المجامع التى عُقدت فيما بعد.

ويؤكد ترتليانوس بشدة على أن الآب والابن والروح القدس من جوهر واحد إلا أن يعطى المكانة الأولى فى الثالوث للآب، والمكانة الثانية للابن، والمكانة الثالثة للروح القدس. ويرد على اليهود الذين يرفضون عقيدة الثالوث خشية الصراع والغيرة بين أفراد الثالوث، بشرحه لمفهوم الثالوث ومفهوم الوحدة، إذ يرى أن الله الآب يظل السيد على الكون ويحتفظ بهذا السلطان، ومع ذلك فقد منحه للابن، والابن يستخدم هذا السلطان فى العالم لكى يُنفِّذ ما يريده الآب. لأن ما يريده الآب يريده الابن وينفذه الروح القدس. فلا يوجد صراع فى داخل الله، بل الانسجام والتوافق والمحبة. (راجع شاف- مرجع سابق،د.ق حنا جرجس الخضرى- مرجع سابق).

وقد كتب نوفاتيان(Novatian) من القرن الثالث كتاباً عن «الثالوث» هو أول لاهوتى رومانى يكتب باللاتينية، وفى هذا الكتاب شدد على التمييز بين الآب والابن والروح القدس، وأن السيد المسيح كان إلهاً حقاً، وانساناً حقاً منذ الأزل. وفى محاولته للتميز بين الآب والابن والروح القدس، سقط فى بعض الأخطاء إذ علَّم بأن الابن متميز عن الآب، والدليل على ذلك أن الآب أعظم من الابن، وأن الابن أقل من الآب، كما أن الروح أقل من الابن. فقد كان جُل اهتمامه مركزاً على مقاومة هرطقات مثل الانتحالية وعقيدة التبنى وعقيدة الدوسيتية، ليحاول إثبات التمييز بين الأقانيم الثلاثة الذين يكونون وحدة واحدة هى الله، وبذلك ابتعد عن هذه الوحدة.

كانت الانتحالية تقول إن الله واحد وأن «الآب والابن والروح» ما هم إلا أسماء وليسوا أقانيم. لذا نادى نوفاتيان بأن الله الآب، والابن، والروح القدس هم ثلاثة أقانيم وليسوا ثلاثة آلهة مختلفين فى الجوهر. وكذلك ميز نوفاتيان بين ابن الله وابن الإنسان وخلط بينهما. إلا أنه لا يذكر شيئاً عن الروح. (راجع شاف- مرجع سابق، د. ق حنا جرجس الخضرى- مرجع سابق).

بذلك نكون قد استعرضنا السياق الرئيسى لفكر الآباء قبل نيقية فيما يتعلق بموضوع الثالوث. وسوف نتناوله بأكثر تفصيل عند الحديث عن مجمع نيقية وقراراته وقانون الإيمان الصادر عنه، فى المجلد الخاص بذلك.

✣ ✣ ✣ ✣

الباب السادس

هرطقات قبل عصر نيقية

١- تقديم

لقد أحدثت المسيحية تغييراً عظيماً فى التاريخ، أثَّر على الحياة والفكر، وكذلك على النظم الدينية المعروفة من إيطاليا إلى الهند فى ذلك العالم القديم.

لقد جذبت المسيحية كثيرين من اليهودية والوثنية. وقد حاولت كل منهما أن تقيم تحالفاً زائفاً مع المسيحية، وهو ما أدى إلى صراع الكنيسة مع الهرطقة. ولا يمكن فهم كتابات الآباء وفكرهم بالكامل ما لم نلم بالهرطقات والحركات الفكرية المنحرفة فى زمن الآباء. فقد كانت لها أهمية كبرى، وأثر بالغ على الحركات الفكرية اللاهوتية لكل من الكنائس اليونانية واللاتينية فى ذلك العصر (شاف - مرجع سابق ص ٤٢٨).

كانت اليهودية المتطرفة، وكذلك الوثنية تنظران إلى المسيحية على أنها تعمل على هدم التعاليم والنظم الراسخة لكل منهما، لذا كانا يريان أنه يجب اجتثاثها من جذورها.

بينما ثمة فئة يهودية وفئة وثنية أكثر تحرراً اعترفتا بفضائل المسيحية، وشعرتا بالانجذاب إليها (شيلدون - مرجع سابق ص ١٩٣).

هرطقة

كلمة أصلها يونانى (hairesis) مشتقة من كلمة تعنى «انتقاء» أو «اختيار». وهى فى اليونانية الهيلّينية تشير إلى الاختيار العقلانى فيما يتعلق بالتعليم أو المدارس الفكرية. كما كانت فى المدارس الفلسفية عند كل من فيلو ويوسيفوس، والترجمة السبعينية تدل على طوائف عديدة أو اتجاهات قائمة فى اليهودية، وهى تتضمن معنى الازدراء للشخص الذى ينحرف عن تعليم الربيين. وفى هذا المعنى كان يستخدمها اليهود فى إشارتهم إلى المسيحيين. حيث اعتبروا المسيحيين

«هراطقة»، بمعنى أنهم انحرفوا عن اليهودية، وعن طوائفها (الفريسيين .. الصدوقيين .. الخ) ثم تطورت الكلمة فأصبحت تستعمل للدلالة على مذهب من مذاهب الفلسفة أو مدارس الفكر. ثم أصبحت تستخدم فى الفكر اللاهوتى بمعنى الأفكار الغريبة التى لا تتفق والتعليم المستقيم أو إنكاره. (موسوعة الكنيسة الأولى، موسوعة بيكر).

فكان لابد لليهودية بديانتها وكتبها المقدسة، والوثنية اليونانية- الرومانية بثقافتها الدنيوية وعلومها وفنونها أن تدخلا إلى المسيحية لتتغيرا وتتقدسا، وحتى فى عصر الرسل تعمد كثيرون من اليهود والأمم، ولكن بالماء فقط أي لم يعتمدوا بالروح القدس (شاف- مرجع سابق ص٤٢٨)، ولكن لم يكن بعض هؤلاء ولا من تحت ولائهم أكثر استعداداً، لأن يتخلوا عن تعاليمهم وآرائهم السابقة، ولذلك احتفظوا بها رغم اعتناقهم للمسيحية، وقاموا بتحريف التفاسير المسيحية لصالحهم.

وخلاصة القول إنهم احتفظوا بقدر كبير أو قليل من اليهودية والوثنية فى نفس الوقت الذى كانوا يدّعون فيه بأنهم مسيحيون.

ويرى شيلدون أن معظم الهرطقات المبكرة تعتبر بوجه عام محاولات للمزج بين التعليم القديم والتعليم الجديد الذى أتت به المسيحية، وقد تمت مقاومة تلك الحركات الفكرية والهرطقات مقاومة شديدة فى كتابات العهد الجديد، ويبدو ذلك واضحاً فى رسائل بولس الرسول والرسائل الجامعة.

ونتقابل مرة أخرى مع نفس الهرطقات فى القرن الثانى، حيث أخذت تلك الهرطقات صيغة أكثر تحديداً، وأصبحت أكثر انتشاراً فى أنحاء العالم المسيحى. وقد برهنت على الأهمية العالمية للديانة المسيحية فى التاريخ -هذا من ناحية- وعلى قوتها التى لا تقاوم فى تأثيرها على المثقفين والجادين من ناحية أخرى.

وقد وضعت المسيحية كل المعتقدات والأفكار الدينية الأخرى محل حيرة ودهشة، فقد كان المثقفون مرتبطين بالديانة الجديدة بحقائقها وقوتها فلم يستطيعوا أن يظلوا بعد فى اليهودية والوثنية، إلا أن بعضهم كان غير قادر أو غير راغب فى أن يتخلى داخلياً عن ديانته أو فلسفته القديمة، مما نتج عنه مزيج غريب من عناصر مسيحية وعناصر غير مسيحية.

لقد بذلت تلك الديانات جهوداً مضنية لتظل على قيد الحياة، وذلك بانتحال الأفكار المسيحية. وكان لذلك من ناحية أخرى تأثيره السلبى، حيث عرَّض حقائق مسيحية محددة إلى التشويه، مما ألزم الكنيسة بالدفاع عن نفسها ضد تشويه الحقائق وتحريفها، أو النكوص إلى مستوى اليهودية أو الوثنية.

وكما سبق وقلنا إنه بظهور المسيحية على مسرح التاريخ قد التقت بديانتين إحداهما حقيقية، والأخرى زائفة، وهكذا.

ظهرت الهرطقة بطريقة مماثلة، متمثلة فى الهرطقتين الأوليين، وهما: الأبيونية والغنوسية، حيث جذبتا انتباه الرسل، والملاحظة التى كتبها هيجيسبوس من أن الكنيسة حفظت تعليمها نقياً حتى حكم هادريان، فيها جانب من الحقيقة ويجب فهمها فى ضوء الغنوسية- فحسب- فقد ازدهرت الغنوسية فى القرن الثانى.

ويضيف هيجيسبوس أن الهرطقة بدأت فعلاً سراً منذ أيام سيمون الساحر، فالإبيونية كانت محاولة لتهويد المسيحية، والغنوسية محاولة لصبغ المسيحية بالوثنية(**شاف**- مرجع سابق ص ٤٢٨).

وهذان النموذجان الواضحان من الهرطقة هما على طرفى نقيض، فالإبيونية أساساً تقليص للديانة المسيحية، والغنوسية تحديد غامض لها. فالإبيونية تنكر ألوهية المسيح، وتنظر إلى الإنجيل باعتباره ناموساً جديداً فحسب، أما الغنوسية

فتنكر الطبيعة الإنسانية الحقيقية للفادى، وتجعل من شخصيته وأعماله مجرد سراب، فهى ترى أن ناسوت المسيح كان مجرد وهم.

إلا أن هذين النقيضين يلتقيان عند نتيجة واحدة، وهى إنكار التجسد، وإنكار الاتحاد الحقيقى الدائم الثابت للعنصرين السماوى والإنسانى فى المسيح. وهكذا يقعون تحت حكم الرسول يوحنا عن المضل وضد المسيح (راجع ١يو٢:١٨ ، ٢يو٧). فهما يريان أن المسيح شفيع أو مصلح بين الله والناس، وأن الديانة التى جاء بها لم تقدم شيئاً محدداً متقدماً عن اليهودية والوثنية. فهما يضعان الله والإنسان فى ثنائية مجردة، أو يقدمان اتحاداً مؤقتاً وهمياً.

إلا أن ثمة مدارس فى إطار اليهودية تتضمن عناصر غنوسية، وكان هذا هو الحال، إلى حد ما، مع الأسيلنيين. وكان على نحو خاص هو حال الفكر اليهودى فى الإسكندرية وكان يمثله فيلو فى بداية القرن الأول، وقد نتج عن ذلك بعض الهرطقات حيث اختلطت فيها عناصر يهودية وغنوسية، ففى الكتابات المزيفة لكليمندس نجد غنوسية إبيونية.

وفى كتابات كيرنثوس، وآخرين، نجد غنوسية يهودية. وقد تمت مقاومة هذين الشكلين فى العصر الرسولى.

وثمة نموذج ثالث ويمثله معارضو الثالوث، وهم أصحاب عقيدة التوحيد المطلق، ويرون أن الله كائن واحد، أى أنه لا يوجد سوى أقنوم إلهى واحد.

وعلى ذلك يمكن اعتبار أن ثمة فئات ثلاث من الهرطقات، وهى:

١- الهرطقات النابعة من اليهودية.

٢- الهرطقات الغنوسية والمانوية.

٣- معارضو الثالوث.

ا - الهرطقات النابعة من اليهودية

أ- الإبيونيون والناصريون.

ب- هرطقة كيرنثوس.

جـ- كتابات كليمندس المنحولة.

ا- الإبيونيون والناصريون

لم تقنع اليهودية بأن يكون دورها قاصراً على التمهيد للمسيحية، بل كانت تريد أن تحتفظ بمكانها ومكانتها حتى بعد أن أتمت دورها وعملها المتمثل فى تقديم المسيحية. وكانت عازفة عن تبنِّى الحكمة الصادقة، والتى قالها يوحنا المعمدان الذى جاء ليمهد للمسيح، حيث قال: «ينبغى أن ذلك[المسيح] يزيد وأنى أنا أنقص»(يوحنا ٣: ٣٠)، ولكن الغالبية العظمى من اليهود رفضوا الإنجيل.

ومن بين اليهود الذين قبلوا المسيح، كان هناك من دخلوا فى شركة كاملة مع إخوتهم الأمميين، ولم يدّعوا لأنفسهم أى امتياز عنهم استناداً إلى الناموس. ومع ذلك فإن يهوداً آخرين استمروا على نهج أولئك الذين كانوا يزعجون الكنائس التى أسسها القديس بولس، وذلك بإصرارهم على ضرورة حفظ ناموس موسى، بل إن خراب الهيكل على يد تيطس فى عهد الامبراطور فسباسيان (Vespasian)، وإقصاء اليهودية بشكل كامل من أورشليم، وما حولها على يد هادريان (Hadrian)، لم يستطيعا منع الأكثر غيرة منهم من التقوقع داخل اليهودية.

على هذا فقد انتقلوا من حال كونهم حزباً فى إطار الكنيسة إلى وضع شيعة خارجة عنها، ونجدهم فى نحومنتصف القرن الثانى وقد أصبحوا زمرة من الهراطقة، ولانعرف على وجه التحديد كم بلغ عددهم(راجع موسوعة الكنيسة الأولى).

وبعد ذلك بوقت قصير صنفهم الكاتبون تحت اسم الإبيونيين (Ebionites)، ويرى شيلدون كما يرى شاف أن



الأصل المقترح لهذا الاسم بحسب ما اقترحه العلامة أوريجانوس، مشتق من كلمة «Ebion» العبرية، وتعني «فقير». ولعل هذا الاسم أطلقه الفريسيون في بداية الأمر على المسيحيين من أصل يهودي، حيث أرادوا أن يصموهم بانتمائهم للطبقات الأكثر فقراً.

وهكذا فإن هذا المصطلح إذ أصبح على هذا النحو- مرتبطاً بأولئك الذين هم من أصل يهودي، كان من الطبيعي أن يطبقه عليهم المسيحيون الذين هم من أصل أممي، وذلك في إشارة إلى نوعية إيمانهم اليهودي. ولا يؤيد شاف رأي القديس ترتليانوس الذي يرى أن التسمية نسبت إلى إبيون «Ebion» كمؤسس لتلك الطائفة. (شاف-مرجع سابق ص٤٣٢).

والنظام الأساسي لأولئك الذين صُنِّفوا على أنهم إبيونيون، أكد التزامهم بحفظ ناموس موسى، ولقد أنكروا أن يكون بولس «رسولاً».ولم يستخدموا سوى إنجيل متى، بل وفي صورة مشوهة. وكان من رأيهم أن المسيح رجل عادي، حبل به بالشكل العادي، ولم يتميز سوى ببره وعطية الروح القدس السامية، حيث حل الروح عليه في أثناء عماده، وكانوا يعتقدون أيضاً في المُلك الألفي، وكانوا ينتظرون مجئ المسيح ليبدأ حكماً متطوراً في أورشليم، إلا أن هذه الطائفة التي من أصل يهودي، لم تكن في تجانس كامل، ولكن إيريناوس وهيبوليتس لم يفرقا بين طوائف الإبيونيين المختلفة.

ومن ناحية أخرى يتحدث العلامة أوريجانوس عن طائفتين من الأبيونيين، ويوضح أن إحدى الطائفتين تنكر الحمل العذراوي بالمسيح، بينما تؤيد ذلك الرأي الطائفة الأخرى.

وقبل ذلك بنحو قرن من الزمان أشار يوستينوس الشهيد إلى أن الكنيسة كان لها أن تتعامل مع طائفتين من التهوديين(المسيحيين الناموسيين)، إحداهما تفرض ناموس موسى على أتباعها فقط، أما الأخرى فتصر على أن الجميع يجب أن يحفظوه. وهو يرى أنه كان من الصواب التعامل معها، على الرغم من أن البعض-بحسب قوله- كان له رأي مخالف.

على أن طائفة من المسيحيين التهوديين تمسكوا بعادات آبائهم، وكانوا منتشرين في كنائس سوريا حتى ختام القرن الرابع الميلادي، واتخذوا لهم لقب «الناصريون» «Nazarenes».

إلا أن شاف يرى أنه قد يكون اليهود هم سبب إطلاق ذلك اللقب الذي خلعوه على اليهود الذين تبعوا يسوع المسيح، وذلك على سبيل الازدراء. ولا يوجد مرجع محدد يتحدث عن أصل نشأتهم(راجع شيلدون-مرجع سابق). إلا أن الوصف الذي جاء في تاريخ الكنيسة ليوسابيوس المؤرخ-وهو لم يذكرهم بذلك اللقب- يتفق مع ما ذكره كلاين(Klyn) في موسوعة الكنيسة الأولى من أن أبيفانوس وجيروم يتفقان على أنهم عاشوا في البرية. (بالتحديد عاشوا في بلا (Pella)، شرقي الأردن، إلى شمالي بيرية(Perea)، ويذكر يوسابيوس أنهم هربوا إليها بعد سقوط أورشليم في سنة ٧٠م (يوسابيوس تاريخ الكنيسة ٣: ٥: ٢-٣)، وكانوا يتحدثون بالآرامية، وكان لهم إنجيلهم الخاص. ويذكر شاف أنهم استخدموا إنجيل متى في العربية.

جمع الناصريون بين الناموس الموسوي الطقسي وعقيدتهم في مسيانية وألوهية السيد المسيح، ولم يتهموا الأمميين بأنهم هراطقة، لأنهم لم يتقيدوا بالناموس، وكانوا مسيحيين منفصلين منغلقين، ولم يكونوا هراطقة، وقد توقفوا عند بعض الأمور الثانوية في المسيحية واليهودية. وتقلصوا إلى طائفة غير ذات شأن (راجع شاف مرجع سابق).

ويرجح شيلدون أنه كانت لهذه الجماعة علاقة تاريخية بالتهوديين الذين أشار إليهم يوستينوس الشهيد والإبيونيين الذين وصفهم العلامة أوريجانوس. وقد قال عنهم القديس

جيروم أنه تمنى لو أنهم مسيحيين أو يهوداً، لأنهم لا هذا ولا ذاك.

ب- هرطقة كيرنثوس

كان كيرنثوس(Cerinthus) مصرياً يهودياً إما بالمولد أو لأنه اعتنق اليهودية، ودرس في مدرسة فيلو، وذلك كما يذكر إبيفانيوس. ويؤكد إبيفانيوس أيضاً أنه أحد الرسل الكذبة، وعارض بولس وطلب منه أن يختتن (غلاطية ٢:٤، كورنثوس١١:١٣). وادّعى أنه أوحي إليه في رؤيا ملائكية، وكان معروفاً بالمكر والدهاء. وتجول في أنحاء فلسطين وغلاطية، وسافر ذات مرة إلى أفسس، أما تاريخ وفاته فمجهول.

ومعروف أنه كان معاصراً للرسول يوحنا الحبيب في نهاية القرن الأول، وكان يعيش في أسيا الصغرى، ويفترض إيريانيوس أن الرسول يوحنا كان يعارضه لنزعته وأفكاره الغنوسية، وأنه رفض ادعاءاته وأفكاره في الإنجيل والرسائل التي كتبها (راجع شاف مرجع سابق).

إن القصة التي تقال عن أن القديس يوحنا ترك حمّاماً عاماً عندما رأى كيرنثوس، عدو الحق، مخافة أن يسقط الحمام، وكذلك القصة المشابهة عن بوليكاربوس عند لقائه بمارقيون-راجع مارقيون-ودعاه «الابن البكر للشيطان» إنما توضحان مدى الاشمئزاز العميق الذي كان يكنه رجال الكنيسة من أصحاب الرأي المستقيم تجاه الهرطقات التي ظهرت في تلك الأيام(راجع إيريناوس- بند الهرطقات٣:٣-٤، يوسابيوس-تاريخ الكنيسة ٣:٢٨:٥٦، موسوعة الكنيسة الأولى جـ١).

وتظهر تعاليم كيرنثوس الغنوسية بوضوح في فصله بين خالق العالم، والله. فقد اعتبر أن خالق العالم هو إله ثانوى، كائن وسيط ولكنه لم يكن معادياً لله. وفي تفريقه بين يسوع والمسيح، حيث اعتبر الأول أنه ابن مريم ويوسف، في حين أنه وصف الآخر بأنه كائن أسمى، حلّ عليه في الفترة الواقعة بين معموديته وآلامه، وكل هذه أفكار تبنَّاها الغنوسيون (راجع شيلدون- مرجع سابق، شاف مرجع سابق، موسوعة تاريخ الكنيسة الأولى).

إلا أنه في ذات الوقت اتفق في الرأى مع التهوديين من ناحية التأكيد على مواصلة الالتزام بحفظ الناموس الموسوى، وفي إعلان الملك الألفي للمسيح على الأرض، على أن تكون أورشليم مركز مملكته.

وكان يوسابيوس المؤرخ القيصرى أول من ذكر أن كيرنثوس رأس جماعة نُسبت إليه(وهم الكيرنثيون راجع موسوعة الكنيسة الأولى جـ١).

جـ- كتابات كليمندس المنحولة

ظهرت أعمال تتضمن مرحلة متميزة من الفكر اليهودى مع بداية منتصف القرن الثانى تقريباً. وهى تحمل اسم «كليمندس» لتعطيها وزناً ومصداقية، لسرعة تداولها وانتشارها، ويذكر شاف أن هذه الكتابات المنحولة لكليمندس لعلها حلت محل عمل أصلى لكليمندس الرومانى، وقد ضاع العمل الأصلى وواراه النسيان. وهذه الكتابات يذكرها شاف كما يلى:

١- الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

وقد أُعطيت ذاك الاسم المزيف، وعُرفت جزئياً في(١٢) اثنى عشر فصلاً، ومنذ عام ١٨٥٧ ظهرت كاملة في عشرين فصلاً وهى تعد أقل شأناً في المحتوى والأسلوب من الرسالة الأولى، لعلها كُتبت في كورنثوس بين سنتى ١٢٠، ١٤٠م، وقد ذكرها يوسابيوس القيصرى المؤرخ، بينما لم يذكرها كل من إيريناوس وكليمندس السكندرى وأوريجانوس. إنها ليست رسالة على الإطلاق، وإنما عظة موجهة إلى «الإخوة

والأخوات»، وهذا أقدم نوع عُرف من العظات بعد عظات الرسل.

وهنا فقط تكمن أهميتها وقيمتها، وهي جادة، وإن كانت إلى حد ما تحمل نصائح ضعيفة لمسيحية نشيطة وأمينة فى الاستشهاد، إلا أن الرسالة فى نفس الوقت تؤكد إنكار القيامة.

ويقول الكاتب فى الفصل الأول: «لقد كنا ناقصى الفهم، نعبد الجماد والأحجار، والذهب والفضة والنحاس، صنائع الإنسان، ولم تعنِ حياتنا سوى الموت، واستطعنا أن نرى عندما قشع بإرادته الظلمة التى كانت تحيط بنا، وقد خلصنا برحمته، ودعانا قبل أن نكون، وبإرادته خلقنا من العدم وحصلنا على الوجود الحقيقى».

٢- رسالتان عامتان عن العذراوية

اكتشفهما فى البداية ج.ج.وستين (J.J.Westin) فى مكتبة رمونسترانتس (Remonstrants) بأمستردام، فى سنة ١٤٧٠م، مكتوبتان بالسريانية وطبعتا كملحق لكتاب بالمعهد اليونانى الشهير فى سنة١٧٥٢م. وفيهما يوصى بعدم الزواج، كما تحتويان على نصائح عن قواعد التقشف لكلا الجنسين، وفيهما يظهر الفكر المتطور المبكر عن النسك. إلا أن بعض علماء اللاهوت من الروم الكاثوليك يدافعون عن الأصل الذى ينسبونه لكليمندس، بينما يعزو آخرون بعد جدل عنيف تلك النسخ إلى منتصف القرن الثانى أو نهايته.

٣- القوانين والدساتير الرسولية

ويدعى ليتورجيا القديس كليمندس، هو جزء من الكتاب الثامن من الدساتير.

٤- عشرون عظة إبيونية

عشرون عظة إبيونية مزيفة، صدرت فى روما بعنوان «الاعترافات». ويذكر شيلدون أنه زُعم أن كليمندس الرومانى نفسه قدم قصة تجديد الكاتب، كما عرض لاختباره الناجم عن مصاحبته لبطرس، كما يتحدث عن عظات الرسول وجداله مع سيمون الساحر، ولا يمكن إسناد العقيدة الواردة فى العظات إلى أية شيعة معروفة، وإن كان يفترض أنها تعبر عن عقيدة شيعة «إلكساى» «نسبة إلى مؤسسها (Elxai)أو (Elchesa)، الذى أدَّعى النبوة، وسطَّر كتاباً كان يؤكد أنه كتبه بوحى إلهى، ونشأت هذه الشيعة بالقرب من البحر الميت. كما تظهر فى العظات الدينية مظاهر الثنائية، إذ أكدت العظات على نظرية ثنائية العالم.

وقد أكدت العظات على حرية الإرادة بعبارات واضحة. وينهج الكاتب فى تناوله للعهد القديم أسلوباً متحرراً للغاية، حيث يرفض كل مالايتفق مع آرائه الشخصية، بل ويعتبره اقحامات زائفة، وهو ينسب إلى بطرس الرسول القول إن بعض الأسفار حقيقية والبعض الآخر زائف، وإنه علينا أن نميز بينهما كما يميز الصراف الذكى بين العملة الحقيقية والعملة المزيفة، ثم إنه يضفى المثالية على شخصية آدم والآباء، وينكر الخطايا المنسوبة إليهم. وينبذ الذبائح. ولم يُول أى اهتمام بالختان. وقد اعتبر المسيحية واليهودية شيئاً واحداً، وذكر أن الإنسان سيكون مقبولاً إذا اتبع إرشاد موسى تماماً، مثل ذاك الذى يتبع يسوع. ونسب إلى بطرس أنه قال: «تذكروا أن تنبذوا أى رسول أو معلم أو نبى لا يقوم من البداية بوضع كرازته بحيث تكون مطابقة تماماً لما يقول به يعقوب، الذى دُعى أخا الرب، والذى عُهد إليه بإدارة كنيسة العبرانيين فى أورشليم. ولم يأت ذكر لبولس، وثمة بعض الأمثلة التى تحمل على الشك فى أن طعنة قد صُوِّبت إليه. إلا أن ذروة الهجوم العنيف الذى شنه الكاتب لم يكن ضد تعليم بولس بقدر ما كان ضد غنوسية مارقيون المضادة لليهود.

٥- خمس رسائل

والتى وضعها إيسيدور (أو إزيدور) (Isidor) الكاذب على قائمة مجموعة، حيث وجَّه اثنتين منها إلى يعقوب أخى



الرب، وهما ترجعان إلى تاريخ أقدم من إيزيدور الكاذب، إذ يرجع تاريخهما إلى القرن الثانى أو الثالث، بينما قام بتلفيق الرسائل الثلاث الأخرى، وهى تشكل الأساس الأكبر وأكثر عمل مزيف يتميز بالجرأة، وذلك بغرض تأييد السلطة البابوية.

والرسالة الأولى إلى يعقوب توضح كيف أن بطرس اختار كليمندس ليخلفه على كرسى روما، مع توجيهات تتعلق بوظائف رجال الدين والإدارة العامة للكنيسة. والرسالة الثانية ليعقوب تشير إلى الافخارستيا، وأمور أخرى تتعلق بالتقليد، وهى تتعلق بعظات واعترافات كليمندس المزورة. ومن الجدير بالذكر أن يعقوب(فى أورشليم)يبدو فى درجة أعلى من بطرس(فى روما).

٣- الهرطقات النابعة من الغنوسية والمانوية

تمهيد

ثمة ثلاثة أسباب أدت - بصفة خاصة - إلى ظهور الغنوسية، هى:

أولاً: روح الأرستقراطية الفكرية التى سادت-إلى حد كبير- العالم القديم، فقد تبنَّى رجال الفلسفة ورجال الدين النظرية القائلة بأن السواد الأعظم من الناس ليس لديهم القدرة التى تؤهلهم لتولى المناصب الدينية العليا، وكذلك الحال أيضاً بالنسبة للمعرفة الدنيوية، أما القلة من أصحاب الحظوة فقد أقيموا على الكثيرين كنوع من الارستقراطية الروحية.

وقد أذكت الأفلاطونية هذه الروح، وذلك باعتبار الجهل هو مصدر الخطية، ومن ثم جعلت الخلاص فى شفاء الفهم وتهذيبه، وأن السبيل إلى حضرة الله يكون من خلال التفكير الفلسفى الرفيع، وبالتالى فالأمل فى الوصول إلى الله ضعيف أمام الجهلاء. وقد أراد كثيرون منهم أن يتميزوا عن الجماهير الجاهلة على اعتبار أنهم رجال معرفة، كالغنوسيين.

ويقول مانسيل (Mansel) إن شعار الغنوسيين، الذى يمكن ذكره بنفس كلمات فيلسوف بارز هو: **«الناس يخلصون لا بواسطة ما هو تاريخى بل بواسطة ما هو خارق للطبيعة».**

وهدف الغنوسيين- كما يقول بريزنسيه (Pressense) هو:

«أن يعملوا دائماً على أن يتفوق عنصر المعرفة على عنصر الحياة الأخلاقية».

ومع ذلك يجب ألا يستدل من هذا على أن الغنوسية فى إجمالها، كانت مميزة بالسمة الفكرية الرفيعة.فثمة جانب كبير منها لا يعد نتاج فكر حقيقى بقدر ما يعد نتاج خيال جامح. وقد ادَّعى الغنوسيون أن المسيح أعلن لنخبة مختارة ما لم يعلنه إطلاقاً بشكل علنى، وأن هذا التعليم السرى كان يُنقل بصفة مستمرة من خلال نخبة من التلاميذ ممن كانت طبائعهم تجعلهم مؤهلين لتلقى هذا السر.

ثانياً: الروح الشرقية للمذهب الباطنى، كانت لها دور كبير فى الغنوسية، وكما هو معروف- بدرجة كبيرة- فى التاريخ، إن الذهن الشرقى له نزعته الخاصة تجاه كل ما هو رمزى، وأسطورى، وغامض. والفكر الذى له مثل هذه النزعة لا يقبل الأشكال الواضحة والبساطة الدينية إلا بقدر ضئيل.

فالتاريخ اليهودى، بدا محدوداً للغاية، ومألوفا. ومن ثم كان الظن أنه من الضرورى النفاذ والتغلغل إلى ما وراء نطاق الإعلان الإلهى لارتياد جوانب الكون السرية إن جاز التعبير (راجع شيلدون-مرجع سابق).

ثالثاً: الشعور بالثنائية، فثمة إحساس أليم بقوة الشر الذى يبغى السيادة على الخير. وهذا الشعور يعكس إلى حد كبير مدى الانحطاط الذى بلغه الفكر فى العالم القديم، وظل الشعور بوجود الشر فى العالم مثل عبء ثقيل يسيطر على أذهان الكثيرين من الوثنيين، وقد انعكس هذا الشعور فى صور من التشاؤم الفلسفى، فقد كان من الطبيعى أن يتولد

عن ذلك تلك الرؤية القاتمة للعالم.

لقد حققت الغنوسية تقدماً ملحوظاً إبان حياة الرسل، وقد نسبها آباء الكنيسة الأولون إلى سيمون الساحر- الذى قاومه بطرس فى السامرة- وهو يتحمل عار كونه أول غنوسى. ونجد فى العهد الجديد عدداً لا بأس به من الفقرات التى ربما تشير إلى هرطقة غنوسية (كولوسى٢: ٨. ١٨. ١تيموثاوس ٤: ١ ، ٦: ٢٠، ٢ تيموثاوس ٢: ١٦-١٨، يهوذا ١٧-١٩، رؤ٢: ٦. ١٤، ١يوحنا: ١-٣. ٤: ١-٣ وغيرها). وكما يشهد إيريناوس، وكما تبين أيضاً محتويات الكتاب، فقد كتب الرسول يوحنا أجزاءً من الإنجيل، وهو يشير بصفة مباشرة إلى الأوهام الغنوسية لكيرنثوس والنيقولاويين. وقد تطورت الغنوسية فى القرن الثانى، حتى أصبحت أبعد التعاليم أثراً. وكانت الغنوسية، مع بداية القرن الثالث قد انهارت أمام المقاومة النشطة والفعالة التى قابلتها بها الكنيسة.

ومع أن الغنوسية لم تكن تفتقر إلى أفكار قيمة، بل كانت تتضمن بعض العناصر التى تتسم بحدة الفكر، إلا أنها كانت على وجه الإجمال تمثل صورة مشوهة للمسيحية. ومع ذلك لم تكن عديمة الفائدة، فمن ناحية كان من شأن الجهد الذى بذل فى مقاومتها أن أضفى مزيداً من الوضوح على الحقائق الأساسية للمسيحية، بأكثر مما كان يمكن أن يتم فى عدم وجودها. كما أن للغنوسية، من ناحية أخرى إسهامها الإيجابى، حيث جذبت الانتباه إلى المسيحية باعتبارها عنصراً أساسياً فى خطة الكون.

وفيما يلى عرض لبعض الهرطقات والتعاليم الغنوسية المنحرفة:

أولاً: الغنوسية

أ- تعليم سيمون الساحر.

ب- تعليم النيقولاويين.

جـ- تعليم باسيليدس.

د- تعليم فالنتينوس.

هـ- تعليم تاتيان.

و- تعليم هيراقليون.

ز- تعليم كاربوكراتس.

ح- تعليم إبيفانس.

ط- تعليم بطليموس.

ى- تعليم ماركوس.

ك- تعليم كولارباسوس.

ل- تعليم بارديسانس.

م- تعليم ساتورنينوس.

ن- تعليم مارقيون.

س- تعليم يوستينوس الغنوسى.

ع- تعليم هرموجينس.

ف- تعليم ماناندر.

ص- عابدو الحيات.

١- المشايعون لشيث.

٢- المتأملون.

٣- نسل قايين.

ق- أنواع أخرى:

١- الدوسيتيون.

٢- من ينتمون إلى أكثر من مذهب واحد.

٣- أتباع بروديشيان.

أولاً: الغنوسية

١- سيمون الساحر

كان سيمون الساحر(Simon Magus) معاصراً للرسل، ويرجح أنه وُلد فى مدينة جيتون (Gitton) إحدى مدن السامرة، وهناك قابل فيلبس(أحد الرجال السبعة الذين أقامهم الرسل،(راجع أعمال الرسل ٦:٣) .انحدر فيلبس إلى تلك المدينة بعد الاضطهاد العظيم الذى حدث على الكنيسة، وكان من نتائجه أن تشتت المؤمنون-عدا الرسل (راجع أعمال الرسل ٨:١-٨). وقد أدهش سيمون شعب السامرة باستعماله للسحر، وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين: «هذا هو قوة الله العظيمة»(أعمال الرسل٨: ١٠). وقد آمن سيمون واعتمد مع آخرين من أهل السامرة، وكان ذلك نحو عام ٤٠م، غير أنه كان مندهشاً من الآيات والقوات العظيمة التى كانت تجرى بواسطة فيلبس (أعمال الرسل ٨:١٢-١٣).

وصل كل من بطرس ويوحنا إلى السامرة للصلاة من أجل المؤمنين من السامريين، لكى يقبلوا الروح القدس، لأنه لم يكن قد حَل بعد على أحد منهم. حينئذ وضعوا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس، ولما رأى سيمون أنه بوضع أيدى الرسل يعطى الروح القدس، قدم لهم دراهم حتى يحصل هو أيضاً على هذا السلطان العجيب الذى كان عندهما. فقال له الرسول بطرس: «لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم» (أعمال الرسل ٨: ١٨-٢٥). كانت تلك هى المرة الأولى فى تاريخ الكنيسة التى تحدث فيها محاولة للتوفيق بين الدين وفنون السحر، وقد وصفه آباء الكنيسة بأنه «الأب» أو «المؤسس» أو بحسب وصف القديس إيريناوس «الجد الأكبر» لكل الهرطقات، ولا سيما الغنوسية (راجع شاف- مرجع سابق). وذلك بالإضافة إلى اثنين آخرين من السامرة، وهما مناندر (Menander)، ودوسيثيوس (Dositheus). حيث كانت السامرة أرضاً خصبة للتوفيق بين الديانات حتى قبل السيد المسيح، وكذلك كانت المكان الطبيعى لظهور هرطقة «الغنوسية».

بينما يرى إ. بريتو(E.Pretto)، أن سيمون هو مؤسس الطائفة التى نُسبت إليه، ولكنه لم يصفهم بأنهم غنوسيون. وكان أبرز تعليم ينادون به هو: إن سيمون كان يعتبر «الإله الأسمى»، وإن «هلينا»(Helena) التى أنقذها من بيت للدعارة فى مدينة «صور»، كانت هى فكرة «إنويا»(Ennoia) حيث انبثقت من عقله، وقامت هيلينا بخلق القوات الوسيطة (الملائكة ورؤساء الملائكة). ثم قامت بعد ذلك بخلق العالم.

حاصرت الغيرة والحسد هيلينا متخذتين لنفسيهما جسدين بشريين، وأجبرتاها على أن تتقمص أجساداً بشرية الواحد تلو الآخر. ولكى يحرر سيمون هيلينا وكل الناس من سلطات القوات الوسيطة، نزل إلى الأرض وجعل نفسه معروفاً كابن فى اليهودية، وكآب فى السامرية وكالروح القدس فى مكان آخر. والخلاص يحدث من خلال الإيمان بقوة سيمون المحررة، وهذا التعليم الذى نادى به سيمون لا يتفق مع التعاليم التى نادى بها الغنوسيون. إن تأليه سيمون وهلينا، وإدعائهما بالخلود وعدم ذكر أى سقوط محدد يفسر لماذا نزل سيمون إلى الأرض، أو أى علاقة بين الفداء وطبيعة المعرفة عند سيمون. كل هذه الأمور تبين أنها لم تكن غنوسية، فهى تعطى انطباعاً بأنها كانت تسير على الطريق نحو الغنوسية اليهودية-المسيحية، إلا أنها لم تدخل بعد إلى تلك الدائرة (راجع موسوعة الكنيسة الأولى).

ب- تعليم النقولاويين

لقد ذُكر النيقولاويون (Nicolatians) بالارتباط ببلعام(رؤيا٢ :١٤-١٥). وقد يكون ذلك إشارة إلى أنهم ناموسيون، فيأكلون ما ذُبح للأوثان ويمارسون الزنى، إذ يذكر ذلك على أنه أمر يحدث فعلاً فيقول: «هكذا عندك أنت أيضاً» (رؤيا ٢:١٥). وهو ما يعد مرادفاً للنيقولاويين

(دائرة المعارف وكلف Wycliffe للكتاب المقدس)، وحيث ينسب النيقولاويون إلى نيقولاوس الدخيل الأنطاكى، أحد السبعة الذين ورد ذكرهم فى سفر أعمال الرسل (٦:٥).

وقد تأكدت معرفتنا عن حزب النقولاويين من خلال كتابات الآباء الأولين، فيذكرهم القديس إغناطيوس(١١٠م)على أنهم «محبو الملذات»، ويُعَرِّف النيقولاوى، فيقول عن إنه: «من يسئ إلى جسده»(رسالة إغناطيوس إلى أهل فلادلفيا. الفصل السادس). أما القديس إيريناوس(١٨٠م) فيذكر أنهم «من يعيشون حياة الانغماس بلا قيود» (ضد الهرطقات). أما كليمندس السكندرى فيذكر أن نيقولاوس كان زوجاً مخلصاً، وقد نشَّأ أبناءه على النقاوة والطهارة، لكن تلاميذه أساءوا فهم تعليمه- الذى هو تعليم القديس متياس أيضاً، وهو «أننا يجب أن نحارب ضد الجسد، وأن نسئ استخدام الجسد»(شاف مرجع سابق).

وكتب هيبوليتس(٢٠٠م) «أن يوحنا الرائى يوبخهم على أنهم يزنون ويأكلون ما ذُبح للأوثان»(ضد الهرطقات).

إن الشهادة العامة تدين النيقولاويين لأنهم كانوا بلا ناموس(موسوعة وكلف).

جـ- تعليم باسيليدس

تعد كتابات هيبوليتس وكليمندس السكندرى من أهم المصادر التى نستقى منها المعلومات التى نثق فيها عن تعليم باسيليدس، وكان باسيليدس (Basilides) يعلم فى الإسكندرية فى أيام هادريان(١١٧-١٣٨م). ونقطة البداية لتعليمه هى ذروة غموض الغنوسية، ولقد تخطى كل الحدود فى تأكيده سمو الكائن الأول، معلناً بأنه ليس فقط فوق كل اسم وكل مفهوم، بل إنه فوق الوجود ذاته، وهو مطابق لفكرنا عن شخص لا يمكن إدراكه إلا فى الذهن. وإذ ينتقل من الكائن الأول إلى النظام الأدنى للوجود، نجد أن باسيليدس يتخذ سبيلاً غير عادى- إلى حد ما- بالنسبة لغنوسى.

وإذ أنكر نظرية الانبثاق، أو النزول إلى أسفل، نراه يؤكد خليقة فورية، وتطوراً يتجه إلى أعلى، وأول كل شئ ينتج الكائن الذى يجل عن الوصف نتيجة أمر لا إرادى، بذرة العالم. وفى البذرة، والتى تحتوى الكون فى داخلها على شكل نواة، توجد بنوة ثلاثية من نفس جوهر خالقها. جانب منها مهذب، والجانب الثانى غير مهذب، والجانب الثالث فى حاجة إلى التطهير. وأولها يرتفع فى الحال إلى الألوهية السامية، والثانى- بمساعدة الروح القدس كجناح- يرتفع إلى المكان الأدنى التالى، فى حين أن الجناح الحر، يظل بينه وبين المنطقة الأدنى. ومن البذرة ينبثق الآن الحاكم الأعظم، الذى يصعد إلى السماء، أو إلى منطقة الروح القدس، وكذلك ينبثق حاكم أدنى، وهو مُعطى ناموس العهد القديم، حيث يحكم مكاناً أدنى، وفى ظل هؤلاء الحكام بدأت خطة محكمة للخلق. والحاكم العظيم، الذى يسمى أبراكساس(Abraxas أو أبراساكس Abrasax)، أُفترض أنه يترأس ما لا يقل عن ثلاثمائة وخمسةً وستين سماء، أو دائرة من دوائر الخلق. وفى غضون ذلك، ولد كل حاكم ابناً أعظم منه.

وأبناء الحكام هؤلاء يخدمون غرضاً فدائياً. ويعملون على أن يستنير آباؤهم، فيدبرون وسيلة عن طريقها يحدث التنوير. للنبوة التى تحتاج إلى تطهير، وكان يسوع الناصرى أول المتلقين، ويصور بصعوده إلى المناطق الأعلى المجد الذى ينتظر أتباعه.

وبرغم أن تعليم باسيليدس يحط من شأن اليهودية إلا أنه يكشف عن مرارة خاصة تجاهها.

د- تعليم فالنتينوس

يعد فالنتينوس (Valentinus) من أبرز الكتبة الغنوسيون وكثيراً ما كان يمزج ما هو شعرى بما هو تأملى، يُفترض أنه

كان مواطناً مصرياً، ومن سلالة يهودية. وكان يعلِّم في روما في الفترة الواقعة بين سنتي ١٤٠، ١٦٠ اختتم عمله في قبرص، وطبقاً لما ذكره ترتليانوس كان رجلاً قادراً وفصيحاً، وقد خاب رجاؤه كثيراً لإخفاقه في أن يكون أسقفاً.

ويبدأ تعليم فالنتينوس بافتراض أن الله هو الأساس الأول، والأساس المطلق لكل وجود حقيقي. أما من ناحية ما إذا كان هو وحده قبل ولادة أول الأيونات، فيوجد ثمة اختلاف في الرأي بين أتباع فالنتينوس أنفسهم. وبحسب هيبوليتس: فإن البعض منهم يقولون إن الآب غير مؤنث، وغير متزوج، وهو وحيد. إلا أن الآخرين يقولون إن أبا الكون، لكي يكون أبا فلابد أنه توجد معه سيجي(Sige) كزوجة. ولعل أول هذه التصورات هو ما قدمه فالنتينوس نفسه. فمن الآب الأسمى باعتباره الحلقة الأولى في سلسلة الانبثاقات، انبثق منها (Nous)وآليثيا (Aletheia). ومن هذين الأخيرين انبثق اثنان آخران هما لوجوس logos، وزوZoe، ومن هذين الآخرين انبثق انثروبوس (Anthropos)، وإكليسيا (Ecclesia). ثم انبثقت عشرة انبثاقات من الأيونين الأولين.

إن لوجوس وزو- إذ خدما أيضاً كأساس لانبثاقات- أضافا اثني عشر أيوناً، وبذلك أصبح العدد الكلي ثمانية وعشرين أيوناً، وهؤلاء يشكلون معاً البليروما أو ملء اللاهوت.

لقد انتهكت صوفيا- أبعد الأيونات- منطقة البليروما لأول مرة، حيث تملكتها الرغبة في أن تبحث في طبيعة الآب الأسمى، بل ومنافسته أيضاً بأن تلد بدون زوجها. ومع ذلك فالذي ولدته كان كائناً لا شكل له، ولم يكن كاملاً، وعلى هذا لم يكن يصلح ليكون ضمن هيئة البليروما.

ولمواجهة هذا الأمر، وُلد اثنان من الأيونات وهما على وجه التحديد، المسيح والروح القدس. أما أكاموث(Achamoth) التي لا صورة لها، والتي وُلدت نتيجة أهواء صوفيا، فقد طُردت من البليروما. وقد أخذت على الرغم من ذلك شكلاً، نتيجة للعون الذي قدمه المسيح والروح القدس، وأنتج الآب أيوناً جديداً هو حوروس(Horos) كي يحرس الحدود. وكان نتيجة الرثاء لأكاموث التي سقطت أن حملت أيونات على إنتاج الأيون المخلص، والذي عليه أن يساعدها في أمر خلاصها.

وقد نزل مع ملائكته إلى منطقة الفضاء الذي لا شكل له، حيث كانت ابنته صوفيا تتعذب بالرغبة والخوف والحزن والارتباك، ودفع أهواءها بعيداً عنها. وقد نجم عن ذلك أشكال مختلفة من الكائنات. ومن أحزان أكاموث جاء الشيطان وملائكته، وكل شئ مما له طبيعة مادية، ومن دموعها كانت المادة السائلة، كما جاء من ضحكها كل ما هو بهيج في الطبيعة . وقد تولدت عن توبتها ورغباتها طبائع مادية، كان على رأسها الإله خالق الكون المادي(Demiurge)، وتغرسها بسعادة، في جمال مرافقي المخلص، تولد عنه طبائع روحية.

وإذ بدأ على هذا النحو فداء أكاموث، عاد المخلص وانسحب لفترة ما.

أما خالق الكون المادي، الذي عُهد إليه بتفاصيل العالم الدنيوي، والذي دون وعي منه كان أداة لقوة أعظم، فهو إله العهد القديم.

وفي تشكيله الناس لم يكن لخالق الكون المادي سلطان سوى أن يعطيهم عناصر مادية ونفسية فقط، غير أنه- دون علمه- ضمنت أكاموث أن جزءاً مختاراً من البشرية يجب أن يصبحوا شركاء في الجوهر الروحي. واتساقاً مع نوعيات المادة الثلاث توجد ثلاث نوعيات من الناس: الترابي(أو الجسداني أو المادي)، والنفسي والروحي. والسيد المباشر للنوع الأول هو الشيطان، وللثاني هو خالق الكون المادي، وللثالث أكاموث.

إن تحقيق الخلاص جاء على النحو التالي: وعد الإله

الخالق للكون المادى بمجئ المسيح، وهذا المسيا الموعود به ظهر فى شخص يسوع الناصرى، وقد خُلق على صورة الإله خالق الكون المادى، وهو فى الهيئة كإنسان، ومع ذلك، فإن جسده لم يكن من مادة بل من جوهر سماوى من المناطق العليا.

وعند عماد هذا المسيح اتحد معه المخلص الذى من البليروما (ملء اللاهوت) واستمر معه حتى آلامه، وبفضل العمل الخلاصى، تسلم النا إعلاناً إلهياً عن الحق يتناسب مع طبيعتهم، وقد جُذبوا نحو مجالهم الصحيح. أما الخروف الضال، أكاموث، فقد أعيدت أخيراً إلى البليروما كعروس للمخلص. والناس الروحيون سوف يستقبلون فى محضرهما، ويتحدون مع الملائكة الخادمين، أما الجسديون، فإنهم إذ ما حسّنوا فرصتهم، فلسوف يجدون نصيباً صالحاً فى فردوس خالق الكون المادى، ولو أنه أقل رفعة. وسوف تلتهم النار الناس الماديين وكل الأشياء المادية الأخرى.

لذلك كانت المحصلة النهائية لنظرية فالنتينوس هى الإخفاق فى تحقيق هدفها الحقيقى الذى يرتكز على المذهب القائل بوحدة الوجود. إلا أنه يجب النظر إلى هذا الموضوع على أنه بالأحرى نتيجة عدم ترابط منطقى لنتيجة التزام صارم بمتطلبات فرضياته، ويقول مانسل: «من حيث أن الفكر الذى ترتكز عليه نظريته كلها هو فى جوهره فكر المذهب الهندى القائل بوحدة الوجود، والذى يرى أن كل الوجود المحدود إن هو إلا غلطة، وغير حقيقى، ومن ثم فإن خطته للخلاص إذ ما افترض تنفيذها، فمن المنطقى أنها ستنتهى إلى احتواء كل وجود محدود، وما يتعلق به فى صدر المطلق وغير المحدود».

لقد اجتذبت مدرسة فالنتينوس كثيرين. ومن بين أبرز تلاميذها: بطليموس ومرقس وهيراقليون، كما يجب أن يضاف إليهم اسم بارديسانيس. إلا أنه تبنّى تعاليم فالنتينوس بصفة مؤقتة فحسب (راجع شيلدون-مرجع سابق).

هـ- تعليم تاتيان

تاتيان(طاطيان) Tatian هو الكاتب السريانى البارع، الذى وُلد فى سوريا فى سنة ١١٠م، وكان من عائلة وثنية، عرف الإيمان على يد «يوستينوس الشهيد» فى روما، ولكنه انحرف إلى الغنوسية، وتوفى فى سنة ١٧٢م. أساء تفسير (١كورنثوس ٧: ٥).

حيث أوضح أن الزواج يعد ضرباً من الفسق والفساد وفى خدمة الشرير. ويرى أيريناوس أن تاتيان بعد استشهاد يوستينوس انحرف عن طريق الكنيسة القويم، حيث أخذته الخيلاء وإعجابه بنفسه، وظن أنه متقدم عل كل من حوله. وقد ابتدع بعض الأيونات (Aeons) غير المنظورة، شبيهة بتلك التى ابتدعها فالنتينوس، وقد اتفق مع كل من مارقيون، وساتورنينوس فى أن الزواج هو زنى وفسق.

وله كتابان:

الأول: يرى البعض أنه دفاعى موسع ضد الأمميين، فى حين يرى البعض الآخر أنه دعوة للجماهير لاتباع مدرسته، **والكتاب الآخر** هو الدياطسرون(توافق الأناجيل) - وقد كتبهما بين سنة ١٥٣ - ١٧٠م ولا تبدو فيهما آثار واضحة للغنوسية، ما لم يكن ذلك متمثلاً فى إسقاط سلسلة نسب يسوع فى «الدياطسرون»(Diatessaron) أو الكتب الأربعة، وكان تاتيان ناسكاً.

حافظ أتباع تاتيان على منهجه حتى القرن الخامس، ونظراً لتقشفهم وزهدهم فى الحياة فقد سموا «الممتنعين» (Encratites)، حيث استخدموا الماء عوضاً عن الخمر فى عشاء الرب، وامتنعوا عن اللحم والخمر والزواج تماماً، لا بصفة وقتية كما فعل ذلك الأولون لظروف العبادة. فقد افترضوا أساساً نجاسة الزواج. وتندرج تحت ذلك الاسم طوائف عديدة من الغنوسية المتقشفة، لاسيما أتباع ساتورنينوس ومارقيون

وساويرس، كما استظل بها المانيون أيضاً. ويشير كليمندس السكندري إلى الطوائف الزاهدة من الهنود، على أنهم سابقون لطائفة «الممتنعين». ولقد دان كل من كليمندس السكندري وكبريانوس وذهبي الفم استخدام الماء بدلاً من الخمر في عشاء الرب، وقد أصدر ثيودسيوس مرسوماً في سنة ٣٨٢م، بمنع هذه الممارسة.

و- تعليم هراقليون

تعلم هراقليون (Heraclion) على يد ڤالنتينوس، وربما ذاع صيته بين (١٧٠-١٨٠م) في مكان ما بإيطاليا. والهراقليون أهمية خاصة إذ أنه أول من عُرف بشرح إنجيل يوحنا. وفي تعليق أوريجانوس على نفس الكتاب، احتفظ لنا بنحو خمسين شذرة (اقتباساً) منه. وهي تعليق على الأصحاحين الأولين والأصحاحين الرابع والثامن. وقد اعترف هراقليون اعترافاً صريحاً بقانونية الإنجيل الرابع، وله منهج خاص في قراءته. فقد استخدم الأسلوب الرمزي، كما فعل أوريجانوس، الذي هاجمه لاهتمامه الشديد بالحرف، ولأنه لم يتعمق في فهمه فهماً روحياً. وقد وجد في إنجيل يوحنا أفكار فالنتينوس المفضلة عن اللوجوس أو الحياة والنور والمحبة والصراع مع الظلمة وأسراراً في كل الأرقام، مجرّداً الحقائق من واقعها التاريخي. ففي الأصحاح الرابع ترمز المرأة السامرية إلى فداء الحكمة، كما يرمز الماء في بئر يعقوب إلى اليهودية، وزوجها هو زوجها الروحي من البليروما (ملء اللاهوت) وأزواجها السابقون يرمزون إلى مملكة الشر، وخادم الملك في كفر ناحوم (يو ٤:٤٧) يرمز إلى إله العالم المادي، وهو ليس عدواً بل جاهلاً، ولكنه على استعداد أن يناشد المخلص لكي يساعده. وابن خادم الملك يرمز إلى النفوس، حيث نالت الشفاء والفداء، عندما تخلصوا من جهلهم.

والحقيقة هي أن إنجيل يوحنا وجد تقديراً كبيراً عند مستقيمي الرأي، وأتباع فالنتينوس، مما يؤكد بشدة على وجوده المبكر، وعلى أصله الرسولي.

ز- تعليم كاربوكراتس

عاش كاربوكراتس (أو كاربوكرات Carpocrates) في زمن حكم هادريان (Hadrian) (١١٧-١٣٨م).

وقد أسس حزباً أو طائفة من الغنوسيين، وأطلق اسمه عليه، ووضع المسيح على نفس مستوى الفلاسفة الوثنيين، حيث افتخروا بأنهم ارتفعوا فوق كل الأديان المعروفة. وقد أوغلوا في الفجور، وأطلقوا لأنفسهم العنان لفعل الشر. ويعتقدون أن الملائكة قاموا بخلق العالم، وهم أدنى كثيراً من الآب غير المولود. وأن المسيح هو ابن يوسف، مثله مثل باقي البشر، إلا أنه كان قوياً وطاهراً. وقد تذكر على نحو كامل ما رآه من أمور تقع في نطاق الآب غير المنظور. ولهذا فقد حلت عليه قوة من الآب، تمكن بواسطتها من الهروب والنجاة ممن خلقوا العالم. وبعد أن اجتازهم جميعاً بسلام فإنه عاد مرة أخرى إلى الآب. ويمكن أن يصل إلى المساواة مع يسوع إذا ما أمكن ازدراء خالقي العالم، والهروب منهم بنفس الطريقة التي اتبعها يسوع.

ويذكر كل من إيريناوس وهيبوليتس أن أتباع كاربوكراتس كانوا يمارسون فنون السحر من استخدام تمائم، وشراب سحري لجلب الحب، واللجوء إلى الأرواح الشيطانية، وكثير من الأمور الأخرى البغيضة. وقد أعلنوا أنهم يمتلكون القوة لحكم أمراء هذا العالم وسادته، ولكنهم قادوا الناس إلى الفسق واقتراف الرذيلة، وأساءوا استخدام اسم المسيح ليخفوا وراءه شرورهم. وكانوا أول طائفة معروفة استخدمت صور المسيح (راجع شاف- مرجع سابق).

ح- إبيفانس

إبيفانس (Epiphanes) هو ابن كاربوكراتس، وقد توفي عن عمر يبلغ (١٧) سبعة عشر عاماً. وهو مؤسس الطائفة

التى تنادى بالأحادية الغنوسية، وهى تقابل الثنائية الغنوسية، إذ أنها أنكرت الوجود المستقل للشر، وحولته إلى قوانين إنسانية خرافية.

وقام إبيفانس بتأليف كتاب عن «العدل»، وقد عرفه بأنه هو «المساواة». وقد ذكر كليمندس أن أتباعه قد عبدوه بعد موته. وأقاموا له الاحتفال والذبائح، وأنشدوا له الأناشيد.

وهكذا يتضح اقتران العبادة العقلية بالتحرر الجسدى، والتى ظهرت مرة أخرى فى عصور تالية.

وربما يكون كليمندس قد أخطأ عندما ذكر هذه الحقيقة، مثلما فعل يوستينوس الشهيد مع سيمون الساحر، إذ خلط بين احتفال وثنى محلى للقمر مع احتفال على شرف إبيفانس(راجع موسوعة الكنيسة الأولى جـ١، شاف- مرجع سابق جـ٢).

ط- بطليموس

بطليموس هو كاتب الرسالة إلى فلورا(Flora) السيدة المسيحية الغنية، التى أراد لها أن تتجدد وتتبع فالنتينوس، وهو يعالج أساساً الرفض القائل إن خلق العالم، وأسفار العهد القديم لا يمكن أن تكون قد صدرت عن الله، وهو يؤمن بطقس الآباء وبأقوال السيد المسيح، وأن المسيح الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبَّر(يوحنا ١٨:١) «وأن ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» (متى ١٧:١٩).

ولذلك فهو لا يستطيع أن يكون خالق العالم الذى يكثر فيه الشر، وقد استقى إيريناوس كثيراً من المعلومات من أتباع بطليموس المعاصرين له.

ى- ماركوس

ماركوس(أو مرقس)(Marcos) هو أحد تلاميذ فالنتينوس-أيضاً- فى النصف الثانى من القرن الثانى، ربما فى أسيا الصغرى أو فى بلاد الغال(فرنسا)، حيث مزج الرمزية الفيثاغورثية والرمزية القبلانية مع أفكار معلمه- فالنتينوس- مقدماً طقساً وفيراً فى مظاهره، سعياً لجذب انتباه السيدات الموسرات بفنون السحر. ودعى تلاميذه (المرقسيون- أو أتباع ماركوس-راجع شاف - مرجع سابق).

ك- كولارباسوس

يرتبط اسم كولارباسوس(Colarbasos) كثيراً باسم ماركوس(مرقس). ويجب حذف اسمه من قائمة الغنوسيين، إذ أنه حُسب منهم، وذلك للخلط بين ترجمة «كول أربع»(فى العبرانية)أو «الآلهة الأربعة»الذين على رأس البليروما مع شخص، التى وردت فى كتاباته. وقد اكتشف ذلك هيومان (Heumann) فى سنة ١٧٤٣م.

ل- بارديسانس

بارديسانس (Bardesanes) أو (Baradaisan)(ابن دايسان)يعد عالماً وشاعراً سورياً متميزاً، وكان أحد حاشية أمير الرُها (Edessa) فى نهاية القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى.

ولا يحسب من بين الغنوسيين، إلا بالمعنى الواسع. وطبقاً لإبيفانوس كان مستقيم العقيدة فى البداية، ثم انحرف باتصاله بأتباع فالنتينوس.

ولكن يوسابيوس المؤرخ له رأى يخالف ذلك، فهو يرى أنه بدأ هرطوقياً ثم أصبح قويم العقيدة. وقد ذكر أن بارديسانس أيضاً كتب ضد هرطقة مارقيون باللغة السريانية، والأرجح أنه قبِل الإيمان المسيحى مع بعض التعديلات. وقد مارس بعض الحرية فيما يتعلق بالتعاليم موضع المناقشة حيث لم تكن قد رسخت تماماً فى الكنيسة السريانية فى ذلك الوقت. ولكن أعماله الكثيرة فقدت، فيما عدا {حوار حول القضاء والقدر}، والذى طُبع بالكامل فى لندن فى سنة ١٩٥٥، وذلك عن النسخة السريانية الأصلية الموجودة فى متحف

إنجلترا، ولا يذكر فيه تاريخ محدد، كما لا يبدو فيه أثر لأساطير غنوسية أو ثنائية تُنسب له. وهو أو ابنه هارمونيوس (Harmonius) (تختلف الآراء). يعد الكاتب لكل الترانيم السريانية، فقد كتب مائة وخمسين ترنيمة (على مثال المزامير)، حيث استخدمت فى مختلف المناسبات والاحتفالات الكنيسة، إلى أن حلت محلها ترانيم القديس إفرايم السريانى قويم الرأى. والذى تمتع بنفس القدرة الفنية، حتى ذاع صيته، وكما يقال فإنها انتشرت جنوبى نهر الفرات إلى أن وصلت إلى الصين. ويقال أن ابنة هارمونيوس، الذى كان موطنه الرُها، قد تبع خطوات أبيه، ودرس الفلسفة بأثينا.

م- تعليم ساتورنينوس

لم يتوفر من تعليم ساتورنينوس (Saturninus) أو ساتورنيلوس (Saturnilus) سوى القليل، وهى جديرة بالاهتمام بصفة أساسية بسبب ما تكشف عنه من تأثير الثنائية الفارسية. فقد قامت كل من منطقة النور ومنطقة الظلام ضد الأخرى، وعلى حدود الأولى يقف سبعة ملائكة، ورئيسهم هو إله اليهود، وفى ممارستهم لوظيفة الخلق قاموا بخلق الأرض والإنسان.

وقد فسر بواسطة قوى الظلام تحت قيادة الشيطان، بأنه ضد مملكتهم، ونتج عن ذلك حرب مستمرة، والناس ينضمون إلى هذا الفريق أو ذاك، طبقاً لامتلاكهم مبدأ النور أو لافتقارهم إليه. ولكى يساعد أولئك الذين يستحقون أرسل الإله الأسمى كائناً مخلصاً، أخذ شبه الجسد، وأصبح مُعَلم الناس الروحيين ومرشدهم، وهو يرى أن النسك هو الطريق إلى التحرر.

ويقال إن أتباع ساتورنينوس كانوا يعارضون الزواج، والإنجاب باعتبار أن ذلك من الشيطان، وأنهم كانوا يمتنعون عن تناول الطعام الحيوانى (راجع شيلدون-مرجع سابق).

ن- تعليم مارقيون

كان مارقيون أو ماركيون (Marcion) أكثرجدة وعملية وخطورة من سائر الغنوسيين، وكان مليئاً بالطاقة والغيرة للتغيير، وكان قلقاً خشناً غريب الأطوار (راجع شاف- مرجع سابق).

وكانت له صلة كبيرة بنقد الكتاب المقدس، والمعارضة العقلانية للعهد القديم والرسائل الرسولية، ولكن بطريقة غير مدروسة تخلو من القيم، وقد ذكر بعض الاختلافات السطحية -فحسب- فى الكتاب المقدس، من وجهة نظره، ولكنه لم يستطيع أن يتعمق أكثر من ذلك.

ورفض الأساطير الوثنية للغنوسيين الآخرين، والتصق بالمسيحية كالديانة الحقيقة الوحيدة.

كان أقل إعمالاً للعقل، لأنه أعطى مكاناً أكبر للإيمان. لم يكن عنده الحس التاريخى إطلاقاً، وقد جعل المسيحية فى صراع جذرى مع كل الإعلانات الإلهية السابقة، إذ أنكر سلطان العهد القديم، كما لو أن الله تجاهل العالم آلاف السنين، ليظهر فجأة فى المسيح، ولم يعترف بشئ من العهد الجديد إلا بأنجيل لوقا البشير، وعشر رسائل فقط من رسائل الرسول بولس. فقد رأى أن الرسل الآخرين مزيفون وشوهوا الحقيقة (شيلدون- مرجع سابق).

وقبل أن نسرد قصة حياة مارقيون وأفكاره اللاهوتية، نذكر أن بعض مورخى العقائد المسيحية قد اختلفوا فيما إذا كان مارقيون غنوسياً أم لا.

فبينما يرى إيريناوس أنه كان غنوسياً يرى أ.هارناك أنه لم يكن غنوسياً على الإطلاق، لأن مارقيون لم يمد جسراً بين اللانهائى والنهائى من خلال سلسلة الأيونات (Aeons)، كما فعل الغنوسيون الآخرون، ولا أعمل فكره فى سبب الاضطراب فى العالم المنظور (راجع شاف- مرجع سابق جـ٢، كواستن- مرجع سابق جـ١-د.ق.حنا جرجس الخضرى جـ١).

١- نشأته

وُلد مارقيون فى مدينة سينوب (Sinope) التى تقع على شاطئ البحر الأسود شمالى تركيا فى نحو عام ١٢٠م. ونشأ متديناً إذ تربى فى بيت مسيحى، فكان أبوه أسقفاً على مدينة سينوب. وكان لمارقيون نشاط فى الكنيسة.

إلا أنه يبدو أن أباه طرده من الكنيسة، بسبب تعاليمه المنحرفة التى تخالف الكتاب المقدس. فذهب إلى روما فى منتصف القرن الثانى(١٤٠-١٥٥م) فى أيام حكم أنطونيوس بيوس. وروما لم يخرج منها أصلاً أى غنوسى، وإن كانت قد جذبتهم جميعاً.

٢- فكر مارقيون الهرطقى

فى روما أقبل مارقيون على تعليم سِردون(Cerdo) الغنوسى السريانى حيث تردد على مدرسته، واستقى منه الأساس الذى بنى عليه تعليمه، الذى نشره من خلال أسفاره، وتلمذ كثيرين من مختلف الجنسيات. وقيل عنه إنه كان يريد- قبل وفاته- أن يعود إلى الكنيسة. أما زمان ومكان وفاته فمجهولان.

كتب مارقيون دراسة نقدية عن إنجيل لوقا، ورسائل بولس والتناقضات بين العهدين القديم والجديد.

وقال عنه يوستينوس الشهيد إنه كان أقوى الهراطقة فى زمانه. وقد عبَّر إيريناوس فى تقرير له عن مدى الاحتقار الذى كانت تكنه له كنيسة روما، فعندما التقى بوليكاربوس ومارقيون فى روما، فسأل الأخير بوليكاربوس: «هل تعرفنى؟»، فأجابه بوليكاربوس: «إننى أعرف الابن البكر للشيطان» (شاف- مرجع سابق، كواستن- مرجع سابق).

يختلف مارقيون عن الغنوسيين الآخرين فى أنه يرفض التفسير المجازى للكتاب المقدس،كما أنه يخلط بين الأفكار المسيحية والأفكار الوثنية، وهو ما يميز الغنوسية. ويرى كواستن أن فكره عن الألوهية غنوسى لأنه يميز بوضوح بين إله الخير الذى يعيش فى السماء الثالثة، والإله الآخر الأقل فى الدرجة، الذى قام بخلق العالم والإنسان. وهو ليس إلا الإله الخالق للكون المادى(Demiurge) المعروف عند الغنوسيين الآخرين، وكذلك فإن مارقيون غنوسى التفكير أيضاً حين يقول إن الإله الآخر لم يخلق العالم من العدم، ولكن خلقه من مادة أزلية، وهى بذرة كل شر.

ويرى مارقيون أن ذلك الإله هو إله اليهود، إله الناموس والأنبياء، وهو إله عادل، ولكنه سريع الغضب ومنتقم، وهو إله كل شر مادى أو أخلاقى. ولهذا فهو علة كل الحروب.

ويبدو الفكر الغنوسى واضحاً فى تعليم مارقيون عن شخص المسيح، فهو يرى أن المسيح ليس هو المسيا الذى تنبأ عنه الأنبياء فى العهد القديم، ولا هو ذاك الذى وُلد من العذراء مريم، لأن المسيح فى الحقيقة، لم يعرف ميلاداً، ونمواً، ولا حتى المظهر لهذين الحدثين. وإنما المسيح الحقيقى، ظهر بطريقة فجائية فى أثناء حكم الامبراطور طيباريوس التى تصل إلى خمسة عشر عاماً، فى مجمع كفر ناحوم، حيث أصبح المسيح من تلك اللحظة فى هيئة بشرية، واحتفظ بها حتى موته على الصليب. وقد قدس كل النفوس بدمه الذى سفكه على الصليب. وهنا فكرة غنوسية أخرى، فالفداء للنفوس فقط، حيث أن الجسد تحت سلطة الإله الخالق المادى، ومصيره الهلاك.

ويرى مارقيون أنه لا توجد ضرورة لكى يشرح أصل إله العدل، ولا لماذا يحمل قيمة كبرى لذبيحة الصليب، ما دامت تلك الذبيحة لروح له مظهر الهيئة البشرية.

ويظهر ميله للغنوسية- أيضاً- فى طريقته فى حذف كثير من نصوص العهد الجديد، فقد حذف ما يشير إلى أن الله الآب أبا ربنا يسوع المسيح، هو نفسه الله الخالق للعالم،

وأن المسيح هو ابن الله خالق السماء والأرض. وأن الله أبا ربنا يسوع المسيح هو نفسه إله اليهود، فكل تلك الفقرات التى حذفها تتناقض مع أفكاره الغنوسية. بالإضافة إلى ذلك فإن مارقيون يشترك مع فالنتينوس فى رفضه لكل العهد القديم، ولكنه يختلف عن معظم الغنوسيين فى أنه لم يؤلف أى إنجيل جديد أو كتب مقدسة، بالرغم من رفضه للعهد القديم بالكامل، وحذفه للعديد من أسفار العهد الجديد.

وهو يعتقد أن المسيحيين من اليهود قاموا بتحريف الأناجيل، وأدخلوا عليها عناصر يهودية، ولهذا السبب فإن المسيح دعا بولس الرسول لكى يقدم الإنجيل الأصلى الصحيح، إلا أنه حتى رسائل بولس قام أعداؤه بتزويرها.

لقد قام مارقيون بحذف أناجيل كل من البشيرين مرقس ويوحنا، وحذف ما يتصل بالعقائد اليهودية من إنجيل لوقا البشير، والتى تحتوى أساساً على إنجيل المسيح، بل وقد استبعد من كتاب بولس الرسول الرسائل الرعوية والرسالة إلى العبرانيين، ووضع الرسالة إلى أهل غلاطية فى بداية الرسائل، وقام بتغيير عنوان الرسالة إلى أهل أفسس، ليصبح الرسالة إلى أهل لاودكية.

وهو بذلك اختصر العهد الجديد إلى جزءين يحتويان على وثائق الإيمان، وأسماهما: الإنجيل أو الرسول. وأضاف إليهما كتابه الذى يحمل عنوان (**المتناقضات**) (Antithese) حيث جمع فيه كل الفقرات موضع الاعتراض التى وردت فى العهد القديم ليبرر استبعاده للعهد القديم، وليبرهن على الطبيعة الشريرة لإله اليهود.

ويشرح فى كتابه أيضاً اعتراضه على الأناجيل وسفر أعمال الرسل.

س- تعليم يوستينوس الغنوسى

إننا نعرف عن يوستينوس (يوستين) الغنوسى من هيبوليتس، غير أن زمان ميلاده ومكان نشأته مجهولان، حيث نشر تعليمه سراً، وألزم تلاميذه بالصمت، بالقسم الذى اتخذوه على أنفسهم. وكتب العديد من الكتب، أحدها يسمى «باروخ» (Baruch)، ومنه يستخلص هيبوليتس فكرته عن يوستينوس الغنوسى، وفيه يقدم شرحاً رمزياً لسفر التكوين، إلا أن له نظرة يهودية.

وهيبوليتس فى الواقع يصنفه مع طائفة «النحشتان»، إلا أنه كان ليوستينوس نظرة تخالف نظرة عابدى الحية، فهو يرى أنها سبب كل شر فى التاريخ.

وقد استخدم الميثولوجيا اليونانية، لا سيما مآثر هرقل الإثنتى عشرة. وقد افترض ثلاثة مبادئ، مبدآن مذكران، ومبدأ مؤنثاً. الأول هو الكائن الصالح، والثانى هو إلوهيم أب الخليقة، والثالث يسمى عدن واسرائيل، وله شكل مزدوج، النصف الأعلى لامرأة والنصف الأسفل لحية. ووقع إلوهيم فى حب عدن، ونتج عن حبهما وعلاقتهما العالم الروحى ويتكون من عشرين ملاكاً، عشرة منهم من جهة الأب، والعشرة الآخرون من جهة الأم، وهؤلاء هم شعب العالم. والمسئول عن مجموعتى الملائكة هو باروخ الذى هو سبب كل خير أيضاً. وهو الذى تمثله شجرة الحياة فى الجنة. والحية هى المسئولة عن كل شر، وكانت تمثلها شجرة المعرفة فى جنة عدن. والأنهار الأربعة التى تجرى فى الجنة هى رموز للملائكة الأربعة المنقسمين.

وقد قررت الحية أن تزنى مع حواء، وكانت أسوأ جريمة ترتكب فى حق آدم، ولذلك قام آدم بتزييف الناموس والأنبياء، وهو الذى قام بصلب المسيح، وتثبيته على الصليب بالمسامير، ولكن عن طريق الصلب تخلص المسيح من جسده المادى. وارتفع إلى حيث الإله الصالح الذى عهد إليه بروحه بعد الموت، وهكذا جاء المسيح ليكون المخلص.

ع- تعليم هرموجينس

كان هرموجينس (Hermogenes) رساماً بقرطاجنة فى

نهاية القرن الثاني، وبداية القرن الثالث الميلادي. وقد وصفه القديس ترتليانوس بأنه متمرد ومشاغب ورجل أحمق، حيث تزوج عدداً من المرات أكثر مما قام به من أعمال فنية(رسم). كان ينتمي إلى الغنوسية لمجرد أنه يؤمن بالثنائية الأفلاطونية، ولإنكاره الخلق من العدم. وينسب العالم بما في ذلك روح الإنسان إلى المادة الأزلية التي لم يكن لها شكل.

وأن القبح في العالم الطبيعي، تماماً كما الشر في العالم الروحي، وذلك بفعل مقاومة المادة لقوة الله التي تشكلها. وهو يظن أنه بذلك التفسير وحده يعلل أصل الشر، إذ لو أن الله خلق العالم من العدم، فلابد أن يكون كله خيراً.

كما علّم أن المسيح وهو يصعد ترك جسده في الشمس، مستعيراً تلك الفكرة من(مزمور١٩: ٤)، ثم صعد إلى الآب. ولكن لم يكن هرموجينس يرغب في أن ينفصل عن الكنيسة.

ف- تعليم مناندر

إن معرفتنا عن مناندر (Menander) الغنوسي معرفة محدودة. فنعرف من يوستينوس أن مناندر وُلد في كباراتيا (Kapparatia) إحدى بلاد السامرة (Samaria).

وأصبح تلميذاً لسيمون الساحر، وعندما انتقل إلى أنطاكية تبعه تلاميذ كثيرون بسبب أعمال السحر، ولأنه وعدهم بالخلود، أما إيريناوس فيؤكد أصله السامري، ويقدم لنا فكرة عن تعليمه.

وكما يقول «كستاجنو» (castagno) إن مناندر ادعَّى أنه المخلِّص الذي أرسلته الآلهه غير المنظورة ليخلص البشرية.

والغنوسية التي انتشرت عن طريق مناندر بَينت الطريق للانتصار على الملائكة، الذين خلقوا العالم،والذين صدروا عن الفكر (الإله الأعظم).

وكذلك ادعى أن كل من اعتمد على اسم مناندر سيحظى بالقيامة والخلود (راجع موسوعة الكنيسة الأولى).

✣ ✣ ✣ ✣

ص- عابدو الحيات

١- المشايعون لشيث.

٢- المتأملون.

٣- نسل قايين.

إن أصل التسمية غير معروف على وجه الدقة، وهو بالعبرية «نحشتان» (راجع ٢مل١٨: ٤)، وقد وضعه موسهيم (Mosheim)، وآخرون قبل زمن المسيح. على أية حال فإن تعاليمهم تفيض بالوثنية، ويوضح لبسوس (Lipsus) ارتباطهم بالأساطير الكلدانية- الأشورية، وقد استمرت هذه الطائفة حتى القرن السادس، لأن جستنيان أصدر قوانين ضدها في سنة ٥٣٠م.

لا توجد معلومات مؤكدة-في الحقيقة-عن لماذا يتخذون من الحية علامة خاصة لهم في عبادتهم، ولكن ربما ترجع التسمية لأنهم يعيرون أهمية خاصة للحية كرمز للمعرفة، فيما يتعلق بالسقوط (تك٣: ١)، وعصا موسى (خر٤: ٢-٣)، والقوة الشافية التي للحية النحاسية في البرية (عدد ٢١: ٩)، قارن يو٣: ١٤)، وقد استخدموا شكل الحية كتمائم (أحراز) لهم.

وتلك الحية العجيبة توحي بالرهبة، حيث تبدو مثل ملاك ساقط يزحف على التراب معذباً، والحية في الكتاب المقدس ترمز إلى روح الشر حيث استخدمت شعار: «أحقا قال الله»، وهي أول كذبة صدرت عن أبي الكذاب (الشيطان)، والتي تسببت في هلاك الجنس البشري، ولكن الحية في الأديان الزائفة تعد رمزاً للحكمة الالهية، وهدفاً ملموساً للعبادة، حيث يظهر مرة أخرى نفس الشعار كحقيقة عظمى، والتي

تفتح الطريق إلى التقدم. وبصرف النظر عن كون الحية هى التى أغوت الجنس البشرى، فإنها كانت أول من علمته الفرق بين الخير والشر.

ولذلك فإن عابدى الحيات اعتبروا أن سقوط آدم مرحلة انتقالية من حالة العبودية غير الواعية إلى حالة التبرير والحرية الواعية، حيث المدخل الأساسى إلى الخير ولتقدم روح الإنسان النبيلة.

لقد وحّدوا بين الحية واللوجوس، أو الوسيط بين الآب والمادة، حيث جعلوا القوى الخاصة للعالم الأعلى تأتى للعالم الأدنى، وفى المقابل من العالم الأدنى للأعلى. وقد رأى «المانيون» أيضاً أن الحية تعتبر مثالاً مباشراً للمسيح.

ومع هذا الرأى ارتبطت معارضتهم المجحفة للعهد القديم. وقد أطلقوا على إله اليهود «حالداباؤث» وخالق العالم، حيث صوَّروه على أنه حقود، يكره البشر.

ومن جهة أخرى، فإن تعليمهم يشبه إلى حد بعيد تعليم فالنتينوس، فيما عدا أنها تنادى- أكثر منها- بوحدة الوجود، ولا أخلاقية وأقل منها كثيراً فى التطور.

*وتوجد ثلاث طوائف تندرج تحت عابدى الحية وهى:

(١) الشيثيون: إذ يعتبرون أن شيث الابن الثالث لآدم هو الإنسان الروحى الأول، والذى مهد الطريق للمسيح. واحتفظوا بثلاثة مبادئ: الظلمة تحت، والنور فوق، وبينهما يوجد الروح.

(٢) المتأملون: طائفة تؤمن أن معرفة الحقيقة تتم عن طريق التأمل المجرد دون الحاجة إلى الإحساس أو الخبرة. وقد ذكر هيبولتيس أنهم مجوس، ويُعلمون أن ثمة ثلاثة آلهة يتميز أحدهم عن الآخر، ثلاثة لوجوس(كلمة)، ثلاثة عقول، ثلاثة من البشر. وكان المسيح ثلاثى الطبيعة، وثلاثى الجسد، وثلاثى القوة. فقد نزل من فوق، وأن كل الأشياء التى تنقسم إلى ثلاثة فإنها تُحفظ بسلام.

(٣) نسل قايين: يفتخرون بأنهم من نسل قايين قاتل أخيه، ويتخذونه قائداً لهم، ويعتبرون أن إله اليهود وخالق العالم هو- إيجابياً- كائن شرير. والذى تعد مقاومته فضيلة، حيث أنهم قلبوا تاريخ الخلاص رأساً على عقب. وكرَّموا كل الشخصيات التى فعلت ما يشين فى العهدين القديم والجديد، من قايين إلى يهوذا الأسخريوطى على أنهم رجال روحيون، وشهداء الحق. ويدَّعون أن من بين الرسل ينفرد يهوذا الأسخريوطى، وقد خان المسيا بنية حسنة، لأنه كان يريد أن يدمر إمبراطورية إله الشر عند اليهود. وقد ذكر أوريجانوس هذا الفرع الذى يخرج من جذع شجرة عابدى الحية، حيث كانوا يكنون عداءً شديداً للمسيح، مثل سيلسوس الوثنى، ولم يقبلوا فى مجتمعهم أى شخص إلا إذا لعن اسمه أولاً. ولكن الغالبية العظمى منهم تعترف بصلاح المسيح والفائدة من صلبه التى ترجع إلى حكمة يهوذا الأسخريوطى البعيدة. وقد تداولوا فيما بينهم كتاباً بعنوان «إنجيل يهوذا».

ولا عجب أن ارتبطت مثل هذه التجديفات وتزييف التاريخ المقدس، والولع الشديد بالحية، بإطلاق العنان للمخالفات والتناقضات التى جعلت من الرزيلة فضيلة. وقد ظنوا أنهم لكى يصلوا إلى «المعرفة الكاملة»، فمن الضرورى أن يختبروا اختباراً كاملاً كل الخطايا والرزائل.

لقد اعتبر البعض أن عابدى الحية هم الذين أشار إليهم يهوذا فى رسالته «المعلمون الكذبة المحتملون الذين ينجسون الجسد ويتهاونون بالسيادة ويفترون على ذوى الأمجاد،..لأنهم سلكوا طريق قايين، وانصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة وهلكوا فى مشاجرة قورح..» وبهذا «فهم نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد»(يهوذا٨، ١١، ١٣). والتشابه واضح إلى حد كبير، وهؤلاء الهراطقة ربما كانوا هم السابقين لعابدى الحية فى القرن الثانى الميلادى(راجع شاف- مرجع

سابق).

ويغلب على الظن أن كثيراً من هذه الأسماء ترجع إلى مؤسسى تلك الطوائف الذين إليهم تُعزَى كل الأخطاء اللاهوتية والرذائل التى نادوا بها. ولذلك فإننا لا نندهش للمعارضة العنيدة للآباء الأولين تجاه الانحرافات الفكرية اللاهوتية التى نادى بها أولئك الهراطقة فى تعاليمهم التى تشوه حقيقة المسيحية.

✣ ✣ ✣ ✣

ذكر الآباء الأولون، لا سيما هيبوليتس وإبيفانيوس العديد من الطوائف الغنوسية تحت العديد من الأسماء:

(١) الدوسيتية

كانوا يعلّمون أن جسد المسيح ليس جسداً حقيقياً من دم ولحم، ولكنه مجرد خداع، فكانوا يرون أنه جسد مؤقت وشبحى، وبالتالى فالمسيح لم يتألم ولم يمت ولم يقم من بين الأموات ثانيةً. وينسحب هذا الاسم على معظم الغنوسيين، لاسيما على باسيليدس (Basilides) وساتورنينوس (Saturninus) وفالنتينوس (Valentinus) ومارقيون (Marcion) وأتباع مانى (Manichaeans) السابق ذكرهم.

والدوسيتيون كانوا أول من علّم تعاليم منحرفة ضد المسيح، حيث كتب القديس يوحنا «وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه يأتى والآن هو فى العالم» «لأنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً فى الجسد. هذا هو المضل والضد للمسيح»(١يوحنا ٤:٢ ، ٢:٢ يو٧).

(٢) من ينتمون إلى أكثر من جماعة واحدة:

حيث يدل على ذلك تحررهم وتناقضهم، مما يعنى أنهم لم يكونوا أتباع معلم واحد.

(٣) تعليم أتباع بروديشيان (Prodicians)

والمفروض أنه المؤسس لهذه الجماعة. وقد اعتبروا أنفسهم فوق الناموس والسبت وكل أشكال العبادة، بل وحتى فوق الصلاة نفسها. وهم يشبهون أتباع نيقولاوس، ومن لا ينتمون إلى مذهب واحد، وقد سموا أيضاً «أتباع آدم»، كما سموا أيضاً الباربلاتيين والبوربوريانيين، والكوديانيين، والفيبيونايتيين، وبأسماء أخرى غامضة.

ثانياً: بدعة مانى

تعد المانوية الشكل الأخير من التعاليم الغنوسية، وهى أكثرها خطورة وتنظيماً، وأكثرها دقة واتساقاً. ولذلك كان على المسيحية أن تشن عليها حرباً طويلة.

لم تكن المانوية مجرد مدرسة فكر منحرف، مثل أشكال الغنوسية الأخرى. وإنما كانت ديانة أخرى وكنيسة أخرى تحارب المسيحية. (راجع شاف-مرجع سابق). كانت المانوية خليطاً من الوثنية والمسيحية.

إن أصل المانوية غامض وغير واضح. وأكثر ما يمكن أن يوثق به هو أن «المانوية» أخذت اسمها من مؤسسها «مانى» (Mani) أو «مينز» (Manes) أومانيكايوس (Manichaeus) (راجع شيلدون-مرجع سابق، شاف- مرجع سابق). ويقول شاف إن «مانى» كان فيلسوفاً ورساماً مجوسياً، وقيل إنه تجدد وأصبح مسيحياً، بل وخدم كشيخ، وكان ذلك فى القرن الثالث(٢١٥-٢٧٧م).

كانت ثمة جهود تُبذل، فى ذلك الحين، لاستعادة الإيمان الزرادشتى النقى، وجرت مناقشات كثيرة بالنسبة لاختيار المواد التى يجب تضمنيها فى ذلك الإيمان، وكذلك لزيادة العداء للمسيحية. وفى قلب هذه الظروف واتت مانى أن يجمع بين المسيحية والزرادشتية.

وقد افترض البعض أن البوذية قد أضيفت كعنصر ثالث، والأمر المؤكد هو أن تعليم مانى(الهرطقة التى ابتدعها) يضم عناصر لا توجد فى المسيحية الخالصة أو الزرادشتية الخالصة.

وفضلاً عن ذلك، فمن المؤكد- كما يذكر شاف وشيلدون- أن مانى قام بزيارة للهند.

لقد قدم مانى نفسه على أنه الباراقليط (Paraclete) الذى وعد به المسيح، وهكذا فعل غيره كثيرون. وقد كتب العديد من الكتب باللغة الفارسية واللغة السريانية، ويقال إنه ابتكر أبجدية، وإن كانت قد ضاعت (راجع شاف- مرجع سابق صـ١٥٠١).

وقد شرع يشرح آراءه نحو منتصف القرن الثالث، وثمة فترة وجيزة من الدعاية الناجحة، ولكنها قوطعت بالاضطهاد، إلا أنه وجدها أيضاً فرصة مواتية تحت رعاية الملك شهبور(Shapur) أو سابور(Sapor). واكتسب مانى أتباعاً لتعاليمه، إلا أن تغييراً فى الحكم كان من شأنه أن يغير هذه الظروف المواتية بالنسبة لمانى، فقد هوجم بشكل عنيف نتيجة سوء نية الملك وكراهية السحرة، ومن ثم لاقى مانى نهاية مأساوية.

وطبقاً لإحدى الروايات، فقد صدر الحكم بسلخ جلده وشنقه أمام باب المدينة، ومنذ ذلك الحين، أطلق على هذا الباب باب مانى. (راجع شيلدون- مرجع سابق صـ٢٢١).

تعليم مانى

تبنَّى مانى ثنائية مطلقة، ففى مقابل عالم النور يوجد عالم الظلمة، والمادة، والنار التى لا قدرة لها على الإضاءة، وعلى رأس عالم النور يقف الإله الطيب مع ملائكته، الذين هم منبثقون منه، وهم قنوات نوره.

وفى مملكة الظلمة تعمل قوى وحشية لا سيطرة عليها. كانت المملكتان واضحتين تماماً فى البداية، إلا أنه حدث أخيراً أن قوى الظلام- فى ثورتها العنيفة- اقتربت جداً من الفضاء العلوى، حتى أنها رأت وميضاً من نوره، فانجذبت رغماً عنها لهذا المنظر غير المألوف، ولذلك وجد الإله الصالح أنه من المناسب أن يرسل ابن أم الحياة، الإنسان الأول، لكى يدافع عن المملكة. وإذ أحاطت به قوى الظلام التى اندفعت نحوه برغبة عارمة نهمة، أصبح الإنسان الأول فى خطر الدمار. وقد هرب بمساعدة الروح الحى الذى أُرسل لإنقاذه. والواقع أنه ترك وراءه جانباً من جوهر النور الذى ينتمى إليه. وقد رفع الروح الحى، الذى له قدرة على الخلق، هذا الجزء من الجوهر المنير، والذى لم يتأثر نتيجة اتصاله بالمادة إلى الشمس والقمر. ولكنه ترك جزءاً سجيناً فى المادة التى انتسب إليها كنفس.

وهكذا تأسس نظام الطبيعة. وفى كل مكان من العالم وعلى جميع جوانبه يوجد تقريباً شئ من النور المحبوس، أو النفس. ويمكن أن ينظر إلى هذا على أنه ابن الإنسان المتألم، يسوع المتألم. والصلب فى أحد معانيه هو حدث مستمر، ويقول فستوس المانوى: «الأرض تحبل وتلد يسوع الذى مصيره الموت، والذى، إذ يتدلى من كل شجرة، هو حياة وخلاص البشر. (راجع شيلدون- مرجع سابق صـ٢٢٣).

والإنسان نفسه، فى هرطقة مانى، جزء من نفس العالم، وجسمه جزء من المادة الشريرة. وأصله يرجع إلى قوى الظلمة. وإذ يخشى أتباع المملكة الشريرة، أن يُسحب النور الذى حبسوه بالقوة الجاذبة للشمس والقمر فقد حبسوه فى جسد بشرى. وإذ تركز على هذا النحو، فقد كان من شأن ذلك أن أدرك الجوهر السماوى أصله السامى، وبدا أن الإنسان الذى خُلق من جديد، من المحتمل أن يهرب من سلطان القوى الشريرة. وللحيلولة دون ذلك، أخذوا يجربونه فى شهواته الجسدية، حيث يضاعفون هذا العنصر، وبتقسيم الجوهر يُضعفون فى الفرد إدراكه لسمو طبيعته.

والخلاصة- فى بدعة مانى- وهى تحرير الجوهر المضئ من قيود الظلمة. والفادى هو ابن الإنسان الأول، المسيح، روح الشمس الذى صُوِر بصورة رائعة على أنه يسكن فى

الشمس بقوته، وفى القمر بحكمته. وإذ نزل إلى الأرض فى هيئة جسدية- ولكن بشبه جسد فحسب- علَّم الناس كيف يصلون إلى نصيبهم الحقيقى- وكانت حياة الزهد هى جوهر وصاياه، وبهذه الوسيلة تُهيَّأ النفس للعودة إلى نورها الحقيقى.

والواقع أن هذا قد يساعد على تحرير بعض النور المحبوس فى الطبيعة. فالإنسان الذى يحتذى به فى كبح النفس، والذى يراعى التحكم فى فمه ويده ومشاعره، حينما يشارك فى ثمرات الأرض، يحرر جزءاً من النور الحبيس.

والموت كما فهمه المانيون، هو محور الجزء الروحى فى المؤمن والذى يَعْبُر على متن سفن النور العظيمة فى السماء، وازدياد قوة القمر تعد دليلاً ظاهراً على الشحنة التى تم استلامها.

وقد أقيمت جماعة دائمة من اثنى عشر تلميذاً، كان مانى على رأسها، لإدارة شئونها. وتحت هذه الإدارة، كان هناك اثنان وسبعون أسقفاً، وتحت هؤلاء كان هناك شيوخ وشمامسة وكارزون.

وهذه الطائفة تنقسم إلى فئتين:

المختارون والسامعون

وكانوا ملزمين باتباع أسلوب تقشف صارم، يمتنعون عن الزواج، ويرفضون كل ملكية خاصة ويمتنعون عن أكل لحوم الحيوان، ولا يشتركون فى إعداد الطعام من الخضروات، حتى لا يواجهون الاتهام بأنهم يجرحون تلك الحياة التى هى حبيسة قيود المادة.

وكان السامعون يحيون حياة، أقل تقشفاً، ولم يتعمقوا فى الإيمان.

ولقد انتشرت طائفة «المانوية» من فارس إلى غربى أسيا وشمالى أفريقيا وصقلية وإيطاليا. وعلى الرغم من أنها عانت الاضطهاد على يد دقلديانوس، وبعد ذلك على يد الأباطرة المسيحيين، إلا أنها وجدت بعض أفكارها تحت أسماء جديدة فى تاريخ لاحق. ومن بين أبرز الكاتبين المسيحيين، قدم القديس أغسطينوس مقاومة بالغة الشدة لدحض هذه الهرطقة، لأنه كان مؤهلاً لذلك تماماً، لخبرته السابقة كأحد المانويين لمدة تسع سنوات.

(٤) معارضو عقيدة الثالوث

لقد بدا أن ثمة مشكلة للتوفيق بين تعليم الثالوث ووحدانية اللّه، لذا فقد بدأت تُطرح على بساط البحث فى الكنيسة. فقد أخذ البعض أقصر الطرق للتغلب على هذه الصعوبة، وذلك بإنكارهم وجود أى ثالوث حقيقى فى الألوهية. ومن هنا برز نزاع جديد، ذلك أن مهمة دحض الغنوسية تبعتها مباشرة مهمة تفنيد عقيدة معارضى عقيدة الثالوث (Monarchianism).

لقد جذبت تلك الهرطقة الانتباه، فى أواخر القرن الثانى، ويبدو أنها لم تنتشر على نطاق واسع، ولا نقرأ عن تلاميذها أنهم قد أصبحوا بارزين إلا فى أماكن قليلة.

أما وأنها ظهرت فى ذاك الوقت فى شكلين مختلفين ومتعارضين، فيمكن أخذه كدليل على أنها كانت خارج نطاق الفكر الكنسى تماماً، وأنها كانت محاولة فكرية للتغلب على الصعوبات التى كانت تكتنف العقائد الى قُبلت عموماً.

يتفق معارضو عقيدة الثالوث فى صورتيها على أن اللّه شخص واحد، فقد أكدوا على أنه لا يوجد سوى أقنوم إلهى واحد. أما الخلاف الجذرى بين الفرقتين فهو أن **إحداهما** كانت تنكر أن الإله، الذى هو شخص واحد، قد تجسد شخصياً فى يسوع المسيح.

فى حين أن الأخرى تؤكد أنه تجسد على هذا النحو، ومن وجهة نظر إحدى الجماعتين، فإن المخلص، الذى ظهر بين الناس، كان إنساناً وُهب الروح القدس، بصفة خاصة. أما من

وجهة نظر الجماعة الأخرى، فقد كان هو الله الذى ظهر فى الجسد. وطبقاً لهذا الرأى الأخير، فإنه لا يوجد أى فرق عددى بين الآب والابن، فالآب هو نفسه الابن الذى رأيناه فى الجسد.

ومن حيث أن تعليمهم يبدو أنه كان يتضمن استنتاجاً بأن الآب قد صُلب، فقد قالوا إن الآب تجسد وتألم فى الابن.

والفئة الأولى-التى تختلف عن الإبيونيين بقولهم إن الروح القدس سكن بطريقة غير عادية فى المسيح منذ ميلاده- تضم عدة جماعات، وكذلك الفئة الثانية، والتى وجدت تعاطفاً من الكنيسة بأكثر مما لاقته الفئة الأولى، كان من بينهم سابليوس وبراكسياس.

ينتمى إلى الفئة الأولى كل من:

١- منكرو اللوجوس أو الكلمة.

٢- أتباع ثيؤدوتس.

٣- أتباع أرتيمون.

٤- بولس الساموساطى.

١- منكرو اللوجوس أو الكلمة (Alogians)

أتباع شيعة هرطوقية ظهرت فى أسيا الصغرى فى حوالى سنة ١٧٠م، ولا يعرف عنهم سوى القليل. وقد أطلق عليهم أبيفانوس هذا الاسم، لأنهم رفضوا تعليم اللوجوس (الكلمة)، وقد رفضوا إنجيل الكلمة (إنجيل يوحنا) إلى جانب سفر الرؤيا. وكانوا يقولون: ما الفائدة التى نجتنيها من سفر الرؤيا بملائكته السبعة وأختامه السبعة؟ وما علاقتى بالملائكة الأربعة الذين كانوا عند نهر الفرات، الذين يجب أن يطلقهم ملاك آخر، وكذلك فرقة الفرسان ودروعهم التى من نار وكبريت؟ وقد نسبوا بكل حماقة كتابات يوحنا الرسولى إلى كيرنثوس الغنوسى، الذى كان الرسول يوحنا يقاومه، وهذا يعد أول إنتاج للنقد الكتابى السلبى، بعد تشويه مارقيون للعقائد الكتابية.

٢- اتباع ثيؤدوتس

وهذا الاسم ينسب إلى مؤسس شيعتهم ثيؤدوتس الدباغ (Theodotus) وقد جاء من بيزنطية، وكان قد أنكر المسيح فى أحد الاضطهادات متعللاً بأنه لم ينكر سوى إنسان. إلا أنه كان لا يزال يؤمن أن المسيا مولود ولادة طبيعية. وقد اكتسب أتباعاً له فى روما، ولكن الأسقف فيكتور حرمه كنسياً (١٩٢-٢٠٢).

وبعد موت الأسقف اختارت شيعته ناتاليس المعترف أسقفاً، والذى قيل إنه بعد ذلك عاد تائباً إلى حضن الكنيسة الجامعة. أما ثيؤدوتس الصغير، وكان صرافاً، فقد اعتبر ملكى صادق وسيطاً بين الله والملائكة، ولهذا فهو أسمى من المسيح الذى هو وسيط بين اللّه والناس. وكان أتباعه يسمون «الملكيصادقيون».

٣- اتباع ارتيمون

أتباع أرتيمون (Artemon) أو أرتيموس (Artemos). والذى جاء إلى روما، حيث أعلن أن التعليم القائل بألوهية المسيح إن هو إلا بدعة، وانتكاسة إلى الوثنية الى تؤمن بتعدد الآلهة، وقد حرَّمه زافيرنيوس كنسياً (٢٠٢-٢١٧)، وربما بعد ذلك. وقد وضع أتباع أرتيمون إقليدس وأرسطو فى مكانة أعلى من مكانة المسيح، وكانوا يقدرون الرياضيات والمنطق وأصوله بأكثر مما قدروا الإنجيل. وهذا ما يشير إلى أن البعض استخدم أرسطو ضد لاهوت المسيح، كما سبق أن استخدم أفلاطون لنفس الغرض.

٤- بولس الساموساطى

كان بولس الساموساطى (Paul of Samosta) أسقفاً فى أنطاكية فى نحو سنة ٢٦٠م. وكان فى ذلك الوقت يشغل وظيفة عامة رفيعة، وهو من أكبر العقلانيين القائلين بإله واحد مطلق، وهو بهذه الهرطقة شوه عقيدة كنيسة من أولى

الكنائس الرسولية.

فقد أنكر شخص اللوجوس والروح القدس، واعتبرهما مجرد قوى من قوى الله مثل العقل والفكر فى الإنسان، إلا أنه سلَّم بأن اللوجوس يسكن فى المسيح بمقدار يفوق سكنه فى أى نبى أو رسول من رسل اللّه السابقين.

وعلَّم على غرار ما علَّم به السوسينيون (Socinians) فى وقت لاحق، بارتفاع تدريجى للمسيح، يحدده النمو الأدبى، إلى كرامة إلهية. وقد أقر بأن المسيح ظل متحرراً من الخطية، وأنه هزم خطية آبائنا، وبعد ذلك أصبح مخلص جنسنا، ولكى يجعل تعليمه عن المسيح يصل إلى الشعب، قام بتغيير ترانيم الكنيسة، ولكنه كان عنيفاً إلى درجة لم تمكنه من أن يكيف نفسه مع الصيغة الأرثوذكسية، فقد سمى السيد المسيح- على سبيل المثال- إله من العذراء.

أما الأساقفة الذين كانوا تحت رئاسته فقد اتهموه لا بالهرطقة فحسب، وإنما بالمبالغة أيضاً فى التفاهة والغرور والجشع والغرطسة، والاهتمام الذى لا مبرر له بالعمل الدنيوى.

وقد أعلنوا خلعه فى مجمع عُقد فى أنطاكية فى نحو سنة ٢٦٨م أو سنة ٢٦٩م، أما عدد الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع فقد كان محل خلاف(٧٠ أو ٨٠ أو ١٨٠ أسقفاً)، وقد عُين دومنوس (Domnus) خليفةً له. وأبلغت النتيجة للأساقفة فى روما، والإسكندرية، وكافة الكنائس. إلا أن بولس الساموساطى إذ كان يحظى برعاية الملكة زنوبيا (Zenobia) ملكة «تدمر» (Palmyra) تعذر تنفيذ قرار خلعه حتى قام الامبراطور أورليان بتنفيذه فى سنة ٢٧٢م، وذلك بعد المشاورات مع الأساقفة الإيطاليين.

الفئة الثانية

الفئة الثانية من معارضى عقيدة الثالوث، الذين وصفهم ترتليانوس بعبارة «القائلين بأن الآب قد تجسد وتألم فى الابن» (حيث أصبحوا بعد ذلك فرعاً من القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة، وأن الطبيعة الإلهية التى فى المسيح هى التى تألمت على الصليب Theopaschite). ذلك بالإضافة إلى تحمسهم للتوحيد، فشعروا بالحافز المسيحى الأعمق للتمسك بألوهية المسيح، إلا أنهم ضحوا فى سبيل ذلك بشخصه المستقل، ودمجوه فى جوهر الآب، وقد علَّموا بأن الإله الواحد الأسمى، وبدافع من مشيئته الحرة، صار إنساناً، ولذلك فالابن هو الآب محجوباً فى الجسد. ولم يعرفوا أى إله سوى ذاك الذى أُعلن فى المسيح، واتهموا خصومهم بأنهم يعبدون إلهين.

لقد كانوا أكثر خطورة من أصحاب المذهب الآخر الذين يرفضون عقيدة الثالوث ويقولون بالتوحيد، ولعدة سنوات تمكنوا من أن يحصلوا على تعاطف الكرسى البابوى وتأييده، وكان لهم سلسلة متعاقبة من المعلمين فى روما. وكان عددهم كبيراً حتى فى عهد أبيفانوس فى ختام القرن الرابع.

وتضم الفئة الثانية كلاً من:

(١) براكسياس.

(٢) نويتوس.

(٣) كالستوس.

(٤) بيريللوس.

(٥) سابيليوس.

(أ) براكسياس

كان أول الشخصيات البارزة المؤيدة لهرطقة القائلين بأن الآب تجسد وتألم فى الابن، وهو براكسياس (Praxeas)، الذى من أسيا الصغرى.

وقد جاء إلى روما إبان عهد ماركوس أورليوس، حيث اشتهر هناك ككاهن الاعتراف، وحيث أدانته المونتانية، واقترح عقيدة الإيمان بأن الآب تجسد وتألم فى الابن، وقد اكتسب

لها أتباعاً حتى الأسقف فيكتور نفسه. وقد اتهمه القديس ترتليانوس بأنه نفّذ فى روما مهمتين للشيطان، فقد أنكر الروح القدس، وصلب الآب، وكان براكسياس يستشهد دائماً بما جاء فى(إشعيا٤٥:٥) «أنا الرب وليس آخر» و(يوحنا ١٠:٣) «أنا والآب واحد»و(يوحنا ١٤:٩) «الذى رآنى فقد رأى الآب»، كما لوكان الكتاب المقدس كله يتكون من هذه الآيات فحسب.

وكان يعلم بأن الآب نفسه صار إنساناً، جاع، وعطش، وتألم، ومات فى المسيح. والواقع أنه يجب ألا يفهم بأنه يتكلم بصفة مباشرة عن آلام الآب، بل كان يتحدث عن مجرد تعاطف الآب مع الابن، إلا أنه على أية حال أنكر الشخصية المستقلة للابن.

وكان يرى العلاقة بين الآب والابن مثل علاقة الروح بالجسد، فكان يرى أن الآب كالروح، والابن كالجسد، وكان يرى أن عقيدة الكنيسة الجامعة تؤمن بثلاثة آلهة.

(٢) نويتوس

من سميرنا ،نشر رأيه فى سنة ٢٠٠م، مستنداً إلى ما جاء فى (رو٩:٥)حيث وصف نوتيس (Noetus) أو نؤيتس المسيح بالقول: «الكائن على الكل إلهاً مباركاً». وعندما انتقده أحد المجالس، احتج دفاعاً عن نفسه، قائلاً بأن تعليمه يعزز مجد المسيح. ويربط بين هيبوليتس وبين فلسفة هيراقليتس القائلة بوحدة الوجود، وما نعرفه هنا لأول مرة، هو أنه، كان ينظر إلى الطبيعة على اعتبار أنها تناسق من كل المتضادات.

وقال عن الكون إنه قابل للانحلال وغير قابل للانحلال فى ذات الوقت، فانٍ وغير فانٍ. وهكذا افترض نويتس أن نفس الشخص الإلهى يتوجب أن يكون قادراً على أن يجمع فى نفسه سمات متضاربة.

وقد قام اثنان من تلاميذه، وهما ابيجونوس (Epigonus) وكليومينيس(Cleomenes) بنشر هذا التعليم فى روما تحت رعاية البابا زافيرينوس (Zephyinus).

(٣) كالستوس

هو البابا كالستوس الأول (Calixtus1) تبنَّى تعليم نويتس، ودافع عنه. وأعلن كالستوس أن الابن ما هو إلا ظهور الآب فى هيئة إنسان، فالآب يحيى الابن كما يحيى الروح الجسد، وقد تألم الآب معه على الصليب. كما قال: «إن الآب الذى كان فى الابن، أخذ جسداً وجعله إلهاً واتحد به». ولذلك فإن الآب والابن هو اسم الإله الواحد، وهذا الشخص الواحد لا يمكن أن يكون اثنين، وهكذا تألم الآب مع الابن. واعتبر خصومه من الشيعة التى تعبد إلهين. وكان لكالستوس أتباعه الذين نُسبوا إليه وهم«الكاليستوسيون»(Callistians).

كان هيبوليتس الخصم العنيد لكالستوس، وهو فى تعليمه عن الثالوث كان يميل للقول بتابعية الابن للآب، وهذا على النقيض تماماً من تعليم كالستوس. وكان يقول عن كالستوس(ربما فى ظل غضب شديد): «إنه رجل غير معقول وخائن، حيث يجمع التجديفات من هنا وهناك، وما كان ليفعل ذلك إلا ليتكلم ضد الحق، ولم يكن يخجل من أن يقع تارة فى خطأ سابيليوس، وتارة أخرى فى خطأ ثيودوتس (ومع ذلك فإنه بعد ذلك لم يظهر أى أثر لهذه الأخطاء، بل ظهر ما هو على عكسها تماماً).

وكان كالستوس يختلف عن من يفصلون بين اللوجوس والله، ولكنه كان يختلف أيضاً عن أتباع سابيليوس الذين كانوا يخلطون بين الآب والابن، وكان يقول بالحلول المتبادل بين الآب والابن، وبعبارة أخرى فإنه انتقل من مذهب القائلين بأن الله أقنوم واحد فى أطوار ثلاثة، أو من مذهب التوحيد المطلق إلى القول بالتثليث الذى تبنَّاه مجمع نيقية، إلا أنه لم يكن واضحاً أو متسقاً مع نفسه بالنسبة لأقواله.

وقد أصدر حرماً كنسياً ضد كل من سابيليوس وهيبوليتس، وقد عضدته في ذلك كنيسة روما، وجعلت اسمه من بين أبرز الباباوات القدامى.

وبعد وفاة كالستوس، الذي شغل كرسي البابوية بين عامي ٢١٨م،٢٢٣م(أو ٢٢٤م)، اختفت تماماً من كنيسة روما الهرطقة القائلة بأن الآب تجسد وتألم في الابن.

(٤) بيريللوس

بيريللوس (Beryllus) وهو من بوسترا، وهي البصرة في العربية . ولا تتوفر من كتاباته سوى فقرة غامضة إلى حد ما، وفسرت على أوجه مختلفة للغاية، وهي محفوظة في كتابات يوسابيوس. وقد أنكر الوجود الشخصي السابق للمسيح، وبصفة عامة أنكر ألوهيته. إلا أنه في ذات الوقت أكد على حلول لاهوت الآب فيه إبان حياته على الأرض. وهويشكل، من ناحية ما، نقطة الانطلاق من المذهب القائل بأن الآب تجسد وتألم في الابن، إلى الانتحالية السابيلية التي تنادي بأن الله أقنوم واحد ظهر في أطوار ثلاثة متعاقبة.

وفي مجمع عربي عقد في سنة ٢٤٤م، طُلب أوريجانوس للمشورة وإبداء الرأي، وقد اقتنع بيريللوس حينئذ بخطئه، بواسطة ذلك المعلم العظيم، واقتنع بصفة خاصة بأن للمسيح نفساً بشرية، ويقال إنه شكر بعد ذلك أوريجانوس على تعليمه.

وفي ذلك نجد أن هذا الموقف يعد من المواقف النادرة الي أدت فيها المجالات اللاهوتية إلى الوحدة بدلاً من الشقاق العظيم.

(٥) هرطقة سابيليوس

يعتبر سابيليوس أقدم وأبرع من انتموا إلى معارضي عقيدة الثالوث، فقد ظهر كمدافع عن الآراء المضادة لعقيدة الثالوث، وهو يعتبر المبتدع والمؤسس لفكرة التوحيد المنكر للثالوث، قبل مجمع نيقية. وهذه الفكرة تظهر من وقت لآخر بعد إجراء بعض التعديلات عليها، وقد وقعت عليه عقوبة الحرم الكنسي في الإسكندرية في سنة ٢٦١م(راجع شيلدون- مرجع سابق).

إننا لا نعرف سوى القليل عن حياة سابيليوس. ربما كان ليبياً من احدى مدن بنتابوليس (المدن الخمس الغربية)، وقضى جانباً من عمره في روما في بداية القرن الثالث الميلادي، تعلم على يد كالستوس أن الآب قد تألم في الابن.

ولكن عندما أصبح كالستوس أسقفاً حرمه كنسياً، إلا أن هذا الأمر موضع شك (شاف- مرجع سابق). وقد انتشر ذلك التعليم في روما، كما في مصر.

وقد حرمه ديونيسيوس أسقف الإسكندرية في سنة ٢٦٠م أو ٢٦١م في مجمع الإسكندرية، في مقاومة عنيفة لفكره، لكنَّه عبَّر عن ذلك بتعبيرات قريبة من التعبيرات الأريوسية- التي استخدمت فيما بعد- عن انفصال الأقانيم، وتابعية الابن للآب. مما دعا أتباع سابيليوس إلى أن يتقدموا بشكوى ذلك الأسقف لديونيسيوس أسقف روما، فعقد مجمعاً في سنة ٢٦٢م، وأصدر رسالة خاصة في تفنيد إدعاءات سابيليوس، وكذلك في مسألة تابعية الابن، وموضوع الثالوث.

وقد تخلى عنْ ذلك أسقف الإسكندرية، وتراجع في هدوء عن تأكيده أن الابن مخلوق أدنى من الآب، وأن الابن من نفس جوهر الآب (Homo-ousios). وقد هدأ ذلك النزاع إلى حين، حيث تجدد مرة أخرى مع أريوس بعد ذلك بنحو خمسين عاماً.

فسابيليوس يرى أن الثالوث يظهر على نحو تعاقبي في الإعلان، فقد أعلن الله نفسه في إعطاء الناموس أو تدبير العهد القديم، والابن في تجسده، والروح القدس في الوحي

وفى تقديس المؤمنين. وهذه الألقاب الثلاثة لا تشير إلى مراحل فى التدبير الإلهى، وإنما تشير إلى نفس الأقنوم الإلهى تحت أشكال متعاقبة من الإعلان الإلهى.

وهذه النظرية تمهد لظهور إلهى لا إلى تجسد إلهى، وهى تُعلِّم بسكنى اللّه بشكل عابر فى الجسد بدلاً من اتحاد دائم بين اللّه والإنسان فى شخص يسوع المسيح.

✣ ✣ ✣ ✣

الباب السابع

نشأة الفن فى المسيحية

١- خلفية تاريخية عن الفن فى الكتاب المقدس.

٢- فن العمارة الكنسية.

٣- فن الشعر.

٤- فن الموسيقى.

٥- الرمز فى الفن المسيحى.

(١)- خلفية تاريخية عن الفن فى الكتاب المقدس

أ- الفن فى الشرق قديماً.

ب- الفن فى مصر قديماً.

جـ- الفن فى بلاد بين النهرين قديماً.

د- الفن فى وقت الكتاب المقدس.

هـ- موقف الكتاب المقدس من الفن.

إن معرفة الفنون فى المنطقة التى ظهرت فيها الديانة اليهودية، إنما يساعدنا على فهم مصادر الفن فى الكتاب المقدس. بل ويساعدنا أيضاً على معرفة وجهة نظر الكتاب المقدس تجاه الله والإنسان والفداء، وهو ما ينطوى أيضاً على رأى المسيحية تجاه الفن والجمال.

(أ)- الفن فى الشرق قديماً

لقد نبعت الثقافة قديماً من حضارتين عظيمتين هما: الحضارة المصرية وحضارة ما بين النهرين. وقد تفاعل أهل سائر بلاد المنطقة مع هاتين الحضارتين العظيمتين. ولمعرفة الخلفية الثقافية للكتاب المقدس يجب دراسة هاتين الحضارتين.

كان تركيز الشعبين، فى هاتين الحضارتين، على النواحى الدينية، فكان اهتمام كل منهما أن يعبِّر عن الفكر الذى مَلَك عليه، ألا وهو الهدف من الحياة والخليقة. وكان يُنظر للحكام على أنهم ينتمون للآلهة. ففى مصر، كان يُنظر إلى الفراعنة أنهم ظهورات فعلية للإله. وفى سومر جنوبى بلاد بين النهرين كان الملك وكيلاً إلهياً.

الفن

جاء تعريف الفن فى دائرة المعارف البريطانية على أنه تعبير عن الأفكار الجمالية أو الغايات من خلال المهارات والتخيلات التى تستخدم فى إبداع الأشياء، والأجواء، والخبرات التى يمكن مشاركة الآخرين فيها.

وكلمة فن قد تدل على أحد أشكال التعبير المتفق عليها، والتى يحددها الوسط الذى تستخدم فيه، أو شكل الانتاج، وهكذا فنحن نتكلم عن «الرسم»، والنحت، وصناعة الفيلم، والرقص، وغيرها من أساليب التعبير الجمالى.

ويقال عنها بكل أشكالها وأساليبها بأنها «فنون».

وربما تستخدم كلمة «فن» للتعبير عن شئ محدد، أو خبرة محددة كمثال للتعبير الجمالى، وهو ما يسمح لنا بالقول، على سبيل المثال، إن هذا الرسم أو هذا النسيج المزدان بالصور والرسوم هو «فن».

وينقسم الفن- تقليدياً إلى فنون جميلة (fine arts) وفنون عقلية (liberal arts) وهى التى تستخدم المهارات فى التعبير اللغوى والحديث والتفكير، أما الفنون الجميلة فهى التى تهتم بخاصة، بالغايات الجمالية الخالصة، وبالجمال بصفة عامة، إن كثيراً من التعبيرات تجمع بين الاهتمامات الجمالية والأهداف النفعية، مثل الخزف، والعمارة، والأشغال المعدنية، وقد يذكر على سبيل المثال- تصميم الإعلانات وقد يكون من المفيد أن نتصور أن مختلف الفنون التى تشغل مجالات عديدة على مدى يصل بين أهداف جمالية خالصة من ناحية، إلى أهداف نفعية خالصة على الطرف الآخر. وهذان القطبان هما ما يعبر عنهما بكلمة فنان(Artist) وصانع ماهر (حِرَفى Artisan) وهو الذى يتركز اهتمامه على القيمة النفعية. على أن ذلك يجب أن لا يؤخذ على نحو جامد. حتى فى إطار أحد أشكال الفن. فقد تختلف الدوافع تماماً. إذ يمكن للخزاف أو النسَّاج أن يبدع سجادة - وهى فى نفس الوقت جميلة، أو ربما ينفذ أعمالاً بلا هدف إلا لتكون موضع الإعجاب.

غير أنه يوجد نوع آخر من التصنيف يتصل بالفنون الجميلة، فتنقسم إلى الآداب (وتتضمن الشعر، الدراما، القصة...الخ)، والفنون المرئية (التصوير، الرسم، النحت وأشكال أخرى منها) و فنون التصميمات (الرسم، التصوير، التصميمات التى تنفذ على السُطوح المستوية). والفنون التشكيلية (النحت، وصناعة النماذج) وفنون الديكور(الرسم على الخزف، تصميم الأثاث والفُسَيْفساء..إلخ) وفنون الأداء (المسرح، الرقص، الموسيقى(التأليف الموسيقى) العمارة (وهى تتضمن تصميمات داخلية).

(ب)- الفن فى مصر قديماً

يتضح لدارس تاريخ مصر القديمة أن الفن فى ذلك الوقت ارتبط بفكرة دينية، ولم يكن فناً مجرداً. فقد كان الاهتمام الأكبر عند المصرى قديماً يتركز على مسألة الحياة بعد الموت، أى الخلود.

فقد كرَّس الفنان المصرى القديم موهبته فى وصف الحياة بعد الموت وتصويرها. فكانت أهداف الفن فى عصر بناة الأهرامات فى الألف الثالثة قبل الميلاد، بل وكذلك كان «أبو الهول»، تخليداً للشخص الذى شُيدت من أجله، وأثراً عظيماً يعبر عن رغبته الحميمة فى الخلود.

وهكذا كان الفن عند قدماء المصريين فى خدمة الأغراض الدينية بالكامل، ولابد أن شعب بنى إسرائيل قد لاحظ ذلك خلال فترة إقامته الطويلة فى مصر. كان شعب بنى إسرائيل متميزاً بالتعبير الفنى، متمثلاً فى الحفر على الخشب. وقد

وظّف الرب هذه الموهبة عند إقامة خيمة الاجتماع، وذلك بعد خروج شعب بنى إسرائيل من مصر. (راجع دائرة معارف بيكر للكتاب المقدس B.A.K.E.R)

(جـ)- الفن فى بلاد النهرين قديماً

لقد وجد الفن عند بلاد هذه المنطقة إجابات أخرى مختلفة للتساؤلات الدينية التى واجهته. فكانوا يرون أن الآلهة بعد أن خلقت الإنسان، جعلت الموت هو الشرك الذى يتربص به، فالحياة فى أيدى الآلهة فقط (ملحمة جلجامش).

كان اعتمادهم على النهر الذى يمدهم بالحياة، وقد وجدوا أن نجاحهم مرتبط تماماً بخصوبة الأرض، وأن الخصوبة تتوقف على المساحة ومخافة الآلهة. ولذلك فإن الأساطير السومرية كانت قائمة على فكرة الحياة المعطاءة. وكان الفن السومرى تصويراً لتلك الأساطير.

(د)- الفن فى وقت الكتاب المقدس

نذكر باختصار بعض النماذج للفن فى زمن الكتاب المقدس. لقد سرقت راحيل أصنام أبيها (راجع تكوين ٣١: ١٩-٣٥) ويحتمل أن هذه الأصنام تشبه كثيراً تلك الأصنام التى وُجدت فى حفائر معابد تشبه بين النهرين. فلهم تاريخ طويل مؤسف فى إسرائيل. ونحن نعرف أن هذه «الترافيم» كانت فى بعض الأحيان فى حجم الإنسان وشكله (راجع صموئيل الأول ١٩: ١١-١٦). أما النهى عن صناعة التماثيل والصورة التى ذكرها فى سفر الخروج (٢٠: ٤ و٥) فلا ينسحب على الأعمال الفنية بصفة عامة، ففى نفس الوقت الذى تلقى فيه موسى الناموس، تلقى التعليمات أيضاً بأن يقيم خيمة الاجتماع ويزينها.

كانت خيمة الاجتماع عملاً فنياً بارزاً، وكان الله نفسه هو الذى أعطى النموذج المحدد (راجع خر ٢٥: ٩ و ٤٠). كانت الخيمة تحتوى على تابوت من خشب السنط يغشيه ذهب نقى (خروج ٢٥: ١٠-١٧). ويصنع كروبين من ذهب، ويضعهما على طرفى الغطاء (خروج ٢٥: ١٨-٢٢). ولم يصف شكل الكروبين بالتحديد إلا أن يكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء. وكذلك أن يصنع منارة من ذهب نقى (راجع وصف الزخارف البديعة من صناعة المنارة فى خروج ٢٥: ٣١-٣٩). ويصنع حجاباً من اسمانجونى وأرجوان وقرمز مما جعل خيمة الاجتماع من الداخل بالغة الروعة، هذا بالاضافة إلى ثياب المجد والبهاء لرئيس الكهنة. لقد اختار الرب أشخاصاً معينيين وملأهم من روحه بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة، وهم بصلئيل ومعه أهولياَب، وكذلك فى قلب كل حكيم القلب (أى صانع) جعل حكمة ليصنعوا كل ما أمر به الرب موسى (راجع خروج ٣١: ١-٦).

وهكذا فإن أعظم تفويض لبصلئيل وأهولياَب يقترن بأنهما أول من ذُكرا فى الكتاب المقدس أن الله أعطاهما من روحه من أجل أهداف جمالية لخدمة الله.

وقد قّدم الرب نموذج بناء الهيكل، والحجارة المستخدمة «حجارة كريمة للجمال» (راجع أخبار الأيام الأول ٢٨: ١١و١٢و١٩، أخبار الأيام الثانى ٣: ٦، ملوك الأول ٦: ٢٣-٢٨ ، ٦: ٢٩-٣٦).

(هـ)- موقف الكتاب المقدس من الفن

إن أكثر الأمثلة أهمية يمكن ذكرها فيما يتعلق بالنواحى الفنية هى عملية الخلق نفسها، حيث «رأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً (تكوين ١: ٣١).ومن الواضح منذ البداية أن المادة التى خلقها الله واستخدمها يمكن تشكيلها، والأمر الهام أن الله قد شارك بنفسه فى ذلك.

إن الله يوصى بعدم صناعة التماثيل المنحوتة وأى صور بعبادتها (راجع خروج ٢٠: ٤-٦). ومن الخلفية التاريخية

والكتابية للأصحاح العشرين من سفر الخروج فإنه يتضح أن النهى المقصود هو النهى عن الوثنية لا النهى عن الفن.بصفة عامة. فالله لم يقصد أن ينهى عن فن التصوير، لأنه وعد بأن يجعل من روحه على من اختارهم لتنفيذ ما أمر به. إن المحاذير تنبع من أن الفن قديماً ارتبط تاريخياً بالوثنية وبالممارسات الوثنية. حيث كانت الشعوب المجاورة لشعب بنى إسرائيل تمارس ذلك. ولذلك فإن الله أوصاهم بأن يكونوا حريصين، أما هم فكانوا أكثر حرصاً وتزمتاً فى تطبيق الوصية مما قصد الله (راجع دائرة معارف بيكر للكتاب المقدس).

كان تفسير المعلمين الربيين بصفة عامة هو أن النهى يشير إلى ما ذكره الأنبياء فى رؤاهم عن الكائنات التى تحيط بعرش الله. فقد رفضوا رسم الأشكال الأربعة التى ذكرها حزقيال النبى، أو أى كائنات ملائكية أو أى تماثيل بشرية خشية أن تستخدم فى أغراض العبادة. ولكن لم يمنع الناموس رسم صور لأشخاص، فيما يعرف الآن بفن البورتريه. إذ كانوا ينظرون إلى الناموس بتدقيق، حتى إنه فى الوقت اللاحق للمسيح، كان المتدينون من اليهود يتجنبون النظر إلى الصور المصكوكة على العملة الرومانية، لأنها كانت تمثل صوراً للأباطرة الرومانيين، الذين كانوا يُعبدون كآلهة.

لم يكن العهد القديم يعتبر أن المادة شر(راجع مزمور ١٩). بل كان ثمة اعتقاد سائد بأن الجمال الفنى يشتت المصليين. وكانت لإشعياء رؤية أخرى عن صناعة التماثيل وعبادتها إذ قال: «فبمن تشبهون الله وأىَّ شَبهٍ تُعادلون به»(راجع إشعياء ٤٠:١٨-٢٢).

وعندما احتدت روح بولس بينما كان فى طريقه إلى أريوس باغوس إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً(أعمال ١٧:١٦). لم يكن ذلك بسبب الفن، ولا لأنه لم يكن حساساً أو مقدراً له، كلا لم يكن الأمر كذلك مطلقاً، ولكن لأنه كان يرى أن ما لم يكن الفن فى خدمة الله فإنه يعد شَرَكاً. وأن ملكوت الله يعنى أكثر مما أنجزه الإنسان أو فعله بيديه. فالخطأ الذى وقع فيه الأثينيون ليس فى نظرتهم للفنون بل فى نظرتهم لله، وقد اتضح ذلك من خلال فنونهم.

والقديس يوحنا يخص المسيحيين أن يحفظوا أنفسهم من الأصنام (رسالة يوحنا ٥:٢١)، ولكنه لم يحذرهم من الفنون. ونحن نجد تأكيداً فى الكتاب المقدس على أن كل الأشياء يمكن أن تستخدم فى خدمة الله. بما فى ذلك الفنون.

الدين والفنون

الإنسان كائن عاقل، يفكر ويعرف، وكائن أخلاقى يريد ويفعل، ومحب للجمال يشعر ويستمتع. وتنسب إلى هذه القدرات والملكات الرئيسية التى يتمتع بها الإنسان الثلاثية القديمة ألا وهى: معرفة الحق، والفضيلة أو ممارسة وفعل الخير، والفن أى تصوير ومحاكاة الجمال. وهذه العناصر هى عناصر إلهية فى أصلها.(راجع شاف مرجع سابق).

والدين ليس دائرة مستقلة منعزلة عن هذه العناصر الثلاثة فالدين يتسامى بكل شئ لمجد الله. والدين هو تمثيل لفكرة القداسة، أو للاتحاد بالله، أصل كل ما هو حق وخير وجمال. والمسيحية تدعو إلى حياة أفضل، إلى إنسانية كاملة، تكره الخطية فحسب، فالمسيحية تهدف إلى بسط التناغم بين مواهب النفس وقوتها. فالمسيحية تفدى وتجدد الإنسان كله. وتُعده لعلاقة مباركة مع الله. فالمسيحية تغير الفهم وتقدس الإرادة، وتهب سلاماً للقلب. وتكرس الجسد أيضاً ليكون هيكلاً للروح القدس. وكما قال القديس بولس: «لأن جميع الأشياء هى من أجلكم»(٢كو ٤:١٥).

إن الفنون تتكامل فى إطار النظام الدينى، والكتاب المقدس يفسح لها مكاناً لتؤديه فى إطار كل ما هو بنَّاء للإنسان. وهذا الأمر حقيقى وينطبق على أسمى الفنون متمثلاً فى الشعر والموسيقى، فمن الأصحاح الأول من سفر التكوين

وحتى الأصحاح الأخير من سفر الرؤيا نجد أن الشعر والموسيقى تمجيد الله خلال المراحل التاريخية. ونجد أسفاراً شعرية بكل ما تحمله الكلمة من معنى مثل أسفار: المزامير، وسفر أيوب، سفر نشيد الأناشيد، وسفر الأمثال، وبعض أجزاء من سفر الرؤيا. وكذلك توجد أجزاء شعرية فى الأسفار التاريخية والنبوية والتعليمية. لقد قُدمت المسيحية إلى العالم بنشيد سماوى، وتختتم الكنيسة خدمتها للعالم بنشيد سماوى أيضاً.

تتضح إذن مكانة الفنون فى الكتاب المقدس. وعلينا أن نذكر مدى اهتمام الله بالعبادة. ففى كل من خيمة الاجتماع والهيكل، كان كل جزء قد أعد بحرص شديد حتى إنها فى مجموعها تعكس الروعة البالغة. إن أعمق وأسمى خدمة للفن تتجلى فى عبادتها لله. فنحن نعبد الله فى «زينة مقدسة»(مز ٢٩: ٢، ٩٦: ٩)(شاف مرجع سابق).

إن الكتاب المقدس ينظر إلى الجمال على أن الله قد وضعه فى نظام الخليقة، ويطلق على الجمال «الحكمة»(راجع أمثال ٤: ١-٩ ، ٨: ٢٢-٣٦). وبالرغم من أن هذا النوع من الجمال (أو الحكمة) لا يوجد فى الخليقة الساقطة(مز ١٤: ١-٣). إلا أن العهد الجديد يؤكد على أن هذا الجمال قد قُدِّم للجميع فى شخص المسيح يسوع. فعلى صليب المسيح قد أعيد النظام الذى يعكسه الفن، وكذلك تم تجديد الفنان الذى يعطيه الله من روحه.

والخليقة نفسها تأخذ مكانها فى هذا التجديد والمصالحة العظيمة التى ندعوها «الخلاص»(راجع رومية ٨: ١٨-٢٣).

إن خبرة الفن تساعد المسيحى على النمو فى النعمة. ويجب ألا ننظر إلى الفن على أنه يحل محل الغذاء الروحى أو حياة الروح، بل يجب أن ننظر إليه على أنه دعم وامتداد لهما. فالموسيقى البسيطة التى استخدمها داود، بينما كان يرعى الغنم، انتقلت إلى العبادة التى كان يقوم بها، ومن ثم إلى كتاب المزامير. فالفن يمكن أن يقوم بدور فعّال فى جعل الإنسان أكثر حساسية. تلك الحساسية (الإيجابية) التى يمكن أن تكون أداة طيِّعة فى يد الروح القدس لجعل الإنسان أكثر تفاعلاً مع إرادة الله الصالحة، منمياً فيه نعمة الإحساس بمشاعر الآخرين وظروفهم.

(٢) فن العمارة الكنسية

تأتى أهمية فن العمارة الكنسية من الرغبة فى بناء كنائس، ليجتمع فيها المؤمنون للعبادة الجهارية. فى العهد القديم، لم يوجد مكان أكثر أهمية وبهاءً من هيكل أورشليم، الذى شُيد بناءً على وصية الله، حيث كان صورة مكبرة لخيمة الاجتماع التى كانت تقام فى البرية.

حقا إن المسيحية ديانة ليست مقيَّدة بمكان معين للعبادة، بل يمكن عبادة الله فى أى مكان، فالله حاضر فى كل مكان. لقد أقام الرسل والشهداء عبادتهم فى مساكنهم الخاصة، بل وفى الأماكن المهجورة، والسراديب (الدياميس)، فى بادئ الأمر. ويمكن القول إنه كانت توجد أماكن خاصة للعبادة، أى كنائس، ولكنها كانت قليلة جداً. ومرجع ذلك تلك الحالة التى كانت عليها الكنيسة فى ذلك الوقت من اضطهاد وقهر. ولكن عندما توفر السلام الخارجى إلى جانب السلام الداخلى، بدأوا فى تشييد أماكن للعبادة الجهارية.

إن أول آثار لكنائس مشيَّدة، مستقلة عن الأماكن الخاصة. تظهر فى النصف الأخير من القرن الثالث الميلادى. خلال الأربعين عاماً تقريباً، أى فترة الهدوء النسبى التى مرت بها الكنيسة فى ذلك الوقت، بين اضطهاد ديسيوس Decius واضطهاد دقلديانوس Diocletian ولكنها هُدمت مع الاضطهاد الأخير(راجع يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ٨: ١). (راجع العبادة المسيحية فى القرنين الثالث والرابع فى موضعها من هذا الجزء).

الفن وتشييد الكنائس

تمهيد

سبق أن تناولنا الرابطة القوية التى كانت تربط العبادة بالفن فى الأمم المتحضرة قديماً. حيث كان الفن فى خدمة الأوثان. ولذلك كان توجس وتشكك المسيحيين تجاه الفن فى العصر الأول للمسيحية. ولكن التغيرات الخارجية التى أحاطت بالكنيسة تحت حكم قسطنطين قد أنهت ذلك الموقف ضد الفن وكل المعوقات التى وقعت فى طريق توظيفه فى خدمة الكنيسة. وقد ظهر الفن فى المسيحية ليكون فى خدمة العبادة. فشيدت الكنائس على أسس الفن المعمارى. وازدانت الكنائس بالرسوم. واستخدمت الكنيسة فن الشعر وفن الموسيقى فى الترانيم والتسابيح التى تبنى الأجيال (راجع شاف مرجع سابق).

ربما يكون ثمة بعض النقائص أو المشاكل التى تحتاج إلى وقفة. فهناك بعض الفنانين قد أساءوا إلى الفكر اللاهوتى. ولكن لا يأتى علاج تلك المشاكل أو النقائص من خلال تحريم الفن أو إلغائه. بل من خلال إصلاحه وتجديده. والتوعية بدوره المتميز فى خدمة الكنيسة، وخدمة الحق والجمال والقداسة.

تبدأ فترة تشييد وبناء الكنائس أساساً مع الإمبراطور قسطنطين الكبير. بعد أن اعترفت الدولة بالكنيسة، وأصبحت من القوة ليكون لها كيانها الخاص، فانتشر بناء الكنائس فى كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية. وازداد عددها بدرجة كبيرة فى القرن الرابع الميلادى. فكان قسطنطين ووالدته هيلانا (Helena) خير مثال على ذلك . فقام الإمبراطور إلى جانب تجميل مدينة إقامته، بالاهتمام بالأماكن المقدسة فى فلسطين، وقام ببناء الكاتدرائيات فى شمال أفريقيا على نفقته الخاصة، ومن ميزانية الدولة. وكان خلفاؤه على العرش يتنافسون على بناء وتجميل الكنائس والعناية بها- فيما عدا يوليان- وكان يشاركهم فى ذلك الأساقفة والأغنياء من العلمانيين، وكانوا يعتبرون ذلك محل تقدير من الله بل وموضع رضا.

ويرثى القديس يوحنا ذهبى الفم حال الفقراء ممن لا يهتم بهم أحد. ويرى أنه لا يكفى أن نهتم بتجميل الكنيسة وتزيينها، بل يجب فوق كل شئ أن نقدم أنفسنا ذبيحة حية لله. وكذلك فعل القديس چيروم إذ وبَّخ أولئك الذين يفتخرون بأنفسهم لأنهم قدموا عطايا سخية لله، ويطلب منهم أن يساعدوا أتباع المسيح من المحتاجين، فذلك أفضل من تقديم عطايا لمبانٍ حجرية ، والأحرى بهم أن يساعدوا المؤمنين، الهياكل الحقيقية للمسيح.

لقد شهد القرن الرابع، فى مدينة روما، بناء أكثر من أربعين كنيسة. وكذلك فى القسطنطينية حيث قام الإمبراطور قسطنطين بتشييد كنيسة «الرسل»، وكنيسة «صوفيا»، وهما يتميزان بدرجة فائقة من الإبداع والروعة. وقد جاء چستنيان(Justinian)فى القرن الخامس ليجعلهما أكثر اتساعاً وجمالاً. وفى بعض الأحيان، تحولت الهياكل الوثنية، والمبانى العامة، إلى كنائس للعبادة. وعلى سبيل المثال، قدم الإمبراطور فوكاس(Phocas) (٦٠٢-٦١٠) البانثيون(Pantheon) الذى بناه أغريباس فى روما فى عهد أوغسطس، إلى بونيفاس(Poniface) أسقف روما.

وقد اشتهرت بفخامتها وروعة قبتها. وقد كُرِّست منذ ذلك الحين للسيدة العذراء مريم والشهداء. كانت الكنائس المقامة فى ذلك الوقت أكثر اتساعاً من المعابد الوثنية. فمثلاً هيكل باندروسوس(Pandrosos) على قمة الأكروبوليس فى أثينا لم يكن يتسع إلا لأشخاص قليلين .إلا أن البانثيون فى روما كان أكثر اتساعاً من معظم الهياكل الوثنية.

(٣)- فن الشعر

أولاً: خلفية تاريخية

أ- فى العهد القديم.

ب- فى العهد الجديد.

تُستخدم فى الشعر الصور البلاغية من تشبيه ومجاز واستعارة، وقد عُرف المجاز وأُشتهر فى الشعر العبرى. ونجد ذلك واضحاً فى ترنيمة موسى(خروج ١٥ :١ وما بعده) وترنيمة دبورة(قضاة ٥ :١وما بعده) والمزامير. وكذلك المرادفات وتكرار نفس الأفكار(مز ٤٩ :١ قارن مع مز ١٠٤).

داود النبى هو أبلغ وأقوى من قرضَ الشعر العبرى فهو صاحب المزامير. ويوجد آخرون مثل أيوب، وسليمان الذى تُنسب إليه عدة أسفار تُصنف على أنها أسفار شعرية وهى الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد. وقد بارك يعقوب بنيه قبل موته فى لغة شعرية(تكوين ٤٩).

أما فى العهد الجديد، فتوجد بعض الأجزاء الشعرية، ونجد ذلك فى كتابات القديس بولس(راجع رومية ٨ :٣١- ٣٩ ،١كورنثوس ١٣)، وفى كتابات القديس يعقوب والقديس يوحنا (راجع رؤيا ١٨ :٢و٢١). بل والرب يسوع المسيح نفسه استخدم بعض صور الشعر العبرى(راجع متى ١٠ :٢٤، ولوقا ٦ :٤١ وفى أجزاء أخرى (مت ٥ :٣ وما بعده ولوقا ٧: ٣١ و٣٢).

(ب)- فى العهد الجديد

لا يحتوى العهد الجديد على سفر يمكن أن يُصَنَّف أنه سفر شعرى كما فى العهد القديم، إلا أنه يمكن استثناء سفر الرؤيا. والعهد الجديد، فيما يتعلق بهذا الأمر، يختلف عن العهد القديم بما يحتويه العهد القديم من أسفار شعرية. إلا أن للشعر مكانة مهمة فى العهد الجديد، بالرغم من أنه ليس على نفس الدرجة التى كان عليها فى العهد القديم. فنجد بعض أجزاء من الأناجيل ومن سفر أعمال الرسل، وبعض أجزاء من الرسائل، وعلى نحو أكثر توسعاً فى سفر الرؤيا، لا سيما إذا أخذنا مفهوم الشعر بمعناه الواسع لا الضيق.فإذا كان الشعر يعنى الالتزام بالأوزان الموسيقية فحسب، فإنه يمكن القول إن الشعر فى العهد الجديد قليل جداً. أما إذا كان يتفق والنقد الأدبى الحديث، فإنه يمكن القول إن الشعر هو تعبير عن خبرة وجدانية أو فكر مكتوب بطريقة بلاغية فى أوزان موسيقية أو بدونها. فإذا أخذنا المفهوم الأخير فإن العهد الجديد يتضمن أجزاءً شعرية أكثر مما يلاحظه القارئ (دائرة معارف زوندرڤان Zondervan الكتابية).

وطبقاً لهذا المفهوم الأكثر توسعاً عن الشعر، فإنه ربما توجد خمسة أنواع من الشعر فى العهد الجديد وهى:

(١) اقتباسات العهد الجديد من الأشعار اليونانية القديمة.

(٢) اقتباسات من أسفار غير معروف مصدرها.

(٣) اقتباسات العهد الجديد من فقرات شعرية من العهد القديم.

(٤) بعض الفقرات تُصَنَّف شعراً لما تحتويه من خبرة وجدانية برغم عدم التزامها بالأوزان الموسيقية.

(٥) الكتابات الرؤوية.

(١) اقتباسات العهد الجديد من الأشعار اليونانية القديمة

ويمكن الرجوع إليها فى سفر أعمال الرسل، حيث كان يعظ القديس بولس فى أريوس باغوس (راجع أعمال ١٧ :٢٢- ٣١)، حيث اقتبس القديس بولس فى عدد(٢٨) من ثلاثة شعراء، ابيمينيدس(epimenides) ومسقط رأسه كريت والذى قال: «لأننا به (فيه فى الأصل اليونانى) نحيا ونتحرك ونوجد»، وكل من أراتوس(Aratus) من كيليكية،

وكلينثوس(Cleanthos) الرواقى، حيث عبَّر الاثنان قائلين: «لأننا أيضاً ذريته» ومن الواضح أن القديس استخدمها استخداماً صحيحاً يختلف تماماً عن مقصد الشاعر اليونانى، فالرسول يتكلم عن الله الحى الحقيقى لا المصنوع بأيدى الناس وكذلك اقتبس بولس أيضاً فى رسالته إلى تيطس(١٢:١) «الكريتيون دائماً كذابون وحوش ردية بطون بطالة» وكذلك اقتبس من ميناندر قوله إن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة»(كورنثوس الأولى ٣٣:١٥).

(٢) اقتباسات من أسفار غير معروف مصدرها.

وبالإضافة إلى هذه الاقتباسات، فإن ثمة اقتباسات شعرية أخرى يوردها القديس بولس فى رسائله، ربما ترجع إلى شعر مسيحى من القرن الأول، انظر الرسالة الأولى إلى تيموثاوس(١٦:٣)حيث لا يُعرف على وجه الدقة إن كانت لبولس أو لأحد الشعراء المسيحيين المجهولين. راجع أيضا رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس (٢:١١-١٣) وكذلك فيلبى(٢:٥-١١).

(٣) اقتباسات العهد الجديد من فقرات شعرية من العهد القديم

فى إنجيل لوقا توجد ثمانى أناشيد شعرية فى الأصحاحين الأولين وهى: لوقا١:١٤-١٧و٣٢و٣٣و٣٥، نشيد السيدة العذراء «فقالت مريم تعظم نفسى الرب. وتبتهج روحى بالله مخلصى. لأنه نظر إلى اتضاع أمته. فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى. لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه. صنع قوة بذراعه. شتت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين. أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين. عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة. كما كلم آباءنا لابراهيم ونسله إلى الأبد»(١:٤٦-٥٥)، وأنشودة زكريا (١:٦٨-٧٩)، وأنشودة الملائكة (٢:١٤)، ونشيد سمعان(٢:٢٩-٣٢و٣٤و٣٥). ويوجد أكثر من مائتى اقتباس شعرى من العهد القديم فى العهد الجديد.

(٤) بعض الفقرات تُصنَّف شعراً لما تحتويه من خبرة وجدانية برغم عدم التزامها بالأوزان الموسيقية.

تتضمن الأناجيل والرسائل عدة اقتباسات شعرية أخرى وهى تعتبر شعرية إما للأسلوب أو للخبرة الوجدانية أو التعبير البليغ، أو لأنها تمجد الله وتعظمه، راجع إنجيل يوحنا (١:١-١٨) وإنجيل متى (٥:٣-١٢، ٦:٢٥-٣٤، ١١:٢٨-٣٠، ٢٣:٣٧-٣٩ قارن الأخير مع لوقا ١٣:٣٤ و٣٥،يوحنا ١٤:١-٧ و٢٧). وبالإضافة إلى ما جاء فى البندين (١)و(٢) أعلاه فإن رسائل العهد الجديد تحتوى على بعض الأجزاء الرائعة من الشعر، فبعض أجزاء من رسالة يعقوب تشبه الموعظة على الجبل، وتوجد بعض الأجزاء الشعرية القوية فى رسائل رومية(٨:٣٥-٣٨، ١١:٣٣-٣٦) وكورنثوس الأولى (١٣) وكورنثوس الأولى(١٥:٥١-٥٧) والرسالة إلى العبرانيين(١١:٣٢-٣٨)ورسالة يهوذا(٢٤و٢٥).

(٥) الكتابات الرؤوية

إن سفر الرؤيا(مع متى أصحاح ٢٤ وما يقابله فى كل من مرقس ولوقا) كتبوا بالعبرية. وهى شكل من أشكال الكتابة الرؤوية. وهى تتضمن ترانيم تمجد الله(راجع رؤيا ٤: ٨ و١١، ٥: ٩ و ١٠و١٢و١٣، ٧:١٥-١٧، ١١: ١٧-١٩، ١٥:٣و٤، ١٨:٢و٨ و١٤-٢٤، ١٩:٦-٨)، إن سفر الرؤيا يتميز بأنه أكثر أسفار العهد الجديد يصف فى بلاغة كل من مجد السيد المسيح، والسماء.

ثانياً: بدايات الشعر المسيحى

أ- التسابيح المسيحية الأولى.

ب- قصائد تنسب إلى سليمان.

جـ- قصائد سيبيل (المسيحية).

د- أقوال سكستوس.

هـ- الشعر المسيحى على شواهد القبور.

(أ)- التسابيح المسيحية الأولى

كان الترنيم أحد العناصر الأساسية فى العبادة المسيحية منذ البداية. وقد قامت الترانيم والأناشيد الروحية المذكورة فى العهد القديم- الذى تُرجم إلى اليونانية (الترجمة السبعينية)- بدور هام فى الليتورجية المسيحية فى باكر عهدها. ولكن كان للمسيحيين إسهامهم الخاص فى هذا الأمر إذ قاموا بنظم الشعر على نمطها.

وكما سبق أن ذكرنا فإن القديس بولس يذكر عدة أنواع منها وهى المزامير والتسابيح والأغانى الروحية (كولوسى ٣:١٦)، والتى يحتوى العهد الجديد على العديد منها.

لقد قام الغنوسيون (راجع الباب السادس الخاص بالهرطقات فى موضعه من هذا المجلد). خلال القرن الثانى بنظم الشعر الموزون حيث كانوا على اتصال بالأدب الهلّينستى. وذلك لكى ينشروا تعاليمهم الخاصة. ونجد كثيراً منها فى كتاب أعمال الرسل الأبوكريفى. وأقوى النماذج من الشعر الغنوسى مذكورفى تسابيح نحشتان التى ذكرها هيبوليتس فى كتابه (Philosophoumena 5,10,2). وليس من قبيل الصدفة أن كليمندس السكندرى الذى أراد أن يجعل ثمة صلة بين المسيحية والثقافة، قد نظم شعراً موزوناً لتمجيد السيد المسيح. وقد وُجدت ترنيمة مكتوبة للمسيح المخلص فى نهاية كتابه (Paidagogos) أى التعليم، وهو فى هذه الترنيمة يمجد السيد المسيح أنه:

الكلمة القادر، الملك على القديسين

الذى من الآب، السيد فوق الجميع

رأس الحكمة ومصدرها

الشافى من كل الأحزان

السيد على الكل.

على المكان والزمان.

المسيح، المخلص للبشر.

كما ترجع الترنيمة المشهورة التالية إلى القرن الثانى الميلادى ضمن التسابيح المسائية، وتستخدمها حتى الآن الكنيسة اليونانية فى الخدمة المسائية (راجع كواستن Quasten مرجع سابق).

وإليك بعض الأبيات منها:

يسوع المسيح

الذى من بهاه غربت الشمس

وإذ نرى ضوء الغسق

نحمد الآب والابن

والروح القدس

لك ينبغى التسبيح

فى كل حين

بترانيم مقدسة

لك يا ابن الله

يا واهب الحياة

لهذا فإن العالم كله يمجدك.

وقد أكتشفت بعض القصاصات التى تحتوى على تسابيح مسيحية مع نوتة موسيقية فى عام ١٩٢٢ فى نجع حمادى بمصر. ويبدو أنها ترجع إلى نهاية القرن الثالث الميلادى. وقد

تبقّت منها بعض الكلمات: «سبحوا الله يا كل خلائقه المجيدة...

ولتُسبح الآب والابن والروح القدس

المياة التى تنساب فى مجاريها

لقد ذكر يوسابيوس عن بولس الساموساطى أنه أدين لأنه لم يسمح بالتسابيح التى كانت تُنظم لتمجيد السيد المسيح، على أساس أنها كانت جديدة ولمؤلفين جدد. ومع الوقت انتشرت التسابيح حتى فى البيوت وذلك لتحل محل الأناشيد التى كانت تُنشد للأوثان.

وهكذا كان للتسابيح دورها لا فى تطوير الليتورجية فحسب، ولكن فى صبغ الثقافة المحيطة بهم فى ذلك الوقت بالأفكار المسيحية أيضاً.

ب- قصائد تنسب إلى سليمان

وهى مجموعة من اثنين وأربعين قصيدة. وتعتبر من أهم الاكتشافات فى إطار الأدب المسيحى منذ العثور على الدسقولية أو تعاليم الرسل. وقد عُثر عليها ريندل هارس (Rendel Harris) فى عام ١٩٠٥م بحسب كواستن. أما موسوعة الكنيسة الأولى فتذكر أنها أُكتشفت فى عام ١٩٠٧م. حيث عُثر عليها ضمن مخطوطات سريانية، وقد طُبعت منذ وقت طويل فى عام ١٩٠٩م. وبعض هذه القصائد غنوسية (وهما يحملان رقمى١٩و٣٥). إلا أنه لا يمكن أن نطلق على هذه القصائد «كتاب تسبيح الكنائس الغنوسية». إذ تنقصها الثنائية الغنوسية.

وقد رأى البعض أن هذه القصائد كانت يهودية خالصة فى شكلها الأصلى. وأن ثمة عبارات قد دُست على نطاق واسع بمعرفة أحد المسيحيين فى عام ١٠٠م. ويوجد سببان لنسبة هذه القصائد إلى اليهودية:

١- لقد اكتشفت قصائد سليمان جنباً إلى جنب مزامير سليمان، وهى فعلاً على خط الفكر اليهودى.

٢- والسبب الآخر يتعلق باللغة. حيث أن الكاتب يستخدم بعض التعبيرات التى تذكرنا بالعهد القديم، مثل الأمثال، والمجاز الذى تكرر استخدامه. ولكن يرى كواستن أن استخدامهما كان يرجع إلى أن الكاتب كان يرمى إلى تقليد المزامير ولغتها.

إن وحدة الأسلوب الذى تستعرضه القصائد، لهو أمر قاطع ضد أى رأى يرى أنها يهودية الأصل وتم تعديلها لتكون مسيحية. لذا فإن الكاتب لابد أن يكون شخصاً واحداً كون صاحبها بَرديزانيس(Baradesanes)أو أفرايم سيروس(Aphraim Syruas). والإشارات العديدة الواردة فيها عن التعليم والعماد تبرهن على أنها تسابيح خاصة بالعماد.

ولا توجد أسباب مقنعة للرأى القائل بأنها مونتانية. وإنما الاحتمال الغالب هو أنها تعبير فعلى عن عقيدة ورجاء الكنيسة الشرقية. وهذا لا يعنى أنها لا تخلو من التأثر بالأساطير والفلسفة اليونانية، إلى حد ما. ويرجح كواستن أن هذه القصائد ترجع إلى النصف الأول من القرن الثانى. بينما تذكر موسوعة الكنيسة الأولى أنها ترجع إلى النصف الثانى من القرن الثانى. وقد كُتبت باليونانية لا بالعبرية أو الأرامية أو السريانية .لقد اكتشف إنى.س بوركيت المجموعة الثانية (وهى مجموعة غير كاملة، وذلك فى عام ١٩١٢فى المتحف البريطانى(ضمن مجموعة نيتريان(Nitrian) وهى تحتوى على قصائد أقل مما ضمنتها المجموعة التى طبعها ريندل هاريس. وقد ذكر النص السريانى فقط للقصيدة رقم(١٧) إلى النهاية.

كل ما كان يُعرف عن هذه القصائد حتى عام ١٩٠٩ هو ما يلى:

(١) اقتبس منها لاكتانتيوس اقتباساً واحداً فى كتاب القانون(inst.4, 12 ,3).

(٢) ذكرت فى الكتابات الزائفة التى نسبت إلى أثناسيوس. ،كذلك نجد فى فهرس من القرن السادس أسماء الكتب المقدسة، وتحتوى على قائمة بأسماء الكتب القانونية للعهد القديم، وجاء فيها «توجد كتب أخرى من العهد القديم لا تعتبر أسفاراً قانونية، وإنما كانت تقرأ للمتقدمين للعماد..المكابيين..مزامير وقصائد سليمان».

(٣) ذكرت خمس قصائد كاملة من قصائد سليمان على أنها من الكتابات المقدسة، فى رسائل الغنوسيين، منها ترجمة قبطية، وترجمة سريانية منقحة لمخطوطات هاريس وبُركيت، ويبدو أنها اعتمدت على الأصل اليونانى، الذى فُقد.

محتوى قصائد سليمان

لقد كُتبت هذه القصائد بروح تعبر عن أعلى درجات الصوفية، ويبدو فيها التأثر بإنجيل القديس يوحنا ومعظمها يتضمن تسابيح عامة لله مع عدم وجود فكر أو آراء لاهوتية. على أن بعضها يتضمن تمجيداً لبعض العقائد مثل التجسد، وفضل النعمة الإلهية..وغيرهما.

ونختار على سبيل المثال بعض الأبيات من قصيدة رقم (١٢) عن اللوجوس:

لقد ملأنى بكلام الحق
حتى أستطيع أن أتكلم بالحق
وكما تفيض المياه، هكذا يفيض الحق من فمى
وتلوك شفتاى ثمره
وجعل معرفته زاخرة فى داخلى
لأن فم الرب هو الذى ينطق بالكلمة الحق
وأن نافذة ضيائه
وكل ما هو سامٍ
قد أعطاه لخليقته
وهى المعبرة فى جماله
وتُردد التسبيح له
وأيضاً المعترفون بمشورته
والمنادون بأفكاره
إنه لا يمكن أن يُعَبَّر
عن قوة الكلمة
ولا انطلاقته
فلا حدود له
فهو لا يفشل أبداً
بل ينتصر دائماً
فالكلمة مصدر الحب والانسجام
اللذين ينتشران فى العالم
من خلال الكلمة
إن الكلمة يسكن فى الإنسان
هللويا

جـ- قصائد سيبيل المسيحية

يوجد أربعة عشر كتاباً يحمل اسم سيبيل(Sibyl) (وهى العرافة فى الأساطير اليونانية)وتحتوى على قصائد تعليمية نظمت على أوزان معينة. ويرجع تاريخ هذه القصائد إلى القرن الثانى الميلادى. وكان الناظمون من المسيحيين الشرقيين. قد نظموا تلك القصائد على نمط القصائد اليهودية. وكما قام اليهود من الهيلِّينستيين بتبنِّى فكرة سيبيل للترويج للديانة اليهودية فى الدوائر الوثنية. هكذا فعل المسيحيون للترويج

للمسيحية فى القرن الثانى الميلادى. وهذا العمل فى شكله هو مزيج وتأليف بين الوثنية واليهودية والمسيحية فى مجالات التاريخ والسياسة والدين.

والكتب التى لها أساس مسيحى خالص هى الكتب أرقام: (٦و٧)وأجزاء كبيرة من كتاب رقم(٨)، ويحتمل أيضاً الكتابان اللذان يحملان رقمى (١٣و١٥). أما الكتب التى تحمل أرقام (١و٢و٥) فيحتمل أنها من أصل يهودى، إلا أنه يحتمل أن ثمة تدخلات مسيحية. أما الكتابان رقما (٩و١٠) فلم يكتشفا حتى الآن. وقد اكتشفت الكاردينال أ. ماى (A.Mai).الكتب أرقام(١١-١٤) وذلك فى عام ١٨١٧م.

والكتاب السادس يحتوى على تسبحة لتمجيد السيد المسيح. ويذكر معجزات السيد المسيح التى جاءت فى الأناجيل القانونية على أنها نبوات تتعلق بالمستقبل. والكتاب السابع(١٦٢بيتاً) يتنبأ بالفجيعة والكارثة التى تنتظر الأمم والمدن الوثنية.

أما الكتاب الثامن فيتحدث عن الأخرويات. والجزء الأول من (١-٢١٦)ملئ بكراهية روما، ويشير إلى الامبراطور هادريان(Hadrian) والثلاثة الذين خلفوه بيوس(Pius)، ولوسيوس(Lusius)، وفيروس(Verus)، ثم ماركوس(Marcus). وهذا يبرهن أن الكتاب كُتب قبيل عام ١٨٠م. ويغلب على الظن أن كاتبه يهودى. أما الجزء الآخر من الكتاب فيغلب عليه الطابع المسيحى، ونجد فى بدايته قصيدة شهيرة يشير إليها كل من قسطنطين وأغسطينوس. ثم بعد التفاسير التى تتعلق بالأخرويات توجد أجزاء عن طبيعة الله والمسيح، وعن العبادة المسيحية.

ويبدو أن المسيحين قد استخدموا نبوات سيبيل فى بداية القرن الثانى الميلادى. إذ أن سلسوس(كلسوس) (Celsuc) بذل جهداً كبيراً لشرح تدخل المسيحيين فيها. ولكن لاكتانتيوس(Lactantius) فى القرن الرابع، يرفض هذه الفكرة. وكان لقصائد سيبيل شأن كبير، لاسيما فى العصور الوسطى، إذ قد تأثر بها الأديب دانتى واللاهوتى توما الأكوينى، والرسام رافائيل(فى رسم كنيسة سستين Sistine).

د- اقوال سكستوس

إن أقوال سكستوس هى مجموعة من الكتابات الوثنية عن العقوبات الأخلاقية، والقواعد الحياتية، تنسب إلى الفيلسوف الفيثاغورى سكستوس.

وقد قام أحد الكاتبين المسيحيين (يظن أنه من الإسكندرية) بمراجعتها وتحريرها. وكان أوريجانوس هو أول من ذكر هذه الأقوال فى كتاباته(Contra Celsum). فاقتبس منها قول سكتوس: «إن الأكل من لحوم الحيوانات أمر لا أهمية له، أما الامتناع عنها فأمر يتفق مع العقل».

وقد ترجم روفينوس(Rufinus) هذه الأقوال من اليونانية إلى اللاتينية فى عام ٤٥١م. وقد خلط فى تلك الترجمة اللاتينية بين الفيلسوف الفيثاغورى سكستوس، وكل من الأسقف الرومانى والشهيد سكستوس الثانى(٢٥٧-٢٥٨م). وقد انتقد چيروم بشدة هذا الخطأ الفادح.

لقد أثرت الأفكار الأفلاطونية عن التطهر والإشراق والألوهية على معظم تلك الأقوال. وفيها نصيحة عن الاعتدال فى الطعام والنوم، والتوصية بعدم الزواج.

وكل هذه الأقوال تذكرنا بفلسفة كلميندس السكندرى فى الحياة. لذا فإنه من المحتمل أنه هو الكاتب المسيحى الذى قام بتحريرها.

هـ- الشعر المسيحى على شواهد القبور

نقش الشعر المسيحى على قبور المسيحيين، فى وقت مبكر من تاريخ المسيحية. ويوجد لها نموذجان بارزان لقدمهما وأهميتهما.

١- نقوش ابركيوس

تعتبر النقوش المسيحية الخاصة بأبركيوس(Abercius) هى أهمها على الإطلاق. وقد اكتشف عالم الآثار وليم رامساى(W.Ramsay) من جامعة ابردين باسكتلندة فى عام ١٨٨٣م بالقرب من هيروبوليس(Hieropolis) فى فريجيَّة(Phrygia) جزءان منقوشان منهما، وهما موجودان الآن فى متحف لاتيران(Lateran) وقبل ذلك بنحو عام اكتشف نقش الإسكندر والذى يرجع إلى عام ٢١٦م، وكان مجرد تقليد لنقش ابركسيوس.

وبمعاونة نقش الإسكندر وسيرة حياة ابركيوس، فى اليونانية فى القرن الرابع والتى طُبعت بمعرفة بيوسوند(Boissonade) فى عام ١٨٣٨م أمكن ترميم النص الكامل المنقوش. وهو يتكون من (٢٢بيتاً) حيث كل بيت من الشعر له شطرتين، ومن (٢٠بيتاً) على وزن سداسى التفاعيل. وهى تحتوى على ملخص لحياة أبركيوس. وقد نظم ذلك الشعر فى نهاية القرن الميلادى وقبل عام ٢١٦م، وهو تاريخ نقش الإسكندر.

وأبراكيوس، هو أسقف هيروبوليس، وهو ناظم الشعر الذى نُقش، وكان فى ذلك الوقت يبلغ من العمر اثنين وسبعين عاماً. وكان أبرز حدث فى حياته هو ذهابه إلى روما. وقد كتب النقش بأسلوب رمزى غامض، وذلك لحفظ السرية، ولكى يخفى صفته المسيحية وذلك بحسب الظروف التاريخية التى كانت وقتئذ. لذلك فإنه يحفل بالعبارات المجازية، والتى كثر استخدامها بعد استخدام شواهد القبور للذكرى. ولذلك فإن بعض الباحثين مثل چى فيكر(G.Ficker)، وأ. ديتيرتيش(A.dieterich). حاولا إثبات أن أبركيوس لم يكن مسيحياً. ولكنه كان أحد الذين يبجلون الألهة سيبيل. بينما دعاه أ. هارناك(A.Harnack) أبركيوس الذى يحاول التوفيق بين الأديان. على أن دو روسى (De rossi)، ودوشيسن (Du chesene)، وكومنت(Cument)، ودولجر(Dolger) وهابيل(Abel) قد نجحوا فى إثبات أن المحتوى واللغة يبرهنان بما لا يدع مكاناً للشك فى أصلها المسيحى.

وقد تُرجمت إلى الإنجليزية وهى كما يلى:

(١) أنا مواطن فى مدينة عظيمة، أقمت هذا (القبر).

(٢) خلال سنى حياتى، لعلى أجد هنا مكاناً لراحة جسدى.

(٣) اسمى أبركيوس، تلميذ للراعى الطاهر.

(٤) الذى يطعم قطيعه على الجبال وفى السهول .

(٥) وله عينان قادرتان على النظر فى كل الاتجاهات.

(٦) وقد علمنى....الكتابات المخلصة.

(٧) وقد أرسلنى إلى روما.. لكى أرى المملكة.

(٨) ولكى أرى ملكة برداء ذهبى، وحذاء ذهبى.

(٩) وقد رأيت هناك الناس تحمل الختم الرائع.

(١٠) لقد شاهدت سهل سوريا، وكل المدن حتى نيسيبس.

(١١) وقد عبرت الفرات، ولى أصدقاء أينما حللت.

(١٢) إذ رافقت بولس، فالإيمان يقود الطريق فى كل مكان.

(١٣) وقد وضع أمامى سمكة من الينبوع لإطعامى.

(١٤) عظيمة وطاهرة، أمسكتها عذراء طاهرة.

(١٥) وقدمها لأصدقائه ليأكلوا منها، دائما.

(١٦) عنده خمر جيد والكأس الممزوجة بالخبز

(١٧) هذه الكلمات، أنا، أبركيوس- الشاهد-أمرت بأن تُنقش .

(١٨) فى الحقيقة كنت فى العام الثانى والسبعين.

(١٩) فليصلِ كل من يفهم هذا ويؤمن به من أجل أبركيوس.

(٢٠) لا يضع أحد قبراً فوق قبرى.

(٢١) أما إذا فعل أحد هذا، فعليه أن يدفع لخزانة المالية فى روما ألفى قطعة من الذهب.

(٢٢) وإلى وطنى الحبيب هيروبوليس، ألف قطعة من الذهب.

إن الأهمية اللاهوتية لهذا النص واضحة. فهو أقدم نص يذكر الإفخارستيا. والراعى الطاهر، الذى يدعو أبركيوس نفسه تلميذاً له، هو السيد المسيح. وقد أرسله السيد المسيح إلى روما لكى يرى الكنيسة «ملكة برداء ذهبى، وحذاء ذهبى». والمسيحيون هم «الناس الذين يحملون الختم الرائع»، والختم هنا كلمة كانت شائعة عن المعمودية فى القرن الرابع. وكان يلتقى بأحد الإخوة فى الإيمان- أينما ذهب- ممن قدموا له الافخارستيا (الخمر والخبز). والسمكة التى من الينبوع «العظيمة والطاهرة» هى السيد المسيح.

أما «العذراء الطاهرة التى أمسكتها»، وبحسب اللغة المستخدمة فى تلك الأيام، هى السيدة العذراء مريم، التى ولدت المخلص. أما مدينة نيسبِس فتقع بتركيا.

ب- نقش بكتوريوس

اكتشف نقش بكتوريوس (Pictorius) فى سبعة أجزاء وذلك فى عام ١٨٣٠ فى مقابر مسيحية قديمة، لا ببعد كثيراً عن أوتون جنوبى فرنسا. وكان الكاردينال چ پى بترا (J.p.petra) أول من قام بطبع كلماته. وقد رأى هو و دو روسى أنها ترجع إلى بداية القرن الثانى. بينما رأى كل من إ.لو. بلانت (E.le.plant)، چ ولبرت (J.wilpert) أنها ترجع إلى ختام القرن الثالث الميلادى. فالشكل والأسلوب يرجعان إلى الفترة (٣٥٠م-٤٠٠م). إلا أن الأسلوب المستخدم هو نفس الأسلوب المستخدم فى نقوش ابرسيوس، والذى يرجع إلى نهاية القرن الثانى.

والنقش عبارة عن قصيدة رائعة من ثلاثة أبيات ذات شطرتين، وخمسة أبيات على وزن سداسى التفاعيل. والأبيات الخمسة الأولى ترتبط بفكرة تدور حول السمكة كرمز. والقصيدة تتكون من جزءين، يحتوى الجزء الأول منها على الأبيات السبعة الأولى. ولها سمة تعليمية، تخاطب القارئ.

(٤) فن الموسيقى

(أ) الموسيقى فى العهد القديم.

(ب) دور الموسيقى فى العبادة.

(جـ) الموسيقى فى القرن الأول.

(د) أثر الثقافتين اليونانية والرومانية.

(هـ) الموسيقى فى العهد الجديد.

الموسيقى هى التعبير الطبيعى للإنسان، وربما يكون بدأ مع التفوه بالكلمات، ثم تطور إلى الغناء. حيث اقترن الغناء بآلات موسيقية. كانت الموسيقى تعبر عن مختلف مجالات الحياة اليومية فى العمل وفى العبادة. ثم تطورت وأصبحت تخضع للأسلوب العلمى.

إن عبارة «رنموا للرب» الواردة فى خروج (١٥:٢١) وأخبار الأيام الأول(١٦:٩)، ومزامير (٦٨:٣٢)، و(٩٦:١و٢)، لم تكن هى الوحيدة التى ذُكرت فى الأدب اليهودى. فكل الأديان تجتذب النزعة الإنسانية الطبيعية للغناء أو الترنيم. وعبارة «رنموا للرب» هى دعوة للناس لكى يعبروا عما فى أعماقهم من حمدٍ وتسبيح لله بالترنيم.

(أ) الموسيقى فى العهد القديم

إن أول من ذُكر فى الكتاب المقدس يعزف الموسيقى هو يوبال الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار (تكوين ٤:٢١).

كانت للموسيقى أهمية خاصة حيث أصبحت جزءاً مهماً من العبادة فى الهيكل. وقد شغلت الموسيقى مكانة مهمة فى مختلف المناسبات مثل: الوداع (تكوين ٣١:٢٧) الفرح (إشعياء ٥:١٢، ٢٤:٨ و٩) وفى الانتصارات الحربية (أخبار الأيام الثانى ٢٠: ٢٧و٢٨) ومن أجل العمل (عدد ٢١:١٧ نشيد حفر البئر)، (إشعياء ١٦: ١٠، إرميا ٤٨: ٣٣). أغلب هذه الموسيقى كانت بالحرى بدائية وبسيطة، ولاسيما الموسيقى التى كانت لأغراض حربية لبثّ الرهبة فى نفوس الأعداء (قضاة ٧:١٧-٢٠).

حيث أن العهد القديم يهدف إلى أن يخبرنا عن العلاقة بين اليهود والله. فإن أغلب ما ذُكر عن الموسيقى يتعلق بمكانتها أو دورها فى العبادة وحسب. على أن ثمة براهين تؤكد أنه كانت توجد موسيقى دينوية على نطاق واسع، فكانت الموسيقى والغناء والرقص جزء من الثقافة العامة (راجع دائرة معارف بيكرB.A.K.E.R الكتابية).

كانت الأناشيد التى سُجلت فى فترة مبكرة من تاريخ العهد القديم تعبر عن فكر الشعب ومشاعره. فالنشيد الذى عَبَّر فيه موسى والشعب عن شكرهم لله بعد عبور البحر الأحمر، إنما هو ترنيمة قومية بليغة. وبعض الكاتبين قد عبَّروا عن شعر ملحمى، وقد ذُكرت بعض الأحداث التى تتعلق بالحرب فى أخبار الأيام الثانى (٢٠-٢٧و٢٨) وترانيم العمل إشعياء (٥٦:٨) وترانيم الانتصار فى قضاة (٥).

(ب) دور الموسيقى فى العبادة

كانت الموسيقى فى الهيكل بأورشليم على مستوى رفيع من الفخامة والجلال. وكان المرنمون والعازفون يُختارون من سبط لاوى، وكانوا يكرسون حياتهم للترنيم نحو عشرين عاماً أى منذ سن الثلاثين وحتى سن الخمسين (أخبار الأيام الأول ٢٣:٣).

وكانوا يقسَّمون إلى أربع وعشرين جماعة، وكل منها تتكون من اثنى عشر مرنماً (راجع أخبار الأيام الأول ٢٥:١و٧).

كانت المزامير تشغل مكانة بارزة فى الصلاة فى الهيكل حيث كان لكل يوم من أيام الأسبوع مزموراً محدداً. وكذلك كان للمزامير دور هام فى المجمع. فبعد أن هدم الرومان الهيكل، فإن الميراث اليهودى فى العبادة كان قد فُقد، ما لم تصبح الموسيقى جزءاً متكاملاً مع نظام العبادة فى المجمع.

(جـ) الموسيقى فى القرن الأول

أخذ المجمع مكانة رئيسية فى العبادة عن اليهود، وذلك فى أيام السيد المسيح لا سيما عند اليهود خارج أورشليم. إذ بدأ كمكان لدراسة الناموس. ولكنه أصبح شيئا فشيئا مركزاً لعبادة اليهود غير القادرين على الحضور إلى الهيكل. ولكن كانت الذبائح الطقسية تجرى فى الهيكل فقط، كذلك لم تكن ثمة موسيقى فى المجمع بنفس القدرة التى كانت عليها فى الهيكل لأنه لم يوجد عازفون من اللاويين المدربين.

إن الموسيقى كانت تعزف فى المجمع كما كانت فى الهيكل. ونحصل على هذه المعلومات من التلمود. حيث نعرف من أن الترنيم فى المجمع كان من المزامير، ومن الترانيم الروحية، والصلوات. وقد حل المرنم الواحد فى المجمع محل جوقة الترنيم التى كانت تقوم بالترنيم فى الهيكل، وكان المرنم من العلمانيين، وطبقا للتقليد اليهودى كان يجب أن يتحلى بعدة صفات وهى: أن يكون متعلماً، وصوته جميل، ومتواضع، ويتحلى بسمعة بين أقرانه، وأن لا يكون غنياً حتى تكون صلواته من القلب.

لقد انتقل الترنيم شيئاً فشيئاً من الهيكل إلى المجمع حيث كان تأثيره كبيراً على الكنيسة المسيحية الأولى.

(د) أثر الثقافتين اليونانية والرومانية

فى الوقت الذى كان فيه الهيكل والمجمع معروفين لدى المسيحيين الأوائل(أعمال ٢:٤٦ و٤٧، ٣:١ ، ٥:٤٢ ، ٩:٢٠، ١٨:٤....إلخ) لعبت كل من الثقافتين اليونانية والرومانية دوراً رئيسياً أيضاً فى تشكيل ثقافة الكنيسة الأولى الناشئة، فى ذلكم الوقت. وقد استشعر التأثير الهيِّلينستى فى الشرق الأوسط فى زمن السيد المسيح.

لقد اخترقت الفنون اليونانية الثقافة اليهودية، إلا أن قادة اليهود كانوا يعارضونها بشدة. وقد اعتبر الفلاسفة اليونانية أن الموسيقى قوة تساعد الإنسان على المعرفة الميتافيزيقية. وقد قاد هذا المفهوم إلى الاعتقاد بأن للموسيقى جوهراً أخلاقياً يمكن أن يؤثر على الإنسان سواء كان التأثير خيراً أم شراً.

بينما اعتبر معلمو اليهود أن الموسيقى لون من الفنون من خلاله نسبح الرب، واعتبر المفكرون اليونانيون أن للموسيقى تأثيراً أخلاقياً، فإن الرومانيين اعتبروا الموسيقى مجرد وسيلة للتسلية. وقد احتل العازفون فى الإمبراطورية الرومانية المرتبة الدنيا، وكان يُنظر إليهم على أنهم أدوات للتسلية. وكان ذلك أحد أسباب عدم استخدام الكنيسة الأولى للأدوات الموسيقية فى العبادة.

(هـ) الموسيقى فى العهد الجديد

يمكن تصنيف الموسيقى فى العهد الجديد إلى خمس فئات:

(١) معظم الإشارات إلى الموسيقى موجودة فى الأجزاء التى تتحدث عن الأخرويات، أو الفقرات النبوية وهى عديدة فى كتاب العهد الجديد، ولكنها تظهر على نحو متكرر فى سفر الرؤيا، وفى إنجيل متى(٢٤:٣١)، وكورنثوس الأولى(١٥:٥٢)، وتسالونيكى الأولى (٤:١٦)، وعبرانيين (١٢:١٩). ومعظم هذه الإشارات ترتبط على نحو مباشر بالموسيقى فى العهد القديم.

(٢) آلة المزمار ذُكرت على نحو قليل جداً، حيث استخدمت فى الندب على الميت(راجع متى ٩:٢٣).

(٣) ارتباط الموسيقى بالولائم والأفراح (راجع مثل الابن الضال لوقا ١٥:١١-٣٢).

(٤) توجد خمس إشارات مجازية للآلات الموسيقية راجع متى (٦:٢، ١١:١٧، لوقا ٧:٣٢،كورنثوس الأولى ١٣:١، ١٤:٧ و٨)، وأكثرها ذيوعاً ما ذكرها القديس بولس فى أنشودة المحبة فى كورنثوس الأولى(١٣).

ويذكر القديس بولس آلتى المزمار والقيثارة فى كورنثوس الأولى (١٤:٧و٨) حيث تستخدمان فى العبادة فى الكنيسة على أنهما أفضل الآلات الموسيقية. ويمكن فهم ذلك فى الإطار التاريخى للكنيسة الأولى فى ضوء استخدام تلك الآلات فى الهيكل والمجمع، وفى ضوء رد فعل الكنيسة الأولى لاستخدام الوثنيين الرومان للآلات الموسيقية.

(٥) توجد إشارتان عن العشاء الربانى ذُكر فيهما أن السيد المسيح وتلاميذه «سبحوا»(راجع متى ٢٦: ٣٠، ومرقس ١٤:٢٦). وهذا هو الموقف الوحيد الذى فيه إشارة مباشرة إلى تسبيح السيد المسيح.

كان بولس وسيلا فى السجن يصليان ويسبحان الله (راجع أعمال ١٦:٢٥). وقد قدم بولس تعليماً فيما يتعلق بالموسيقى والترتيل ويطلب التوازن بين العقلانية والعاطفة فيقول: «أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً»، ومثل كل المواهب الروحية فإن بولس يطلب أن يكون كل شئ للبنيان»(راجع كورنثوس الأولى ١٤:١٥و٢٦).

وفى فقرتين متشابهتين يذكر بولس ثلاثة نماذج معاً وهى

«المزامير، والتسابيح، والأغانى الروحية» (أفسس ١٩:٥، وكولوسى٣:١٦). ففيما يتعلق بالمزامير، فمن الواضح أنها انتقلت إلى الكنيسة من المجمع. ويمكن أن نفترض أن الترنم بالمزامير عند المسيحيين فى الكنيسة الأولى انتهج الأسلوب اليهودى. وربما كان التسبيح يشير إلى نصوص شعرية، صيغت على نمط المزامير، ولكن كانت بغرض تمجيد السيد المسيح. أما الأغانى الروحية فيحتمل أنها تشير إلى الموسيقى غير المصحوبة بكلمات، وإنما تصاحبها الصلوات، وهو نموذج يهودى كان شائعاً عند الصوفيين من اليهود، ولعلها كانت تسبق ترنيمة هللويا.

(٥) الرمز فى الفن المسيحى

أ- الفن والرمز.

ب- الصليب رمزاً.

جـ- رموز مسيحية أخرى.

د- صور تاريخية ورمزية.

هـ- صور أخرى.

١- الفن والرمز

كانت الكنيسة منذ نشأتها وحتى الفترة السابقة لمجمع نيقية فى صراع مع الوثنية. فكانت الكنيسة فى بداية الأمر تنفر من تلك الفنون التى كان الوثنيون يستخدمونها فى تزيين معابدهم، لاسيما صناعة التماثيل، والرسوم التى كانوا يرسمونها على جدران معابدهم، كما سبق وأن ذكرنا. فضلاً عن ذلك، فإن احتقار المسيحية لكل مامن شأنه أن يستعرض المظاهر الأرضية الباطلة، وحماسها للاستشهاد، وتوقعها بنهاية العالم سريعاً، والمجئ الثانى للرب يسوع، كل هذه الأمور جعلت الكنيسة تهمل ولا تكترث بالجانب الجمالى فى الحياة.

كان المتشددون من أتباع المونتانية-والسابقين للتطهريين- هم أول من عادى الفنون عداءً شديداً ولكن حتى كليمندس السكندرى كشخص واسع الثقافة يضع فرقا صارخاً بين العبادة الروحية لله، والرسم الذى يصور أموراً سماوية فيقول: « إن العادة اليومية للنظر إلى الرسومات إنما يقلل من سمو ما هو إلهى، فهذه الأمور الإلهية لا يمكن أن تكون تلك هى الوسيلة لإكرامها، بل إن المحسوسات تعمل على الإقلال من سموها ».

إلاً أن مثل هذا النفور من الفنون لم يمتد إلى الرموز، وهذا ما نراه حتى فى العهد القديم.كالحية النحاسية، والشاروبيم فى الهيكل. وعلى أية حال، فإنه فى النصف الثانى من القرن الثانى، نجد البدايات البسيطة للفنون المسيحية فى أشكال ذات رموز لها دلالاتها فى الحياة الخاصة للمسيحيين، وفى عبادتهم الجهارية.

وهذا الأمر واضح منذ عهد ترتليانوس، وكاتبين آخرين من القرن الثالث الميلادى. وهذا مؤكد بكثرة من الآثار الموجودة فى الدياميس (Catacombs)، بالرغم من أنها موضع جدل وشك.

لعل الدافع الأصلى لهذه الرموز يرجع إلى رغبة المسيحيين فى أن يكون لديهم علامة أو رمز مرئى للحقائق السماوية، والتى تذكِّرهم دائما بفاديهم، وبدعوتهم المقدسة، التى تمدهم فى نفس الوقت ببديل أفضل للرموز الوثنية. فقد كانوا محاطين برموز الأساطير كل يوم، لا فى المعابد الوثنية، والأماكن العامة فحسب، وإنما فى الأماكن الخاصة، وعلى الحوائط، والأرضيات، والكؤوس، والأختام، بل وأحجار القبور أيضاً.

وبالرغم من براءة تلك الرموز، وأنها أمر طبيعى، إلا أنه كان من الممكن بسهولة أن تؤدى إلى الخلط بين العلامة والشئ المشار إليه، وتعتبر خزعبلات وخرافات لكثيرين من غير المثقفين. وكانت الأعمال الفنية خلال القرون الثلاثة الأولى قاصرة على الرمز والتصوير المجازى.

لقد انتقلت الرموز الفنية، لما هو سماوى، من البيوت الخاصة للمسيحيين، والديماميس، إلى الكنائس فى القرن الرابع الميلادى. ولكن واجهتها حركة من الرفض استمرت فترة طويلة من الزمن، ولم تستقر، حتى انعقاد المجمع الثانى لنيقية(عام ٧٨٧م).

وقد عارض الرسوم فى الكنائس المجمع الأسبانى فى إلفيرا (Elvira)(جرانادا Granada) فى عام ٣٠٦م، فى بادئ الأمر، وعلى ذلك أصدر المرسوم رقم(٣٦) «لتحريم رسم الصور فى الكنائس خشية أن مواضع الاحترام والتقدير والسيادة ترسم على الجدران». ويرى شاف Schaff أن فى ذلك ضرباً من البيوريتانية أو التطهرية فى معارضة رسم الصور، ولكن نظراً لكثرة الصور والتماثيل القديمة وانتشارها فى الديماميس، فإن ذلك يشير إلى أن النهى كان إجراءً مؤقتاً يناسب تلك المرحلة الانتقالية.

ب- الصليب.. رمزاً

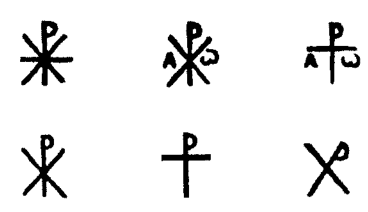
كان رمز الصليب محل اعتزاز وتقدير المسيحيين.

فكان أول الرموز وأقدمها، علامة الفداء. كان يُرسم الصليب أحياناً منفرداً، وأحياناً أخرى يقترن بحرف ألفا وأوميجا (وهما أول وآخر حرفين فى الأبجدية اليونانية)،وأحياناً يقترن بهلب الرجاء أو غصن السلام. وقد ظهر ذلك نحو القرن الثانى. وكان رسم علامة الصليب يقترن بأداء شئون الحياة اليومية. ونظراً لهجوم الوثنيين على المسيحيين، واتهامهم بعبادة الصليب، دعا ترتليانوس المسيحيين أن يدافعوا عن أنفسهم فى مواجهة هذا الاتهام.

الصليب والفا أوميجا

إن ارتباط الصليب بحرفى ألفا a وأوميجا w (الحرفان الأول والأخير فى الأبجدية اليونانية)إنما يرجع إلى سفر إلى الرؤيا حيث يشيران إلى السيد المسيح(راجع رؤيا ١:٨، ٢١:٦، ٢٢:١٣)، وبرودنتيوس Prudentius هو صاحب هذا التفسير.

وقد وُجد الحرفان الأولان من اسم السيد المسيح X P حيث يقترنان معاً على شكل صليب.وأحياناً يقترن معهما الحرفان ألفا و أوميجا .وقد انتشرت علامة الصليب فى أعقاب انتصار الإمبراطور قسطنطين على ماكسنتيوس(فى سنة ٣١٢م) حيث ظهرت على الرايات والخوذات والتروس والتيجان والصولجانات والعملات والأختام فى عديد من الأشكال.



بل وظهرت أشكال أخرى عديدة

*** يميز الأثريون نحو سبعة أشكال أو أكثر من الصليب:**
١- صليب القديس أندراوس X
٢- الصليب المصرى T
٣- صليب لاتينى قائم (عادى) +
٤- صليب لاتينى مقلوب رأساً على عقب، للقديس بطرس الذى لم يحسب نفسه مستحقاً أن يُصلب كسيده فى الوضع القائم العادى.
٥- الصليب اليونانى، ويتألف من أربعة أذرع متساوية. +
٦- صليب مزدوج
٧- صليب مثلث (كان يستخدمه البابا)

كان الصليب موضع احتقار الرومانيين الوثنيين، إذ كان الصلب عقوبة مزرية للعبيد ومقترفى الجرائم.

لقد وُجدت علامة الصليب فى كل من مصر القديمة وفى البوذية بالهند، وفى المكسيك قديماً أيضاً.

إن النقوش أو التماثيل التى تمثل مخلصنا معلقاً على الصليب إنما ترجع إلى وقت متأخر نسبياً، فلا يمكن تتبعها قبل منتصف القرن السادس الميلادى، إذ لم يذكر الكاتبون شيئاً عن ذلك فى فترة نيقية أو خلقدونية.

وقد وجد فى فلورنسا Florence أحد أقدم الصلبان، إن لم يكن أقدمها، فى نسخة سريانية للإنجيل غنية بالصور ترجع تقريباً إلى عام (٥٨٦م).

جـ- رموز مسيحية أخرى

وُجدت رموز أخرى مأخوذة من الكتاب المقدس، كانت أُستخدمت مرات عديدة فى الدياميس. ولهذه الرموز دلالاتها فيما يتصل بحياة المسيحيين. فقد استخدمت «**الحمامة**» كرمز سواء مع غصن الزيتون أو بدونه. وهى تمثل البساطة والبراءة (قارن متى ٣:١٦ ، ١٠:١٦، وتكوين ٨:١١). واستخدم رمز «**السفينة**»، والسفينة تمثل الكنيسة، وهى تبحر فى أمان عبر طوفان الفساد، وهى تشير إلى سفينة نوح. وكذلك أُستخدم «**سعف النخيل**»، وهو ما يخبرنا عنه الرائى، إذ وجده فى أيدى المنتصرين، علامة على الانتصار (رؤيا٧:٩). «**المرساة**»(الهلب) وترمز إلى الرجاء(عبرانيين ٦:١٩). وكذلك استخدمت الألة الموسيقية «**القيثارة**»، وهى تشير إلى الفرح (أفسس٥:١٩). وأُستخدم «**الديك**» رمزاً للتحذير والتذكير باليقظة، مع الإشارة إلى إنكار بطرس للسيد المسيح (متى ٢٦:٣٤). «**والإيّل**»: فكما تشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق النفس إلى الله(مز٤٢:١و٢). «**الكرمة**»: وهى بأغصانها وثمرها تصور وحدة المؤمنين مع الرب يسوع، ومع بعضهم البعض، بحسب ما جاء فى مثل الرب يسوع (يوحنا ١٥:١-٦). والعنقاء طائر أسطورى زعم قدماء المصريين أنه يعيش لمدة خمسة أو ستة قرون، وبعد أن يحرق نفسه، فإن لديه القدرة أن ينبعث من رماده، وهو فى أوج شبابه وقوته وجماله. وهذا الطائر يرمز إلى القيامة، ولم يرد ذكره فى الكتاب المقدس. وأول من استخدم ذلك التشبيه كان كليمندس الرومانى ثم ترتليانوس.

د- صور تاريخية ورمزية

لم تكن هناك سوى خطوة واحدة للانتقال من تلك الرموز إلى **فن الأيقونة**، فالكتاب المقدس زاخر بالمواد التاريخية والرمزية التى يمكن رسمها. وقد وجد الكثير منها فى الدياميس. وبعضها يرجع إلى القرن الثانى الميلادى. وثمة صور أيقونات محببة رُسمت مستوحاة من العهد القديم. وقد تناولت موضوعات منها:

آدم وحواء، وأنهار الجنة، وسفينة نوح، وتقديم إسحق ذبيحة، والعبور فى البحر الأحمر، وتقديم الناموس، وموسى يضرب الصخرة، ونجاة يونان، وارتفاع إيليا إلى السماء، ودانيال فى جب الأسود، والفتية الثلاثة فى جب الأسود.

وكذلك رُسمت صور مستوحاة من العهد الجديد ومنها: صورة المجوس ومقابلتهم للملك هيرودس، ومعمودية السيد المسيح فى نهر الأردن، وشفاء المشلول، ومعجزة تحويل الماء إلى خمر، ومعجزة إشباع الجموع، والعذارى الحكيمات والعذارى الجاهلات، ومعجزة قيامة لعازر، ودخول السيد المسيح إلى أورشليم، والعشاء الربانى.

لم تمثل أبداً آلام المسيح وصلبه فى تماثيل أو صور إلا برمز الصليب فقط.

كان ثمة تأثير قوى للغنوسية على الفنون، كما كان على الفكر اللاهوتى. وقد أيدت المذاهب الفكرية المنحرفة الفنون مثل أتباع كربوكرايت، ومانى، وباسيليدس.

تعتبر الصور الأولى التى رُسمت فى الدياميس، هى الأفضل فنياً. وهى تعبِّر عن التأثير الكلاسيكى للجمال والذوق. ولكن منذ القرن الرابع أصبح الفن جامداً غليظاً، فانتقل إلى الأسلوب البيزنطى.

وقد وصف راوول.روشيت(Raoul-rochette) الفن المسيحى فى بدايته على أنه فن وثنى تم تشويهه. فمثلاً صورة الراعى الصالح هى صورة لأبوللو أو هِرماس.

ولكن لأن الشكل هو نقل ومحاكاة، فالروح مختلفة، وقد

فهمت الأساطير على أنها نبوءات وأشكال من الحقائق المسيحية، كما هو مسجل فى كتب السابليانية. وما فعلته المسيحية هو أنها حررت الفن القديم من خدمة الوثنية، وملأته بمعانٍ عميقة، وكرسته لأسمى هدف.

رسم من أحد سراديب الموتى
تصوير رمزى يمثل السيد المسيح كراع صالح



الراعى الصالح
(رسم جصى لسقف من بوسيو)
فى منتصف الصورة "الراعى الصالح" والموضوعات من أعلى الرسم وجهة اليمين ترتيبها كالتالى:
١- المفلوج يحمل سريره ٢- خمس سلال مملوءة بالكسر
٣- قيامة لعازر ٤- دانيال فى جب الأسود
٦- الحوت يبتلع يونان ٧- موسى يضرب الصخرة
٨- نوح والحمامة

إن دمج الخبرات الكلاسيكية مع الأفكار المسيحية قد تجسَّدت فى الصور الرمزية ذات الذوق الجمالى المرتفع مثل صورة الراعى الصالح.

وكانت صورة الراعى الصالح هى الصورة المفضلة لا فقط لترسم على جدران الدياميس، ولكنها كانت تُرسم على أدوات الاستخدام اليومى، مثل الكؤوس والمصابيح والحلى (مثل الخواتم). الراعى هو الرمز المناسب للسيد المسيح، حيث كان يُرسم المسيح شاباً مؤتزراً بمنطقة ومرتديا صندلاً، وبدون لحية، ومعه ناى أو فلوت (Flute)، حاملاً حَمَلاً على كتفيه، وتحيط به بعض الرعية، ويقف من حوله خروفان أو ثلاثة، يركزون النظر إليه. وفى صورة أخرى يصورون السيد المسيح وهو يطعم القطيع الكبير بالعشب.

بدأ استخدام صور السيد المسيح شيئاً فشيئاً، لأن المفاهيم الخاصة بمظهره الشخصى قد تغيرت. فالبشيرون صمتوا صمتاً حكيماً تجاه هذا الموضوع. ولا يمكن لأى نموذج تبتكره المهارة البشرية أن ينصف السيد المسيح، الإله الظاهر فى الجسد.

لقد انتشرت فكرة غريبة فى عصر ما قبل نيقية وهى أن مخلصنا، فى حالة اتضاعه، كان عادى الملامح، وذلك طبقاً للتفسير الحرفى للنبوة عن المسيا «لا صورة له ولا جمال» (إش ٥٣: ٢). وكان ذلك رأى الشهيد يوستينوس وترتليانوس وكليمندس وأوريجانوس. بل بالأحرى إن الشعور الصادق والحقيقى يقود إلى عكس ذلك، فلم تكن للمسيح ملامح خاطئ، حاشا لله. ولابد أن نقاوته السماوية واتساقها مع نفسه قد ظهرت من خلال حجاب جسده، كما حدث على جبل التجلى. وتفسير أن لا صورة له، لا تتفق ومفهوم «الكاهن» فى العهد القديم، فكم بالحرى مع مفهوم «المسيا».

ويرى القديس ذهبى الفم أن وصف إشعياء يشير فقط إلى مشاهد الآلام والصلب. ويأخذ فكرة المظهر الخارجى للرب يسوع من المزمور الخامس والأربعين «أبرع جمالاً من بنى البشر»، كان لكل من القديس چيروم والقديس أغسطينوس نفس الرأى. ولكن فى ذلك الوقت لم تكن ثمة صورة محددة للسيد المسيح.

فقد تركت المحاولات غير الكاملة للخيال لتبين ذلك الوجه

السماوى الإنسانى والذى عكس جمال القداسة.

كان تصوير السيد المسيح مجازياً تماماً فى البداية، فكان يصوَّر كالراعى، الذى يبذل نفسه عن الخراف (يوحنا ١٠:١١). أو الذى يحمل الخروف الضال على منكبيه(لو ١٥:٣-٧، قارن مع إش ٤٠:١١)، كالحمل الذى يحمل خطايا العالم (يوحنا ١:٢٩، وبطرس الأولى ١:١٩ ، رؤ٥:١٢). وفى مرات قليلة صوِّر كالكبش، وهو ما يشير إلى الذبيحة البديلة فى التاريخ المقدس لإبراهيم وإسحق (راجع تكوين ٢٢:١٣). ومرات كثيرة كان يصور كصياد سمك حيث دعا تلاميذه «صيادى الناس»(متى ٤:١٩).

ويبدو أن رمز السمكة كان هو الرمز الأكثر تفضيلاً. فكان رمزاً مزدوجاً يرمز إلى الفادى وإلى المفديين. والكلمة اليونانية (اخثوس Ichthys) هى الأحرف الأولى للعبارة اليونانية «يسوع المسيح، ابن الله، المخلص».

وكانت السمكة تمثل «النفس» وهى فى شبكة صيادى الناس، فى إشارة إلى (متى ٤:١٩، قارنها مع متى ١٣:٤٧).

لقد جعل الخيال الفنى المسيحى من السمكة رمزاً لكل سر الخلاص المسيحى. كانت الكنيسة الأولى تشهد بإيمانها بشخص الرب المسيح، ابن الله، وبعمله مخلصاً للعالم. وربما يرجع أصل هذا الرمز إلى الإسكندرية، إلى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى حيث عرف شغف الإسكندريين فى ذلك الوقت بالرموز السرية. وقد ذكر ذلك كل من كليمندس السكندرى، وأوريجانوس وترتليانوس. وقد تأكد ذلك من الآثار التى وجدت فى الدياميس الرومانية، ووجدت على أحجار المدافن، والأختام والمصابيح ، وصور الحائط. لقد توقف استخدام رمز السمكة قبل منتصف القرن الرابع الميلادى، حيث عُثر على آثار تدل عليها فى الفترات السابقة.

ولا نجد أى أثر لرسم عن السيد المسيح قبل عصر قسطنطين، إلا بين الغنوسيين وأتباع الكربوكرات.

وأيضاً فى أيام الامبراطور الوثنى السكندر ساويرس(Alexander Severus) الذى حاول أن يوفق بين مختلف الأديان.

إن الفكرة التى ذكرناها آنفا عن أن المسيح «لا منظر له ولا جمال»، وصمت الأناجيل عنها تماماً، وتحريم العهد القديم تصوير الأشخاص، قد قيد الكنيسة من صنع التماثيل أو الصور لشخص السيد المسيح. وقد حدث تغيير كبير فى عصر نيقية، بالرغم من المعارضة القوية التى استمرت طويلاً. ويقدم لنا يوسابيوس رأيه الخاص عن تمثال السيد المسيح الذى شيدته امرأة، فيقول: «إن المرأة كانت نازفة دم ،فأقامت التمثال لذكر شفائها وذلك قبل أن تقيم فى قيصرية فيلبى» ولكن فى رسالة يوسابيوس إلى الامبراطورة قسطنطياCostantia(أخت الامبراطور قسطنطين ، وأرملة ليسينيوسLicinius،كتب معارضاً بشدة إقامة تمثال للسيد المسيح.

هـ- صور أخرى

لقد ظهرت صور كثيرة للسيد العذراء، ترجع إلى القرن الثالث، إن لم يكن القرن الثانى، ومعظم هذه الصور يظهر فيها الطفل يسوع. وكذلك توجد آثار متبقية لصورة مرسومة على حائط فى سرداب بريسكلا بروما تمثل السيدة العذراء تحتضن الطفل يسوع وهى جالسة، بينما هو يشخص إليها. وبالقرب منها يقف رجل بدون لحية(يُرجَّح أنه يوسف النجار) يرتدى الملابس الرومانية، وممسكاً بدرج فى يد، وبيده الأخرى يشير إلى نجم فى السماء، وهو يتطلع إلى الأم والطفل فى سرور.

وقد وُجدت صور أخرى فى روما، من الموزاييك عن بشارة الملاك للعذراء، والمجوس وهم يقدمون هدايا للطفل، وصورة للسيد المسيح وهو فى الهيكل، وصور للعائلة المقدسة وهى فى المزود.

كما وُجدت عدة صور لسيدة وهى تصلى رافعة يديها،

وإلى جوارها الراعى الصالح، وقد فسر ذلك رجال الآثار الرومانيين أن الكنيسة أو السيدة العذراء أو كليهما يصليان من أجل الخطاة. وتوجد صور كثيرة فى سراديب روما تمثل رجالاً ونساءً فى وضع الصلاة، وهى عادة تمثل الشخص الذى دفن فى تلك المدفنة ومكتوب على شاهد القبر اسم الشخص المدفون فى القبر . وظلت كل الرسوم تقريباً حتى القرن الرابع تعالج أحداثاً كتابية. حيث بدأت بعد الانحلال الفنى بعد القرن الرابع تأخذ أشكالاً مغايرة.

رسم من أحد سراديب الموتى
تصوير رمزى يمثل السيد المسيح على مثال أورفيوس



أورفيوس (رسم جصى لسقف فى كريبت للقديسة دوميتيلا)
فى المنتصف أوروفيوس يعزف على القيثارة للحيوانات وقد سحرتها حلاوة ألحانه، وتحيط به المناظر الطبيعية ومشاهد من الكتاب المقدس.
وهى تبدأ من جهة اليمين:
١- إقامة ميت يرجح أنه لعازر		٢- دانيال فى جب الأسود
٣- موسى يضرب الصخرة		٤- داود يضرب بالمقلاع

✣ ✣ ✣ ✣

الباب الثامن

نظرة عامة على تاريخ الآباء وانجازاتهم

١- تاريخ الآباء.

٢- نظرة عامة على انجازات الآباء.

ا - تاريخ الآباء

أ- آباء الكنيسة.

ب- الكتّاب الكنسيون.

جـ- اللغة التى استخدمها الآباء.

د- تاريخ علم الآباء.

١- آباء الكنيسة

أُطلق منذ زمن بعيد على كاتبى المؤلفات المسيحية الأوائل لقب «آباء الكنيسة». فكلمة «أب» لها دلالة روحية خاصة. وقد استخدمت بمعنى «مُعَلِّم» فى الكتاب المقدس، والكتابات المسيحية الأولى. فالمعلم هو بمثابة «أب» لتلاميذه.

وهكذا أُستخدمها الرسول بولس: «لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس آباء كثيرون. لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل». (كورنثوس الأولى ٤:١٥).

وهذا أيضا ما يعلنه القديس إيريناوس إذ يقول: «عندما يتعلم شخص من فم شخص آخر فإنه يسمى ابناً لمن علّمه، ومن علّمه يُدعى أباه». والقديس كليمندس الإسكندرى يقول: «الكلمات هى ذرية النفس، لهذا فإننا نطلق على من علمونا «آباءنا»... وكل من تعلم هو من جهة الخضوع ابن لمعلمه».

الأسقف- الشيخ

ذكرت صفات الأسقف فى(تيموثاوس الأولى ٣:٢-٧) وفى تيطس(١:٦-٩).

وردت كلمة أسقف(episcopos) خمس مرات فى العهد الجديد: حيث ذكرت مرة عن السيد المسيح فى بطرس الأولى(٢:٢٥) وأربع مرات فى مواضع مختلفة عن الشيوخ فى الكنيسة المحلية: فى أعمال (٢٠:٨)، فيلبى(١:١)، تيموثاوس الأولى (٣:٢)، وتيطس (١:٧). أما الفعل «episkopeo» فيرد فى العبرانيين(١٢:١٥) بمعنى «ملاحظين» كما جاء بمعنى «ارعوا»، بينما الاسم(episkope)

ذُكر في تيموثاوس الأولى(١ :٣) بمعنى الأسقفية.

ومن المتفق عليه بعامة أن كلمة «أسقف» مرادفة لكلمة «شيخ» في العهد الجديد، في مرات عديدة في سفر أعمال الرسل، وفي تيموثاوس الأولى(٥ :١٧و١٩)، وتيطس (١ :٥) ويعقوب (٥ :١٤) وبطرس الأولى(٥ :١و٥).لقد لُقِّب السيد المسيح «براعٍ وأسقف»: «راعي نفوسكم وأسقفها»(بطرس الأولى٢ :٢٥)، ويكتب الرسول بولس لتيطس أن «يقيم في كل مدينة شيوخاً» ثم «يذكر الصفات التي يجب أن تتوفر في الأسقف» لأنه يجب أن يكون الأسقف...»(راجع تيطس ١ :٥و٧).

ومن ميليتس أرسل الرسول بولس إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة، ويقول لهم إن الروح القدس أقامهم أساقفة «لترعوا رعية الله»(أعمال ٢٠ :١٧و٢٨) وفي رسالته إلى فيلبي يرسل تحياته إلى «أساقفة وشمامسة»(فيلبي ١ :١) مما يدل على أنه كان هناك عدد كبير من الأساقفة في فيلبي كما كان الأمر في أفسس، وهذا يدل على أن مفهوم الأسقفية لم يكن قد تطور إلى الصورة التي أصبحت عليها فيما بعد: أي يكون الأسقف راعياً لكنيسة أو أكثر.

ومن الواضح أنه كان للأسقف خدمته، إلا أن واجباته لم تحدد بوضوح كافٍ في العهد الجديد. وكانت إحدى المهام الرئيسية له هي مواجهة الهرطقات «المناقضين»(تيطس ١ :٩)، وأن يكون «بلا لوم وصالحاً للتعليم»(تيموثاوس الأولى ٣ :٢)، وذلك فضلاً عن وجود بعض الإشارات إلى وجوب اهتمامه بالفقراء وبرعاية شعب كنيسته. وتلك القائمة من المواصفات التي ذكرها الرسول بولس في رسائله إلى تيموثاوس وتيطس، تشير إلى أن الأسقف كان يعتبر«قائداً» لشعب الكنيسة، على«أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج»(تيموثاوس الأولى ٣ :٧).

كانت مهمة التعليم في العصور المسيحية الأولى منوطة بالأسقف (أو الشيخ) «Bishop» لذلك أُطلق عليه في البداية لقب «أب».إلا أن بعض الخلافات العقائدية التي ظهرت في القرن الرابع الميلادي أدت إلى تطوير استخدام لقب «أب». فصار الاستخدام الأكثر شمولاً. فأطلق على كل الكاتبين الكنسيين،ما داموا يمثلون تعليم الكنيسة. فأغسطينوس- على سبيل المثال- يعتبر چيروم شاهداً على التقليد، أي كان يعتبره «أباً»، وإن لم يكن أسقفاً.

فالآباء هم المعلمون الذين ساهموا في تحديد مضمون الإيمان أو صياغته أو شرحه، حيث أن المقصود بالإيمان ليس هو العقيدة فقط وإنما التقليد الذي يفترض أن الكنيسة قد استلمته من الرسل وما يعبر عنه القديس يهوذا في رسالته بعبارة «الإيمان المسَلّم مرة للقديسين».فآباء الكنيسة هم معلمو الإيمان والعقيدة والحياة الروحية في القرون الخمسة الأولى، سواء كانوا أساقفة أم غير الأساقفة أو حتى من المؤمنين العاديين الذين ساهموا في تحديد مضمون وصياغة وشرح الإيمان حتى استقر في الإطار الذي أجمعت عليه الكنيسة في مجامعها المسكونية حتى القرن الخامس.

ب- الكتّاب الكنسيون

ونحن الآن نطلق لقب «آباء الكنيسة» على من تتوفر فيهم العناصر الأربعة التالية مجتمعة وهي: **مستقيم التعليم، والحياة المقدسة، والقبول الكنسي، والقِدَم**، وكل الكتبة اللاهوتيين الآخرين يُدعون كُتَّاباً كنسيين.

وقد أطلق لقب «آباء الكنيسة العظماء» على الآباء التاليين: امبروزوس(امبروسيوس) وچيروم، وأغسطينوس، وغريغوريوس الكبير. كما أن الكنيسة اليونانية تبجل فقط الآباء الثلاثة الذين عُرفوا بأنهم قد علّموا تعليماً مسكونياً وهم: باسيليوس الكبير، وغريغوريوس النزيانزي(أوالنزينزي)، ويوحنا ذهبي الفم. بينما تضيف إليهم الكنيسة الكاثوليكية في الشرق القديس أثناسيوس، وتضيف الكنيسة الأرثوذكسية

مع القديس أثناسيوس القديس كيرلس السكندرى باعتباره أيضا من الآباء المسكونيين العظام.

تعتمد بعض الكنائس اعتماداً كبيراً على تفسيرات الآباء للكتاب المقدس منذ القرن الخامس وحتى الآن. فقد أصبحت كتابات الآباء هى الأساس، وبخاصة فيما يتعلق بتفسير الآيات التى تستقى منها العقائد الإيمانية. وتُعتبر كتابات الآباء هى المصدر الأساسى عند بعض الكنائس منذ العصور الأولى وحتى الآن، فمثلاً الكنيسة الأرثوذكسية وكذلك الكنيسة الكاثوليكية تأخذ منها القداسات التى تصلى بها ونصوص التسابيح التى تستخدمها الكنسية فى عبادتها الجماعية، أو فى العبادة العائلية والفردية كما أن كتابات الآباء هى مصدر سير الشهداء والقديسين فى العصور المسيحية الأولى.

جـ- اللغة التى استخدمها الآباء

انتشرت منذ القرن الثالث قبل الميلاد الحضارة اليونانية، وآدابها، ومن ثم لغتها فى ربوع الامبراطورية الرومانية، ومن بينها كل مدن حوض البحر المتوسط. حتى إنه نادراً ما كانت توجد مدينة فى الغرب لا تستخدم اللغة اليونانية فى المعاملات اليومية. وقد استمر استخدام اللغة اليونانية فى روما، وشمالى أفريقيا وبلاد الغال(فرنسا حالياً) حتى القرن الثالث الميلادى لهذا السبب.

وعلى ذلك فإن اللغة اليونانية هى اللغة الأصلية التى استخدمها المسيحيون الأوائل، والتى كتب بها الآباء فى القرنين الأول والثانى فى الشرق، حيث حلت محلها بعد ذلك اللغات المحلية، فمثلا فى مصر استخدمت اللغة القبطية، وفى سوريا اللغة السريانية. أما فى الغرب فقد استخدموا اللغة اللاتينية التى حلت تماماً محل اللغة اليونانية، وذلك بعد القرن الثالث الميلادى.

لذا نجد أن اللغة التى كُتب بها العهد الجديد هى اللغة اليونانية، وكذلك كتابات آباء الكنيسة الأوائل، إلا أنهم استخدموا اللغة اليونانية «العامة» أو «الدارجة» وتسمى كوينىKoine ، ولم يستخدموا «الفصحى» أو «الكلاسيكية» (أى لغة الفلاسفة من اليونايين) وهكذا صارت هذه اللغة «أى الدارجة» هى لغة كل العالم الهيلّينى منذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الخامس الميلادى ، أى حتى نهاية العصور المسيحية الأولى.

كوينى(Koine)

اللغة اليونانية «كوينى»Koine تتألف من لغة الأتيك لغة مقاطعة «أتيك»Attic فى اليونان واللغة اليونانية الشعبية حيث صارت لغة كوينى هى لغة كل العالم الهيلّينى.

د- تاريخ علم الآباء

«تاريخ علم الآباء»هو الذى يعنى بدراسة تاريخ الآباء الأوائل للكنيسة المسيحية، وما تركوه لنا من كتابات.

ولا سيما أولئك الذين تمثل كتاباتهم أساس التعليم الكنسى عند بعض الكنائس.

إن ما تم تسجيله كتابةً من آداب العصور المسيحية الأولى لا يشكل سوى جزء ضئيل للغاية منها. ومن بين ما كُتب لم ينجُ من الضياع غير جانب قليل جداً منه، وكما يقول جوته: «إن المواد المطبوعة إن هى إلا جزازة الجزازات»، وهذا ما ينطبق أيضا وبشكل جلى على الكتابات المسيحية المبكرة.

كان المعلمون المسيحيون فى العصور الأولى كارزين لاكاتبين، وكانوا واعظين لا مؤرخين. أما المادة المكتوبة فكانت نتاجاً عادياً للمادة الشفهية. أما التميز الأدبى وما يتبعه من شهرة فقد كان آخر شئ يمكن أن يطرأ على فكرهم. فقد كانوا مستغرقين تماماً فى أعمالهم-الحاضرة والعاجلة- بحيث لم يكن وقتهم يتيح لهم أن يفكروا ولو فى عجالة فى المستقبل البعيد. فقد كانوا يتوقعون المجئ الثانى للرب فى أى وقت.

في الوقت الذى «كانت فيه كتابات أثناسيوس وباسيليوس ويوحنا ذهبى الفم، وچيروم وأغسطينوس وأمبروزيوس (امبروسيووس) تُقرأ على نطاق واسع وتُنسخ أو تُترجم، نجد أن اهتماماً قليلاً نسبياً أولى لكتابات القرنين الأول والثانى، لذا كان مآلها الضياع بسبب الإهمال، ولم ينجُ من هذا المصير سوى جزازات قليلة وُجدت مبعثرة فى مكان أو آخر.

إن فكرة دراسة تاريخ الكتابات المسيحية الأولى هى فكرة قديمة ترجع إلى يوسابيوس القيصرى المؤرخ الكنسى (٢٦٤-٣٤٠م).

إذ كتب فى مقدمة كتابه «تاريخ الكنيسة» عن رغبته فى أن يحصى عدد سفراء كلمة الله فى كل جيل سواء من المتكلمين أو الكاتبين. وكذلك أن يحصى عدد أولئك- الذين رغبة فى ابتداع الجديد- ارتكبوا أخطاءً فادحةً، وابتدعوا «العلم الكاذب الاسم» (تيموثاوس الأولى ٦: ٢٠). وعلى هذا قام يوسابيوس القيصرى بوضع قوائم الكاتبين وكتاباتهم. وقد اقتبس الكثير عن معظمهم. وعلى ذلك فإن يوسابيوس يُعد أحد أهم المصادر فى دراسة «تاريخ الآباء» لأن عدداً كبيراً من تلك الأعمال التى أُقتبس منها قد ضاع. وهو يُعد المصدر الوحيد للمعلومات عن بعض الكاتبين الكنسيين.

أما الدافع عند القديس چيروم فقد كان بسبب التهكم والسخرية التى أثارها الوثنيون على المسيحيين وأدعوا عليهم بأنهم متوسطى الذكاء؛ لذا قام چيروم بإحصاء الكاتبين المسيحيين ممن أثروا الأدب المسيحى فى باكر عهده. وقد انجز چيروم عمله المعرف بعنوان « مشاهير الرجال» فى بيت لحم فى عام ٣٩٢م وذلك بناء على طلب صدقه الوالى ديكستر (Dexter). ويمتد هذا العمل من عصر الاثنى عشر رسولاً وحتى عصر چيروم نفسه. وسيظل هذا العمل- أيضا- المصدر الوحيد للمعلومات عن بعض الكاتبين أمثال: فيلكس وترتليانوس وكبريناوس ونوڤاتيان، وغيرهم.

وفى نحو عام ٤٨٠م قام القس چنَّاديوس (Gennadius) باستكمال الموضوع بعمل إضافات مفيدة تحت نفس العنوان، والذى تدمجه كثير من المخطوطات كجزء ثانٍ لعمل القديس چيروم. كان جناديوس يميل إلى البلاجيوسية، هذه الحقيقة التى أثرت كثيرا على شروحاته. فقد وصف نفسه أنه واسع المعرفة ودقيق فى أحكامه. ويظل لهذا العمل الذى قام به أهمية كبيرة فى تاريخ الكتابات الأدبية القديمة.

ويأتى فى درجة أقل من حيث الأهمية العمل الذى قام به ايزيدور (ايسيدور) الأشبيلى فيما بين عامى ٦١٥م و٦١٨م والذى يمثل امتداداً لعمل چيروم،إلا أنه يركز على الفكر اللاهوتى الأسبانى، على نحو خاص.

مؤرخو تاريخ الكنيسة

ثمة مؤرخون آخرون جاءوا بعد يوسابيوس المؤرخ القيصرى. ففى الكنيسة الشرقية ثمة تاريخ سقراط، وتاريخ سوذومين، وتاريخ ثيؤدريت، وتعتبر تلك الأعمال متقاربة إلى حد كبير. أما فى الغرب فقام روفينوس بترجمة كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس من اليونانية إلى اللاتينية، وأضاف إليه بعض الأحداث حتى عصر الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير فى سنة ٣٩٢م.

وقد قام الديفونسوس- الذى من توليدو، تلميذ ايزيدور- فى عام ٦٦٧م بكتابة امتداد لعمل چيروم وجناديوس، إلا أنه يتصف بأنه عمل محلى. فقد كان يريد تمجيد سابقيه فى توليدو. وكان القديس غريغوريوس الكبير هو الكاتب الوحيد الذى ذكره من غير الأسبانيين. ولم تقم أية محاولة لدراسة الجديد فى الكتابات الأدبية المسيحية قبل القرن الثانى عشر. إلى أن أخذ المؤرخ الراهب سيجبرت البلجيكى فى عام ١١١٢م على عاتقه هذه المهمة. حيث اتبع نهج چيروم وچناديوس. فقام بإضافة سيرة ومؤلفات اللاهوتيين من اللاتين، فى أوائل القرون الوسطى. ولم يذكر أى كاتبين بيزنطيين. وفى نحو

عام١١٢٢م كتب خلاصة وافية على شرف أغسطو دونم. وبعد ذلك بسنوات قليلة قام المدعو ميلليسينسيس فى نحو عام ١١٣٥م بإعداد عمل مماثل. كذلك فى نحو عام ١٤٩٤م قام الراهب يوحانس (أو جوهانس) تريثيميوس بإعداد عمل باللغة اللاتينية يحتوى على ٩٦٣ كاتباً وسيرة حياتهم ونبذة عن كتاباتهم وأسماه «الكُتّاب الكنسيون». إلا أن بعضهم ليسوا لاهوتيين. وقد حصل تريثيميوس على كل معلوماته عن الآباء من چيروم وچناديوس.

لقد استيقظت الرغبة فى دراسة تاريخ الآداب المسيحية القديمة فى الوقت الذى سادت فيه الفلسفة الإنسانية.

حيث ظهرت مجموعات متميزة بين الدارسين فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر يعنون بدراسة نصوص كتابات الآباء.

المؤرخ يوحنا النيقيوسى

قام المؤرخ يوحنا النيقيوسى، وهو أسقف نيقيوس من أعمال المنوفية، بكتابة تاريخ ضخم منذ آدم وحتى عصره فى نهاية القرن السابع. هذا التاريخ كُتب أصلاً بالقبطية، وتُرجم إلى اللغة الأثيوبية. ولكن بفقد النسخة القبطية، لم تبق سوى الترجمة الأثيوبية، حيث تُرجمت إلى الفرنسية فى العصر الحديث.

وأول من استخدم هذا العنوان «Patrologia» ليتصدر عمله اللاهوتى اللوثرى يوحنا چيرهارد، وقد نشر ذلكم العمل فى عام ١٦٥٣م.

أما كوتيليه Cotelier فإليه تعود فكرة تجميع الكتابات الأدبية التى تركها لنا أولئك الذين ازدهروا فى الجيل الذى أعقب الرسل مباشرة، والذين لهذا السبب يمكن افتراض أنهم كانوا تلاميذ الرسل أنفسهم. وقد تجسمت هذه الفكرة لأول مرة فى الطبعة التى صدرت فى النصف الأخير من القرن السابع عشر فى سنة ١٦٧٢م فى باريس.

والواقع أن مثل هذه المجموعة كانت تعد أمراً مستحيلاً قبل ذلك بعدة سنوات، حيث كانت المواد شحيحة للغاية بالنسبة لمشروع كهذا. وقد شهد النصف الأول من ذلك القرن، ولأول مرة، صدور رسائل كليمندس(١٦٣٣م) ورسائل برنابا(١٦٤٥م) إلى جانب رسائل بوليكاربوس(١٦٣٣م)، ورسائل إغناطيوس(١٦٤٤م، ١٦٤٦م).

لم يستخدم كوتيلييه تعبير «آباء الكنيسة» عنواناً لعمله، ولو أنه اقترب منه كثيراً. إلا أن المحرر التالى له اتيج(Ittig) قد استخدم عنوان «الآباء الرسوليون» فى طبع ليبزج (١٦٩٩م)، ثم أصبح شائعاً منذ ذلك الوقت.

إن التعبير نفسه مرن. فقد يشير بصفة عامة إلى أولئك الآباء الذين كان تعليمهم العقيدى يتفق مع تعليم الرسل، أو بمعنى أكثر تحديداً أولئك الذين ارتبطوا بالرسل من الناحية التاريخية. ومع ذلك كان ثمة اتفاق عام على قبوله بهذا المعنى الأخير، وحصره فى أولئك الذين عرف عنهم، أو كانت هناك من المبادرات التى تفترض أنهم كانوا مرتبطين برسول ما، أو أنهم حصلوا منه على تعليمهم، أو على الأقل بالنسبة لأولئك الذين كانوا معاصرين للرسل.

كان لاتهام رجال الإصلاح البروتستانتى كنيسة روما بأنها ابتعدت عن آباء الكنيسة، من ناحية، وللقرارات التى اتخذها مجمع ترنت، من ناحية أخرى، الأثر الكبير فى ازدياد الاهتمام بكتابات الآباء. فقام الكاردينال بيلارمين بكتابة كتاب «الكُتّاب الكنسيين» حتى سنة ١٥٠٠م، وقد ظهر الكتاب فى سنة ١٦١٣م. وبعد ذلك ظهر عملان آخران، الأول عن «تاريخ الكنيسة فى القرون الستة الأولى وصدر فى باريس فى ستة عشر مجلداً بين (١٦٩٣-١٧١٢م) «للكاتب تيلمونت Tillemont أما العمل الآخر فصدر بعنوان «التاريخ العام للمؤلفين المقدسين والكنسيين» وصدر فى باريس أيضاً

بين (١٧٢٩- ١٧٦٣م) فى ثلاثة وعشرين مجلداً للكاتب ر. سيلييه (R.ceillier) ،وفيه دراسة لكل الكُتاب الكنسيين منذ العصر المسيحى الأول حتى سنة ١٢٥٠م.

يعتبر القرنان السادس عشر والسابع عشر هما القرنان الهامان حيث فيهما تم تجميع كتابات الآباء وظهرت فيهما الطبعات الخاصة الممتازة للنصوص الآبائية. أما القرن التاسع عشر فقد أثرى الكتابات المسيحية القديمة بعدد كبير من الاكتشافات الجديدة وبخاصة اكتشافات نصوص شرقية. وهذا ما دعا إلى ظهور الحاجة إلى طبعات جديدة محققة علمياً. فاستهلت أكاديمية ڤيينا وأكاديمية برلين ذلكم العمل بطبع مجموعات محققة لكتابات الآباء باللغتين اليونانية واللاتينية، بينما بدأ علماء الآباء فى فرنسا بنشر أعظم مجموعتين للكتابات المسيحية الشرقية. كذلك بدأت فى القرن التاسع عشر معظم الجامعات فى الغرب، فى إنشاء كراسى خاصة لدراسة علم الآباء.

أما فى القرن العشرين فقد ظهر اتجاه غالب للاهتمام بدراسة تاريخ الأفكار، وتاريخ المفاهيم، وتاريخ التعبيرات فى الكتابات المسيحية القديمة، واهتمام بدراسة تعاليم الآباء وعقائدهم، وكذلك تعاليم كل الكتَّاب الكنسيين. ويقول الأستاذ كواستين Quasten أستاذ الآباء بجامعة واشنطن إن الاكتشافات الحديثة لأوراق البردى المصرية، قد مكنت العلماء من استعادة كثير من أعمال الآباء التى كانت مفقودة. وهنا نذكر مخطوط مشهور اسمه «اعترافات الآباء»، وهو يحتوى على اقتباسات للآباء. منذ العصر التالى لعصر الرسل وحتى نهاية القرن الخامس الميلادى، أما المقصود بكلمة «اعترافات» هو تعاليم الآباء العقائدية فيما يخص الثالوث والتجسد، وبخاصة عقيدة طبيعة المسيح. فمن المعروف أن النُسَّاخ فى الأديرة التابعة للكنيسة الأرثوذكسية كانوا يقومون بنسخ كتابات الآباء فى مختلف العصور سواء باللغات اليونانية أم القبطية أو المترجمة إلى العربية. (د. نصحى عبد الشهيد:الآباء فى حياتنا).

الطبعات التى صدرت عن الكتابات المسيحية الأولى

١- الطبعات الأولى للكتابات المسيحية القديمة لا يمكن أن تعتبر طبعات نقدية، حيث أن القواعد العلمية لاختيار المخطوطات لم تكن قد وُضعت بعد، ومع ذلك فإن للكثير من تلك الطبعات الأولى قيمة عظيمه جداً، لأن بعض المخطوطات التى أُخذت عنها هذه المطبوعات قد فُقدت.

وتحظى المجموعة التى طبعها الرهبان الفرنسيون البندكتيون من بين كل الطبعات الأولى بقيمة علمية، وقد نشرت فى القرنين السابع عشر والثامن عشر. وتحتوى تلك المجموعة على النص اليونانى وترجمة لاتينية مع فهارس دقيقة تذيل كل مجلد.

أما المجموعة التى نشرها الراهب چى. پى. مينى(J.P.Migne) (توفى ١٨٧٥م) فهى أكمل مجموعة للنصوص الآبائية، لأنها تحتوى على إعادة طبع لكل النصوص التى سبق طبعها حتى وقته، وذلك لكى تكون فى متناول اللاهوتيين، ولكى يكون الوصول إلى نصوص الآباء سهلاً. وبالرغم من كثرة الأخطاء المطبعية التى وقعت فى تلك الطبعة فإنها تظل بالنسبة للكثير من كتابات الآباء، المصدر الوحيد الذى يمكن الرجوع إليه.

تقع مجموعة باترولوچيا «مينى» فى قسمين:

القسم الأول: «مينى باترولوچيا جريكا»: وهى القسم الذى يشمل كتابات الآباء والكتَّاب الكنسيون باللغة اليونانية الأصلية مع ترجمة لاتينية أمام النص اليونانى. وهذه المجموعة تغطى الفترة حتى مجمع فلورنسا فى القرن الخامس عشر، وكذلك تشمل كل كتابات آباء كنيسة الإسكندرية، والكتابات الرهبانية المصرية باليونانية. وتقع فى (١٦١) مجلداً كبيراً.

القسم الآخر: «مينى باترولوچيا لاتينا» أى الكتابات التى كُتبت أصلاً باللغة اللاتينية. وهذه المجموعة تقع فى (٢٢١)مجلداً كبيراً، منها (٤) مجلدات فهارس، وتتوقف الكتابات اللاتينية عند البابا اينوسنت الثالث(توفى سنة ١٢١٦م). نُشرت مجموعتى باترولوچيامينى اليونانية واللاتينية ما بين سنة ١٨٤٤م و١٨٦٦م فى باريس.

بدأت كل من أكاديمية ڤيينا ،وأكاديمية برلين، بنشر مجموعة من كتابات الآباء، وهى تجمع بين الدقة اللغوية والاكتمال، وذلك من أواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن. وتنشر كل منهما الكتابات فى لغاتها الأصلية أى اليونانية واللاتينية مع مقدمات وفهارس بالألمانية.

نُشرت مجموعة الآباء الشرقيين (Patrologia Orientalis)وهى كتابات كنسية باللغات القبطية والعربية والأثيوبية، وقد صدرت فى باريس منذ سنة ١٩٠٧م فى (٢٥)مجلداً، حتى الآن.

كما صدرت مجموعة باترولوچيا سيرياكا(Patrologia Syriaca) وهى كتابات الكنيسة السريانية، وصدرت فى باريس فى(٣)مجلدات .

ترجمات لنصوص الآباء

صدرت فى القرن التاسع عشر ترجمات لكتابات الآباء من اليونانية واللاتينية إلى اللغات، الإنجليزية والألمانية والفرنسية والنرويجية والعربية. وقد بدأت تصدر فى القرن العشرين بلغات أخرى مثل الإيطالية والأسبانية والبولندية وغيرها.

وتوجد فى مصر حالياً حركة نشطة لترجمة أعمال آباء الكنيسة إلى العربية، إذ توجد العديد من المراكز ودور النشر التى تخصصت فى ترجمة أعمال الآباء.

كذلك صدرت مجموعتان باللغة الإنجليزية فى أمريكا. وتعتبران مصدراً أساسياً للكثير من الكتب التى تُرجمت إلى العربية. هاتان المجموعتان هما: مجموعة:(Ante-Nicene)أى آباء ما قبل نيقية وتقع فى(١٠) مجلدات، ومجموعة:(Nicene and Post-Nicene Fathers) أى مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية. وهى تقع فى(٢٨) مجلداً. وهاتان المجموعتان تحتويان على كتابات بعض الآباء الشرقيين وبعض الآباء الغربيين،ولكنهما لا تحتويان على كتابات مهمة مثل عظات القديس مقاريوس، ورسائل القديس أنطونيوس، كما لا تحتويان على أية كتابات للقديس كيرلس الكبير السكندرى.



٢- نظرة عامة على انجازات الآباء فى الأساس

لأن المسيحية -فى الاساس- ديانة الحقائق الإلهية والتعاليم الأخلاقية للخليقة الجديدة لذا فإن العنصر الأدبى والعلمى فى تاريخها أخذ، فى البداية، مكانة ثانوية. فمن بين الرسل لم يتلق أحد التعليم فيما عدا بولس الرسول. إلا أنه وظَّف ثقافته الربوبية rabbinical ومواهبه الطبيعية الأخرى لخدمة المعرفة الروحية السامية والتى مُنحت له فى الإعلان الإلهى وهو فى طريقه إلى دمشق. ولنفس هذا السبب فإنه يجب على المسيحية أن تنتج علماً جديداً وأدباً جديداً ليناسب الحياة الجديدة، من ناحية، بسبب الدافع المتأصل فى الإيمان تجاه معرفة أعمق وأوضح لأهدافها، ومن ناحية ثانية من حاجتها للحفاظ عى نفسها تجاه الهجوم عليها. ومن ناحية ثالثة، لاحتياج أتباعها للتعليم والتوجيه العلمى. وقد استفادت الكنيسة من الثقافة الكلاسيكية السائدة وجعلتها فى خدمة الفكر اللاهوتى. وأصبحت الكنيسة فى العصور الوسطى هى الوحيدة التى تحافظ وتحرس الفنون والآداب، والأم لأفضل عناصر الحضارة.إن التعليم المسيحى الشامل

فى القرون الستة الأولى قد تشكّل فى قالب الثقافة اليونانية الرومانية.

فقد استخدم آباء الكنيسة الأولون اللغة اليونانية وبخاصة كليمندس الرومانى، وهرماس، وهيبوليتس حيث عاشوا وعملوا فى روما أو نحوها. وقد استخدمت اللغة اللاتينية فى نهاية القرن الثانى لا فى إيطاليا فقط وإنما فى شمالى أفريقيا أيضاً حيث استخدمها ترتليانوس،وقد استمرت الكنيسة اللاتينية لفترة طويلة تعتمد على تعليم الكنيسة الشرقية. فقد كانت الكنيسة الشرقية كنيسة حماسية مفكّرة، ومجادلة. فى حين كانت الكنيسة اللاتينية أكثر هدوءاً، وعملية، وكانت مولعة بالتنظيم الخارجى. إلا أنه فى كلتا الكنيستين توجد استثناءات جلية لهذه القاعدة. ففى الكنيسة الشرقية اليونانية كان يوحنا ذهبى الفم أعظم الخطباء. كما كان أغسطينوس فى الكنيسة اللاتينية أعمق المفكرين اللاهوتيين.

كانت كتابات الآباء الأولين على وجه العموم أقل بلاغة من الكتابات الأدبية الكلاسيكية.

إلاَّ أن المحتوى كان يفوق ذلك بكثير. فكان المحتوى مقنعاً بقوة الحقائق المسيحية، مما جعل الكاتبون لا يهتمون كثيراً بالشكل الذى يقدمون فيه كتاباتهم.بالإضافة إلى أن العديد من الكاتبين الأوائل كان ينقصهم التعليم المبكر، وكانوا يمقتمون الفن مقتاً شديداً، حيث كانت له استخدامات عديدة سيئة فى تلك الأيام، فكان يستخدم فى خدمة عبادة الأوثان، والنواحى اللاخلاقية. إلاَّ أن بعض الآباء جاءوا على رأس المثقفين والفلاسفة فى عصرهم، حتى فى القرنين الثانى والثالث، ولا سيما كليمندس وأريجانوس، وكذلك فى القرنين الرابع والخامس، فالكتابات الأدبية لأثناسيوس وغريغوريوس، وذهبى الفم، وأغسطينوس، وچيروم، قد فاقت الكتابات الأدبية للوثنيين من المعاصرين لهم من كل الوجوه.

لقد اعتنق الكثيرون من الآباء المسيحية ،أو ذلك بعد أن بلغوا سن الرشد مثل كليمندس الرومانى وكليمندس الإسكندرى، ويوستينوس الشهيد، وأثيناغوراس، وثيوفيلوس، وترتليانوس وكبريانوس، وحتى چيروم وأغسطينوس، ولذا فإنه من المشوق أن نرى مدى حماسهم وطاقتهم وأعمالهم الفكرية .

إن لقب « **آباء الكنيسة** » والذى اقتصر على أكثر المتميزين من معلمى الكنيسة فى القرون الستة الأولى. ويستثنى من ذلك الرسل ممن تتلمذوا على يدى رسل المسيح حيث أنهم يشغلون مكانة أسمى من ذلك. وهذا ما ينطبق على الفترة التى تشكلت فيها العقيدة المسكونية قبل انقسام الكنيسة فى الشرق والغرب.

إن كنيسة الآباء تتحلى ببعض الصفات من حيث قدمَها، أو اتصالها مباشرة بالعهد الذى نشأت فيه الكنيسة التى أسسها الرسل، فيما يتعلق بالتعليم، والتقوى، واستقامة الرأى. والاعتراف به بصفة عامة تلك الصفات نسبية على أية حال، ونحن لا نستطيع أن نطبق مثلاً مقياس استقامة الرأى على آباء كنيسة روما أو كنيسة الشرق قبل مجمع نيقية. **فقد كانت مفاهيمهم للعقيدة غير محددة وغير مؤكدة.** فى الحقيقة إن كنيسة روما تستبعد كلا من Tertulllian ترتليانوس لأنه كان من أتباع المونتانية Montanism، وأوريجانوس Origen لأنه كان أفلاطونياً ولآرائه المثالية، ويوسابيوس لأنه كان أريوسياً فى بعض آرائه، وهكذا أيضاً كليمندس Clement الإسكندرى، ولاكتانتيوسLactantius، وثيودورTheodoret، وآخرين من الآباء ولذا يصفونهم بأنهم« **كُتَّاب كنسيون** » فقط.

إن لا يوجد من آباء الكنيسة، قبل مجمع نيقية، من يتفق مع تعليم كنيسة روما فى جميع الوجوه. حتى ايريناوس وكبريانوس فإنهما يختلفان عن الأساقفة الرومانيين. فيختلف

إيريناوس عنهم فى إيمانه بالملك الألفى وبالمونتانية، وكبريانوس فى اعتقاده بصحة معمودية الهراطقة. وجيروم شاهد قوى على عدم قانونية الأسفار الأبوكريفية. وأغسطينوس الذى له تأثير عظيم فى الفكر اللاهوتى للكنيسة الجامعة من بين الآباء، إلا أن آراءه عن الخطية والنعمة غير كتابية. (شاف: الجزء الثانى).

لقد تبرأ البابا غريغوريوس الكبير من لقب «بابا المسكونة» كما لو كان هذا اللقب- افتراضاً- ضد المسيحية. إلا أن هذا الأمر أقل ضرراً بالمقارنة بالألقاب الرسمية لمن خلفوه، حيث ادَّعو أنهم «نواب المسيح»، أو النواب الأوصياء عن الرب القدير على الأرض وأنهم معصومون من الخطأ كأوانٍ للروح القدس فى كل ما يتعلق بأمور الإيمان والتعليم.

وبصفة عامة فإن تمييز الكنيسة للآباء أمر يتنوع فى أسبابه. فنجد أن بوليكاربوس متميز لا لعبقريته أو تعليمه، ولكن لأجل وقاره وبساطته كأسقف. وكليمندس الرومانى لموهبته الإدارية، واغناطيوس لوحدة الكنيسة،ويوستينوس) الشهيد-من أجل غيرته فى الدفاع عن المسيحية وقراءته الواسعة، وإيريناوس من أجل تعليمه الصحيح واعتداله. وكليمندس الإسكندرى من أجل آرائه المثيره للتفكير، وأوريجانوس لأجل تعاليمه العميقة وآرائه الجريئة، وترتليانوس لأجل ذكائه المتوقد وعذوبته وشخصيته القوية، وكبريانوس من أجل نشاطه الكنسى، ويوسابيوس لأجل مثابرته وصبره فى تجميع المواد الأدبية، ولاكتانتيوس لأسلوبه البديع الفخم، كذلك كان لكل منهم ضعفاته.

ولا يمكن أن نقارن أيًا منهم مع ما تميز به بولس الرسول أو يوحنا الرسول من العمق والامتلاء بالروح. وهكذا فإن كل الكتابات الأدبية للآباء والتى لا تحصى فى قيمتها، تظل بعيدة جداً فى مقام أدنى من العهد الجديد، وقد تم تصنيف آباء الكنيسة قبل نيقية إلى نحو خمسة أو ستة أقسام:

(١) من تتلمذ على يد الرسل، ومنهم بوليكاربوس، وكليمندس الرومانى، وأغناطيوس، وهم أكثرهم بروزاً.

(٢) الآباء المدافعون عن المسيحية ضد اليهودية والوثنية ومنهم يوستينوس(يوستين) الشهيد ومن جاء بعده حتى نهاية القرن الثانى.

(٣) المجادلون ضد الهرطقة فى الكنيسة ومنهم إيريناوس وهيبوليتس، فى نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث.

(٤) لاهوتيو مدرسة الإسكندرية للاهوت: ومنهم: كليمندس وأوريجانوس فى النصف الأول للقرن الثالث.

(٥) مدرسة شمالى أفريقيا المعاصرة لترتليانوس وكبريانُوس.

(٦) مدرسة أنطاكية، وبعض الكاتبين الأقل شهرة، حيث لا يمكن وضعهم فى قسم بعينه.

لقد ظهر إلى جانب الكتابات الأصلية لآباء الكنيسة فى القرون الأولى، كتابات أخرى تُعَبر عن الهرطقات كما عن الرأى القويم، كذلك ظهرت العديد من الأعمال الأبوكريفية(من أناجيل وأخرويات) وقد نُسبت إلى أسماء بعض الرسل الأوائل المشهورين وكذلك ظهرت كتابات أدبية مزيفة تحمل نبوات كاذبة يهودية ووثنية عن المسيحية، مثل عهود أبناء الأسباط الاثنى عشر،وكُتب هيداسبسHydaspes، وهرماس تريسميجيستس Hermas Trismegistos وسيبيلSibyls وقد استخدمت تلك الكتابات الملفقة المبنية على تصورات باطلة استخدامات عديدة حتى من بعض معلمى الكنيسة المبرزين، لا سيما المدافعون، مما يبرهن على أنهم كانوا يتمتعون لا بالبساطة والاحتياج للنقد الأدبى فحسب، وإنما كانوا بحاجة إلى الإدراك الناضج للحقيقة أيضا، والتى لم تكن قد تم تعليمها على مدى واسع لاستبعاد تلك الكتابات المزيفة. (شاف مرجع سابق).

إننا لا نعرف سوى القليل عن حياة وتعليم وعمل آباء الكنيسة قبل الإيمان. فلم تشجع الظروف الصعبة لذلكم العصر على الكتابة فى مثل هذه الأمور، كذلك فإنه سادت فى الكنيسة فى ذلك الوقت نظرة الاهتمام البالغ بالحياة الجديدة فى المسيح على أنها الحياة الحقيقية الوحيدة، وأنها الحياة الوحيدة الجديرة بالتسجيل والكتابة عنها. حتى حياة الرسل أنفسهم قبل دعوتهم، فإنه توجد لدينا فكرة خاطفة عنها. أما الآباء من الشهداء، فتوجد كتابات كثيرة عنهم. ويمكن القول إنهم كانوا صالحين بحق، ولهم غيرة فى المسيح، بالحرى عن القول إن لهم إسهامات فى الكتابات الأدبية. فقد كانوا عاملين عمليين بأمانة فى حقل المسيحية، ومن ثم يمكن القول إنهم كانوا أكثر فائدة للكنيسة فى تلك الأيام عما كان يمكن أن يكون عليه. المفكرون الكبار أو العلماء العظماء. فبينما أعمال كبار المؤلفين الوثنيين أمثال تاسيتوسTacitus، وسوتون Sueton، جوڤينال Juvenal، ومارتيال Martial وآخرين امتلأت بالتفاصيل التى تقزز النفس عن السلوك الإنسانى الأحمق، وعن الجريمة، وعن أمور أخرى مزرية، كانت حياة المسيحيين البسطاء تلتهب محبة لله والناس، وتحض الناس على حياة النقاء والقداسة على مثال السيد المسيح. وقد وجدوا القوة الدافعة والتعزية فى قلب التجربة، والإيمان فى الاضطهادات والرجاء فى المسيح.

كان نطاق أعمال آباء الكنيسة محدوداً، فتوجد رسائل قليلة عن الحياة المقدسة والموت، وهى تأتى جميعها فى ضعف حجم كتاب العهد الجديد. ونصف هذه الرسائل مشكوك فى صحته وهى (رسائل أغناطيوس السبع، ورسالة برنابا، وراعى هرماس، إلا أنها تأتى فى المرحلة الانتقالية الغامضة بين نهاية القرن الأول ومنتصف القرن الثانى. وقد قامت، لا على أساس علمى من الدراسة، بل على أساس الشعور الدينى العملى، وتحتوى على كثير من الأمثلة كتأكيد مباشر على الإيمان والحث على حياة القداسة، وكلها (فيما عدا راعى وهرماس،) تعاليم الرسل (Didache) تأتى فى شكل رسائل، وهى تأتى على نفس نهج رسائل بولس الرسول، إلا أنها تنوعت بين الدفاعيات والجدل والعقيدة واللاهوت الأخلاقى وكذلك تعرضت للتنظيم الخارجى، ولنظام العبادة فى الكنيسة الأولى الجامعة.

إن رسائل برنابا، وكليمندس الرومانى، وبوليكاربوس، وراعى هرماس، كانت تُقرأ فى بعض الكنائس فى العبادة العامة حتى إن بعض مخطوطات الكتاب المقدس قد تضمنت بعضاً منها.

وهذا يوضح أنه لم يكن قد استقر الرأى بعد فى شأن قانونية الأسفار فى مختلف الأماكن. وتأتى أهمية نلك الرسائل فى درجة تالية وثانوية بالنسبة للأناجيل. فتلك الرسائل كانت تعبيراً عن الكنيسة فى ذلك العصر. وبدون شك يوجد فارق كبير بين الأسفار الموُحى بها، والكتابات الآبائية التى جاءت بعدها. إن مستوى كتابات ما بعد عصر الرسل إنما يبين السمو الفائق لكتابات الرسل، وهى أشبه بالسيد المسيح،فهى إلهية وإنسانية فى أصلها وصفاتها وتأثيرها.



أهم المراجع الخاصة بالجزء الأول من موسوعة تاريخ آباء الكنيسة

١- فى العربية

١- نصحى عبد الشهيد، دكتور
الآباء فى حياتنا. القاهرة فى ٣٠ مايو ١٩٩٥

٢- حنا جرجس الخضرى، الدكتور القس
تاريخ الفكر المسيحى. الجزءان الأول والثانى
القاهرة: إصدار دار الثقافة

٣- يوسابيوس القيصرى، المؤرخ
تاريخ الكنيسة. ترجم القمص مرقس داود
مكتبة المحبة، الطبعة الثانية ١٩٧٩

٤- صليب سوريال: القمص
دراسات فى القوانين الكنسية
الكتاب الأول. الكلية الإكليريكية واللاهوتية
للقبط الأرثوذكسى. ١٩٩١

٥- ثروت عكاشة، الدكتور
المعجم الموسوعى، للمصطلحات الثقافية
إنجليزى- فرنسى- عربى
مكتبة لبنان، الشركة العربية العالمية للنشر- لونجمان
طبع فى مصر ١٩٩٠.

٦- حبيب سعيد
سيرة بولس الرسول
القاهرة: دار الثقافة: الطبعة الثالثة ١٩٨٧

٧- المعجم الوسيط. معجم اللغة العربية
فى جزءين
الطبعة الثانية

٨- وليم سليمان قلادة، دكتور
تعاليم الرسل- الدسقولية. القاهرة: دار الثقافة،
الطبعة الثانيـة ١٩٨٩.

٩- صموئيل حبيب، الدكتور القس
المرأة فى الكنيسة والمجتمع
دار الثقافة: طبعة ثانية ١٩٩٤

١٠- عبد المنعم حفنى، دكتور
الموسوعة الفلسفية، القاهرة: مكتبة مدبولى
لبنان: دار ابن زيدون. الطبعة الأولى :ب.ن

١١-الكتب الشهرية للشباب والخدام
بيت التكريس للشباب والخدام، نصحى عبد الشهيد الدكتور.
الكتب الى صدرت فى شهور:
مايو١٩٨١- يونيو١٩٨١- أكتور١٩٨١- مايو١٩٨٢
سبتمبر ١٩٨٢- نوفمبر/ديسمبر١٩٨٢-نوفمبر١٩٨٣-يناير١٩٨٤
مارس ١٩٨٤- ديسمبر ١٩٨٤- أغسطس ١٩٩٠- سبتمبر ١٩٩٠
ديسمبر ١٩٩٣- فبراير ١٩٩٤- مارس ١٩٩٤- يونيو/ يوليو ١٩٩٤

12- Brown, L E S L E Y, E D:
Shorter OX Ford
English Dictionary, 2 Volumes
CLARENDON. PRESS. OXFORD 1993

13- FREND, W.H.C: **THE EARLY CHURCH FROM BEGINNINGS TO 461**,
The publisher SCM Tottenhan road, London, 1991

14- KELLY, J.N.D. **EARLY CHRISTIAN DOCTORINE**, FIFTH EDITION, A&C BLACK, LONDON, 1989.

15- MARTIN, RALPH P.
WORSHIP IN THE EARLY CHURCH, LONDON:
EERDAMNS, MARCH 1992

16- QUESTEN, JOHANNES. **PATROLOGY**, V.1-2, **CHRISTIAN CLASSICS**, INC. 1992

17- RICHARDSON, ALAN : **CREEDS IN THE MAKING**, THE PUBLISHER SCM PRESS, 1982

18- SHAFF, PHILIP, **History in the CHRISTIAN CHURCH**, 8 Volumes set. WM.B EERDAMNS Publishing company, GRAND, rapids Michigan FIFTH EDITION, reprinted, September, 1989

19- SHELDON, HENRY C. **HISTORY OF THE CHRISTIAN CHURCH**, 5 volumes set, HENDRICKSON PUBLISHERS, APRIL 1988

20- THOMPSON J.A.
HAND BOOK OF LIFE IN BIBLE TIMES, LEICESTER, INTER-VARSITY PRESS, FIRIST PUBLISHED 1986

21- WAKE FIELD GARDON S., ED., **A DICTIONARY OF CHRISTIAN SPIRITUALITY**, GREAT BRITAIN: SCM, 1993

22- WALKER, WILLISTON: **A HISTORY OF THE CHRISTIAN CHURCH**, THE PUBLISHER T&T CLARK, 4th EDITION, 1968

23- WOND J.W.: **HISTORY OF THE EARLY CHURCH TO A.D. 500. 1974**

PUBLISHING HOUSE, special edition, ICKNIELD way, TRING, HERTS, ENGLAND 1986

25- DI BERARDINO, ANGELO, ED. TRANS. By WOLFORD, ADRIAN: ENCYCLOPEDIA OF THE EARLY CHURCH, 2 vol. Set , JAMES CLARKE & CO. CAMBRIDGE, FIRST PUBLISHING Great Britain IN 1992

26- DOUGLAS J.D.
THE ILLUSTRATED BIBLE DICTIONARY, 3 vol. Set. Inter-varsity press,1980

27- ELIADE MIRCEA, ED. THE ENCYCLOPEDIA OF RELIGION, MAC MILLAN publishing company, NEWYORK 1986

28- ELWELL WALTER A.,G. ED., BAKER ENCYCLOPEDIA OF THE BIBLE, 2 vol. Set, BAKER BOOK HOUSE. GRAND rapids, second printing 1989

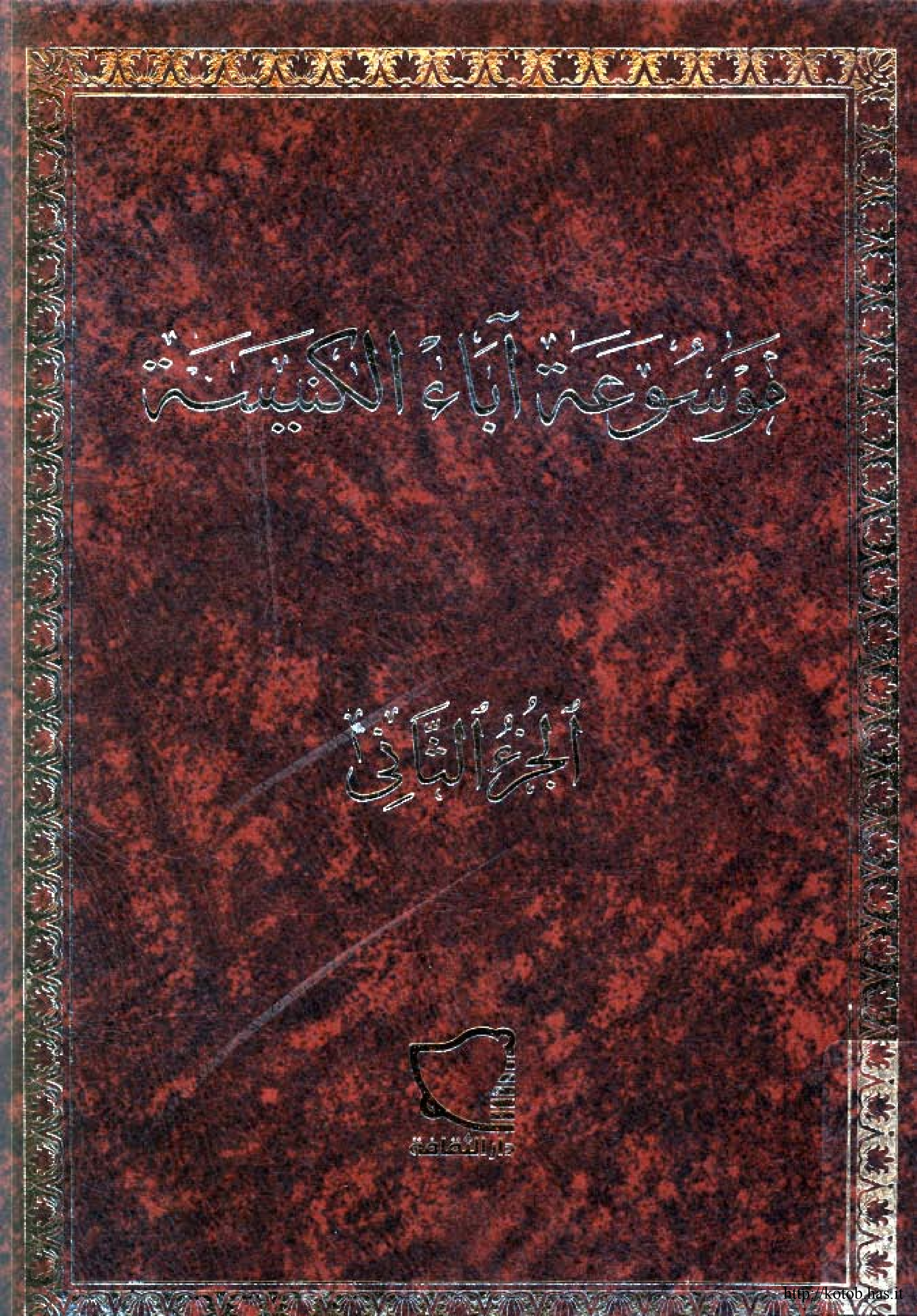
29- MERRIL C. TENNEY . G. ED., PICTORIAL ENCYCLOPEDIA OF THE BIBLE, 5 vol. Set, ZONDERVAN PUBLISHING HOUSE .

30- MURRAY CHAMBERS LATIN-ENGLISH DICTIONARY, CAMBRIDGE 1996

31- PFEIFFER, HOWARD F. VOS, JOHN REA, EDS., WYCLIFFE BIBLE ENCYCLOPEDIA, JOHNREA, 2vol. Set, MOODY PRESS, CHICAGO 1987

32- UNGER, MERRILL F., THE NEW UNGER'S BIBLE DICTIONARY, MOODY PRESS CHICAGO, 1988

33- W. PHILIP, ED. M CHIEF
THE NEW ENCYCLOPEDIA BRITANNICA, 15th EDITION.


موسوعة آباء الكنيسة
الجزء الثاني
دار الثقافة
http://kotob.has.it

موسوعة آباء الكنيسة

الجزء الثاني

إعداد

عادل فرج عبد المسيح



اللجنة الاستشارية

المطران يوحنا إبراهيم
(متروبوليت حلب)

د.ق. مكرم نجيب

القس أندريه زكي

الأب منصور مستريح

مقدمة الدار

كتابات الآباء جزء أصيل من التراث الأدبي المسيحي، الذي يزخر بأفكار لاهوتية ثرية. والبحث في نشأة الفكر اللاهوتي أمر ضروري ولازم لمعرفة أصول الفكر المسيحي.

وهذه السلسلة من موسوعة تاريخ آباء الكنيسة تتبع ما أرسوه من دعائم الفكر اللاهوتي المسيحي من خلال إسهاماتهم الأدبية حتى القرن العاشر الميلادي.

ويسر دار الثقافة أن تقدم للقاريء الدراسات الجادة التي تسهم في تعميق الإدراك والفهم للمسيحية، والتي تدعو إلى مشاركة مجتمعنا قضاياه ومشاكله، كما كان الآباء مشاركين بآرائهم واجتهاداتهم في مجتمعاتهم.

دار الثقافة

مقدمة

يزداد الاهتمام بدراسة الأعمال الأدبية للآباء في الشرق كما في الغرب. فتعقد الندوات والمؤتمرات، وتنشر الأبحاث والكتابات، في جهود متجددة لكي تنهل من ينابيع الفكر المسيحي الأصيل.

وفي هذه الموسوعة، نقدم دراسة لآباء الكنيسة في إطار التاريخ الكنسي وما أحاط به من الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية، في محاولة جادة ورغبة صادقة للوقوف على ما كانت عليه أحوال الكنائس في المواقع الجغرافية المختلفة. وهذا من شأنه أن يوضح لنا كيف نشأ الفكر اللاهوتي المسيحي وتطور.. ثم تبلور.

وفي هذه الأجزاء، ما زال التركيز في دراساتنا، على تلك الفترة من التاريخ السابقة لمجمع نيقية في ٣٢٥م. وهذا الجزء خاص بكنيسة الإسكندرية، وكنيسة شمالي أفريقية.

وفي إطار تناولنا لكنيسة الإسكندرية، فإننا نقوم بدراسة مُركزة شاملة -في غير إسهاب، أو تطويل- بتأصيل فكر الحضارة والدين والأخلاق في مصر القديمة، والتمهيد للمسيحية.

ولأن المسيحية الأولى في مصر نشأت في الإسكندرية، لذلك أفردنا فصلاً لدراسة دور الإسكندرية في العالم القديم، حيث كان لمدرسة الإسكندرية في العصر اليوناني دور ثقافي عالمي عظيم.. كما نتعرض لنشأة ودور مدرسة الإسكندرية اللاهوتية.. ودور الآباء الذين تناوبوا على رئاستها مثل القديس بنتينوس والقديس كليمندس، والعلاَّمة أوريجانوس..

ثم نتقدم بعد ذلك لدراسة كيف نشأت كنيسة الإسكندرية وتطورت.. وكيف نشأت الحياة الرهبانية في مصر، ومنها انتقلت إلى سائر الكنائس.

وبعد دراسة موجزة عن دور المراكز الثقافية في وادي النيل، والمسيحية في بلاد النوبة.. نفرد جزءاً خاصاً لدراسة آباء كنيسة الإسكندرية، فنقدم نبذة عن نشأتهم.. وإيمانهم وتعليمهم.. وأعمالهم الأدبية التي قاموا بكتابتها.. سواء الباقية أو التي فقدت منها.. ونقدم ملخصاً لكل منها متى توفر ذلك.

وهكذا الحال مع كنيسة شمالي أفريقية.. الكنيسة ذات الجوار.. والأقرب لنا من الناحية الجغرافية.. التي قدمت في الأدب اللاتيني الأب ترتليانوس.. وغيره.. فنقدم دراسة عن أفريقية ثقافياً واجتماعياً وسياسياً.



وكيف عرفت المسيحية طريقها إلى شمالي أفريقية.. ثم كيف اختفت من هناك بعد ذلك. ثم نقدم دراسة عن آباء كنيسة شمالي أفريقية.. متبعين نفس النهج الذي سرنا عليه مع كنيسة الإسكندرية.

وأود أن أشير في هذه الدراسة التي نقدمها إلى أهمية القراءة المدققة لكتابات الآباء.. وفهم الخلفية التي كتبوا من خلالها.. والظروف التي كانت تحيط بالكنيسة آنذاك.. وطريقة تناولنا لأعمال الآباء.. وقراءة كتاباتهم أمر في غاية الأهمية.. فكيف نقرأ فكر الآباء.. وندرس تلك الوثائق الثرية التي تركوها لنا؟! وأود أن أشير إلى أهمية الدراسة الشاملة لفكر كل أب.. في إطاره التاريخي.. وفي إطار خلفية كل أب وموقفه الثقافي.. فلا نقوم بالاقتباس بجملة من هنا وجملة من هناك ونقول إنه رأي هذا الأب أو ذاك، بل لابد من القراءة الشاملة والمدققة هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى أود أن أوضح أن ثمة أفكاراً تناولها الآباء.. وكانت تعد رأياً شخصياً لكل منهم.. وفي ذلك نوع من الثراء.. فمثلاً بعض الآباء كانوا ضد استخدام الفلسفة في الدفاع عن المسيحية.. كالقديس إيريناوس، والقديس تاتيان، والقديس ترتليانوس.. بينما نجد أن بعضاً منهم مثل القديس كليمندس اعتبر أن الفلسفة عطية من الله، وأن استخدام الفلسفة أمر لازم لمواجهة هرطقة الغنوسية الزائفة.

والحقيقة التي نود أن نعرضها وتكون واضحة في ذهن الدارسين والباحثين من القراء أن الآباء لم يكن في نيتهم أن يكونوا فلاسفة أو كُتَّاباً.. بل كان جل همهم أن يكونوا كارزين وواعظين. وكانوا يتجاوبون مع القضايا والموضوعات التي كانت تشغل بال المؤمنين من المسيحيين في تلك الأوقات.

كذلك نجد أن الثقافة السائدة في كل كنيسة قد تركت آثارها واضحة على أساليب الآباء في تناولهم للتفاسير.. فبينما انتهجت كنيسة الإسكندرية المنهج المجازي أو الرمزي (كما يتضح من هذا الجزء الذي بين يديك).. فالعلاَّمة أوريجانوس -مثلاً- ذهب في رأيه إلى أن كل ما جاء بالكتاب المقدس له معنى رمزي، لكن ليس كل ما جاء به له معنى حرفي.. بينما نجد أن آباء كنيسة أنطاكية بسورية (كما سيتضح من الجزء الثالث من هذه الموسوعة) يتبنون المنهج الحرفي فحسب في تفاسيرهم.

كذلك واجهت الكنيسة بكل حزم، كل انحراف خاطيء للمفاهيم الفكرية اللاهوتية، وكان ذلك من خلال المجامع المحلية والمسكونية. لذلك يجب الرجوع إلى المجامع وأعمالها لمعرفة رأي الكنيسة في شأن الموضوعات التي كانت محلاً للمناقشة وموضوعاً للبحث.

لقد تحمَّل الآباء -حقًا- عبء الريادة، بكل معانى الكلمة. سواء بما ابتكروه من مفردات لغوية جديدة



للتعبير عن الفكر اللاهوتي الجديد، أو من خلال إبداء آرائهم في العديد من القضايا والموضوعات التي عُرضت عليهم.

وفي الختام أود أن أشير إلى أن الجزء الأول قد احتوى على العديد من الموضوعات، لن نعود لنذكرها مرة أخرى لعدم التكرار، وذلك عند الحديث عن كل كنيسة ، لذلك قد يلزم الرجوع إلى بعض الأجزاء متى أُشير إلى ذلك.

وكما جاء في الجزء الأول، فإن ثمة مواد قد وضعت في خلفية مختلفة، ونذكِّر بأنها ليست جزءًا من السرد أو السياق. فضلاً عن تزويد المادة بالخرائط والصور، متى أمكن ذلك، بُغية المزيد من التوضيح.

وإذ أشكر إلهي الذي منحني هذه الفرصة، وأعانني على إنجاز هذا الجزء من الموسوعة. أقدم الشكر لكل من ساهم فيه بجهده، ليكون على النحو الذي بين أيدينا.

وغاية ما أرجو، أن يرسل القارىء إلينا بملاحظاته الإيجابية التي تثري هذا العمل، حتى يمكن تضمينها -متى لزم- في الطبعات التالية بإذن الله، لتصدر كما ينبغي أن تكون عليه..

ونحن في ثقة أنك سوف تجد في هذا العمل زادًا فكريًا، وثروةً علميةً تعكس مكانة الكنيسة عبر عصورها..

وإلى اللقاء مع الأجزاء التالية بإذن الله،،

عادل فرج عبد المسيح

adelfgeg@hotmail.com

المحتويات

صفحة

الباب الأول:

كنيسة الإسكندرية

أولاً: الخلفية التاريخية



الباب الأول

الفصل الأول

نشأة الحضارة والدين والأخلاق في مصر القديمة

مصـــــــر

أ- بزوغ فجر الحضارة

ب- الدين والعقيدة في مصر القديمة

جـ- مكانة الأخلاق في مصر القديمة

د- اختراع الكتابة وظهور اللغة القبطية

هـ- الدين في مصر بين الفرعونية والمسيحية

تمهيد

في الوقت الذي كانت تنعم فيه مصر القديمة بنور المعرفة، كان الظلام يحيط بالعالم. وبينما كانت الحضارة الراسخة تعلن عن نفسها فيما وصل إليه بُناة الأهرام من معرفة في مجالات الزراعة والهندسة والفلك والتحنيط.. وغيرها - ومازال كثير منها تغيب عنا أسراره- كان الجهل وظلام الفكر والتخبط في الحياة البدائية من بين أكثر ما يميز سائر الشعوب في ذلك الوقت.

وليس أدل على مقدار ما وصلت إليه مصر قديماً من تقدم ومن معرفة مما ذكره العهد الجديد عن موسى وما وصل إليه من حكمة قد تعلمها في مصر، وقد عبَّر الكتاب عن ذلك قائلاً: "فتهذب موسى بكل حكمة المصريين" (أعمال ٧:٢٢).

وفي الصفحات القادمة نستعرض كيف نشأت الحضارة والدين والعقيدة ومكانة الأخلاق في مصر القديمة، والأسباب التي أدت إلى التمهيد للمسيحية.. لنرصد -في اختصار- أبرز خصائص وإسهامات مصر لعلها توضح خصوصيتها وتفرد دورها في الفكر الإنساني بل وفي إسهاماتها اللاهوتية متمثلة في مدرسة الإسكندرية وآبائها.. وأثرها البالغ في الفكر اللاهوتي.

ويعبر القديس كليمندس، من آباء الإسكندرية، عن خصوصية مصر وتفردها في الفكر، إذ يذكر في كتابه المتنوعات أن لمصر فلسفتها الخاصة بها (المتنوعات ٦:٢:٣٥). وأن فلاسفة اليونان ليسوا بأقدم



من فلاسفة مصر (المرجع السابق: ١: ٧١:١٥). كما أن بعض فلاسفة اليونان: طاليس وفيثاغورث وأفلاطون قد تتلمذوا على يد المصريين. (القس أثناسيوس اسحق: مصر فكر الآباء ص ٣٧).

جمهورية مصر العربية

العاصمة: القاهرة

العلم: ثلاثة ألوان: الأحمر، الأبيض، والأسود ونسر ذهبي يتوسط اللون الأبيض.

السكان: بلغ تعداد السكان ٦٦ مليوناً و ٥٠ ألف نسمة في ٢٠٠٠ .

المساحة: مليون كيلو متر مربع، يعيش السكان في مساحة ٥٥ ألف كيلو متر مربع منها، وهي تمثل ٥,٥٪ من المساحة الكلية.

الموقع الجغرافي: تقع في الطرف الشمالي الشرقي من أفريقيا، إلى الشمال يقع البحر المتوسط، إلى الجنوب تقع السودان، إلى الشرق يقع قطاع غزة وإسرائيل والبحر الأحمر، وإلى الغرب تقع ليبيا.

حدود مصر: تقع بين خطي عرض ٢٢° حتى ٣١,٥°، ويمر بالقاهرة خط طول ٣٠° شرقاً.

الحدود البرية الجنوبية: ١٢٨٠ كم

الحدود البرية الغربية: ١٠٩٤ كم

الحدود البرية الشرقية: ٢١٠ كم

الحدود البحرية الشرقية: ١٤٥٠ كم

الحدود البحرية الشمالية: ٩٥٠ كم

مجموع الحدود البرية والبحرية: ٤٩٨٤ كم

النيل: يبلغ طول نهر النيل من حدود مصر الجنوبية وحتى البحر المتوسط نحو ١٥٣٨ كم

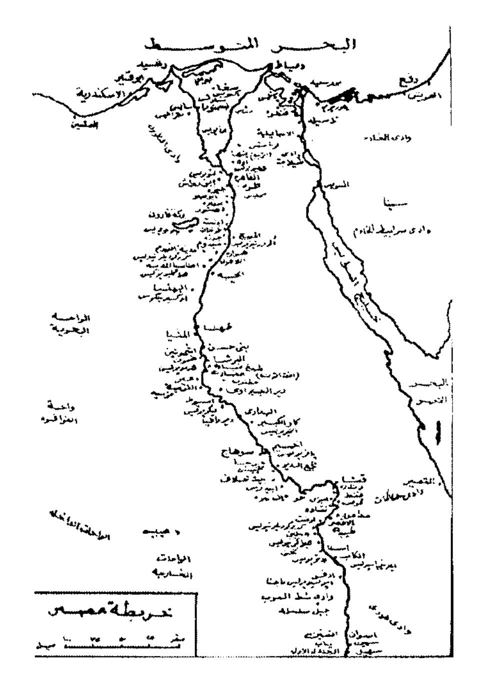
اللغة: اللغة العربية اللغة الرسمية، وتستخدم الإنجليزية على نطاق واسع في الدوائر التجارية.

- (راجع شخصية مصر: جمال حمدان)
- (شبكة الإنترنت: قناة المعلومات)

أ- بزوغ فجر الحضارة

للنيل سحره الخاص في نفوس المصريين.. وكيف لا يكون للنيل هذا السحر وإليه يُنسب فضل الحياة في هذه البقعة من الصحراء الجرداء القاحلة... "فنحن دولة الصحراء الأولى في العالم بمثل أننا دولة النهر الأولى.." (د. جمال حمدان: شخصية مصر). "فلولا النيل لكانت تلك الأراضي المزروعة التي يعيش عليها أكثر السكان صحراء مثل تلك التي على يمينها ويسارها" (د. أحمد فخري: مصر الفرعونية).

هذا النيل الذي يتدفق من الجنوب، والذي لم يكن يعرف القدماء مصدره، هو أطول أنهار العالم



إذ يبلغ طوله بأكمله نحو ٦٧٠٠ كيلومتر منها ١٥٣٠ كيلومتراً في الأراضي المصرية، ويبدأ عند خط عرض ٣٥ درجة جنوبي خط الاستواء ويتجه شمالاً على بعد ٣١,٥ درجة شمالي خط الاستواء.

وحوض النيل يبلغ ٢,٩٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع (المرجعان السابقان).

كان القدماء يبجلون النيل بل يقدسونه، "فكانوا يقدمون للنيل بعض اعتبارات كالعبادة ويسمونه "حعبي" أو "حابي" أي "الإله المقدس".. كما ذُكر في كتاب الموتى. "إن النيل مولود من "رع" أي الشمس، أكبر الآلهة عند قدماء المصريين" (أنطون زكري: النيل في عهد الفراعنة والعرب).

لقد أُطلق على مصر "كيمي".. أي الأرض السوداء" إشارة إلى الطمي الذي يغمر الأرض وقت الفيضانات، والذي يمنحها خصباً لا نظير له.

(سير ألن جاردنر: مصر الفراعنة: ترجمة د. نجيب ميخائيل إبراهيم).

النيل- الأنهار

ثمة محاولات كثيرة للوصول إلى معنى كلمة "النيل"، ولم يتفق المؤرخون والباحثون على معنى واحد لها.. إلا أن المعنى الذي يمكن ترجيحه هو أن كلمة "نيل" بالديموطيقية (ن-ال) وتعني النهر، حيث حرف "ن" أداة التعريف للجمع المذكر، و "ال" معناه النهر.. فاسم النيل عند المصريين القدماء يدعى "ار" أو "ال" الذي اشتق منه المعنى الديموطيقي بلفظ "ال"، ولكنهم استخدموا الكلمة الديموطيقية (ن-ال-و) أي الأنهار حيث حرف "و" علامة الجمع. ومن كلمة "نيلو" اشتقت الكلمة اليونانية "نيلوص" (Nilos) حيث حرف "ص" هو الحرف السادس عشر من الأبجدية اليونانية. (راجع أنطون زكري: النيل في عهد الفراعنة والعرب).

بحيرة حور:

أُطلق على النيل قديماً اسم شيحور، وهي كلمة مصرية قديمة مركبة من كلمتين: الأولى (شي) وتعني بحيرة، والثانية: (حور) وتعني المعبود وهو إله الإقليم الرابع عشر بالوجه البحري الذي كان

يطلق عليه هذا الاسم، وكان يطلق أيضاً على هذا الجزء من النهر، الواقع في ذلك الإقليم، ثم أطلق على النيل كله. فكلمة شيحور إذن تعني "بحيرة حور" وفي الترجمة السبعينية التي أُنجزت في الإسكندرية (راجع مادة الإسكندرية في موضعها من هذا المجلد). ترجم أحبار اليهود كلمة "شيحور" بكلمة "النيل" ويوضح هذا أن القدماء أدركوا أن كلمة شيحور هي نفس كلمة النيل (المرجع السابق).

حقاً إن للنيل فضل الحياة والحضارة التي بزغت في هذه البقعة من الأرض.. وحقاً ما يقوله عاشق مصر جمال حمدان: "إن مصر ستظل في التحليل الأخير هي النيل" (شخصية مصر). وإذ كان للنيل هذا الأثر العظيم فإن لطبيعة أرض مصر أيضاً أثرها العظيم في تاريخها، فتاريخ أي شعب يرتبط ارتباطاً كبيراً بطبيعة أرضه، ولهذا دعنا نلقي نظرة على طبيعة الأرض المصرية لنعرف مدى أثرها على حضارة تلك البلاد، إذ أن لطبيعة الأرض أثراً عظيماً على تطور حضارتها وهي كما يذكرها د. أحمد فخري تتكون من سبع مناطق جغرافية هي:

١- وادي النيل، بما فيه الدلتا والصعيد.

٢- محافظة الفيوم.

٣- منطقة قناة السويس.

٤- الصحراء الغربية.

٥- الصحراء الشرقية.

٦- شبه جزيرة سيناء.

٧- جزر البحر الأحمر.

(د. أحمد فخري: مصر الفرعونية ص ٣٢- مع تصرف في الأسلوب).

ويُشَبِّه سير ألن جاردنر مصر بنبات البردي الذي يمثل وادي النيل فيه الساق أما الدلتا فبمثابة الزهرة كما أن منخفض الفيوم هو البرعم. (سير ألن جاردنر: مصر الفراعنة ص ٤٣).



صورة لنبات البردي

النيل والشخصية المصرية

عاش إنسان ما قبل التاريخ معتمداً على ثمار الأشجار القليلة المتناثرة في الصحراء بفعل الأمطار، وعلى صيد الحيوانات والطيور، كما

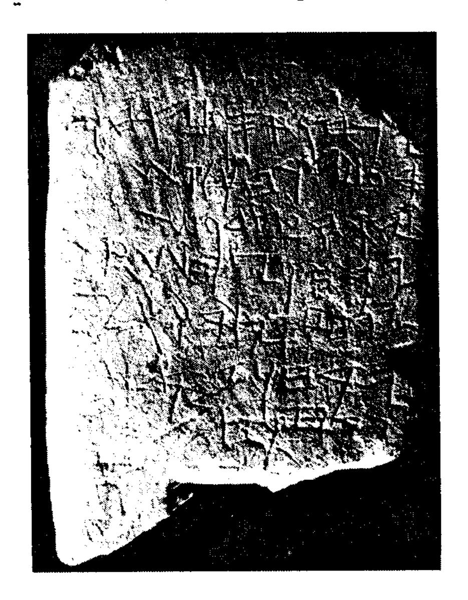
اعتمد الإنسان الذي عاش بالقرب من النيل على صيد السمك. وهكذا كان الإنسان آنذاك رحالة يبحث عن غذائه الذي استلزم تنقله الدائم. إلا أن ملاحظته أن الأرض تنبت وتأتي بالثمار بعد موسم فيضان النيل في كل عام، جعلته يكتشف الزراعة،



صورة للإله حابي إله النيل

"فما كانت تفعله الطبيعة بالزراعة تلقائياً، أصبح الإنسان يفعله صناعياً. لقد علم النيل المصريين الزراعة والري (شخصية مصر)، وهكذا تحول الإنسان من جمع الغذاء إلى إنتاجه. ومن ثم بدأ ارتباطه بالأرض ليراعي زراعته، فبدأ يعرف طريقه إلى الاستقرار والعيش في جماعات وفي قرى صغيرة.. وهكذا بدأ المصري خُطاه نحو المدنية، وكان لذلك أثره في شخصية المصري كما يقول دكتور جمال حمدان.. "فالواقع أن النيل بما منح مصر من حياة مستقرة ومتجددة معاً، ومن غنى ومن وفرة مع ترف وجمال، وبالتالي من أمن وطمأنينة مع تفاؤل بالمستقبل، وثقة بالنفس ربما جنح بهم إلى قدر من غرور فأوحى إليهم أنهم أكرم عنصراً وأرقى معدناً ممن حولهم من أفريقيين وآسيويين ومن صحراويين ورعاة ومن أجانب وبرابرة ولكن دون أن تصل إلى حد الاستعلاء والعنصرية مع ذلك على الإطلاق" (شخصية مصر- مرجع سابق).

وهكذا تحفر طبيعة مصر ونيلها أثراً قوياً منذ العصور القديمة على شخصية الإنسان المصري...



تقويم عبري لمواسم الزراعة

ويلعب النيل دوراً كبيراً أيضاً في الربط بين تلك "المجتمعات" التي نشأت على جانبيه وبامتداده، ويقول في ذلك عالم الآثار جيمس هنري برستد: "لم يكن هنا سبيل لاتحاد أقسام القطر اللهم إلا نهر النيل الذي سهَّل المواصلات والتعاون بالرغم من بُعد المسافة بين أقسامه، فنهر النيل هو السبب

الأعظم لتوطيد العلاقة بين سكان مصر وضمان سيادتهم ورفاهيتهم وعليه الاعتماد في انتقالهم وترويج تجارتهم" (برستد: تاريخ مصر: ترجمة د. حسن كمال).



منظر للحصاد من قبر مينا، به رجلان مع كل منهما مذراة يذريان حبوب القمح من طينة من نحو ١٤٠٠

الثورة الزراعية

"إن الري والزراعة عُرفت لأول مرة بمصر، وبالتالي الحساب والهندسة وأوجه القمر والشمس والنجوم.. إلخ" (شخصية مصر: مرجع سابق). كما عرفت مصر الزراعة المتطورة ولم تنقلها عن بلاد أخرى، وكما يقول د. جمال حمدان: "الذي لا شك فيه أن الزراعة، إن لم تكن قد ولدت بالفعل في تربة النيل وأحضانه وعُمدت لأول مرة بمياهه، فإن مصر كانت بأي مقياس من البلاد الرائدة السبَّاقة إلى تأصيل الثورة الزراعية وإقامة أسس حضارة العصور القديمة التي فاجأت العالم بها، مكتملة أو شبه مكتملة مع بداية عصر الأسرات. لقد أعطت مصر العالم دولته الأولى بالقطع، وثورته الزراعية الأولى وثورته المدنية الأولى على وجه الاحتمال عدا سلسلة مطولة من الأولويات الأخرى على وجه اليقين، والسبق الحضاري إذن سمة أصيلة من سمات شخصية مصر التاريخية- من هنا جاءت تلك الكُنية الشهيرة عن المصريين اليوم "أم الدنيا" وإذا نحن قسمنا الأقاليم -كالدول- إلى موجبة وسالبة، فلقد كانت مصر دائماً إقليماً موجباً بقوة، وشخصية مشعة منذ البداية" (شخصة مصر جـ٢ ص ٤١٢).

النيل هبة مصر ومصر هبة المصريين

كما أن للدكتور جمال حمدان مقولة أخرى وهي أن "مصر هبة المصريين" مُركزًا على ما بذله المصري من جهد شاق في تغيير الوادي فيقول موضحًا ذلك:

الواقع أن المصريين الذين عاشوا في الوادي بذلوا جهدًا كبيرًا من أجل إعماره وجعله صالحًا للسكنى إذ وجدوه في صورته البدائية "إذ وجدوا بيئة بدائية لا تصلح للسكنى والاستغلال في شكل مستنقعات وبرك وأدغال وآجام ونبات وحيوانات برية، وكان عليهم أن يغيروا هذا كله بالجهد الشاق والعمل الجماعي المضني المتصل في تطهير النبات والحيوان وشق المصارف والترع، ومجابهة أخطار الفيضان أو الجفاف وضبط النهر، لقد كان على

المصري أن يكون حفَّاراً قبل أن يكون زارعاً، وكان عليه أن يحول اللاند سكيب (Land Scape) الطبيعي إلى لاند سكيب حضاري "بالدم والعرق" كما يعبر تشايلد وفي كلمتين: بغير الري، بغير الإنسان المصري، فإن مصر الوادي هي إما مستنقع هائل أو صحراء كاملة" (شخصية مصر ص ٤٤٩) مصر إذن هي هبة الإنسان المصري أي هبة المصريين.

"مصر أم الحضارة"

كذلك أدرك المصري قديماً أن السنة الشمسية تتكون من ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وذلك في نحو سنة ٤٢٤١ ق.م. (برستد -مرجع سابق).

للإنسان المصري إذن دوره الواضح في تأسيس حضارة عريقة منذ أن وطأت قدماه أرض الوادي. وكذلك للنيل بنظامه وفيوضه التي تحمل معها الخصب، دوره الأكيد في نشأة المدنية.. ولمصر كل الحق في أن تكون "أم الحضارة" (شخصية مصر: مرجع سابق).

وفي الوقت الذي عاشت فيه مصر حضارتها التي أنشأتها في نحو الألف الرابع قبل الميلاد، كان العالم القديم يموج في ظلمة حالكة. فقد عرفت مصر "الحكم" و "الإدارة" قبل البلاد الأخرى.. وكما يذكر برستد في كتابه فقد نشأت في مصر مملكتان عظيمتان.. إحداهما بالوجه البحري.. والأخرى بالوجه القبلي حيث كانت تعرف مصر بأرض القطرين، وقد وحد مينا القطرين (أي الشمالي والجنوبي) في سنة ٣٤٠٠ ق.م. واعتبر المؤرخون أن عهد الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى المصرية هو بداية عصر الأسر الملكية، ونهاية عصر ما قبل الأسر.. وكانت حكومة الملك مينا منظمة وعريقة وأن إدارة البلاد في فجر المملكة القديمة- وتقترب مدتها من أربعة قرون - كانت مقرونة بالكثير من الاحترام والهيبة نحو ملك البلاد من جميع أفراد الرعية. (برستد: تاريخ مصر).

تقسيم التاريخ إلى أسرات

لقد قسَّم المؤرخ المصري القديم مانيتو وعصور تاريخ مصر تقسيماً عرفياً مبتدئاً من العصر التاريخي وأطلق على هذه الأقسام الأسرات المالكة. ويذكر برستد أن مانيتو كان من سمنود، عاش في أيام بطليموس الأول الذي حكم مصر، وأنه وصف تاريخاً عن مصر باللغة اليونانية، لكن لم تصل إلينا منه سوى مقدمته التي نقلها يوليوس أفريكانوس، ويوسابيوس ولخصها يوسيفوس. وتاريخ مانيتو قائم على روايات عامية، وخرافات متداولة آنذاك خاصة بقدامى الملوك. وقد قسَّم مانيتو تاريخ مصر إلى ثلاثين أسرة ملكية.

ومع أن هذا التقسيم اصطلاحي، وأنه كثيراً ما حصل نزاع بين ملوك الأسر اعتبرهم هذا المؤرخ أسرة واحدة، إلاَّ أن تقسيمه ساعد كثيراً على فهم تاريخ مصر القديمة. (برستد: تاريخ مصر).

ب- الدين والعقيدة في مصر القديمة



صورة عابد في مصر القديمة

ارتبط الإنسان منذ القدم بالطبيعة.. وكانت ثمة كثير من الظواهر والغوامض التي لم يستطع أن يعرف أسرارها أو يكتنه غوامضها أو يفك طلاسمها.. فبزوغ الشمس وغروبها.. الرياح.. الأمطار.. الفيضان.. النباتات في مراحل نموها المختلفة.. الحيوانات، واختلاف الليل والنهار.. فصول السنة.. هذه كلها وقف الإنسان عاجزاً حيالها.. ومن ثم اتخذ منها رموزاً للقوة وللخلق هكذا كان الدين مفسراً لتلك الرموز والأسرار التي يزخر بها الكون من حول الإنسان. "ولما كانت الزراعة الحرفة الرئيسية لسكان وادي النيل الخصيب ظهر هؤلاء القوم زراعيين ماهرين وتديَّنوا بديانة مملوءة بروح الزراعة". (برستد: مرجع سابق).

وقد عرف الفراعنة عبادة الشمس.. التي تستلزم قدراً من الثقافة العلمية والأدبية لا تتيسر للأديان البدائية. وكما سبق أن قلنا كان المصري القديم متقدماً في علوم الهندسة والفلك.. وسبَّاقاً في إدراك أن السنة الشمسية يمكن تقسيمها إلى ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً.. "وقد وصل الإنسان إلى عبادة الشمس حين قامت له دول وحضارات فتلاقت حوله جميع الطرق مجتمعة في طريق التوحيد الصحيح" (عباس محمود العقاد: في كتابه: الله).

تعددت الآلهة في ربوع مصر القديمة وانتشرت.. وعرفت مصر التشيع المقدس كما يقول برستد.. وشاهد هذا التشيع ممثلاً بشكل من

الأشكال في كل معبد من المعابد المصرية. ثم انتشرت فكرة التثليث -وسوف نعود لها مرة أخرى- بين المعبودات على توالي الزمن وأصبح لكل مكان بالقطر ثالوث ثانوي مقدس (راجع برستد: مرجع سابق). ثم عرفت مصر بعد ذلك التوحيد الذي دعا إليه الملك إخناتون (الأسرة الثامنة عشرة: ١٥٨٠: ١٣٥٠ ق.م.) الذي قام بثورة دينية عظيمة على عبادة الأصنام. (برستد: المرجع السابق).

وثمة رأيان فيما يتعلق بمرحلة الوحدانية.. فالرأي الأول: يرى أن الوحدانية التي دعا إليها إخناتون لم تكن إلا مرحلة وقتية ولم تستمر فيما بعد.. ويذكر صاحب "الأثر الجليل لقدماء وادي النيل" ما يؤكد الرأي الثاني وهو "أن المصريين كانوا أمة موحدة تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وهو قول المؤرخ (بورفير) وغيره. كذلك يذكر ما قاله هيرودوت المؤرخ: "أهل طيبة كانوا يعبدون الله وحده ويقولون هو الأول والآخر الحي الأبدي السرمدي". أما (چامبليك) فيقول: "إنه سمع من كهنة مصر أنفسهم أنهم يعبدون الله وحده فاطر السموات والأرض رب كل شيء وهو المالك لكل شيء الخالق لكل شيء الذي لم يُخلق ولم يتجزأ ولا تراه العيون، يعلم ما تكنه الضمائر وما تخفيه الصدور وهو الفاعل المختار لكل شيء وفي كل شيء"، إلى أن قال "أما ما نراه من كثرة المعبودات فجميعها رمز يرجع إليه وحده بمعنى أنها تدل على ذاته العلية وصفاته الأزلية، وهذا هو اعتقاد كهنة مصر كما هو مدون في كتبهم المقدسة. أما شامبليون فيچاك المؤرخ فيؤكد على "أن المصريين كانوا أمة موحدة لا تعبد إلا الله ولا تشرك به شيئاً غير أنهم أظهروا صفاته العلية إلى العيان مشخصة في بعض المحسوسات وأنهم لما غرقوا في باب التوحيد علموا أبدية الروح وأيقنوا بالحساب والعقاب.." (راجع حضرة أحمد أفندي نجيب: الأثر الجليل لقدماء وادي النيل).



أخناتون في أثناء العبادة

وما يمكننا أن ننتهي إليه هو تغلغل وتجذر الشعور الديني القوي عند المصري قديماً..

جـ- مكانة الأخلاق في مصر القديمة

لا شك أن لكل حضارة قيماً وأخلاقًا من إفراز بيئتها، تعكس جوهرها. فلكل حضارة نسق من القيم يميزها عن كل حضارة سواها.

المحاكمة في الآخرة عند الفراعنة

كان ثمة اهتمام كبير بالضمير الأخلاقي في مصر القديمة، والسلوك طبقًا له، والتصرف بمقتضاه. "فكان شعارهم الأساسي الذي رفعوه طوال عصورهم هو التصرف وفقاً للعدالة والنظام" (د. مصطفى النشار: مجلة الجمعية الفلسفية العدد الأول). ويظهر ذلك جليًا في المحاكمة التي يعقدها اثنان وأربعون إلهًا (على أساس إله يمثل كل إقليم من أقاليم مصر)، وعلى المتوفي أن يثبت أنه لم يرتكب في حياته إثمًا قط.. وتنعقد المحاكمة برئاسة أوزيريس-حيث ينتظر المتوفي أمام ميزان ضخم ويقف بجواره "تحوت" و "الملتهمة الكبرى" وهي حيوان خرافي، مكون من نصف أسد ونصف تمساح، ويمثل قلب المتوفي بإناء صغير يوضع على إحدى كفتي الميزان. أما الكفة الأخرى فيوضع عليها صورة الإلهة "ماعت" جالسة فوق سلة. فإذا مال ذراع الميزان من أحد جانبي اللسان، قضي على المتوفي وسلم إلى "الملتهمة الكبرى". أما إذا خرج منتصراً من عملية "وزن القلب" فيقف في حضرة "أوزيريس" الذي يستقبله ليضمه إلى الأبرار. (نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة).

والمطلوب من المتوفي في تلك المحاكمة أن يثبت أنه قام بمهمته في الدنيا خير قيام. أي لا يكون قد أهمل في واجباته أو عرَّض المجتمع للمخاطر بأي شكل من الأشكال وذلك من خلال ما يعرف "بإعلان البراءة". وعلى هذا الأساس قامت أخلاق المجتمع:

"إني لم أكن جائراً على بشر.

إني لم أعامل الناس بالسوء.

إني لم أرتكب خطيئة في "مكان الحق".

إني لم أحاول معرفة ما لا ينبغي معرفته.

إني لم آت شراً.

إني لم أستهل يومي بالحصول على عمولة من جانب من يعملون لحسابي، ولم يصل اسمي إلى وظيفة رئيس عبيد.

إني لم أسب الإله.

إني لم أسلب إنساناً ممتلكاته.

إني لم أرتكب ما يمقته الآلهة.

إني لم أتسبب في ألم.

إني لم أترك شخصاً يتضور جوعاً.

إني لم أدفع شخصاً إلى البكاء.

إني لم أقتل.

إني لم آمر بالقتل.

إني لم أتسبب في تعاسة شخص.

إني لم أنتقص من تقدمات المعابد الغذائية.

إني لم أدنس خبز الآلهة.

إني لم أغتصب قرابين الأبرار.

إني لم أرتكب لواطاً.

إني لم أزنِ في الأماكن المقدسة لإله مدينتي.

إني لم أقتطع من المكيال.

إني لم أغش في الأراضي.

إني لم أطفف الميزان.

إني لم أغش الموازين.

إني لم أغتصب اللبن من فم الرضيع.

إني لم أحرم الماشية من مرعاها.

إني لم أنصب الشباك لطيور الآلهة.

إني لم أصطد سمكاً من بحيراتهم.

إني لم أحبس الماء زمن الفيضان.

إني لم أضع سداً أمام المياه المتدفقة.

إني لم أطفيء ناراً متأججة.

إني لم أبطل الأيام المخصصة لتقدمات من لحم.

إني لم أبعد القطعان المخصصة لطعام الآلهة.

إني لم أعترض طريق الإله عند خروجه في موكبه.

(نيقولا جريمال -تاريخ مصر القديمة ص ١٩٣- ١٩٥).

لقد اشتهر بتاح حوتب بحكمه وتعاليمه الأخلاقية، وهو يعد أول كاتب أخلاقي في تلك العصور. وفي تقدير برستد أنه عاش في نحو عام ٢٧٠٠ ق.م. أو في نحو عام ٢٥٠٠ ق.م. في تقدير إرمان، ويتفق مع الأخير في الرأي جريمال الذي يرى أنه جاء مع حلول الأسرة الخامسة. وكان يعمل كبيراً للوزراء في عصر الملك أسيسي (من ملوك الأسرة الخامسة).

وترجع قصة هذه التعاليم، إلى أن الوزير شعر بتقدمه في العمر، فطلب من الملك أن يسمح له

بتعليم ابنه ليكون قادراً من بعده على حمل أعباء المسئوليات الحكومية.. وكان أن وافق الملك.. فظهر الكتاب الذي يحمل عنوان "مخطوط الحكمة" أو "الحكم والنصائح". وأصبح الكتاب في عهد الدولة القديمة وما بعده معيناً للحكم والتعليم، وجعلوا منه أساسًا لأصول التربية والسلوك (راجع د. مصطفى النشار: مرجع سابق).

احتوى مخطوط الكتاب على ثلاث وأربعين أو أربع وأربعين لوحة.. وتُعرف ببردية بريس Papyrus prisse. وفيها يقدم آراءه في المعرفة والفضيلة السياسية، والخطابة والجدل والأخلاق. ويقدم لابنه النصح بأن يكون متواضعًا وألاّ يتعالى على الآخرين بسبب المعرفة فيقول: "لا تكن متكبراً بسبب معرفتك ولا تثق بأنك رجل عالم، فشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها وليس هناك عالم يسيطر على فنه تماماً. وأن الكلام الحسن أكثر احتفاءً من الحجر الأخضر الكريم. ومع ذلك تجده مع الإماء اللائي على أحجار الطواحين".

كما يقدم له نصيحة فيما يتعلق بمعاملته لزوجته.. وهي توضح التقدير الرفيع الذي كان المصري القديم يقدره للزوجة إذ قال: "إذا تزوجت امرأة فلا تعنفها بل دعها منشرحة الصدر أكثر من نساء بلدها، فإنها تستقيم كثيراً إذا كان الحبل لها ليِّنا. ولا تنفرها، بل قدم لها ما تستحسنه إذ بسرورها تدبر الأمور". (المرجع السابق).

ظهور اللغة القبطية

اخترع المصريون القدماء الكتابة والقراءة منذ خمسة آلاف سنة، وقد سجل بعد ذلك بنحو ألف سنة كُتَّاب الأسرة الخامسة أسماء ملوك الوجه البحري وبعض ملوك الوجه القبلي ممن يرجع تاريخهم إلى ما قبل عصر الأسر. ونسخوا أيضاً عدة نصوص دينية من كتاب الموتى. (برستد: مرجع سابق).



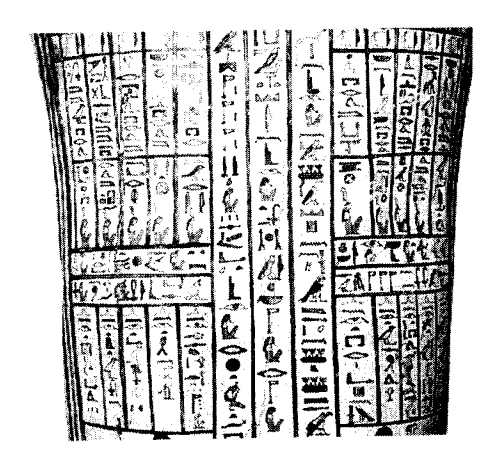
كاتب مصري يجلس القرفصاء

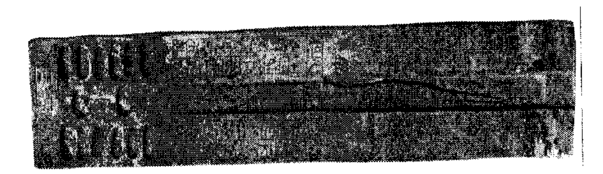
كان لاختراع الكتابة أثره في نشر العلوم والآداب في العالم القديم، حيث كانت الكتابة تتم على ورق البردي "ونحن نعرف أنه منذ الأسرة الرابعة.. وقد عرف المصريون التخصص في فروعه، فكان هناك أطباء متخصصون بالعيون وآخرون مختصون بالأمراض الباطنية. كما استطاع أطباء الأسنان أن يقوموا بإجراء بعض

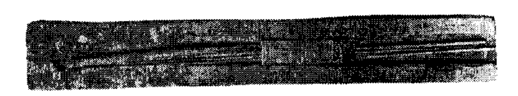
العمليات الدقيقة في الأسنان. وكان لاختراع المصريين لورق البردي واستخدامه في الكتابة أثر كبير في تقدم العلوم إذ حرص المصريون منذ الدولة القديمة على عمل نسخ من المؤلفات الهامة في مختلف العلوم والاحتفاظ بها، فضلاً عن استخدامه في رسائلهم وأعمالهم الإدارية" (راجع د. أحمد فخري: مصر الفرعونية).

ثمة مراحل مؤثرة في تاريخ الحضارة القديمة، ومنها ما يتصل بالكلام والكتابة. فاستخدام الأصوات الواضحة يسَّر الاتصال بين الناس وبعضهم البعض حيث تبادلوا الأفكار وعبَّروا عن الرغبات والاستفسارات. وكانت الكتابة التي قامت على الأساس نفسه بديلاً مرئياً للعلامات المسموعة، وهكذا وسَّعت الكتابة من نطاق اتصالات الإنسان في المكان والزمان. (سير ألن جاردنر: مصر الفراعنة).

كان ثمة اتصال مرئي استخدم فيه زخارف الأواني والأشياء الأخرى الجاري استعمالها والتي تتضح على نحو أفضل فيما استخدموه من صور الناس والحيوانات والمراكب. وقد بدأت الكتابة عندما أضيفت علامات مرئية أجبرت تمامًا على الترجمة إلى أصوات اللغة. ويرى سير ألن جاردنر أن ظهور الهيروغليفية -كما تسمى العلامات الصغيرة- يرجع إلى أن هناك الكثير مما أراد الناس أن ينقلوه كالأعداد وأسماء الأعلام والمظاهر العقلية، ولكن لم يكن ممكنًا إظهاره مرئيًا. (المرجع السابق).







كتابة هيروغليفية من عصر الأسرة الليبية (الأسرتين ٢٢، ٢٣) في القرن الثامن قبل الميلاد

ظهرت ثلاثة أنواع مختلفة من الكتابة المصرية ليس قبل ظهور المسيحية بكثير. وهي الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية، وكان لكل منها استخداماتها حيث تبودل استخدامها في أغراض شتى. ويشير القديس كليمندس السكندري إلى

معنى كلمة هيروغليفية في كتابه: (Rec Trav 33:8) وهي تعني حرفياً النقوش المقدسة حيث استخدمت في العصور المتأخرة كلية -في غالب الأمر- في النقوش المحفورة على جدران المعابد. ومازلنا نطلقها على كل الكتابة المصرية التي تتكون من

هيروغليفية

هيراطيقية

ديموطيقية

الأنواع الثلاثة للكتابة في مصر القديمة
(ص ٣٤ مصر الفراعنة)

صور. أما الهيراطيقية فهي اختزال للخط الهيروغليفي، وهي قديمة قدم الهيروغليفية، وتطلق على أسلوب الكتابة الذي يمارسه الكتَّاب من الكهنة في كتبهم المقدسة. إلاَّ أن استخدام هذا الاصطلاح انسحب أيضاً على أنواع من الاختزالات في الكتابة ويغلب عليها التشبيك.. وكان اتجاه الكتابة عادة من اليمين إلى الشمال. أما النوع الثالث فهو الذي أطلق عليه هيرودوت ديموطيقي (أي شعبي) بينما يسميه القديس كليمندس "ابيستولوجرافي" (أي كتابة الخطابات) وهي التي تظهر على حجر رشيد وتسمى "انكوريال" (أي وطني)، وهي تطور للهيراطيقية وذلك نحو سنة ٧٠٠ ق. م. وبمقابل الميزات الكثيرة التي تقدمها، فإنها في الوقت ذاته تتطلب دراسة متخصصة متعمقة. وكانت هي الشائعة في الحياة اليومية في العصر البطلمي والعصور الرومانية، وكانت توصف بأنها غير دينية (سير ألن جاردنر: مصر الفراعنة).

وعندما أشرقت شمس المسيحية في مصر.. بدأت الديانة المصرية القديمة في الغروب والأفول.. وظهرت الحاجة ماسة إلى وسيط -كما يقول سير ألن جاردنر- أكثر سهولة لفهم ترجمة الكتاب المقدس، وكان هذا هو سبب ظهور اللغة القبطية كآخر مظهر للغة المصرية. وكانت تكتب بحروف يونانية إلى جانب بعض حروف قليلة من الديموطيقية. (المرجع السابق).

وقد ظهرت الكتابة القبطية باستخدام الأبجدية اليونانية، بعد دخول اليونانيين البطالمة إلى مصر بإضافة سبعة حروف من الديموطيقية لتمثيل الأصوات القبطية التي لا يوجد ما يمثلها في الحروف اليونانية.. والكتابة القبطية هي الوحيدة - بين صور الكتابة المصرية- التي تسجل الحروف المتحركة، فتعطينا فكرة دقيقة من طبيعة نطق الكلمات المصرية. وبالتالي فإنها توضح اللهجة

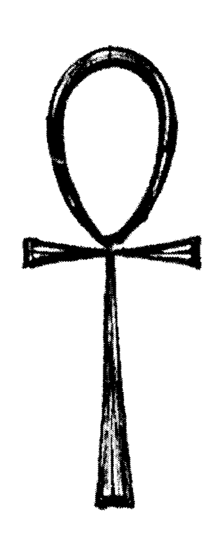
المكتوبة بها.. (تاريخ اللغة القبطية والتحدث بها: القس شنوده ماهر اسحق).

هـ- الأسباب التي أدت إلى سرعة قبول المسيحية

عُرف المصري قديماً بعقليته المتدينة بالطبيعة والتنشئة. فتبجيله العظيم للآلهة في الأساطير القديمة لا يباريه سوى تبجيل الله عند المسيحيين والمسلمين في العصور التالية. وكانت لديه رغبة في المعرفة الدينية قادته إلى الإعلان عن الكثير من الأمور ذات الدلالات الدينية الهامة. ويبدو ذلك واضحاً في الفترة الانتقالية بين معتقدات الديانة القديمة والمسيحية. إن تآلفه على الأفكار الرئيسية في الديانة القديمة قد أعدَّ ذهنه لقبوله عقيدة الآخر بدون صعوبة كبيرة أو ألم روحي (د. عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية).

وعلى سبيل المثال فمسألة الحياة بعد الموت، مسألة لها أهميتها في التعليم المسيحي، فقد كانت هي لُب وجوهر الفكر المصري قديمًا، وفي الحقيقة كانت عنصراً جوهرياً في تنمية الحضارة المصرية.

ولهذا السبب برع المصريون في الرسم وصناعة التماثيل. فتميزوا ببناء المقابر، الأهرامات، والمعابد باهتمام شديد وبنيت بقوة وصلابة لتواجه أهوال الزمن.



مفتاح الحياة لعنخ

لقد أدى انحطاط نوعية الأساطير القديمة في العصر المصري المتأخر بالإضافة إلى تزايد الخرافات والسحر والتنجيم إلى ضعف الديانة المصرية القديمة. وكان لليونانيين دور في الديانة المصرية القديمة. فقد قاموا بجهد من أجل توحيد الشرق بالغرب تحت حكمهم. فقد حاول البطالسة إعادة صياغة الديانة القديمة إلى نموذج مشترك يقبله كل من اليونانيين والمصريين. وكان ذلك من خلال مراحل طويلة ومعقدة للتوفيق بين كثير من العناصر الجوهرية لكل منهما. والمثال الذي نضربه على ذلك هو الإله الجديد سيرابيس وهو مركب من الإلهين أوزيريس وأبيس، وكانت العبادة تقام في المعابد التي تسمى سيرابيوم (Serapium)، واسمها

مستمد من اسم الإله سيرابيس. وفي نفس الوقت كان سيرابيس يتحد أو ينسب لآلهة اليونان زيوس وبلوتو. وبين محاولة جعل مصر هيلِّينستية واليونان شرقية، ضل العقل وارتبك فأين يجد الإيمان الحقيقي.

وقد اقترن بهذا الفوران الديني اليأس والفقر المدقع لمصر تحت حكم الرومان. حيث أصبحت مصر مخزن القمح الرئيسي لروما. كانت الحياة بلا هدف أو طعم. وكان المستقبل الهانيء والعزاء الروحي في العالم الآخر فحسب. وقد كانت وعود المسيحية في ذلك واسعة. وهكذا، كان مسرح التاريخ معداًّ للمسيحية، التي انتشرت بسرعة كبيرة، في أنحاء الدلتا. (د. عزيز سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية).

الباب الأول　　　الفصل الثاني

دور الإسكندرية في العالم القديم

أ- تمهيد

ب- الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للإسكندرية

جـ- مدرسة الإسكندرية اليونانية

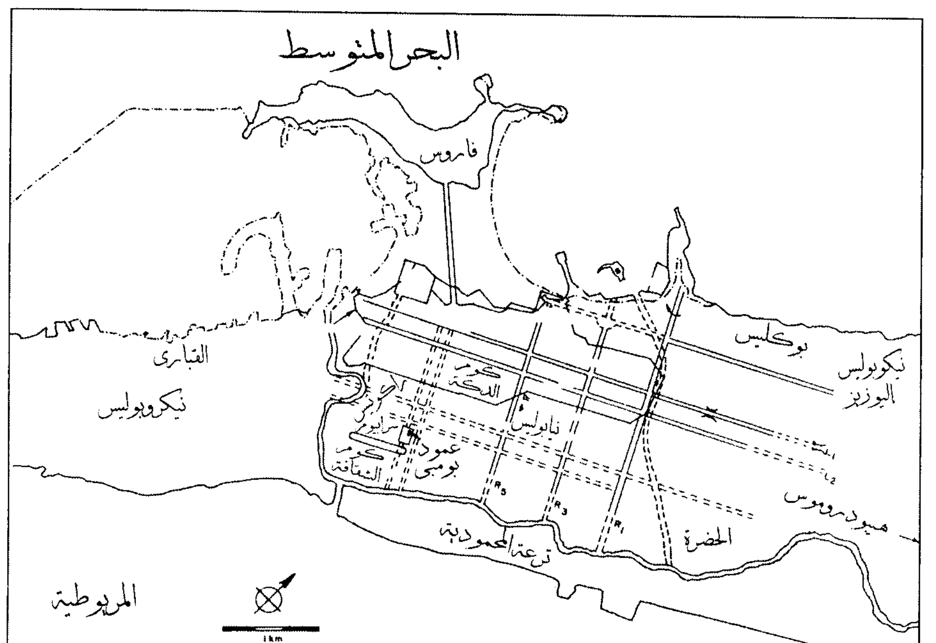
د- مدرسة الإسكندرية للاهوت

الإسكندرية

أ- تمهيد

كان للإسكندر الأكبر الفضل الأعظم في انتشار الحضارة اليونانية، على نحو مؤثر في البلاد التي قام بفتحها وتأسيسها بكيفية لم تحدث من قبل. وكان لانتشار اللغة اليونانية عظيم الأثر في نشر الإنجيل في تلك البلاد.

والإسكندرية التي تقع عند نهاية فرع نهر نيل الدلتا الغربي قد أسَّسها الإسكندر في سنة ٣٣١ ق.م. ويقال إنه استلهم موقع الإسكندرية من أبيات هوميروس هذه التي



خريطة لمدينة الإسكندرية في عصورها المتأخرة

وردت في "الإلياذة"، التي كان دائم الاطلاع عليها لاسيَّما قبل فتوحاته:

وسط البحار العظيمة التي تسبح مصر فيها قامت جزيرة فاروس، ذائعة الصيت.

وكان الإسكندر قد توقف عند جزيرة فاروس (Pharos) وهي المنطقة الممتدة حالياً من قايتباي إلى رأس التين وتقع غربي الدلتا، وأدرك ما لهذا الموقع من أهمية استراتيجية فقرر أن يبني المدينة التي تحمل اسمه في الموقع المقابل لجزيرة فاروس وهي قرية راقودة. وكان الإسكندر قد أسَّس ١٧ (سبع عشرة) وبعض المراجع تذكر ٧٠ (سبعين) مدينةً تحمل اسمه (ويرجح الرقم الأول)، ولم يتبق منها سوى إسكندرية -مصر. وقد عهد بتخطيط المدينة إلى المهندس المعماري المشهور دينوقراتيس الرودسي، الذي اشتهر ببناء هيكل ديانا (أرطاميس) المعروف. (عزيز سوريال عطية: تاريخ الكنيسة الشرقية، د. نجيب بلدي: تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها).

تميزت الإسكندرية بتخطيطها الجيد، فشوارعها المتوازية طولاً، والمتوازية عرضاً، تصبح في النهاية مثل رقعة الشطرنج، ويبلغ طولها ٤و٦ كيلو متراً وعرضها ٢-٣ كيلومتر. وكان ثمة شارعان رئيسيان وهما المعروفان الآن بشارع فؤاد وشارع النبي دانيال، ويقعان في قلب الحياة التجارية والثقافية والسياسية في المدينة حالياً. (موسوعة Lexicon).

وجد الإسكندر أن ربط جزيرة فاروس بالشاطيء عن طريق مد جسر -ويبلغ طوله نحو ألف وثلاثمائة متر- يؤدي إلى وجود ميناءين طبيعيين، وهما الميناء الشرقي (الميناء الكبير)، والميناء الغربي (ميناء يونوستوس) وهو الذي يعمل حالياً. وجزيرة فاروس دعيت كذلك، بعد بناء منارة الإسكندرية الشهيرة، في عهد بطليموس فيلادلفيوس في نحو عام ٢٧٠ ق.م.



الإسكندر الأكبر

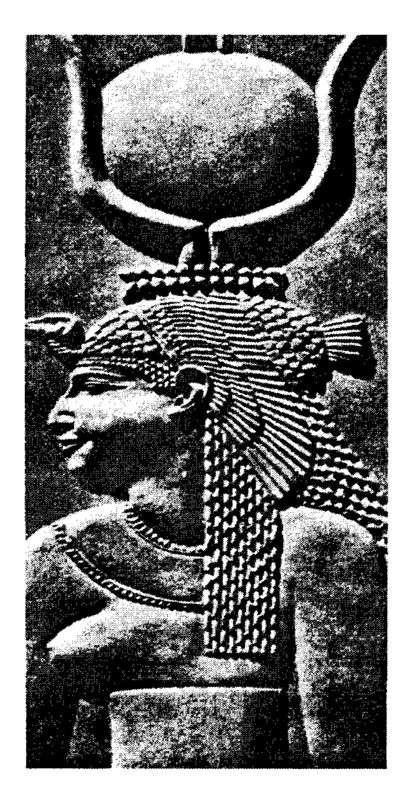
بعد أن أصدر الإسكندر أوامره بالبدء في بناء مدينة الإسكندرية التي تحمل اسمه، بعد اختيار موقعها، شدَّ رحاله في رحلة دينية، حيث ذهب لزيارة معبد آمون-رع في واحة سيوة. وبعدها مضى مباشرة في تنفيذ خططه

وفتوحاته: فذهب إلى فلسطين وسوريا، ثم استقر في بابل، حيث توفى هناك على أثر حمى شديدة ألمت به في سنة ٣٢٣ ق.م. قبل أن يبدأ بناء الإسكندرية. أما من بنى الإسكندرية فهو بطليموس الأول، أحد قادة جيشه.

سرعان ما حلَّت الإسكندرية محل "منف" عاصمةً لمصر ولإمبراطورية البطالسة. وهكذا احتلت الإسكندرية مكانةً بارزة في العالم اليوناني، وعالم شرق البحر المتوسط. فأصبحت الإسكندرية مركزًا من مراكز الثقافة اليونانية وجذبت كثيرين من الشعراء والعلماء وأساطين الفكر والفلسفة في ذلك الوقت.

وقد لعبت الإسكندرية دورًا اقتصاديًا وتجاريًا هامًا، فكانت البضائع تأتي من بلاد العرب. وبلاد الهند عن طريق البحر الأحمر، وكذلك المنتجات والبضائع من جنوبي مصر من خلال نهر النيل (والفرع الكانوبي الغربي) إلى بحيرة مريوط، ثم إلى الإسكندرية، وعن طريقها إلى دول البحر المتوسط.

بعد أن بلغت الإسكندرية شأوًا عظيمًا وأصبحت مدينة ذات شهرة واسعة في تلك المنطقة، تخلت عن مكانتها هذه للامبراطورية الرومانية بانتصار أوكتافيوس (أوغسطس قيصر فيما بعد) على أنطونيوس وقتله في معركة أكتيوم وموت كليوباترا في سنة ٣٠ق.م. حيث أصبحت



كليوباترا

مصر تابعة للامبراطورية الرومانية، وأصبحت الإسكندرية عاصمةً لها، وقد ظلت الثقافة اليونانية هي الثقافة السائدة والتي تميز شخصيتها.

وأصبحت الإسكندرية في عصر روما في موقع متوسط بين الشرق والغرب، لا للتنقل التجاري فحسب، بل للتحول المعنوي الروحي، بين رغبات النفس العميقة بوجه عام. وتاريخ الإسكندر ذاته يدل على ذلك القلق، وقد حاولت مدارس الإسكندرية أن تقضي عليه أو تهدئه، قبل أفلاطون.

(راجع د. نجيب بلدي. تمهيد لتاريخ مدينة الإسكندرية وفلسفتها).

ب- الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للإسكندرية

كان للإسكندرية في عصر الرومان قوانينها الخاصة ومواطنتها الخاصة، التي ميزت المواطنين اليونانيين أو الهيلّينيستيين لا عن المصريين الذين يعيشون فيها وفي القرى فحسب ولكن أيضاً عن اليهود الذين كانوا يقيمون فيها. وكانت النزاعات التي تحدث بين المواطنين السكندريين واليهود بسبب الموقف الدستوري لليهود وحقوقهم المدنية مصدراً للصراعات العنيفة التي وصلت إلى حد الحرب الأهلية في القرنين الأول والثاني (وبصفة خاصة -التمرد الذي قام به اليهود بين عامي ١١٥-١١٧م). وحيث كانت مكاناً لالتقاء الشعوب وملتقًى للبضائع. كان في الإسكندرية العديد من الجنسيات، فضلاً عن المهاجرين من اليونان ومناطق الشرق الأوسط. وبينهم استوطن كثيرون من اليهود في الإسكندرية منذ الفترة الهيلّينستية*، وكانت ثمة تجمعات للمصريين تمركزوا في القرية القديمة راقودة، التي أصبحت القسم الهام في المدينة حول معبد السيرابيوم. بالإضافة إلى أن التدفق المستمر للمصريين الأصليين من القرى، أثار قلق الحكومة الرومانية التي شعرت بأن أولئك الوافدين يشكلون تهديداً للشخصية اليونانية للإسكندرية، وهكذا طردتهم الحكومة الرومانية مؤقتًا.

لعبت الإسكندرية دورًا هامًا في استضافة العديدين من الأجانب الذين وجدوا فيها فرصةً كبيرةً للتجارة والصناعة، والعديد من الأنشطة. وفي تلك العاصمة الشرقية كانت تتردد العديد من اللغات الأجنبية، ولكن اليونانية كانت هي الغالبة في المعاملات الرسمية، كما في شئون الحياة اليومية، منذ عصر الإسكندر الأكبر، وحتى دخول العرب (وربما بعد ذلك) واختلط اليونانيون بالمصريين، واليهود بالعرب، وأناس من أفريقيا السمراء وأواسط آسيا، والهند، والصين، وقد أطلق الغرب العديد من الشائعات تدَّعي أن الإسكندرية مدينة اللهو والتمرد، وكان الملوك والأباطرة المتعصبون ضد المصريين يجدون في المسرح وحلبة السباق متنفساً عمًا في أعماقهم من غضب أو انفعال! وكان السكندريون مولعين بالموسيقى والسيرك. وتفجرت عديد من التوترات. والمذبحة التي قام بها الامبراطور كاراكالاَّ في الإسكندرية، وطرده للمصريين منها يوضحان

* (للمزيد من المعلومات عن المجتمع اليهودي في الإسكندرية يرجى العودة إلى الجزء الأول من الموسوعة بند (ب) **اليهودية والهيلّينية** وبند **فيلو** والثقافة **اليهودية الهيلّينستية** الصفحات ٣-٦ في الجزء الأول من الموسوعة. وفي هذا الجزء إلى الترجمة السبعينية بند جـ- مدرسة الإسكندرية اليونانية وبند أ- نشأة المسيحية: في الإسكندرية فقرة ٦).

مقدار الواقع المأساوي الذي واجهه المصريون آنذاك.

وظلت العداوة قائمة حتى عصر البيزنطيين، وقد حدثت مصادمات عنيفة بين المسيحيين والوثنيين (إثر هدم معبد السرابيوم في عام ٣٩١م، وقتل الفيلسوفة الوثنية هيباشيا في عام ٤١٥م). كما حدثت نزاعات بين المسيحيين من طوائف مختلفة (الأرثوذكس في مواجهتهم للأريوسيين وأتباع ميليتان، وبين المعتقدين بأن للسيد المسيح طبيعة واحدة والمعتقدين بأن للسيد المسيح طبيعتين).

وقد شهدت الإسكندرية مقتل الكثيرين، وكذلك دمرت كثير من المباني العامة و الخاصة أثناء الشغب والحروب التي حدثت في القرنين الثاني والثالث. وعلى سبيل المثال نذكر أن الربع المسمى بروكيون في مدينة الإسكندرية قد ضربه اليهود في أثناء التمرد الذي قاموا به فيما بين عامي ١١٥- ١١٧م.

كان لزامًا على الإسكندرية أن تسهم بقدر كبير في إمداد روما بالغذاء خلال القرون الثلاثة الأولى في عهد المسيحية، وكذلك كان عليها أن تخضع للقسطنطينية عندما أصبحت المدينة التي يقع فيها كرسي الامبراطورية الرومانية الشرقية. وكانت تُحوَّل إليها المنتجات والضرائب. وإنه لمن المرجح أن الإسكندرية في ذلك الوقت ظلت هي المدينة الأكثر أهمية اقتصاديًا في عالم البحر المتوسط والذي لم يكن قد أصابه الانقسام بعد. (د. عزيز سوريال: مرجع سابق).

اجتمعت عناصر عديدة لخدمة عاصمة مصر. إذ توفرت قوة عمل كبيرة من مختلف التخصصات وعلى أعلى مستوى، وكذلك توفرت خدمات النقل، التي لها أهميتها البالغة في مدينة تجارية. وكانت تدار بمعرفة اتحاد من أصحاب السفن. وكذلك عرفت صناعات نسج الكتان، وورق البردي، والزجاج. أما صناعة العطور، والحُلِّي والعقاقير، فكانت من الصناعات التقليدية التي تعرف بها الإسكندرية. وكانت لا تزال منتشرة وعلى نطاق واسع في الحقبة البيزنطية.

واستمرت التجارة في ازدهارها مع دول حوض البحر المتوسط، ومع دول الشرق الأوسط والأقصى. وكان يتم نقل البضائع عن طريق الموانيء المصرية على البحر الأحمر لا سيما ميناء القُصير وتنقل عن طريق الصحراء الشرقية إلى مدينة "قفط" على النيل ثم بالسفن إلى البحر المتوسط. وكان لمدينة "قفط" دور هام في القرن الثالث إذ جذبت كثيرين من الأجانب، وكانوا لا يعملون بالتجارة فحسب، وإنما كانوا يقومون أيضًا بنشر معتقدات جديدة، وهي المعروفة "بالمانوية" (راجع الباب الخاص بالهرطقات في الجزء الأول من هذه الموسوعة).

اتساع نفوذ كنيسة الإسكندرية

كان للدور الهام الذي قامت به مصر في تدعيم القسطنطينية ودعم جيوشها، أثره الهام على العاصمة ومن ثم على كنيسة الإسكندرية، فقد مُنح بطريرك الإسكندرية حرية كبيرة فيما يتعلق بشئون الكنيسة والسياسة بشكل عام. وكان للكنيسة نفوذ على الجماعات المهنية في الإسكندرية. وإذ أصبحت الغالبية العظمى من سكان الإسكندرية من المسيحيين بحلول النصف الثاني من القرن الرابع، مما مكَّنها من مواجهة الهرطقات التي ظهرت آنذاك مثل الأريوسية. وفي القرون التالية، فإن الكنيسة- إلى جانب كونها المؤسسة السياسية والاجتماعية الأكثر نفوذاً أصبحت أيضاً مؤسسة اقتصادية قوية، تكدس الممتلكات وتجذب الثروات وتدير مشروعاتها بنفسها. (د. عزيز سوريال- مرجع سابق).

كادت أن تحدث مشكلة بسبب عدم قدرة عامة المصريين في القرى على تسديد الضرائب المفروضة عليهم، في أواخر الحكم الروماني. فهرب كثيرون منهم إلى الإسكندرية، هذا بالإضافة إلى أن كثيرين من البحَّارة والعاملين في أحواض السفن كانوا لا يعملون في أوقات الشتاء حيث تتوقف الملاحة في البحر المتوسط. ومن هنا نشأ عداء شديد بين الجموع الفقيرة التي بلا عمل، والأعضاء الأثرياء في مجلس مدينة الإسكندرية، الذين كانوا يديرون الإدارة المحلية. وكان من شأن هذا أن يفجر موجات من الصراع العنيف تعبيراً عن الغضب والإحباط، ولا سيما وأن الصراع الديني كان يغذي تلك التوترات الاجتماعية- الاقتصادية، مثلما حدث في القرن الرابع، حيث كان الوثنيون لا يزالون بأعداد كبيرة.

يذكر التاريخ تلك الممارسات الرهيبة التي مارسها الوثنيون في الإسكندرية ضد المسيحيين. فيذكر الكاتب أميانوس مارسيلينوس (Ammianus Marcelinus) الحال الذي كانت عليه مصر بعد موت قسطنطيوس أو (قنسطانطيوس) الثاني في سنة ٣٦٢م. فيذكر عدداً من الحوادث التي تم فيها تنفيذ حكم الإعدام بدون محاكمة، حيث قامت جموع الوثنيين بقتل جورجيوس الأسقف الأريوسي لأنه استنكر فعلاً قام به أحد مواطني قسطنطيوس، ولأنه أبدى أيضاً ملاحظات تحمل معنى الإهانة لمعبد چينيوس (معبد أجاثودايمون، أو ربما معبد السيرابيوم). وكذلك أُعدم دراكونتيوس، لأنه هدم مذبحاً للأوثان في دار سك العملة بالإسكندرية، وأُعدم ديودروس، الذي كان يشرف على بناء إحدى الكنائس، ولكنه قام بقص خصلات شعر الأولاد "وكان يعتقد أن لهذا علاقة أيضاً بعبادة الأوثان" (كما ذكر أميانوس). ثم بعد أن قامت الجموع بإعدام جورجيوس ودراكونتيوس وديودورس، قام الغوغاء من الوثنيين بحرق جثثهم وإلقاء الرماد في البحر، حتى يحولوا -بحسب ما

يقوله أميانوس- دون جمع الجثث وإقامة نُصُب تذكارية، كتلك التي أقيمت للشهداء في الماضي. وقد عَبَّر الامبراطور يوليانوس عن استيائه البالغ من القانون الشعبي الذي يقضي بالإعدام دون محاكمة قانونية، برغم أنه كان غير متعاطف على الإطلاق مع جورجيوس، إلا أنه تراجع عن معاقبة مرتكبي تلك الجرائم. (موسوعة الكنيسة الأولى: مرجع سابق).

وفي عصر روماني لاحق، كانت الإسكندرية لا تزال تتمتع بشهرتها الثقافية، وكانت مركزًا للعلم. وأكد أميانوس في وصفه للإسكندرية في القرن الرابع على أهمية الفنون والرياضيات، والموسيقى، والطب. وفي النصف الثاني من القرن الرابع كان المتحف لا يزال موجوداً، أما المكتبة الشهيرة فقد سبق لها أن عانت من عمليات تخريب متتالية. ويبدو أنها لم تسترجع على الإطلاق أهميتها السابقة. ومع ذلك فقد كان التعليم والبحث والنشاط الأدبي لا تزال مزدهرة في أواخر العصر الروماني.

ويوجد وصف جيد لمدينة الإسكندرية للجغرافي والمؤرخ اليوناني سترابون (سترابو) Strabo، وقد زار مصر في سنتي ٢٥-٢٤ ق.م. وكان بصحبة إيليوس جالوس (Aelius Gallus) حاكم مصر آنذاك. ولكن كثيراً من الملامح التي وصف بها سترابو الإسكندرية، قد اختفت في عصر دقلديانوس (٢٨٤- ٣٠٥م). وذلك نتيجة لمرور الزمن، وللمباني الجديدة التي تم إنشاؤها. وكذلك نتيجة لما اعتراها من هدم بفعل الكوارث الطبيعية والحروب، ولاسيما في القرن الثالث. (د. عزيز سوريال- الموسوعة القبطية).

وكثير من آثار تلك الفترة يعرضها المتحف اليوناني- الروماني بالإسكندرية (حاليًا). وبعد الفتح العربي في نحو سنة ٦٤٢م أخذ الوهن يدب في أوصالها، وبدأت المدينة تتهدم. وبعد أن أصبحت الفسطاط- القاهرة عاصمة لمصر بدلاً من الإسكندرية في نحو سنة ٩٦٩م ضعفت قيمتها. وقد تهدمت منارتها الشهيرة في سنة ١٣٢٤م بفعل زلزال قوي ضرب الجزيرة. أما المنارة الجديدة فتقع في رأس التين، وتشرف على الميناء الغربي. وباكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في نحو عام ١٥٠٠م تكون قد اكتملت عناصر ضعف المدينة. وقد عادت للمدينة مكانتها مرة أخرى نظراً لأهميتها التجارية، في القرن التاسع عشر.

وقد أدَّى بناء المباني الحديثة في القرن التاسع عشر إلى تهدم جانب من المدينة القديمة، واختفاء أجزاء منها، بينما يقع جانب منها تحت مياه البحر المتوسط. ولم يتبق من الآثار القديمة بالمدينة سوى عمود بومباي (عمود السواري والذي أنشيء في عهد دقلديانوس نحو سنة ٢٩٩م).

أهم معالم الإسكندرية قديماً

١- معبد سيرابيس

٢- معبد بوسيدون (إله البحر)

٣- ضريح الإسكندر الأكبر والبطالسة (غير معروف)

٤- المتحف (الموسيون أو الموسايون)

٥- المسرح

٦- سوق تجاري

٧- مكتبة الإسكندرية (أنشأها بطليموس الأول)

(موسوعة Lexicon)

جـ مدرسة الإسكندرية اليونانية

سبق القول إن بطليموس الأول هو الذي بنى الإسكندرية وفق الخطة التي أعدها الإسكندر الأكبر، الذي توفى قبل البدء في بنائها. وبناء المدن يتبعه إنشاء المدارس والجامعات، وهكذا أمر بطليموس الأول بإنشاء المتحف (Mousion أو Mousaion) أي معبد ربات المعرفة أو الفنون والعلوم (Mousai). وكلمة "متحف" هنا تعني "مدرسة" أو "معهد للعلوم" أو "أكاديمية" وأحياناً "جامعة"- وقد ألحق به معبد لتلك الربات، على غرار ما كان متبعاً في المدارس الفلسفية في اليونان. (د. نجيب بلدي: تمهيد لمدرسة الإسكندرية).

ربات الفنون التسع

وهن بنات الإله زيوس Zeus كبير آلهة اليونان والإلهة منيموزين Mnemosyne (إلهة الذاكرة أو الذكاء)، راعيات العلوم والفنون وهن: كليو Clio ربة التاريخ، وأورانيا Urania ربة الفلك، وترپسيخوري Terpsichore ربة الرقص، ويوتيرپي Euterpe ربة الموسيقى، وميلبومين Melpomene ربة التراچيديا، وإيراتو Erato ربة شعر البكائيات والمراثي، وبوليمنيا Polyhymina ربة الأناشيد، وتاليا Thalia ربة الكوميديا، وكاليوبي Calliope ربة شعر الملاحم، أما الزعيم فهو أبوللو Apollo إله الغناء. (د. ثروت عكاشة- المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية، د. نبيل راغب- عصر الإسكندرية الذهبي).

أقام بطليموس إلى جوار "المتحف" مبنى آخر للمكتبة التي احتوت -في وقت لاحق- على ما لا يقل عن مائتي ألف من اللفائف، مما استدعى أن يقيم مكتبة أخرى هي مكتبة "السرابيون" والتي احتوت على لفائف قيِّمة ونادرة، وضمت ما لا يقل عن خمسين ألفاً منها. وعندما بلغت المدرسة أوج ازدهارها كانت تحتوي على نصف مليون من اللفائف. وأقام على المكتبتين مشرفين من رجال العلم البارزين في ذلك الوقت، وكان القائم على المكتبة أحد الكهنة- يقول سترابون الجغرافي والمؤرخ في نص شهير:

"المتحف جزء من القصور الملكية، وله ممر عمومي، ورواق فيه مقاعد، ودار متسعة بها مطعم

لعلماء المعهد، يعيش هؤلاء حياة مشتركة.. ويشرف على أمورهم وأمور المتحف كاهن يُعيِّنه الملك". (د. نجيب بلدي- مرجع سابق).

الترجمة السبعينية

وفي الإسكندرية تمت ترجمة العهد القديم من العبرية إلى اليونانية، وذلك بناء على طلب بطليموس الثاني فلادلفيوس (٢٨٥- ٢٤٧ق.م.) حسب التقليد المعروف، قام بالترجمة اثنان وسبعون من الأحبار (الشيوخ). وجاءوا لإتمام ذلك العمل بصفة خاصة في الإسكندرية.

غلب الطابع العلمي على الدراسات التي قامت في "المتحف" حيث كان مهداً لعلماء الفلك والعلوم الطبيعية والهندسة والطب والتشريح، وهكذا بدأت الدراسة علمية. واختصت المكتبة بالدراسات الإنسانية: "فنون اللغة والأدب والخطابة والنقد والشعر والفن والدين والتاريخ والجغرافيا، والفلسفة "إلاَّ أن الفلسفة دخلت "المتحف" -المكتبة الملحقة به- في وقت لا يمكن تحديده بالضبط. "وإنَّا نعرف على وجه الدقة أن الفلسفة في آخر القرن الميلادي الثالث كانت ممثلة بمدارسها الأربع: "الأفلاطونية والمشائية والرواقية والأبيقورية". "ويطلق عادةً على مدرسة الإسكندرية مدرسة الأفلاطونية الحديثة". (راجع د. نجيب بلدي: مرجع سابق).

تفوقت "مدرسة" الإسكندرية على نظائرها في اليونان مثل أكاديمية أرسطو أو أكاديمية أفلاطون، وكان من مظاهر ذلك انتقال العلماء من مختلف المجالات لاستكمال أبحاثهم ودراساتهم في مدرسة الإسكندرية.

د- مدرسة الإسكندرية للاهوت

بعد معرفتنا للحالة الثقافية والسياسية والاجتماعية التي كانت عليها مدينة الإسكندرية في العصر الأول للمسيحية، وبعد دراسة مدرسة الإسكندرية الوثنية والتي كان يغلب عليها الطابع الثقافي اليوناني.. ننتقل الآن لدراسة مدرسة الإسكندرية للاهوت..

بدخول المسيحية إلى مدينة الإسكندرية في أثناء الحكم الروماني.. احتكت احتكاكاً مباشراً بالثقافة اليونانية متمثلة في أعظم مدارسها: مدرسة الإسكندرية اليونانية.. ونتيجة لذلك نشأ الاهتمام بالمشاكل ذات الطبيعة الخالصة في ذاتها مما أدى إلى تأسيس مدرسة لاهوتية (كواستين- الجزء الأول).

ويرى ف. كوكشيني (F. Cocchini) أنه منذ أن انتشرت الكرازة الأولى بالمسيحية، كانت مهمة المجتمعات المسيحية إعداد المؤمنين الجدد بالتعليم الذي لا غنى عنه، والذي من شأنه في ذات الوقت أن يعمِّق ويوسِّع العناصر اللازمة لإعلان الكرازة. وهذا النوع من التعليم كان شفوياً، إذ لم يكن التعليم سوى صدًى للكلمة التي نطق بها الله..

وتوجد نماذج للتعليم الشفوي لا سيما في سفر أعمال الرسل، ورسائل بولس الرسول (موسوعة الكنيسة الأولى -الجزء الأول). أما كواستين فقد أورد الأسباب التي أدت إلى نشأة المدارس اللاهوتية إلى أنه كلما انتشرت المسيحية في العالم في ذلك الوقت، زاد الاحتياج إلى تفسير لتلك العقيدة الجديدة. وكلما زادت أعداد المؤمنين من المثقفين كان من الضروري تعليم أولئك المبتدئين عن البيئة الجديدة وتدريب معلمين لهذا الغرض، وهكذا نشأت مدارس الفكر اللاهوتي والعلوم المقدسة، وقد ظهرت أولاً في الشرق، حيث بدأت المسيحية وانتشرت، وكان أكثرها شهرة في الإسكندرية بمصر. (كواستن- مرجع سابق).

ويرى "شاف" أن نشأة تلك المدرسة كانت بغرض عملي وهو إعداد راغبي العماد فحسب، من اليهود والوثنيين على كل المستويات. وقد تحولت إلى كلية لاهوتية بفعل البيئة المحيطة، حيث فكر فيلو اللاهوتي، وبدعة الغنوسية، والفلسفة الأفلاطونية الحديثة- فلسفة مدرسة الإسكندرية- (شاف- الجزء الثاني). وقد تفوقت في المباحثات الميتافيزيقية للإيمان، والميل نحو فلسفة أفلاطون، والميل للتفسير المجازي للكتاب المقدس. (كواستن- مرجع سابق).

كان التعليم الشفوي قائمًا في الأساس على الإعلان الخاص بشخص السيد المسيح وحياته وارتبط ذلك بالعهد القديم- ونماذج ذلك كما سبق القول ترد واضحة في سفر أعمال الرسل ورسائل بولس الرسول. فهذا هو الأساس الذي قامت عليه الحياة المسيحية والليتورچيات والأخلاق وكل ما يتعلق بالمجتمع.. (ف. كوكشيني- موسوعة الكنيسة الأولى جـ١).

لقد استخدم الفلاسفة اليونانيون -لمدة طويلة- المنهج المجازي في تفسيرهم للأساطير التي نسجوها حول الآلهة، كما هي عليه في الأوديسة والإلياذة.. وقد وظَّف فيلو السكندري المجاز في تفسيره للكتاب المقدس. فاعتبر أن المعنى الحرفي للكتاب المقدس هو بمثابة الظل من الجسم. فالمعاني العميقة والمجازية تمثل الحقيقة. وقد تبنى مفكرو مدرسة الإسكندرية للاهوت هذا المنهج لاقتناعهم بأن التفسير الحرفي في أحوال عديدة ليس هو ما يتفق مع فكر الله. فبينما استخدمه كليمندس على نطاق واسع، فإن أوريجانوس جعل منه منهجًا. وبدون ذلك لم يكن للاهوتيين أو لمفسري الكتاب المقدس أي مساهمة لها دلالة. وقد ساهم المنهج الرمزي في حل المشاكل الهامة التي واجهت الكنيسة الأولى. فاستخدام الرمز في تفسير العهدين سبق أن أشار إليه بولس الرسول: "فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة. لكن الذي من الجارية وُلِد حسب الجسد وأما الذي من الحرة فبالموعد. وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر. لأن

هاجر جبل سيناء في العربية، ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة.. (غل ٤: ٢٤ و٢٥).

وكذلك يسوق مثالاً آخر، "فإنه مكتوب في ناموس موسى لا تكم ثوراً دارسًا. ألعل الله تهمه الثيران؟ أم يقول مطلقًا من أجلنا؟ إنه من أجلنا مكتوب". (١كو ٩:٩).

وقد أصبح التعليم اللاهوتي في عهد إيريناوس وترتليانوس أكثر منهجية، فقاما بشرح مراحل تاريخ الخلاص في شكل تعليمي، وقد توسعا في استخدام الرموز في تفسير عمل السيد المسيح وارتباطه بحقائق العهد القديم.

ويتكلم هيبوليتس عن تعليم يقوم به رجل متعلم لطالبي العماد لمدة ثلاث سنين. ويخبرنا يوسابيوس المؤرخ القيصري عن مدرسة الإسكندرية فيقول: "عُهِدَ إلى بنتينوس -وهو شخص بارز جداً بسبب علمه- إدارة مدرسة المؤمنين في الإسكندرية. إذ كانت قد أُنشئت بها منذ الأزمنة القديمة مدرسة للتعاليم المقدسة، ولازالت حتى يومنا هذا. وكان يديرها -كما وصل إلى علمنا- رجال في غاية المقدرة والغيرة نحو الإلهيات. وقيل إنه برز من بينهم في ذلك الوقت بنتينوس، لأنه تهذب بفلسفة الرواقيين (راجع القمص مرقس داود : مترجم- تاريخ الكنيسة: ٥: ١٠: ١).

لم يعين للمدرسة في البداية سوى معلم واحد ثم بعد ذلك معلمين أو أكثر، ولكن بدون راتب ثابت، حيث كان دخل الأستاذ يتوقف على المستوى الاجتماعي لطلاب العلم وما يدفعوه. ولم تكن ثمة مبانٍ خاصة للتدريس، فكان المدرسون يقومون بإلقاء الدروس في مساكنهم، على غرار ما كان يفعله الفلاسفة القدماء. (راجع شاف- مرجع سابق).

كان القائمون على مدرسة الإسكندرية للاهوت مسئولين عن صياغة المناهج الأولى للاهوت المسيحي وبعض التفاسير الهامة. إلاَّ أنه من الخطأ أن نقصر منهجها على دراسة الفكر اللاهوتي فحسب، إذ كانت بمثابة معهد أو كلية لتدريس فروع المعرفة المختلفة كالإنسانيات واللغات والموسيقى وعلوم الفلك والفيزياء والكيمياء والطب والرياضيات والجغرافيا والتاريخ، بالرغم من أن دورها الرئيسي في عصر الإيمان كان الدين. وكان أن تطور المنهج بعد المناظرات التي جرت بين علماء المدرستين، اللاهوتية والوثنية، بإدخال العلوم الطبيعية لتُدرس بها إلى جانب العلوم الدينية. (عزيز سوريال عطية: تاريخ الكنيسة الشرقية، الراهب القمص أنطونيوس الأنطوني: وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها).

أما عن مؤسس مدرسة الإسكندرية.. فقد ذهب البعض في الرأي إلى أن مؤسسها هو القديس مرقس نفسه. فعندما جاء ليكرز في الإسكندرية.. وجد أن الثقافة الوثنية هي السائدة بأفكارها، فأنشأ المدرسة لتثبيت المؤمنين وللرد على أفكار الوثنيين، والمعروف أن القديس مرقس كان مُلمًا باللغات العبرية واليونانية واللاتينية، فأقام العلاَّمة

يسطس أول مدير لها، (وقد صار فيما بعد البطريرك السادس). والمعروف أن مدير المدرسة كان يعد الرجل الثاني بعد البطريرك (الراهب القمص أنطونيوس الأنطوني: مرجع سابق)، وهذا ما يدل على أهمية المدرسة والدور الذي كانت تقوم به.

وثمة رأي آخر يتبناه دكتور عزيز سوريال عطية فيما يتعلق بمؤسس مدرسة الإسكندرية للاهوت فيقول: "إن معرفتنا بوجودها يرجع في الأساس إلى معرفتنا بعلمائها.. الذين كانوا قائمين عليها.. ولابد أن تاريخها يرتبط بهم، فلا يوجد من الأسباب ما يدعونا لأن نعتقد أن نشأتها تسبقهم بوقت طويل. وأن الرأي القائل بأن القديس مرقس هو مؤسسها إنما هو ضرب من الأساطير. وأقدم مصدر معروف يتحدث عن بنتينوس الذي توفى نحو سنة ١٩٠م كمؤسس لها. ومنذ هذا الوقت وتعتبر مُناظِرة "للمتحف" الوثني. إلى أن بدأ الأخير يضعف شيئاً فشيئاً ليختفي عن الوجود إبان مقتل هيباشيا Hypatia الفيلسوفة الوثنية، رجماً بالحجارة، بعد عودتها من محاضرة ألقتها في "المتحف". وكان ذلك في نحو عام ٤١٥م. (تاريخ الكنيسة الشرقية: مرجع سابق).

وقد عُرف معظم قادة الفكر المسيحي في الإسكندرية في ذلك الوقت بارتباطهم بمدرسة الإسكندرية للاهوت سواء في مقاعد طالبي العلم والمعرفة، أو في ثياب المعلمين. ويلخص تاريخ المدرسة.. سيرة أولئك العلماء الذين أُنيطوا بمسئولية إدارتها. وسوف ندرس حياتهم فيما بعد بشيء من التفصيل. وفي هذا المقام نود أن نُشير إلى أن أثيناغوراس الفيلسوف المسيحي يعتبره بعض المؤرخين من كُتَّاب مدرسة الإسكندرية، بينما يدرجه البعض الآخر -ضمن قائمة "الكُتَّاب اليونانيين المدافعين"، وقد فضلنا اتِّباع الرأي الأخير.

في أواخر القرن الرابع الميلادي تدهورت مدرسة الإسكندرية للاهوت تدهوراً شديداً، متأثرة بحالة كنيسة الإسكندرية في ذلك الوقت وما كانت عليه من خلاف وشقاق، وانتهى الأمر باندثار مدرستها الشهيرة. وكما سبق أن ذكرنا في معرض دراستنا لمدرسة الإسكندرية اليونانية أن أهمية مدينة الإسكندرية ذاتها قد تراجعت، فيما بعد ولم تستعد المدينة أهميتها المفقودة إلاَّ بعد الاهتمام الأوروبي بموقع الإسكندرية وأهميته البالغة في التجارة في القرن التاسع عشر.

لقد أثمرت مدرسة الإسكندرية للاهوت فكرًا لاهوتيًا متميزًا، تمثل في أعمال كل من كليمندس وأوريجانوس. وكان للفيلسوف اليهودي السكندري فيلو أثره في الفكر السكندري، بتفسير العهد القديم في ضوء الفلسفة اليونانية (انظر الجزء الأول من هذه الموسوعة ص ٥ وما بعدها). وكذلك كان للفكر اللاهوتي السكندري أثره في دحض الهرطقة الغنوسية، والتي وصلت إلى ذروة تعاليمها في الإسكندرية. وكان الفكر اللاهوتي للإسكندرية

يطمح إلى المصالحة بين المسيحية والفلسفة. ولكن كانت تسعى إلى ذلك مستندة إلى الأساس الكتابي وتعاليم الكنيسة. (فيليب شاف- مرجع سابق).

جاء كليمندس إلى الإيمان المسيحي بثقافة فلسفية يونانية. بينما كان أوريجانوس، على عكس ذلك، حيث قاده الإيمان إلى التأمل والتفكير. كان كليمندس مفكرًا حصيفًا، وكان أوريجانوس مفكرًا منهجيًا. اقتفى الأول آثار الأفلاطونية، واقتبس الآخر من مناهج فكرية عديدة. وكما فعل قبلهما فيلو -في نفس المدينة، بفترة طويلة حيث مزج اليهودية بالثقافة اليونانية، كذلك كان الحال معهما إذ نقلا الثقافة اليونانية إلى المسيحية. وهذا في الواقع ما فعله المدافعون في القرن الثاني الميلادي، مثل يوستين (يوستينوس) الفيلسوف. إلا أن السكندريين كانوا أكثر علمًا، وقد استخدموا الفلسفة اليونانية بحرية أكبر. فلم يروا أنها خطأً بيِّنًا، ولكن كانت إحدى وجهات النظر أنها عطية من الله. وقد شبهوها بالناموس في المجالين الأخلاقي والديني. وشبهها كليمندس بشجرة الزيتون البرية، وقال إن الفلسفة يمكن أن تتسامى بالإيمان (رو ١١:٢٤). وشبهها أوريجانوس (في قصاصة من الرسالة إلى غريغوريوس العجائبي) بالذهب، الذي أخذه بني إسرائيل من مصر، والذي استخدموا بعضه في صناعة أدوات خيمة الشهادة. ثم بعد ذلك عندما صنعوا منه العجل الذهبي.

الأديرة والكنائس في الإسكندرية

لم يكن هناك سوى عدد قليل جدًا من الأديرة داخل أسوار الإسكندرية الرومانية في آخر عهدها. إلاَّ أنها كانت عديدة وكثيرة في الأماكن الملاصقة للمدينة. ومن أكثرها أهمية الدير القائم في هيناتون (Enaton) غربي الإسكندرية. وقد بنيت كثير من الكنائس على أطلال المعابد الوثنية، أو داخل مبانيها القائمة. وكان يوجد بالإسكندرية سبع كنائس أو أكثر قبل انتصار قسطنطين في سنة ٣٢٤م. ولم يعرف عنه أنه قام ببناء كنائس في الإسكندرية، إذ لم تكن الإسكندرية عاصمة أو مقرًا لإقامة الامبراطور مثل القسطنطينية. إلاَّ أن خليفته قسطنطيوس الثاني (٣٣٧- ٣٦١م)، صرَّح ببناء كنيسة من أجل الأسقف جورجيوس الأسقف الأريوسي. وأول من اهتم بتعزيز بناء كنيسة الإسكندرية هو البطريرك ثاؤفيلس (٣٨٥-٤١٢م). فأقام مقابر للشهداء وكنيسة على أطلال معبد السيرابيوم الذي هدم في سنة ٣٩١م. وثمة كنيسة أخرى بنيت في موقع السيرابيوم أيضاً، وتحمل اسم الامبراطور ثيودوسيوس. وعلى جزيرة فاروس، كرس ثاؤفيلس كنيسة باسم روفائيل رئيس الملائكة كحام للملاحة بدلاً من إيزيس فاريا (Isis Pharia). والكنيسة الرئيسية في باكر عهد المسيحية بالإسكندرية تقع في الجانب الغربي من المدينة، وتحمل اسم الأسقف ثيوناس (٢٨٢-٣٠٠م). (الموسوعة القبطية: مرجع سابق).

الباب الأول

الفصل الثالث

نشأة المسيحية الأولى في مصر

أ- نشأة المسيحية في الإسكندرية

ب- تأسيس كنيسة الإسكندرية

جـ- ملامح الحياة الرهبانية في العصور الأولى في مصر

د- أدوار هامة لمراكز ثقافية على طول وادي النيل

هـ- المسيحية في بلاد النوبة

تمهيد

فيما يلي نستعرض العديد من الآراء لباحثين في تاريخ المسيحية الأولى في مصر.. ليتسنى لنا من خلال هذه الآراء أن نرسم ملامح المسيحية الأولى على ما كانت عليه.. ويمكننا أن نشبه ذلك بالماكيت (الرسم الأوَّلي) الذي يقوم المعماريون بوضعه (في الحاضر) بغرض تنفيذه (في المستقبل) وإن كان الأمر يختلف مائة وثمانين درجة، فنحن نفعل العكس تماماً.. إذ نحاول (في الحاضر) أن نضع ذلك الماكيت لواقع كان قائماً (في الماضي) من خلال قراءة أوراق تاريخ الكنيسة في مصر في بداية عهدها قراءة مدققة، لندرس كيف نمت وتطورت أفكارها اللاهوتية وتميزت عن سائر الكنائس المعاصرة لها.. وسوف نستعرض ألواناً من الأفكار التي تلقي الضوء على واقع نحاول أن نستجلي حقيقته في ضوء ما هو متاح لنا من معلومات. ففي إطار الاتجاهات العديدة لقراءة التاريخ.. نستعرض -باختصار- الاتجاهات الرئيسية منها. ومن خلال استعراض المستندات التي ترجع إلى القرون الأولى لنتعرف على المسيحية، نجد الكتابات الأبوكريفية التي ضمنتها الدراسة لكي يظهر لنا قوة تواجد الهرطقات المختلفة وأبرزها الغنوسية والتي أفردنا لها دراسة خاصة بها (للمزيد من المعرفة عنها يرجى الرجوع إلى الباب السادس من الجزء الأول من هذه الموسوعة).

أ) نشأة المسيحية في الإسكندرية

نستعرض فيما يلي آراء الباحثين عن نشأة المسيحية في مصر. يرى م. نالديني (M. Naldini) أنه لا تتوفر سوى معلومات ضئيلة عن نشأة المسيحية في مصر، وإن كانت بعض الدلائل تشير إلى أن المسيحية في بدايتها قد عرفت طريقها إلى مصر من خلال الإسكندرية والدلتا. (موسوعة تاريخ الكنيسة الأولى). ونفس هذا الرأي يقول به ولستون ووكر (Williston Walker) إذ يقول: "إننا لا نعرف سوى القليل عن نشأة المسيحية في الإسكندرية، على أنه لابد أن (الحركة) ظهرت هناك في وقت مبكر نسبياً، حيث أن الوقت الذي سمعنا فيه عنها للمرة الأولى كان نحو نهاية القرن الثاني، حيث يبدو أنها كانت قد ترسخت تمامًا. على أن الدليل الذي يمكن تقديمه يفترض أنه منذ البداية قد عُرفت المسيحية في الإسكندرية بين الغنوسيين العقلانيين والمتعلمين، كما عُرفت أيضاً بين البسطاء من المؤمنين المسيحيين الذين لم يكونوا يؤمنون بالديانة المصرية القديمة، والفلسفة التي كان يبدو أنه فيها تتمثل الغنوسية" (ولستون ووكر: تاريخ الكنيسة المسيحية).

يقول م. نالديني: "إننا لا نعرف السبب في صمت كل من كليمندس السكندري وأوريجانوس عن أن القديس مرقس هو المؤسس للمسيحية في مصر". غير أنه يقول: "إن ثمة بعض الافتراضات التي يمكن أن تبرهن بطريق غير مباشر على صحة ذلك". إلاَّ أنه يرد السبب في قلة المستندات وندرتها في هذه المنطقة، إلى ظروف المُناخ، بسبب طبيعة أرض الدلتا الرطبة التي لا تحفظ المستندات. (مرجع سابق).

أما "س. ولفريد جريجز" (C. Wilfred Griggs) فيطرح جانبًا حقيقة صعوبة البحث في هذا الموضوع لعدم وجود أدلة تاريخية فيقول: "إنه ليس من السهل بحث مسألة كيف عرفت المسيحية طريقها إلى مصر وذلك إذا حاولنا البحث في المخطوطات القديمة. والمشكلة ليست في نقص المواد، ذلك أن ثمة الآلاف من المخطوطات والشذرات اكتشفت خلال القرن الماضي. ومن بين المخطوطات المكتشفة، كان الكثير منها ينتمي إلى المسيحية المباشرة في مصر. إلاَّ أنه بالرغم من ذلك لم تكتشف بعد أي مخطوطة يمكنها أن تحدد الوقت الذي تأسست فيه المسيحية في مصر. أو تؤرخ للتطور الديني على طول نهر النيل (ولفريد جريجز: المسيحية الأولى في مصر).

أما "نالديني" فيرى أنه مادامت توجد بعض المخطوطات التي يرجع تاريخها إلى القرنين الأول والثاني، فهذا يعني وجود المسيحية في مصر منذ وقت مبكر.. ويقول: "إنه يعزز من اقتناء المسيحيين لتلك المخطوطات في الإسكندرية، مجيء القديس مرقس إليها، ومفتاح حل تلك الأحجية هو أن هذه المخطوطات تحتوي على الكثير من عناصر من الزهد والنسك كما في إنجيل المصريين"

(الأبوكريفي) (مرجع سابق).

أما عن الإشارات التي وردت في العهد الجديد عن دخول المسيحية إلى مصر، فلا يمكن الربط بين أقدم إشارة تاريخية وردت في إنجيل البشير متى عن مجيء الرب يسوع إلى مصر.. واعتباره تاريخًا للمسيحية في مصر.. ومع ذلك حدثت مثل تلك المحاولات.. إذ ذكرت قصص عديدة عن طفل يجري المعجزات، وتضمنتها أناجيل الطفولة (من الأعمال الأبوكريفية). وقد صُوِّر يسوع في "إنجيل الطفولة" - على سبيل المثال- وهو يصنع المعجزات حتى إبَّان فترة الهروب إلى مصر، أي وهو بعد صبي. أما "إنجيل متى المنحول" فيضم لا قصص معجزات قام بها الصبي فحسب، بل قصة تجديد مدينة بأكملها (مدينة سوتيني وتقع بمنطقة الأشمونين حاليًا بمصر الوسطى). واعتنقت هذه المدينة المسيحية نتيجة معجزة حدثت في معبد مصري.

أما الإشارة الثانية إلى مصر في العهد الجديد فتأتي في سفر الأعمال الأصحاح الثاني، حيث يذكر الكاتب حادثة حلول الروح القدس وتكلم تلاميذ السيد المسيح بألسنة أخرى. ويشير إلى رجال من كل أمة كانوا قد تجمعوا في أورشليم للاحتفال بعيد الفصح وقد ظلوا هناك حتى يوم الخمسين. ونشير هنا إلى نقطتين، الأولى: أن من بين الحاضرين "كان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم (أعمال ٢:٥). وأن من بين الجمهور **"رجال من مصر"** (العدد ١٠). ويذكر "ولفريد" نقلاً عن "بروس" أن اليهود عاشوا في مصر منذ عصر پسماتيك الثاني أي منذ نحو سنة ٥٩٠ ق.م.، وكانوا يزدادون من وقت لآخر. ويؤكد كل من فيلو ويوسيفوس حقيقة وجود الأعداد الكبيرة لليهود في مصرفي ذلك الوقت. وعلى ذلك فإن كثيرين من يهود الشتات كانوا يعيشون في مصر. ولابد أنهم كانوا في أورشليم من أجل الفصح. وعلى ذلك فإن بعض هؤلاء اليهود عادوا إلى أوطانهم وهم يحملون الإيمان المسيحي في قلوبهم.

"ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه **أبلّوس إسكندري الجنس** رجل فصيح مقتدر في الكتب. كان هذا خبيراً في طريق الرب وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب، عارفًا معمودية يوحنا فقط" (أعمال ١٨:٢٥). وقد أضافت مخطوطة بيزا (Bezae) الغربية ثنائية اللغة (D) إلى هذا النص عبارة "وكان قد تعلم في موطنه". ومن هذا النص وتلك الإضافة، يسود اتفاق عام على أن المسيحية لابد وأنها دخلت مصر في نحو سنة ٥٠م. وهذا النص يشير إلى أن أبلوس كان تعليمه صحيحاً، غير أنه لم يكن كافيًا. إذ يُذكر أن بولس أعاد معمودية البعض ممن كان سبق أن علَّمهم أبلوس، لأنهم لم يكونوا قد تعلموا على النحو الصحيح (أعمال ١٩:١-٧).

ونستخلص مما سبق أن المسيحية وصلت إلى

مصر (الإسكندرية على الأقل) في تاريخ مبكر جداً، غير أنه لا يمكن أن يستشف من النصوص المذكورة بعاليه أية تفصيلات عن مدى انتشارها وطبيعتها ومؤسسها.

أما الفقرة الأخرى الوحيدة من العهد الجديد والتي أدركها البعض على أنها إشارة مباشرة تربط المسيحية بمصر، فهي ما ذكر في الرسالة الأولى للقديس بطرس: "تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقس ابني" (بطرس الأولى ٥:١٣).

وبالنظر إلى أن هناك قلعةً أو حصناً بمصر على مقربة من القاهرة الحديثة، تسمى بابليون، فإن القليلين من المفسرين في العصر الحديث يعتقدون أن بطرس الرسول كان يكتب من هناك، والعلاقة بين القديسين بطرس ومرقس –مؤسس المسيحية في مصر بحسب التقليد– تعد عاملاً رئيسياً في قبول الموقع المصري.

غير أنه توجد معارضة للرأي القائل بأن بابليون –مصر هي ما أشير إليه في رسالة الرسول بطرس الأولى. فثمة رد يقول بأن كنيسة الإسكندرية لم تُدعَ بهذا الاسم. بالإضافة إلى أن بابليون كانت منطقة صغيرة للغاية، الأمر الذي يبدو معه أنه من غير المحتمل أن يكون الرسول بطرس قد جعل مركزه الرئيسي هناك دون أن تترك هذه الحقيقة أي أثر في التقليد المبكر. هذا بالإضافة إلى ما يقوله ولفرد (Wilfred) نقلاً عن بيل (Bell):

"إنه لأمر مشكوك فيه –بالنسبة لتاريخ مبكر كهذا– أن تكون هي بابل فلم تكن أكثر من مركز عسكري. وإذا كنا نأخذ كلمة "المختارة (مؤنث) معكم على أنها تُشير إلى الكنيسة، أم إلى زوجة القديس بطرس، فإنه لا يتوقع وجود أي منهما في معسكر حربي". (ولفريد– مرجع سابق). ومعظم المفسرين يفضلون أخذ كلمة "بابل" على أنها رمز للشر، وأنها اسم مستعار شائع يطلق على روما في الكتابات اليهودية والمسيحية والأبوكريفية التي تعود إلى القرن الأول الميلادي.

أما الأب متى المسكين فيذكر أن في بابليون (مصر القديمة) كانت تقيم أكبر جالية يهودية في الشرق. ودعت موطن غربتها باسم "بابليون" (أي بابل العراق)، حيث تغربوا غربتهم الأولى هناك. (راجع الأب متى المسكين: لمحة سريعة عن: دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر).

نعود مرة أخرى للاكتشافات الحديثة التي تلقي الضوء على تاريخ المسيحية في مصر حيث اكتُشفت العديد من المستندات التي تؤكد وجود المسيحية في مصر في عهد مبكر، فقد اكتُشفت كثير من المخطوطات المسيحية الكتابية وغير الكتابية (الأبوكريفية) في مواقع كثيرة على طول وادي نهر النيل وتشمل نصوصاً للعهدين القديم والجديد. ومخطوطات تكشف عن الغنوسية والمصادر الخاصة بها والتي ترجع إلى القرنين

الأولين. ويؤكد س. هـ. روبرتس (C.H. Roberts) أن الكميات الكبيرة من البرديات تشير إلى أن القراءة والكتابة في القرن الأول الميلادي كانت منتشرة بين جميع طبقات المجتمع في العالم الإغريقي.. وفي أوساط المسيحيين المتعلمين في أرجاء مصر..

تستحق البرديات المكتشفة أن نفرد لها دراسة مستقلة، إلاَّ أننا نذكر هنا بعض البرديات التي تلقي الضوء على دخول المسيحية إلى مصر في وقت مبكر: المخطوطة التي اكتشفت في سنة ١٩٢٠م في البهنسا أو في الفيوم والتي تحتوي على شذرات من إنجيل يوحنا (يو ١٨: ٣١-٣٣، يو ١٨: ٣٧-٣٨) والمعروفة ببردية رايلاندز (Rylands) وترجع أهميتها إلى أنه بالدراسة المدققة وجد روبرتس، أنها يمكن أن ترجع إلى الربع الأول من القرن الثاني، بل وربما يرجع تاريخها إلى ختام القرن الأول الميلادي. وإذا كان إنجيل يوحنا -كما هو معروف- قد كتب في أفسس أو على مقربة منها، فإن هذه البردية تعتبر دليلاً دامغًا على أن المسيحية دخلت إلى مصر في تاريخ مبكر (على الأقل في الجزء الأخير من القرن الأول. وكذلك توجد مخطوطات أخرى معروفة مثل مخطوطات بودمر (Bodmer) ومخطوطات تشستر بيتي (Chester Beetty)، وترجع نسبتها إلى منطقة مصر الوسطى (ما بين الفيوم إلى أخميم). وبرديات البهنسا وهي تضم نصوصًا كتابية مسيحية يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي وما بعد ذلك.

والدراسة التي قام بها روبرتس لقائمة من الشذرات باليونانية الخاصة بالكتاب المقدس وتحتوي على ما لا يقل عن ١١٦ شذرة أو جزازة، وترجع ثمانية نصوص منها إلى القرن الثاني، وبعضها يرجع إلى القرنين الثالث والرابع إلى جانب نصوص كتابية أخرى يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي. وأهمية هذه النتائج هي أنها تؤكد وجود المسيحية في مصر في وقت مبكر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تؤكد أن المسيحية لم تقتصر جغرافيًا على مدينة الإسكندرية، وإنما انتشرت على طول وادي نهر النيل.

وقد نشرت بردية في عام ١٩٣٥ لنص مسيحي هام لا يتعدى تاريخه منتصف القرن الثاني الميلادي. وهي شذرات "لإنجيل أبوكريفي غير معروف" (بردية إجرتون ٢) (P. Egerton 2). والشذرات الثلاث المتبقية من هذه المخطوطة تبين الصلة القوية بينها والأناجيل القانونية الأربعة، ولاسيما إنجيل يوحنا. والنص ليس مجموعة من أقوال السيد المسيح بل يتضمن أجزاءً عن أربع فترات في حياة السيد المسيح. وأول هذه الأجزاء يميل إلى أسلوب إنجيل يوحنا. ويتناول المواجهة بين يسوع والناموسيين. والفقرة التالية توضح مدى الشبه الشديد بين "الإنجيل غير المعروف" وإنجيل يوحنا القانوني:

"فتشوا الكتب التي تظنون أن لكم فيها حياة، هي تشهد لي. لا تظنوا أني أتيت لأشكوكم أمام أبي، يوجد من يشكوكم وهو موسى الذي وضعتم فيه رجاءكم"، وحين قالوا، "نحن نعلم جيداً أن موسى كلَّم الله، ولكننا لا نعلم من أين أتيت"، أجابهم يسوع، "الآن ثبت عدم إيمانكم".. (شذرة من الإنجيل غير المعروف).

"فتشوا الكتب لأنكم تظنون أنَّ لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي". (يوحنا ٥:٣٩). "لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب. يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم" (يو ٥:٤٥). "نحن نعلم أن موسى كلَّمه الله. وأما هذا فما نعلم من أين هو". (يو ٩: ٢٩). (الإنجيل القانوني).

وهذه الفقرات دليل أكيد على أن كاتب "الإنجيل غير المعروف" قد اطَّلع على إنجيل يوحنا القانوني. بل يبدو أنه أخذ عنه عدة فقرات، ثم صاغ منها قصة جديدة مترابطة ومماثلة، ولم يأخذ النص كما هو. ويُعتقد أن "الإنجيل غير المعروف" أقرب إلى التقليد الكتابي منه إلى الكتابات الأبوكريفية التي يغلب أنها كتبت في القرنين الثاني والثالث -وغير معروف على وجه اليقين مصدر بردية (إجرتون ٢) إلاَّ أنه يمكن استنتاج ذلك، حيث أن عدداً كبيراً من البرديات قد تم الحصول عليه من البهنسا، فيرجح أنه قد تم الحصول عليها من هذا المكان.

اكتشف "جرينفل" (Grenfell) وهنت (Hunt) في الحفريات التي قاما بها في سنة ١٨٩٧م في البهنسا مجموعة كبيرة من البرديات اليونانية التي يرجع تاريخها إلى العصر الأول حتى القرن السابع الميلادي، ومن بينها صفحة من كتاب "أقوال يسوع". وفي سنة ١٩٠٣م عادا لإجراء المزيد من الحفريات فوجدا شذرة أخرى من كتاب "أقوال يسوع" وكانت هذه الصفحة عبارة عن خلفية لقائمة تحمل إحصائيات لقطع مختلفة من الأرض، ويرجع تاريخ كتابتها إلى نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث الميلادي. ووجدت ثماني شذرات من لفائف البردي في البهنسا، ونشرت في سنة ١٩٠٤م. ووصفت بأنها تكملة لأقوال يسوع، ويرجع تاريخها إلى القرنين الثاني أو الثالث. وهي تتشابه كثيراً مع الأناجيل الثلاثة الأولى.

ومنذ أُكتُشف "إنجيل توما" القبطي في مخطوطات نجع حمادي في نحو سنة ١٩٤٥م، وثمة استنتاج أن الشذرات التي اكتشفت في البهنسا كانت تمثل أصلاً يونانيًا للترجمة القبطية الأخيرة "لإنجيل توما" (الأبوكريفي). ولكن يرى شنيملخر (Schneemelcher) أنه نظراً لأن البرديات الثلاث لم تؤخذ من نفس الكتاب، فإنه يجب أن نأخذ تجانسها بشيء من التحفظ قبل اكتشاف النص القبطي. وبعد دراسة قام بها اكتشف أن أقوال يسوع في بردية (البهنسا ١) ليست هي الأصل اليوناني للنسخة القبطية. كما أن الإنجيل

القبطي يمثل ترتيباً جديداً للأقوال، أو لعل النصين كليهما مُستمدان من مصدر مشترك أو متشابه. وعلى أي حال، فإن تاريخ نص البهنسا يرجع للقرن الثاني، والقرنين الثاني أو الثالث بالنسبة للترجمة القبطية. أما الأقوال الأخرى لبردية (البهنسا ١) فتتشابه مع كل من "الأناجيل الثلاثة الأولى" و "إنجيل توما"، وهنا أيضاً يوحي الأمر بمصدر مشترك أو متشابه بالنسبة لها معًا. والصلة بين مخطوطة (البهنسا١) والنصوص التي ذكرت (إنجيل توما والأناجيل المتشابهة) تشبه الصلة بين شذرات إنجيل بردية إجرتون وأناجيل العهد الجديد التي ذكرت آنفاً. والنصوص التي ذكرت في كل مثال تاريخها كان سابقًا لما كان متوقعًا، إذا ما كانت المصادر التي ذكرت قد نُقلت إلى مصر، وهناك أعيدت صياغتها بصفة جذرية إلى شكل جديد.

أما بردية (البهنسا ٦٥٤) فتتشابه مع نص "إنجيل توما" إلى حد بعيد، بأكثر مما عليه الحال بالنسبة لبردية (البهنسا ١)، غير أن النص اليوناني متقطع كثيراً. ومن الواضح أن كلا النصين يهدفان إلى تقديم خدمة يسوع الحي (أي بعد القيامة). ويرى ولِفرد أن هذا الموضوع شائع في كثير من النصوص المسيحية التي وجدت في مصر.

أما بردية (البهنسا ٦٥٥) فإنه نظراً لتمزقها الشديد فإنه من المستحيل القيام بتحليل مماثل، إلا أن نص الشذرة رقم ٢، يبين بعض الصلات بإنجيل توما.

نسب "بل" (Bell) بردية (البهنسا ٤٠٥) إلى تاريخ قريب من سنة ٢٠٠م.، ويرد كل من "جرينفل" و "هنت" تاريخها إلى الجزء الأخير من القرن الثاني. وليس بعد النصف الأول من القرن الثالث. وهي جزء من النص اليوناني لكتاب إيريناوس "ضد الهرطقات".

ويذكر "روبرتس" ملاحظة جديرة بالذكر عن أهمية هذا النص فيقول: "كتب إيريناوس عمله في سنة ١٨٠م في مدينة ليون، وعلينا من هذه الشذرة أن نتعرف لا على أول شذرة من مخطوطة مسيحية أدبية معاصرة فحسب، بل نجد فيها دليلاً أيضاً على الانتشار الفوري لهذه الهجمة القوية على الغنوسية (ارجع إلى الباب السادس من الجزء الأول) بين الكنائس المصرية، ومع ذلك فهي تمثل شاهداً آخر على العلاقة الوثيقة القائمة بين كنيسة الإسكندرية والغرب". (المرجع السابق).

نخلص مما سبق إلى أن المخطوطات التي وجدت في مواضع عديدة من مصر تبرهن على أن المسيحية قد وصلت إلى الإسكندرية مع منتصف القرن الأول أو بعد ذلك بقليل.. وأن بعض تلك اللفائف أو البرديات توضح أيضاً الوجود القوي للغنوسية، كما تبين الردود القوية عليها ومواجهتها.. غير أن هذه الوثائق لم تذكر شيئاً عن

مؤسس المسيحية في مصر.. أو كيف عرفت المسيحية طريقها إلى مصر منذ ذلك العهد المبكر من تاريخ المسيحية.

ب- تأسيس كنيسة الإسكندرية

أما التقليد المعروف بأن مرقس البشير هو مؤسس المسيحية المصرية فقد كان يوسابيوس هو أول من سجل ذلك:

"ويقولون إن مرقس هذا كان أول من أُرسل إلى مصر، وأنه نادى بالإنجيل الذي كتبه، وأسَّس الكنائس في الإسكندرية أولاً". (يوسابيوس- تاريخ الكنيسة ٢: ١:١٦).

إلاَّ أن يوسابيوس لم يقدم أي دليل من المصادر المبكرة لإثبات هذا التقليد الذي استمر منذ أيام يوسابيوس وحتى أيامنا هذه. غير أن عبارة "يقولون" إذا كان استخدامها هنا في إطار شخصي، فلابد أنها تشير إلى كليمندس وبابياس، اللذين ذُكرا باعتبارهما مصدر المعلومات الواردة في العبارة السابقة.. ولكن في سنة ١٩٥٨م اكتشف خطاب مفقود كان مرسلاً من كليمندس السكندري إلى تيودور ذكر فيه كليمندس أن مرقس البشير سافر من روما إلى الإسكندرية بعد موت بطرس الرسول. كما ذكر أيضاً في الرسالة أن مرقس كتب في الإسكندرية إنجيلاً أكثر روحانية في تعليم المؤمنين والسماح لهم بالاشتراك في الأسرار المقدسة. ويدعم كليمندس الافتراض القائل بوجود مجتمع للمسيحية في الإسكندرية، لم يعرف مثله في العالم. وقيمة هذا الدليل الذي يرجع إلى أصول مسيحية مبكرة في مصر يعتمد على درجة قبول الرسالة باعتبار أن كليمندس هو فعلاً كاتبها. والغالبية العظمى ممن كتبوا في هذا الموضوع يعتقدون أن خطاب كليمندس حقيقي. (المرجع السابق).

يذكر البابا شنودة الثالث أن القديس مرقس ذهب يبشر بالإيمان أولاً في مسقط رأسه أي في الخمس المدن الغربية وكان ذلك نحو سنة ٥٨م. ثم بعد ذلك جاء إلى مصر في سنة ٦١م. ثم عاد مرة أخرى إلى الخمس المدن الغربية ليفتقد المؤمنين فيها، فوصل إليها في سنة ٦٣م أو سنة ٦٥م (يرجح الأخير). حيث قضى هناك سنتين يكرز باسم المسيح. ونظم الكنيسة هناك وأقام أساقفة وقسوساً وشمامسة. ثم ودع أهلها الوداع الأخير وذهب ليكمل عمله المسكوني مع بولس الرسول. ثم عاد إلى مصر بعد استشهاد بولس الرسول (راجع البابا شنودة الثالث: مرقس الرسول).

ويذكر دكتور عزيز سوريال افتخار الأقباط بأن كنيستهم الوطنية أسسها القديس مرقس، أحد البشيرين الأربعة وكاتب الإنجيل القانوني الذي استخدمه كل من القديس متى والقديس لوقا وربما القديس يوحنا. ويعتبره الأقباط هو البطريرك الأول المؤسس لكنيستهم. ويعد القديس مرقس الأول في عداد الشهداء في مصر. (د. عزيز سوريال مرجع

سابق).

وكتاب سيَر الآباء البطاركة لساويرس بن المقفع (القرن العاشر) أسقف الأشمونين بمصر الوسطى، كتبه بالعربية من مصادر قبطية قديمة. يبدأ بسرد موسع عن سيرة حياة الإنجيلي وأول بطريرك. (البابا شنودة الثالث، ودكتور عزيز سوريال:- مرجعان سابقان).

نشأة القديس مرقس

كان القديس مرقس ينتمي إلى عائلة يهودية، فكل من والديه كانا يهوديين، فأبوه أرسطوبولس هو ابن عم أو ابن عمة زوجة بطرس الرسول. وأمه مريم، كانت إحدى المريمات اللائي تبعن يسوع. وكانت إحدى المريمات اللائي ذهبن إلى القبر. وكانت موسرة، لذلك أحسنت تثقيفه فتعلم اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية وأتقنها وبرع فيها. وولد في القيروان، وفي الخمس مدن الغربية. وفي أعقاب هجوم قبائل البربر على بلادهم قرر والداه الرحيل إلى أورشليم. وكانت عائلته شديدة التدين. وقد عرف المسيحية عن طريق القديس برنابا. والقديس مرقس هو "ابن أخت برنابا" (كو ٤: ١٠) أو "ابن عم برنابا" حسب الترجمات اليونانية واللاتينية والعبرية. كما أنه عرف كلاً من القديسين بطرس وبولس جيداً. بل وفوق كل ذلك، رافق يسوع، حيث تردد على بيته أكثر من مرة، وصار مرقس أحد تلاميذ الرب السبعين.

القديس مرقس: أحد السبعين رسولاً

يرى بعض الباحثين أنه لا يوجد أي دليل على أن القديس مرقس كان أحد السبعين رسولاً لأنه لم يَرد في كتابات الآباء الأولين ما يؤكد ذلك (أضواء على الإصلاح الإنجيلي: د.ق. فايز فارس).. بينما يقول البابا شنوده الثالث في كتابه عن القديس مرقس إن جميع مؤرخي الأقباط في كافة عصورهم أجمعوا على أن مارمرقس الرسول كان من السبعين رسولاً، لا فقط كُتَّاب العصر الحاضر، بل مؤرخو العصور الوسطى أيضاً. مثل ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (القرن العاشر) في كتابه تاريخ البطاركة. وقد وضعه ابن كبر في قائمتين بأسماء السبعين رسولاً إحداهما نقلاً عن الأصل القبطي، والثاني نقلاً عن اليوناني وذلك في كتاب مصباح الظلمة. وكذلك كل من ابن الصليبي أسقف أمد (١١٤٩م) والقديس أبيفانيوس أسقف قبرص في كتابه ضد الهرطقات (٥١:٥). وذكرها قبله العلامة أوريجانوس في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث في كتابه عن الإيمان بالله فقال إن مرقس كان من تلاميذ الرب السبعين الذي شرفهم بالرسالة (البابا شنودة الثالث: مرجع سابق).

وحتى بعد صعود السيد، اجتمع التلاميذ في بيت أم يوحنا الملقب مرقس (أعمال ١٢:١٢). وهناك حلَّ الروح القدس عليهم. وحيث أصبح فيما بعد أول كنيسة مسيحية في التاريخ. (راجع البابا شنودة الثالث: مرقس الرسول ود. عزيز سوريال: تاريخ الكنيسة

الشرقية).

ويذكر يوسابيوس المؤرخ القيصري نقلاً عن بابياس (٦٠-١٣٠م) أسقف هيرابوليس من أعمال آسيا الصغرى أن القديس مرقس قام بالترجمة للقديس بطرس، الصياد البسيط، وذلك عندما كانا معًا في روما. وهذا لا يعني أنه سجل له وحده ذكرياته عن يسوع، وإنما من المتوقع أن كل التلاميذ ساهموا بقدر من التفاصيل عن طريق المعلومات الشفوية التي تناقلوها فيما بينهم من أقوال السيد المسيح وأعماله. فالإنجيل يحتوي على مصادر للشهادة عن طريق شهادة كل من بطرس وبولس، وأن القديس مرقس كتب الإنجيل باللاتينية أو باليونانية، وربما بكلتيهما. ويؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧- ٤٠٧م) أن القديس مرقس كتب الإنجيل في مصر باليونانية. وهناك فكرة تقول بأن الإنجيل كتب بعد استشهاد الرسولين بطرس وبولس، غير أن هذا الأمر موضع جدل، إذ قيل إن الإنجيل ظهر بعد اثنى عشر عامًا من الصلب، أي في عام ٤٥م. وأن استشهاد الرسولين حدث خلال حكم نيرون (٥٤- ٦٨م) ويحتمل أنه حدث عام ٦٤م. وأيًا كانت الحقيقة، فمن المؤكد أن القديس مرقس حمل معه الإنجيل إلى الإسكندرية. وبرغم أن النسخة اليونانية كان من الممكن أن تفي بالغرض، الذي كتب الإنجيل من أجله، في مدينة الإسكندرية، فإنه من المحتمل أنه قد ظهرت نسخة أخرى باللغة المصرية القديمة وذلك لتفي بالغرض الذي من أجله كتب الإنجيل لنفع من آمنوا من أهل المدينة ممن لم يكونوا على دراية باليونانية. (د. عزيز سوريال عطية مرجع سابق).

لم يكن القديس مرقس يعرف التعب أو الكلل. فقد صاحب بولس وبرنابا إلى أنطاكية، ثم عاد إلى أورشليم، وسافر بعد ذلك إلى قبرص في صحبة برنابا. وكان رفيقًا لبطرس في روما، وقال الرسول بطرس عنه "مرقس ابني" (بطرس الأولى ٥:١٣). كان مجال عمل بطرس في أفريقيا. فأولاً: عبر البحر المتوسط إلى كيرانايكا (القيروان حاليًا) ومنها إلى بنتابوليس (الخمس المدن الغربية- بليبيا حاليًا). حيث كان يقيم بها والداه في سالف الأيام. وكانت هذه المدينة يحتلها اليونانيون وبعض اليهود. وبعد أن أجرى بعض المعجزات وبذر بذار الإيمان، ذهب إلى الإسكندرية عن طريق الواحات وبابليون، أو القاهرة القديمة. كانت الإسكندرية في الشرق تناظر روما، كلاهما لها أهميتها ولكونها معقل الوثنية. ولذلك كان على المسيحية أن تكسبهما. كان الأمر يستحق ذلك إلا أنه لم يكن يخلو من المخاطرة.

تاريخ مجيء القديس مرقس إلى الإسكندرية

دعنا الآن نناقش مسألة التواريخ. يذكر كتاب تاريخ البطاركة بوضوح أن الإعلان لبطرس ومرقس أنهما يجب أن يذهبا إلى روما والإسكندرية كان بعد خمسة عشر عامًا من صعود

السيد المسيح، أي نحو سنة ٤٨م. وثمة آراء أخرى ترى أن البشير مرقس جاء إلى الإسكندرية في إحدى السنوات التالية (٥٥م أو ٥٨م أو ٦١م) (د. عزيز سوريال عطية: مرجع سابق). ويذكر الأب متى المسكين أن مرقس الرسول جاء إلى الإسكندرية ليؤسس أول كنيسة بها في سنة ٤٣م. (الأب متى المسكين: دير القديس أنبا مقار). أما البابا شنودة الثالث فيقول:

"ما أصعب وما أشق تتبع التواريخ في حياة آبائنا الرسل! ويندر أن نجد تاريخًا دقيقًا في أرقام سنواته كل الدقة، إنما هي محاولات يبذلها المجتهدون فيصلون بعد كد إلى تواريخ تقريبية". يرى أن سنة مجيء مارمرقس إلى مصر "هي مشكلة عند المؤرخين القدامى والمعاصرين. لما بدأ مارمرقس خدمته منفردًا، ذهب إلى الخمس مدن الغربية أولاً، وقضى فيها سنوات. وقد يكون وصل إلى هناك بين سنتي ٥٥م، ٥٨م، وغالبًا يكون قد وصل إلى الإسكندرية سنة ٦٠م أو ٦١ م. (البابا شنودة الثالث: القديس مرقس).

وأيًا كان التاريخ الصحيح لمجيء مرقس إلى المدينة، فإن الأراء تجمع على أنه استشهد في سنة ٦٨م. وبين هذين التاريخين فإن مرقس البشير استطاع أن ينجز مهمته وأن يكرز ليكسب مؤمنين كثيرين.

وثمة قصة تقول بأنه عند دخوله إلى المدينة من البوابة الشرقية، انقطع سير حذائه، فذهب إلى إسكافي ليصلحه، الذي أمسك بمخرز ليبدأ في إصلاحه. فانغرس المخرز في يده فصرخ بصوت عالٍ قائلاً: "يا الله الواحد". ففرح مرقس بما تلفظ به الإسكافي. وبعد أن شفاه بطريقة معجزية، تشجع مرقس وتكلم مع الرجل الذي كان شغوفًا ليسمع من مرقس، وليصبح أول من آمن برسالته. كان هذا هو أنيانوس (Anianus)، الذي خلف القديس مرقس ليكون البطريرك الثاني للإسكندرية. لقد انطلقت الشرارة حيث اصطحب أنيانوس القديس مرقس إلى بيته. واعتمد هو وأهل بيته ثم تبعه كثيرون. ونجحت مهمة مرقس إذ انتشرت الكلمة حتى إن جليليًا كان في المدينة وأخذ يعد نفسه لكي يهدم التماثيل الوثنية. وبدأ شعور عام يظهر، وكانوا يطلبونه في كل مكان. وبدأت تفوح رائحة الخطر. لذلك رسم القديس مرقس أنيانوس أسقفًا مع ثلاثة كهنة وسبعة شمامسة ليرعوا الشعب في حالة إذا ما أصابه مكروه. بعد ذلك، يبدو أنه قام برحلتين. الأولى: إلى روما حيث التقى ببطرس وبولس. وأنه ترك المدينة بعد استشهادهما في ٦٤م. حيث أقام عند أكيلا بالقرب من فينيسا قبل عودته إلى الإسكندرية. ومن أجل توطيد إيمان رعيته، قرر أن يسافر إلى بنتابوليس، حيث قضى عامين يجري معجزات، ويرسم أساقفة وكهنة، ويقبل كثيرون إلى المسيحية على يديه. وأخيراً عاد إلى الإسكندرية، حيث امتلأ بالفرح ليجد تضاعف أعداد المؤمنين لدرجة أنهم

تمكنوا من أن يبنوا كنيسة كبيرة في منطقة بوكليا و(أبوكاليا) (ضاحية أبي قير) على شاطيء البحر. (راجع د. عزيز سوريال عطية- مرجع سابق).

أثار انتشار الشائعات بأن المسيحيين يهددون بهدم وتحطيم تماثيل الآلهة الوثنية آثار ضغينة الوثنيين. حيث كانت النهاية تقترب. فوقع القديسون في أيدي من يعادونهم من الوثنيين. ففي عام ٦٨م، وقع عيد القيامة في نفس يوم الاحتفال بسيرابيس. فاجتمعت الجماهير الهائجة في معبد السيرابيوم ثم ذهبوا إلى المسيحيين حيث كانوا يحتفلون بعيد القيامة في كنيسة بوكاليس. اقتيد القديس مرقس، الذي ربط بحبل حول رقبته وجروه في الشوارع، حتى الليل، حيث احتجزوه حتى صباح اليوم التالي، وكرروا معه ما أحدثوه به من عذابات في اليوم السابق. إلى أن أسلم الروح. كان جسده يدمي، وقد تمزق. وكانوا ينوون إحراق ما تبقى من جسده. إلا أن هبوب الرياح الشديدة وسقوط الأمطار الغزيرة، جعل الجماهير تتفرق. فحمل المسيحيون جسده خلسة ودفنوه سراً في قبر نحتوه في الصخر يقع أسفل مذبح الكنيسة.

في القرون التالية، ظل جسد القديس في كنيسة بوكاليا في الأيام الأخيرة للانقسام بين اليعقوبية (أصحاب الطبيعة الواحدة) والروم الملكيين (أصحاب الطبيعتين) والمعروفون بالروم الأرثوذكس، حيث كانوا يسيطرون على الكنيسة في ذلك الوقت. وفي نحو سنة ٦٤٢م هوجمت الكنيسة وسلبت، وسرقوا رأس القديس (د. عزيز سوريال عطية، الباب شنودة: مرجعان سابقان). ومع حلول السلام في المدينة عادت الكنيسة وما تبقى من الجسد إلى أيدي الملكيين إلا أن رأس القديس أعادوها إلى الحاكم العربي عمرو بن العاص، الذي تنازل عنها إلى بنيامين (٣٨) البطريرك القبطي إلا أن ثمة قصصاً عديدة عن نقل جسد القديس إلى ڤينيسيا ومنها أن تجاراً من ڤينسيا (البندقية) استولوا على جسد القديس بدون الرأس في سنة ٨٢٨م. حيث هربوها في حوض به خنزير محفوظ وذلك لكي يتجنبوا المفتشين المسلمين. وبهذه الطريقة فإن ڤينيسيا حصلت على لقب آخر هو جمهورية القديس مرقس (راجع د. عزيز سوريال عطية: مرجع سابق). (وتوجد قصص أخرى يذكرها البابا شنودة في كتابه يمكن الرجوع إليه).

الملكيون

يذكر البابا شنودة الثالث في كتابه مرقس الرسول، أن سبب تسمية الروم الأرثوذكس أو أصحاب الطبيعتين، بالملكيين هو أن الملوك كانوا في أيديهم، أو كانوا هم في أيدي الملوك. (مرقس الرسول: ص ٧٢).

انتظر المسيحيون في الإسكندرية فرصة مواتية

بعد استشهاد القديس مرقس. فقد سلكوا في هدوء دون أن يحدثوا جلبة، تجنبًا للمشاكل التي يمكن أن تحدث. ولذلك لا تذكر معظم المراجع أي أحداث من هذا النوع خلال القرن الثاني.

ويذكر كتاب تاريخ البطاركة قائمة البطاركة العشرة الأوائل (٦٨– ١٨٨م) ولا يذكر عنهم سوى رسامتهم ووفاتهم. ولا يذكر أي تفاصيل حتى البطريرك الثاني عشر.

الترتيب	الاسم	الفترة التاريخية
البابا الأول	القديس مرقس الرسول	(٦١ – ٦٨ م)
البابا الثاني	أنيانوس	(٦٨ – ٨٣ م)
البابا الثالث	ميليوس	(٨٣ – ٩٥ م)
البابا الرابع	كردونوس	(٩٥ – ١٠٦ م)
البابا الخامس	أبريموس	(١٠٦ – ١١٨ م)
البابا السادس	يسطس	(١١٨ – ١٢٩ م)
البابا السابع	أومانيوس	(١٢٩ – ١٤١ م)
البابا الثامن	مارقيانوس	(١٤١ – ١٥٢ م)
البابا التاسع	كالاوتيانوس	(١٥٢ – ١٦٦ م)
البابا العاشر	أغريبينوس	(١٦٦ – ١٧٨ م)
البابا الحادي عشر	يوليانوس	(١٧٨ – ١٨٨ م)
البابا الثاني عشر	ديمتريوس الأول	(١٨٨ – ٢٣٠ م)

اضطهاد سبتميوس ساويرس

كان البابا ديميتريوس الأول والمعاصر لأوريجانوس، هو أول من شاهد تبني الدولة لاضطهاد المسيحيين من المصريين. حيث أصدر الامبراطور سبتميوس ساويرس (١٩٣ - ٢١١م) مرسومًا يقضي بأنه يجب أن يتوقف فورًا وبكل السبل التحول إلى المسيحية. وقد طبق المرسوم الذي أصدره لهذا الغرض في سنة ٢٠٢م بكل قوة وشدة في مصر. وذلك دون اعتبار للاختلافات بين المصريين واليونانيين واليهود. وأغلقت مدرسة الإسكندرية على الرغم من أن مريديها كانوا يلتقون في أماكن أخرى. وقد رفض المصريون الامتياز الممنوح لليهود وحدهم، إذ أعفاهم من التبخير لتمثال الامبراطور، وقد اعتبر رفض الإذعان لهذا الأمر علامة لعدم الولاء للامبراطور، فقادوا كل الرافضين للتبخير لتمثال الامبراطور إلى الإسكندرية من كل الأنحاء، حيث كان ينتظرهم عقابًا فظيعًا. فبعض الشهداء قطعت رؤوسهم، والبعض أُلقي للأسود، أما البعض الآخر فقد أشعلوا فيهم النيران وهم بعد أحياء. إلاَّ أن الجميع كانوا مستهدفين للعذابات الشديدة القاسية دون النظر إلى العمر أو الجنس. وقد فقد أوريجانوس والده ليونيداس في هذه المذبحة، ولكنه هو نفسه أنقذته والدته التي أخفت عنه ملابسه لتمنعه من الخروج للاستشهاد (راجع سيرة أوريجانوس في موضعها من هذا الباب). غير أن مجهودات الامبراطور ذهبت أدراج الرياح، إذ ازداد عدد الأساقفة إلى عشرين أسقفاً -في نهاية فترة حكمه- بعد أن كان عددهم ثلاثة أساقفة فحسب.

اضطهاد دسيوس

اتسمت الفترة التي أعقبت ذلك بالهدوء حيث لم يبال الامبراطور بالاختلافات الدينية، على الرغم من ذلك ظل اضطهاد المسيحيين أمرًا ثابتًا في السياسة الرسمية للحكام.

أمام الموجة الثانية العاتية من الاضطهاد التي لاطمت مصر فقد وقعت في بحر حكم دسيوس القصيرة (٢٤٩- ٢٥١م). إذ شعر الامبراطور بالتهديد من جراء انتشار المسيحية، فأصدر مرسوماً في سنة ٢٥٠م يلزم كل مواطن بأن يحصل على شهادة من الحاكم المحلى تدل على أنه أدَّى الطقوس للآلهة الوثنية. وكان العذاب الضاري الذي لم يسبق له مثيل من نصيب أولئك الذين لم يذعنوا لهذا الأمر.

اضطهاد ڤاليريانوس

فاستشهد الآلاف في القرى بالإضافة إلى مدينة الإسكندرية. وقد استمر الاضطهاد بكامل ضراوته في أيام حكم خليفته ڤاليريانوس (ڤاليريان) (٢٥٢- ٢٦٠م)، ولذلك تراجع بعض

المسيحيين لينقذوا أنفسهم. أما البطريرك ديمتريوس (٢٤٦- ٢٦٤م) الذي ظل هاربًا كل الوقت، فقد اتبع سياسة فيها الكثير من التساهل عن سابقيه بقبول المرتدين لمجرد توبتهم.

التسامح الديني

في عام ٢٦٢م بدأ المسيحيون يشعرون ببعض السلام في أيام حكم الامبراطور جالينوس (Gallienus) (٢٥٣- ٢٦٨م) الذي واجه المتاعب فأصدر مرسومًا عن التسامح الديني. وربما للمرة الأولى التي يسمح فيها للمسيحيين بممارسة عبادتهم بحرية حيث سمح للكنائس بأن تفتح أبوابها للمسيحيين، وتم تعويضهم عن ما سبق أن صودر من أملاكهم. وكان لهذا الأمر تأثيره الذي خفف الكثير من معاناة المسيحيين ورفع من حماستهم ليعيدوا بناء ما سبق أن تهدم من الكنائس وليضيفوا إليها ما هو أكثر وأروع منها.

اضطهاد دقلديانوس

لم تدم طويلاً تلك الحالة، فسرعان ما ظهرت رسميًا حالة عدم الثقة مرة أخرى، بل ازدادت حدة من خلال الحكم المطلق في روما. وهكذا تغير المشهد تمامًا إبان حكم الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤- ٣٠٥م). وهو يعتبر في رأي الأقباط حتى اليوم ذروة عصر الاضطهاد.

إلاَّ أنه من باب العدل أن نذكر لدقلديانوس أنه بدأ حكمه في مصر بشهامة غير عادية. فقد حصَّن البوابة الجنوبية للقطر، (أسوان حاليًا) وذلك لكي يحمي جنوبي مصر من غزو البليمس (Blemyes) من النوبة.

في الإسكندرية، تمرد قائد الفيلق الروماني ويدعى لوسيوس دوميتيوس دوميتيانوس، والمعروف بأخيليوس وأعلن نفسه امبرطوراً. وكان رد فعل دقلديانوس سريعًا حيث تحرك على الفور وذهب إلى الإسكندرية بنفسه وحاصرها لمدة ثمانية أشهر واستولى عليها بعد هجوم ضارٍ، وقد نتج عن ذلك تدمير أجزاء من المدينة. وأصاب الكساد تجارتها بسبب عدم استقرارها. وحل المرض والفقر بالمدينة حتى أنقذ دقلديانوس الموقف، وقد حوَّل بعض محصول القمح إلى الإسكندرية بدلاً من روما. ولذلك فقد حفظوا له الجميل بأن خلَّدوا ذكراه في الإسكندرية بإقامة عمود ضخم من الجرانيت أنشيء عليه تمثال من البرونز للإمبراطور، ولكن لا يوجد أثر للتمثال الآن.

كان دقلديانوس يرغب في المزيد. فكان يهدف من خلال حكمه الأوتوقراطي إلى توحيد كل أنحاء الامبراطورية. ولذلك كانت المسيحية عقبة كؤود في سبيل تحقيق سياسته، وكان المسيحيون يزدادون في العدد إلى الحد الذي يمثل خطورة. وفي عام ٣٠٢م بدأ يطرد أي جندي من الفيلق يرفض أن

يذبح للآلهة الرومانية. وفي العام التالي أصدر العديد من المراسيم حيث أوجب تدمير الكنائس المسيحية وإهمال الأدب المسيحي ومحوه، ومصادرة الأملاك المسيحية، وطرد كل المسيحيين من مكاتب الدولة في كل أنحاء الامبراطورية. وقد منع أي لقاءات أو اجتماعات للمسيحيين، ومن يخالف الأمر يجب أن يعاقب بالقتل.

غير أنه لم يعد المسيحيون -في ذلك الوقت- مجرد حفنة أو أقلية، فقد أصبح عددهم كبيراً، وعندما أرادوا أن يستقلوا بإرادتهم، وجَّه لهم القانون الروماني ضرباته بدون رحمة. وكانت النتيجة حركة مرعبة من الاضطهاد والاستشهاد. واختلفت قوتها من بلد إلى آخر. ولكن كان لمصر النصيب الأكبر منها.

كانت الأعمال الوحشية ضد المسيحيين يقوم بها رجال الامبراطور، فكانوا يبترون أعضاءً من أجسادهم ويمثلون بجثثهم، ويفقأون أعينهم، وكانوا يحرقونهم ويبتدعون الوسائل للتنكيل بهم. ويعذبونهم ببطء، أما قطع الرأس في الحال، فكانت تعد من أعمال الرحمة وامتيازاً نادراً ما يحدث. كان المحتجزون يموتون من شدة العذابات، وكان بعضهم يرتد نتيجة للوحشية البالغة، إلاَّ أن عددهم كان أقل مما كان عليه في الاضطهادات السابقة. وكثير من هذه الأعمال الوحشية مذكور في تاريخ الكنيسة للمؤرخ يوسابيوس القيصري. وفي تاريخ البطاركة كانت السجون مليئة بالرجال والنساء من كل الطبقات، ينتظرون دورهم إما قتلاً بالمشنقة أو تعذيباً بالمخلعة. ومن الصعب تخيل الرقم الرسمى الذي يقدر عدد الشهداء (١٤٤,٠٠٠ إلى ٨٠٠,٠٠٠) شهيد. ومن ناحية أخرى علينا أن نتذكر أن الاضطهاد الذي بدأه دقلديانوس قد دعمه خليفته في الشرق مكسيميانوس دايا (Maximianus Daia) (٣٠٥- ٣١٢م). قيل إن المذابح استمرت لنحو ١٠ سنوات بقتل منتظم. ولهذا يمكن أن نحسب أن عدداً كبيراً قد استشهد. وكان البابا بطرس الأول البطريرك السابع عشر (٣٠٢- ٣١١م) والذي عُرف بأنه "خاتم الشهداء"، من بين ضحايا اضطهاد مكسيميانوس.

"السنكسار القبطي" يزخر بسير الأبطال القديسين ونذكر منها على سبيل المثال: القديسة صوفيا (St. Sophia) التي كانت تعيش في منف القديمة في مصر الوسطى، توفيت في عهد البطريرك السابع أومانيوس (١٢٩- ١٥١م.) المعاصر لكل من الامبراطورين هادريان (١١٧- ١٣٨م) وأنطونيوس بيوس (١٣٨- ١٦١م). وقد نَقَل جسدها إلى القسطنطينية الامبراطور قسطنطين الأول الكبير (٣١٣- ٣٣٧م.). وقد أهديت إليها الكاتدرائية الشهيرة في أيا صوفيا (Haghia Sophia) والقديسة دميانة ابنة حاكم

شمالي الدلتا، حيث اعتزلت في دير للبنات مع أربعين عذراءً، وجميعهن قتلهن دقلديانوس. والقديسة كاترين السكندرية أيضاً استشهدت في باكر عمرها وهي في سن الثامنة عشرة من عمرها في سنة ٣٠٧م أي في عهد مكسيميانوس. ومازال الدير المشهور في جبل سيناء يحمل اسمها حتى الآن. ومارجرجس المعروف، والذي كان يعمل بالفيلق الروماني، يرجح أنه كان أحد النبلاء الكبَّادوكيين في آسيا الصغرى قاوم الامبراطور دقلديانوس ثم استشهد. يحتمل أنه دفن في فلسطين، ثم نقل جسده إلى مصر في عهد البطريرك غبريال الثاني (Gabriel) (١١٣١ – ١١٤٥م).

كان لاضطهاد دقلديانوس أثره البالغ في حياة المسيحيين الأقباط وفي فكرهم لدرجة أن الأقباط قرروا أن يجعلوه تقويماً للشهداء تماماً كالتقويم الميلادي الذي يستخدم في إدارة شئون الحياة اليومية. وكان العام الأول في هذا التقويم هو سنة ٢٨٤م. وهي السنة التي تعاظم فيها خطر دقلديانوس. وكانت الشهور التي استخدموها هي الشهور التي استخدمها الأجداد في مصر القديمة. فاستخدمها الفلاحون المسيحيون، وكذلك يستخدمها الفلاحون المسلمون في مصر في أيامنا هذه في الأجندة الزراعية وهذا يدل على النزعة القومية للمصريين حتى في وجود تعدد الأديان منذ بداية عهدها.

بعد عصر دقلديانوس ومكسيميانوس دايا بدأ تراجع موجة الاضطهاد وتقلصها. وبدأ عهداً جديداً، فقد ترك الامبراطور قسطنطين الكبير للمسيحيين حرية ممارسة ديانتهم فأصدر مرسوماً بذلك جاء فيه: "وللمسيحيين أن يستمروا في الوجود، وأن ينظموا اجتماعاتهم شريطة ألا يخلوا بالنظام، وعليهم بناء على تسامحنا وتعاطفنا أن يُصلّوا إلى إلههم ليسعد ظروفنا وظروف الدولة وظروفهم" (فرج توفيق زخور: قصة الأقباط). ثم بعد ذلك أصدر مرسوم ميلان في سنة ٣١٣م، حتى قبل أن يكون الإمبراطور الأوحد للإمبراطورية الرومانية. حيث كان مرسوم الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥) يقضي بأن يتولى الإمبراطورية الرومانية إمبراطوران في آن واحد: أحدهما للإمبراطورية الشرقية وعاصمتها بيزنطة والآخر في روما. ثم أصدر في سنة ٣١٥م. أوامر مشددة بتحريم التبشير باليهودية والدعوة إليها. ثم بعد عام ٣٢٣م اختلف الأمر، إذ منع الوثنيين من ممارسة عبادتهم الوثنية، وذلك من أجل المسيحية، التي أصبحت الديانة الرسمية للدولة.

قام البطريرك ثاؤفيلس (٣٨٥- ٤١٢م) بقيادة ثورة محلية ضد معبد سيرابيس على الفرع الكانوبي للنيل (أبي قير) حيث سقط في سنة ٣٨٩م وهدمت عاصفة عاتية المعبد الرئيسي في

المدينة في سنة ٤١١م، وبسقوطه تهدم الجزء الأكبر من المكتبة البطلسية أو مكتبة الإسكندرية. (د. عزيز سوريال: مرجع سابق).

جـ ملامح الحياة الرهبانية في العصور الأولى في مصر.

أ- نظام الرهبنة ب- مؤسسو الرهبنة

أ- نظام الرهبنة

لم يكن نظام الرهبنة نظامًا جديدًا أو قاصرًا على المسيحية "فالميل العام للنسك بصفة عامة وللرهبانية بصفة خاصة، لم يظهرا على الإطلاق في المسيحية فحسب، بل لقد ظهرا قبل المسيحية وبعدها في أديان أخرى. وبصفة خاصة في الشرق..." (فيليب شاف: تاريخ الكنيسة المسيحية الجزء الثالث).

توجد عدة نظريات عن نشأة الرهبانية المسيحية في مصر. وبعض التفاسير تميل إلى رأي فيلو بأنها ترجع إلى إحدى الطوائف الأسينية اليهودية Therapeutae، وكان أتباعها من اليهود الناسكين ممن عاشوا في الإسكندرية في القرن الأول. ونظرية أخرى تنادي بأنها تعود إلى بعض الممارسات في الديانة المصرية القديمة متمثلة في عبادة سيرابيس، أو ربما في القرن الثالث عن طريق تأثير أتباع المانوية، أو ربما قبل ذلك حيث اكتشفت في نجع حمادي نصوص عن أثر الطوائف الغنوسية. (د. عزيز سوريال عطية: الموسوعة القبطية).

ويرى دكتور عزيز سوريال أن هذه النظريات غير مقنعة، وأن بداية الرهبانية المسيحية غامضة. حيث تنسب نشأتها إلى القديس أنطونيوس الذي يعتبر "أبا الرهبان" إلا أنه من الواضح أن حياة القديس أنطونيوس تشهد بأنه حين عرف طريقه إلى حياة النسك في سنة ٢٧٠م، كان يوجد فعلاً بعض النساك ممن اعتزلوا الحياة في القرى. وهكذا فعل هو حيث ذهب إلى البرية الداخلية ليمارس النسك. وهو يرد السبب في ظهور الرهبنة إلى الاضطهاد، حيث لجأ بعض المسيحيين إلى الصحراء وهو ما حدث مع بولس التيباسي نفسه الذي فرّ إلى الصحراء أثناء اضطهاد ديسيان (٢٤٩- ٢٥٠م) وظل هناك عن اختيار (د. عزيز سوريال عطية: الموسوعة القبطية).

في الوقت المبكر لم يكن ثمة نظام موضوع يخضع له الرهبان، بل كانوا يعيشون وفق التعاليم التقليدية للشيوخ، والتي كانت تنتقل شفاهةً. (المرجع السابق).

ويتفق الأب متى المسكين مع ذلك الرأي إذ يرى أن كثيرين سلكوا في حياة النسك في القرن الأول سواء كانوا أفرادًا أو جماعات، دون منهج أو

نظام. فلم تكن الحياة الرهبانية النسكية المنظمة قد بدأت بعد وإنما عاشوا في وسط ذويهم وعائلاتهم. وكانوا من الشبان أو العذارى. بينما اعتزل بعضهم وعاشوا على أطراف المدن، إلاَّ أن كثيرين لم يستمروا في تلك الحياة التي أرادوها لأنفسهم. ومع ذلك استطاع البعض أن يتوغلوا في البرية ويعيشوا حياة توحدية كاملة، وأن يسلكوا بنسك وزهد في درجات متقدمة تعكس ما وصلوا إليه. ويقول الأب متى المسكين عن أولئك الذين انفردوا انفرادًا مطلقًا: "ولكن أثبتت الخبرة لهم بعد جهادهم الطويل أن الانفراد المطلق فوق طاقة الإنسان فقالوا بهذا وعلموه لزائريهم ومريديهم وأقنعوهم أن الحياة الجماعية أضمن طريق لتكميل النسك والعبادة وخصوصًا لذوي الأمزجة والطباع البسيطة، هكذا فعل القديس المتوحد بلامون مع باخوميوس فنشأ النظام الباخومي كله، والقديس المتوحد بيجول مع شنودة فنشأت أديرة شنودة المشهورة" (الأب متى المسكين: الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار).

ونجد في كثير من كتابات الآباء الأوائل ما يشجع على حياة النسك. ولذلك فإن كثيرين من الشبان والعذارى وجدوا في تلك الحياة ما يجتذبهم لكي يعيشوها. وإنَّا نجد في كلمات العلامة أوريجانوس انعكاسات لحياة النسك والتقشف إذ يقول: "نحن نكرس حياتنا لله لنخدمه في الطهارة، ونتعهد أن نتعفف بالجسد ولا ننعمه بل نخضعه حتى يمكننا أن نخلص أنفسنا" (المرجع السابق).

ونجد في تعليم القديس أثناسيوس الرسولي (٢٩٦ - ٣٧٣م) عن النسك والطهارة ما جعل كثيرين يقبلون على تلك الحياة.. وتمثلت قمة التشجيع على السلوك الرهباني في الكتاب الذي وضعه القديس أثناسيوس الرسولي عن سيرة الأنبا أنطونيوس. فأقبل كثيرون على الرهبنة.. "وفي أقل من قرن كان الرهبان قد ملأوا كل الجبال والقفار والبراري في مصر وبلغ عددهم عشرات الألوف.." (المرجع السابق).

وهكذا يؤرخ لمصر على أنها مؤسسة نظام الرهبنة، وبوصول القرن الرابع كانت الرهبنة المؤسسية قد ترسخت، فيقول شاف: "في بداية القرن الرابع ظهرت الرهبانية في تاريخ الكنيسة ومنذ ذلك الحين وهي تشغل مكانة متميزة. بدأت في مصر وانتشرت على نحو لا يقاوم في الشرق والغرب. وقد استمرت نبعًا فياضًا بالحياة المسيحية في مختلف العصور.." (شاف: الجزء الثالث).

"وكان أول دير أنشأه القديس أنطونيوس على نظام المتوحدين Eremitism سنة ٣٠٥م. وتبعه القديس باخوميوس، حيث أنشأ أول شركة ديرية

في سنة ٣١٨م، وبعد ذلك القديس مقاريوس، بديريه المشهورين (البراموس) و(أنبا مقار) ما بين عامي ٣٤٠- ٣٦٠م. على طقس "تجمع متوحدين". (الأب متى المسكين: دير القديس أنبا مقار).

وهكذا يؤرخ لمصر على أنها المنشئة للنظام الرهباني والمؤسسة له "مصر مهد الرهبنة في العالم، وعن مصر أخذت جميع الدول الرهبنة كنظام شعبي وكنسي بآن واحد" (الأب متى المسكين: الرهبنة القبطية في مصر القديمة- الأنبا مقار).

معنى كلمة الرهبانية

اشتقت كلمة "الرهبانية" (Monasticism) من (Monos) وتعني: يعيش بمفرده أو يحيا وحيداً، وهي تصف حياة النسك حيث اتبعها كثيرون من الرجال والنساء في مختلف الأديان، سواء لفترة محدودة، أو لكل العمر. وتعني أيضاً أن يعيش الإنسان بمفرده أو أن يحيا وحيداً خارج الرُبُط العادية للمجتمع، وأن يعيش بدون زواج. (راجع قاموس الروحانية المسيحية).

معنى كلمة راهب

يذكر الأنبا غريغوريوس معنى كلمة راهب التي نستخدمها في العربية فيقول: "لعل التعبير العربي **رهبان** وهو جمع **راهب** مشتق من الرهبة أو الجَزَع الذي يتولى ذلك الطراز من العُبَّاد عندما يدخل في مرحلة فحص الضمير وامتحان النفس ومعرفتها على حقيقتها، خصوصًا عندما يصل إلى بعض الإشراق الباطني ويشرف على مرحلة الشخوص في الأنوار العليِّة فتتولاه **رهبة** وجزع. على أن التعبير القبطي الذي يستخدم للدلالة على كلمة الراهب موناخوس ومنها اشتقت الكلمة اللاتينية Monachus والإنجليزية Monk والفرنسية Moine وغيرها في اللغات الأخرى، وكلها بمعنى "المتوحد". ذلك لأن الراهب بالمعنى الدقيق هو "المتوحد" الذي اعتزل الناس ليحيا منفرداً من غير زوجة وأولاد، وبعيداً عن المجتمع الكبير ليتهيأ له الوقت الكافي لينمو نمواً باطنيًا وروحيًا.. (راجع الأنبا غريغوريوس: الدير المحرق ص ١٠).

أنماط الرهبانية

وقد ظهرت الرهبانية في ثلاثة أشكال رئيسية وهي:

١- أن يحيوا معًا حياة مشتركة في كينوبيون Cenobion ويتَّحد أصحابها في نظام الحياة.

٢- مجموعات من المتوحدين يعيشون بالقرب من بعضهم البعض.

٣- رهبان يعيشون في قلايات في انعزال تام. (راجع قاموس الروحانية المسيحية).

درجات الرهبانية

يذكر الأنبا غريغوريوس أن الرهبانية طريق طويل ويبلغ سبع درجات وهي:

١- تلميذ للرهبنة

٢- راهب

٣- عابد

٤- ناسك

٥- متوحد

٦- سائح

٧- الرؤيا الطوبانية (وهي مرحلة الشخوص في الله والاتحاد به) (راجع الأنبا غريغوريوس: الدير المحرق).

ب- مؤسسو الرهبنة

١- أنبا أنطونيوس

يُدعى "أب الرهبان" أو "أب ومؤسس الحياة الرهبانية". ولد نحو سنة ٢٥١م في بلدة "كوما" (قمن العروس حاليًا) بمنطقة الواسطى.

بعد وفاة والديه، وفي أثناء حضوره في الكنيسة، سمع وصية السيد المسيح التي وردت في إنجيل متى (٢١:١٩). فشعر أن عليه أن ينفذ الوصية، فمضى ووزع كل أملاكه للفقراء، واستودع أخته أحد بيوت العذارى. وتبنى حياة النسك والزهد وهو في العشرينات من عمره.

انطلق القديس أنطونيوس خارج مدينته ليبدأ حياة النسك والتوحد. ثم بعد ذلك انتقل إلى الصحراء الشرقية، وتوغل في داخلها. وأخيراً اتجه نحو جبال البحر الأحمر في منطقة بسبير ليستقر في قلعة رومانية قديمة مهدمة، حيث عاش معظم حياته. وأتى كثيرون من الشباب ممن اقتدوا به وعاشوا حوله. إلاَّ أن القديس أنطونيوس كان شديد الاعتزال، وبرغم ازدياد مريديه إلاَّ أنه لم يبدِ أي اهتمام بوجودهم خلال السنوات العشرين التي قضاها هناك. فما كان منهم إلاَّ أن اقتحموا وحدته.. وطلبوا منه أن يرعاهم. فاستجاب لهم في وداعة شديدة.. وكان ذلك نحو عام ٣٠٥م.. ويعد هذا تاريخ أول دير قبطي في مصر.. وهو يحمل اسمه الآن.. (د. عزيز سوريال عطية: الموسوعة القبطية، الأب متى المسكين: الرهبنة القبطية).

ذهب إلى الإسكندرية في وقت اضطهاد دقلديانوس وماكسيمينوس الثاني، وفي خلال المجادلات الأريوسية، وذلك لكي يبين وقوفه إلى جوار البابا أثناسيوس الرسولي. وتوفى الأنبا أنطونيوس في نحو سنة ٣٥٥م أو ٣٥٦م. (الموسوعة القبطية: مرجع سابق، الرهبنة القبطية: مرجع سابق).

كتب البابا أثناسيوس الرسولي بعد وفاة الأنبا أنطونيوس كتابه المشهور عنه "حياة أنطونيوس". إلاَّ أن ثمة مصادر أخرى تركز على جوانب محددة في حياة أنطونيوس وشخصيته. وأقوال الآباء المأثورة، والمرتبة أبجديًا، تضمنت تحت اسمه ثمانية وثلاثين قولاً من أقواله. ويقول د. عزيز

سوريال نقلاً عن دوريس Dorries (١٩٦٦م): إن هذه المجموعة من الأقوال تعطي معلومات عن شخصية أنطونيوس أفضل مما يقدمها كتاب البابا أثناسيوس الرسولي. (الموسوعة القبطية: مرجع سابق).

كتاباته

تنسب إلى الأنبا أنطونيوس مجموعة من الرسائل. وقد فقدت مجموعة من سبع رسائل في الأصل اليوناني، ولكنها توجد في لغات أخرى. فهي توجد في اللغة الچيورچية (لغة القوقاز) واللغة اللاتينية، وبعضها في القبطية، وفي السوريانية. وتوجد مجموعة من (٢٠) رسالة يغلب عليها أن تكون وعظية في مجموعها. وإليه تنسب أيضاً عدة رسائل، رسائل إلى تيودور الطيبايسي، وسلسلة من القواعد، ونحو (٢٠) عظة. ويرجح أن الرسائل السبع، والرسالة إلى تيودور أصلية. (راجع الرهبنة القبطية: مرجع سابق، موسوعة تاريخ الكنيسة: مرجع سابق).

٢- الأنبا باخوميوس: "أب الشركة"

باخوم: كلمة قبطية تعني "النسر" وباخوميوس هو النطق اليوناني للكلمة.

النشأة: المكان والزمان:

وُلد القديس باخوم المعروف بأبي الشركة في إقليم تيبايس (طيبة قديماً، والأقصر حالياً) نحو سنة ٢٩٠م من أبوين وثنيين غنيين يعبدان الأصنام. في العشرين من عمره عرف طريقه إلى المسيحية، ثم عرف الرهبنة عن طريق الناسك المتوحد القديس بلامون الذي استمر معه سبع سنين حيث نما في حياة الزهد وفي الفضائل المختلفة. (الأنبا متاؤوس الأسقف العام: الأنبا باخوميوس).

"الأنبا باخوم هو واضع نظام الاشتراكية التعاونية في الحياة الرهبانية، وهو صاحب فكرة التصنيع في الأديرة المصرية الذي وَجَّه الرهبنة وجهة جديدة لم تعرف من قبله، وعنه أخذ الرهبان في كل العالم شرقًا وغربًا". (الأنبا غريغوريوس: الدير المحرق).

أقام القديس باخوميوس ديرًا وكان يقصده الناس لما سمعوه عنه من فضائل. ومع مرور الوقت وازدياد أعداد الراغبين في الرهبنة أقام أديرة أخرى متفرقة. وجعل لكل دير رئيسًا.. وصار هو الأب لكل الأديرة الباخومية.. فكان يتنقل بينها لمراقبة أحوالها وحل مشاكلها. وكانت كل الأديرة تخضع لنظام وقانون واحد تحت إدارة مركزية.

"أحال الأنبا باخوم الرهبنة إلى نوع من العسكرية الروحية، ووضع لها قوانين ونظماً، وكان الرهبان يقيمون في بيوت بحسب الحِرَف التي كانوا يمارسونها قبل الرهبنة.. وكان القديس يقيم لكل دير رئيسًا ووكيلاً، ويقيم للأديرة جميعها



رئيسًا عامًا ووكيلاً وأمينًا، وقد اتخذ من أحد الأديرة في فاو، على الضفة اليمنى من النيل مقابل هور، قاعدة لحكومته الديرية وإدارة جميع الأديرة التابعة له في الصعيد. وكان يجمع الرهبان في هذا الدير مرة كل سنة، وذلك في عيد رأس السنة القبطية... وكان يُعيِّن في هذا العيد الوظائف للسنة الجديدة" (الدير المحرق: مرجع سابق).

يذكر دكتور عزيز سوريال عطية أنه في وقت وفاة باخوميوس كان يوجد تسعة أديرة للرجال بالإضافة إلى ديرين للعذارى، وكان يوجد نحو ٥,٠٠٠ من الرهبان في المجتمعات التي أسسها. (الموسوعة القبطية- مرجع سابق).

وقد استقبل باخوم البابا أثناسيوس الرسولي استقبالاً حارًا في الدير المعروف بدير طابانا. (الأنبا غريغوريوس: الدير المحرق).

عندما أحس الأنبا باخوميوس بدنو أجله بعد مرض شديد، اجتمع بأولاده لتثبيتهم، واختار القديس بطرونيوس رئيسًا عامًا بعده. وكان ذلك في نحو سنة ٣٤٨م. (الأنبا متاؤوس: مرجع سابق).

٣- أنبا مقار الكبير

دُعي الأنبا مقار بالكبير أو المصري، وذلك تمييزًا له عن القديس مقار الإسكندري، المعاصر له. والأنبا مقار الكبير أحد النُسَّاك المؤثرين في تاريخ الرهبنة منذ القرن الرابع. ويوجد دير عامر يحمل اسمه في وادي النطرون واسمه يعني "المُطَوَّب أو "المبارك".

مقارِه

الاسم أصله فرعوني وينطق ماخرو Machrw ومعناها (صادق الصوت) وتفيد صفة الصدق والأمانة*، وقد كانت تنطق بالقبطية مقارِ بكسر الراء وأضيفت إليها هاء أخيرة لنضج النطق فصارت مقاره بكسر الراء، وأخذ العرب هذا النطق عن القبطية وتداولت الكلمة فصارت مقاره وهو أصح نطق للاسم**. أما باللغة اليونانية فأضيفت الواو والسين علامة الاسم ماكاريوس.

ولد أنبا مقار في نحو سنة ٣٠٠م في قرية شبشير الآن (مركز المنوفية) وكان في صباه يساعد في تحميل الجمال التي كانت لأبيه، كاهن القرية. ثم بدأ حياته النسكية حيث عاش متوحدًا بالقرب من إحدى القرى. وفي نحو عام ٣٣٠م اتجه جنوبًا في البرية حيث يقع دير البراموس، وحفر لنفسه مغارة، وكان يتردد عليه بعض الزائرين، حيث تردد عليه أول زائرين، وهما مكسيموس ودوماديوس الرومانيين. وظل هناك لمدة عشرين عامًا إلى أن أقبل كثيرون من المتوحدين

* البحث هنا للأستاذ الدكتور مصطفى الأمين أستاذ اللغة الديموطيقية بكلية الآداب.

** وهذا النطق وجدناه مكتوبًا في مخطوطة الدكتور چورچي صبحي العربية المكتوبة بحروف قبطية والتي سجلها له العلامة إفلين هوايت في كتابه الأول صـ ٢٣١ (الأب متى المسكين الرهبنة القبطية: صـ ٥٦).

ليعيشوا حول الكنيسة الرئيسية، إذ لم تكن ثمة أسوار في ذلك الوقت. (د. عزيز سوريال: الموسوعة القبطية، الأب متى المسكين: الرهبنة القبطية).

ثم بعد ذلك قصد غرب الوادي وحفر لنفسه مغارة ذات سرداب طويل، في مكان ليس بعيداً عن موقع الدير الذي يحمل اسمه حاليًا. وقد أقيمت من حوله مجتمعات للرهبان المتوحدين ممن أرادوا أن يقتفوا آثاره ويتبعوا خطاه. إذ أقاموا في ما يسمى "منشوبيات" وهي كلمة قبطية تفيد معنى السكن التجمعي أو الفردي. وقد بدأوا فرادى ثم صاروا عدة ألوف. وكانوا لا يلتقون معًا إلاَّ لحضور القداسات. (الأب متى المسكين: دير القديس أنبا مقار، والرهبنة القبطية).

وقد تميز القديس الأنبا مقار بعديد من الصفات التي جعلت كثيرين يقبلون إليه ويطلبون حكمته حتى أن تلميذه إيفاجريوس البنطي سافر نحو ٤٠ كيلومتراً ليطلب منه كلمة منفعة، فقد عُرف منذ شبابه بالحكمة حتى إنه كان يُدعى "الشاب الشيخ" أو "الصغير صاحب حكمة الشيوخ". وكانوا يدعونه أيضًا بالنبي اللابس الروح، أي حامل الروح القدس، وأصبح هذا هو لقبه الرسمي منذ القرن الرابع. (الأب متى المسكين: دير القديس أنبا مقار).

كان لأبيه رغبة في أن يزوجه، فعين له فتاة التي أصبحت زوجته. لم تكن للقديس مقار رغبة في الزواج. وكان يبتعد كثيراً عن زوجته بحجة السفر مع الجمال. وكان يصلي لكي يكون قلبه كله موجهًا لله. وقد أُصيبت زوجته بحمى شديدة أدت إلى الوفاة. (الرهبنة القبطية: مرجع سابق)

وقد رُسم القديس مقار قسًا برغبة أهل قريته ويذكر الأب متى المسكين نقلاً عن المؤرخ سوزومين: "إن القديس مقاره رُسِمَ قساً وهو في سن الأربعين سنة ٣٤٠م. وذلك في نهاية اعتكافه الأول الذي دام عشر سنوات، وأن القديس قد بدأ وحدته ونسكه، وهو في سن الثلاثين. وهذا القول يدعم أقوال الآباء باللاتينية "لكوتلييه" (الرهبنة القبطية: مرجع سابق).

ونقلاً عن روفينوس (تاريخ الكنيسة ٤:٢) يذكر د. عزيز سوريال أن أنبا مقار الكبير قد نفي مع مقار السكندري في أثناء الاضطهاد الأريوسي إلى جزيرة في الدلتا، حيث نفاهما لوس (أو لوقا) (Luce) الوالي مدَّعي الأسقفية. ثم عاد بعد ذلك إلى الاسقيط. وكان ذلك نحو عام ٣٧٥م حيث تم طرد الأسقف الكاذب بعد ذلك بسنة. (الموسوعة القبطية: مرجع سابق، الرهبنة القبطية: مرجع سابق).

يعتبر أنبا مقار تلميذاً للأنبا أنطونيوس، إذ ثمة تأكيد على أن القديس مقار ذهب مرتين للقائه، مرة في عام ٣٤٣م، والأخرى في سنة ٣٥٢م. وقيل إن الأنبا أنطونيوس قدَّم للأنبا مقار الأسكيم المقدس وسلَّمه عكازه (أو شبوبته- أي عصاته العتيقة)

وهذا يعني أنه يسلمه أمانة التدبير الرهباني بعده. (الرهبنة القبطية: مرجع سابق).

عاش القديس مقار إلى أن بلغ عمره التسعين (وفي روايات أخرى سبعة وتسعين عامًا). وبعد وفاته دفن في المغارة التي بجوار الكنيسة التي بناها. (المرجع السابق).

وتوجد كتابات كثيرة تحمل اسم "مقار". إلاَّ أن العلماء يرون أن الرسالة الأصلية هي التي تحمل عنوان "رسالة إلى الأبناء الروحيين" (Ad Filios Dei) ويؤكد على أصالتها العلامة والمؤرخ القديم جناديوس (Gennadius)، وهي توجد باللاتينية والسوريانية واليونانية بل والأرمينية أيضًا، وتوجد لها ترجمة بالعربية في كتاب الأب متى المسكين: الرهبنة القبطية.

د- أدوار هامة لمراكز ثقافية على طول وادي النيل

كانت ثمة مراكز عديدة للحياة المسيحية بالإضافة إلى الإسكندرية. فكانت طيبايد- الأقصر في جنوبي مصر، هي أكثر المراكز المعروفة للرهبانية المنظمة في القرن الرابع، حيث أسس الأنبا باخوميوس المعروف بأبي الشركة الحياة الرهبانية. وقد شهدت برية نتريا سلسلة من قلالي الرهبان وانتشرت حول الكنيسة هناك، وكذلك في البرية الواسعة لوادي النطرون جنوبي نتريا.

وبالإضافة إلى طيبايد توجد مراكز أخرى انتشرت على طول وادي نهر النيل. ومنها منطقة الفيوم (أرسينو) ومدن البهنسا (اكسيرنكوس) والشيخ عبادة (أنتينوبوليس) وكذلك كانت ليبيا وبنتابوليس (المدن الخمس الغربية) تتبع مباشرة كنيسة الإسكندرية. وتوجد مخطوطات كثيرة تبين تنوع المجتمعات المسيحية سواء في الأمور العائلية أو في اختبارات النسك والزهد أو في متطلبات العمل أو فيما يتعلق بالأمور الشخصية أو الليتورجية.

ومدينة البهنسا تعتبر أغناها في البراهين المستندية والآبائية. حيث عُثر على الأعمال (الدفاعية) لأرستيدي، و (الراعي) لهرماس، و(ضد الهراطقة) لإيريناوس.. وغيرها. ويستدل من مخطوطات صغيرة في حجم الجيب (البهنسا ١٧٨٢). ومن وجود مخطوطات للديداكي (تعاليم الرسل) في أحد المجتمعات في البهنسا في حجم الجيب أيضًا، أن ثمة مكتبة مسيحية متداولة كانت في تلك المدينة في القرنين الرابع والخامس. وبعض الاكتشافات الحديثة -كما سبق القول- قادت إلى القول بأن ثمة عناصر غنوسية ومانوية قد تسربت إلى منطقة البهنسا.

ومن المخطوطات أيضًا يتضح أن مدينة الشيخ عبادة كانت تتمتع باستقلال ثقافي، وظهر ذلك في التعليم الذي كان موضع جدل في القرنين الثاني

والثالث. كما يظهر ذلك من مستند اكتشف في سنة ١٩٠٠م في نيكربوليس. والمخطوطات التي اكتشفت في هذه المدينة وترجع إلى القرن الثالث تشهد بوجود نشاط لتعاليم باسيليدس وڤالنتينيانوس (ڤالنتنيان) حيث كانت في طريقها إلى الاندثار. (راجع نالديني: موسوعة الكنيسة الأولى).

هـ- المسيحية في بلاد النوبة

عرفت بلاد النوبة المسيحية عن طريق مصر في تاريخ مبكر. وكانت النوبة مفتوحة لمصر منذ الأسرة الحادية عشرة (٢١٠٠- ٢٠٠٠ق.م.). وقد قبل النوبيون الحضارة المصرية والديانة المصرية. وبُنيت المعابد المصرية العديدة في تلك الجهة، ولا سيما إبان حكم رمسيس الثاني. وأعظم تلك المعابد معبدا أبي سنبل الفخمين المنحوتين من الصخر، والتي كانت ستغمرهما مياه النيل خلف سد أسوان العالي. لولا أنه تم إنقاذهما بمعرفة جهد مشترك قام به العالم المتحضر كله. وفيما وراء ذلك، وتحت حماية الحضارة المصرية القديمة، قامت الثقافة المروية التي نشأت في منطقة "مروي"، فقد اكتشفت آثار قيمة في منطقة شندي من خلال عمليات تنقيب حديثة. وليس الأمر بالغريب -كما يبدو- أن الإرساليات المسيحية القبطية اتبعت الطريق المألوف إلى النوبة دون صعوبة كبيرة. والواقع أن بحثًا أوثق أظهر أن ملوك النوبة أنفسهم التمسوا من الكنيسة المصرية أن ترسل مبعوثين لكي يكرزوا بالإنجيل الجديد في اجتماعاتهم.

وبعض المؤرخين والباحثين، ومن بينهم د. عزيز سوريال، يفترضون عن يقين أنه قبل نهاية القرن السادس الميلادي، كانت المسيحية قد تغلغلت في الممالك النوبية الثلاث، والتي تمتد من جنوبي "سين" (أسوان الآن) إلى جنوبي وأواسط السودان، وكانت أولاها مملكة نباتا، والمملكة الثانية كانت مملكة الماكوريين حول المنحنى الكبير لنهر النيل، وكانت عاصمتها "مروي" والتي تقع شمالي شندي الحالية. وكانت ثالثتها مملكة ألودي وبالعربية علوة عند التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق. وكانت الحدود غير واضحة بين تلك الممالك إلى حد ما. وكان للسكان الكثير من السمات المشتركة، وقد بدا الجميع راغبين في اعتناق المسيحية حسب العقيدة القبطية. وعلى العكس من اليونانيين في كيرانيكا (القيروان حاليًا) وفي قرطاجنة، ومدن الشمال الأفريقي الأخرى، الذين احتفظوا بالمسيحية كديانة أرستقراطية، ولم يهتموا بنشرها بين البرابرة، وقد أظهر المصريون حماسةً بالغةً لجذب النوبيين إلى المسيحية ومساعدتهم على أن تكون لهم كنيستهم الخاصة. ولعل هذا قد كان هو السبب في أن المسيحية النوبية حاولت أن تواصل بعزم وعناد لوقت أطول

من مسيحية شمالي أفريقيا، بعد دخول الإسلام.

وقد أكدت البحوث الأثرية الأولية انتشار الإنجيل بشكل واسع في النوبة. وقد أشير إلى الاكتشافات المسيحية القديمة في أطلال مروي في السودان. وبالإضافة إلى ذلك فقد ثبت أن ما لا يقل عن خمسين من مباني الكنائس والأديرة ذات القيمة تم العثور عليها بين أسوان وسنّار على النيل الأزرق. وكان لجهود سومرز كلارك مكتشف هذه الآثار الأثر الكبير في إلقاء الضوء عليها. وكذلك سجل مؤرخ الكنائس والأديرة أبو صالح الأرميني، في تاريخ يرجع إلى القرن الثالث، أن مملكة الماكوريين كانت تضم سبع أسقفيات والعديد من الأديرة والكنائس، في حين أن المملكة النوبية الجنوبية، وهي مملكة ألودي كانت تضم أربعمائة كنيسة. وحتى إذا افترضنا أن ثمة مبالغة، إلاَّ أن هذا يشير إلى مدى تقدم المسيحية في النوبة. وهي حقيقة أكدها الجغرافيون المسلمون في العصور الوسطى. ويقال إن بعض أسماء الأماكن والأعلام وبعض كلمات عادية لها صبغة مسيحية أو قبطية، مازالت تستعمل بمعرفة النوبيين حتى الآن.

وثمة ما يدعو إلي الاعتقاد بأن الرهبان المصريين لم يُمنعوا من مزاولة نشاطهم التقوي فيما وراء الحدود الجنوبية لبلادهم. وثمة نقطة أخرى يجب توضيحها في هذا المقام، وهي أن المسيحية النوبية والإثيوبية كانتا منعزلتين وبدون تفاعل يذكر بينهما. وقد نبعت كلتاهما من مصر. فكانت إثيوبيا تستقبل كارزيها عن طريق البحر الأحمر، في حين أن بلاد النوبة كان الكارزون يسافرون إليها عن طريق النيل. وعلى هذا فإن هذه الأخيرة كان لها اتصال أعظم بالكنيسة الأم. وبعد أن أصبح الأقباط منشغلين تماماً بمتاعبهم المحلية، بعد دخول العرب بوقت طويل انفرطت هذه العلاقة، وتُرك النوبيون لأنفسهم، وأصبحوا جماعة مسيحية مهجورة وسرعان ما ابتلعت تدريجيًا في الديانة الجديدة. (عزيز سوريال: تاريخ الكنيسة الشرقية).

ثانياً: آباء كنيسة الإسكندرية وكتابها

١- العلاَّمة بنتينوس
٢- كليمندس الإسكندري
٣- البابا ديمتريوس
٤- العلاَّمة أوريجانوس
٥- البابا ياراكلاس
٦- البابا ديونيسيوس
٧- البابا ثيوناس
٨- فيلياس
٩- أمونيوس
١٠- بسينوسيريس
١١- ثيوغنوستوس
١٢- بيريوس
١٣- تريفون
١٤- أمبروسيوس
١٥- البابا بطرس خاتم الشهداء
١٦- هيسيكيوس
١٧- البابا ألكسندروس

١- العلامة بنتينوس

النشأة:

زمان ومكان الميلاد

لا يعرف على وجه الدقة تاريخ ميلاد بنتنيوس (أو بانتينوس PANTAENUS). ويذكر كليمندس أنه وُلد في جزيرة صقلية، وإن كان هذا الأمر يشوبه الشك لأن كليمندس كان يشبهه بالنحلة الصقلية، بما كان للنحل الصقلي من شهرة واسعة في ذلك الوقت. ويرى البعض أنه ولد في اليونان، لأنه كتب باليونانية، وهذا يعد دليلاً غير كافٍ لأن اللغة اليونانية كانت لغة المثقفين آنذاك. ولكن ثمة فريق آخر من المؤرخين ينسب ميلاده إلى الإسكندرية وإن كان لا يوجد ما يؤكد ذلك.

الخلفية الثقافية

يذكر يوسابيوس أن بنتينوس اعتنق المسيحية، وأنه كان من فلاسفة الرواقيين، وأنه قام برحلة تبشيرية حتى الهند. ويرجح أنه جاء إلى الإسكندرية في نحو سنة ١٨٠م.

بنتينوس رئيسًا لمدرسة الإسكندرية

كان بنتينوس أحد فلاسفة الرواقية، ونال شهرةً واسعة نظرًا لثقافته الواسعة، لذا فقد عُيِّن رئيسًا لمدرسة الإسكندرية بعد أن اعتنق المسيحية على يد الفيلسوف المسيحي أثيناغوراس. ويشهد كل من يوسابيوس وكليمندس أنه اكتسب شهرةً وثناءً على المستوى العالمي آنذاك.

دور بنتينوس في الثقافة المسيحية

يذكر يوسابيوس أن كليمندس كتب عن معلمه الذي وجده "مختفيًا في مصر"، ويكنّ له تقديراً كبيراً، ويميزه عن كل معلميه الآخرين. كما يذكر كيف أنه تلقى تعليمًا أصيلاً على يد معلمه، ويقول س. للاَّ S. Lella إنه بدون شك يعني بنتينوس. ولكن كليمندس ذكره بالاسم كاملاً وبوضوح في فقرتين فقط في شذرتين اكتشفهما م. جي. روث M.G. routh. كما يستعين كليمندس في شرحه للمزمور ١٨:٦ ببنتينوس حيث قال إن الأنبياء اعتادوا استخدام الزمن المضارع للتعبير عن المستقبل أو الماضي (إذ يحتمل أن كليمندس رجع إلى الشرح الذي ذكره بنتينوس لما عرف عن اتجاهه في تفسير العهد القديم تفسيراً روحيًا تأمليًا).

إن وصف الفلسفة الرواقية التي ينسبها يوسابيوس إلى بنتينوس قد أخذها بولينز Pohlenz بالمعنى الضيق لها. وقد أضفى على الفلسفة اليونانية الصفة التوفيقية في نهاية القرن الثاني الميلادي. وليس من قبيل الخلط أن نفترض أن كليمندس قد ورث عن بنتينوس ميله لدمج الحق الكتابي مع أفضل ما في التعليم الفلسفي.

وقد ظهر نفس هذا الاتجاه للانتقاء في الثقافة -مرة أخرى- مع أمونيوس سكاس Ammonius

Saccas الذي قام بالتدريس في الإسكندرية في نفس تلك الفترة، حيث كان يهدف إلى التوفيق بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو. ويحتمل صحة الفرض الذي قال به وِت Witt عن وجود تشابه شديد بين أمونيوس سكاس والمسيحيين السكندريين في ختام القرن الثاني الميلادي. ويبدو أن هذا قد تأكد لا عن طريق التطابق بين تعليم بنتينوس وأمونيوس فيما يتعلق بمشيئة الله في الخلق فحسب، وإنما تأكد أيضًا عن طريق التناظر أو التطابق بين كليمندس وأفلوطين أيضًا، والذي ذكره وِت (دائرة معارف الكنيسة الأولى ج٢).

أعماله

لا توجد أية مؤلفات معروفة باسمه، ويقول كواستن Quasten إنه لا يعرف إن كان قد كتب أية مؤلفات، لكنه لم يخلف لنا منها شيئًا. أما محاولة اكتشاف أي أعمال أدبية لبنتينوس من خلال كتابات كليمندس السكندري، فلابد من الاعتراف بأنها محاولة كان مصيرها الفشل. ويعتقد مارو Marrou أن بنتينوس هو كاتب الرسالة إلى ديوجنيتس. أما شاف Schaff فيقول إنه ترك عدة تفاسير، ولكن لم يتبق لنا منها سوى شذرات قليلة.

قام أ. ڤون هارناك A. Von Harnack بجمع كل ما يتعلق ببنتينوس. فتتبع كل ما ذكره عنه يوسابيوس، وچيروم، وكليمندس، وأوريجانوس، والإسكندر الأورشليمي، وبمفيلوس، وأناستاسيوس السينائي، ومكسيموس المعترف، وذلك في عمله المعروف: (Geschichte der Altchristlichen Literatur bis Eusebius, 1, Leipzig {1893, 291-296.} ويوسابيوس Eusebius} (HE 5,11,1).

✢ ✢ ✢ ✢

٢- كليمندس السكندري

أ- النشأة

زمان ومكان الميلاد

ولد تيطس فلاڤيوس كليمندس Titus Flavius Clement نحو سنة ١٥٠م. كان والداه وثنيين، ويبدو أنه كان من مواطني أثينا (هذا مجرد فرض مبني على استنتاج ما جاء في كتابه المتنوعات أو المتفرقات ٢:١:١)، وتلقى تعليمه الأولي هناك، ويستنتج من الكتاب المذكور آنفًا أنه عرف طريقه إلى الإيمان المسيحي في وقت مبكر على يد معلم مسيحي يوناني. وقد قام -بعد اعتناقه المسيحية- برحلات عديدة إلى جنوبي إيطاليا، وسورية، وفلسطين حيث تتلمذ على معلمين آخرين. وكان هدفه من وراء ذلك التزود بالعلم على أيدي أشهر المعلمين المسيحيين. فقد كان شغوفًا بالمعرفة. وقد

توجد في العربية عدة طرق لكتابة اسم Clement وهي كليمنضس، اكليمندس وكليمنت، وقد اخترنا الاسم كما هو مكتوب أعلاه (أي كليمندس) وهو الأقرب لليونانية.

علّق هو نفسه قائلاً: "كان من حسن طالعي أنني استمعت إلى مناقشات جرت بين رجال مباركين ومبرزين بالفعل". غير أن أهم حدث في رحلة تعليمه وتثقيفه هو أنه في سعيه هذا وصل أخيراً إلى الإسكندرية.

وقد استحوذت محاضرات بنتينوس على فكره وجُماع قلبه، حتى أنه استقر هناك وجعل من الإسكندرية موطنه الثاني، في أيام حكم كومودوس Cumudos. وفي معرض حديثه عن معلمه بنتينوس يقول: حينما التقيت بالمعلم الذي قابلته آخر الكل، وجدته أفضلهم جميعًا، وقد ارتحت حين تعقبته مختفيًا في مصر. فهو كالنحلة الصقلية نحلة تجمع رحيق الأزهار من المروج النبوية والرسولية. كان يبث في نفوس سامعيه معرفة أصيلة نقية".

أصبح كليمندس تلميذاً لبنتينوس، كما أصبح له صديقًا ومساعداً. وأخيراً خلفه رئيسًا لمدرسة المقبلين على العماد بالإسكندرية (مدرسة الإسكندرية للاهوت). ولا يمكن تحديد التاريخ الذي خلف فيه معلمه في وظيفته على نحو من الدقة، غير أنه من المرجح أن ذلك كان نحو سنة ٢٠٠م. غير أنه بعد ذلك بسنتين أو ثلاث سنوات اضطر اضطهاد سبتميوس ساويرس Septimius Severus إلى مغادرة الإسكندرية (مصر). وقد لجأ إلى كبادوكية، ونزل ضيفاً عند صديقه إسكندر الذي أصبح فيما بعد أسقفًا لأورشليم، وقد كتب (أي إسكندر) رسالة إلى القديس أوريجانوس نحو عام ٢١٥م أو ٢١٦م، يذكر فيها أن بنتينوس وكليمندس قد توفيا، أي أن وفاة كليمندس كانت قبل ذلك التاريخ بوقت قصير (موسوعة الكنيسة الأولى: كليمندس السكندري).

ب- كتاباته التي حفظت من الضياع

على الرغم من أننا لا نعرف إلاَّ القليل عن حياة كليمندس، إلاَّ أننا نحصل على صورة واضحة لشخصيته من خلال كتاباته، التي تظهر لنا براعته وقدرته الفذة، فقد استطاع وللمرة الأولى أن يضع التعليم المسيحي في مواجهة أفكار العصر ومنجزاته. ولهذا السبب يستحق أن يطلق عليه رائد الثقافة المسيحية كما يرى كواستن (كواستين: الجزء الثاني).

وأعمال كليمندس الأدبية تثبت أنه كان واسع العلم، له باع طويل في الفلسفة والشعر وعلم الآثار والأساطير والأدب القديم. والواقع أنه لم يرجع دائمًا إلى المصادر الأساسية، غير أنه في أحوال كثيرة يستخدم الكتب التي تحتوي على المقتطفات الأدبية المختارة. لكن معرفته كانت كاملة بالنسبة للكتابات المسيحية السابقة له، وبالكتاب المقدس، والكتابات الهرطوقية. وهو يشير إلى العهد القديم في نحو (١٥٠٠) فقرة وإلى العهد الجديد في نحو (٢٠٠٠) فقرة. كما كان ضليعًا للغاية في

الكلاسيكيات، التي اقتبس منها ما لا يقل عن ٣٦٠ مرة.

كان كليمندس على قناعة تامة بأن الكنيسة إذا كان عليها أن تؤدي واجبها كاملاً نحو البشرية وأن ترتفع إلى مستوى المسئولية الملقاة على عاتقها أن تكون معلمة للأمم، فعليها أن تواجه الفلسفة اليونانية. وقد مكّنه تعليمه الهيلّيني من أن يجعل من الإيمان المسيحي منهجًا للفكر يستند إلى أساس علمي. وإذا ما اعترف بالتفكير والبحث العلمي في الكنيسة فالفضل في ذلك يرجع إليه أولاً وأخيراً. فقد أثبت أن الإيمان والفلسفة، الإنجيل والتعليم العلمي، لا يتنافران بل يتكاملان. فكل التعليم الدنيوي يخدم الفكر اللاهوتي. فالمسيحية هي تاج وفخر كل الحقائق التي وُجدت في التعاليم الفلسفية المتباينة.

ومن بين كتبه توجد ثلاثة كتب توفر معلومات عن موقفه ومنهجه فيما يتعلق بالفكر اللاهوتي، وهي: Protrepticus، Paedagogus، Stromata وقصد من هذه الكتب الثلاثة بيان الطريق إلى الكمال. ولكن في الحقيقة لم يكن الأمر كذلك. فالكتابان الأولان يختلفان عن الأخير اختلافًا كبيراً في المحتوى. فالكتابان الأولان قد كتبا من أجل النشر العام وللعامة. (موسوعة الكنيسة الأولى).

١- النصيحة إلى اليونانيين

أولى هذه الكتابات: كتاب "النصيحة -أو الحث- إلى اليونانيين" Protrepticus. وهي رسالة تستهدف دعوة اليونانيين إلى الإيمان المسيحي. وترمي إلى إقناع المتعبدين الوثنيين بزيف الآلهة و تفاهة المعتقدات الوثنية وإظهار السمات القبيحة للأسرار الخفية -في الممارسات- وإقناعهم بقبول الديانة الحقة الوحيدة، وتعليم اللوجوس (الكلمة) الذي بعد أن أعلن الأنبياء، ظهر في شخص المسيح. وهو يعد بحياة تقود إلى تحقيق أعمق ما كانت تصبو إليه البشرية، لأنه المسيح يعطي الخلاص والخلود. وفي نهاية الرسالة يحدد كليمندس هدفه من هذه الرسالة على النحو التالي:

"ما هي إذاً الرسالة التي أقدمها لكم؟ إني أحثكم على نوال الخلاص. وهذا هو ما يريده المسيح. وخلاصة القول، فهو يهبكم الحياة مجانًا. ومن هو (المسيح)؟ تعلموا بإيجاز: «إنه **كلمة** الحق، **وكلمة** الخلود الذي يلد الإنسان ولادة جديدة بأن يعيده إلى الحق -إنه مهماز الخلاص- ذاك الذي يطرد الدمار ويطارد الموت -ذاك الذي يبني هيكل الله في الإنسان حتى يسكن الله فيه».

وعلى أساس مضمونها فإن "النصيحة إلى اليونانيين" تنتمي بشكل وثيق إلى كتابات الآباء المدافعين في الكنيسة الأولى بما عُرف عنهم من هجومهم العنيف على الأساطير القديمة المتعلقة بالآلهة، ودفاعهم عن أصالة العهد القديم. وكان كليمندس على علم بهذه الكتابات وقد انتفع بها.

وهو -على غرارها- استمد براهينه ضد العقيدة الوثنية وعبادتها من الفلسفة اليونانية الشعبية.

ومن الجلي أن كليمندس كان لا يرى ضرورة من بعد للدفاع عن المسيحية ضد الاتهامات والافتراءات الكاذبة التي تعرضت لها في البداية. ويعد هذا الكتاب خطوة للأمام على الطريق. ذلك أنه يضيف إلى أقواله ضد الوثنية اعتقاداً راسخاً وإيماناً عميقاً عن الوظيفة التعليمية "للكلمة" على مدى تاريخ البشرية كله. وهو يمتدح في أسلوب شعري قوي وبكلمات مشرقة سمو الإعلان الإلهي في اللوجوس (الكلمة)، والعطية العجيبة للنعمة الإلهية.

وطبقًا للشكل الأدبي لكتاب "النصيحة" أو "الحث" فإنه يتعين تصنيفه على أنه ضمن النصائح التي تستهدف تشجيع الناس على اتخاذ قرار معين، وإلهامهم بهدف رفيع مثل دراسة الفلسفة بعامة، والكتاب الذي قرأه القديس أغسطينوس لشيشرون بعنوان "Hortensius"، قبل الإيمان، ينتمي إلى هذه النوعية. وهكذا استهدف كليمندس أن يثير حماسة قرائه بالنسبة للفلسفة الحقيقية الوحيدة، أي المسيحية.

٢- المُعَلِّم

"المعلم" أو "المربي" Paedagogus ، ويشمل هذا العمل ثلاثة كتب، يمثل الاستمرار المباشر لكتاب "النصيحة" وهو يخاطب أولئك الذين قبلوا النصيحة التي تضمنتها رسالة كليمندس الأولى، وقبلوا الإيمان المسيحي. فالكلمة (اللوجوس) يتقدم الآن كمعلم لكي يعلم هؤلاء المتجددين كيف يسلكون في حياتهم.

الكتاب الأول من هذا العمل يتسم بطابع أكثر عمومية، ويناقش الدور التعليمي للكلمة الإلهي ويهدف منه أن تكون النفس أفضل، لا أن يثقفها فحسب، بل أن يدربها على حياة الفضيلة. ويقول: "إن علم أصول التدريس إنما هو لتدريب الأطفال"، ثم يثير السؤال: من هم الذين يدعوهم الكتاب المقدس "أطفالاً"، إنهم ليسوا فقط -كما يدَّعي الغنوسيون- الذين يعيشون على مستوى أقل من الإيمان المسيحي. وبذلك يكون الغنوسيون (للمزيد من المعرفة ارجع إلى الباب السادس الخاص بالهرطقات في الجزء الأول من هذه الموسوعة) وحدهم هم المسيحيين الكاملين. بل كل الذين نالوا الخلاص ووُلدوا ثانية عن طريق المعمودية هم أولاد الله: "فإذ قد تعمدنا فقد استنرنا، وإذ استنرنا أصبحنا أبناءً، وإذ أصبحنا أبناءً فقد تكمَّلنا، وإذ قد تكمَّلنا أصبحنا خالدين" (المعلم ١: ٦: ١:٢٦).

والمبدأ الأساسي الذي يعلمه اللوجوس (الكلمة) لأولاده هو المحبة، في حين أن التعليم الخاص بالتدبير القديم كان قائمًا على الخوف. ومع ذلك فإن المخلص يستخدم لا أدوية معتدلة فحسب، بل أدوية قوية لأن الله كما هو صالح فإنه عادل في

ذات الوقت أيضًا. والمربي الناجح هو الذي يوفق بين الصلاح والعقوبة، والبر والمحبة لا يتنافران في الله. ويشير كليمندس هنا إلى تعليم مارقيون الهرطوقي (راجع الباب السادس الخاص بالهرطقات في الجزء الأول من هذه السلسلة للمزيد من المعرفة) القائل إن إله العهد القديم ليس إلاَّ إله العهد الجديد. والخوف أمر طيب إذا كان يحمي من الخطية:

"فالجذور المُرة للخوف تكبح قروح خطايانا الآكلة. ومن هنا كان الخوف مفيداً حتى وإن كان مُرًا. وإذ نحن مرضى، فإننا في الواقع بحاجة إلى المخلص. وإذ ضللنا فإننا بحاجة إلى من يرشدنا، وإذا كنا عميانًا، فإننا نحتاج إلى من يقودنا إلى النور، وإذ نحن عطشى، فنحن في حاجة إلى ينبوع الحياة الذي من يشرب منه لن يعطش إلى الأبد (يوحنا ٤:١٣ و١٤) وكموتى، نحن في حاجة إلى الحياة، وكخراف نحتاج إلى راعٍ، فنحن الأبناء في حاجة إلى معلم، في حين أن الإنسانية برُمتها تحتاج إلى المسيح.. وإذا أردتم يمكنكم أن تتعلموا الحكمة الفائقة للراعي والمعلم كلي القداسة، الكلمة الأبوي كلي القدرة، وذلك حين قدم نفسه في تشبيه مجازي على أنه هو "راعي" الخراف، وأنه هو معلم الأبناء. ولذلك قال على لسان حزقيال موجهًا كلامه للشيوخ واضعًا أمامهم وصفًا نافعًا لقلقه الحكيم: "على جبال إسرائيل العالية هنالك تربض في مراعٍ حسن وفي مرعًى دسم يرعون على جبال إسرائيل. وأطلب الضال وأسترد المطرود وأجبر الكسير وأعصب الجريح.. وأرعاها بعدل" (حزقيال ٣٤:١٤ و١٦). هذه هي وعود الراعي الصالح. (المرجع السابق ١: ٩: ٨٣: ٢-٣:٨٤).

وفي مستهل **الكتاب الثاني** تتطرق الرسالة إلى مشاكل الحياة اليومية. وفي حين أن الكتاب الأول يركز على المبادىء العامة للأخلاقيات، إلاَّ أن الكتابين الثاني والثالث يقدمان رؤية تمس جميع مناحي الحياة: الطعام، الشراب، البيوت، الأثاث، الموسيقى،.. إلخ ويقدم وصفًا هامًا للحياة كما كانت عليه في مدينة الإسكندرية آنذاك من ترف ورذائل. ويحذر الكاتب المسيحيين من الانغماس في مثل هذه الحياة، فيقدم لهم بعض القوانين الخاصة بالسلوك المسيحي في مثل تلك الظروف. ومع ذلك لا يطلب كليمندس من المسيحي أن يحرم نفسه من مباهج الحضارة، بل ولا يطلب منه التنكر للعالم أو أن يكرس نفسه للفقر. والنقطة الحاسمة هي موقف الروح. فطالما جعل المسيحي قلبه حراً من كل ما يتصل بآلهة هذا العالم فلا مبرر لاعتزاله أصحابه. بل إنه من المهم أن تصطبغ الحياة الثقافية للمدنية بالروح المسيحية.

٣- المتنوعات أو المتفرقات

المتنوعات أو المتفرقات أو البُسُط Stromata أو Carpets {والبَساطُ وكل ما يُبسَطُ، وضرب من



الفُرُش يُنسَج من الصوف ونحوه. جمعه بُسُط، (ارجع إلى المعجم الوسيط الجزء الأول)}.

في ختام كتابه "المعلم" يقول كليمندس:

"إذا كان **المعلم** حينئذ يريد أن يكملنا بمرحلة تفضي إلى الخلاص، تناسب تربية فعَّالة. لذا استخدم استخدامًا حسنًا (الكلمة) كُلِّي الرأفة، الذي ينصح أولاً ثم يدرب وأخيرًا يُعلم". (٣:٣:١:١). ويتضح من هذه الكلمات أن كليمندس قصد أن يكتب كتابًا عنوانه "المعلم" أو "المربي" ليشكل الجزء الثالث من ثلاثية. وهذا الكتاب يتطلب تركيبًا منطقيًا دقيقًا. ذلك أن الكتابين السابقين يُظهران أنه لاهوتي نظامي ليس بمقدوره السيطرة على كم ضخم من المادة. لذلك اختار الصيغة الأدبية "المتنوعات" أو "البُسُط". والتي تلائم بالأكثر ميوله الخاصة. وتسمح له- وهذا ما حدث بالفعل- من تقديم مناقشات رائعة موسعة بأسلوب سهل ومشوق. كما أن اختيار عنوان الكتاب هكذا، يناسب الاختيارات التي كانت مستخدمة في ذلك الحين. وتشير إلى ما كان يفضله الفلاسفة من عناوين تعطيهم الحرية في اختيار الموضوعات، والانتقال بينها دون قيود.

وهذا العمل يتألف من ثمانية كتب. وأهم موضوع تناولته هو علاقة الديانة المسيحية بالعلم الدنيوي. وبخاصة علاقة الإيمان المسيحي بالفلسفة اليونانية. وفي **كتابه الأول** من هذا المصنف يدافع كليمندس عن الفلسفة حيث يرد على الاعتراض بأن الفلسفة لا قيمة لها بالنسبة للمسيحيين. فيجيب على ذلك بأن الفلسفة عطية من الله وهبت لليونانيين بتدبير إلهي.

بنفس الأسلوب الذي أعطي به الناموس لليهود. غير أنه بمقدورها أن تقدم خدمة هامة للمسيحي أيضًا، إذا ما أراد معرفة مضمون إيمانه.

ولعل الفلسفة قُدمت لليونانيين بصفة مباشرة ورئيسية إلى أن يدعو الرب اليونانيين. لأن هذه كانت بمثابة المدرسة التي تقود الفكر الهيلِّيني إلى "المسيح"، كما فعل الناموس بالنسبة للعبرانيين. ولذلك كانت الفلسفة إعدادًا يمهد الطريق لذاك الذي هو كامل في المسيح. (٢٨:٥:١).

وهكذا ذهب كليمندس إلى أبعد مما ذهب إليه يوستينوس الشهيد، الذي تحدث عن أن أصل اللوجوس (الكلمة) بأنه موجود في الفلسفة اليونانية. أما كليمندس فيشبهها بالعهد القديم من ناحية أنه هيَّأ البشرية لمجيء المسيح. ومن جهة أخرى كان كليمندس متلهفًا لتأكيد حقيقة أن الفلسفة لا يمكنها أن تأخذ مكان الإعلان الإلهي. وكل ما يمكن أن تفعله هو الإعداد لقبول الإيمان. وهكذا يدافع في كتابه الثاني عن الإيمان ضد الفلاسفة: "إن الإيمان، الذي يحط اليونانيون من قدره إذ يعتبرونه تافهًا وهمجيًا، هو اختياري، وقبول للتقوى -وبحسب ما ذكره بولس- "فهو الثقة

بما يرجى والإيقان بأمور لا تُرى" "فبدون إيمان لا يمكن إرضاؤه" (عبرانيين ١١: ١و٦). (٢:٢:٨:٤).

ومعرفة الله لا يمكن الوصول إليها إلاَّ بالإيمان، والإيمان هو أساس كل معرفة. فإذا كان من المستطاع أن نجد بذور الحقائق الإلهية في تعاليم فلسفية مختلفة فذلك مرده أن اليونانيين استخلصوا كثيراً من معتقداتهم من أنبياء العهد القديم. ولقد ذهب كليمندس إلى مدى بعيد في إثبات أنه حتى أفلاطون حين صاغ كتاب الشرائع كان يقتدي بموسى، وأن اليونانيين أخذوا عن البرابرة (أي اليهود).

أما الكتب الأخرى فتتناول دحض أفكار الغنوسية، ومبادئها الدينية والأخلاقية الزائفة. ولقد رسم الكاتب صوراً رائعة للغنوسية الحقيقية وعلاقتها بالإيمان، على اعتبار أنها نقيض للغنوسية الزائفة. والكمال الأخلاقي، والذي يقوم على أساس الطهارة ومحبة الله هو علامة للغنوسية النموذجية بالمقابلة مع الغنوسية الهرطوقية. وقد قال كليمندس في نهاية الكتاب السابع إنه لم يجب بعد عن جميع الأسئلة التي بدت هامة بالنسبة للحياة اليومية للمسيحيين ومعرفتهم الدينية. ولذلك وعد بجزء آخر وكانت لديه الرغبة في عمل بداية جديدة. ومع ذلك فإن ما يُسمى بالكتاب الثامن من "المتنوعات" يبدو أنه ليس استمراراً للكتاب السابع، بل هو مجموعة من الصور الوصفية والدراسات التي استخدمت في الأقسام الأخرى من الكتاب. وعلى هذا فيبدو أنه لم يكن في النية نشرها، ولكنها صدرت بعد وفاته، ولم يكن يقصد نشرها هكذا.. (كواستن: مرجع سابق).

د- نفس الرأي السابق ينطبق أيضاً على هذين العملين: Excerpta ex Theodoto and Eclogae Propheticae وقد أعقبا كتاب "المتنوعات" في تقليد المخطوطات.

ويرى كواستن أنها ليست مقتطفات أو مختارات قام شخص آخر بجمعها للأجزاء المفقودة من "المتنوعات" أو "البُسُط" كما يعتقد زان Zahn، لكنها مقتطفات من كتابات غنوسية مثل كتابات ڤالنتنيانوس الغنوسي. ومن الصعوبة البالغة الفصل بين المقتطفات المأخوذة من مصادر غنوسية وبين أقوال كليمندس نفسه.

٤- من الذي يَخْلُصْ؟

الكتيب الذي يحمله عنوان: "من الغني الذي يَخْلُصْ؟" إن هو إلاَّ عظة دينية على نص من إنجيل مرقس، والتي يبدو أنها لم تكن عظة ألقيت في اجتماع ديني عام. وهو يبين كيف أن كليمندس حاول أن يتغلب على الصعاب التي تولدت عند سامعيه نتيجة تفسير حرفي لوصايا الإنجيل، وكتاب "المعلم" يشير إلى أنه كان هناك أثرياء من بين مستمعي كليمندس. وهذه العظة تفترض الشيء ذاته. وكان من رأي كليمندس أن وصية

الرب: "اذهب وبع كل ما لَك وأعطِ الفقراء" (مرقس ٢١:١). لا يمكن أن يُفهم منها أن الغني الذي على هذا النحو يحرم صاحبه من ملكوت السموات، فليس من الضروري أن يتخلص الإنسان من كل ما يملك لكي يَخلُص. ويفسر كليمندس كلمات الرب على أنها نصيحة أو تحريض لكي نحفظ القلب من أية رغبة في امتلاك المال، وتحريره من أية صلة مبالغ فيها به. فإذا ما استغنى كل مسيحي عن ممتلكاته فلن تكون ثمة فرصة لمساعدة الفقراء. وسلوك الإنسان هو الأمر الحاسم، لا حقيقة كونه معدمًا أو ثريًا. علينا أن نكبح الشهوات لا الثروات، فالخطية لا الغِنى، هي التي تحرم الإنسان من ملكوت السموات. وفي الختام ذكر كليمندس أسطورة الرسول يوحنا والشاب الذي سقط بين اللصوص ليثبت أنه حتى أعتى الخطاة يمكنه أن يخلص إذا ما تاب توبة حقيقية (ارجع إلى يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ٢٣:٣).

(جـ) كتابات مفقودة

١- من أهم الكتابات المفقودة كتاب **"الخطوط العريقة" أو "المخطوطات"** Hypotyposeis ويتألف من ثمانية كتب. ويعد أقدم تفسير دقيق لكل الأسفار القانونية للعهدين: القديم والجديد، بل وحتى للأسفار التي موضع جدل. ولا يوجد سوى مقتطفات قليلة منها محفوظة باليونانية. وقد ذكر يوسابيوس أكبر عدد منها. كما توجد مقتطفات أخرى منها في الكتابات المنحولة المنسوبة لأوكومينيوس (Oikomenius). كما توجد اقتباسات أخرى في أعمال كُتَّاب آخرين. وهي تؤكد على أن ذلكم العمل لا يقدم تفسيرًا للنص برُمته، بل تفسيرًا مجازيًا لبعض الآيات المختارة. وطبقًا لما ذكره يوسابيوس فإن كليمندس ذكر معلمه بنتينوس في هذا العمل (المرجع السابق ٢:١١:٥، ٣:١٣:٦)، غير أننا لا نعرف إلى أي مدى اعتمد على محاضرات مُعلمه. ويوجد لدى فوتيوس النص الكامل لكتاب المخططات، وقد انتقده بشدة.

٢- "عن الفصح"

نعرف من يوسابيوس المؤرخ القيصري أن كليمندس السكندري كتب عملاً عن "الفصح" أعلن فيه أن زملاءه حملوه على الكتابة عن تقاليد سمعها من الشيوخ قديمًا، وذلك لفائدة أولئك الذين يأتون فيما بعد. وقد ذكر فيها ميليتو وإيريناوس وغيرهما. ولم تُحفظ من هذه الكتابة سوى اقتباسات قليلة وموجزة.

٣- "القانون الكنسي"

القانون الكنسي ecclesiastical canon أو ضد التهوديين، وأهداه إلى إسكندر أسقف أورشليم (كواستن: مرجع سابق) (ارجع أيضًا إلى الباب الرابع: الفصل الرابع من الجزء الأول).

٤- "عن العناية الإلهية"

نسخ أنستاسيوس السينائي فقرة من الجزء الأول من كتاب On Providence وتوجد شذرات

أخرى عديدة تشير إلى أنها أعطت تعريفات فلسفية. وهذه لم يذكرها يوسابيوس أو أي مؤرخ أو كاتب آخر من مؤرخي الكنيسة أو كتّابها. ولذلك تبقى أصالة هذه المادة موضع شك.

٥- "نصيحة للتحمل" أو "نصيحة للمعتمدين حديثًا": ونعرفه من يوسابيوس القيصري.. ويرجح أن شذرة- في مخطوطة عنوانها "نصائح لكليمندس" مأخوذة من هذا العمل المفقود.

٦- أحاديث عن الصوم" و"عن الافتراء"

ويذكرهما يوسابيوس إلاَّ أنه لا أثر لهما.

٧- "عن عاموس النبي"

والوحيد الذي يذكره هو بلاديوس Palladious على اعتبار أن كليمندس هو كاتبه.

٨- لا تتوافر لنا أية رسائل لكليمندس: إلاَّ أنه يرد في كتاب النظائر المقدسة ثلاث عبارات تنسب لكليمندس. اثنتان منها من رسالة رقم ٢١ .

✢✢✢✢

د- ملامح من *الفكر اللاهوتي عن كليمندس السكندري*

إنه ليس من قبيل المبالغة أن نعتبر أن كليمندس هو الرائد المؤسس للفكر اللاهوتي التأملي. وإذا ما قارنَّا بينه وإيريناوس، فمن الجلي أنه يمثل نمطًا مختلفًا تمامًا كمعلم كنسي. فقد كان إيريناوس رجل التقليد الذي استمد تعليمه من الوعظ الرسولي. وكان يرى أن أي تأثير من الثقافة والفلسفة السائدة خطر على الإيمان. أما كليمندس فقد كان الرائد الشجاع الناجح لمدرسة كانت تهدف إلى حماية الإيمان وتعميقه عن طريق الاستفادة من الفلسفة. وقد رأى خطرًا داهمًا في إضفاء الصبغة الهيلِّينية على المسيحية -كما فعل إيريناوس- وقد حارب كل منهما الغنوسية الزائفة والهرطوقية، إلاَّ أن ما يميز كليمندس هو أنه لم يكن سلبيًا في موقفه بل واجه ذلك بأن أقام غنوسية مسيحية صحيحة، حيث وضعت في خدمة الإيمان كنز الحقائق القائمة في النظريات الفلسفية المختلفة.

وبينما كان الهراطقة الغنوسيون يعلمون أنه لا يمكن التوفيق بين الإيمان والمعرفة لأنهما متعارضان، فإن كليمندس أخذ على عاتقه إثبات أنهما متقاربان، وأن التناغم بين الإيمان والمعرفة أساس المسيحي الكامل، والعارف (الغنوسي) الحقيقي. فالإيمان هو مبدأ الفلسفة وأساسها. وفضلاً عن ذلك فإنها مهمة للغاية بالنسبة لأي مسيحي يريد أن يسبر غور إيمانه عن طريق المنطق. وفي ذات الوقت تثبت الفلسفة أن هجمات الأعداء ضد العقيدة المسيحية تقوم على غير أساس:

"فالفلسفة الهيلِّينية بنهجها لا تضفي على الحقائق مزيدًا من القوة، لكنها إذ تضعف الهجمة

السوفسطائية ضدها، وتحبط المؤامرات الغادرة ضد الحقيقة فقد قيل إنها سور الكرم الصحيح وسياجه" (المتنوعات ١:٢٠:١٠٠).

ويصور كليمندس بشكل مناسب للغاية العلاقة بين الإيمان والمعرفة. وإنها لحقيقة أنه في بعض الأحيان يذهب بعيداً حين ينسب للفلسفة اليونانية دوراً مبرراً ويكاد يكون خارقًا للطبيعة، إلاَّ أنه ينظر إلى الإيمان على أنه وبشكل جوهري أكثر أهمية من المعرفة، فيقول: "الإيمان أسمى من المعرفة بل هو معيارها" (المتنوعات ٢:١٤:١٥).

١- تعليمه عن اللوجوس

حاول كليمندس أن يقيم منهجًا للفكر اللاهوتي وجعل اللوجوس (الكلمة) هو بدايته وأساسه. وفكرة القديس كليمندس واقعية ومتطورة بالنسبة لغيرها من الأفكار عن اللوجوس.

جعل كليمندس من اللوجوس المبدأ الأسمى للتفسير الديني للعالم. فاللوجوس هو خالق الكون. وهو الذي أظهر الله في ناموس موسى في العهد القديم. وفي فلسفة اليونانيين، وأخيراً بتجسده في ملء الزمان. وهو مع الآب والروح القدس هم الثالوث القدوس. وإنه من خلال اللوجوس أصبح بمقدورنا أن نعرف الله لأن الآب لا يمكن أن يسمى:

"وبالنظر إلى أنه من الصعوبة اكتشاف المبدأ الأول لأي شيء، فإن الأول المطلق، والمبدأ الأقدم، والذي هو علة كل شيء آخر، كائن أو كان من الصعب إظهاره. لأنه كيف يمكن التعبير عنه ذاك الذي ليس هو جنسًا أو مختلفًا أو صنفًا أو فرداً أو عدداً، وليس بمقدور أحد أن يعبر عنه بشكل صحيح وتام لأنه على أساس عظمته هو الكل، وهو خالق الكون. بل ولا يمكن التنبوء عن أجزاء منه، لأن "الواحد" غير قابل للتجزئة، ولذلك فإنه أيضًا غير محدود، ولا يحاط به فهو بلا أبعاد وليس له حد. وعلى هذا فهو بدون شكل أو اسم. وإذا أعطيناه اسمًا، فلا نفعل ذلك على نحو صحيح، حيث ندعوه إما "الواحد" أو "الصالح" أو "العقل" أو "الكائن المطلق" أو "الآب" أو "الله" أو "الخالق" أو "الرب". ونحن نتحدث لا كائننا نعطيه اسمًا، بل لأن الضرورة حتَّمت علينا أن نستخدم أسماءً "حسنى" كي تساعد هذا الفكر، وحتى لا نخطيء في أمور أخرى. لأن كل اسم من هذه الأسماء بمفرده لا يعبر عن الله، إلاَّ أنها كلها معًا تشير إلى قوة ذاك الذي هو كلي القوة.

فهذه الأسماء تطلق على الخصوص، أو بما ترتبط به الأشياء نفسها أو من العلاقة المتبادلة. إلاَّ أنه ليس من بينها ما هو مقبول بالنسبة للّه. بل وما كان مفهومًا بواسطة الأدلة. لأن ذلك يعتمد على مبادىء أولية ومعروفة بشكل أفضل. فلا شيء سابق لغير المولود. وهنا ليس لنا إلاَّ أن نفهم غير المعروف (أي اللّه) بواسطة النعمة الإلهية وبواسطة الكلمة وحده الذي انبثق منه". (المتنوعات ٥:١٢:٨٢).

والكلمة في ذاته كعقل إلهي، كان بالضرورة مُعلِّم العالم والمشرع للبشرية. غير أن كليمندس يعرِّفه أيضًا باعتباره مخلص للبشرية. وموجد حياة جديدة تبدأ بالإيمان وتتقدم إلى المعرفة والتأمل وتؤدي من خلال المحبة والخير إلى الخلود. والمسيح الكلمة المتجسد هو إله وإنسان، وبواسطته قمنا إلى حياة مقدسة. ولذلك فهو يتحدث عن المسيح باعتباره شمس البر.

"مرحبًا بالنور العظيم. لأنه فينا نحن، المدفونين في الظلمة، والمحبوسين في ظل الموت.. أشرق نور من السماء، أكثر ضياءً من الشمس، وأعذب من هذه الحياة التي على الأرض. هذا النور هو الحياة الأبدية، وكل من يشارك فيها يحيا، غير أن الليل يخشى النور، ويفر في ذعر، ويفسح مكانه لنهار الرب.النور الذي لا ينام هو الآن فوق الكل. لأن "شمس البر" الذي يقود مركبته فوق الجميع ينشر أشعته وبشكل متساوٍ على كل البشرية، مثل أبيه الذي يشرق شمسه على الجميع". وينزل عليهم ندى الحق. هو الذي بدَّل غروب الشمس إلى شروق، ومن خلال الصليب أبطل الموت وأنار الحياة، وإذ انتزع الإنسان من الهلاك رفعه إلى السموات، غارسًا الفاني في الخلود ومحولاً الأرض إلى سماء. إنه الزارع الإلهي، بعد أن وهبنا ميراث الآب. ذلك الميراث الإلهي الحقيقي العظيم الذي لا يُنزع منا. وهو يهبه لنا بواسطة التعليم السماوي. جاعلاً من الإنسان إلهاً قدَّم شرائع لأذهانهم، وكتبها في قلوبهم". (النصيحة إلى اليونانيين ١١:٨٨:١١٤).

وهكذا فإن فكرة اللوجوس هي مركز نظام كليمندس اللاهوتي، بل وكل تفكيره الديني. ومع ذلك فإن المثل الأسمى في الفكر المسيحي ليس فكرة اللوجوس بل فكرة الله. ولهذا السبب جانب النجاح كليمندس في محاولته تأسيس فكر لاهوتي علمي. (كواستن: مرجع سابق).

٢- دراسة "عن الكنيسة"

كان كليمندس على قناعة تامة بأنه لا توجد سوى كنيسة واحدة جامعة، كما أنه لا يوجد سوى آب واحد، و"كلمة" قدوس واحد، وروح قدس واحد. وهو يدعو هذه الكنيسة الأم العذراء التي تطعم أولادها بلبن "الكلمة" الإلهي.

ويقول كليمندس في إحدى الفقرات: "الأم تجذب أولادها إليها، ونحن نطلب أمنا، الكنيسة. وفي الفصل الأخير من كتابه المعلم (أو المربي) يدعوها عروس المعلم وأمه. فهي المدرسة التي فيها يسوع هو المدرس. ثم يستطرد كلامه قائلاً: "أيا تلاميذ المعلم السماوي الطوباويين. لنكمل (بحضورنا) الملامح الجميلة للكنيسة، ولنقم كأطفال بالسعي نحو أمنا الصالحة. وبعد أن نصبح سامعين للكلمة، دعونا نمجد التدبير المبارك الذي بفضله قام المعلم بتربية الإنسان.. وكمواطن سماوي، حيث دربه المعلم على الأرض، لكي يكون

مواطنًا في السماء، حيث يلتقي هناك بالآب، الذي عرفه على الأرض". (المعلم ٣:١٢:١٩).

وهذه الكنيسة تختلف في وحدتها وفي قِدمها، عمَّا جاء في الهرطقات:

"وإذ كان الحال على هذا النحو، فإنه من الثابت، من قدم الكنيسة السحيق، وحقيقتها الكاملة، أن هذه الهرطقات الأخيرة، وتلك التالية لها من حيث الزمن، ما كانت سوى اختراعات جديدة زائفة (بعيدة عن الحقيقة).

ومع ذلك، فإني أرى، على ضوء ما سبق قوله، أن الكنيسة الحقيقية، والتي هي قديمة بالفعل، هي كنيسة واحدة، وقد سُجِّل فيها أولئك الذين هم بحسب قصد الله أبرار... فالله واحد والرب واحد.. وتشترك الكنيسة الواحدة في الطبيعة الواحدة.. وقد جرت محاولات عنيفة لتمزيق (وحدة) الكنيسة إلى عدة شيع.. فإنه من ناحية الجوهر والفكرة، ومن ناحية الأصل والأهمية نقول إن الكنيسة الأولى والجامعة هي وحدها التي تجمع، كما هو حاصل بالفعل، إلى وحدة الإيمان، أولئك الذين سبقوا أن عُينوا، أي الذين سبق فعرفهم قبل تأسيس العالم، أي سبق وأعدَّهم ليكونوا أبرارًا.: إلاَّ أن سمو الكنيسة كقاعدة للوحدة، إنما هو في وحدتها، وهي في هذه الناحية تفوق كل ما عداها وليس لها ما يشابهها أو يساويها" (المتنوعات ٧:١٧:١٠٧).

ويعرف كليمندس أن العقبة الكؤود التي تعترض طريق تجديد الوثنيين واليهود واعتناقهم المسيحية تكمن في الشيع المنحرفة. "ذلك أنهم في بداية الأمر قدَّموا لنا هذا الاعتراض قائلين: إنه لا ينبغي عليهم أن يلتزموا بالإيمان بسبب الانشقاق الحادث بين الشيع. لأن الحق كثيرًا ما يضيع حين تقوم شيعة ما بتعليم مجموعة من المباديء والتعاليم وتقوم الشيع الأخرى بتعليم مباديء مغايرة.

ونرد عليهم: إنه بينكم أنتم أيها اليهود وبين أشهر الفلاسفة اليونانيين ظهرت كثير من الجماعات والنظريات. وعلى الرغم من ذلك فإنكم لا تقولون إن الإنسان يجب أن ينأى عن الفلسفة. أو يمتنع عن التلمذة لليهود لعدم وجود اتفاق بين الشيع القائمة بينكم. ثم إن هذه الهرطقات قد سبق أن تنبأ عنها الرب، أنه ستزرع الهرطقات في حقل الحقيقة كما يزرع الزوان بين الحنطة (القمح) ولا يمكن لأحد الحيلولة دون حدوث ما سبق الرب أن تنبأ به. وما سبب ذلك سوى أن كل ما هو جميل دائمًا ما يتعرض للتشويه المغالى فيه. فإذا ما أخلَّ أحد بالتزاماته وتنحى عن الاعتراف الذي اعترف به أمامنا، فهل يعني هذا ألاَّ نتمسك بالحق لأن هذا الشخص نقض التزاماته؟ إلاَّ أنه كما أن الإنسان الصالح لا يجب أن يثبت زيفه أو يفشل في أن يفي بما وعد به على الرغم من أن آخرين ينتهكون التزاماتهم، هكذا نحن أيضًا ملتزمون بألاَّ

ننتهك بأي حال من الأحوال قانون الكنيسة. ولا سيما الاعتراف بالبنود الأساسية للإيمان، والذي نلتزم نحن به، بينما يتغافل عنه الهراطقة ويحتقرونه" (المتنوعات ٧:١٥:٨٩).

والعبارات الأخيرة في هذه الفقرة تشير إلى أن كليمندس كان يعرف قانونًا تجمعت فيه كل عناصر الإيمان الضرورية. ذلك أنه كان يؤمن إيمانًا وطيداً بالوحي الإلهي الخاص بالأسفار المقدسة:

"إن من يؤمن بالأسفار الإلهية بيقين ثابت يتلقى من خلال صوت الله الذي أعطى هذه الأسفار دليلاً لا يمكن دحضه (المتنوعات ٢:٢:٩). إلاَّ أنه يحذر من سوء استخدام الهراطقة للأسفار المقدسة":

"وإذا ما تجاسر الذين يتبعون الهرطقات على أن يستخدموا الأسفار النبوية فإنهم لن يقبلوا الأسفار الكتابية كلها، وفضلاً عن ذلك فإنهم لن يستشهدوا بها برُمتها، بل وليس كما يقول سياق النبوة ونصها. بل إنهم ينتقون الفقرات الغامضة، ثم يحرفونها لتتناغم مع أفكارهم، ويجمعون تعبيرات قليلة من أماكن متفرقة، غير مبالين بالمعنى الخاص، بل بالمعنى الذي يخفونه هم لها. لأنه في جميع الاقتباسات -تقريبًا- التي اقتبسوها ستجدهم قد اهتموا بأسماء الكاتبين في الوقت الذي غيَّروا فيه المعاني، فهم لا يعرفون كما يؤكدون، بل ولم يستخدموا الاقتباسات التي أوردوها طبقًا لطبيعتها الحقيقية. إلاَّ أن الحقيقة لا تقوم بتغيير معاني الكلمات، لأن الناس بهذه الطريقة يفسدون كل عقيدة، لكن الحق يوجد في الأخذ بعين الاعتبار كل ما ينتمي بالتمام إلى السيد الإله ويليق به، ومقارنة التعليم بالتعليم بإسناد نصوص الأسفار المقدسة بعضها إلى بعض بإيراد الأقوال المناظرة لها في الكتاب المقدس (قارنين الروحيات بالروحيات). وعلى هذا فإن الهراطقة لا يريدون أن يعودوا إلى الحق إذ استحيوا من أن يتخلوا عن حب الذات، بل وما كانوا بقادرين على ترويج آرائهم إلاَّ عن طريق تشويه الكتاب المقدس" (المتنوعات ٧:١٦:٩٦).

والتسلسل الرئاسي في الكنيسة الذي يتكون من ثلاث درجات هي: الأساقفة والكهنة والشمامسة، في رأي كليمندس تقليد لطغمات الملائكة إذ يقول:

"في رأيي أن الدرجات الموجودة هنا في الكنيسة وهي: الأساقفة والكهنة والشمامسة إن هي إلاَّ اقتداء بالمجد الملائكي وبالتدبير الذي يقول عنه الكتاب المقدس إنه يتوقع أولئك الذين يسيرون على نهج الرسل، والذين عاشوا في كمال البر طبقاً للإنجيل" (المتنوعات ٦:١٣:١٠٧).

وهذه المحاولة التي جرت لوصف الترتيب الرئاسي للملائكة على وجه التحديد تمثل أمراً جديداً في تطور الفكر اللاهوتي، وكذلك يعرض



كليمندس نظرية المعرفة الملائكية ووضع الأساس لآراء القديس أغسطينوس- ومن حقيقة أنهم يحملون صلواتنا إلى الله استنتج كليمندس أنهم يعرفون أفكار الناس، وهو يعلِّم أيضًا بأنه ليست لهم حواس، وأنهم يعرفون بشكل فوري وبسرعة مثل الفكر الذي لا يمر بالحواس. ولذلك فإن مفهومه عن روحانية الملائكة وعدم وجود أجسام لها هو مفهوم سام ويفوق بكثير مفهوم القديس يوستينوس في هذا الأمر. (كواستن: مرجع سابق).

٣- المعمودية

المعمودية في فكر القديس كليمندس هي ولادة ثانية وتجديد:

"لأنه بهذه الطريقة يريدنا (الرب يسوع المسيح) أن نتجدد لنصبح كالأطفال معترفين بذاك الذي هو أبونا الحقيقي، حيث نولد ثانية بالماء، وهذه ولادة مختلفة عن تلك التي كانت بالخلق" (المتنوعات ٨٧:١٢:٣).

ويصف في كتابه "المعلِّم" نتائج المعمودية هكذا:

"إذ اعتمدنا فقد استنرنا، وإذ قد استنرنا فقد أصبحنا أولادًا، وإذ أصبحنا أولادًا نسير في طريق الكمال، وبالكمال ننال الخلود" (أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم) (مزمور ٦:٨٢). والمعمودية تدعى بأسماء مختلفة: نعمة، استنارة، تكميل، غسل، لأننا بواسطتها نتطهر من خطايانا، وننال بها نعمة تلغي بواسطتها العقوبات الناجمة عن تعدياتنا، وتنويراً نشاهد به نور الخلاص المقدس، أي أننا بها نرى الله بوضوح. ونحن نسمى من لا يعوزه شيء بالكامل. فما الذي يحتاجه بعد، ذاك الذي يعرف الله؟ لأنه كان أمرًا بغيضًا حقًا أن نطلق على ذاك الذي ليس كاملاً أنه "نعمة الله".

٤- الإفخارستيا

تشير فقرة وردت بكتاب المتنوعات أن كليمندس لم يكن يؤمن بالذبائح.

"في الواقع إننا لا نضحي بشيء لله الذي هو ليس بحاجة إلى شيء، والذي يمد الناس أجمعين بكل ما يحتاجونه، غير أننا نمجد ذاك الذي قدَّم نفسه ذبيحة من أجلنا، ونحن أيضًا نقدم أنفسنا كذبائح.. لأن الله لا يُسر إلاَّ بخلاصنا فحسب" (المرجع السابق ٣:٧). ومع ذلك يكون من الخطأ أن نستخلص من هذه الأقوال أن كليمندس لم يكن يعترف بالإفخارستيا باعتبارها ذبيحة العهد الجديد. ففي الفقرة السابقة كان يتحدث عن الطقوس الوثنية. لأنه يقول فيما بعد:

"ولذلك فنحن وعن حق أيضًا لا نقدم ذبائح لذاك الذي لا تغلبه المسرات ناهيك عن الدخان الذي لا يصل حتى طبقات السحب السميكة بل إنه يتوقف تحتها بمسافات بعيدة، أما التي يصل إليها فهي أبعد منها بكثير. وعلى هذا فالله ليس في حاجة إلى شيء، وهو لا يحب المسرات أو الكسب أو المال، لأنه غني ويقدم كل شيء لكل من أصبح له

وجود وله احتياجات. ثم إنه ليس بالذبائح والتقدمات، ومن ناحية أخرى ليس بالمجد والتكريم يمكن أن نكسب الله، بل إنه لا يتأثر بأي من هذه الأمور، وهو لا يظهر إلاَّ للممتازين والصالحين الذين لا يخونون العدالة إطلاقًا أمام الوعيد، ولا بإغراء الوعد بالعطايا العظمى".. (المتنوعات ١٤:٣:٧ و١٥).

وذبائح الوثنيين الدموية لا تتفق مع المفهوم المسيحي عن الله ولذلك يعتبرها المسيحيون غير جديرة بالله. وهنا يتفق كليمندس تمامًا مع الآباء اليونانيين المدافعين الذين يرفضون الذبائح الدموية للسبب نفسه. إلاَّ أنه يعرف ذبيحة الكنيسة هكذا:

"ذبيحة الكنيسة هي الكلمة التي تصعد كالبخور من النفوس المقدسة، الذبيحة والعقل كله الذي يكون في ذات الوقت مكشوفًا أمام الله". (المتنوعات ٣٢:٦:٧).

والطابع الروحي للتقدمة التي سبق أن أكد عليها، لا يستبعد التقدمة الرمزية التي تستخدم في العبادة. وقد عرف هذا تمام المعرفة. وناقش في كتابه المتنوعات مسألة استخدام الهراطقة للخبز والماء، وأن بعضهم يستخدم الماء فحسب، وهو يدين ذلك باعتباره ضد القانون الكنسي الذي يتطلب خبزًا وخمرًا، "ملكي صادق ملك ساليم وكاهن الله العلي، الذي قدَّم خبزًا وخمرًا، قد أسَّس بذلك طعامًا مكرسًا لنوع من القربان المقدس" (٢٥:٤). وكما يرى في الإفخارستيا ذبيحة، ينظر إليها أيضاً كغذاء للمؤمنين فيقول:

"(لقد قال السيد المسيح) من يأكل جسدي.. ويشرب دمي" (يوحنا ٥٤:٦). هذا هو الطعام المناسب الذي يقدمه الرب، وهو يقدم لنا جسده، ويسكب دمه، ولا يحتاج الأطفال إلى شيء آخر لكي ينموا. يا له من سر عجيب! فقد أمرنا بأن نخلع الفساد الجسدي العتيق، وكذلك الغذاء القديم، نقبله غذاءً آخر هو (غذاء) المسيح، نقبله هو نفسه. وهذا معناه أننا نكتنز المخلص في ذواتنا ونصحح مشاعر جسدنا. لكنك لا تميل لأن تفهمه على هذا النحو، ولعلك تفهمه على نحو أكثر عمومية. ولذلك استمع أيضًا للتفسير التالي. "الجسد من الناحية المجازية يمثل الروح القدس بالنسبة لنا، لأن الجسد خلق بواسطته.. والدم بالنسبة لنا يشير إلى "الكلمة" لأن الكلمة كالدم الذي يتدفق بغزارة، هكذا تنتشر الكلمة في العالم، واتحادهما معًا هو الرب، غذاء الأطفال- لأن الرب هو روح وكلمة" (المعلم: ١:٦: ٤٢، ٣- ٤٣:٢).

وأهم فقرة في هذا الشأن نجدها في كتابه المعلِّم: "ودم الرب مزدوج. دم جسده، الذي افتدينا به من الفساد من جهة، والدم الروحي الذي به مُسحنا من جهة أخرى. ومعنى أن تشرب دم يسوع هو أنك أصبحت شريك الرب في الخلود، ذلك لأنه إذا كان الروح هو العنصر الفعَّال في

الكلمة، فإن الدم هو العنصر الفعَّال في الجسد. وطبقًا لذلك فإنه كما أن الخمر يمزج بالماء، فهكذا الروح بالإنسان. ثم إن هذا المذيج الواحد، من الخمر والماء، يغذي للإيمان، كما أن الآخر، أي الروح يقودنا إلى الخلود.

وامتزاج الاثنين -أي الشراب والكلمة- يسمى إفخارستيا. إنها النعمة معروفة ومجيدة، والذين يشاركون فيها بالإيمان يقدسون في الجسد والروح". (المعلِّم ٢:٢:١٩:٤-٢٠:١).

ويميز القديس كليمندس هنا بين الدم البشري ودم المسيح في الإفخارستيا. فالأخير يسميه المزيج المكوَّن من الشراب والكلمة. وقبول دم الإفخارستيا يقدس جسد وروح من يشربه.

٥- الخطايا والعقاب

يرى كليمندس أن خطية آدم تمثلت في رفضه أن يسمع لكلام الله، وقد ورثت الخطية كلها هذه الخطية، لا من خلال التناسل، بل من خلال النموذج السيىء الذي أتى به آدم (المتنوعات ٣: ١٦: ١٠٠- الحث ٢:٣). وكان كليمندس يعتقد أن الفعل الشخصي فقط هو الذي يستطيع أن يلوث النفس، ويرجح أن هذا المفهوم جاء نتيجة رد فعل للفكر الغنوسي، إذ كان الغنوسيون يعتبرون المادة شرًا، وأنها مسئولة عن الخطأ. وكان يرى أن عقاب الله -على غرار أفلاطون- له طبيعة تطهيرية فحسب. "وفي ذلك يقول أفلاطون في بلاغة: "بالنسبة لكل الذين يعانون بسبب العقوبة فإنهم في واقع الأمر عوملوا أحسن معاملة، لأنهم استفادوا حيث روح أولئك الذين عُوقبوا بعدل قد أصبحت أفضل". وإذا كان أولئك الذي تأدبوا قد تلقوا خيرًا على يد العدالة، فإنه طبقًا لما يقوله أفلاطون، فالشخص العادل اعتُرف به أنه صالح، فالخوف نفسه يعمل خيرًا، ووجد ليكون خيرًا للإنسان" (المعلم ١:٨:١:٦٧). ومع ذلك فإن كليمندس لا يذكر في أي موضع أنه استخدم هذا التفسير، ولو على جهنم.

ويتفق كليمندس مع هرماس على أنه يجب أن تكون ثمة فرصة وحيدة للتوبة في حياة المسيحي، وهي تسبق المعمودية، إلاَّ أنه بدافع من رحمته لضعف البشرية منح فرصة توبة أخرى، لا يمكن أن تحدث إلاَّ مرة واحدة: "فالذي ينال غفران الخطايا ينبغي عليه ألاَّ يعود يخطيء مرة أخرى. لأنه بعد التوبة الأولى والوحيدة عن الخطايا (الخطايا السابقة في الحياة الأولى الوثنية الغارقة في الجهالة)، هناك التوبة التي تطهر أعماق النفس من الآثام حتى يمكن أن يترسخ الإيمان، وهذه أقترحت فورًا للمدعوين. وإذ كان الرب يعرف القلب، ويعرف المستقبل مقدمًا، فقد رأى مسبقًا تقلبات الإنسان وكذلك مكر الشيطان وحيله، وكان ذلك منذ البداية، وكان أنه إذ حسد الإنسان نتيجة لحصول الإنسان على غفران لخطاياه، فقد عمل على أن يضع أمام عبيد الله تجارب مختلفة، ليوقعهم في الشر بمهارة حتى يسقطوا معه. وبناء

على ذلك، وعلى أساس رحمته البالغة، فإنه بالنسبة لأولئك الذين على الرغم من إيمانهم يقعون في أية خطية، فقد تعطف ودبر لهم توبة ثانية، حتى إنه إذا ما تعرض أي شخص بعد دعوته للتجربة، وسقط بالقوة والغش فإنه يحصل على "توبة-للخلاص- بدون ندم" (٢كو ٧: ١٠).

فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا. بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين" (عبرانيين ١٠: ٢٦ و٢٧). ذلك أن التوبات المستمرة المتعاقبة عن الخطايا لا تختلف في شيء عن حالة أولئك الذين لم يؤمنوا إطلاقًا، فيما عدا إدراكهم أنهم يرتكبون الخطية. ولست أدرى أي الحالتين أسوأ، هل حالة الإنسان الذي يرتكب الخطية وهو مدرك لذلك، أو ذاك الذي بعد توبته عن خطاياه عاد ثانية إلى الخطية. (المتنوعات ٢: ١٣: ٥٦-٥٧: ٤).

إذن، فذاك الذي خرج من بين الأمميين، ومن تلك الحياة الأولى وحمل نفسه إلى الإيمان، فإنه يكون بذلك قد حصل على مغفرة الخطايا مرة. إلاّ أن من أخطأ بعد هذا، فإنه بعد توبته، وعلى الرغم من حصوله على الغفران، فإنه عليه أن يخشى، كمن يُغسل بعد لمغفرة الخطايا. لأنه ليس عليه أن يهجر الأصنام التي كان يعبدها كآلهة في السابق فحسب، بل عليه أن ينبذ أيضًا أعمال حياته السابقة التي تخلّى عنها وذلك لأنه وُلد، "ليس من دم ولا من مشيئة رجل" (يوحنا ١: ١٣). بل في الروح القدس، فالتوبة تعني عدم اقتراف نفس الخطيئة، لأن التوبة المتكررة والاستعداد للتغيير بسهولة بسبب الحاجة إلى الجدية الروحية، وذلك بسبب ممارسة الخطية ثانيةً. وتكرار طلب المغفرة بالنسبة لتلك الأشياء التي كثيرًا ما تخطيء فيها هو ندم ظاهري، لا ندم حقيقي.

ويميز كليمندس في هذه الفقرات بين الخطايا الإرادية واللا إرادية. وهو يرى أن الخطايا التي تُرتكب بعد المعمودية لا يمكن أن يُغفر منها سوى الخطايا اللا إرادية فحسب. أما الذين يرتكبون الخطايا عن عمد بعد المعمودية فعليهم أن يخشوا دينونة الله. إن القطيعة التامة مع الله بعد المعمودية لا يمكن أن تُغفر. ذلك لأنها تتعارض مع الفكرة المسيحية القديمة الخاصة بعدم المساس بختم المعمودية. وإذا ما كانت الخطية التي ارتُكبت بعد المعمودية لا تؤدي إلى قطيعة تامة مع الله على أساس وجود نقص معين في حرية القرار، هنا يكون ثمة احتمال قائم لتوبة ثانية. ومع ذلك فإن كليمندس في الواقع لا يستبعد أية خطية. من هذه التوبة الثانية مهما كان ثقلها. والقصة التي ذكرها في ختام كتابه "من الغَني الذي يخلص؟" والتي تدور حول القديس يوحنا وشاب أصبح رئيسًا لعصابة من اللصوص، ولكن القديس أعاده إلى الكنيسة بعد أن كان أكثر اللصوص شراسة وقسوة وميلاً لسفك الدماء، والقصة تدل على أن

كل الخطايا يمكن غفرانها ما لم تكن ثمة عقبة في نفس الخاطيء. وتعد مثالاً عظيماً عن التوبة الصادقة وعلامة رائعة على الولادة الثانية. وبذلك فإن القديس كليمندس يبدو أنه لا يعرف شيئًا عن الخطايا الثقيلة التي لا يمكن غفرانها. فحتى خطية الردة تبدو له أنها قابلة للغفران لأنه يصلي من أجل أن يعود الهراطقة إلى الإله القدير. والخطايا التي لا تُغفر والإرادية تكون متى تعمد الإنسان الابتعاد عن الله ويرفض المصالحة والتجديد.

٦- الزواج والبتولية

يدافع كليمندس عن الزواج، ضد كل الشيع الغنوسية التي كانت ترفض الزواج وتستنكره. وهو لا يوصي بالزواج لأسباب أخلاقية فحسب. بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يعتبره واجبًا من أجل صالح البلاد، ومن أجل تعاقب الذرية ومن أجل كمال العالم فيقول:

"إنه من الضروري أن تتزوج، وذلك لأجل بلادنا، ومن أجل تعاقب الذرية من جهة أخرى، وبقدر ما يعنينا الأمر من أجل كمال العالم، ومن هنا يرثي الشعراء للزواج غير الكامل أي الذي بدون أطفال ولكنهم يعلنون الزواج الذي يثمر عن أطفال بأنه زواج سعيد".

والقصد من الزواج هو إنجاب الأولاد، وهذا واجب كل شخص يحب بلاده. غير أن كليمندس يرفع الزواج إلى مستوى أعلى من ذلك بكثير، بحيث يعتبره عملاً يدل على التعاون مع الخالق:

"وهكذا يصبح الإنسان صورة الله بقدر تعاونه في خلق الإنسان" (المعلم: ٢:١٠:٢:٨٣). غير أن إنجاب الأولاد ليس هو القصد الوحيد من الزواج. فالحب المتبادل، والعون والمساعدة التي يقدمها الزوجان أحدهما للآخر توحِّد بينهما في رابطة أبدية. "إن فضيلة واحدة تجمع الرجل والمرأة. لأنه إذا كان لهما إله واحد، ومعلم واحد، وكنيسة واحدة، وتعفف واحد، وتواضعهما واحد، وطعامهما مشترك، والزواج نير مشترك، فكل شيء بالمثل: التنفس، البصر، السمع، المعرفة، الرجاء، الطاعة، المحبة. وأولئك الذين حياتهم مشتركة، لهم نعم مشتركة، وخلاص مشترك، كما أنهم يشتركون في طريقة العيش" (المعلم ١:٤).

إلاَّ أن أجمل مفهوم للزواج نجده في كتاب كليمندس المتنوعات حيث يقول: "من هم الاثنان أو الثلاثة الذين اجتمعوا معًا باسم المسيح، من هم الذين يكون الرب في وسطهم؟ أليسوا هم الزوج والزوجة والابن (أو الابنة) لأن الرجل والزوجة جمع الله بينهما؟".

وهكذا وضع كليمندس الزواج في حالة أسمى من الرابطة الجنسية فهو يرى أنها وحدة زوجية ودينية بين الزوج وزوجته، ولذلك يشدد قائلاً: "الحالة الزوجية مقدسة" (المتنوعات ٣:١٢:٨٤). وحتى الموت لا يفصم هذه الوحدة تمامًا، ولهذا السبب

نرى كليمندس ضد أي زواج ثانٍ: "إن من يتزوج ثانيةً لا يخطيء أيضًا، حسب العهد، حيث أن الشريعة لا تمنعه في الواقع. ولكنه لا يحيا حسب الإنجيل في كماله الأقصى" (المتنوعات ٣:١٢:٨٤:٤).

ونظرًا لأن كليمندس دافع عن الزواج على هذا النحو ضد الهراطقة الغنوسيين الذين رفضوا الزواج وأكدوا على الامتناع التام عن الزواج، فإن السؤال الذي يدور الآن هو ما هو موقفه من البتولية. إن كليمندس نفسه لم يتزوج "بدافع من محبته للرب" (المرجع السابق ٣:٧: ٥٧)، وهو يقول بين آن وآخر: "نحن نمتدح البتولية وكل من أعطاهم الله إياها". (المرجع السابق:٣:١:٤). وهو مقتنع بأن "ذاك الذي يظل بدون زواج لكي لا ينفصل عن خدمة الرب سوف يحصل على المجد السماوي". (المرجع السابق ٣:١٢:٨٢). إلاَّ أنه حين يقارن حالة الزواج بحالة البتولية فإنه يعتبر المتزوج أسمى من العازب. وإذ وازن بحرص استحقاقات كل منهما شعر بأنه ملزم بأن يقول:

"الإنسان لا يظهر حقيقة إنسانيته باختياره حياته كأعزب، بل يتفوق على الرجال ذاك الذي ضبط نفسه بالزواج وإنجاب الأطفال، .. وفي اهتمامه ببيته، أصبح لا ينفصل عن محبة الله، وانتصر على كل المحن التي تأتيه من الأولاد والزوجة والخدم والممتلكات. إلاَّ أن ذاك الذي ليس لديه عائلة تراه وإلى درجة كبيرة غير معرَّض لهذه التجارب والمحن، حيث أنه في هذه الحالة لا يعول إلاَّ نفسه فحسب، وقد تفوق عليه من هو أقل منه، وفيما يتعلق بخلاصه الشخصي، ولكنه متفوق عليه في سلوكه الحياتي.." (المتنوعات ٧:١٢:٧٠).

ورأي كليمندس ليس له نظير، ولعله جاء نتيجة لدفاعه القوي عن الزواج ضد الهجمات التي يشنها الغنوسيون عليه (أي الزواج!).

٣- ديمتريوس

أصبح ديمتريوس DEMETRIUS أسقفًا للإسكندرية في العام العاشر من حكم كوموديوس وبالتحديد في عام ١٨٩م، واستمر نحو ٤٣ عامًا وذلك طبقًا لما ذكره المؤرخ يوسابيوس القيصري في كتابه (يوسابيوس - تاريخ الكنيسة- مرجع سابق). أي استمر حتى بعد اضطهاد سبتيميوس ساويروس، وقد كان أوريجانوس موضع ثقته إذ عهد إليه بإدارة مدرسة الإسكندرية بينما كان عمره ثماني عشرة سنة (يوسابيوس- تاريخ الكنيسة ٦:٣).



٤- أوريجانوس

أ- النشأة: الزمان والمكان

كان أوريجانوس ليونيداس (Origen Leonidas)



سليل عائلة مسيحية، وكان الأخ الأكبر لستة إخوة أصغر منه. ولد نحو عام ١٨٥م، ويرجح أنه ولد في الإسكندرية.

وفَّر له والده ليونيداس تعليمًا جيدًا لدراسة الكتاب المقدس والأدب اليوناني. عانى ليونيداس من الاضطهاد الذي أثاره ساويرس severus واستشهد في سنة (٢٠٢م). ولأن الدولة صادرت ميراث العائلة، لذا كان لزامًا عليه أن يعول أسرته عن طريق التدريس في المدرسة التي افتتحها لتدريس الأدب والعلوم الدنيوية (موسوعة تاريخ الكنيسة الأولى -مرجع سابق).

النطق الصحيح في اليونانية هو أوريجينوس ولكن النطق الشائع في العربية هو أوريجانوس.

أوريجانوس ومدرسة الإسكندرية

كانت مدرسة الإسكندرية في طريقها إلى الانهيار بعد أن فرَّ كليمندس من اضطهاد ساويرس، غير أن الأسقف ديمتريوس Demetrius أقام عليها أوريجانوس الشاب الذي كان في الثامنة عشر من عمره.

توقف أوريجانوس عن التدريس في المدرسة التي افتتحها لتدريس الثقافة الدنيوية، حيث لم تعد أسرته في حاجة إلى مساعدته المالية. ومن ثم تفرغ تمامًا لمدرسة الإسكندرية، وظل قائمًا على شئونها لسنوات طوال.

وقد بلغت مدرسة الإسكندرية أوج عظمتها في عهد أوريجانوس الذي كان معلمًا ومفكرًا بارزًا في الكنيسة الأولى، عطر السيرة، موسوعي التعليم، ومن بين أعظم المفكرين المبدعين الذين شهدهم العالم. وتتوفر لنا معلومات مفصلة عن سيرته الذاتية بأكثر مما كان عليه الحال بالنسبة لبعض الكاتبين والمفكرين السابقين من رجال الكنيسة، وذلك بفضل الاهتمام الخاص الذي أولاه له المؤرخ يوسابيوس القيصري. فثمة جزء كبير من كتابه السادس من "تاريخ الكنيسة" يتناول حياة أوريجانوس.

ورسائل أوريجانوس التي تربو على المائة ربما كانت من أفضل المصادر التي تسهم في فهم شخصيته، إلاَّ أنها فقدت. ومن حسن الطالع أن يوسابيوس قام بجمع هذه الرسائل واستخدمها جيدًا في كتابه عن حياة أوريجانوس.

يعد خطاب الوداع الذي كتبه غريغوريوس صانع العجائب- بمناسبة تركه جماعة أوريجانوس- مستندًا هامًا بالنسبة لتاريخه الشخصي بقدر أهميته لتوضيح أسلوب تعليمه. وأخيرًا يذكره چيروم في كتابه "من هو" (Who's Who)، وهو عن مشاهير الرجال، كما ذكره في إحدى رسائله (رسالة رقم ٣٣)، وكذلك فعل فوتيوس (Photius) في (Bib 1. cod.).

لقد اكتسب أوريجانوس عدداً كبيراً من التلاميذ الذين انجذبوا إليه لا بسبب تعليمه فقط، بل بسبب حياته أيضًا، وكما يقول يوسابيوس: "مثل كلامه كان أسلوب حياته أيضًا، ومثل أسلوب حياته كان كلامه، ولهذا السبب بصفة خاصة، وبفضل من قوة الله، استطاع أن يجمع حوله هذا العدد الكبير ليشاركوه حماسته" (تاريخ الكنيسة ٦:٣:٧).

ويعرض يوسابيوس كذلك صورة عن حياة النسك التي مارسها "الرجل الشبيه بالألماس" أو "الرجل الصلب" كما كان يدعوه: "ثابر أوريجانوس بدأب، وبكل قدرته، على أسلوب فلسفي للغاية في حياته، فقد كان أحيانًا يقمع نفسه بالصوم، وفي أحيان أخرى يحدد وقت النوم، وكان حريصًا ألا يكون ذلك على مضجع بل على الأرض. وفوق كل هذا كان يرى ضرورة الالتزام بأقوال المخلص الواردة في الإنجيل، والتي تحضنا على ألا يكون لنا ثوبان.. بل والواقع ألا نحمل همَّ المستقبل". (المرجع السابق ٦:٣:٩-١٠).

ونعرف من يوسابيوس أيضًا أن أوريجانوس حين كان يقوم بالتعليم في مدرسة الإسكندرية في نحو عام ٢٠٢م، خصى نفسه حيث أخذ ما جاء في (متى ١٩:١٢) بمعناه الحرفي.

أما فترة حياته التي قضاها في التدريس فيمكن تلخيصها هكذا: رئاسته لمدرسة الإسكندرية حيث امتدت من سنة ٢٠٣م إلى ٢٣١م وقد شهدت نجاحًا بارزًا، وقد اكتسب تلاميذًا حتى من أوساط الهراطقة، ومن مدرسة الفلسفة الوثنية.

كان أوريجانوس في البداية يُعلِّم في الفصول التمهيدية التي تدرس فيها علوم المنطق والفيزياء والرياضيات والهندسة والفلك، فضلاً عن الفلسفة اليونانية وعلم اللاهوت ودراسة الكتاب المقدس. وحين أصبح ذلك يشكل عبئًا كبيرًا عليه، أوكل إلى تلميذه هيراكلاس (Heraclas) مهمة تدريس الموضوعات التمهيدية، وتفرغ أوريجانوس لتدريس الطلبة في الصفوف العليا علوم الفلسفة واللاهوت، وبصفة خاصة دراسة الكتاب المقدس. ولم تمنعه مشغولياته الكثيرة من حضور محاضرات أمونيوس سكاس (Ammonius Saccas) المؤسس الشهير للأفلاطونية المحدثة. ويمكننا أن نلمس تأثيره فيما كتب أوريجانوس في علم الفلك وعلم النفس، كما نلمسه في أسلوبه أيضًا.

رحلاته

وقيام أوريجانوس بالتدريس في مدرسة الإسكندرية تخللته فترات انقطاع عديدة بسبب أسفاره المتكررة. فقد ذهب إلى روما في سنة ٢١٢م، لرغبته في رؤية أقدم كنيسة رومانية. وكان ذلك في عهد الباب زفيرينوس (Zephyrinus)، وقد تقابل هناك مع أكبر مفكر لاهوتي مشهور في ذلك الحين، وهو الشيخ الروماني هيبوليتس

(Hippolytus). وقبل سنة ٢١٥م بوقت قصير، وجدناه في العربية (الأردن)، حيث ذهب ليكون مشيراً للحاكم الروماني بناء على طلبه. وفي مرة أخرى قصد أنطاكية بدعوة من والدة الامبراطور إسكندر ساويرس وتدعى "چوليا مامايا" (Julia Mamaea) حيث رغبت في الحصول على بعض المعلومات عن المسيحية.

حين نهب الامبراطور كاراكالا (Caracalla) مدينة الإسكندرية قام بغلق المدرسة، واضطهاد المعلمين، فقرر أوريجانوس الذهاب إلى فلسطين، وكان ذلك في نحو عام ٢١٦م. وقد دعاه أساقفة قيصرية، وأورشليم، وبعض المدن الفلسطينية الأخرى لإلقاء بعض العظات، ولشرح الأسفار المقدسة لكنائسهم. الأمر الذي قام به رغم أنه لم يكن من رجال الإكليروس. أما الأسقف ديمتريوس التابع له أوريجانوس في الإسكندرية فقد اعترض على ذلك. ووجّه اللوم للرئاسات الدينية في فلسطين لسماحها لرجل علماني بالوعظ في حضور أساقفة، وهو ما لم يسبق أن سُمع به، طبقًا لما ذكره.

رسامته

وعلى الرغم من رفض أساقفة فلسطين لذلك الاعتراض، إلاَّ أن أوريجانوس أطاع أوامر رئيسه الصارمة بالعودة إلى الإسكندرية فوراً. ومع ذلك، ولتجنب حدوث مثل هذه المصاعب مستقبلاً، فقد قام إسكندر أسقف أورشليم وثيوكتستوس (Theoctistus) أسقف قيصرية برسامة أوريجانوس قسًا حين مرَّ بقيصرية بعد خمس عشرة سنة، وهو في طريقه إلى اليونان حيث دعاه الأساقفة هناك لدحض افتراءات الهراطقة. وهذا ما جعل الموقف أكثر سوءًا لأن الأسقف ديمتريوس رأى أنه لا يجب قبول أوريجانوس قسًا على أساس أنه قام بخصي نفسه.

عقد الأسقف ديمتريوس مجمعًا حيث تم حَرْم أوريجانوس وخلعه من كنيسة الإسكندرية. وقام مجمع ثان في سنة ٢٣١م بحرمه من رتبة الكهنوتية. وبعد وفاة الأسقف ديمتريوس (٢٣٢م) عاد إلى الإسكندرية، غير أن الأسقف هيراكلاس Heraclas الذي خلفه، المساعد السابق لأوريجانوس كرر حَرْمه.

تأسيس مدرسة جديدة للاهوت في قيصرية

عندئذ قصد أوريجانوس قيصرية في فلسطين، حيث بدأت الفترة الثانية من حياته. وقد تجاهل أسقف قيصرية انتقاد أسقف الإسكندرية وأغرى أوريجانوس بتأسيس مدرسة جديدة للاهوت في قيصرية، ترأسها أوريجانوس لمدة عشرين سنة. وهنا قدم غريغوريوس صانع العجائب خطابه الوداعي بمناسبة تركه صحبة أوريجانوس. وهذا المستند يوضح لنا أن المنهج التعليمي في قيصرية

كان هو في الواقع نفس منهج مدرسة الإسكندرية. وبعد نصيحة بالاهتمام بالفلسفة، والتي شكلت مقدمة الدراسة، تبع ذلك فصل تمهيدي ليعد الطالب للدراسة العلمية بعد تدريب ذهني مستمر.

ويتضمن هذا المنهج دراسة المنطق وأصوله، والعلوم الطبيعية، والهندسة والفلك وأخيرًا الأخلاقيات واللاهوت. أما الدراسة الخاصة بالأخلاقيات فلم تكن بأي حال مناقشة طبيعية للمشاكل الأخلاقية فحسب، بل كانت تقدم فلسفة للحياة. ويقول غريغوريوس إن أوريجانوس كان يحمل تلاميذه على قراءة كل أعمال الفلاسفة القدامى، عدا من كانوا ينكرون وجود الله والعناية الإلهية.

وقد سافر أوريجانوس مرات عديدة إلى أثينا حيث بدأ في شرح سفر نشيد الأناشيد. كما سافر إلى العربية (الأردن) في نحو عام ٢٤٤م حيث رد الأسقف بريلليوس (Beryllus) أسقف بُسترا (Bostra) إلى الإيمان القويم، حيث كان يتبع معارضي فكرة الثالوث (Monarchians) (يمكن الرجوع للباب السادس الخاص بالهرطقات في الجزء الأول لمزيد من التفاصيل). **كما دحض فكر بعض المسيحيين الذين اتبعوا الهرطقة العربية.**

لقد قام أوريجانوس بالكتابة بعد أن بلغ سن الثلاثين من عمره، وذلك بتشجيع حثيث من أمبروزيوس السكندري، الرجل الثري الذي رده أوريجانوس عن اتّباع تعاليم ڤالنتينوس المنحرفة إلى التعليم القويم. (راجع الباب الخاص بالهرطقات بالجزء الأول من الموسوعة). وقد انجذب أمبروزيوس إلى الغنوسية أيضًا. وبعد أن أعاده أوريجانوس، أقنع أمبروزيوس أستاذه بأن يكتب في الموضوعات التي أحس بأنه ينبغي طرحها على ساحة الفكر المسيحي مقدمًا بعض المقترحات التي تتعلق بذلك.

ذهب أوريجانوس إلى نيقوميديا في شمالي أفريقيا حيث كتب رسالته إلى يوليوس أفريكانوس Julius Africanus . كما سافر إلى كبَّادوكية حيث دعاه الأسقف فرمليانوس Firmilianus، وانعقد مجمع محدود في العربية حيث التف البعض حول الأسقف هيراقليدس Heraclides، وقد وجدت أعمال هذا المجمع في طرة بمِصر في سنة ١٩٤١م.

سجن أوريجانوس وتعذيبه

وقد انتهت كل المجهودات الوفيرة التي قام بها أوريجانوس، بالاضطهاد الذي شنه دسيوس Decius في عام ٢٥١م حيث سجن أوريجانوس وعُذب، إلاَّ أنه أعلن عن إيمانه بكل شجاعة، فقد كتب يوسابيوس:

الهرطقة العربية:

ذكر أغسطينوس في كتابه (De haer.83) أنه قرأ ما كتبه يوسابيوس عن هذه الهرطقة في كتاب (تاريخ الكنيسة ٦:٣٧)، ولكن لم يذكر يوسابيوس

اسم مؤسسها. فقد نادى بعض العرب بالتعليم القائل بأن الموت يشمل كلاً من الجسد والنفس، وأن كليهما سيقومان في آخر الأيام. وقد كتب يوسابيوس أن أوريجانوس قد دحض مثل هذا التعليم في أحد المجامع (تاريخ الكنيسة ٦:٣٧). كما ذكر أوريجانوس نفسه ذلك في كتابه (dial. 10:9- 21). وقد انتشر هذا الفكر المنحرف في العربية فيما بين عامي ٢٤٤ و ٢٤٩م. وقد أدينت هذه الهرطقة في مجمع عقد بصفة خاصة لكل المنطقة. (موسوعة تاريخ الكنيسة الأولى).

"إن رسائل هذا الرجل العديدة تتضمن إشارات صادقة ودقيقة لطبيعة ومدى ما تحمله من أجل كلمة المسيح، من عقوبات وهو مقيد في الأصفاد، وملقى في زنزانته، وكيف أنه حين شُدت قدماه لعدة أيام في تلك الآلة الجهنمية، ولأربع مرات تحمل آلة التعذيب بقلب شجاع. كما تحمل التهديد بالنار وكل أنواع العذابات الأخرى التي أنزلها به أعداؤه. أما بالنسبة لنوعية قضيته فقد حاول القاضي جاهداً ألا يحكم عليه بالإعدام لأي سبب كان، أما بالنسبة للأقوال التي خلفها وراءه عقب ذلك، فكانت عامرة بالمعونة لمن هم في حاجة إلى رفع روحهم المعنوية" (تاريخ الكنيسة ٦:٣٩:٥).

ولم يكن تعذيبه بغرض قتله، وإنما كان بدافع حمله على الارتداد عن الإيمان المسيحي، بُغية إنهاء تأثيره الإيجابي على المسيحيين البارزين في ذلكم الوقت. ولم يسترد حريته مرة أخرى إلاَّ بموت الامبراطور بعد أشهر قليلة، ولكنه كان في صحة عليلة، نتيجة لما تعرَّض له من عذابات. وقد مات في صور بلبنان بعد ذلك بقليل وقد بلغ التاسعة والستين من عمره، ويحتمل أن ذلك يوافق سنة ٢٥٤م. وكان قبره قائماً حتى القرن الثالث عشر في مدينة صور، في كنيسة القبر المقدس.

✢✢✢✢

أوريجانوس وكليمندس

وإذا قارنَّا أفكاره بأفكار كليمندس السكندري يبدو للوهلة الأولى أنه لا يشارك كليمندس في تقديره البالغ.. للفلسفة اليونانية. ولم يردد أبداً قول كليمندس المأثور بأن الفلسفة اليونانية كانت مجرد مرشد إلى المسيح.. وفي خطاب أرسله إلى غريغوريوس الذي ألقى خطبة الوداع الحماسية على شرفه، حثَّ أوريجانوس تلميذه الذي سبق ودرس على يده، أن يواصل دراساته للكتاب المقدس واعتبر الفلسفة موضوعاً تمهيدياً فحسب إذ قال: أطلب إليك أن تنهل من الفلسفة اليونانية، لأن مثل هذه الأمور بمقدورها أن تكون بمثابة دراسات تمهيدية للمسيحية، ومن الهندسة والفَلَك بعض المعلومات يمكن أن تكون نافعة لشرح الكتب المقدسة. حتى إن مايقوله أبناء الفلاسفة عن الهندسة والموسيقى وقواعد اللغة والبلاغة والفَلَك

بأنها من أدوات الفلسفة وفي خدمتها، يمكننا نحن أن نقول نفس الشيء عن الفلسفة أنها في خدمة المسيحية".

وهكذا فإنه أكّد على أهمية الكتاب المقدس، وعلى الرغم من ذلك فإنه قد تأثر بفلسفة أفلاطون تأثرًا كبيرًا مما أدى إلى التعليم بأن النفس الإنسانية سابقة للوجود. وقد اتبع في تفسيراته الأسلوب الرمزي.

الرمز:

الرمز أسلوب شعري وبلاغي كأن تقول شيئًا وتعني به شيئًا آخر. فدانتي يقول "خشب" ويعني به "خطية". ولكن من باب التوسع نستخدمه أيضًا في التفسير، بأن ننسب إلى نص ما معنًى مجازيًا لم يقصده الكاتب. وقد استخدم اليهود المجاز استخدامًا إضافيًا في تفسير العهد القديم: فأصبحت عروس النشيد وعريسها رمزًا لإسرائيل والرب. أما اليونانيون فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد، وما بعد ذلك، ولاسيما تحت تأثير الرواقية، فسَّروا أساطير هوميروس عن طيب خاطر على أنها رموز لقوى خارقة للطبيعة أو انفعالات النفس. وهو ما جعل تلك الأساطير أكثر قبولاً من الناحية الأخلاقية، في حين أنها لو أُخذت حرفيًا "لاعتبرت غير أخلاقية، أو أنها على أية حال مفرطة في خلع الصفات البشرية على الآلهة. وهذا المعيار التأويلي كان يستخدم على نطاق واسع في الأوساط اليهودية الهيلِّينية، ولا سيما بواسطة "فيلو"، لتفسير العهد القديم حتى يجعله متناغمًا مع الثقافة اليونانية للقراء من الناحيتين الفلسفية والأخلاقية. وقد نهج بولس الرسول نهجًا مماثلاً، وكان في تلك الإشارات يستخدم كلمة "مثال" (رومية ٥:١٤، كورنثوس الأولى ٦:١٠) وكذلك استخدم كلمة "رمز" في غلاطية (٢٤:٤). وقد حقق هذا النمط من تفسير العهد الجديد نجاحًا كبيرًا. وقد استخدمه كُتَّاب مدرسة الإسكندرية مثل كليمندس ولاسيما العلاَّمة أوريجانوس الذي عُرف بالتوسع في تفسير الكتاب المقدس بأسلوب مجازي.

أعماله:

أدت "مجادلات أوريجانوس"، التي حدثت نتيجة لآرائه وتعاليمه إلى اختفاء معظم الإنتاج الأدبي لهذا العلاَّمة السكندري العظيم. أما بالنسبة لما تبقى فقد حفظ معظمه لا في لغته اليونانية الأصلية، بل في ترجمات لاتينية. وقد فقدت القائمة الكاملة لكتاباته والتي أضافها يوسابيوس إلى السيرة الذاتية لصديقه ومعلمه بامفيلوس. وتأسيسًا على ما قاله چيروم والذي استخدم هذه الرسائل، فقد بلغ عددها ألفي رسالة. أما أبيفانيوس فيقدر عدد الرسائل التي تركها أوريجانوس بستة آلاف رسالة. ونحن لا نعرف سوى عناوين ثمانمائة رسالة فقط، ذكرها القديس چيروم في رسالته إلى پاولا (Paula) (الرسالة

٣٣).

وما كانت تتوفر لأوريجانوس وسائل النشر على هذا النطاق الواسع لولا مساعدة أصدقائه الأثرياء، ولاسيما أمبروزيوس (Ambrose) الذي قام أوريجانوس برده عن هرطقة فالنتينوس. ومنذ ذلك الوقت بدأ أوريجانوس في تفسير الكتاب المقدس بتشجيع منه. والذي لم يكتف بتشجيعه فحسب بل بإمداده أيضًا بكل ما هو لازم وبلا حدود. لأنه فيما كان أوريجانوس يُملي محاضراته كان ثمة سبعة من الكتبة (النُسَّاخ) يتبادلون الكتابة، وكان من بينهم فتيات يُجدن فن الخط، وقد دبر لهم جميعًا أمبروزيوس كل ما يلزمهم من أجل تقديم العمل بلا معوقات (يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ٦:٢٣:١).

وتصنَّف أعماله إلى الفئات التالية:

أ- نقد النصوص الكتابية

ب- أعمال تفسيرية

١- التفاسير الموجزة.

٢- العظات.

٣- التفاسيرالمطوَّلة.

٤- التفاسير المفقودة.

أ- نقد النصوص الكتابية

كان الجانب الأكبر من أعماله الأدبية مكرسًا للكتاب المقدس. ولهذا السبب يمكن أن يقال عنه إنه مؤسس العلم الكتابي. ويعد كتابه "هكسابلا" (Hexapla) (أو النسخة السداسية لترجمة العهد القديم) المحاولة الأولى لإعداد نص دقيق للعهد القديم. وكان عملاً ضخمًا كرس له أوريجانوس كل حياته. فقد رتب -في ستة أعمدة متوازية النص العبري للعهد القديم في حروف عبرية، والنص العبري في حروف يونانية لكي يحدد طريقة النطق، وترجمة أكيلا اليوناني وهو يهودي كان معاصرًا لهادريان (Hadrian) والترجمة اليونانية لسيماخوس (Symachus) وهو يهودي، كان معاصرًا لسبتميوس ساويرس، والترجمة اليونانية (السبعينية) وأخيرًا ترجمة ثيودوسيون Theodotion اليهودي (نحو سنة ١٨٠م). وعمل أوريجانوس البالغ الدقة كان ينصب على وضع علامات معينة على العمود الخامس، وهو المخصص للترجمة السبعينية، تشير إلى علاقتها بالأصل العبري. وقد اقتبس هذه العلامات من نُحاة مدرسة الإسكندرية.

وطبقًا لما ذكره يوسابيوس، نشر أوريجانوس أيضًا طبعة تتضمن الترجمات اليونانية الأربع (Tetrapla) فحسب. ولعلها كانت تقتصر على تلك الكتابات التي لم يكن يتواجد نظيرها العبري. وقد أضاف في كتابه السداسي (في الجزء المخصص للمزامير) ثلاث ترجمات أخرى وبذلك أزاد الأعمدة

حتى بلغت تسعة. وهكذا غيَّر الكتاب السداسي إلى الكتاب التساعي. ولم يتبق من هذا العمل الضخم سوى شذرات صغيرة. ويبدو أن العمل لم ينسخ أبداً بل ظل لعدة قرون تحت تصرف الدارسين في مكتبة قيصرية حيث اطَّلع عليها چيروم هناك، وقال إن هذه كانت النسخة الوحيدة التي رآها على الإطلاق من هذا العمل. أما العمود الخامس الذي يتضمن نص الترجمة السبعينية فقد تضاعف عدة مرات. وثمة نسخة كاملة تقريباً من هذا العمل محفوظة في الترجمة السريانية يرجع تاريخها إلى القرن السادس. ومع ذلك فإنه من الخطأ افتراض -كما قيل- أن هذه كانت الجزء الوحيد من عمل أوريجانوس الذي أُعيد إنتاجه. (كواستن- الجزء الثاني).

وقد اكتشف العالم الإيطالي چيوفاني مركاتي (Giovanni Mercati) -في المكتبة التي تنسب لأمبروزيوس في ميلانو- جزازات من الرق خاصة بالكتاب السداسي (Hexapla) يحتوي على المزامير إلاَّ أن العمود الأول منه محذوف. وثمة مجلدان من الرقوق وُجِدا في مجمع اليهود القديم في القاهرة، وقد حفظا في مكتبة جامعة كمبردچ بانجلترا. وهما يمثلان نص Hexapla الخاص بالمزمور ٢٢، وقد اقتبس منها بعض آباء الكنيسة، وتوجد منها بعض الاقتباسات في بعض مخطوطات العهد القديم اليونانية.

ب- أعمال تفسيرية

يعد أوريجانوس أول مفسر للكتاب المقدس على أساس علمي في الكنيسة الجامعة. وقد كتب على جميع أسفار العهدين القديم والجديد. وفي ثلاث صيغ أدبية مختلفة.

١- التفاسير الموجزة

كتب أوريجانوس عدة تفاسير موجزة تسمى (Scholia) على أجزاء من الكتاب المقدس. وطبقاً لما ذكره القديس چيروم في (الرسالة ٣٣) كتب أوريجانوس تفاسير لأسفار الخروج واللاويين وإشعياء والمزامير ١- ١٥ والجامعة وإنجيل يوحنا. وضمن روفينوس بعض الشروحات لسفر العدد في ترجمته لعظات أوريجانوس على هذا السفر. ولم يصلنا شيء منها بأكملها. أما العمل الذي حرره سي. ديوبوني (C. Diobouni)، وهارناك (Harnack) باعتباره من تفاسير أوريجانوس لسفر الرؤيا للقديس يوحنا لا يمكن اعتباره كذلك لأنه يجمع بين ملحوظات موجزة أو مطولة على الفقرات الصعبة لسفر الرؤيا لكل من كليمندس السكندري وإيريناوس وأوريجانوس. ولقد اكتشفت بعض شذرات من الشروحات في كتابي "تفاسير الكتاب المقدس Catenae وفيلوكاليا Philocalia واللذين يتضمنان مقتطفات أدبية مختارة أعدها القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النزيانزي.



٢- العظات

وهي عظات على أصحاحات أو فقرات مختارة من الكتاب المقدس كان قد ألقاها في الاجتماعات التعبدية. وطبقًا لما ذكره شخص يدعى سقراط فإنه كان يعظ يومي الأربعاء والجمعة من كل أسبوع. إلاَّ أن كتاب بامفيلوس كاتب سيرة أوريجانوس يذكر أنه كان يفعل ذلك كل يوم تقريبًا، وهكذا ترك أوريجانوس عظات على كل أسفار الكتاب المقدس تقريبًا، لكن عشرين عظة فقط على سفر إرميا، وعظة واحدة على (١صم ٢٨:٣-٢٥) وعظة عن ساحرة عين دور، وهي الوحيدة التي حفظت باليونانية.

وقد تم العثور في عهد قريب على شذرات من القسم الختامي للعظات الخمس والثلاثين على إنجيل لوقا، في لغته الأصلية، وعلى خمس وعشرين عظة عن إنجيل متى. وحفظت في ترجمة روفينوس اللاتينية ستون عظة على سفر التكوين، وثلاثون على سفر الخروج، وست عشرة على سفر اللاويين، وثمان وعشرون على سفر العدد، وست وعشرون على سفر يشوع، وتسع على سفر القضاة، وتسع على المزامير.

وتوجد في ترجمة لاتينية للقديس چيروم عظتان على نشيد الأناشيد، وتسع على سفر إشعياء، وأربع عشرة على سفر إرميا، وأربع عشرة على سفر حزقيال، وكذلك تسع و ثلاثون على إنجيل القديس لوقا، وتوجد شذرات من العشرين عظة على سفر أيوب محفوظة باللاتينية للقديس هيلاري بواتييه، وعظة واحدة على (١صم ١-٢) لكاتب غير معروف. كما توجد أيضًا أجزاء من أسفار إرميا وصموئيل الأول والثاني، وكورنثوس الأولى، والعبرانيين.

ويمكن التعرف على مقتطفات كثيرة باليونانية واللاتينية في سلسلة تفاسير يتضمنها كتاب (Catanae)، ومع ذلك فإن الخسارة الكلية جسيمة، إذ من بين (٥٧٤) عظة لا نجد سوى عشرين منها فحسب في لغتها الأصلية (أي اليونانية). ومن بين (٣٨٨) عظة لا نجد منها ترجمةً واحدةً لاتينية. ومع ذلك فإن العظات الموجودة لها أهمية كبرى لأنها تظهر لنا كاتبها في ثوب قشيب، إذ نراه شغوفًا للحصول من شرح الأسفار المقدسة على طعام روحي من أجل بُنيان المؤمنين.

ولقد أهملت تمامًا إسهامات أوريجانوس في هذا المجال إلى أن لَفَت الانتباه إليها كل من ڤولكر (Volker)، وليسكي (Liesky) باعتبارها كنوزًا مطمورة. وتمتاز هذه الأحاديث بأفكارها الرئيسية وتوجهها وصيغتها، ولا أثر بها لتعقيدات لغوية أو بلاغية. إذ يغلب عليها طابع الأحاديث، والعظات تظهر سمات الكلمات كما سجلها كتبة الاختزال.

٣- التفاسير المطوَّلة

كتب أوريجانوس التفاسير بُغية تقديم تفسير

علمي. وفيها يعرض لفقه اللغة، والنص، والخلفية التاريخية، وأصل الكلمات وتاريخها، وملاحظات لاهوتية وفلسفية. كان اهتمام الكاتب لا ينصبّ على المعنى الحرفي بصفة أساسية، بل على غموض المعنى، وقد تغلب على ذلك باستخدام الأسلوب الرمزي. وعلى الرغم مما شاب ذلك من بعض الأخطاء، إلاَّ أن فهمه للمعنى الداخلي للأسفار الكتابية، يوضح موهبته في سبر غور المعاني. ولكن ياللأسف الشديد إذ أن المتبقي من هذه التفاسير المطولة أقل مما هو متبق من العظات. ولم نتسلم منها عملاً كاملاً.

ومن هذه التفاسير ما يلي:

أ- بالنسبة لتفسير إنجيل متى والذي كتبه في خمسة وعشرين كتابًا في قيصرية بعد سنة ٢٤٤م، لم يتبق منها سوى ثمانية كتب باللغة اليونانية وهي من (١٠-١٧) والتي تتناول (متى ١٣:٣٦ إلى ٢٢:٣٣).

ب- تتوفر ثمانية كتب من تفسير إنجيل القديس يوحنا. وقد أهداه إلى صديقه أمبروزيوس. والكتب الأربعة الأولى من المرجح أنه كتبها في الإسكندرية بين سنتي ٢٢٦م و ٢٢٩م. أما الخامس فلعله كتبه أثناء رحلته إلى الشرق بين سنة ٢٣٠م وسنة ٢٣١م. أما الكتاب السادس فقد توقف عن كتابته بسبب نفيه في السنة التالية. أما الكتب الباقية فقد كتبها في قيصرية. والعمل له أهمية كبرى لدراسة شخصية أوريجانوس الغامضة، ومفهومه للحياة الداخلية.

جـ- وضع أوريجانوس أيضًا تفسيرًا للرسالة إلى أهل رومية في خمسة عشر كتابًا. ولم يتبق من الكتاب سوى شذرات من برديات وجدت في بلدة طرة بالقرب من القاهرة في سنة ١٩٤١م. كذلك توجد في الفيلوكاليا وفي كتابات القديس باسيليوس وفي سلسلة تفاسير الكتاب المقدس التي اكتشفها جولتز (Goltz) على جبل أثوس (Athos). ولدينا ترجمة بتصرف لهذا العمل باللاتينية لروفينوس. وهي لعشرة كتب فقط. واستبدلت ترجمة لاتينية للرسالة إلى أهل رومية بدلاً من النص اليوناني الذي استخدمه أوريجانوس. ويرجح أن يكون هذا العمل قد كتب قبل سنة ٢٤٤م.

د- من بين التفاسير العديدة للعهد القديم التي وضعها أوريجانوس لا نجد سوى جزء من تفسيره لنشيد الأنشاد. والكتب (١-٤) في الترجمة اللاتينية لروفينوس ترجع إلى سنة ٤١٠م. ويبدو أن أوريجانوس قد انتهى من الكتب الخمسة الأولى في أثينا في نحو سنة ٢٤٠م. في حين أنه وضع الكتب الخمسة التالية بعد ذلك بوقت قصير في قيصرية. أما



القديس چيروم الذي ترجم له عظتين عن نشيد الأنشاد إلى اللاتينية، كان يعتبر هذا التفسير أهم عمل تفسيري لهذا الرجل السكندري العظيم.

يعتبر أوريجانوس أن سليمان يرمز إلى السيد المسيح، في حين أنه في العظتين المتبقيتين في ترجمة چيروم نظر إلى الكنيسة بشكل واضح على أنها عروس المسيح، وكذلك في التفسير الذي ترجمه روفينوس.

٤- التفاسير المفقودة

كتب أوريجانوس أيضًا ثلاثة عشر كتابًا على سفر التكوين، وستة وأربعين كتابًا على واحد وأربعين مزمورًا، وثلاثين كتابًا على إشعياء، يعرف منها يوسابيوس خمسة على المراثي وخمسة وعشرين على حزقيال، وعلى الأقل خمسة وعشرين على الأنبياء الصغار والتي ذكرها يوسابيوس. وخمسة عشر على إنجيل لوقا، وخمسة على رسالة غلاطية، وثلاثة على رسالة أفسس، فضلاً عن كتب أخرى على رسائل فيلبي وكولوسي وتسالونيكي، والعبرانيين، وتيطس، وفليمون. ومن سلسلة تفاسير الكتاب المقدس (Catenae)، ومخطوطات كتابية واقتباسات لكاتبين كنسيين لاحقين. ومن بين التفاسير التي بلغ عددها (٢٩١) فُقد منها (٢٧٥) باليونانية، ولم يحفظ منها سوى القليل جدًا باللاتينية. ووجدت بعض شذرات من النص اليوناني لشرح سفري الملوك وذلك في بلدة طرة في سنة ١٩٤١م. وثمة شرح لسفر أيوب منسوب إلى أوريجانوس في ترجمة لاتينية من ثلاثة أجزاء، موجود ولكنه ليس الكتاب الأصلي.

وأهم رسالة دفاعية كتبها أوريجانوس بعنوان ضد كلسوس (أوسلوس) Contra Celsum، وهي في ثمانية أجزاء. وهي دحض لكتاب "الحديث الصحيح" الذي وجَّهه الفيلسوف الوثني كلسوس ضد المسيحيين في نحو سنة ١٧٨م. وقد فقد كتاب كلسوس، غير أنه يمكن كتابته بالكامل تقريبًا من اقتباسات أوريجانوس، والتي تبلغ ثلاثة أرباع نصه. وكان كلسوس يرمي إلى نبذ المسيحيين لديانتهم وذلك بمعايرتهم بها حتى يستحوا منها، وهو لم يكرر ما جرى على الألسن من افتراءات. فقد درس موضوعه جيدًا، وقرأ الكتاب المقدس، والكثير من الكتب المسيحية. وكان يعرف الفرق بين الشيع الغنوسية المنحرفة وسائر جماعات الكنيسة النوعية. وكان خصمًا داهية أظهر براعة فائقة، ولم يفته ما يمكن قوله ضد الإيمان. وقد هاجم الإيمان أولاً من وجهة نظر يهودية في حوار أدلى به يهودي باعتراضاته على شخص الرب يسوع المسيح. ثم يتقدم كلسوس بنفسه ويشن هجومًا على معتقدات اليهود والمسيحيين على حد سواء. ولقد سخر من فكرة وجود المسيح ولم يرَ في يسوع سوى ساحر مدّعٍ. وباعتبار كلسوس فيلسوفًا أفلاطونيًا فهو يؤكد على السمو العظيم لعبادة اليونانيين



وفلسفتهم. وقد وجَّه نقداً عنيفاً للإنجيل ولا سيما بالنسبة لكل ما يتعلق بالقيامة، وأعلن أن الرسل وخلفاءهم هم الذين ابتدعوا هذه الخرافة. ولكنه لم يرفض كل ما تُعلِّم به المسيحية. فنراه على سبيل المثال يقبل أخلاقياتها وتعليم اللوجوس (الكلمة).

كان كلسوس يريد بقاء المسيحية شريطة أن يتخلَّى المسيحيون عن عزلتهم السياسية والدينية، وأن يخضعوا للديانة العامة لروما. أما قلقه العظيم فكان خوفه أن يحدث شقاق في الدولة الأمر الذي يضعف الامبراطورية.

ويختتم نقده بنصيحة للمسيحيين بأن يساعدوا الملك وأن يعملوا معه على حفظ العدالة، وأن يحاربوا من أجله. وإذا ما طلب هو ذلك فعليهم أن يحاربوا تحت لوائه، وأن يقبلوا وظائف في حكومة البلاد، إذا ما تطلب الأمر ذلك، من أجل حفظ القانون ودعم الديانة.

ويبدو أن كتاب "الحديث الصحيح" لم يكن له تأثير على أولئك الذين وُجِّه إليهم. فلم يشر إليه إطلاقًا الكتَّاب المسيحيون الذين كانوا معاصرين لكلسوس. وفي نحو عام ٢٦٤م طلب أمبروزيوس من معلمه وصديقه أوريجانوس أن يرد على هذا الكتاب لئلا ينجم ضرر نتيجة لبعض افتراءات كلسوس الخبيثة الواردة فيه.

أما أوريجانوس الذي لم يكن حتى ذلك الوقت قد سمع عن الكتاب أو عن كاتبه، لم يكن على قناعة في باديء الأمر من أن هذا هو النهج الصحيح لدحض افتراءات كلسوس. وقد جاء في مقدمة كتابه ضد كلسوس ما يلي: "حين شهد شهود زور على ربنا ومخلصنا يسوع المسيح فإنه ظل صامتًا، وحين وجهت إليه اتهامات لا أساس لها من الصحة لم يحر عنها جوابًا، حيث كان يؤمن بأن حياته كلها وسلوكه بين اليهود كانا يُشكِّلان دحضًا أقوى من أي رد على هذه الشهادة الكاذبة. وأقوى من أي دفاع رسمي ضد الاتهامات. ثم إني لا أعرف يا عزيزي التقي أمبروزيوس لماذا تريد أن أكتب إجابة على الاتهامات الكاذبة التي وجهها كلسوس ضد المسيحيين والمزاعم الزائفة التي وجهها ضد إيمان الكنائس في رسالته، كما لو أن الحقائق نفسها لا تشكل دحضًا واضحًا، وكما لو أن العقيدة لا تمثل أفضل إجابة تفوق أية كتابة، حيث أنها تقضي على الأقوال الزائفة ولا تترك أية فرصة لأن يقبل أحد الاتهامات أو يصدقها" (ضد كلسوس: المقدمة: ١).

ويتابع أوريجانوس حديثه فيقول عن سبب كتابته: "لقد كُتب هذا الكتاب لا للمؤمنين الواثقين، بل لأولئك الذين لا يعرفون الإيمان المسيحي، أو بالنسبة لكل واحد قال عنه الرسول "من هو ضعيف في الإيمان" (المرجع السابق:٦).

بهذه الكلمات بيَّن أوريجانوس ما الذي دعاه إلى القيام بكتابة رسالته ولمن كتبها. في الوقت

الذي كان قد جاوز فيه الستين من عمره. وكان نهجه هو أن يتتبع حجج كلسوس نقطة بنقطة. وكان الانطباع العام عن رده يعطي إقناعًا دينيًا عميقًا وينم عن شخصية تجمع بين الإيمان والمعرفة بدرجة يتوارى معها خصمه الوثني. وقد تمتع بأسلوب هادئ وقور يقنع القارئ بما يسوقه من حُجج.

أما كلسوس، فكان يعتز بإنجازات الفلسفة الهيلِّينية، إذ كان يونانيًا أصيلاً. فلم يوبخ المسيحية بسبب بزوغها بين البرابرة، بل إنه امتدح المسيحيين بسبب قدرتهم على اكتشاف هذه التعاليم. إلاَّ أنه يضيف إلى هذا قوله بأن اليونانيين أكثر براعة من كل من هم سواهم في الحكم على اكتشاف الشعوب غير المتمدنة وترسيخها وإخضاعها للممارسة.

فرد عليه أوريجانوس قائلاً: "يحمل الإنجيل بين طياته دلائل صحته، وهو أكثر قداسة من أي أدلة تأتي وليدة المنطق اليوناني. وهذا الأسلوب الأكثر قداسة يسميه الرسول **برهان الروح والقوة**: "**الروح**" على أساس أن النبوات تكفي أن تقود من يقرأها إلى الإيمان، ولا سيَّما بالنسبة للأمور المتعلقة بالمسيح، ومن ناحية "**القوة**" بسبب العجائب والآيات التي أُجريت والتي يمكن إثباتها على أساس كثير من المبادئ الأخرى. وعلى أساس أن بعضًا منها ما يزال محفوظًا بين أولئك الذين ينظمون حياتهم وفق تعاليم الإنجيل". (المرجع السابق ١:٢).

"وألوهية المسيح واضحة لا في المعجزات التي عملها، والنبوات التي كملت فيه فحسب، بل أيضًا في قوة الروح القدس التي تعمل في المسيحيين". إن الإيمان بالمسيح وبالعقيدة المسيحية لا يتم إلاَّ بواسطة النعمة: "فكلمة الله في (١كو ٢:٤) تعلن أن الكرازة على الرغم من أنها حق في ذاتها، وجديرة تمامًا بالإيمان، إلاَّ أنها ليست كافية للوصول إلى قلب الإنسان ما لم تعمل قوة معينة يهبها الله للمتكلم ونعمة تظهر في كلامه، والذين يتكلمون بفاعلية لا يتحقق لهم ذلك إلاَّ بمعونة إلهية. ويقول النبي في المزمور الثامن والستين: "الرب يعطي كلمة المبشرات بها جند كثيرة". وعلى هذا حتى لو تم التسليم بأن نفس هذه التعاليم موجودة لدى اليونانيين كما هي موجودة في أسفارنا المقدسة، إلاَّ أنها مع ذلك لا تمتلك نفس القوة التي تجذب النفوس وتقودها إلى اتِّباعها".

ومن المهم بصفة خاصة ملاحظة رد أوريجانوس على كلسوس فيما يتعلق بالسلوك من ناحية الحاكم المدني، بالنظر إلى أن هيكل الحكومة الرومانية مرتبط بصفة وثيقة بالديانة الوثنية، كان من الطبيعي أن يتحفظ المسيحيون بالنسبة لأي شيء له صفة سياسية. وفي حين أن كلسوس يشدد على دور القانون والسلطة الخاصين بالقوى

العلمانية، يؤكد أوريجانوس على أن طاعة أوامرها لا تكون إلاَّ في حالة عدم تعارضها مع الناموس الإلهي.

وفيما يظهر كلسوس كوطني متحمس، فإن أوريجانوس يعطي الانطباع للقارىء أنه مواطن عالمي ينظر إلى تاريخ الأمم والامبراطوريات على أنه تاريخ إرشاد الله للبشرية. وفي إجابة أوريجانوس على كلسوس بالنسبة لهذا الموضوع يظهر تأثره بأفلاطون، الذي كان مبدأه هو أن الدولة لا يجب أن تعمل من أجل زيادة قوتها بل أن تعمل بُغية نشر الثقافة والحضارة. وهكذا رفض أوريجانوس السعي من أجل الحصول على اكتساب حظوة لدى الحكام المدنيين.

يقول كلسوس: ما الضرر في كسب ود حكام الأرض حتى وإن كانوا من طبيعة مخالفة لطبيعتنا أو رؤساء وملوك من البشر؟ لأن هؤلاء اكتسبوا كرامتهم من خلال تدبيرات الآلهة. فرد عليه أوريجانوس قائلاً: "هناك واحد فقط هو الذي يجب أن نسعى لكسب رضائه، وإليه يجب أن نرفع صلواتنا لكي يكون رحيمًا بنا- وهو الإله العلي، الذي يُكتسب رضاؤه بالتقوى والتمسك بكل فضيلة. وإذا كان كلسوس يريد منا أن نسعى لكسب رضاء آخرين على غرار وفائنا للّه العلي، فعليه أن يعرف أنه كما أن حركة الظل تتبع الجسم الأصلي، فبنفس الطريقة فإنه حين ننال رضاء الله، فإننا ننال أيضًا رضاء الملائكة والأرواح الذين هم أصدقاء الله.

وفضلاً عن ذلك علينا ألا نتملق الملوك أو أي إنسان مهما كان، وليس فقط في حالة ما إذا كان رضاؤهم لا يُكتسب إلاَّ عن طريق الفسوق أو الأعمال التي تتطلب القسوة، بل وحتى إذا كانت تتضمن عقوقنا بالنسبة لله أو أية تعبيرات مُذلة يقصد بها المداهنة والخنوع، وهي أمور لا تليق بالرجال الشجعان من أصحاب المباديء السامية والذين يهدفون إلى أن يضيفوا إلى جانب فضائلهم الأخرى، أسمى الخصال، وهي الصبر والجَلَد. غير أنه في الوقت الذي لا نعمل فيه ما يتعارض مع وصايا الله وكلمته، فإننا لسنا بمخبولين حتى نجلب علينا غضب الملوك والرؤساء، والتي تُعرضنا للآلام والتعذيب.. بل وحتى الموت. لأننا نقرأ: "لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلاَّ من الله والسلاطين الكائنة هي مُرتبة من الله. حتى إنَّ من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله" (رو ١٣:١ و٢).

والرسالة "ضد كلسوس" تعد مصدرًا هامًا لتاريخ الديانة. ذلك لأنها تعكس لنا صراعًا بين المسيحية والوثنية كما في مرآة. وقيمة هذاالدفاع العظيم الذي قامت به الكنيسة الأولى قد زاد من حقيقة أننا نجد هنا رجالاً على مستوىً عالٍ من الثقافة كممثلين لهاتين الجبهتين. ولقد اكتسب هذا



العمل إعجاب المثقفين في العصور الأولى للمسيحية، وكان المؤرخ يوسابيوس القيصري مقتنعًا تمامًا بقوة حجة أوريجانوس حتى أنه اعتبره قد دحض كل الهرطقات على مدى كل القرون التالية. وقد يكون في هذا القول مبالغة، إلاَّ أن إسهامات أوريجانوس تظل برهانًا على سعة اطِّلاعه وقوة حجته (كواستن- الجزء الثاني).

٤- كتابات في العقيدة

أ- المبادىء الأساسية

يعد كتاب "المبادىء الأساسية" De Principles هو أهم ما كتب أوريجانوس لأنه يشمل أول منهج مسيحي للفكر اللاهوتي، وأول كتاب في العقيدة. ولهذا تبوأ مكانة جليلة في تاريخ الكنيسة الأولى. وقد كتبه في الإسكندرية بين سنتي ٢٢٠ و ٢٣٠م. وكل ما تبقى من النص اليوناني هو عدة شذرات في كتاب الفيلوكاليا وفي مرسومين للامبراطور جستنيان الأول (Justinian I). ومع ذلك نجده كاملاً في ترجمة بتصرف لروفينوس، الذي عدَّل فيه بأن حذف بعض الفقرات المشكوك فيها. وثمة ترجمة حرفية للقديس چيروم لاقت نفس مصير النسخة الأصلية.

والعمل يتكون من أربعة كتب، يمكن تلخيص محتوياتها تحت عناوين: **الله، العالم، الحرية، الإعلان الإلهي.** أما العنوان وهو **"المبادىء"** أو **"القواعد"** فيكشف مجال العمل كله. وقد استهدف أوريجانوس أن يعرض في هذه الرسالة للتعاليم الأساسية للإيمان المسيحي. أما المقدمة، التي تسبق الكتاب الأول فتوضح لنا هذه النقطة. فمصدر كل الحق الديني هو تعليم المسيح وتلاميذه. وهكذا ابتدأ مقدمة العمل.

كل الذين يؤمنون ويوقنون أن النعمة والحق تم الحصول عليهما بواسطة يسوع المسيح، ويعرفون أن المسيح هو الحق، ويتقبلون إعلانه: "أنا هو الحق" (يو ١٤:٦) يحصلون على المعرفة التي تحض الإنسان على الحصول على حياة صالحة وسعيدة، وذلك ليس من أي مصدر سوى نفس كلمات المسيح وتعليمه. ولا نقصد بأقوال المسيح تلك التي فاه بها حين تجسد وأخذ صورة إنسان، فقبل ذلك الوقت كان المسيح، كلمة الله، في موسى والأنبياء.. لأنه بدون كلمة الله، كيف كان بمقدورهم أن يتنبأوا عن المسيح؟ وما لم يكن هدفنا هو أن نحصر الرسالة الحالية في حدود الإيجاز الممكن، فإنه لن تكون ثمة صعوبة أن نبين دليلاً على هذا القول أو من الأسفار المقدسة، كيف أن موسى والأنبياء تكلموا جميعًا، وعملوا كل ما عملوه لأنهم امتلأوا بروح المسيح.. وفضلاً عن ذلك فإنه بعد صعوده إلى السموات تكلَّم على لسان رسله، كما أوضح بولس في هذا القول: "إذ أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيَّ" (٢كو ١٣:٣).

ثم يعرض أوريجانوس في الكتب الأربعة أفكاره التي نستعرض ملخصًا لها فيما يلي:

١- **الكتاب الأول:** يدور موضوع الكتاب حول العالم الفائق للطبيعة، ويتناول موضوعات: وحدة الله وروحانيته، والأقانيم الإلهية الثلاثة، وعلاقتهم المميزة بالحياة المخلوقة، **الآب** الذي يعمل فوق كل المخلوقات، **والكلمة** فوق كل الكائنات العاقلة أو الأرواح العاقلة، **والروح القدس**، فوق كل الكائنات العاقلة والمقدسة. وبعد ذلك نجد مناقشات عن أصل الملائكة وجوهرهم، وسقوط بعضهم.

٢- **الكتاب الثاني**: يتناول العالم المادي، الإنسان كروح ساقط محصور في جسد مادي، فتعدِّي آدم وفدائه بواسطة اللوجوس (الكلمة المتجسد، فتعليم القيامة، فالدينونة الأخيرة، وما بعد الحياة.

٣- **الكتاب الثالث:** يبحث في امتداد الإرادة الحرة، والمسئولية عند الإنسان، ويعطي موجزًا للفكر اللاهوتي الأخلاقي، واتحاد جسد الإنسان وروحه يعطي الفرصة للكفاح والنصرة. وفي هذا الصراع تساعد الملائكة الإنسان وتعوقه الشياطين، غير أن الإنسان يحتفظ بإرادته الحرة.

٤- **الكتاب الرابع:** يقدم موجزًا للتعاليم الأساسية، ويناقش الكتاب المقدس باعتباره مصدر الإيمان أو الوحي.

ب- مناقشة مع هيراقليدس

من بين عدد من البرديات التي وجدت ببلدة طرة القريبة من القاهرة في سنة ١٩٤١م، عثر على مخطوط يرجع تاريخه إلى ختام القرن السادس ويتضمن نص مناقشة جرت بين أوريجانوس وهيراقليدس (Heraclides) وإلى جانب عنوان المخطوط، فإن كلماته وأسلوبه، وتعليمه تثبت أن كاتب هذه الوثيقة هو أوريجانوس. ولم يكن ذلك الحوار مجرد حوار أدبي، بل السجل الكامل لمناقشة فعلية. وكما قال أ.د. نوك A.D. Nock: "هذا شيء فريد، لا بين كتابات أوريجانوس فحسب، بل في سائر كتابات المسيحية في باكر عهدها، وفي الأدب القديم ككل، باستثناء أغسطينوس". (كواستن- مرجع سابق).

لقد سببت آراء هراقليدس فيما يتعلق بتعليم الثالوث القدوس انزعاج الأساقفة. والمجمع الذي لم يكن رسميًا بأي حال، ولم يكن بغرض المحاكمة أيضًا، انعقد في كنيسة في العربية في حضور الأساقفة والشعب في نحو سنة ٢٤٥م. ويبدو أن أوريجانوس كان في أوج سلطانه كمعلم. ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يتم فيها مثل هذا اللقاء. ونعرف عن لقاءات له مع بيريللوس (Beryllus) وفالنتينيانوس (Valentinian) وكانديدوس (Candidus). وكان الكتبة يسجلون وقائع هذه اللقاءات. أما الأسلوب فكان يتسم بكل سمات حيوية المحادثات وحرارتها، الأمر الذي يُظهر الأمانة التامة في عملية التسجيل.

يتألف **الجزء الأول** من المناقشة من ثلاثة أقسام



وهي:

أ- استجواب أوريجانوس لهيراقليدس.

ب- أوريجانوس يعلن رأيه الخاص بشأن العلاقة بين الآب والابن.

جـ- وأخيراً يشير بكياسة بالغة إلى الموقف الذي يتوجب اتخاذه في مثل هذه الموضوعات العقيدية الصعبة. واستجواب هيراقليدس يشير إلى أنه اتهم بأنه يهتم بالشكل لا بالجوهر.

أما **الجزء الثاني** من المناقشة فكان يتكون من أسئلة وجهها الحاضرون، ومن إجابات أوريجانوس.

وقد انتهى استجواب هيراقليدس بالحوار التالي:

قال أوريجانوس: أليس الله هو الآب؟

أجاب هيراقليدس: بلى

قال أوريجانوس: أليس الابن غير الآب؟

أجاب هيراقليدس: كيف يمكن له أن يكون الابن والآب في ذات الوقت؟

قال أوريجانوس: أليس الابن الذي هو ليس الآب، هو نفسه إله أيضاً؟

أجاب هيراقلديس: إنه هو نفسه إله أيضاً.

قال أوريجانوس: ألا يصبح لذلك الإلهان واحداً؟

أجاب هيراقليدس: بلى

قال أوريجانوس: هل نحن نعترف بإلهين؟

أجاب هيراقليدس: نعم، لكن السلطان واحد.

وهذه هي الصياغة المقبولة فيما يتعلق بالآب والابن، أقنومان ولكن طبيعة واحدة.

جـ- عن القيامة

في كتاب "المبادئ الأساسية" قال أوريجانوس: "يجب علينا أولاً أن نتأمل طبيعة القيامة، حتى نعرف ما هو ذلك الجسد، والذي سيأتي إما إلى عقاب أو راحة أو سعادة، وهو سؤال سبق أن ناقشناه بالتفصيل في رسائل أخرى كتبناها عن القيامة، وبيَّنا ما هو رأينا بالنسبة لها. ويذكر يوسابيوس كتابين "عن القيامة" De resurrectione.

أما قائمة القديس چيروم فتذكر كتابين لكنها تضيف كتاباً ثالثاً عنوانه: (et alios de resurrectione dialogos). ويبدو أن هذين العملين جُمعا في كتاب واحد في وقت لاحق. وهذا يوضح لنا سبب حديث چيروم عن كتاب رابع لأوريجانوس "عن القيامة" والمقالة التي يتحدث عنها أوريجانوس في "المبادئ الأساسية" لابد وأنها كتبت في الإسكندرية قبل سنة ٢٣٠م، إن لم يكن قبل ذلك ولم يتبق من كل هذه الكتب سوى جزازات في كتابات كل من بامفيلوس، ميثوديوس (Methodius) من فيلبي، وچيروم. ونعرف من ميثوديوس أن

چيروم رفض فكرة: شخصية مادية للمُقام بالجسد البشري وأعضائه.

د- منوعات

وثمة عمل آخر فُقد أيضًا باستثناء جزازات صغيرة منه وهو (Stromaties) أي منوعات. وقد كتبه في عشرة أجزاء في نفس المدينة (الإسكندرية) قبل عزله، كما هو مبين في الحاشية التي كتبها بخط يده أمام هذه الكتب. ويشير العنوان إلى تنوع الموضوعات التي يناقشها دون ترتيب معين. وهذا ما يتفق مع ملاحظة چيروم بأن أوريجانوس في هذه الدراسة قارن العقيدة المسيحية بتعليم الفلاسفة القدامى مثل أفلاطون وأرسطو ونومنيوس (Numenius) وكورنوتوس (Cornutus).

٥- كتابات عملية

أ- عن الصلاة

ثمة جوهرة بين كتابات أوريجانوس تتمثل في كتابه عن الصلاة (De Oratione) والذي كتبه بناءً على اقتراح من صديقه أمبروزيوس وزوجته (أو أخته) تاتيانا Tatiana في نحو سنة ٢٣٣م. والنص موجود في مخطوطة ترجع للقرن الرابع عشر في كمبردج، كما أن مخطوطة من القرن الخامس عشر في باريس تتضمن شذرة من هذا الكتاب.

والرسالة في جزئين: الجزء الأول (الفصول ٣-١٧) يتناول الصلاة بوجه عام، والجزء الثاني (الفصول ١٨-٣٠) يتناول بصفة خاصة قولنا "أبانا". وثمة ملحق للرسالة (الفصول ٣١-٣٣)، أضيف إلى القسم الأول، ويتناول موقف الجسم والنفس والحركات والمكان واتجاه الصلاة، وأخيراً أنواع الصلاة المختلفة.

وفي النهاية يلتمس أوريجانوس من صديقه أمبروزيوس وتاتيانا أن يقنعا بالكتابة الحالية بصفة مؤقتة إلى أن يصبح بمقدوره تقديم شيء أفضل، وأكثر جمالاً ودقة. ويبدو أن أوريجانوس لم يتمكن أبداً من الوفاء بهذا الوعد.

وهذه الرسالة تكشف بوضوح وبأكثر من أي من كتاباته الأخرى عن مدى عمق وحرارة حياة أوريجانوس الدينية. وهي تتضمن آراء حماسية، شدد على إبرازها في هذا الكتاب، ولها قيمتها الكبرى في تحليل نظام فكرة اللاهوتي.

وهي أقدم مناقشة علمية للصلاة المسيحية على الإطلاق (كواستن- مرجع سابق).

تستهل المقدمة بالإشارة إلى أن ما هو مستحيل على الطبيعة البشرية يصبح ممكنًا بنعمة الله، وبعون المسيح والروح القدس. وهذا هو ما ينطبق على الصلاة. وبعد مناقشة التعبير الكتابي له (الفصلان ٣و٤). يقدم الكاتب في الفصل الخامس إجابة على سؤال أمبروزيوس عن فائدة الصلاة والحاجة إليها. ويدَّعي معارضو الصلاة أن الله

يعرف احتياجاتنا دون أن نطلب، وفضلاً عن ذلك، فإنه لا معنى لها، لأن الله سبق وقدَّر كل شيء. ويرد أوريجانوس على هذا الاعتراض بالإشارة إلى الإرادة الحرة التي أعطاها الله لكل إنسان، والتي نسَّقها الله مع خطته الأبدية. وثمة فقرات من الكتاب المقدس تثبت أن النفس ترفع نفسها إلى فوق وتأخذ رؤية من جمال الله. وتكرار الكلام مع الله له تأثيره من ناحية قداسة كيان الإنسان كله.

أما نفع الصلاة وفائدتها، بناء على ما سبق، يتمثل في أنها تمكننا من أن ندخل في اتحاد مع روح الرب، الذي يملأ السموات والأرض. وهدفها الحقيقي ليس التأثير على الله بل مشاركته، والاتصال به. وأفضل مثال قدَّمه المسيح، رئيس كهنتنا. فهو يرفع خضوعنا وولاءنا مع الملائكة وأرواح المنتقلين، ولا سيما الملائكة الحراس، الذين يحملون توسلاتنا إلى الله. والصلاة تحمي النفس ضد التجارب، ومن أجل هذا علينا أن نهتم بالصلاة في أوقات معينة في اليوم. والواقع أن حياتنا كلها يجب أن تكون صلاة.

ويحث الكاتب أولئك الذين يتطلعون إلى وجود روحي في المسيح ألا يطلبوا الأمور الصغيرة والأشياء الدنيوية في اتصالاتهم بالله، بل يطلبوا الأشياء العظيمة السمائية. وفي شرحه ما جاء في (١تي ٢:١) يقدم الأمثلة الكتابية لنوعيات الصلاة الأربع: التماس، عبادة، ابتهال، شكر. وإذ يتحدث عن الالتماس أو التضرع فيقول إنه يجب أن يوجه إلى الآب فقط، وليس لأحد من الكائنات المخلوقة، بل ولا حتى للسيد المسيح. وقد علَّمنا المسيح نفسه أن نعبد الآب. ولكننا يجب أن نصلي باسم المسيح. ويتوجب أن نعبد الآب من خلال الابن في الروح القدس، لكن الله الآب وحده هو الذي من حقه قبول العبادة. ويقدم أوريجانوس سببًا لهذا الرأي وهو أن الإنسان يجب أن لا يصلي لشخص هو نفسه يصلي، إذا كان يريد أن يصلي على نحو صحيح. فذاك الذي رفض أن يُدعى "صالحًا" لأن الله وحده هو الذي يُدعى هكذا من المؤكد أنه كان سيرفض أن يُعبد. وإذا كان المسيح قد سمى المسيحيين إخوته، فإنه وضَّح بذلك أنه يريدهم أن يعبدوا الآب، لا أن يعبدوه هو، الأخ: لذلك دعونا نصلي لله من خلاله ودعونا جميعًا نتكلم بنفس الطريقة دون أي انقسام في صيغة الصلاة. أو لسنا منقسمين، إذا كان البعض يصلون للآب، والآخرون يصلون للابن؟ فبسطاء العقول هؤلاء الذين بدون تفكير وبطياشة يصلون إلى الابن مع الآب أو بدون الآب، يرتكبون خطية الجهل. وقد ظل أوريجانوس وحيداً في هذه النظرية. والتي ربما نبعت من مفهوم تابعية الابن للآب، وعن المبالغة في عقيدة التوحيد.

أما الجزء الثاني فيقدم شرحًا لقولنا "أبانا" وهو أقدم شرح متوفر لنا. وبعد المقدمة والتي تناقش النصين الواردين في إنجيلي متى ولوقا.



والطريقة الصحيحة للتكلم مع الله. يقدم لنا تفسيراً جميلاً للنداء الافتتاحي "أبانا الذي في السموات". وهو يشير إلى أن العهد القديم لم يدعُ الله "الآب" بالمعنى المسيحي الذي يفيد تبنٍ ثابت لا يتغير، والذين تسلموا روح التبني هذا ويثبتون من خلال أعمالهم أنهم أولاد الله وصورته، هم فقط الذين يستطيعون أن يُصلُّوا عن حق. فحياتنا برُمتها يجب أن تقول "أبانا الذي في السموات"، ذلك أنه يتعين أن يكون سلوكنا سماوياً وليس دنيوياً.

والنصيحة التي يقدمها في الجزء الأول من رسالته، وهي عدم طلب الأشياء الأرضية، بل الكنوز السماوية، توضح تفسيره للطِلبة الرابعة: نظراً لأن البعض يرون أن هذا يجب أن يُفهم كما لو أننا يجب أن نسأل من أجل الخبز اللازم لجسدنا، إلاَّ أن الأمر يستحق أن ندحض فكرتهم الخاطئة، ونكتشف الحقيقة فيما يتعلق بعبارة "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم" (مت ٦:١١، لو ١١:٣). ويجب أن نرد على مثل هؤلاء الناس بأنه كيف يمكن لذاك الذي يطلب بأن يتعين على الإنسان أن يصلي طالباً الأشياء السماوية العظيمة، ينسى تعليمه -بحسب اعتقادهم- ويأمرهم بأن يسألوا الآب عن أمر دنيوي وبسيط. والخبز هو "الكلمة" اللوجوس الذي قال عن نفسه إنه: "خبز الحياة".

وعند كلامه عن السلوك الواجب أثناء الصلاة ذكر أوريجانوس أن كل العبادة يجب أن توجه نحو الشرق، للإشارة إلى أن النفس تتطلع إلى فجر النور الحقيقي، شمس البر والخلاص، المسيح. ويركز أوريجانوس طوال هذه الرسالة على نزوع النفس. وأن نتائج الصلاة تعتمد على الاستعداد الداخلي. ونوجز ما قاله في هذا الشأن كما يلي:

أولاً: لا يمكن أن تكون هناك عبادة حقيقية ما لم تُضرم الحرب ضد الخطية كي تطهر القلب.

ثانياً: هذه الحرب ضد كل ما يسبب النجاسة مرتبطة بشكل وثيق بالمحاربة المستمرة لتحرير الروح من العواطف المعتلة وضد كل الأهواء الفاسدة. وإذ يعلق على ما جاء في (مت ٥:٢٢) يوضح أوريجانوس أن الذين هم متصالحون مع أقاربهم هم فحسب الذين بمقدورهم أن يتكلموا مع الله.

ثالثاً: يجب أن نطرد كل الانطباعات والأفكار المزعجة سواء كان سببها العالم المحيط بنا، أو كان السبب في أنفسنا. وبعد أن نفعل هذا، حينئذ فقط يمكننا التقدم إلى الله. وكلما استعدت النفس بشكل أفضل، كانت الاستجابة لالتماساتها من الله سريعة، وزادت استفادتها من الحديث معه. وعلى الرغم من ذلك فإنه حتى بعد اتخاذ مثل هذه الخطوات، تظل الصلاة هبة من الروح القدس، الذي يصلي فينا، ويقودنا في الصلاة.

كانت كتابات أوريجانوس يقرأها الرهبان القدامى في مصر، والقواعد المتبعة في أقدم



الأديرة تبين تأثيره ولا سيما فيما يتعلق بموضوع الصلاة والتوبة.

ب- حض على الاستشهاد

تحمل المخطوطات والنسخ المطبوعة عنوان: حض على الاستشهاد (Exhortatio ad martyrium) ويطلق عليها كل من بامفليوس ويوسابيوس والقديس چيروم عنوان "عن الاستشهاد" من باب الإيجاز. وقد كتب أوريجانوس هذه الرسالة مع بداية اضطهاد مكسيمينوس ثراكس (Maximinus Thrax) في سنة ٢٣٥ م في قيصرية في فلسطين. والواقع أن هذه الرسالة وُجهت إلى الشماس أمبروزيوس والكاهن بروتيكتوس (Protectus)، وكانا من بين المسيحيين في تلك المدينة. وهي تتناول موضوعًا كان محببًا لقلب كاتبها طوال حياته. وقد كتب يوسابيوس عن صباه المبكر فقال: "حينما أضرمت شعلة الاضطهاد وغدت لهبًا حامي الوطيس، وتُوجت أعداد غفيرة بإكليل الشهادة، تملكت روح أوريجانوس رغبة مُلحّة للاستشهاد، فيما كان لا يزال صبيًا يافعًا، حتى أنه كان يتلهف لأن يدفع بنفسه إلى مكامن الخطر، ويندفع بكل سرعة نحو ساحة الاستشهاد. والواقع أنه لم يكن أمامه سوى بضع خطوات حتى تنتهي حياته، لو لم تتدخل العناية الإلهية والترتيب السماوي لصالح الخير العام وذلك من خلال والدته التي وقفت في طريق حماسته هذه. فقد لجأت في باديء الأمر إلى استعطافه بالكلمات ترجوه أن يرحم مشاعر الأم، وبعد ذلك، وحين علم أن والده قد قُبض عليه، وأُلقي به في السجن، وأن كيانه كله أصبح يتوق للاستشهاد، وإذ أدركت أنه أصبح أكثر تصميمًا على تنفيذ قصده مما كان عليه قبلاً، قامت بإخفاء كل ملابسه وبذلك ألقت على عاتقه ضرورة البقاء في البيت. وبالنظر إلى أنه لم يكن أمامه شيء آخر ليعمله، وحيث كانت تدفعه الحماسة التي زادت مع الأيام شدة، أرسل إلى أبيه رسالة عن الاستشهاد تحثه بكل قوة على التحمل، فكتب له العبارة التالية: "احرص على ألاّ تغير رأيك من هذه الناحية".
(يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ٦:٢:٢-٦).

كانت هذه أول نصيحة لأوريجانوس عن الاستشهاد. أما الكتاب الذي كتبه عن هذا الموضوع في سنة ٢٣٥م. فيبين أنه لم يفقد شيئًا من حماسته. ومع ذلك فإنه في الفصلان ٤٥ و٤٦ ذكر- ودون قصد- أن رغبته هذه في الاستشهاد لم يكن يشاركه فيها الجميع. كان ثمة البعض ممن ينظرون إلى أن ارتكاب بعض الأمور مثل الذبح للأوثان أو التضرع لأحد آلهة الوثن، أمر لا أهمية له، وآخرون لا يرون أية جريمة في الموافقة على الذبيحة التي تطلبها السلطات الوثنية ما دمت "تؤمن بقلبك". ولمثل هؤلاء كتب أوريجانوس رسالته.

تبدو مقدمة الرسالة وكأنها عظة. ويصف



الكاتب الشخصين اللذين يوجه إليهما الرسالة بما جاء في إشعياء (٢٨:٩-١١). ويقول لقد اختُبر إيمانهما، فوجدا أمينين وقد نصحهما بأن يثبتا في الضيقات. لأنه بعد فترة قصيرة من الآلام ستكون مكافأتهما أبدية (الفصلان ١ و٢). والاستشهاد واجب على كل مسيحي حقيقي لأن كل الذين يحبون الله يتمنون أن يتحدوا به (الفصلان ٣ و٤). ولن يدخل الحياة الأبدية السعيدة إلاَّ أولئك الذين يعلنون إيمانهم بكل شجاعة. (الفصل الخامس).

ثم في الجزء الثاني، يحذر من الردة وعبادة الأوثان. فأعظم خطية هي إنكار الإله الحقيقي وتعظيم آلهة زائفة (الفصل السادس). لأنه ليس من المعقول أن نعبد المخلوقات دون الخالق (الفصل السابع) والله يقصد تخليص النفوس من عبادة الأوثان (الفصلان ٨ و٩). والذين يرتكبون هذه الجريمة يدخلون في وحدة مع الأوثان، ولسوف يعاقبون بقسوة بعد الموت (الفصل العاشر).

ويحتوي الجزء الثالث على النصيحة الحقيقية التي تحض على الاستشهاد (الفصل الحادي عشر). ولن يخلص سوى أولئك الذين يحملون الصليب مع المسيح (الفصلان ١٢ و١٣). ولسوف تكون المكافأة عظيمة بالنسبة للممتلكات الأرضية التي تركوها وراءهم (الفصول ١٤-١٦). وبالنظر إلى أننا تبرأنا من الآلهة الوثنية حين اعتمدنا، لذلك فليس مسموحًا لنا بأن نحنث في وعدنا (الفصل السابع عشر). ولسوف يحكم العالم كله على سلوك الشهداء (الفصل الثامن عشر). ولهذا السبب علينا أن نتقبل جميع أنواع الاستشهاد حتى لا نعد ضمن الملائكة الذين سقطوا (الفصول ١٩-٢١).

أما في الجزء الرابع فيورد أمثلة من الكتاب المقدس على المثابرة والتحمل: فنذكر مثال أليعازر (الفصل ٢٢) والأبناء السبعة وأمهم البطلة والذين تحدث عنهم سفر المكابيين الثاني (الفصول ٢٣-٢٧).

ويتناول في الجزء الخامس ضرورة الاستشهاد وجوهره ونوعياته. والمسيحيون مضطرون إلى تحمل مثل هذا الموت لكي يعبروا لله عن شكرهم لكل النعم التي أعطاها لهم (الفصلان ٢٨ و٢٩). والخطايا التي ترتكب بعد قبول معمودية الماء لا يمكن أن تغفر إلاَّ بمعمودية الدم (الفصل ٣٠). ونفوس أولئك الذين يصمدون أمام كل تجارب الشيطان (الفصل الثاني والثلاثون) ويقدمون حياتهم لله كقربان طاهر، لا يدخلون النعيم الأبدي فحسب (الفصل الحادي والثلاثون). بل يستطيعون الحصول على المغفرة لكل من يصلون من أجلهم (الفصل الثلاثون). وكما أعان الله الفتية الثلاثة في أتون النار ودانيال في جب الأسود، فإنه لن يبخل بمعونة للشهداء (الفصل الثالث والثلاثون).



وليس الله الآب فحسب هو الذي يطلب مثل هذه التضحية، بل إن المسيح يطلبها أيضًا. فإذا ما أنكرناه، فلسوف ينكرنا في السماء (الفصلان ٣٤ و٣٥). ومن ناحية أخرى فهو سيقود من يعلنون إيمانهم إلى الفردوس (الفصل السادس والثلاثون). لأن الذين يكرهون العالم هم وحدهم الذين يرثون ملكوت السموات (الفصلان ٣٧ و٣٩). ولسوف يمنحون بركة لأولادهم الذين تركوهم هنا على الأرض (الفصل الثامن والثلاثون). ومن ناحية أخرى، من ينكر الابن ينكر الله الآب أيضًا (الفصل الأربعون).

غير أنه إذا ما اتبعنا مثال المسيح وقدَّمنا له حياتنا قربانًا فإن تعزياته تكون معنا (الفصلان ٤١ و٤٢). ولهذا السبب ينصح المسيحيين بأن يكونوا مستعدين للاستشهاد (الفصلان ٤٣ و٤٤).

أما الفصلان (٤٥ و٤٦) فيتناولان موضوعًا جانبيًا، إذ يبحث في موضوع بأي اسم نتضرع إلى الله. ويلخص الجزء الأخير من المقالة، النصائح والتحذيرات التي تحث على الشجاعة والمثابرة أثناء الحبس وفي الخطر مع التشديد على واجب كل مسيحي أن يصمد للتجربة في وقت الاضطهاد (الفصول ٤٧-٤٩). وثمة عزاء واحد: سوف ينتقم الله لدمائهم، إلاَّ أنهم بآلامهم سوف يفدون الآخرين (الفصل الخمسون).

وفي الخاتمة يرجو الكاتب أن يكون كتابه نافعًا لصديقيه، وإلاَّ فإنه نظرًا لأنهما مستعدان لينالا إكليل الشهادة، فيثبت أنه عمل لم يكن ضروريًا!

للرسالة أهمية كبرى كمصدر تاريخي للاضطهاد الذي شنَّه مكسميانوس ثراكس. وقد حفظ النص في ثلاث مخطوطات.

جـ- عن عيد القيامة

نفس المخطوطة التي تم العثور عليها في بلدة طرة في سنة ١٩٤١م، والتي تتضمن "مناقشة مع هيراقليدس"، تحتوي أيضًا على شذرات من رسالة لأوريجانوس بعنوان "عن عيد القيامة" (On Easter) والتي لا يُعرف عنها سوى النذر القليل.

د- رسائل

يذكر چيروم في ختام قائمته أربع مجموعات مختلفة من مراسلات أوريجانوس التي كانت موجودة في ذلك الحين في قيصرية. بلغت إحداها تسعة كتب، ولابد وأنها هي التي حررها يوسابيوس (تاريخ الكنيسة ٣:٣٦:٣)، والتي كانت تضم أكثر من مائة رسالة. ومن بين كل هذه الرسائل لم تتبق سوى رسالتين كاملتين.

(١) الرسالة الأولى: هي الفيلوكاليا "The Philocalia" وتعني محبة الصلاح أو الخير أو الجمال، وتتضمن في الفصل الثالث عشر رسالة وجهها أوريجانوس إلى تلميذه السابق غريغوريوس صانع العجائب (Gregory Thaumaturgos).

ويبدو أنها كتبت ما بين سنتي ٢٣٨م و٢٤٣م، حين كان أوريجانوس في نيقوميديا (بآسيا الصغرى). وفي عبارات أبوية ينصح المعلم تلميذه السابق بأن "يأخذ من الفلسفة اليونانية الأمور التي يمكن تعميمها أو تصلح لتكون دراسة تمهيدية للمسيحية.

وتختتم الرسالة بنصيحة حارة بألا يسترخوا أو يتهاونوا في قراءة الكتاب المقدس. وقد ظهرت لها مؤخرًا ترجمة بالعربية في مصر.

(٢) الرسالة الثانية: ونصها لا يزال موجودًا بكامله، وقد وُجهت إلى يوليوس أفريكانوس، وكانت ردًا على رسالة بعث بها هو إلى أوريجانوس، وهي أيضًا محفوظة. وقد اقتبس أوريجانوس حادثة سوسنة (Susanna) في إحدى المجادلات. وقد جذب يوليوس أفريكانوس الانتباه إلى حقيقة أن هذه الحادثة لم ترد في النص العبري لسفر دانيال. وثمة أسباب ترجع إلى اللغة والأسلوب وكذلك إلى النواحي البلاغية الأمر الذي يوضح تمامًا أنها لا تنتمي في الأصل إلى سفر دانيال، وعلى ذلك لا يمكن اعتبارها كتابية. أما أوريجانوس فقد دافع في رده بشدة وأظهر معرفةً واسعةً، وأثبت أن هذه القصة تنتمي إلى الكتاب المقدس وكذلك قصة البعل (Bel) والتنين. وصلوات عزريا، وترنيمة الحمد للفتية الثلاثة في أتون النار. فهي موجودة في الترجمة السبعينية، وكذلك في ترجمة ثيودوسيون. فضلاً عن ذلك فإن الكنيسة تحدد الأسفار القانونية للعهد القديم، ومن الأفضل أن تتذكر هذا القول:: "لا تنقل التخم القديم الذي وضعه آباؤك" (أم ٢٢:٢٨).

كُتبت هذه الرسالة في نحو سنة ٢٤٠م. في بيت صديقه أمبروزيوس في نيقوميديا.

جـ- ثمة رسائل عديدة أخرى لأوريجانوس، لكنها فُقدت، ومعرفتنا بها ترجع إلى الكتاب السادس من "التاريخ الكنسي" ليوسابيوس القيصري. ومن بينها رسالة للامبراطور "فيلبس العربي" (Philippus Arabs) وأخرى إلى زوجته سيڤيرا (Severa). ويذكر يوسابيوس عدة رسائل إلى البابا فابيانوس (Fabianus) (٢٣٦-٢٥٠م). (كواستن- مرجع سابق).

✢✢✢✢

ملامح من الفكر اللاهوتي عند أوريجانوس

أسَّس العلاَّمة أوريجانوس فكره اللاهوتي على أعلى وأسمى عقيدة في المسيحية أي "الله". وأول أعماله اللاهوتية "المبادىء الأساسية" يبدأ بقوله: "إن الله روح، وأن الله نور. والله غير مولود. وهو غير مادي... فالله الآب كائن مطلق لا يُستقصى. إلاَّ أنه يمكن إدراكه من خلال اللوجوس، الذي هو المسيح". (المبادىء الأساسية ١:٢:٨). ويمكن أيضًا إدراكه من خلال مخلوقاته، كما تعرف الشمس

بأشعتها:

كثيرًا ما تعجز عيوننا عن التركيز في طبيعة النور نفسه، أي في جوهر الشمس ذاتها: غير أننا حين نرى بهاءها أو أشعتها تنساب، ربما عبر النوافذ أو بعض الفتحات الصغيرة التي تسمح بدخول النور، هنا نستطيع أن نتأمل كيف أن مصدر هذا النور عظيم. وبنفس الطريقة أيضًا نجد أن أعمال العناية الإلهية وخلق هذا العالم كله إن هي إلاَّ نوع من الأشعة، إذا جاز لنا القول، تعبر عن طبيعة الله بالمقارنة مع جوهره وكيانه الحقيقيين. ولذلك فإنه، بالرغم من أن فهمنا قاصر في حد ذاته عن إدراك الله نفسه، في حالته الحقيقية، فإنه يعرف بأنه "خالق العالم" من أعماله الرائعة ومخلوقاته الجميلة.

وكان العلاَّمة أوريجانوس مهتمًا للغاية بضرورة تجنب أن ينسب أي صفات بشرية إلى الله. وهو يدافع عن طبيعة الله غير المتغيرة ولا سيما ضد مذهب وحدة الوجود ومبدأ الثنائية الذي يؤمن به الرواقيون، والغنوسيون، والمانويون.

١- الثالوث

كان العلاَّمة أوريجانوس يعرف تمامًا تعبير "الثالوث" وهو يرفض ويدحض أفكار الانتحاليين Modalistics. أما أنه يعلم مبدأ التابعية، فهذا ما قد أكده البعض ونفاه البعض الآخر. فالقديس چيروم لم يتردد في اتهامه بذلك، في حين أن كلاً من غريغوريوس صانع العجائب والقديس أثناسيوس قد برأه من كل شبهة. وكذلك الكتبة المحدثون من أمثال "رينون" Regnon "وبرات" Prat قد أبرأوا ساحته أيضًا.

وطبقًا لما يقوله أوريجانوس: انبثاق الابن من الآب ليس نتيجة عملية انقسام، بل بنفس الطريقة التي تنبثق بها الإرادة من العقل: "لأنه إذا كان الابن يعمل كل الأشياء مثل الآب، تكون صورة الآب قد تكونت في الابن، الذي وُلد منه، مثل عمل إرادته انبثق من العقل، ولذلك فإني مع الرأي القائل إن إرادة الآب يجب أن تكون وحدها كافية لوجود ما يريده. لأنه في ممارسته لمشيئته لا يستخدم أية طريقة أخرى سوى تلك التي أعلنت بمشورة إرادته. وهكذا أيضًا وجود الابن قد ولد منه (انبثق). لأن هذه النقطة، وقبل أي شيء آخر، يجب أن يقبلها أولئك الذين لا يُسلمون بأن هناك ما يمكن أن يكون غير مولود، أي لم يولد، سوى الله الآب فحسب... وبما أن عمل الإرادة ينبثق من الفهم، ولا شيء يعزل أي جزء، حيث لا يُفصل أو ينقسم عنه، وهكذا وبطريقة ما قيل إن الآب ولد الابن، صورته، وحيث أنه هو غير منظور بالطبيعة فقد ولد صورةً غير منظورة. لأن الابن هو الكلمة، ولذلك ليس لنا أن نفهم أي شيء فيه يمكن للحواس أن تدركه. فهو الحكمة، ولا يمكن أن تكون ثمة شبهة في أن يكون بها أي شيء مادي. فهو النور الحقيقي، الذي ينير كل إنسان آتيًا إلى العالم.

لذلك فإن مخلصنا هو صورة الإله غير المنظور، وهو الحق، الصورة التي بواسطتها نعرف الآب، الذي لم يره أحد إلاّ الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له، (المبادىء الأساسية ١:٢:٦).

وهكذا أوضح أوريجانوس أن الابن انبثق من الآب، لا عن طريق الانقسام بل بعمل روحي. ونظراً لأن كل شيء أبَدي في الله، فإن عمل الولادة هذا أبَدى أيضاً. ولنفس السبب ليس للابن بداية. فلم يكن ثمة وقت لم يكن فيه الابن موجوداً. ويكاد يبدو كما لو أن أوريجانوس قد توقع دحض الهرطقة الأريوسية التي تقول بعكس ذلك تماماً من أنه كان ثمة وقت لم يكن الابن فيه. ونفس الأمر ينطبق على بنوية المسيح. ولذلك فالعلاقة بين الابن والآب، هي علاقة وحدة في الجوهر وفي هذا الإطار صاغ أوريجانوس العبارة التي أصبحت مشهورة في المجادلات حول شخص المسيح في مجمع نيقية (٣٢٥م).

وأي شيء آخر يمكننا افتراضه في النور الأبدي سوى أنه الله الآب، أما الذي لا يمكن إنكاره أبداً فهو أنه ما دام هو النور، فلا يمكن القول إن بهاءه (عب ١:٣) لم يكن معه في وقت من الأوقات، فلا يمكن تخيل النور دون بهاء، ولكن إذا كانت هذه حقيقة فلا يكن ثمة وقت لم يكن فيه الابن هو الابن، على أنه سوف يكون لا كما وصفنا النور الأبدي، غير مولود (لئلا نبدو. وكأننا نتحدث عن أساسين للنور)، ولكنه بهاء النور غير المولود، حيث أن هذا النور نفسه هو بدايته ومصدره، فقد وُلد منه في الحقيقة، غير أنه لم يكن هناك وقت لم يكن موجوداً فيه.

وهكذا الحكمة أيضاً، من حيث أنها منبثقة من الله، فهي مولودة من الجوهر الإلهي نفسه. ومع ذلك، فتحت تشبيه فيض جسدي، فهي أيضاً دعيت هكذا: "فإنها بخار قوة الله وصدور مجد القدير الخالص فلذلك لا يشوبها شيء نجس" (الحكمة ٢٥:٧).

وكل من هذين التشبيهين يوضح بجلاء كيف أن الابن والآب واحد في الجوهر. لأن تدفق جوهر من ذاته يعد مثل الزفير أو مثل عملية التنفس.

وهكذا كان تعليم أوريجانوس عن اللوجوس يشكل تقدماً رائعاً في تطور الفكر اللاهوتي، وكان له تأثير واسع المدى على التعليم الكنسي.

ومع ذلك، فثمة اتجاهان للفكر أصبحا واضحين بعد دراسة الفكر اللاهوتي لأوريجانوس. أحدهما يؤكد ألوهية اللوجوس، في حين أن الآخر يسميه "إله ثان". فالآب وحده هو الصلاح الأساسي، أما الابن فهو صورة الصلاح. ويقرر أوريجانوس: "فنحن الذين نقول إن العالم المرئي تحت رئاسة ذاك الذي خلق كل شيء فإننا بذلك نعلن أن الابن ليس أقوى من الآب، بل أقل منه. فأوريجانوس يرى أن الابن والروح القدس إن هما



إلاَّ وسيطان بين الآب والمخلوقات:

"أما بالنسبة لنا فنحن من نؤمن بكلام المخلص الذي قال: "أبي أعظم مني". ولم يسمح بأن تطبق عليه صفة "صالح" بمعناها الكامل والحقيقي، بل عزا الصلاح إلى الآب ووجَّه له الشكر، وأدان الذي يفرط في تمجيد الابن- نحن نقول إن المخلص والروح القدس ليس لهما نظير وهما يسموان كثيرًا جدًا على كل المخلوقات، ولكن في نفس الوقت نقول إن الآب أعظم من هذين اللذين يسموان على كل المخلوقات حتى الأسمى منها. (Contra Cels 5,39, in Joh. 6,39,202).

ويمكن أن ندرك بسهولة من هذه الفقرة وفقرات أخرى مماثلة السبب في اتهام أوريجانوس بأنه يتبع مبدأ "التابعية". ومن الجلي تمامًا أنه يفترض وجود نظام متدرج في الثالوث القدوس، ويعتبر الروح القدس في درجة أقل حتى من المسيح.

٢- دراسات عن شخص المسيح

يقدم أوريجانوس مفهوم نفس يسوع، وهو يرى أن هذه النفس التي كانت موجودة قبل الوجود بمثابة الحلقة التي تربط بين اللوجوس غير المحدود والجسد المحدود للسيد المسيح.

وجوهر النفس هذه، إذ أنها وسيطة بين الله والجسد- لأنه من المستحيل لطبيعة الله أن تمتزج مع جسد دون أداة وسيطة- لذلك ولد الإله الإنسان، كما سبق القول لكي يكون ذلكم الجوهر وسيطًا لذاك الذي لا تناقض مع طبيعته في أن يتخذ جسدًا. غير أنه من ناحية أخرى، ليس بالنسبة لهذه النفس، كوجود طبيعي، ما يحول دون أن يحل الله فيها. ولذلك وعن استحقاق سمي أيضًا -مع الجسد الذي أخذه- ابن الله، وقوة الله، المسيح، وحكمة الله، إما لأنها كانت بالكامل في ابن الله، أو لأنها قبلت ابن الله بالتمام في داخلها.

وكان أوريجانوس أول من استخدم تعبير الله الإنسان، هذا التعبير الذي أخذ مكانه بين المصطلحات الخاصة بالفكر اللاهوتي المسيحي. وباتحاد نفس المسيح بالكلمة أصبحت غير قادرة على ارتكاب الخطية:

"أما وأن طبيعة نفسه كانت مثل نفوس الجميع فهذا ما لا يمكن إنكاره، وإلاَّ ما كان يمكن أن تُسمى نفسًا ما لم تكن كذلك بالفعل. غير أنه بالنظر إلى أن قوة الاختيار بين الخير والشر موجودة في الجميع، فإن نفس المسيح اختارت أن تحب البر، ولذلك فإنه بالنسبة لضخامة محبتها فقد تعلقت به دون تغيير أو انفعال، ولذلك فإن التمسك بالهدف بثبات وقوة المحبة، وحرارة المحبة التي لا يمكن أن تضعف، حطمت كل احتمالية للتغيير أو التبديل، وما كان في السابق يعتمد على الإرادة، تبدل بقوة طول الوقت وأصبح طبيعة، ولذلك يجب أن نؤمن أن في المسيح ثمة نفسًا بشرية طبيعية،

دون افتراض أن لها ميلاً -احتمالاً- للخطية.

واتحاد الطبيعتين في المسيح هو اتحاد وثيق للغاية، لأن نفس المسيح وجسده شكلاً بعد الاتحاد كائنًا واحداً مع كلمة الله. وهكذا كان أوريجانوس يُعلِّم بتبادل الصفات المميزة. وعلى الرغم من أن المسيح يُعَرَّف باسم يشير إلى ألوهيته، إلاَّ أنه يمكن أن تنسب إليه السمات البشرية والعكس بالعكس.

"وابن الله الذي بوساطته خُلق كل شيء، دُعي يسوع المسيح وابن الإنسان -لأن ابن الله قيل إنه مات -وهذا بالإشارة على وجه الخصوص إلى تلك الطبيعة التي يمكن أن تخضع للموت، وقد سُمي ابن الإنسان، الذي أُعلن أنه سيأتي بمجد الآب مع الملائكة القديسين. ولهذا السبب نجد أنه في الكتاب المقدس كله، لا يأتي الحديث عن الطبيعة الإلهية بكلمات بشرية فحسب، بل إن الطبيعة البشرية ازدانت عندما خُلِعت عليها المهابة الإلهية.

٣- دراسة عن شخصية السيدة العذراء

يقول المؤرخ سوزومن Sozomen إن أوريجانوس استخدم كلمة "ثيؤتوكس" بالنسبة للعذراء.. وقد استخدم هذا اللقب في مدرسة الإسكندرية -لفترة طويلة- ليعبر عن الأمومة الإلهية لمريم. وقد بدأ هذا اللقب يكون محلاً للهجوم اعتباراً من النصف الأول من القرن الخامس في المجادلات النسطورية. وقد تم وضع تعريف له وتحديده في مجمع أفسس.

غير أن أوريجانوس يعلم أيضًا بأمومة مريم العامة "لا يستطيع أحد أن يفهم معنى إنجيل (القديس يوحنا) ما لم يكن قد استراح على صدر يسوع وتقبل مريم منه لتكون أمه هو أيضًا.

٤- دراسات حول الكنيسة

الكنيسة هي الجسد السري للمسيح. وكما تسكن النفس في الجسد، هكذا اللوجوس (المسيح كلمة الله) يسكن في الجسد، وهكذا فإن اللوجوس يعيش في الكنيسة كما يعيش في جسده. وهو أساس حياتها.

نحن نقول إن الأسفار المقدسة تعلن أن جسد المسيح الحي، ابن الله، هو كنيسة الله كلها، وأن أعضاء هذا الجسد -ككل- هم المؤمنون، لأنه كما أن الروح تحيي الجسد وتحركه، هكذا الكلمة أيضًا، توقظ وتحرك الجسد كله، الذي هو الكنيسة، إلى عمل مناسب، وفضلاً عن ذلك توقظ كل عضو ينتمي إلى الكنيسة على حدة، ولذلك فهم لا يعملون شيئاً بمنأى عن الكلمة.

وكان أوريجانوس أول من أعلن أن الكنيسة هي مدينة الله هنا على الأرض، حيث تقوم الآن ولفترة محدودة جنبًا إلى جنب مع الدولة العلمانية. وهي على هذا النحو لها طابع مسكوني، وقوانينها تتفق مع الدستور الراسخ في كل البلاد:



وما نعتقده هو أن "الكلمة سيسود على كل الخليقة الطبيعية، ويغير كل نفس إلى كماله هو، وفي هذه الحالة فإن كل واحد من خلال ممارسة قوته وحدها، فسوف يختار ما يريد، ويحصل على ما اختاره (Contra Cels. 8,72).

ولا يمكن أن يكون ثمة خلاص بدون هذه الكنيسة. والتعاليم والنواميس التي جاء بها المسيح إلى البشرية لا نجدها سوى في الكنيسة. مثل دمه الذي سُفك من أجل خلاصنا. ولهذا السبب لا يمكن أن يوجد إيمان خارج هذه الكنيسة. وإيمان الهراطقة لا يعد إيماناً بل هو أمر اعتباطي.

٥- المعمودية والخطية الأصلية والغفران

يعترف أوريجانوس بالخطية الأصلية، وبمعمودية الأطفال. فكل إنسان مولود في الخطية، ولهذا كانت معمودية المولودين حديثاً تقليداً اتبعه الرسل: "إذا كنت تريد أن تعرف ما شعر به قديسون آخرون فيما يتعلق بالميلاد بالجسد، فانصت إلى داود حين قال: "ها أنذا بالإثم صوِّرت وبالخطية حبلت بي أمي" (مزمور ٥١:٥)، حيث يثبت أن كل نفس مولودة بالجسد قد لوثت بوصمة الخطية والإثم" (In lev. hom. 8,3 spck).

ويرد أوريجانوس عن السؤال عن الغرض من معمودية الأطفال فيقول: "إن الكنيسة تسلمت من الرسل عادة إجراء المعمودية حتى بالنسبة للأطفال، لأن أولئك الذين أؤتمنوا على الأسرار الإلهية، يعرفون جيداً أن الجميع ملوثون بالخطية الأصلية، والتي يجب أن تزال بالماء والروح" (In Rom. Com. 5,9 EH 249).

ويؤكد أوريجانوس في مناسبات عدة على أن المعمودية هي الطريق الوحيد لمغفرة الخطايا. إلاّ أنه ثمة وسائل عديدة لمغفرة الخطايا التي ارتكبت بعد المعمودية ويذكرها وهي: الاستشهاد، الصدقات، غفراننا لمن يسيئون إلينا، تجديد الخاطيء (طبقاً لما جاء في يعقوب ٥:٩)، والمحبة، ثم من خلال الندم والتوبة، ومن خلال الاعتراف بالخطايا أمام الكاهن، والكاهن هو الذي يحدد ما إذا كان المعترف يقر بخطاياه علانية أم لا. وهو يرى أن بعض الخطايا مثل خطايا الوثنية والزنى لا يمكن غفرانها عن طريق الصلاة وحدها. إذ يلزم توقيع عقوبة على الخاطيء كالحرم لمدة طويلة. وهو يذكر في مناسبات عديدة أن كل خطية قابلة للغفران.

٦- الأخرويات

يرى أوريجانوس في تعليمه عن الرد الشامل لكل الأشياء إلى حالتها الروحية الخالصة الأصلية، أن نفوس أولئك الذين ارتكبوا خطايا هنا على الأرض سوف تخضع لنار مطهرة بعد الموت، أما الأبرار فيذهبون إلى الفردوس. وأوريجانوس لا يعرف أي عقوبة في الجحيم أو أي نار أبدية. فكل الخطاة سوف يخلصون، بل حتى الشياطين

أنفسهم سوف يطهرهم اللوجوس. وسوف يتبع ذلك المجيء الثاني للمسيح وقيامة جميع الناس، لا في أجساد مادية، بل في أجساد روحانية، وسيكون الله الكل في الكل.

إن ذلك التجديد الشامل يجب ألا ينظر إليه على أنه نهاية العالم، بل يعتبر مرحلة من المراحل. وقد تأثر أوريجانوس بفكرة أفلاطون عن وجود العالم، فهو يرى أنه قبل أن يبرز هذا العالم إلى الوجود، كانت ثمة عوالم أخرى، وأنه بعد أن ينتهي هذا العالم سوف تكون عوالم بعده، وهذا يحدث في تعاقب لا حدود له. وعصيان الله ثم الرجوع إليه يتعاقبان مراراً وتكراراً.

٧- الأرواح السابقة الوجود

يرتبط تعليم أوريجانوس عن الأرواح السابقة الوجود بصفة وثيقة مع فكرته عن التجديد الشامل. فالعالم المنظور (الحاضر) قد سبقه عالم آخر. والأرواح البشرية السابقة للوجود الحالي إن هي إلاَّ أرواح سقطت وابتعدت عن الله في العالم السابق. ولذلك فهي الآن موجودة في أجساد مادية.

ويرى أوريجانوس أن كلمة "نفس" مشتقة من كلمة "بارد" فيقول: علينا أن نرى ما إذا كان كما سبق القول بالاسم نفسه، حيث سميت "النفس" anima لأنها أصبحت باردة عن وهج الأشياء العادلة، وعن الارتباط بالنار الإلهية، غير أنها لم تفقد القوة لاسترجاع نفسها إلى حالة التوهج التي كانت عليها في البداية. ويبدو أن النبي يشير إلى تلك الحالة بقوله "ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك" (مز ١١٦:٧). ويتضح من كل هذا أنه يجب استخلاص أن الذهن إذا سقط من منزلته أو سموه جُعل أو سُمي نفساً، وأنها إذا ما أُصلحت أو قُوِّمت، فإنها تعود إلى حالة الفهم التي كانت عليها قبلاً".

"فإذا كان الحال كذلك، فيبدو لي أن نفس فساد الفهم وسقوطه، لا يكون واحداً بالنسبة للجميع، إلاَّ أن التجديد في نفس ما إنما يصل إلى درجات أكبر أو أقل في حالات مختلفة، وأن ثمة أذهاناً معينة تحتفظ بشيء حتى من حيويتها السابقة، فيما أن حالات أخرى لا تحتفظ بشيء أو بقدر ضئيل منها. وفي حين أن البعض يوجدون في حياتهم في حالة نشاط فكري أكثر، نجد أن آخرين في حالة ذهنية أقل، والبعض يولدون متبلدي الذهن تماماً، وعاجزين كلية عن الاستيعاب. (De prince. 2,9,3-4).

وأليس يتطابق أكثر مع المنطق أن كل نفس ولأسباب معينة غامضة (أتكلم الآن طبقاً لرأي فيثاغورس وأفلاطون وإمبيدوكليس Empedocles، الذين يذكرهم دائماً كلسوس)، قدمت في جسد، وذلك طبقاً لاستحقاقها وأعمالها السابقة. (Conrta cels. 1.32).

٨- الكتاب المقدس

يؤمن أوريجانوس أن الكتاب المقدس ليس مجرد رسالة في العقيدة أو يرتبط بالنواحي الأخلاقية فحسب. بل يرى أنه يفوق ذلك بكثير.. وهو أكثر سمواً.. لأنه يعكس العالم غير المنظور.

وهو يضع مبدأين في رؤيته للكتاب المقدس. **المبدأ الأول:** الكتاب المقدس كلمة الله، لا كلمة ميتة حبيسة الماضي، بل كلمة حية موجهة بصفة مباشرة إلى إنسان اليوم. أما **المبدأ الثاني:** إن العهد القديم قد وضح في ضوء العهد الجديد، كما أن العهد الجديد لا يمكن سبر أغواره إلاَّ بدراسة العهد القديم. وهو يقول إن الكتاب المقدس يحتوي على تاريخ وأسرار ومعاني أخلاقية، وهي تناظر مكونات الإنسان الثلاثة. الجسد والنفس الروح، أو الدرجات الثلاث للكمال.

استخدم أوريجانوس التفسير الرمزي تفادياً للمواقف التي قد يتعرض لها من جرَّاء التفسير الحرفي. (De Princ. 4,16) وقد ذهب إلى حد أنه أكد أن "**كل ما جاء بالكتاب المقدس له معنًى روحي، لكن ليس كل ما ورد به له معنًى حرفي**".

وكان نتيجة لتأثر أوريجانوس بفكر فيلو أنه كان يرى معنًى روحيًا في كل فقرة من فقرات الكتاب المقدس، وأن بعضًا من أساليبه الرمزية أصبح غير واقعي.

✢✢✢✢

التصوف في تعليم أوريجانوس

يعتبر العلاَّمة أوريجانوس أحد أعظم المتصوفين في تاريخ الكنيسة. وإن كان هذا الجانب في تعليمه قد أهمل طويلاً، إلاَّ أن الاهتمام به بدأ في إلقاء الضوء على هذا الجانب في تعليمه. ودعنا ندرس تلك النقاط الخاصة بالتصوف في أفكاره و تعليمه.

أ- رؤيته للكمال

ب- معرفة الذات

جـ- الطهارة والنقاوة

د- اعتزال العالم وممارسة النسك

هـ- الاتحاد السري باللوجوس

أ- رؤيته للكمال

بالقول: "على صورة الله خلقه" وحذف عبارة "كشبهه" لم يشرِ إلى شيء سوى أن الإنسان أخذ سمو "الصورة" عند خلقه، إلاَّ أن كمال "الشبه" قد تأجل لحين استكماله.. أي أنه على الإنسان أن يسعى ليكون على ذلك الشبه عن طريق جهوده الشخصية من خلال التمثل بالله. إن احتمالية الوصول إلى الكمال قد أعطيت له في البداية من خلال سمو "الصورة"، فإنه عن طريق السلوك قد يحقق بنفسه في النهاية "الشبه" الكامل. (De princ. 3.6.1).

ولكي يستطيع الإنسان تحقيق هدفه في أن



يكون على صورة الله فهو في حاجة إلى نعمة الله إلى جانب جهده الشخصي. وأفضل طريق لتحقيق الكمال المثالي هو التمثل بالمسيح.

ب- معرفة الذات

والخطوة الأولى على طريق الكمال لمن اختيروا للتمثل بالمسيح هو معرفة الذات. ما يجب أن نفعله، وما يلزم أن نقلع عنه فيقول:

"يجب أن تؤخذ ملاحظاتنا على أنها موجهة من "كلمة الله" إلى النفس التي هي في حالة من التقدم، ولكنها لم تبلغ بعد مستوى الكمال. ونظراً لتقدمها فإنها وصفت بأنها جميلة، غير أنه لكي تضمن وصولها للكمال فإن الضرورة تفرض أن يوجه لها هذا التحذير. لأنه ما لم تحصل على معرفة الذات بالأسلوب الذي فصّلناه آنفًا. وما لم تدرب نفسها بعناية على كلمة الله والناموس الإلهي، فإن مآلها أن تجمع على هذه النقاط آراء المعلمين المختلفين، وأن تتبع رجالاً، ليس في كلامهم أي تميز، ولا يتمتعون بحضور الروح القدس.. إنه لخطر عظيم بالنسبة للنفس أن تهمل معرفة وفهم ذاتها" (In Cant. 2,143-145).

جـ- الطهارة والنقاوة

يكون من شأن معرفة الذات وفحص الضمير التوصل إلى أنه ينبغي أن نحارب الخطية، فالخطية هي التي تحول بيننا والوصول إلى الكمال. وأن نحارب الأهواء الشريرة، والعالم لأنهما من أسباب الخطية. وهو لا يعارض الزواج، ولكنه يوصي بحياة العزوبية فحسب، لمن يتمثلون بالمسيح:

"وإذا قدَّمنا له عفتنا، أي طهارة أجسادنا، يعطينا طهارة الروح... وهذا هو نذر النذير، والذي يسمو على كل نذر. لأنه حين نقدم ابنًا أو ابنة، ماشية أو ضيعة فكل هذه خارج ذواتنا. أما الذي يقدم ذاته لله ويرضيه، لا عن طريق عمل آخر. بل عن طريق الإنسان ذاته، فهذا يعد أكثر النذور كمالاً، بل وأبرزها، وذاك الذي يفعل هذا يتمثل بالمسيح".

وأوريجانوس يمدح السيد المسيح لأنه هو الذي جاء بالبتولية إلى العالم، وهو يرى فيها نموذجًا للكمال، ومع ذلك، فمن يتمثل بالمسيح عليه أيضًا الانعزال عن أقاربه وعن كل الطموحات العالمية والممتلكات. وهذا وحده يمكنه أن يفسح مكانًا لله في قلبه، وبدون ذلك لا يمكن تحقيق أي ارتقاء داخلي.

د- اعتزال العالم وممارسة النسك

الانعزال التام عن العالم، لا يمكن أن يتحقق إلاَّ من خلال ممارسة النسك لفترات طويلة. ودراسة الكتاب المقدس ليلاً ونهاراً تساعد على التركيز على الأمور الإلهية. وكان يؤكد في عظاته على فضيلة التواضع، ويحذر من الكبرياء التي هي أصل كل خطية. ويبدأ الإنسان في التقدم والارتقاء (أو النمو) الداخلي عندما يدرك أنه يعيش لفترة

محدودة فحسب على الأرض، ثم بعد ذلك عليه أن يحارب إبليس لكي يظفر بالفضيلة. ووقت التقدم دائمًا ما يكون وقت الخطر، حيث تبدأ التجارب مع الوصول إلى البحر الأحمر، وبعد عبوره بنجاح، لا تكون النفس قد تحررت بعد، لأن ثمة تجارب جديدة يجب مواجهتها. وهذه هي الآلام الداخلية للنفس، التي تصاحب كل خطوة للأمام. ولهذا السبب يشير أوريجانوس في مناسبات عديدة إلى الحاجة لمثل هذه التجارب. ومع ازدياد الصراعات تزداد تعزيات النفس. وتزداد اشتياقاتها للسماويات وللمسيح، بحيث تمكنها من اجتياز كل الضيقات.. وتتلقى النفس موهبة الرؤى.. وتتكون من الاستنارة في الصلاة ومن قراءة الكتاب المقدس، والتي تكشف عن أسرار إلهية. وثمة ازدياد ثابت من هذه النعم الروحية، كلما سمت الروح حتى تصل إلى جبل تابور:

"ومع ذلك ليس كل من لديهم بصيرة يستنيرون بالمسيح بدرجة متساوية، فاستنارة كل إنسان تكون بقدر ما يمكن أن يتلقى من قوة النور، فحتى عيوننا الجسدية لا تتلقى نور الشمس بقدر متساوٍ، غير أنه كلما ارتفعت المستويات التي يصل إليها الإنسان، وكلما علت النقطة التي يرقب منها مشهد شروق الشمس، زاد شعور الإنسان بقوة نور الشمس وحرارتها. هكذا الحال أيضًا لروحنا، فكلما ارتفعت وسمت وتقدمت في اتجاهها نحو المسيح وزاد اقترابها من مجد نوره، زادت روعة استنارتها النهائية ببهائه.. وإذا ما تقدم إنسان إلى الدرجة التي تمكنه من الصعود معه إلى الجبل، كما فعل بطرس ويعقوب ويوحنا، فسوف لا ينال استنارة نور المسيح فحسب، بل أيضًا الاستنارة الناجمة عن صوت الآب نفسه (Gen. hom.1,7).

والغرض من هذه الرؤى تشديد النفس لمواجهة الضيقات المستقبلية. فهي واحات في صحراء المتاعب والتجارب. وقد حذَّر أوريجانوس من الاهتمام البالغ بالتجارب السعيدة. لأنها قد تأتي من الشيطان. (Num. hom 27,11).

هـ- الاتحاد السري باللوجوس

الخطوة التالية هي اتحاد النفس السري مع اللوجوس. فهو يتحدث أولاً عن ميلاد المسيح ونموه في قلب الإنسان التقي. إلاَّ أنه يفضل التعبير عن العلاقة القائمة بين النفس واللوجوس في شكل ارتباط سري. وقد امتزج التأمل الصوفي عن اللوجوس -عند أوريجانوس- بالتأمل الصوفي العميق في الصليب والمصلوب. فالإنسان الكامل لابد وأن يتبع المسيح في آلامه، بل وحتى الصليب. والشهيد هو التلميذ الحقيقي للمخلص، كما ذكر ذلك في كتابه "نصائح عن الاستشهاد". وبالنسبة لأولئك الذين يريدون أن يتمثلوا بالمسيح، ولا يستطيعون احتمال الاستشهاد الحقيقي، فلا يتبقى أمامهم سوى الموت الروحي عن الشهوات، وإنكار

الذات. والناسك والشهيد لكل منهما نفس المثل أي كمال المسيح. وقد تبنى أفكار ومعتقدات أوريجانوس الكتَّاب من الرهبان الأوائل، وأثره على تطور الحياة الرهبانية بعد ذلك، كان أثراً مستمراً له أهميته. (كواستن: المجلد الثاني).

✢✢✢✢

٥- يراكلاس

أسقف الإسكندرية، والبابا الثالث عشر. عاش يراكلاس (اركلاس أو هيراكلاس) Heraclas وامتد به العمر إلى أن بلغ ٩٠ سنة، مغطياً الجزء الأكبر من القرن الثالث وجزءاً من القرن الرابع. ويذكر كروزل أنه أخ بلوتارك (موسوعة الكنيسة الأولى). عاش بالقرب من مدينة "الأسد" في دلتا النيل. استخدم اللغتين اليونانية والقبطية في سهولة. لذا فمن المحتمل أنه يكون مصرياً من عائلة كريمة ذات أصل أممي. كان أحد تلاميذ العلاَّمة أوريجانوس المشهورين، وبعد ذلك صار مساعداً ثم خليفة له في رئاسته لمدرسة الإسكندرية، عندما لجأ أوريجانوس إلى فلسطين.

تُظهر معرفته الجيدة بالقبطية أنه كان على اتصال بتجمعات الناسكين الموجودين حول مدينته في الأماكن الخلوية. وسلوكه في حياة الرهبنة، ربما يكون أسبق لا فقط للأنبا أنطونيوس بل بولس الطيبي أيضاً.

كان علمه غزيراً بدرجة كبيرة جداً. فكان ملماً بالكثير من العلوم اليونانية والمصرية، وعلى وجه الخصوص الطب. تفوق أيضاً في جمال خط اليد. وصفه المؤرخ يوسابيوس بأنه "كرس حياته لدراسة الكتاب المقدس، وهو أحد الرجال المتعلمين العظماء ولا يجهل الفلسفة".

كتب يراكلاس سلسلة من الكتب عن الأسفار المقدسة باليونانية والقبطية، لم يتبقَ منها اليوم حتى عناوينها. وكتب في موضوعات أخرى مثل سر الزواج وعن الروح القدس. كما كتب "مزامير حديثة كثيرة"، وأشعار مسيحية كان تلاميذه وتابعيه يستخدمونها في اجتماعات العبادة.

اختير في عام ٢٢٤م خليفة للقديس ديمتريوس بابا الإسكندرية. وكانت تلك الفترة التي أصبح فيها بابا الإسكندرية لها أهمية خاصة، فقد احتمل الاضطهاد، وكان يفتقد المدن والقرى في أنحاء البلاد يشدد المؤمنين. وقيل إن البابا حثَّ العلاَّمة أوريجانوس أن يعود إلى الإسكندرية إلاَّ أن الأخير اعتذر بأن مدرسة الإسكندرية قد استقرت وأن مدرسة قيصرية (بفلسطين) تحتاج إلى رعايته.

استطاع البابا يراكلاس أن يجذب إلى الإيمان المسيحي المؤرخ المعروف يوليوس أفريكانوس (أو أفريقانوس) -وهو كاتب تاريخ العالم حتى عام ٢٢١م- في أثناء زيارته للإسكندرية.

كان يراكلاس شديد الحدة، ربما لتأثره



بالاتجاهات النسكية. فهو يرى أن اقتناء فضيلة ضبط النفس، يتطلب فرض أصوام شديدة والامتناع عن الزواج. يبدو أن أراءه عن ضبط النفس لا تتفق مع ضبط النفس الكتابي، إذ يبدو أنها تتفق وبدعة الثنائية في تكوين الإنسان (وهي التي تقول إن الإنسان يتكون من جسد مادي شرير، وروح غير مادية خيِّرة).

على كل حال يربط يراكلاس ضبط النفس بمفهوم أوريجانوس عن الأشياء المادية، وهذا المفهوم يختلف عن المفاهيم الأخرى، إذ يرفض الإيمان بقيامة الأجساد وانحصارها في قيامة الروح فحسب، وأيضًا في رفض فكرة الفردوس المحسوس.

لم يتبع يراكلاس تعليم أوريجانوس عن الثالوث، فلم يؤمن بالخضوع أو تابعية الابن للآب. لكنه سقط في بدعة أخرى، وهي أن الروح القدس ظهر لملكي صادق ملك ساليم في العهد القديم.

ومن بين آرائه أيضًا يرى أن الأطفال حتى الذين اعتمدوا ليس من المؤكد أن يفوزوا بالحياة الأبدية، إذا ماتوا قبل أن يكتسبوا القدرة على التفكير وبالتالي المقدرة على الجهاد. ويجد البعض في تفسير هذا الرأي أنه يعبر عن اعتقاده الشخصي بالوجود السابق للنفوس.

دُعى الرهبان التابعين له وأتباعه الآخرين اليراكيين، وقد انتقدهم بشدة أبيفانيوس -وغيره- وقد خصص لهم أبيفانيوس فصلاً كاملاً في الرد عليهم.

ويذكر كروزل أنه عند استشهاد يراكلاس أن أوريجانوس كان قريباً منه لحظة استشهاده. (موسوعة الكنيسة الأولى).

✢✢✢✢

٦- ديونيسيوس

أ- أسقفًا للإسكندرية

ب- اهتداؤه إلى الإيمان

جـ- يغادر الإسكندرية

د- كتاباته

أ- أسقفًا للإسكندرية

ولد القديس ديونيسيوس (Dionysius) بالإسكندرية في نحو عام ١٩٠م، من أبوين وثنيين غنيين. كان والده من أتباع مذهب الصابئة يعبد الكواكب. وكان ديونيسيوس قبل التحاقه بالإكليروس يعمل طبيبًا، وكان يحظى بمكانة اجتماعية رفيعة. وانتخب أسقفًا في نحو سنة ٢٤٧ أو ٢٤٨م. ويؤكد المؤرخ يوسابيوس القيصري على أنه كان تلميذًا لأوريجانوس. فلدى مغادرة أوريجانوس للإسكندرية تبعه يراكلاس Heraclas رئيساً لمدرسة اللاهوت. ثم عقب وفاة الأسقف ديمتريوس أصبح أسقفًا للإسكندرية، وخلفه في

كلا المركزين، ديونسيوس (٢٤٨-٢٦٥م). (موسوعة الكنيسة الأولى. مرجع سابق، ويوسابيوس- تاريخ الكنيسة- مرجع سابق).

خلع القديس أثناسيوس على ديونيسيوس لقب "معلم الكنيسة الجامعة"، كما دُعي: "ديونيسيوس الكبير" بسبب ما عاناه من ضيقات محتملاً ذلك في شجاعة وثبات، ولغيرته على الكنيسة لا على المستوى المحلي فحسب، بل على المستوى المسكوني أيضًا.

ب- اهتداؤه إلى الإيمان

يبدو أنه اهتدى إلى الإيمان نتيجة قراءاته الواسعة، وبحثه عن الحقيقة، ذلك أنه كتب في رسالة إلى فليمون القس الروماني ما يلي:

"أما بالنسبة لي، فقد قرأت كتابات الهراطقة، وتقاليدهم ودنست عقلي لفترة وجيزة بأفكارهم البغيضة، ومع ذلك فإنني اكتسبت منهم ميزة وهي إنني استطعت أن أفند أفكارهم بنفسي، وقد ازددت لهم كرهًا". والواقع أن أحد الإخوة وكان من الشيوخ حاول إثنائي خشية أني قد أنغمس في حمأة قذارة شرهم، وكان يقول ذلك عن إخلاص، وهذا ما توسمته فيه. غير أن رؤيا من قبل الله شددتني، وصدر إليَّ الأمر بكل وضوح: اقرأ كل ما يمكن أن تصل إليه يدك. لأنك تستطيع أن تمحص كل شيء وتمتحنه، فإن هذه العطية هي سبب إيمانك منذ البداية" (كواستن، ويوسابيوس تاريخ الكنيسة ٧:٧:١-٣).

جـ- يغادر الإسكندرية

كانت رسالة البابا ديونيسيوس صعبة آنذاك، ألا وهي الحفاظ على الكنيسة وسط موجات مستمرة من الاضطهادات. ففي عام ٢٥٠م بدأ اضطهاد ديسيوس (أو دكيوس) Decius للكنيسة، ويتضح ذلك من رسالة أرسلها البابا إلى ديمتريوس وديديموس، وكذلك من رسالته إلى فابيوس أسقف أنطاكية، وفيها يذكر شهداء من رجال ونساء، صغار، وكبار، عذارى، وأمهات، جنود وشرفاء جُلدوا وماتوا بالنار والسيف. وإن كان البابا نفسه لم يستشهد، وكان في اعتقاده أن السيد المسيح قد حفظه إلى زمن آخر. (يوسابيوس ٢:٧).

وعندما هرب من رجال الوالي، واتهم عندئذ بالجبن كتب في رسالة له إلى أحد أساقفة الأقاليم يدعى جرمانيوس يدافع فيها عن نفسه قائلاً: "أتحدث كمن هو في حضرة الله، إنه يعلم أني لا أكذب، إنني لم أهرب بدافع من نفسي، أو بدون إرشاد إلهي، وحتى قبل هذا، وفي نفس الساعة التي بدأ فيها ديسيوس اضطهاده أرسل جنديًا يبحث عني. وكنت في الدار أربعة أيام أنتظر قدومه، لكنه تجوَّل يبحث عني في كل موضع ظن أني مختبيء فيه. ولم يتصوَّر أني أبقى في الدار في الوقت الذي فيه يجري البحث عني. وبعد أربعة

أيام أمرني الله أن أغادر الدار مع جمع من الإخوة. أما كون هذا قد تم بعناية إلهية فواضح مما حدث بعد ذلك إذ ربما كنت نافعًا لبعض الأشخاص" (يوسابيوس ٦:٤٠:١-٣).

أخيرًا قبض الجند عليه وعلى من كانوا معه وأرسلوه إلى السجن، وإذ سمع المسيحيون بذلك انطلقوا إلى السجن، ولما رآهم الجند هربوا تاركين الأبواب مفتوحة، فأخرج المؤمنون البابا من هناك.

وفي عام ٢٥٧م حدث أيضًا اضطهاد أثاره الامبراطور ڤاليريان فاستدعى الوالي البابا ديونيسيوس مع بعض الكهنة والشمامسة، وطلب إليه أن يترك عمله. فأجابه البابا: "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس، فنفاه إلى قرية صحراوية تسمى خفرو. وهناك استطاع أن يبشر بين الوثنيين، مما جعل الوالي ينفيه إلى صحراء ليبيا. وهناك أيضًا استمر عمله الكرازي بين الوثنيين. بل وأجهد نفسه في خدمة كنيسته بالإسكندرية (بالرسائل) ليحفظ الخدمة هناك. (چ. و. وند: تاريخ الكنيسة الأولى وحتى عام ٥٠٠م: ص ٦١). أيضًا حدثت في عهده اضطرابات أخرى إذ هوجمت مدينة الإسكندرية من الجنوب بواسطة قبائل بربرية.

كذلك أعلن والي مصر اميليونس (Aemilionus) نفسه امبراطورًا في الإسكندرية ، فنشبت لذلك حرب مدنية (أهلية) انتهت بأن أسره القائد الروماني ثيؤدوسيوس. وفي هذه الحرب دُمرت المدينة، وحلَّت مجاعة شديدة، وانتشرت أوبئة كثيرة وقد تحدث البابا عن هذه الاضطرابات في رسالته الفصحية الدورية في عام ٢٦٣م جاء فيها: "قد يبدو أن الوقت غير مناسب للعيد فنحن لا نرى إلاَّ الدموع. الكل ينوح، والعويل يُسمع كل يوم في المدينة بسبب كثرة الموتى. لقد حلَّت الحرب وحدثت المجاعة، الأمرين اللذين تحملناهما سويًا مع الوثنيين.. لكننا فرحنا بسلام المسيح الذي وُهب لنا نحن وحدنا" (يوسابيوس ٢٢:٧).

كان البابا ديونيسيوس يواجه مشكلة المرتدين في أعقاب كل اضطهاد. وكان يضمهم إلى الكنيسة، وكان يمنع -غالبًا- إعادة معموديتهم، حتى الهراطقة والمنشقين ممن عادوا إلى الإيمان.

كان يتمتع ديونيسيوس بالمعرفة والعلم إلى جانب اعتداله مما جعله موضع تقدير من حوله. وطلبوا منه أن يتدخل في كل الصراعات الهامة التي ثارت في الكنيسة في أيامه. فقد توسط في النزاعات التالية:

أ- توسط في النزاع الحاد الذي قام بين (كبريانوس) أسقف قرطاجنة و(اسطفانوس) أسقف روما، وذلك بسبب معمودية الهراطقة. فكبريانوس يرى أن معمودية المنشقين والهراطقة باطلة، لأنهم خارج الكنيسة، ولا خلاص خارج الكنيسة، وبالتالي يجب إعادة المعمودية التي تمت بيد الهراطقة. أما اسطفانوس فقد رأى أن كل

معمودية تتم باسم الثالوث القدوس صحيحة حتى إن تمت بيد هراطقة. لهذا فلا تعاد معمودية الراجعين إلى الكنيسة من الهراطقة. إنما يكتفي بوضع الأيدي والصلاة عليهم. وقد ساعد على زيادة حدة هذه المشكلة ظهور بدعتين. بدعة نوڤاتيانوس الأسقف الروماني الدخيل القائل بعدم قبول توبة جاحدي الإيمان ووجوب إخراج الذين تعمدوا بيد الهراطقة من الكنيسة، بل وعماد الذين تساهلوا في قبول الهراطقة التائبين.

وبدعة فيلوكسينوس الذي علَّم بالصفح عن الذين أنكروا الإيمان بمجرد شفاعة المعترفين عنهم.

وقد خاطب استفانوس أسقف روما فرمليانوس أسقف قيصرية كبَّادوكية. وإذ لم يستجب الأخير لطلبه عقد استفانوس مجمعًا في عام ٢٥٤م قطع فيه فرمليانوس ومن وافقه من أساقفة كيليكية وغلاطية، ثم هدد كبريانوس أسقف قرطاجنة بالقطع. أما كبريانوس فبدوره عقد مجمعًا حكم فيه بضرورة عماد الهراطقة ومن تعمَّد على أيديهم. وبعث مع أساقفة أفريقيا رسالة أخوية إلى الأسقف استفانوس يدعونه للاتحاد معهم، فلم يقابل حاملي الرسالة، بل وبعث إليهم برسالة يلقب فيها كبريانوس "بالرسول الغاش والنبي الكذاب"، ورد كبريانوس من جانبه برسالة إلى أساقفة أفريقيا يقول فيها عن اسطفانوس أنه "صديق الهراطقة وعدو المسيحيين".

وكاد الشقاق يتزايد ويستفحل لولا تدخل البابا ديونيسيوس السكندري فكتب رسالة إلى الأسقف الروماني استفانوس يظهر فيها توحد الكنائس في الشرق، وأن الكل متفقون في الرأي بفرح، وطلب إليه ألا يسبب شقاقًا. وكان ديونيسيوس يشارك استفانوس في الرأي، إلاَّ أنه لم يكن يشاركه عنفه وحدته ولا محاولة فرض رأيه على الجميع. فإنه كان قد قرر ألا يعيد معمودية الهراطقة والمنشقين، إلاَّ أنه يجب ألا يقطع علاقته بالكنائس الأخرى التي تعيد المعمودية حاسبًا أن الأمر يترك لكل كنيسة (كبريانوس: الرسالة: ٧٥).

غير أن الكنيسة في الشرق والغرب استقرت فيما بعد- على رأي كبريانوس، أي اعتبار معمودية الهراطقة والمنشقين غير قائمة وذلك في مجمع نيقية المسكوني الأول.

ذكر القمص مرقس داود في حشايا ترجمته لكتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري أن ديونيسيوس قد سجن أثناء اضطهاد ديسيوس، ونفى في اضطهاد ڤاليريان، ولكنه عاد مرة أخرى إلى الإسكندرية في عهد جالينوس.

ب- مع نيبوس أسقف أرسينوي

(راجع بند د- كتاباته ١- "عن الوعود")

جـ- مع الهرطوقي سابيليوس أسقف بطوليمايس

تتلمذ سابيليوس على يد نويتوس الهرطوقي،



وكان أسقفًا على بطوليمايس (ميناء يتبع المدن الخمس الغربية بليبيا). أخذ سابيليوس عن نويتوس أن الله أقنوم واحد، أعطى لبني إسرائيل الناموس في العهد القديم بصفته الآب، وصار إنسانًا في العهد الجديد بصفته الابن. وحَلَّ في الحاضر على الرسل في عُلية صهيون بصفته الروح القدس. (راجع الفصل الخاص بالهرطقات، وكنيسة سورية بالجزء الثالث من الموسوعة).

قاوم البابا ديونيسيوس هذا الضلال وحرم سابيليوس في مجمع عقده بالإسكندرية في عام ٢٦١م. بعد أن فنَّد تعاليمه المضلة. فالتجأ أتباع باسيليوس إلى الأسقف الروماني ديونيسيوس الذي كان شابًا قليل الخبرة فعقد مجمعًا حرم فيه بابا الإسكندرية. فبعث البابا برسالة له أوضح فيها ما عسر على فهم الأسقف الروماني، فاستراح الأخير إليها. ومقت هذه الرسالة على ما يسميه المؤرخون "نزاع الديونيسيين". بل وقد عاون البابا الروماني فيما بعد بابا الإسكندرية في دحض بدعة بولس السميساطي (أو الساموساطي) أسقف أنطاكية.

- بولس السميساطي (الساموساطي)

ينسب بولس إلى ساموساطا Samosata بلدة في سورية. وكان يشغل فيما بين عامي ٢٦٠-٢٧٠م مكانة رفيعة في أثناء حكم الملكة زنوبيا ملكة بالميرا- كان ينوب عنها. كما كان أسقف كنيسة أنطاكية. ويرى م. سيمونيتي M. Simonetti أن سلوك بولس هذا كان يجاري عمله العام بأكثر مما يتفق ومنصبه الكنسي. ولم تلقَ تعاليمه القبول بل رفضتها الكنيسة. ولم تُجد معه محاولات عديدة لإثنائه عن تعاليمه التي لا تتفق وتعاليم الكنيسة. وعبثًا حاول مجمع أنطاكية (أو ربما مجمعان)، الذي عُقد بدعوة أساقفة المدن المجاورة، رده إلى العقيدة القويمة. ولكن أدانه بالهرطقة مجمع أنطاكية الذي عقد في سنة ٢٦٨م. وقد حدثت مناظرة بين الأسقف بولس والكاهن مَلكيون Mal-chion، وقد عزل المجمع الأسقف بولس من منصبه الكنسي. وقد شكَّل أتباعه طائفة، كانت لا تزال قائمة حتى مجمع نيقية ٣٢٥م. غير أنها كانت أقل أهمية.

إن ما كتبه يوسابيوس عن تعليم بولس الساموساطي لم يكن واضحًا. وقد جاء في حواشي تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري- ترجمة القمص مرقس داود أن بولس السميساطي أعاد بدعة أرتيمون والتي تقول بأن المسيح لم يكن إلاَّ إنسان، ولكنه ممتلىء بقوة إلهية من وقت ميلاده، لا من وقت معموديته فحسب (كما كان يدَّعي الإبيونيون). وقال إن الابن ولد من الروح القدس. وقد أنكر أقنوم "الكلمة" كما أنكر أقنوم "الروح القدس"، واعتبرهما مجرد قوتين في الله (كقوتي العقل والتفكير في الإنسان). إلاَّ أنه كان يعتقد أن "الكلمة" حَلَّ في المسيح بقدر أكبر مما

حلَّ في الرسل والأنبياء السابقين. وأن المسيح صار "مُخَلِّصا للجنس البشري لأنه لم يقترف خطية، ولأنه تغلب على خطية أجدادنا.

وحال مرض ديونيسيوس بينه وبين حضور مجمع أنطاكية الذي عقد في نحو سنة ٢٦٥م، وقد توفى في نحو ذلكم التاريخ. وقد خلعت عليه الأجيال لقب "ديونيسيوس الكبير" لشجاعته وثباته في المعارك والمتاعب التي صادفته في حياته. وكان من رجال الكنيسة البارزين. وقد وصل نفوذه بعيداً خارج حدود أبروشيته. وتبين الرسائل التي كتبها الدور الحيوي الذي قام به في جميع المجادلات العقيدية في ذلكم الوقت. وكان كاتبًا لعدد كبير من الكتابات التي تعالج مسائل عملية وأخرى تتعلق بالعقيدة. ومما يؤسف له أنه لم تتبق من أعماله العديدة سوى شذرات صغيرة، ومعظمها حفظها يوسابيوس الذي خصص له الكتاب السابع من تاريخ الكنيسة.

د- كتاباته

كتب البابا ديونيسيوس الإسكندري (١٩٠-٢٦٨م) الكثير لكن للأسف لم يتبق منها إلاَّ شذرات حفظت في كتابات يوسابيوس وأثناسيوس وغيرهما. وكما يقول "نيل" Neale: "فقدان كتابات ديونيسيوس هي إحدى الخسائر العظمى التي لحقت بالتاريخ الكنسي" (Holy Eastern Church, Vol I. p. 84). ويتجه في كتاباته إلى الجانب العملي مع أسئلة خاصة بالتعليم. ورسائله تظهر أنه قام بدور إيجابي في المناقشات العقيدية في عصره (كواستن جـ١ صـ ١٠٢ مرجع سابق).

١- *"عن الوعود"*

صدر لديونيسيوس كتابان يحملان عنوان "عن الوعود" أو "المواعيد". ويذكر يوسابيوس أن ديونيسيوس كتبهما للرد على تعليم نيبوس Nepos، وهو أسقف أرسينوى (الفيوم حاليًا)، كان يقول بأن الوعود التي قطعت للقديسين يجب تفسيرها على نهج مصطبغ أكثر بالصبغة اليهودية، وافترض أن ثمة نوعًا من الحكم الألفي على الأرض يكرس للانغماس في الشهوات الجسدية. معتقداً -على سبيل المثال- أنه يقيم رأيه استناداً إلى ما جاء في سفر رؤيا يوحنا، ولذلك كتب كتاباً اتخذ له عنواناً: "دحض أقوال المجازيين". وقد هاجمه ديونيسيوس في كتابيه الصادرين بعنوان "عن الوعود"، ذلك أنه في الكتاب الأول يعرض رأيه الخاص فيما يتعلق بهذا التعليم، وفي الكتاب الثاني يتناول "رؤيا يوحنا اللاهوتي".

وكان الأسقف نيبوس أسقفًا على أرسينوي Arsinoe. وقد استخدم رؤيا يوحنا اللاهوتي لتكوين آرائه الخاصة بالحكم الألفي حيث رفض شرح أوريجانوس المجازي. وقد حقق هذا الكتاب نجاحًا عظيمًا، حتى بعد موت نيبوس، ولذلك نتجت عن هذا الكتاب انقسامات كما ارتدت كنائس

بكاملها. مما دعا ديونيسيوس للتوجه إلى أرسينوي ومكث هناك ثلاثة أيام متتالية محاولاً تصحيح ما كُتب، وفي النهاية أقنع ديونيسيوس راعي هذه الحركة وقائدها كوراسيون Coracion على ألا يتمسك بها بعد لأنه اقتنع بالحجج التي سيقت ضدها. ثم بعد عودته إلى الإسكندرية أراد أن يواصل تلك المناقشة والجدل بكتابيه "عن الوعود. ومن المثير أنه في دحضه لأفكار نيبوس أنكر أن الرسول يوحنا هو كاتب سفر الرؤيا المعروف باسمه!

٢- عن الطبيعة

تبين الاقتباسات التي ضمنها يوسابيوس في مؤلفه "إعداد للإنجيل" أن ديونيسيوس كان على معرفة جيدة بالفلسفة اليونانية، وكان كاتبًا مقتدراً. وفي كتابه "عن الطبيعة"، الذي كتبه في شكل رسائل أرسلها لشاب اسمه تيموثاوس، يفند مادية الأبيقوريين القائمة على نظرية الذرات لديموقريطس. وأسلوبه في هذا الكتاب يشهد بأسلوب مقنع جداً لنظام الكون والعناية الإلهية، وذلك ضد التفسير المادي للعالم.

٣- دحض ودفاع

يخبرنا المؤرخ يوسابيوس القيصري أن هذا الكتاب الذي صدر في أربعة أجزاء موجه إلى سميه في روما، البابا ديونيسيوس (٢٥٩-٢٦٨م). وكان بابا روما قد دعا أسقف الإسكندرية لكي يشرح عقيدته في تعليم الثالوث القدوس، فأجاب ديونيسيوس على ذلك بكتابه "دحض ودفاع"، وقد أوضح فيه التعليم القويم. ويبدو أن إيضاحاته أزالت شكوك روما. ولم يتبق من ذلكم الكتاب سوى شذرات في كتابات يوسابيوس وأثناسيوس.

٤- رسائل

كانت رسائله مصدراً هامًا لتاريخ حياته وللفترة التي عاش فيها. ولهذا السبب كان يوسابيوس يستخدمها كثيراً في كتابه "تاريخ الكنيسة". ولا توجد من بين رسائله سوى اثنتين بكاملهما. أما بالنسبة لبقيتها فلا توجد سوى بضعة شذرات منها. ومع ذلك، فإنها تشير إلى التأثير الواسع النطاق للكاتب، والتنوع العظيم لاهتماماته.

أ- الرسالة إلى نوفاتيان

إن الانشقاق الذي أحدثه نوفاتيان حفَّز ديونيسيوس على كتابة عدة رسائل، ناشد فيها نوفاتيان وأتباعه العودة إلى القطيع وطلب من السلطات اتخاذ قرارات معتدلة لأولئك المنشقين إبان اضطهاد ديسيوس. وثمة رسالة قصيرة وجهها إلى نوفاتيان، البابا الزائف، محفوظة بكاملها وتستحق أن نوردها فيما يلي:

ديونيسيوس إلى نوفاتيان.. تحية

إذا كنت قد اقتُدت بدون رغبتك كما تقول،

فبمقدورك إثبات ذلك بعودتك برغبتك. ذلك أنه ينبغي على الإنسان أن يحتمل أي شيء، وكل شيء، وألا يُحدث انقساماً في كنيسة الله، والاستشهاد في سبيل تجنب الانقسام ليس أقل مجداً من تجنب الوثنية، بل يفوقه في رأيي. لأنه في بعض الحالات يستشهد الإنسان في سبيل نفسه فقط، غير أنه في الحالات الأخرى يستشهد من أجل الكنيسة كلها. وإذا قمت الآن بإقناع الإخوة على الاجتماع على رأي واحد، فإن عودتك تكون أعظم من سقطتك، ولن تحاسب على إحداها لكنك ستكافأ عن الأخرى. غير أنهم إذا لم يطيعوك، ولم يكن لك سلطان عليهم، فيتوجب عليك أن تنقذ نفسك بأي وجه كان. وأصلي إلى الله لكي يكون النجاح حليفك، وأن تخلص.

سلام لك في الرب،

ب- الرسالة إلى باسيليوس

الرسالة الأخرى التي بقيت بكاملها هي إحدى رسائله إلى باسيليوس أسقف بنتابوليس Penta Polis (وهي المدن الخمس الغربية وتوجد بليبيا). وهي ترد على عدة أسئلة سبق أن وجهها الأسقف إلى ديونيسيوس تتعلق بمدة الصوم الكبير، وأسئلة أخرى. وهذه الرسالة محفوظة في مجموعة "رسائل كنسية قانونية" للكنيسة اليونانية والتي تشكل أحد مصادر الشريعة الشرقية.

جـ- الرسالة إلى فابيوس

هذه الرسالة الموجهة إلى فابيوس Fabius أسقف أنطاكية، على الرغم من أنه لم يتبق منها سوى مقتطفات في كتابات يوسابيوس، إلاَّ أن لها أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ الكفارة والقربان المقدس. ويتناول ديونيسيوس في هذه الرسالة المشكلة الخاصة بالغفران بعد الارتداد أثناء الاضطهاد.

د- رسائل بخصوص الأعياد

كان من عادة أساقفة الإسكندرية حتى القرن التاسع أن يرسلوا كل سنة إعلانات لجميع كنائس مصر عن تاريخ عيد القيامة وبداية الصوم الذي يسبقه. وكان هذا يتم في صيغة رسالة رعوية تحث الكنيسة على مراعاة الصوم الكبير وعيد القيامة بكل عناية. وعرف عن ديونيسيوس السكندري أنه أول أسقف بعث بمثل هذه الرسالة.

وإلى جانب رسائل ديونيسيوس التي سبق ذكرها، كتب في ذلك الحين أيضاً الرسائل المتعلقة بالأعياد والتي لا تزال باقية، ويذكر فيها عبارات تتناسب بنوع خاص مع مناسبة جليلة مثل عيد القيامة. ومن بين هذه الرسائل أرسلت واحدة إلى جلاقيوس، وأخرى إلى دوميتيوس، وديديموس، أوضح فيها أيضاً الأوقات التي ينبغي فيها الاحتفال بعيد القيامة. غير أنه لم يتبق من هذه

الرسائل سوى بعض الشذرات فقط. وقد انتهز ديونيسيوس الفرصة لمناقشة الموضوعات الكنسية الهامة في ذلك الحين.

هـ- رسائل أخرى

ثمة رسائل أخرى عديدة يذكرها يوسابيوس القيصري في كتابه تاريخ الكنيسة منها رسالة كتبها ديونيسيوس ضد سابيليوس ورسالة إلى أمون، أسقف كنيسة برنيكي، وأخرى إلى تلسفورس، وواحدة إلى يوفرانور، وأخرى إلى أمون ويوفورس وزيستوس أسقف روما. (راجع يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ٧: ١:٢٦).

✢✢✢✢

٧- ثيوناس

ثيوناس Theonas (أو ثيؤناس) أسقف الإسكندرية (البابا ١٦)، خلف مكسيموس Maximus على كرسي الإسكندرية في الفترة من نحو ٢٨١ أو ٢٨٢م-٣٠٠م، وقد عيَّن أكيلا Achillas رئيسًا لمدرسة الإسكندرية، ورسم كلاً من بطرس الذي خلفه وبيريوس (يوسابيوس- تاريخ الكنيسة ٣٢:٣٠) ويذكر إ. برنزفالِّي E. Prinzivalli عن الرسالة التي قيل إنها حملت اسمه إلى كل من الامبراطور دقلديانوس ولوقيانوس أنها محض زيف (موسوعة الكنيسة الأولى- مرجع سابق). واشتهر بتشييده كنيسة فخمة على اسم السيدة العذراء بالإسكندرية.

كتاباته:

له رسالة باللاتينية إلى شخصًا يسمى لوكيانسوس ومذكورة في باترولوجيا ميني مجلد (١٠) صفحات ١٥٧٤-١٥٦٧ . ويذكر كتاب تاريخ البطاركة أنه قد كرس قبله شخص اسمه ببنودة استمر ستة أشهر، عقد ضده مجمعًا وأسقطه لكونه قد خصى نفسه. (الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ج ١ الأنبا إيسيذيروس).

✢✢✢✢

٨- فيلياس الأسقف والشهيد

وصفه المؤرخ يوسابيوس القيصري في كتابه بأنه "رجل اشتهر بمحبته لوطنه، وبالخدمات التي أداها لبلاده، وبمعرفته بالعلوم الفلسفية" (تاريخ الكنيسة ٨:٩:٧).

كان القديس فيلياس (Phileas) أسقفًا في أوائل القرن الرابع على تمويس أو تمويه (Thmuis) وهي قرية تمى الأمديد (مركز السنبلاوين). ونحن نعرف عن ظروف استشهاده من الرسالة التي أرسلها لأبروشيته عن حادثة القبض عليه و إيداعه السجن وعن العذابات التي لاقاها الشهداء الإسكندريون، وقد ذكر يوسابيوس المؤرخ تلك الرسالة في كتابه (تاريخ الكنيسة ٨:١٠:٢-١٠).

قبض عليه وأودع السجون -نحو خمس مرات- في أعقاب اضطهاد دقلديانوس بقليل في سنة ٣٠٤م وفي السجن كتب آراءه في موضوع مسامحة المرتدين وأرسلها إلى البابا بطرس. واستشهد بعد ذلك بفترة قصيرة في ٤ فبراير سنة ٣٠٦م. في عهد والي مصر كلافديوس كولكيانوس Culcianus. وكانت مقاومته لإنكار الإيمان قوية، كما كان رفض الاعتراف بآلهة المضَطَهِدِين عظيماً أيضاً.

كتاباته:

نعرف نصين لفيلياس في شكل رسائل في باترولوچيا ميني مجلد ١٠ .

النص الأول: رسالة إلى رعيته عن شهداء الإسكندرية ويذكر منها يوسابيوس أجزاءً كثيرة في كتابه تاريخ الكنيسة. ويصف فيلياس في هذه الرسالة العذابات الوحشية غير الإنسانية التي يتعرض لها الشهداء.. ونقتبس من هذه الرسالة بعض العبارات التالية:

- "إن الشهداء المباركين الذين كانوا معنا، إذ كانت أمامهم كل هذه الأمثلة، والنماذج المباركة المعطاة لنا في الأسفار المقدسة لم يترددوا مطلقًا، بل ثبَّتوا أعين نفوسهم بإخلاص نحو الله العلي، وإذ ركَّزوا تفكيرهم في الموت من أجل المسيحية، ثبتوا في دعوتهم في عزم وصبر".

- "وإذا كان هؤلاء الشهداء حاملو المسيح غيورين أيضًا للمواهب الأفضل تحملوا كل المحن وكل أنواع المؤامرات والتعذيب لا مرة واحدة فقط، بل بعضهم مرتين، ولا بالكلام فقط بل بالأعمال".

- "ولما كانوا يؤمرون بأن يختاروا إما الإعفاء من التعذيب إن لمسوا الذبائح الدنسة، وبذا ينالون منهم الحرية اللعينة، أو الحكم عليهم بالموت إن رفضوا أن يذبحوا، فإنهم كانوا لا يترددون، بل كانوا يسارعون إلى الموت في ابتهاج.. لقد عرفوا أن ربنا يسوع المسيح تأنَّى من أجلنا لكي يقطع كل خطية، ويمدنا بوسائط دخول الحياة الأبدية".

النص الثاني: وهي الرسالة المرسلة إلي ميليتوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط)، وقد كتبها أربعة من الأساقفة المصريين: اسيخيوس، باخوميوس (أب الشركة)، ثيودوروس (تلميذه) وفيلياس، وهم يوجهونها إلى ميليتوس لكي يعبروا عن عدم موافقتهم له على عمله الجائر. حيث قام بجمع حشود ورسم كهنة في أماكن ليست تابعة له. ومن الواضح أنها كتبت ممن وضع اسمه، لسبب التواضع، في آخر الأسماء، أي فيلياس.

يرجع زمن الكتابة إلى فترة سجنه الأخيرة أي في سنة ٣٠٤م.

بقيت الرسالة باللاتينية، وفي نصها الأصلي أضاف ملحوظة هامة جداً وهي أن ميليتوس لم



يضع في اعتباره توصيات الأساقفة الأربعة". نفس الأمر الذي ذكر في رسالة بطرس الإسكندري فيما بعد. (باترولوچيا ميني مجلد ١٠).

✢✢✢✢

٩- أمونيوس

– من هو؟

– أعماله

من هو؟

يبدو أن أمونيوس Ammonius كان معاصراً لأوريجانوس. وقد عرَّفه يوسابيوس بطريق الخطأ– كما يرى كواستن– بأنه أمونيوس سكاس Saccas من شيعة الأفلاطونية، وقد كرر چيروم نفس الخطأ. غير أن "سكاس"– وتعني "حمَّالاً" كما يقول س. ليلاً S. Lilla في موسوعة الكنيسة الأولى أنها كلمة مقحمة أضيفت للعديد من الأسماء.

أعماله

وقد كتب أمونيوس كتاباً بعنوان "تناغم بين موسى والمسيح"، لعله كتبه بُغية إثبات وحدة العهدين القديم والجديد، الأمر الذي ينكره كثيرون من شيعة الغنوسيين. وإنه لمن المحتمل أن يكون أمونيوس، هو نفسه "أمونيوس السكندري"، الذي يذكره يوسابيوس في رسالته إلى كبريانوس باعتباره مؤلف كتاب "صوغ الأناجيل" أو "التناغم بين الأناجيل" على أساس نص إنجيل متى، وكان چيروم مقتنعاً بهذا التعريف.

✢✢✢✢

١٠- بسينوسيريس

عاش بسينوسيريس الكاهن في وقت الاضطهاد الكبير الذي شنَّه دقلديانوس. وكانت خدمته تتركز في إحدى الواحات بالصحراء الغربية.

بقيت له رسالة قصيرة، وبالرغم من أنها رسالة بسيطة، إلاَّ أن لها قيمة كبيرة جداً وذلك لأنه كتبها بيده شخصياً (وهي من الرسائل القليلة في القرون الأولى) ولأنها تحتوي على معلومات نادرة وغير معروفة عن العلاقات بين المسيحيين في ذلك العصر. ففي هذه الرسالة يرد بسينوسيريس الكاهن على زميل له في الكهنوت يسمى أبولونوس، كان هذا قد أرسل إليه خطاباً يوصيه فيه بالاهتمام بسيدة كان الوالي قد نفاها بسبب إيمانها إلى الصحراء الكبرى. وفي رده يصف له أحوال السيدة وإنها في سلام لأن الحرَّاس الموكلين بحراستها، والذين يقومون بدفن الموتى في نفس الوقت هم رجال صالحون ومؤمنون، وقد حرروا المرأة من قيودها، وهي الآن في انتظار وصول ابنها لاستلامها.

وقد وجدت هذه الرسالة مكتوبة على ورقة بردي في الصحراء الكبرى في سنة ١٨٩٧م.

✢✢✢✢

١١- ثيوغنوستوس

أ- رئاسته لمدرسة الإسكندرية

ب- أعماله اللاهوتية

أ- رئاسته لمدرسة الإسكندرية

لا يذكر يوسابيوس أو چيروم عن ثيوغنوستوس (ثيؤغنوستوس Theognostus) أي معلومات. والمعلومات التي لدينا ترجع إلى فيليب الذي من صيدون، وهو يُرجع رئاسته لمدرسة الإسكندرية للاهوت بعد بيريوس أي في نحو سنة ٣٠٠م. غير أن هذا التاريخ المتأخر يبدو غير مقبول. ويؤرخ لرئاسته لمدرسة الإسكندرية عادة بعد ديونيسيوس وقبل بيريوس أي في المدة من (٢٦٥-٢٨٠م) تقريباً. (راجع موسوعة الكنيسة الأولى- مرجع سابق).

ب- أعماله اللاهوتية

والعمل الوحيد الذي أشار إليه فوتيوس Photius حيث أشار إلى كتابه Hypotyposeis (وتأتي بمعنى الأُطر أو النماذج) ويقع في سبعة أجزاء، ويعالج مسائل عديدة: الله الآب، وخلق العالم، الابن، الروح القدس، المخلوقات الروحية الأخرى، وتجسد الابن. وقد ربط فوتيوس بين هذا الكتاب وكتاب المبادىء الأساسية لأوريجانوس، وهو العمل الذي يتصل بمناقشة خاصة بالله والعالم. أما الجزازات القليلة التي ظفرت بالنجاة فقد ذكرها القديس أثناسيوس، وغيره. وكلها تبرهن على أن أفكار ثيوغنوستوس تقترب كثيراً من أفكار أوريجانوس، وأن كتاب ثيوغنوستوس يتشابه كثيراً في المبنى والمعنى مع كتاب أوريجانوس.

أما أسلوب ثيوغنوستوس فقوي وخالٍ من الحشو، ويتسم بالجمال في استخدامه للغة اليونانية الفصحى، وبطريقة لا يتخلى فيها عن سمو اللغة في سبيل الوضوح والدقة. ومن وصف فوتيوس يتضح تماماً أن كتب ثيوغنوستوس هي نوع من البحث العقيدي الشامل (راجع كواستن- مرجع سابق). وقد امتدح فوتيوس سعة اطلاعه وروح التقوى التي يتمتع بها، إلاَّ أنه وبَّخه على آرائه الخاطئة فيما يتعلق بالابن، والروح القدس، والمخلوقات العاقلة، التي هي في الحقيقة آراء أوريجانوس.

وقد اكتشف دايكامب Diekamp شذرة صغيرة من الكتاب الثاني، في مخطوطة البندقية، ويعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادي.

✢✢✢✢



١٢- بيريوس
(أوريجانوس الصغير)

أ- نبذة عن حياته

ب- أعماله

أ- نبذة عن حياته

الكاهن السكندري بيريوس Pierius الذي خلف ثيوغنوستوس في رئاسة مدرسة الإسكندرية، كان معاصرًا للأسقف ثيوناس Theonas أسقف الإسكندرية (نحو سنة ٢٨١-٣٠٠م). اتسمت حياة الكاهن بيريوس بالفقر الشديد، وبمعرفته الغزيرة بالعلوم الفلسفية. وكان جادًا في تفسير الأمور الروحية، وكذلك في المناقشات العامة في الكنيسة. وقد ذكر عنه القديس چيروم أنه سُمي "أوريجانوس الصغير"، وأنه نزع إلى الفقر اختيارًا، وكان معروفًا بضبط النفس، وبمعرفته التامة بفن الجدل.

وقد عرفه فوتيوس شخصيًا، وامتدح عظاته لوضوحها ولما تحتويه من أفكار جديدة. ولكن لسوء الحظ فقد نسخ منها جزئين صغيرين فقط، الأول عن إنجيل لوقا، والآخر عن سفر "هوشع" يبدو أنه لعظة ألقيت في مناسبة عيد القيامة.

قضى الأب بيريوس بقية حياته بعد اضطهاد دقلديانوس في روما بحسب ما ذكره چيروم، وهذا لا يتعارض مع ما ذكره فوتيوس: "طبقًا لما يقوله البعض، إنه استشهد، وثمة البعض الآخر يقول إنه أمضى بقية حياته في روما بعد زمن الاضطهاد. ومن الأرجح أن كلا الأمرين صحيح. فقد عُذب في اضطهاد دقلديانوس، إلاَّ أنه لم يتوفَ في أثناء ذلكم الاضطهاد". ونظرًا لأنه كتب عن حياة بامفيليوس Pamphilius الذي توفى في سنة ٣٠٩م، فلابد وأنه كان على قيد الحياة حتى تلك السنة على الأقل.

ب- أعماله

يذكر القديس چيروم أن للأب بيريوس "رسائل كثيرة في شتى الموضوعات"، ويخص بالذكر الرسالة الطويلة "عن هوشع" التي سبق أن ذكرناها. ويبدو أن چيروم يقصد "عظات" بكلمة رسائل التي استخدمها. ولاسيما أنه ذكر أن الرسالة "عن هوشع" ألقيت عشية عيد القيامة.

أما فوتيوس فقد ذكر أنه قرأ عملاً لبيريوس، الذي قيل إنه استشهد مع أخيه إيزيدور Isidor، وأنه كان يُدَرِّس اللاهوت للشهيد بامفيليوس، كما كان رئيسًا لمدرسة الإسكندرية. وذكر أن ذلك العمل يضم اثنتى عشرة عظة. والأسلوب واضح جزل، سلس وليس به أي تعقيد. ويتميز هذا العمل بثراء ما ورد به من حجج، غير أنه يضم الكثير من التعليم غير المعروف أو المألوف للكنيسة المعاصرة، ولكنها ربما كانت تتمشى مع تعاليم قديمة. وتعاليمه عن الثالوث تتفق ورأى الكنيسة باستثناء

بعض الأفكار، فهو يؤكد على وجود جوهر لله وطبيعتين، وهو يستخدم هذين التعبيرين بمعنى أقانيم، وذلك كما هو واضح مما جاء قبل الفقرة وبعدها، وليس بالمعنى الذي يقول به أتباع أريوس- أما فيما يتعلق بالروح القدس فإن آراءه خطيرة ومرفوضة إذ أنه يقول إن مجد الروح القدس أقل من مجد الآب والابن. وفي الفقرة الخاصة بإنجيل لوقا يفهم منها أن كرامة أو عدم كرامة الصورة هي كرامة أو عدم كرامة الأصل. وقد ألمح بما يتفق مع فكرة أوريجانوس (غير المقبولة) أن الأرواح لها وجود سابق. ويذكر فيلبس سيديتس Sidetes ثلاثة مؤلفات لبيريوس هي: "عن إنجيل لوقا" وعن "والدة الإله"، "وحياة القديس بامفيليوس".

أقيم ثيوناس أسقفًا خلفا للأسقف مكسيموس الذي ظل في الأسقفية ثماني عشرة سنة بعد وفاة ديونيسيوس، وفي تلك الفترة اشتهر القس أكيلا الذي أقيم في الإسكندرية في نفس الوقت الذي أقيم فيه بيريوس. ظل ثيوناس في الأسقفية تسع عشرة سنة ثم أقيم بطرس أسقفًا في الإسكندرية.

✢✢✢✢

١٣- تريفون

كان تلميذًا للعلاَّمة أوريجانوس. ولا يذكر المؤرخ يوسابيوس القيصري عنه شيئًا. لكن يذكره يرونيموس، ويعرف رسائله العديدة إلى معلمه أوريجانوس، وأبحاثه الكثيرة وبخاصة عن موضوع ذبيحة الخطية (عدد ١٩) وموضوع ذبيحة إبرام (تكوين ٢٢). ولكن لم يتبقَ شيء من كتاباته.

✢✢✢✢

١٤- أمبروزيوس

كان أمبروزيوس (أو امبروسيوس أو أمبروزو Ambrose) صديقًا لأوريجانوس. وكان من أثرياء الإسكندرية، وقد قادته ثقافته واهتماماته إلى شيعة ڤالنتينيانوس. ولكن أوريجانوس رده إلى التفكير القويم. كان أمبروزيوس يفتقد إلى الغذاء العقلي، وقد وجد ضالته في أستاذه أوريجانوس. وقد وفر لأوريجانوس كل الوسائل المتاحة والمصادر التي تمكنه من الاستمرار في أعماله الفكرية، وكان لحث أمبروزيوس المتواصل لأوريجانوس أن أطلق عليه الأخير "الحاكم الثاني بعد الله". وقد تبع أوريجانوس إلى قيصرية مع كل أهل بيته. وكما ذكر چيروم فإنه أصبح خادمًا (شماسًا) هناك. وقد أهدى إليه أوريجانوس العديد من أعماله، ولاسيما في كتابه "حض على الاستشهاد" حيث لقى أمبروزيوس اضطهادًا وعذابًا في عهد مكسمينوس ثراكس (سنة ٢٣٥م). وطبقًا لما ذكره چيروم فإن أمبروزيوس توفى قبل أوريجانوس. وكانت له زوجة وأولادٌ.

١٥- البابا بطرس *خاتم الشهداء*

أ- لمحة عن حياته

ب- أعماله

أ- لمحة عن حياته

أنتُخب القديس بطرس أسقفًا للإسكندرية في سنة ٣٠٠م، بعد أن كان رئيسًا لمدرسة الإسكندرية للاهوت. وقد سجن خلال الاضطهاد الشديد الذي شنه دقلديانوس، ولكن أُطلق سراحه في سنة ٣٠٦م، ثم سجن مرة أخرى، واستشهد في سنة ٣١١م بقطع رأسه. وقد عظم يوسابيوس المؤرخ القيصري مدحه.

وكما يقول يوسابيوس: بعد أن ظل ثيوناس Theonas أسقفًا للإسكندرية وخدم بكل جهد مدة تسع عشرة سنة، خلفه بطرس أسقفًا للإسكندرية، وكان هو أيضًا له مكانته البارزة الخاصة مدة اثنتى عشرة سنة كاملة. وقد ترأس الكنيسة مدة لا تقل عن ثلاث سنوات كاملة قبل الاضطهاد، أما بالنسبة للمدة الباقية من عمره فقد اتسمت بالزهد الشديد حتى استشهد.

في أثناء سجن القديس بطرس أخذ ميليتوس (أو ملاتيوس) Melitius، أسقف ليكوبوليس Lycopolis كل الحقوق الأسقفية، وحل محل القديس بطرس في كنيسته. وفي مجمع عقد بالإسكندرية في نحو سنة ٣٠٥م أو في نحو سنة ٣٠٦م عَزَل القديس بطرس ذلكم المغتصب وذلك بعد أن أُدين بجرائم كثيرة، ولا سيما تقديمه ذبائح للآلهة.

ميليتوس، *الانشقاق الميليتي*

حدثت الانشقاقات الميليتية نتيجة الاضطهاد الذي وقع في مصر من سنة ٣٠٣م-٣١٢م. وكان ذلك يرجع إلى الآراء المتضاربة حول معاملة المسيحيين الذين ارتدوا خلال الاضطهاد وطلبوا عودتهم إلى الكنيسة.

وفيما كان الاضطهاد مستمرًا. كان بطرس أسقف الإسكندرية لا يزال في السجن مع أساقفة آخرين. كان ميليتوس أسقف أسيوط يمثل التيار المتشدد تجاه المرتدين، وكان هذا على العكس من الموقف المعتدل الذي تبناه بطرس. ووصل الأمر إلى الانقسام، حين شرع ميليتوس يرسم أساقفة للكراسي التي أصبحت شاغرة نتيجة لسجن أو غياب شاغليها. برغم أنه سبق أن ذبح للآلهة وسجد لأصنامهم.

وإذ أُطلق سراح بطرس -بصفة مؤقتة قبل إعادة سجنه مرة أخرى ثم استشهاده- اتَّخذ إجراءات شديدة ضد المنقسمين. وقد نظَّم المنقسمون أنفسهم وأقاموا كنيسة مستقلة خاصة بهم. إذ كان عددهم قد أصبح كبيرًا مما شجعهم على الانفصال. واستمر الانقسام على عهد كل من أكيلا وألكسندروس، خليفتي بطرس. وقد ظهر

الانقسام، في بعض الأماكن -على الأقل- كما لو كان معارضة أولية من أهل البلاد الأقباط ضد العنصر الهيلّيني (سيمونيتي: موسوعة الكنيسة الأولى).

وقد اتخذ مجمع نيقية في سنة ٣٢٥م إجراءات خفيفة ضد الانفصاليين. وكان أن احتفظ ميليتوس بمنصبه شريطة ألا يقوم برسامات أخرى. وقد احتفظ أساقفة وقسوس وشمامسة آخرون بمناصبهم بعد أن تم وضع الأيادي عليهم من جديد بمعرفة الأسقف ألكسندروس. إلاَّ أنه عند وفاة ألكسندروس في سنة ٣٢٨م سعى الميليتيون لاعتراض طريق انتخاب أثناسيوس، واستمرت المعركة بينهم. وكان أثناسيوس شديداً في مواجهة أولئك المنقسمين. ووجه ضرباته بنوع خاص ضد الأسقف أريوس والقس اسخيراس. وإذ كان ميليتوس قد توفى، قاد چون أركاف الميليتيين حيث هاجموا أثناسيوس مرتين (٣٣٢-٣٣٤م) باتهامه بالعنف أمام قسطنطين، ولكن دون جدوى. وفي مجمع صور في ٣٣٥م تحالفوا مع اليوسابيين. وكان موقف أرسانيوس وأسخيراس حاسمًا في إدانة أثناسيوس وعزله.

غير أن الأحداث اللاحقة قد شهدت بروز أثناسيوس بطلاً للكنيسة ومدافعًا عن الإيمان القويم. فذوى الميليتيون وفقدوا أهميتهم.

وعلى أثر ذلك بدأ ميليتوس الانقسام الذي نُسب إليه. والذي استمر عدة قرون. ولم ينجح حتى مجمع نيقية في تسوية هذا النزاع. وكان أريوس أحد أتباع ميليتوس، بل ومن أكثر المشايعين المتحمسين له.

ب- أعماله

لم يذكر يوسابيوس المؤرخ شيئًا عن كتابات القديس بطرس، ولعل ذلك يرجع إلى أن بطرس كان ضد أوريجانوس. ومما يؤسف له أنه لم يتبق من كل كتاباته ورسائله اللاهوتية سوى بعض الشذرات الصغيرة.

١- عن الألوهية

وهذا العمل يركز على ألوهية السيد المسيح ضد تعليم التابعية. وقد جاء في إحدى المخطوطات "الكلمة صار جسداً"، "ووجد في الهيئة كإنسان، غير أنه مع ذلك لم يكن دون لاهوته". ولذلك فإن أعمال مجمع أفسس (٤٣١م) تحتوي على ثلاثة اقتباسات من كتابات القديس بطرس عن ألوهية السيد المسيح.

٢- عن مجيء مخلصنا

يحتمل أن يكون مضمون ذلك العمل مطابقًا لكتابه "عن الألوهية". ويقول القديس بطرس في اقتباس ليونتيوس البيزنطي: "هذه الأمور وأمثالها، وكل الآيات التي أظهرها (السيد المسيح) والمعجزات التي عملها تثبت أنه الله ظهر في الجسد. ولذلك تم إيضاح الأمرين، أي أنه إله بالطبيعة وأنه إنسان بالطبيعة".

٣- عن الروح

وهذا الكتاب -في جزءين على الأقل- كُرس للرد على نظرية أفلاطون عن سبق وجود الروح والتي علَّم بها أوريجانوس.

٤- عن قيامة الأموات

من المرجح أنه كان تفنيداً لرأي أوريجانوس، حيث عارض أوريجانوس في رأيه: أن الحالة الروحية التي ستكون عليها الأجساد عند القيامة هي الحالة التي كانت عليها في حياتها على الأرض. وتوجد من هذا العمل سبع شذرات فحسب. ويحتمل أنه كان رسالة بمناسبة عيد القيامة.

٥- عن الكفارة

ويسمى أيضًا "الرسالة القانونية". وتحتفظ الكنيسة الشرقية بأربعة عشر قانونًا هي كل ما تبقى من هذا العمل. ونظراً لأن العبارة التي يستهل بها أول قانون هي: "بالنظر إلى أن الفصح الرابع للاضطهاد - أي على بداية الاضطهاد- قريب، نُسب تاريخ الكتاب إلى سنة ٣٠٦م. وتشير كل الاحتمالات أنه كان رسالة عيد القيامة. وفيه يوضح ما يجب أن يفعله أولئك الذين أنكروا الإيمان ومن ارتدوا، حيث قام بتقسيمهم إلى فئات، فمثلاً أولئك الذين لم يستسلموا إلاَّ بعد عذابات أليمة ومحن فظيعة فإن الوقت الذي انقضى يعد كافياً للتكفير عن ذلك الفعل، ويجب أن يُسمح لهم بالعودة إلى شركة القديسين. والقوانين لا توافق على تصرف أولئك الذين ذهبوا بأنفسهم إلى السلطات طالبين الاستشهاد، وذلك لأنهم لم يتصرفوا بحكمة، كما أن تصرفهم هذا يتعارض مع المثال الذي وضعه لنا الرب يسوع المسيح والرسل من بعده.

٦- عن قيامة المسيح

من المحتمل أن يكون هذا العمل رسالة عيد القيامة أيضًا. فنعرف من جزازة لمؤرخ سكندري أن بطرس أملى رسالة عن عيد القيامة لشخص اسمه تريسينيوس Tricenius. ومن المحتمل أنها رسالة لأسقف مصري يحمل نفس الاسم.

٧- الرسالة إلى السكندريين

توجد رسالة مقتضبة لها أهمية كبرى بالنسبة لتاريخ انفصال ميليتوس، يحذر فيها القديس بطرس الأمناء في أبروشيته ضد ميليتوس، ويرجح أنها كُتبت بعد وقت قصير من بداية الاضطهاد.

كما كتب أربعة من الأساقفة المصريين رسالة وهم: الأساقفة هيسيكيوس، وباخوميوس، وثيودورس، وفيلياس، وجهوها إلى ميليتوس حيث اعترضوا فيها بشدة ضد الرسامات التي قام بها في كنائسهم. وقد اكتشفت الرسالة التي كتبها القديس بطرس والرسالة التي كتبها الأساقفة الأربعة في مخطوطة قديمة في الفصل الخاص

بفيرونا الذي كتبه سيبيو مافاي Scipio Maffei. (م. سيمونيتي: موسوعة الكنيسة الأولى).

✢✢✢✢

١٦- هيسيكيوس

عاش في الإسكندرية في نحو سنة ٣٠٠م، ويبدو أنه من أصل سكندري. ومن المثير أن نعرف أنه خلال القرن الرابع لم تستخدم كنائس مصر التنقيح الذي أجراه أوريجانوس على الترجمة السبعينية، وإنما كانت تستخدم ذلكم الذي أجراه هيسيكيوس Hesychius. وقد تعرض هيسيكيوس لنقد شديد من قبل چيروم واعتبر أن عمله من الأعمال الأبوكريفية (المشكوك في صحتها).

ولا نستطيع التأكيد إن كان هيسيكيوس الذي نحن بصدد الحديث عنه هو من ذكره يوسابيوس المؤرخ والذي أُستشهد مع بطرس السكندري في أثناء اضطهاد دقلديانوس. وكثيرون يخلطون بينه ومن سموا بنفس الاسم في خلال القرنين الخامس والسادس.

✢✢✢✢

١٧- ألكسندروس

أسقف الإسكندرية والبابا التاسع عشر. وهو الخصم الأول لأريوس. لا تتوفر لنا معلومات عن زمان ومكان مولده، غير أننا نعرف أنه خلف أرشيلاوس (أرخيلاوس) على كرسي الإسكندرية في سنة ٣١٣م وحتى عام ٣٢٨م. ظهرت في وقت رئاسته الكهنوتية مشاكل كثيرة التعقيد، وقد واجهها بحكمة وحزم. وهذه المشاكل عالجها -فيما بعد- المجمع المسكوني الأول وهي: تحديد زمان عيد الفصح، الانشقاق الميليتاني، بدعة أريوس.

اعتاد الأسقف ألكسندروس أن يناقش الكهنة التابعين له الموضوعات اللاهوتية والتفسيرية، وفي إحدى هذه المناقشات مع أريوس (وكان أحد كهنة الإسكندرية) رأى في كلامه اتجاهات لتقليل شأن الابن. وبعد كثير من المناقشات معه، ظل أريوس على آرائه. لذلك دعا ألكسندروس أريوس إلى مجمع محلي لمحاكمته. وكان ذلك في الإسكندرية في سنة ٣١٨م. ثم في بداية عام ٣٢٥م انعقد مجمع آخر في أنطاكية أدان أيضًا تعليم أريوس. ووافق على حكم مجمع الإسكندرية عليه. وفي نفس العام انعقد المجمع المسكوني الأول بنيقية، وكان ألكسندروس أحد رؤسائه الثلاثة. وحُكم على أريوس بإجماع كل الحاضرين. ولُقِّب ألكسندروس في هذا المجمع "بالمحارب الشجاع عن العقائد الإنجيلية" والمحامي عن "العقائد الرسولية". نظرًا لدفاعه القوي عنها. وتوفى في سنة ٣٢٨م.

ولم يتبق لنا من إنتاجه اللاهوتي سوى ما يلي:

١- رسالة إلى ألكسندروس أسقف القسطنطينية: عن البدعة الأريوسية.

٢- رسالة دورية إلى المحبوبين المكرمين العاملين في الكنيسة الجامعة في كل مكان.

٣- رسالة عن تجريد (حرم) أريوس والذين معه.

٤- رسالة إلى أسقف مدينة كينوبوليس (ايجلوناس).

وترجع أهمية الرسائل الأربع إلى ما تتضمنه من معلومات عن البدع الأريوسية حيث يتكلم فيها عن ظهور هذه الهرطقة المشينة المحاربة للمسيح، ويدحض تعليمها، مؤكداً أن البشر يقدرون أن يكونوا أبناء الله بالتبني، أما المسيح فهو ابن الله بالطبيعة. وما دام الكلمة مولوداً منذ الأزل، فإن الآب كان أباً منذ الأزل، والابن كذلك كان ابناً منذ الأزل.

لم يفهم الأريوسيون هذه الفكرة اللاهوتية الهامة إذ ظنوا أنه عندما يتكلم عن شخصين غير مولودين إنما يتكلم عن إلهين اثنين.

٥- مقالة عن النفس والجسد وآلام السيد (بالسريانية واللاتينية والقبطية).

ويذكر في هذه المقالة ملاحظات عن النفس والجسد بطريقة سيكولوجية خاصة. ويبرهن على ضرورة آلام الرب من أجل خلاص الإنسان.

ومن معلومات أبيفانيوس نعلم أن ألكسندروس كتب نحو ٧٠ رسالة بقيت منها المذكورة بأعلاه فقط.

الباب الثاني

كنيسة شمالي أفريقيا

أ- التقسيم الإداري
ب- المسيحية في شمالي أفريقيا
جـ- المجامع في شمالي أفريقيا
د- اللغة
هـ- الكنيسة تواجه الأخطار
و- اختفاء المسيحية من شمالي أفريقيا
ز- الكاتبون
١- ترتليانوس		٢- كبريانوس
٣- أرنوبيوس		٤- لاكتانتيوس

أ- التقسيم الإداري

في أثناء الحروب البونية، أطلق الرومان اسم أفريقيا على المنطقة الخاضعة لحكم قرطاجنة (بتونس). ومنذ القرن الأول الميلادي قسمت الإدارة المدنية إلى ثلاث مناطق:

١- ولاية أفريقيا وتمتد من مذبح فيليني Phile-ni إلى عنابة Annaba.

٢- ولاية نوميديا انفصلت عن ولاية أفريقيا في سنة ٣٧م، وعاصمتها لامبيسس Lambaesis (وهي حاليًا تازولت Tazzoult في الجزائر) وحكمها ممثل لفيلق أوغسطس.

٣- ولاية موريتانيا احتلها الرومان في سنة ٤٠م، وكانت تمتد حتى ساحل الأطلنطي. ولكنها انقسمت إلى منطقتين امبراطوريتين، قيصرين وعاصمتها قيصرية (شرشال) وتنجيتانا وعاصمتها (تنجبيير). ويبدو أن الاحتلال الروماني كان محدودًا بالشريط الساحلي، واستمرت تحكمها الأسر المحلية حتى غزو الوندال Vindals .

وقد أعاد دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) تقسيمها مرة أخرى وأصبحت التقسيمات المدنية لأفريقيا تشمل المناطق التالية:

(١) تريبوليتانا Tripolitana وتشمل المنطقة المحيطة بطرابلس من كيرنايكا Cyrenaica (القيروان) وحتى بحيرة تريتونس Triton (شط الجريد).

أفريقيا

أطلق الرومانيون -قديمًا- على قارتنا "أفريقيا" (أفريكا، Africa) وهي ربما تكون مأخوذة من الكلمة اللاتينية "أبريكا (Aprica) وتعني مشمسة أو "مغمورة بالشمس"، أو ربما تكون مأخوذة من الكلمة اليونانية (أفريك Aphrike) وتعني (البلاد) غير الباردة. على أن أفريقيا لم تطلق أساسًا سوى على شريط الساحل الشمالي من القارة والذي كان ينظر إليه في الواقع على أنه امتداد لأوربا نحو الجنوب. وقد أطلق الرومانيون الذين حكموا -لفترة من الزمن- المناطق الشمالية من ساحل البحر المتوسط، على المناطق التي تقع إلى الجنوب من مستوطناتهم "أفريجا" (Afriga) أو "أرض الإفريج"، وهو اسم مجتمع البربر الذي يقع جنوبي قرطاجنة. وثمة تفسير آخر يُطرح أحيانًا وينسب الاسم إلى منطقة مثمرة، وهي "تونس" الآن، وكانت تعني "سنابل القمح". وكلمة أفريقيا هي تعريب لكلمة أفريكا Africa. (راجع دائرة المعارف البريطانية).

(٢) بيزاسينا من بحيرة تريتونس إلى الحرية Horrea (هرجلا).

(٣) المنطقة الخاضعة للوالي الروماني وهي من الحرية إلى طبراكا (طبرق في تونس).

(٤) نوميديا انقسمت إلى المنطقة المحيطة بسرتا وعاصمتها سرتا وسميت فيما بعد قسنطينة، وميليتاريس وعاصمتها لامبيسس.

(٥) موريتانيا سيتيفنسس وعاصمتها سيتيفيس Sitifis (أو Setif).

(٦) موريتانيا قيصرين وعاصمتها قيصرية.

وكانت الحكومة المدنية لكل ولاية تعهد إلى والٍ أو حاكم تابع للحاكم العام لأفريقيا، أما الحكومة العسكرية فتخضع لكونت أفريقيا. واعتبرت موريتانيا تنجيتانا تابعة لأسبانيا.

ب- المسيحية في شمالي أفريقيا

ثمة نظريتان متعارضتان عن نشأة المسيحية في أفريقيا وهما:

الأولى: يرى البعض أن المسيحية عرفت طريقها إلى أفريقيا من الشرق عن طريق مصر وليبيا. **الثانية:** أما البعض الآخر فيرى أنها جاءت عن طريق روما. وليس هناك ما يؤيد إحدى النظريتين بطريقة حاسمة (ق. ساكسر- موسوعة الكنيسة الأولى).

على الرغم من افتقارنا إلى مصادر مكتوبة إلا أن الدليل المستمد من الآثار يوحي بأن الكنائس في شمالي أفريقيا بدأت منذ وقت مبكر. (عزيز سوريال عطية- موسوعة الأديان).

كان ثمة مركزان واضحان قاما على الشواطيء

الجنوبية للبحر المتوسط في القرن الأول من الكرازة بالمسيحية. كان أحد المركزين في كيرانايكا Cyrenaica (القيروان) وكان واقعًا تحت تأثير كنيسة الإسكندرية. أما الآخر فكان في قرطاجنة (بتونس) وليس من شك في أنه كان معرضًا للوقوع تحت تأثير كنيسة روما- المجاورة له عبر البحر.

يربط التقليد بين ظهور المسيحية في كيرانايكا (القيروان) ودخول المسيحية مصر على يد مرقس الرسول، ووجود عدد كبير من اليهود في تلك المنطقة حتى قبل ميلاد المسيح من المؤكد أنه كان من شأنه قيام اتصالات مع أورشليم إبان القرن الأول. ومساهمة الليبيين وجموع من القيروان في المجادلات الدينية أكده ما جاء في سفر أعمال الرسل (٢:١٠، ٦:٨ و٩).

وفضلاً عن ذلك، فقد كشفت الحفائر الأثرية عن وجود مقابر تحت الأرض في القيروان الأمر الذي يثبت تطور كنيسة منظمة لها علاقات بالمسيحية السكندرية وذلك قبل القرن الثالث.

أول ذكر عن وجود كنيسة في قرطاجنة، كان في سنة ١٨٠م، حين أعلن ترتليانوس أن كنيسته الوطنية تنتمي مباشرة إلى الكنيسة في روما. والكنيسة التي أنجبت خلال القرن الثاني عملاقًا عظيمًا في مجال الفكر اللاهوتي المسيحي مثل ترتليانوس لابد وأنه كانت لها جذور عميقة في القرن الأول. والمسيحية في قرطاجنة كانت قوية ذات أساس راسخ حتى أنه كان لها تأثير عظيم على المجادلات اللاهوتية إبان السنوات العديدة التالية في العالم المسيحي سواء في الغرب أو الشرق (د. عزيز سوريال عطية- موسوعة الأديان).

١- المسيحية في المدن الخمس

تطلق المدن الخمس (بنتابوليس) على أقصى الجزء الشرقي من ليبيا. وينبع اسم هذه المنطقة من المدن الخمس اليونانية في كيرانايكا (القيروان) وهي:

(١) مدينة برنيس أو برنيقة (بنغازي)،

(٢) مدينة توشيرا (طوكرة).

(٣) بتولمايس (تولميتا) أو طُلمية.

(٤) مدينة أبولونيا (سوسة أو مرسى سوسة)،

(٥) مدينة سيرين (قريني) (عين شحات) أو سيرينة كما أسماها الرومان.

ملحوظة: مدينة بتولماس (طُلمية) حلت محل مدينة برقة (المرج الحالية) نحو سنة ١٦٣ق.م- (راجع د. ميخائيل مكس اسكندر -تاريخ كنيسة بنتابوليس المدن الخمس الغربية) .

كان تاريخ المدن الخمس Pentapolis محكومًا بثلاثة مراكز للجذب، وهي نفسها كانت مكامن الخطر: البحر المتوسط، ومصر، والصحراء التي

سكنتها قبائل البربر وكانت لهم علاقات قوية، غالبًا يسودها السلام ولكنها لم تخلو من العداوات. وبالإضافة إلى المدن اليونانية المجاورة للبحر وتتمتع بخصوصية، سيطر اليونانيون على المناطق الساحلية. وفي شمالي أفريقيا، كانت المدن الخمس هي الرابطة التي تربط أقصى الغرب (على الساحل الشمالي لأفريقيا) والعالم اليوناني الشرقي. وفيما وراء حدود فيلاينورم Philaenorum (منطقة رأس العلى) تنفصل ليبيا ذات المدن الخمس عن تريبوليتانا، حيث كان يبدأ الغرب اللاتيني.

أصبحت كيرانايكا البطلمية ولاية رومانية في سنة ٧٤ق.م. ثما اتحدت تحت حكم أوغسطس في سنة ٢٧ق.م.، وضُمت إلى ولاية كريت. وخلال سيادة أوغسطس على الجزء الشرقي من كيرانايكا انفصلت وضُمت إلى مصر تحت اسم مارماريكا (سميت ليبيا الصغرى في التاريخ لاحقًا) وكولاية منعزلة، سميت ليبيا العظمى أو ليبيا ذات المدن الخمس، وذلك في عهد دقلديانوس. وانفصلت عن كريتا بين سنتي ٢٩٣م، ٣٠٥م وشكلت جزءًا من أبروشيات الشرقيين، حيث كان الولاة يقيمون في أنطاكية بسورية على نهر العاصي. ولكن لا يوجد مصدر قديم يقدم لنا دراسة شاملة عن تاريخ المدن الخمس لاحقًا. والمعلومات نادرة نسبيًا، ويجب جمعها من مختلف الكاتبين، فيما عدا الفترة الخاصة بتاريخها في نهاية القرن الرابع وأوائل القرن الخامس حيث غطاها سينيسيوس في أعماله، وسينيسيوس هو أسقف بتولمايس (طرابلس)، ومطران المدن الخمس منذ عام ٤١٢م. (د. عزيز سوريال عطية- الموسوعة القبطية).

المدن الخمس والإسكندرية

الموقع الجغرافي للمدن الخمس ربط هذه المدن برباط وثيق مع مصر بأكثر مما ربطها بقرطاجنة وبقية الولايات الغربية في شمالي أفريقيا. كذلك كانت للقوافل التجارية نفس الدور في الإسهام في قيام العلاقات بين مصر والمدن الخمس.

طبقًا للتقليد، فإن مرقس الإنجيلي كان مواطنًا يهوديًا من القيروان، جاء إلى الإسكندرية عن طريق المدن الخمس (راجع كنيسة الإسكندرية). وبعد أن وضع حجر الأساس للكنيسة الجديدة في مصر عاد إلى القيروان للكرازة فيها. وقد قضى مجمع نيقية (٣٢٥م) بأن تخضع القيروان لكنيسة الإسكندرية. والبطريرك القبطي يحمل اسم الخمس المدن الغربية في لقبه باعتبارها تابعة للكنيسة في مصر. وعلينا أن نفترض أنه كان ثمة تدفق مستمر للشخصيات الكنسية للكرازة بين القطرين، على غرار التفاعل الذي كان بين قرطاجنة وروما. وقد سَهَّل العنصر اليوناني السائد في كل من القيروان والإسكندرية عملية الاتصال بينهما.

كان معظم رجال الدين في كيرانايكا

(القيروان) يتلقون تعليمهم في الإسكندرية، وكانوا يتلقونه فيما مضى في مكتبة الإسكندرية، وبعد ذلك في مدرسة اللاهوت. وكان الأسقف سينيسيوس القيرواني يمثل الثقافة السكندرية- من جهة الفكر الفلسفي واللاهوتي- في المدن الخمس.

٢- المسيحية في قرطاجنة

من الصعوبة تحديد تواريخ معينة بالنسبة لدخول المسيحية القسم الغربي من شمالي أفريقيا، على الرغم من أنه يمكننا افتراض أن الكرازة بالإنجيل قد وصلت إليها بصفة مبدئية من روما. وهذا ما يؤكده ما تبين بعد ذلك من صلات وثيقة مع كرسي روما. وأول سجل كامل قام به الرومانيون والذي كشف عن وجود كنيسة منظمة ومتطورة ظهر قبل نهاية القرن الثاني بعقد أو عقدين. وكانت المسيحية متركزة في قرطاجنة والمناطق المتاخمة لها من الشرق والغرب. وهذا يتضمن مناطق تريبوليتانا (طرابلس الحالية) والمستعمرات، ونوميديا، وموريتانيا قيصرين، وموريتانيا تنجيتانا، وتغطي تقريبًا مناطق طرابلس وتونس والجزائر وشمالي المغرب. ولابد أن انتشار المسيحية كان قد تم بسرعة بين سكان قرطاجنة غير أنها لم تجد لها جذوراً على الإطلاق بين البربر، الذين ظلوا خارج حظيرة الحضارة الرومانية. وكانوا محاصرين، بشكل منتظم، من قِبَل الكنيسة. وقد بلغ وضع الكنيسة درجة عالية من التطور إبان القرون القليلة التالية. وذلك بفضل عدد من الأشخاص الذين ظلت لمساهمتهم للفكر والثقافة المسيحيتين أثرًا باقيًا للمسيحية في قرطاجنة على الرغم من اختفائها بعد خمسة قرون. وقد تعرضت الكنيسة في قرطاجنة في أيامها الأولى للاضطهاد وأسهمت بنصيبها الكامل في الاستشهاد. وقيل إن نامفامو Namaphamo من نوميديا كان أول من استشهد في سبيل الإيمان، وربما كان من أصل قرطاجني. ومع ذلك فإن الغالبية من شهداء قرطاجنة كانوا من الوطنيين الذين أخذوا الجنسية الرومانية أو من المستوطنين الرومانيين. ولقد نمت الكنيسة على الرغم من الاضطهاد.

جـ- المجامع

ذكر كبريانوس مجمعين عُقدا قبله. مجمع أغريبينوس بقرطاجنة نحو سنة ٢٢٠م عن معمودية الهراطقة. والآخر عقد في أثناء خدمة دوناتس سلف كبريانوس، وكان موضوعه خلع الأسقف بريڤاتوس (Privatus) أسقف لامبيسس. وقد انعقد في أثناء خدمة كبريانوس سبعة مجامع. كان أكثرهم أهمية المجمع الذي انعقد في سنة ٢٥١م وكان عن مشكلة الانقطاع عن الكنيسة في أثناء اضطهاد ديسيوس. وفي ١ سبتمبر سنة ٢٥٦م، حيث قرروا إعادة معمودية الهراطقة والمنقسمين،

وذلك على خلاف عادة كنيسة روما، حيث اجتمع (٨٧) أسقفًا، الذين وصلت إلينا أعمالهم. كما وصلت إلينا قرارات تلك المجامع التي انعقدت بعد كبريانوس من خلال المجموعات القانونية في العصور الوسطى. أما المشكلة الخطيرة للدوناتية، ومشكلة الانقسامات التي أثارها اضطهاد دقلديانوس فقد وجدت طريقها إلى الحل في سنة ٤١١م في مجمع عُقد لمناقشتها، وقد طبعت أعماله. وهذه المستندات هي مرآة جيدة تعكس الحياة المسيحية في أفريقيا في ذلكم الوقت. فأعمال تلك المجامع أعطتنا بعض الأفكار عن المناطق الجغرافية وتزامن انتشار المسيحية فيها. فقد حضر (٧٠) أسقفًا مجمع أغريبينوس في نحو سنة ٢٢٠م، كما حضر (٨٧) أسقفًا في مجمع ١ سبتمبر سنة ٢٥٦م، وفي الوقت الذي حدث فيه انتشار كبير للمسيحية كان عدد الأساقفة نحو (٦٠٠) أسقف. وكان انتشار المسيحية جهة الشرق أكبر منه جهة الغرب. وكان ثمة بعض الأبروشيات جنوبي تونس وقنسطينة: كابسا، وتامالولا، وثيسيرا (بسكرا). (ف. ساكسر- موسوعة الكنيسة الأولى).

مجمع سِرتا

انعقد في ٥ مارس سنة ٣٠٥م في سرتا Cirta في نوميديا (الآن قسنطينة في الجزائر). وكان قد اجتمع أحد عشر أسقفًا لاختيار أسقف جديد لسرتا. وقد اعترف معظم الحاضرين أنهم تخلوا عن الكتاب المقدس أثناء اضطهاد دقلديانوس، والتمسوا الغفران. وكان أكبر الأعضاء سنًا ورئيس المجمع هو سكوندس (Secundus) من تجيسيس (Tigisis) الذي وقع في نفس الخطأ أيضًا. لذلك قرر أنه ينبغي على كل واحد أن يقدم إلى الله حسابًا عن أعماله فيما يتعلق بهذا الموضوع (كما ذكره القديس أغسطينوس). وإذ تمت مسامحتهم اختاروا الشماس سلوانس (Silvanus) السرتي أسقفًا. وقد أصبح كثيرون من هؤلاء الأساقفة ومن بينهم سلوانس، قادة لطائفة الدوناتية.

د- اللغة

ثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الإنجيل -في البداية- كان يُكرز به باللغة اليونانية سواء في أفريقيا أو في روما (كواستن). والمعلومات التي يمكن أن نثق فيها ترجع إلى أواخر القرن الثاني الميلادي. حيث كانت الكنيسة في أفريقيا في ذلك الوقت تتحدث بلغتين هما اليونانية واللاتينية. ونجد أن أربعة من أعمال ترتليانوس نشرت في بداية الأمر باليونانية، ويبدو أنه هو الذي وضع كتاب Passio Perpetuae et Feliciatatis والذي ظهر باللغتين، حيث ظهرت أعماله باللاتينية بعد ذلك. وكذلك رؤى ساتوروس يبدو أنها كتبت في الأصل باليونانية، ومنذ نحو عام ١٨٠م كتبت أعمال الشهداء الصقليون باليونانية. أما رسائل الرسول بولس فقد نشرت في ذلك الوقت باللاتينية. وبعد

ذلك بوقت قصير استخدم كبريانوس في نحو سنة (٢٥٠م) النسخة الرسمية للكتاب المقدس باللاتينية. بالإضافة إلى ذلك فإن أعمال وآلام الاستشهاد لكبريانوس (٢٥٧-٢٥٨م) وأعمال يعقوب وماريانوس (٢٥٩م)، ولوكيوس ومانتانوس (٢٥٩م)، مكسيميليان (٢٩٥م) ومارسيللوس، وشهداء أبيتينا وفيلكس التيبيوكي وكريسبينا (٣٠٤م)، كلها من بين أفضل النصوص اللاتينية التي من هذا النوع. وكانت أفريقيا مهد أفضل الكتابات الأدبية المسيحية باللاتينية متمثلة في ترتليانوس (في القرنين الثاني والثالث) وكبريانوس (توفى في ١٤ أكتوبر ٢٥٨م)، وأغسطينوس (توفى في ٢٨ أغسطس ٤٣٠م) (ف- ساكسر موسوعة تاريخ الكنيسة الأولى).

أول ترجمة لاتينية للكتاب المقدس

تتمثل أقدم وثيقة عن أفريقيا في كتاب صادر عن "سيللي" بعنوان "أعمال الشهداء"، وقد حكم على سيللي بالإعدام في ١٧ يوليو ١٨٠م. وهذا العمل يقدم لنا أقدم دليل على ترجمة جزء من العهد الجديد. إذ يوضح أنه عندما مثل الشهداء أمام محكمة الوالي ساتورنينسوسي. يشهد ترتليانوس بوجود ترجمة لاتينية كاملة للكتاب المقدس. وإن كان ليس لها صفة رسمية، وكانت موضع نقده في بعض المناسبات. ومع ذلك فإن كنيسة أفريقيا يبدو أنه كانت لديها نسخة لاتينية للأسفار المقدسة المعترف بقانونيتها في نحو سنة ٢٥٠م. ويتضح ذلك من التزام كبريانوس بها في جميع كتاباته. وقد شملت مجموعتين اقتباسات عديدة من الأسفار المقدسة. ويبدو أنه قبل أن تتبنى روما اللغة اللاتينية لغةً للعبادة، كانت أفريقيا قد اتخذت مثل هذا التغيير (كواستن- مرجع سابق).

إسهامات كنيسة شمالي أفريقيا

لم يكن للكنيسة في الغرب إسهاماتها العلمية بقدر ما كان للكنيسة في الشرق. فكانت الكنيسة في مبدأ أمرها يهودية، وكانت قبل مجمع نيقية يونانية وبعد مجمع نيقية رومانية، في مجموعها. وقد كتب أوائل كُتَّاب الكنيسة باليونانية وهم كليمندس، وهرماس، وإيريناوس، وهيبوليتس. وبدأت الكنيسة في استخدام اللاتينية في ختام القرن الثاني، ولم يحدث ذلك في إيطاليا وإنما كان في شمالي أفريقيا، ولم يكن في روما بل في قرطاجنة. ويقول "شاف" إن ذلك الإسهام لم يكن عن طريق فيلسوف أو مفكر عرف الإيمان المسيحي، وإنما كان عن طريق رجال عمليين من محامين وأدباء. ولم تظهر تلك الأدبيات بالتدريج وإنما ظهرت دفعة واحدة وكان لها طابع واضح ومتميز، مع اتجاه واقعي قوي. كما قدمت الكنيسة في شمالي أفريقيا للكنيسة في الغرب الكتاب المقدس في ترجمته الأولى إلى اللاتينية وهي ما يسمى بالترجمة "الإيطالية"، وكانت هذه الترجمة هي الأساس لترجمة چيروم والمعروفة بالفولجاتا (Vulgata)، ومازالت حتى الآن تعتبر النسخة المعتمدة في روما. على أنه من المحتمل وجود عدة ترجمات أخرى باللاتينية لأجزاء من الكتاب المقدس في الغرب قبل چيروم.

هـ- الكنيسة تواجه الأخطار

يشهد الكاتبون الأفريقيون للمعركة العنيفة التي خاضتها الكنيسة ضد العدو الخارجي متمثلاً في الاضطهادات الدموية، والعدو الداخلي المتمثل في المجادلات الهرطوقية. ونستشعر دائمًا في كتابات سيللي وترتليانوس وكبريانوس وأرنوبيوس ولاكتانتيوس الهجوم على الوثنية.

كانت الحرب الداخلية أكثر خطرًا على الكنيسة من الاضطهادات. فكانت ثمة شيع عديدة للغنوسية، كأتباع ڤالنتينوس وأتباع ماركيون. وكان اهتمام كبريانوس بوحدة الكنيسة اهتمامًا كبيرًا. فقد ناضل ضد الانشقاقات التي تزعمها كل من نوڤاتيان وفيليسيميوس ومع ذلك نجده على وشك الانفصال عن روما في مواجهة مريرة مع البابا استفانوس حول صحة معمودية الهراطقة.

و- اختفاء المسيحية من شمالي أفريقيا

يندهش دارسو تاريخ كنيسة شمالي أفريقيا للاختفاء المفاجيء للمسيحية هناك. فمنذ نحو أواخر القرن الثاني عشر وحتى عصرنا الحديث لا يوجد في ليبيا مسيحي واحد. ومن المعروف أن المدن الخمس الغربية ارتبطت بكنيسة الإسكندرية منذ البداية. والقديس مرقس الرسول الذي قام بالكرازة في مدينة الإسكندرية بحسب التقليد (ارجع إلى كنيسة الإسكندرية في موضعها من هذا المجلد)، وكان مسقط رأسه مدينة القيروان. وكما سبق أن قلنا جعل مجمع نيقية (٣٢٥م) المدن الخمس الغربية تابعة لكنيسة الإسكندرية (د. عزيز سوريال عطية: تاريخ الكنيسة الشرقية).

يرى د. عزيز سوريال أن السبب في اختفاء المسيحية من بنتابوليس يرجع إلى هجمات البربر الذين كانوا يهتمون بالنهب والسلب، غير عابئين بأن يتحضروا، ودون أن يهتموا بالدخول إلى حظيرة الإيمان المسيحي، وكانت لهم ممارساتهم الوثنية الخاصة بهم. وبمجيء العرب هاجر اليونانيون من سكان المنطقة، وبقى العرب والبربر (المرجع السابق).

غير أن الدراسة التي يقدمها د. ميخائيل مكس اسكندر عن ذلكم الموضوع يذكر فيها أن ثمة عناصر عديدة مجتمعة قد ساهمت في اختفاء المسيحية من بنتابوليس، ونحن نذكرها هنا إجمالاً.

تأثرت الطبيعة في برقة تأثرًا كبيرًا بالعديد من الكوارث الطبيعية.. من زلازل وجفاف.. وغيرها.. وقد خلَّفت وراءها أثرًا سيئًا، فضلاً عما عانته تلك المنطقة من غزوات البيزنطيين والفرس. وقد فرض كل غازٍ الضرائب المرهقة على أهل البلاد. فضلاً عمَّا لاقوه من عذابات واضطهادات.. فوصل الاقتصاد إلى حالة متردية. وكان من السهل آنئذ على العرب أن يفتحوا البلاد، ويذكر د. ميخائيل مكس نقلاً عن بتلر قوله: "إن كثيرين قد أسلموا، ليس كما قال المؤرخون المسيحيون بقصد الدنيا

وزينتها، ولكن طمعًا في مساواتهم بالفاتحين، حتى يكون لهم ما للمسلمين من امتيازات (اقتصادية)، أو ينجون من الجزية". وقد فرضت الضرائب آنذاك حتى على الرهبان. (د. ميخائيل مكس: تاريخ كنيسة بنتابوليس).

كذلك فإن الانقسامات التي نشأت فيما بين المسيحيين أنفسهم، بين أتباع الطبيعتين (كنيسة بيزنطة) وأتباع الطبيعة الواحدة (كنيسة الإسكندرية)، كان من شأنها إحداث صدع هائل، فضلاً عن الاضطهاد البيزنطي. ويذكر د. ميخائيل مكس نقلاً عن المؤرخ جيبون مقتل نحو ربع مليون قبطي وليبي من أصحاب الطبيعة الواحدة على يد الحاكم والبطريرك الملكاني أبوليناريوس (٥٥١م) بالإضافة إلى الفارين إلى الصحراء. وقد شدَّد العرب بعد ذلك من قبضتهم وسعوا إلى جذب المزيد من المسيحيين إلى ديانتهم بكافة الوسائل (المرجع السابق).

كما يرد بعض الباحثين اختفاء المسيحية من بنتابوليس إلى عدم تعمق المسيحية في نفوس أهلها، وإلى عدم وجود القيادات الدينية الحكيمة التي تأثرت بشدة بالهرطقات باستثناء بعضهم مثل سينيسيوس (٣٧٠م) وسيداريوس.

إبَّان الفتح العربي لبرقة حدثت الهجرة في اتجاهين عكسيين. فقد هاجرت كثير من الجاليات الأجنبية التي كانت تقيم هناك كالبيزنطيين والرومانيين، وكانوا يشكلون غالبية المسيحيين. في نفس الوقت الذي تدفقت فيه الهجرات من الشام والعراق واليمن والحجاز إلى شمالي أفريقيا بأعداد كبيرة. ومع مرور الوقت أصبحت اللغة العربية هي اللغة السائدة بين السكان (حتى بين البربر أنفسهم في وقت لاحق). وبدون شك ساهم ذلك في محو آثار المسيحية هناك.

وبخروج الجاليات التي كانت تتحدث اليونانية، لم يعد لتلك اللغة وجود. أما البربر الذين عرفوا طريقهم إلى المسيحية في وقت متأخر (قبل الفتح العربي بوقت قصير، فلم يكونوا يعرفون اللغة القبطية، التي كان يصلي بها الكهنة الأقباط ممن أرسلتهم كنيسة الإسكندرية، كما أن أولئك الكهنة لم يكونوا يتقنون اليونانية التي كان بعض البربر من المسيحيين يعرفونها. وكان ذلك من أكبر المعوقات التي وقفت في طريق تعليم البربر لمبادئ المسيحية، ونتيجة لذلك لم تكن ثمة فرصة لتتمكن المسيحية من قلوب البربر. وهكذا نجد أن ثمة أسبابًا عديدة تزامنت واجتمعت من أجل اختفاء المسيحية. في وقت مبكر من بنتابوليس بشمالي أفريقيا. (ارجع إلى كتاب: تاريخ كنيسة بنتابوليس: المدن الخمس الغربية: د. ميخائيل مكس اسكندر).

✢ ✢ ✢ ✢ ✢
✢ ✢ ✢ ✢

ز- الكاتبون

١- ترتليانوس   ٢- كبريانوس

٣- أنوبيوس   ٤- لاكتانتيوس

✢ ✢ ✢ ✢

١- ترتليانوس

أ- حياته

ب- أعماله

جـ- كتابات مفقودة

د- كتابات موضع شك

هـ- ملامح من فكره اللاهوتي

أ- حياته

إن القليل الذي نعرفه عن حياة كوينتوس سبتميوس فلورنس ترتليانوس Quintus Septimius Florens Tertullianus مصدره ما كتبه هو عن نفسه في أعماله، وما ذكره عنه چيروم. تاريخ ميلاده ووفاته غير معروفين. ونستطيع أن نؤكد في ثقة أن نشاطه الأدبي كان في السنوات الأخيرة من القرن الثاني والعقدين الأولين من القرن الثالث. وكما يقول عنه چيروم فإنه كان من شمالي أفريقيا، من مواطني قرطاجنة، ولد نحو سنة ١٥٥م، (كواستن- مرجع سابق). أما دكتور عزيز سوريال عطية فيرى أنه ولد نحو سنة ١٦٠م (موسوعة الأديان)، ولكن شاف يرى أنه ولد نحو سنة ١٥٠م. كان أبوه قائد مائة بكتيبة الوالي. وكان والداه وثنيين. كان أحد البارزين في القانون، حقق لنفسه شهرة بالغة من عمله بالمحاماة في روما. قال عنه يوسابيوس إنه يعرف على نحو دقيق القوانين الرومانية (تاريخ الكنيسة ٢:٢). ومن المرجح أنه هو القاضي ترتليانوس الذي تضمنت مجموعة القوانين المعروفة بعنوان "Corpus Civilis" بعضًا من كتاباته. ولكنه بعد أن عرف الإيمان المسيحي في نحو سنة ١٩٣م، أقام في قرطاجنة. وسخَّر كل معرفته القانونية والأدبية والفلسفية لخدمة الإيمان المسيحي، ثم أصبح قسًا، طبقًا لما ذكره چيروم. إلاّ أن كلاً من شاف وپ. سينيسكالكو يشك في ذلك (راجع تاريخ الكنيسة لشاف - مرجع سابق- موسوعة الكنيسة الأولى). لكن لا يخفي على أحد دوره البارز في التعليم. وقد واصل كتاباته الأدبية عبر السنوات ١٩٥-٢٢٠م. ومعظم أعماله التي كتبها إبان هذه الفترة كان لها تأثيرها الدائم على الفكر اللاهوتي المسيحي. وانضم علانية إلى المونتانيين Monta-nists في عام ٢٠٧م، وأصبح رئيسًا لطائفة خاصة منهم، ونسبت إليه فسميت "بالترتليانوسية"، واستمرت في قرطاجنة حتى زمن القديس أغسطينوس. وتاريخ وفاته مجهول.. ولابد أنه كان

بعد سنة ٢٢٠م، ويذكر د. عزيز سوريال أن ذلك كان في نحو سنة ٢٢٥م. (موسوعة الأديان).

كان ترتليانوس أول من كتب باللاتينية من آباء الكنيسة (موسوعة الأديان)، وباستثناء القديس أغسطينوس كان ترتليانوس من أهم كاتبي الكنيسة الأوائل ممن كتبوا باللاتينية. فإلى جانب معرفة ترتليانوس العميقة بالفلسفة والقانون والآداب اليونانية واللاتينية فإنه كان نشيطًا دؤوبًا مثابرًا، كما كان بليغًا بلاغة فائقة. وعزمه لم يَلن في مواجهة الهراطقة. وكل كتاباته دفاعية. (كواستن- مرجع سابق).

إننا لا نعرف بالتحديد كيف عرف طريقه إلى الإيمان المسيحي، ومن الجلي أن السبب لم يكن مقارنة دقيقة للنظم الفلسفية المختلفة، كما كان الحال بالنسبة للقديس يوستينوس. ولكن يبدو أن بطولة المسيحيين في أوقات الاضطهاد كان لها أثرها البالغ عليه أكثر من أي شيء آخر، ذلك أنه كتب في إحدى رسائله يقول:

"كل إنسان في مواجهة هذه المحنة الرهيبة يشعر بأن شيئًا من الشك بدأ يخامره، ويرغب بكل حماسة أن يكتشف ماذا وراء هذا الموضوع، ومن اللحظة التي يكتشف فيها الحقيقة يبدأ هو نفسه في اعتناقها". والحقيقة كانت الموضوع العظيم في دفاعه عن المسيحية ، وفي هجومه على الوثنية والهرطقة. وقد وردت كلمة الحقيقة في أحد كتبه (١٦٢) مرة. وقد كتب يقول: "حين أقام المسيح الديانة الجديدة، فقد استهدف بذلك أن يقود البشرية فإله المسيحيين هو الإله الحقيقي. والذين يجدونه يجدون الحق كله. الحق هو ما يكرهه الشياطين، ويعارضه الوثنيون، وما يتألم المسيحيون ويموتون في سبيله. الحقيقة هي التي تفصل المسيحيين عن الوثنيين" (كواستن- مرجع سابق).

إننا نلمس في كتاباته شعورًا دينيًا عميقًا، ولهفة جامحة إلى الأمانة. وليس من الصواب تقديم ترتليانوس على أنه محام ومن رجال البلاغة ممن يميلون إلى السفسطة ذلك لأنه يتكلم بإخلاص. وهو عنيد في دفاعه عن الروح الديني، فيقول: "إنه من حق كل إنسان أن يختار دينه. وليس ثمة شك من أنه كان على استعداد للموت في سبيل إيمانه. ففي كلماته في كتاب "Apology" أي "الدفاع" عَبَّر عن رغبته القوية في الاستشهاد. وهو ضد الهرب أثناء الاضطهاد، وهو بهذا الاعتقاد الراسخ يُظهر ما كان يتمتع به من إخلاص. وكان يعرف نقائصه أيضًا، فحين كتب عن الصبر كان يشعر وكأنه مثل المريض الذي يتحدث عن الصحة، لأنه هو نفسه كان مريضًا دائمًا بحمى عدم الصبر.

تزوج ترتليانوس وأشار إلى زوجته في كتابه "Aduxorem"(١:١) ولا يمكن تحديد تاريخ محدد لذلك (قبل عام ١٩٧م). (موسوعة الكنيسة الأولى).

ويذكر شاف أنه كان لترتليانوس نظرة رائعة عن حياة الأسرة المسيحية. وكان يرفض الزواج الثاني، وقد نصح زوجته بألا تتزوج ثانيةً إذا ما توفى قبلها، أو على الأقل ألاّ تتزوج شخصًا غير مؤمن. إلاّ أنه في وقت لاحق وضع الزواج الثاني على نفس مستوى الزني.

ب- أعماله

١- الكتابات الدفاعية.

٢- كتابات ضد الهرطقات.

٣- كتابات أخلاقية أو عملية .

٤- الكتابات المونتانية.

٥- كتابات مفقودة .

٦- كتابات موضع شك .

تمهيد

تميز ترتليانوس بأسلوب خاص. وقد تبع التقليد الأدبي السائد في عصره، وتمثل كتاباته نماذج عديدة من معرفته بالأساليب البلاغية. كان متأثرًا بطريقة الخطباء اليونانيين، التي تفضل العبارات الموجزة والقصيرة على الجمل الطويلة، والزاخرة بالأسئلة أو الأسلوب الاستفهامي حيث تُتبع بإجابات محددة. واستخدم كثيراً أساليب الطباق والتورية، وقد صاغ أساليب جديدة ونحت تعبيرات لم يسبقه إليها أحد منذ أن كان تاسيتوس يفعل ذلك. وقد أدى استخدامه للتعبيرات التي تحتوي على معانٍ عديدة إلى أن قدرًا من الغموض كان يشوب أعماله. وساهم بحاسته الفنية بالنسبة للغة الكنسية الأولى. وستظل أعماله مصدراً أساسيًا لمعرفتنا باللغة اللاتينية المسيحية. فهي تضم عدداً كبيرًا من التعبيرات اللاهوتية الجديدة التي استخدمها المفكرون اللاهوتيون الذين جاءوا بعده . ولهذا السبب دُعي ترتليانوس "مبتكر اللغة اللاتينية الكنسية". ويرى كواستن أن هذه مبالغة، ولا تنصف تأثير أقدم ترجمات الكتاب المقدس العميقة والباقية إلى الآن، حيث أن كثيراً من الكلمات التي كان من المعتقد أن مبتكرها هو ترتليانوس سبق أن استخدمها أ. كولبنج A. Kolp-ing، وقد تبرهن ذلك من خلال دراسات حديثة. ومع ذلك فإنه حتى مع هذه التحفظات فمازال يتبقى الكثير مما هو من ابتكار ترتليانوس ويحفظ له مكانة بارزة في تاريخ الأدب المسيحي اللاتيني.

يرى "شاف" أن ترتليانوس كتب باليونانية واللاتينية فيما بين عامي ١٩٠م و٢٢٠م. وأن كتبه الأولى كانت باليونانية، أما كتبه الأخرى باللاتينية فقد فُقدت. ومعظم ما تبقى منها قصيراً، إلاّ أنها كثيرة وتمس كل مناحي الحياة الدينية تقريبًا.

النصوص المعترف بها

يذكر كواستن أنه توجد على الأقل ست مجموعات من أعمال ترتليانوس منذ بداية العصور الوسطى وهي تحتوي على النصوص التي يعترف بها التقليد.

أ- مجموعة Corpus Masburence

يرجح أنها ظهرت كمجموعة قبل سنة ٤٩٤م. ونحن نعرف نصوصها من خلال طبعة سيجيز موند جيلينيوس (Sigismund Gelenius) (بازل: ١٥٥٠م)، والتي اعتمدت على Codex Mesnartiann وMasburensis ، والأخيرة تحتوي على اثنتى عشرة رسالة وهي غير موجودة الآن.

ب- مجموعة Corpus Trecense

هي أصغر المجموعات الست. ويعتقد كرويمان (Kroymann) أن ڤنسنت ف. لرنس Vincent F. Lerins بدأ ترجمتها (توفى في سنة ٤٥٤م).

جـ- مجموعة The Corpus Agobardinus

يرجح أن زمانها يرجع إلى نفس زمن المجموعة الأولى. وقد حفظت تلك المجموعة في مخطوطة أجوباردينوس، وهي تضم واحداً وعشرين كتاباً من كتب ترتليانوس. أما مخطوطة Parisinus Latinus والتي تسمى أجوباردينوس (أ) على اسم مالكها الأول أجوبارد Agobard رئيس أساقفة ليون (٨١٤-٨٤٠ م.) فإنها لا تضم سوى ثلاثة عشر كتاباً، وبعضها غير كامل.

د- مجموعة Corpus Cluniacense

يرجح أن زمان جمعها يرجع إلى منتصف القرن السادس، حيث جمعت في أسبانيا. وتضم أكبر تصنيف لأعمال ترتليانوس حيث تحتوي على سبع وعشرين رسالةً. وهي تضم كتابات ترتليانوس ضد الهراطقة، والتي لا توجد في أي من المجموعات الأخرى.

هـ- ثمة مجموعة أخرى لا تنتمي إلى أي من المجموعات الأربع السابقة، ولم تكن معروفة حتى وقت قريب. حيث اكتشف السويدي جويستا كلايسون (Gosta Claesson) -أحد علماء فقه اللغة- في إحدى المخطوطات بمكتبة الفاتيكان عدداً من المقتطفات المأخوذة من كتابات ترتليانوس. وتتطابق الترجمات في عدد من المواضع مع مخطوطة تريسنسز Tre-censis إلا أنها في مواضع أخرى تظهر استقلالية مما يشير إلى حتمية وجود مجموعة خامسة.

و- ثمة اكتشاف مدهش للغاية في هولندا إذ نشر كل من أ. پ. ڤان شيلفجارد (A.P. Van Schilfgaard) وليفتينك (Lieftinck) جزازة من

(De Spectaculis) كانت محفوظة في أرشيف كيبل Keppel، ومحفوظة الآن في مكتبة ليدن Leiden. وهي مأخوذة عن مخطوطة ترجع إلى القرن التاسع. وتعرض نصًا غير موجود في أي من المجموعات السابق الإشارة إليها.

وثمة مخطوطات أخرى لم يعد لها وجود الآن إلا أنها معروفة لنا من خلال أقدم النسخ المطبوعة، وهي هامة أيضًا لتاريخ النص (كواستن- مرجع سابق).

تصنَّف كتابات ترتليانوس إلى أربع فئات هي:

١- دفاعية

٢- ضد الهرطقات

٣- أخلاقية أو عملية

٤- رسائل مونتانية

١- *الكتابات الدفاعية لترتليانوس*

في الكتابات الدفاعية لترتليانوس نجد أن كتابي Ad nationes وكتاب The Apologeticum ينتمي كل منهما للآخر. وكلاهما كتب في سنة ١٩٧م، ويعرضان لنفس الموضوع، ومع ذلك فإن كتاب Apologeticum يمثل الصيغة الأكثر اكتمالاً. ونظرًا لبعض الإشارات الواضحة إلى ثورة أبينوس ضد سبتيميوس ساويرس Septimius Severus والمعركة الدامية بمدينة ليون Lyons التي أعقبتها في ١٩ فبراير سنة ١٩٧م. فإنه يمكن اعتبار أن Ad nationes قد كتب قبل The Apologeticum.

(أ) إلى الوثنيين

تتكون الرسالة إلى الوثنيين (Ad nationes) من كتابين، أولهما يستهل بتوضيح أن الإجراء القضائي ضد المسيحيين لم يكن غير معقول فحسب، بل كان يتناقض مع كل مباديء العدالة. وهذا التجاوز للقانون أو التغاضي عنه يرجع إلي الجهل، وكذلك يرجع إلى حقيقة أن الوثنيين لا يعرفون ما يدينونه (١-٦). أما في الفصول (٧-١٩) فيدحض الكاتب الافتراءات المعتادة، ويثبت أنها غير صادقة، إلا أنه يضيف قوله، إنه حتى لو كانت صادقة، فإنها لا تعطي الوثنيين الحق في إدانة المسيحيين، لأن الوثنيين أنفسهم يرتكبون جرائم أسوأ. وفيما يظل الكتاب الأول دفاعيًا، فإن الكتاب الثاني يعد أكثر عدوانية.

(ب) كتابات دفاعية

تعد الكتابات الدفاعية "Apologeticum" أكثر أعمال ترتليانوس أهمية. وهي تختلف بشكل جوهري عن كتابه إلى الوثنيين، على الرغم من أنها تشابهه في المضمون. فالكتابات الدفاعية لها خطة، كما أنها تتميز بوحدة أكبر مما هو الحال في كتاب "إلى الوثنيين". ويبدو الأخير بالأحرى كمجموعة من المواد، لا كتاب متكامل. كما أن الكاتب يبدي

تحفظاً في كتابه "Apology" بأكثر مما هو الحال في كتابه إلى الوثنيين، وذلك لاختلاف من يخاطبهم في كلا العملين. فكتاب "إلى الوثنيين" كما يظهر من عنوانه، استهدف به العالم الوثني بصفة عامة، في حين أن كتاب "Apologeticum" كان موجهًا إلى حكام الولايات الرومانية، الذين يهاجمهم، ولو أنه يحاول أيضًا إقناعهم. ويواجه اتهامات الوثنيين ضد الديانة الجديدة، حيث يدافع عن أخلاق المسيحيين ويوضح تعليمهم في ذات الوقت الذي يهاجم سلوك وعقائد الأمم (موسوعة الكنيسة الأولى).

يرى ترتليانوس أن الجهل هو السبب في كراهية المسيحيين واضطهادهم فيقول في المقدمة:

"إن الحق يعرف أنها (أي المسيحية) غريبة على الأرض ومن السهولة أن تجد لها أعداءً بين من لهم ولاءً آخر، غير أنها تعرف أن جنسها، بيتها، رجاءها، مكافأتها، مجدها، كل هذه إنما تكون في السماء. وفي خضم ذلك تجدها شغوفة بأمر واحد- وهو ألاّ تدان دون أن تُعَرف. والإجراءات تعد سامية في محيطها ولكن ما الخسارة التي ستعانيها إذا ما سُمعت الحقيقة؟

والإجراء الذي تتخذه السلطات في المحاكمات يتعارض مع كل السوابق، ومع كل مبادىء العدالة، بل إن الوثنيين أنفسهم ليس بمقدورهم إعطاء سبب معقول يبرر كراهيتهم للاسم "مسيحي"، وقيمة كل التشريعات البشرية تعتمد على أخلاقياتهم وغاياتها. وبناء على ذلك، لا يمكن أن تكون المسيحية ضد قوانين الدولة. فضلاً عن ذلك فإن الفحص أثبت أن الأباطرة الأشرار فحسب هم الذين كانوا يصدرون تشريعات ضدها. أمثال هؤلاء كانوا دائمًا مضطهدينا، وكانوا غير عادلين، سيئي السمعة، الذين أنتم أنفسكم اعتدتم على إدانتهم، أما أولئك الذين ينتقدونهم على هذا النحو، فاعتدتم أن تُصلحوهم.

هذه الحقيقة تلقي الضوء على قيمة هذه التشريعات. وفضلاً عن ذلك، يثبت التاريخ أن القوانين يمكن إلغاؤها وقد أُلغيت بالفعل".

وقد اشتملت المقدمة على الفصول الستة الأولى. ثم يتناول ترتليانوس الجرائم السرية (الفصول ٧-٩).. ثم يعرض بتوسع للجرائم العامة التي اتُهم بها المسيحيون. فاتهموهم بأنهم يقتلون الأطفال لتقديمهم ذبائح وبغشيان المحارم.. وهي جرائم لم ترتكب قط. وطوال تلك الفترة كانت الشائعات هي المصدر الوحيد للجرائم المنسوبة إلى المسيحيين. إلا أن الوثنيين أنفسهم كانوا يرتكبون هذه الفظائع. أما الأكثر خطورة فهي الاتهامات الخاصة باحتقار ديانة الدولة، والخيانة العظمى. وقد أظهر ترتليانوس براعة في الدفاع -كمحام- ضد هذه الجرائم.

"إن المسيحيين يوقرون خالق العالم، الإله الحقيقي الوحيد الذي أعلن عن ذاته في الأسفار

المقدسة، ولذلك فإنه من الظلم اتهامهم بالإلحاد، بالنظر إلى أن ما يدعونها آلهة الوثنيين، ليست في الواقع آلهة، لأنها لا تزيد عن البشر الموتى. ولذلك فلا غرابة من السخرية من هذه الآلهة. وهذا الاعتراف بأن تلك التي يدعونها آلهة، ليست بآلهة، وردهم بأنه ليس هناك سوى الإله الواحد الذي نعبده، يكفي تماماً لدحض الاتهام بالخيانة والموجَّه لنا، ولاسيما بالنسبة لديانة روما. فإذا لم تكن آلهة بالقطع، إذاً فهي ليست قطعًا ديانة، وإذا لم تكن ديانة لأنها بالقطع ليست آلهة، إذاً نحن بالقطع لسنا مذنبين بالإساءة إلى ديانة. وعلى النقيض من ذلك فإن اللوم يرتد عليكم، لأنكم بعبادة شيء باطل، وإهمالكم الديانة الحقة، والإله الحقيقي، وفوق كل ذلك، بهجومكم عليها، فإنكم تقترفون ضد الله جريمة المروق والزندقة".

وهنا يطالب ترتليانوس بحرية العقيدة فيقول: "تأملوا هذا لأنه قد يشكل أيضًا جزءًا من الاتهام بالمروق- إلغاء حرية العقيدة، منع إنسان من اختيار إلهه، بحيث إني لا أعبد من أريد، بل أُجبر على عبادة من لا أريد، وما من أحد يرغب في قبول عبادة عن طريق القهر... إننا وحدنا الذين يُحرَّم علينا أن يكون لنا دين من اختيارنا. نُتهم بأننا نُسيء إلى الرومانيين -ونحن لسنا من الرومانيين- لأننا لا نعبد آلهة الرومانيين. ونشكر الله لأنه إله الجميع، وأننا جميعًا له، سواء قبلنا ذلك أم رفضنا. غير أنه في نظركم فإنه من المشروع عبادة أي شيء مهما كان طالما أنه ليس الإله الحقيقي- كما لو أنه ليس إله الكل الذي نحن جميعًا له".

بعد ذلك يدحض ترتليانوس الاعتقاد العام القائل بأن الرومانيين يحكمون العالم لأنهم يوقرون الآلهة. فالإله الحقيقي وحده هو الذي يوكل السلطة الشاملة لمن يختاره. وليس العناد هو الذي يمنع المسيحيين من عبادة آلهة الدولة، بل إدراكهم بأن هذه عبادة شياطين. ولذلك فإنهم لن يقدموا ذبائح حتى من أجل الامبراطور. ولاسيما أن هذه الآلهة المزعومة عاجزة عن مساعدته، ورفضها لا يمكن أن يعد جريمة. بل على النقيض من ذلك، فإنهم يُصلّون إلى الإله الحقيقي من أجل الحاكم. وهنا يُرجع ترتليانوس كل سُلطة إلى الله فيقول:

"لأننا من أجل سلامة الامبراطور -نتضرع إلى الله، الإله الحقيقي، الإله الحي، الذي يفضل الأباطرة أنفسهم أن يساعدهم هو دون أية آلهة أخرى. وهم يعرفون من الذي أعطاهم الامبراطورية، وكبشر يعرفون من الذي أعطاهم حياة، إذ يشعرون أنه هو وحده الله الذي يسيطر عليهم دون سواه".

ولكي يبين أن المسيحيين ليسوا أعداءً للدولة ولا للجنس البشري، وأنه من الظلم الحكم بعدم مشروعية الاختلاط بينهم، قدَّم ترتليانوس وصفًا رائعًا للعبادة المسيحية فيقول:

"نحن مجتمع له شعور ديني مشترك. لنا وحدة في النظام، ورجاء مشترك. ونحن نلتقي في الاجتماعات أو الكنائس لكي نتقدم إلى الله في الصلاة، نجمع أنفسنا في حضرته، والله يُسر بذلك. ونحن نصلي أيضًا من أجل الأباطرة، ومن أجل وزرائهم، ومن أجل من هم في السُلطة، ومن أجل خلاص العالم، من أجل السلام على الأرض، ومن أجل تأجيل النهاية. نحن نلتقي لكي نقرأ كتاب الله، لنرى ما إذا كان ثمة شيء في طبيعة الأزمنة يدفعنا إلى التطلع إلى المستقبل أو أن نفتح أعيننا على الحقائق. وعلى أية حال، فإننا بهذه الأقوال المقدسة، فإننا نغذي إيماننا، ونرفع رجاءنا، ونقوي ثقتنا، فضلاً عن أننا ندعم تعليمنا بإطاعة وصايا الله. ورؤساؤنا هم شيوخ من الشخصيات المشهود لهم. أناس وصلوا إلى هذا الشرف ليس مقابل ثمن، بل بشخصياتهم لأنه لا شيء يخص الله يُعطى بثمن. حتى وإن كان ثمة صندوق من نوع ما، فإنه لا يجمع حصيلته من رسوم دخول، كما لو كانت الديانة تخضع لعقد. فكل رجل يقدم مرة في الشهر ما يقدر عليه، وإذا ما رغب في ذلك لأنه ليس أحد مجبراً على ذلك، لأنها تقدمة اختيارية. ويمكنك أن تسميه صندوق أعمال المحبة. لأن متحصلاته لا تصرف على الولائم أو الحفلات التي تقدم فيها المشروبات والمأكولات، بل تنفق على إطعام الفقراء، ودفن موتاهم، كما تنفق على الأطفال اليتامى الذين لا مأوى لهم، كما على العبيد الذين وصلوا إلى مرحلة الشيخوخة، أو المسجونين، والمعوزين شريطة أن يتم ذلك بغية محبة الله. وأعمال المحبة هذه (حيث إنها كذلك) تُعَد علامة لنا في نظر البعض حيث يقولون: "انظروا كيف يحبون بعضهم بعضًا - لأنهم هم أنفسهم يكرهون بعضهم البعض- وكيف أنهم على استعداد لأن يموت كل منهم في سبيل الآخر، أما بالنسبة إليهم، فإنهم على استعداد لأن يقتلوا بعضهم البعض".

أما في القسم الختامي (٤٦-٥٠) فإن ترتليانوس يدحض الفكرة القائلة بأن المسيحية إن هي إلا مجرد فلسفة جديدة. فالمسيحية أكبر بكثير من أن تكون مجرد تخمين عن أصل الإنسان. فالمسيحية إعلان إلهي. إنها الحق الذي أظهره الله. ولهذا السبب لا يمكن لمضطهديها القضاء عليها. لأن ذلك هو الطُعم الذي يجذب الناس إلى ديانتنا. فعددنا يزداد كلما قتلتم منا الكثيرين. فدماء المسيحيين إن هي إلاَّ بذار.

ونفهم من بعض فقرات في كتاب يوسابيوس المؤرخ القيصري "التاريخ الكنسي" أن كتاب ترتليانوس "Apologeticum" قد تُرجم إلى اليونانية، ولعل ذلك كان بعد ظهوره مباشرة. والترجمة - التي من المرجح أنها تمت في فلسطين- اختفت بعد ذلك بزمن طويل، غير أن وجودها يشير إلى أهمية عمل ترتليانوس. وكتابه Apologeticum يعد -بإجماع الآراء- درة وتاج كل أعماله الفكرية.



نظرًا للأهمية البالغة لكتاب Apologeticum، فإننا نجد كثيرًا من الاقتباسات مأخوذة منه وتظهر في أعمال كل من كبريانوس، لاكتانتيوس وچيروم، ولكنه استبعد أساسًا من المجموعات الأربع السابق ذكرها. وقد أضيف في وقت لاحق إلى مخطوطة Montepessulanus، وبذلك تم إدماجه -بمعرفة نسَّاخ لاحقين- في أعمال ترتليانوس. وتحتفظ بنصه مالا يقل عن ست وثلاثين مخطوطة وتشكل ما يعرف باسم (Vulgata recensio)، وقد استخدم هوپ (Hoppe) اثنين منها لطبعته الجديدة في (CSEL). إلا أنه يوجد نص آخر يختلف اختلافًا بيِّنًا عن Vulgata recensio وهو يقوم على أساس مخطوطة Fuldensis والتي اختفت تمامًا، والتي لا نعرف عنها سوى أنها كانت تضم Apologeticum و Adversus Iudaeos ومع ذلك فقد وجدها في Fulda في خريف سنة ١٥٨٤م، حيث اطلع عليها فرانسيسكوس موديوس (Franciscus Modius) وقارنها بطبعة دو لابار De La Barre، وسجل ما لا يقل عن تسعمائة اختلاف. ثم أضافها فرانسيسكوس يونيوس Franciscus Junius كملحق للجزء الثاني من كتابه "ترتليانوس" الذي كان تحت الطبع في ذلك الوقت. وظهر في سنة ١٥٧٩م في فرانيكر Franeker . ثم أعيد طبعها بمعرفة ڤالتزنج Waltzing في متحف Belge (١٩١٢).

وجد "هوب" Hoppe في مكتبة بريمن Bremen وStadtbiblio thek مخطوطة (C48) والتي تعيد على صفحاتها أرقام (١٣١-١٤٦) بداية مقارنة موديوس، والاختلافات للفصول (١-١٥). وقد اكتشف أ. سوتير A. Souter في مكتبة Kantons-bibtio thek بزيورخ مخطوطة Rhenauglensis والتي تحتوي على شذرة من Apologeticum (في الفصول ٣٨ و٣٩ و٤٠) ، وثبت أنه إن لم تكن تلك نسخة Fuldensis فإنها بكل تأكيد شاهد للتقليد الخاص بالنص... ومن هذا عرفنا أنه كانت في القرن العاشر ثمة مجموعتين مختلفتين من المخطوطات الأولى تمثلها Vulgata recensio والأخرى تمثلها Fuldensis.

(جـ) شهادة النفس

كان من عادة الفلاسفة الهيلِّينيين من أمثال بوسيدينيوس وفيلو وكريسيبوس وسينيكا وغيرهم، أن يستخلصوا معرفة الله من العالم الكبير Macrocosm، ومن الإنسان بوصفه صورة للعالم الصغير Microcosm، من الكون الكبير، والعالم الصغير للنفس البشرية. وقد اتبع ترتليانوس هذا النهج. ونعرض فيما يلي ملخصًا لما جاء في الفصل السابع عشر من كتابه Apologeticum:

"أتفضل أن تحصل على الدليل من أعمال يديه، العديدة جداً، والعظيمة للغاية والتي تضمك كما تعينك. والتي تعمل كلها من أجل سعادتك، وتبعث فيك الرهبة من الله. أم تفضل أن تحصل عليه من شهادة النفس ذاتها؟ على الرغم من أنها تحت



عبودية شديدة الوطأة للجسد، وعلى الرغم من أنها كثيراً ما تضل نتيجة العادات الفاسدة. وعلى الرغم من وهنها نتيجة الشهوات والأهواء، وعبوديتها للآلهة الزائفة، فإنها حين تعود إلى ذاتها، فإنها تشعر كما لو كانت عائدة من تخمة أو نوم أو مرض، ولكنها حين ترجع إلى حالتها الصحية الطبيعية تراها تتحدث عن الله، ولا تستخدم أية كلمة أخرى لأن هذا هو الاسم الصحيح للإله الحقيقي. "الله العظيم"، الله الصالح. وبحسب ما يعطي الله! تجدها الكلمات التي تتردد على كل لسان. وهذه تحمل أيضًا الشهادة بأن الله قاض، حيث تهتف: "الله يرى"، "إني أسلم نفسي لله"، و "الله سوف يكافئني". ويالها من شهادة نبيلة بأن النفس بطبيعتها مسيحية!". (١٧:٤-٦).

وتلك الحجة التي نجدها في Apologeticum تم التوسع فيها وعولجت في عمل خاص تحت عنوان "شهادة النفس" وقد كُتبت في سنة ١٩٧م، وهي نفس السنة التي كُتب فيها Apologeticum.

والطابع الدفاعي الذي تتسم به هذه الرسالة واضح من محاولة الكاتب استخدام النفس التي لم تفسدها التربية، كشاهد على وجود الله وصفاته، وعلى الحياة بعد الموت، وعن الثواب أو العقاب في العالم الذي هو ما بعد الموت. وتتكون هذه الرسالة من ستة فصول.

وعلى النقيض من الآباء المدافعين اليونانيين يشدد ترتليانوس على عقم اللجوء إلى الفلسفة. فالطبيعة في نقائها وبساطتها تعد شاهداً للحق أفضل من كل تعليم فيقول: "أنت (أيها النفس)، كما أعرف جيداً لست مسيحية، لأن الإنسان يصبح مسيحياً، ولا يولد مسيحيًا" (الفصل الأول). وعبارة (anima naturaliter christiana) "أي النفس بطبيعتها مسيحية" لا تشير بداهة إلى أية معرفة بالله، وإنما تعني بالأحرى الإدراك التلقائي للخالق بشكل مباشر من الكون، ومن الاختبار، ومما تثبته أمارات الإعجاب التي تصدر عن الناس يوميًا. وهكذا فإن الفطرة السليمة تعرفنا بوجود "الكائن الأسمى". وقد اختلف النقاد في حكمهم على هذه العبارة القصيرة، فقد بدت ضعيفة عند البعض، بينما وجدها آخرون نفيسة للغاية. فمن بين كل أعمال ترتليانوس كانت هذه أعمقها، ولاقت أكبر استحسان، والدلائل التي ذكرها قد تكون غير كافية، إلا أن البرهان النفسي يلقى الاقتناع به حتى من القاريء الحديث.

(د) إلى سكابولا

كتب ترتليانوس إلى سكابولا Scapula الوالي (٢١١-٢١٣م) خطاباً مفتوحًا. كان سكابولا واليًا لأفريقيا، بدأ يضطهد المسيحيين، وبالغ في ذلك حتى إنه كان يلقي بهم للوحوش الضارية أو يحرقهم حتى الموت. ويبدو أن ترتليانوس كتب له



ذلك الخطاب في سنة ٢١٢م، لأنه يشير إلى الكسوف الكلي الذي وقع في ١٤ أغسطس سنة ٢١٢م، كعلامة على الغضب الإلهي. ويأتي في خمسة فصول.

كتب ترتليانوس: "إنه حق جوهري للإنسان، أو امتياز طبيعي أن كل إنسان يؤدي العبادة طبقًا لمعتقداته: ذلك أن ديانة إنسان لا تضر، ولا تساعد إنسانًا آخر. ومن المؤكد أنه ليس من الديانة في شيء أن تفرض الديانة فرضًا".

يشدد ترتليانوس في المقدمة إنه لم يكتب رسالة لدافع شخصي، ولا كإنذار عن الاضطهادات، بل كان دافع كاتبها المحبة المسيحية لأعدائه والاهتمام بهم. وإجبار المسيحيين على تقديم الذبائح أمر غير معقول ويتناقض مع الحقوق الأساسية لحرية الضمير والفكر. فالمسيحيون ليسوا أعداءً لأحد ولاسيما امبراطور روما، الذي يعرفون أنه معين من قبل إلههم ولذلك ليس أمامهم سوى أن يحبوه ويبجلوه، وفضلاً عن ذلك عليهم بالضرورة أن يطلبوا سلامته وسلامة الامبراطورية التي يحكمها طالما بقى العالم، لأن روما ستستمر. وفي الفصل الثاني يعرض للصلوات والذبائح التي ترفع من أجل سلامة الامبراطور، ولكنها ترفع إلى الله الذي يعبده المسيحيون، وطبقًا للطريقة التي أوصى بها الله، وفي صلاة بسيطة. لأن الله خالق الكون ليس في حاجة إلى روائح ودماء، لأن هذه طعام الشياطين.

إنه لما يحزن المسيحيين أنه ما من دولة تسفك دم المسيحيين وتمضي بلا عقاب لهذا الإثم. وتوجد بالفعل علامات على غضب الله الوشيك. ويتوقع ترتليانوس موضوعًا أفاض لاكتانتيوس الحديث فيه في كتابه "موت المضطهِدِين" حيث أشار إلى موت بعض حكام المقاطعات الذين شعروا في ساعاتهم الأخيرة بذكريات أليمة لخطيتهم المتمثلة في اضطهاد أتباع المسيحيين (الفصل الثالث).

أما الفصل الرابع فيُستهل بتحذير واضح: "نحن الذين بلا خوف، لا نسعى لكي نُخيفك، إلا أننا نريد خلاص كل الناس لو أمكن وذلك بتحذيرهم من مغبة محاربة الله". (وقد اقتبس هذا باليونانية مما جاء في سفر الأعمال" لئلا توجدوا محاربين الله" (أعمال ٥:٣٩). ويمكن للولاة دائمًا أن يزاولوا واجبهم وذلك في إطار تذكرهم لمتطلبات النواحي الإنسانية. ويتصرف سكابولا ضد التعاليم التي سبق أن أصدرها بنفسه إن أجبر المسيحيين على إنكار المسيح.

أما في الفصل الأخير فإنه يحذره أن ينقذ قرطاجنة، إن لم يكن يريد إنقاذ نفسه. فالقسوة لا تنفع، بل سوف لا تؤدي إلاَّ إلى زيادة عدد المؤمنين فيقول:

"ولا سيد لنا سوى الله، وهو قبلك، وهو ليس بخفي عنك، ولست بمستطيع أن تلحق به أي أذى.

غير أن الذين تعبدهم أنت أسياداً، إن هم سوى بشر، وسيأتي اليوم الذي من المحتم أن يموتوا فيه. غير أن هذا المجتمع لن يموت، وكن على ثقة من أنه في الوقت الذي يبدو فيه وكأنه قد انهار، سيبني فيه ليصبح ذا قوة أعظم. لأن كل الذين شهدوا الصبر النبيل الذي تحلى به شهداؤه يساورهم الشك، وتأخذهم الرغبة الحميمة لفحص هذا الموضوع، وحالما يعرفون الحقيقة يسرعون بقيد اسمهم كتلاميذ له". (الفصل الخامس)

(هـ) ضد اليهود

كان الدافع وراء كتابة هذا الموضوع، هو النزاع الذي نشب بين أحد المسيحيين، وأحد اليهود الدخلاء، ذلك النزاع الذي استمر طيلة النهار وحتى المساء. حيث "بدأت سحابة ما تلقى بظلالها على الحقيقة".

كتب ترتليانوس: "لذلك كان من دواعي سرورنا- أن ذاك الذي لم يمكن توضيحه بالكامل بنداً بنداً نتيجة الضوضاء والتشويش الذي نتج عن النزاع- أن نرى أنه يجب أن ندقق النظر فيه بكل عناية، وأن القلم يجب أن يحدد المسألة المطروحة، بهدف قراءتها. وكان هدف الفصول الثمانية الأولى أن تبين أنه بالنظر لابتعاد إسرائيل عن الرب ورفضها نعمته، فلم يتبق للعهد القديم أي نفوذ سوى أنه يجب تفسيره روحياً، ولهذا السبب دُعي الأمميون (الفصل الأول).

وكان الناموس موجوداً قبل موسى- ذاك الذي أعطاه الله لجميع الأمم. ولقد سُن التشريع أولاً لآدم وحواء في الجنة، وكان هذا بمثابة الرحم لكل المبادىء الإلهية القاطعة. وفضلاً عن ذلك فإن ناموس اليهود المكتوب على ألواح حجرية، جاء بعد ذلك الذي لم يكن مكتوباً، الذي هو ناموس الطبيعة. وبناء على ذلك لم يكن السابق ضرورياً للخلاص، فالختان (الفصل الثالث)، وحفظ السبت (الفصل الرابع)، والذبائح القديمة (الفصل الخامس)، كلها أُبطلت، والناموس القائل عيناً بعين خضع لناموس المحبة. ومعطي هذا العهد الجديد، الذي هو كاهن الذبيحة الجديدة، والذي يحفظ السبت الأبدي كان قد ظهر بالفعل (الفصل السادس)- المسيح الذي تنبأ عنه الأنبياء باعتباره الملك الأبدي لمملكة أبدية (الفصل السابع). كما تنبأوا عن زمن ولادته، وعن آلامه، وخراب أورشليم الذي تنبأ عنه دانيال (الفصل الثامن)". ويعد كتاب يوستينوس "حوار مع ترايفو" (Trypho) هو المصدر الرئيسي لهذا القسم.

أما الفصول (٩-١٤) فيعرض فيها البراهين على أن النبوات المسيانية قد تحققت في مخلصنا (المسيح). ويرى كواستن -بل ويؤكد- أنها منحولة، فهي مجرد اقتباسات من الجزء الثالث من كتاب ترتليانوس "في مواجهة المارقيونية"، وتمثل محاولة ضعيفة لإتمام العمل.

٢- كتابات ضد الهرطقات

أ- وصف الهراطقة

توضح رسالة De Praescriptione haereticorum حرم (استبعاد) الهراطقة معرفة ترتليانوس العميقة بالقانون الروماني بأكثر مما توضحه كل أعماله الأخرى. وكان من المفترض أن تنهي الرسالة النزاع بين الكنيسة وجميع الهراطقة، وذلك بتقديم الحجة الفنية والقانونية، أي الاعتراض القانوني الذي بواسطته يرغب المدَّعى عليه إبطال القضية بالصيغة التي قدمها بها المحامي. وهذا ما يؤدي إلى رفض تام للقضية. وهذا الاعتراض القانوني يجب أن يقدم كتابة بالصياغة القانونية. فطبقًا لما يقوله ترتليانوس، فإن الخصم لا يستطيع استخدام الأسفار المقدسة -وهي موضع النزاع بين الكنيسة وخصومها- لسبب بسيط هو أن الكتاب المقدس ليس كتابه.

ولذلك نأتي إلى (أساس) موقفنا، لأنه عند هذه النقطة التي نستهدفها، والتي من أجلها كنا نعد في مستهل خطابنا الذي أكملناه للتو (الفصول ١-١٤) -حتى نستطيع الآن أن ننضم إلى موضوع النزاع الذي يتحدانا به خصومنا. لقد قدَّموا الأسفار المقدسة، وهم بوقاحتهم هذه تمكنوا في الحال من التأثير على البعض. ومع ذلك، فإنه في المواجهة نفسها فإنهم ينهكون القَوى، ويصيدون الضعيف، ويصرفون المتقلقلين وقد تملكهم الشك. ولذلك فإننا عارضناهم بالنسبة لهذه الخطوة قبل أي شيء آخر. وهكذا لم نسمح لهم بأية مناقشة للأسفار المقدسة.

وإذا كانت تلك هي مصادرهم، وقبل أن يتمكنوا من استخدامها، فيجب أن يُعرف بكل وضوح من الذين يمتلكون الأسفار المقدسة، حتى لا يُسمح لأحد باستخدامها (تفسيرها) ولاسيما أولئك الذين ليس لهم الحق إطلاقًا في هذه الميزة.

لقد أقر الرسول بولس (ارجع إلى تيموثاوس الأولى ٦: ٣و٤، تيطس ٣: ١٠) على استبعاد الهراطقة من استخدام الأسفار المقدسة (الفصل السادس عشر)، لأنهم لا يستخدمونها بل يسيئون استخدامها (الفصل السابع عشر). فثمة خطر عظيم يلحق بضعيف الإيمان من أية مناقشة من الأسفار المقدسة مع أمثال أولئك الناس، ولا يأتي الإقناع إطلاقًا للمنشق من خلال عملية كهذه (الفصل الثامن عشر). والكتاب المقدس لا ينتمي إلا لمن لديهم قانون الإيمان، والسؤال الذي يبرز الآن هو: مما، وعلى يد من، ومتى، وإلى من سُلِّم هذا القانون والذي بمقتضاه يصبح الناس مسيحيين؟ لأنه حيثما يتضح ذلك، سيتضح القانون والإيمان المسيحيان الحقيقيان. وستتضح الأسفار المقدسة الحقيقية وتفسيراتها أيضًا. وكذلك كل التقاليد المسيحية (الفصل العشرون). وقد وضع ترتليانوس قاعدتين للحرم -كما بيَّن ج. شتيرنمان



K. Stirnimann– واللتين تجـردان جـمـيع النظم الهرطوقية من أساسها.

القاعدة الأولى للحرم: أرسل المسيح تلاميذه باعتبارهم الكارزين بالإنجيل، ولهذا السبب ليس أحد بخلاف الذين عينهم السيد المسيح يجب قبوله ككارز له.

القاعدة الثانية للحرم: قام الرسل بتأسيس الكنائس، وأعلنوا لهم الأناجيل، وفوضوهم بإعلانه للآخرين. ولهذا السبب فإن هذا الذي كرزوا به – وبعبارة أخرى ذاك الذي أعلنه لهم المسيح– لا يمكن، – وهذا ما يجب أن أقول أنا به أيضًا– أن يتم إثباته بشكل صحيح، إلاَّ بواسطة نفس هذه الكنائس التي أسسها الرسل بأنفسهم. في حين أن كل تعليم يجب أن يحكم عليه مقدمًا بأنه زائف. إذا ما كان به أي تعارض مع الحق الذي تنادي به الكنائس ورسل المسيح والله (الفصل الحادي والعشرون). إلا أن ترتليانوس يعلن أنه على استعداد لأن يفسح المجال لفترة للجانب المعارض (الفصل الثانى والعشرون) .

وقد أجاب عن سؤالين ، أولاً : لم يكن التلاميذ ناقلين أمناء للحق من ناحية أنهم كانوا يجهلون أشياء معينة ، أو أنهم لم يوصلوا كل ما كانوا يعرفوه للجميع (الفصول ٢٢ – ٢٦) ، ثانياً : إن الكنائس لم تكن أمينة فى تسليم وديعة الإيمان (الفصل السابع والعشرون) . إنه لمن الوقاحة الاعتقاد أن الإعلان الإلهى اضطر أن ينتظر بعض الهراطقة ليحرروه ، وأن الإنجيل خلال هذه الفترة قد حُرِّف . فى كل الأحوال ، لابد أن يعلو الحق على الباطل ، والوجود السابق لوجود الكنيسة يعد دلالة على نقائها (الفصل التاسع والعشرون) . والمثل الذى ذكره السيد المسيح يتحدث عن البذار الجيدة قبل أن يتحدث عن الزوان ، الذى لا نفع منه ، الأمر الذى يشير إلى أن ما قُدم أولاً كان من الرب وكان حقاً ، أما الذى قُدِّم بعد ذلك فهو غريب وزائف .

ومبدأ أولوية الحق، والتأخير النسبي للباطل يقف في مواجهة كل الهرطقات (الفصل الحادى والثلاثون) . ولم تتسامح الكنيسة إطلاقًا بالنسبة لأي تغيير في الأسفار المقدسة، في حين أن المعارضة عبثت بها وحرفتها (الفصل الثامن والثلاثون). إلاَّ أنه لا يوجد سوى خلاف بسيط بين المنشقين حول الموضوعات المتعلقة بالإيمان والوثنية. كلاهما معولان للهدم والتخريب، وكلاهما مولود من الشيطان (الفصل الأربعون). وسلوك الهراطقة مشين، لأنهم فقدوا مخافة الله (الفصول ٤١–٤٤). وثمة قول في الخاتمة (الفصل الرابع والأربعون) يشير إلى أن كتاب حرم الهراطقة (De Praescriptiene) لا يشكل سوى مقدمة عامة يجب اتّباعها في المستقبل القريب بمعالجة واضحة للأخطاء المختلفة: وبالنسبة للموضوع الراهن، فالواقع أن رسالتنا قد اتخذت بالأحرى موقفًا عامًا

ضد الهرطقات (مبينة أنه يجب) دحضها جميعًا على أساس إدانة محددة وعادلة وضرورية، دون أية مقارنة بالأسفار الإلهية. أما بالنسبة للهرطقات الأخرى، فإذا سمحت نعمة الله، فلسوف نعد إجابات عن سن هذه الهرطقات في رسائل منفصلة.

ويعد كتاب "حرم الهراطقة" هو أكثر كتابات ترتليانوس من حيث الاهتمام والتميز والقيمة. وقد اكتسبت الأفكار الرئيسية لهذه الرسالة إعجابًا شديداً في ذلك الحين. ولا نعرف على وجه التحديد تاريخًا لها، إلا أنه يمكن ردها إلى الفترة التي كان يتمتع فيها بأفضل علاقة بكنيسته، وربما كان ذلك في نحو عام ٢٠٠م.

وقد أُضيفت في نهاية الكتاب عدة فصول (الفصول ٤٦-٥٣) وتضم اثنتين وثلاثين هرطقة.

ب- ضد مارقيون

(يمكن الرجع إلى الفصل السادس من الجزء الأول الخاص بهرطقات قبل عصر نيقية لدراسة فكر مارقيون).

تعد هذه الرسالة أطول أعمال ترتليانوس، وهي إحدى "الرسائل المنفصلة" التي كتبت ضد هرطقات معينة، والتي وعد بها في خاتمة رسالته "حرم أو استبعاد الهراطقة" التي سبق وأن درسناها. ولرسالة ضد مارقيون أهميتها البالغة لأنها تشكل المصدر الرئيسي لمعرفتنا بهرطقة مارقيون. وهي تتكون من خمسة كتب.

في **الكتاب الأول** كتب ترتليانوس: "لقد أعلنت الحقيقة المسيحية بكل جلاء هذا المبدأ: الله لا يكون هو الله إن لم يكن واحداً، لأننا وعلى وجه صحيح للغاية نؤمن ونؤكد أنه لا وجود لمن لا يوجد كما ينبغي.. وهذا الكائن الذي هو (الكائن الأسمى)لابد وأن يكون متفرداً، وذلك بألا يكون ثمة مساوٍ له وبذلك لا ينقطع أن يكون الكائن الأسمى".

إن ترتليانوس يدحض فكرة الثنائية بين إله العهد القديم وإله العهد الجديد، تلك الفكرة التي نادى بها مارقيون. ويخلُص إلى أن خالق العالم هو الإله الصالح، وهو ما يوضحه في **الكتاب الثاني**.

أما في **الكتاب الثالث** فيرد ترتليانوس على الادعاءات التي قال بها مارقيون عن شخص السيد المسيح، فيفند ادعاءاته بأن المسيا الذي تنبأ عنه العهد القديم لم يأتِ بعد، فيوضح ترتليانوس أن المسيح الذي جاء إلى الأرض هو المخلص الذي تنبأ عنه الأنبياء، والذي أرسله الخالق.

أما في **الكتابين الرابع والخامس** فيعرض تعليقًا نقدياً على العهد الجديد الذي جمعه مارقيون. فيثبت أنه لا تعارض بين العهد القديم والعهد الجديد، بل إنه حتى نصوص العهد الجديد التي اختارها مارقيون تدحض تعاليمه الهرطوقية.

والرسالة طُبعت ثلاث طبعات ، ويقول ترتليانوس إنه أضاف الكثير في التنقيح الأخير



(وطبقاً لما يقوله العالم Gilles Quispel العالم البارز في تاريخ الأديان بجامعة انترخت في هولندا، بأنه يتألف من الكتابين الرابع والخامس). إذ يبدو أن الطبعة الأولى لم تكن تتضمن سوى الكتاب الأول ، أما الطبعة الثانية فيُفترض أنها تتناول الموضوع بكثير من التفصيل ، مما أدى إلى ظهور الكتاب الثانى . غير أن عملية التنقيح التى أجراها ترتليانوس في الطبعة الثالثة تطلبت إعادة صياغة المادة كلها، وكان من شأن ذلك أن توسع الكتاب الأول إلى كتابين: الكتاب الأول والكتاب الثاني، وأضيف كتابان: الرابع والخامس.

أما الكتاب الثالث فقد استخدم كتاب يوستينوس "حوار مع تايفو" (Dialogue with Ty-pho) كمصدر أساسي، كذلك استخدم كتاب إيريناوس "ضد الهرطقات". وقد استخدم في الكتاب الرابع كتاب Antitheses لمارقيون، وهي النسخة التي كونها للعهد الجديد، واستخدم نصاً يونانياً من نفس الكتاب. ولذلك فإن هذا القسم من الكتاب يكتسب أهمية خاصة فيما يتعلق بتاريخ النص الكتابي. أما فيما يتعلق برأي هارناك والقائل بأن ترتليانوس كان يستخدم الترجمات اللاتينية، فإن التعبيرات اليونانية الواضحة التي استشهد بها من كتاب "Antithesis" تدحض هذا الرأي بشكل قاطع، على الأقل بالنسبة لهذا العمل. أما كويسبل فيذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أن الاقتباسات الكتابية سواء المارقيونية أو النص المأخوذ من نفس الكتاب قام ترتليانوس نفسه بنقلها ولم يعتمد على ترجمات كانت قائمة من قبل. ونفس الشيء ينطبق على الكتاب الخامس الذى يعرض للطبعة المارقيونية لرسائل الرسول بولس. وربما كان ترتليانوس على معرفة بوجود ترجمة يونانية للكتاب المقدس، وكان يرجع إليها بين وقت وآخر، إلا أن نصوصه تختلف بشكل جوهري عن نصوص كبريانوس وعن الفولجاتا.

ويقدم الكاتب دليلاً على أنه كتب الكتاب الأول في السنة الخامسة عشرة للامبراطور ساويرس أي في سنة ٢٠٧م. وقد توالت الكتب الأخرى على فترات قصيرة، باستثناء الأخير حيث كتبه بعد "عن القيامة" De resurrectione، كما أشار إلى ذلك. وهكذا نصل إلى نحو سنة ٢١٢م. وهو ما يتفق والمونتانية التي لمسناها في فقرات معينة.

ونعرف مما كتبه يوسابيوس المؤرخ القيصري في كتاب (تاريخ الكنيسة ٤:٢٤) أن ثاؤفيلس الأنطاكي قد وضع مؤلفًا بعنوان "ضد مارقيون" ومما يدعو للأسف أن هذا الكتاب قد فُقد. ولعل ترتليانوس استند إلى هذا الكتاب في كتابه الثاني.(ارجع إلى الجزء الثالث : الكنيسة في أنطاكية) .

جـ- ضد هرموچينس

لم يكن ترتليانوس هو أول من كتب ضد



الرسـام الغنوسي هرمـوچينس القـرطاجنى . إذ يذكر يوسابيوس المؤرخ أن ثاؤفيلس الأنطاكى قد سبقه إلى ذلك وكتب « ضد هرطقة هرموجينس » . والكتاب الأخير بالرغم من عدم وجوده الآن ، إلا أنه ربما كان معروفاً لكاتبنا واستخدمه كأحد مراجعه . (انظر الجزء الثالث : الكنيسة فى أنطاكية) .

كان هرموجينس يقول بخلود المادة ، حيث جعلها مساوية لله ، وبذلك جعل ثمة إلهين ، وطبقاً لما ذكره ترتليانوس فإن هرموجينس استمد تعليمه من الفلسفة الوثنية .

وفى كتابه « النفس » (De anima) يشير ترتليانوس عدة مرات إلى أنه نشر كتاباً آخر ضد هرموجينس عن أصل النفس De censu anima ولكنه لم يحفظ .

د- ضد أتباع ڤالنتينوس

يعد هذا الكتاب تعليقًا ساخرًا على عقيدة تلك الشيعة الغنوسية، وهو يعتمد في ترتيبه ومادته بشكل وثيق على الكتاب الأول لإيريناوس "Adversus haerses"، إلاَّ أنه استخدم أيضًا كتابات كل من يوستينوس الشهيد، وميلتيادس Mel-tiades، وبروكولوس Proculus، كما يذكر ترتليانوس نفسه ذلك.

تتألف الرسالة من تسعة وثلاثين فصلاً، من بينها المقدمة (الفصول ١-٦) والتي تعطي الانطباع باستقلالية أعظم، حيث يشرح المؤلف الطابع السري لأتباع ڤالنتينوس.

كان ترتليانوس قد أشار إلى رغبته في أن يكتب عملاً أكثر أهمية من هذا العمل، وفي نفس الموضوع، لذا أطلق عليه" أول سلاح على الإطلاق تسلحنا به لهذه المواجهة (الفصل الثالث) . وتحدث عنه قائلاً: "هذا العمل الصغير الذي لم نقصد به سوى أن نقدم هذا السر" (الفصل السادس).. ويتعين عليَّ أن أؤجل كل مناقشة وأقنع في الوقت الحاضر بمجرد الشرح.. ليعتبره القارىء بمثابة المناوشة التي تسبق المعركة.

هـ- عن المعمودية

يعتبر كتاب عن المعمودية (De baptismo) على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لتاريخ المعمودية والتثبيت. وهي الرسالة الوحيدة السابقة لمجمع نيقية في ٣٢٥ م والتي تتناول أيًا من الأسرار المقدسة (تؤمن الكنائس التقليدية بها والمعروفة بالأسرار السبعة). ويمكن تصنيف الرسالة في إطار الكتابات المناوئة للهراطقة. وقد كتبها للرد على الهجمات التي شنتها "كوينتلا" في قرطاجنة، وكانت عضواً في شيعة كايوس، حيث قدمت اعتراضات عقلانية، وقد أغوت كثيرين بتعليمها المسموم. وكان هدفها الأول القضاء على المعمودية (الفصل الأول). فكان رد ترتليانوس

عليها بهذا الكتيب الذي يضم عشرين فصلاً، يتحدث فيه كمعلم لطالبي المعمودية: "ورسالة عن هذا الموضوع لن تكون غير ضرورية، ذلك أنها تعلم من قبلوا الإيمان حديثًا، وأولئك الذين قنعوا باعتقاد بسيط، ولم يبحثوا في أسس التقليد، ويحملون إيمانًا جديرًا بالتصديق، ولو أنه لم يجرب نتيجة عدم الخبرة "(الفصل الأول).

كيف يمكن أن يتأتى نتيجة غسل الجسم بالماء تطهير للنفس وخلاص من موت أبدي؟ من الواضح أن هذا كان من بين الاعتراضات، ولذلك فإنه يبدأ الفصل الأول بتعجب "سر مقدس بهيج من مائنا، تغسل فيه خطايا جهالتنا السابقة، وتحرر من أجل حياة أبدية "، ويختتم الفصل الثاني بقوله: " وُلدنا في الماء، ولا نكون آمنين إلاَّ إذا أقمنا في الماء". إن حقيقة أن الله يستخدم وسائل مألوفة في حياتنا اليومية لا يجب أن تكون حجر عثرة للعقل البشري لأن الله يختار الأدنياء والمزدري لتحقيق مقاصده (الفصل الثاني).

والماء منذ بداية العالم عنصر مفضل، ومعطٍ للحياة (الفصل الثالث). قدسه الخالق واختاره أداةً لقوته (الفصل الرابع). ومنذ أن رفَّ روح الله على وجه المياه في البدء، أصبح الماء رمزًا للتطهير، والطقوس الوثنية إن هي إلا تقليد شيطاني للسر المقدس، بل وحتى المعتقدات الشعبية تشهد على ذلك (الفصل الخامس). والذي يعطي النعمة ليس مجرد الطهارة البدنية، بل العمل المقدس المقترن بصيغة الثالوث القدوس (الفصل السادس). وبعد المعمودية مباشرة تتم عملية المسحة المقدسة (الفصل السابع)، ثم سر التثبيت، الذي فيه يمُنح الروح القدس بوضع الأيادي (الفصل الثامن).

وعبور البحر الأحمر، وتدفق الماء من الصخرة (الفصل التاسع) . وكذلك المعمودية التي كان يعمد بها القديس يوحنا (الفصل العاشر) كانت ترمز إلى المعمودية المسيحية، ويجيب الكاتب هنا على الاعتراض القائل بأنه مادام المسيح لم يمارس بنفسه هذه الفريضة، إذًا فإنها ليست ضرورية للخلاص (الفصل الحادي عشر).

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الرد على المشكلة القائلة: " ما دام ليس بمقدور أحد أن يحصل على الحياة الأبدية بدونها، فكيف خلص الرسل إذًا؟ لأننا نجد أنه لم يتعمد منهم سوى بولس " (الفصل الثاني عشر) فيرد ترتليانوس قائلاً إنها لم تكن شرطًا قبل قيامة الرب (الفصل الثالث عشر). وتأكيد الرسول بولس على أنه لم يُرسل ليعمد (١كورنثوس ١٧:١) ، يجب فهمه على نحو سليم (الفصل ١٤). لا توجد سوى ولادة ثانية واحدة فقط، وهي الولادة التي من الكنيسة (الفصل الخامس عشر). والكاتب ينكر صحة طقس الهراطقة دون الدخول في التفاصيل لأنه سبق وأن ناقش هذا الأمر بتفصيل



تام باليونانية، كما يشير هو نفسه إلى ذلك (الفصل الخامس عشر). وثمة استثناء واحد فيما يتعلق بضرورة المعمودية بالماء، وهو الاستشهاد، والذي يسميه "المعمودية الثانية" أو معمودية الدم (الفصل السادس عشر)، وخادم المعمودية المعتاد هو الأسقف. كما أن الشيوخ والشمامسة يتمتعون بهذا الحق، ولكن ليس بدون السلطة العادية (الفصل السابع عشر). بل إن العلمانيين يملكون السلطان "لأن ما يقبل بالتساوي يمكن أن يعطي بالتساوي".. فالمعمودية التي هي فريضة إلهية يمكن أن يمارسها الجميع.. ومن المؤكد أن الاستفادة من هذه الميزة لا تكون إلا في حالات الضرورة، إذا ما فرضت ذلك ظروف المكان أو الزمان أو ظروف الشخص نفسه. لأنه سيرحب بجرأة المعاون على ذلك إذا كانت حالة الشخص خطيرة حرجة، لأنه سيكون آثماً إذا ما تراجع عن إعطاء ماله حرية خالصة في إعطائه. ولا يجب التسرع في أداء هذا السر المقدس. ويجب فحص إيمان الشخص المتلقي بكل دقة. ولهذا السبب لا يفضل الكاتب معمودية الأطفال. لأنه لماذا تكون ضرورية، إذا لم تكن عاجلة، حتى إن الوالدين يمكن أن يلقوا في الخطر؟ إذ ربما بسبب الموت قد لا يحققون ما قطعوه على أنفسهم من وعود. وقد يخيب رجاؤهم نتيجة تولد ميل شرير فيهم، لقد قال الرب بالفعل "لا تمنعوهم" دعوهم "يأتون إليّ"، حينئذ، وفيما هم يكبرون، دعوهم "يأتون"، فبينما يتعلمون إلى أين هم "آتون"، ليصبحوا مسيحيين، حين يصبحون قادرين على معرفة المسيح.. ولماذا تسرع فترة الحياة البريئة إلى "مغفرة الخطايا"؟ (الفصل الثامن عشر).

أما المواعيد الطقسية لهذا السر، فهما "عيد القيامة" و "الخمسين"، إلا أن كل الأوقات تعد مناسبة لها.. وقد يكون ثمة فرق في الممارسة، إلا أنه ليس ثمة أي تمييز في النعمة (الفصل التاسع عشر). أما الفصل الأخير فيتناول الإعداد لتقبل السر المقدس (الفصل العشرون).

و- ترياق ضد لدغة العقرب

إن العنوان الذي تحمله هذه الرسالة الصغيرة هو "Scorpiace" أي ترياق ضد لدغة العقرب. وتتألف الرسالة من خمسة عشر فصلاً. وهي دفاع عن الاستشهاد وضد الغنوسيين، الذين شُبهوا بالعقارب. فهم يعارضون التضحية بالحياة كأمر غير ضروري. ولم يطلبه الله. ومع هذا أصبح الأمر واجباً على كل المسيحيين طبقاً لما يقوله ترتليانوس، حين لا يكون ثمة أي مَخرج آخر لتفادي المشاركة في عبادة الأوثان. حتى في العهد القديم، كان الموت يُفضل عن الارتداد (الفصول ٢-٤). إنه لتجديف أن نقول مع الغنوسيين إن منظراً كهذا يُظهر الله قاتلاً. فالاستشهاد هو ميلاد ثان، ويكسب للنفس وجوداً أبدياً. وثمة دلالة على أن الرسالة كتبت إبان اضطهاد ما. ولعله كان

الاضطهاد الذي تزعمه سكابولا (Scapula) في سنة ٢١٣م.

ز- عن جسد المسيح

ترتبط رسالته عن جسد المسيح (De Carne Christi) بالرسالة التالية لها (De resurrectione Carnis) عن قيامة المسيح بالجسد ارتباطًا وثيقًا. وهما يشكلان حجة لا تدحض على قيامة جسد المسيح. وبدلاً من الاعتراف بهذه العقيدة أنكر الهراطقة حقيقة جسد المسيح، وبهذا أحيوا أخطاء الدوسيتية Docetic.

ويشير ترتليانوس في رسالته "عن قيامة المسيح بالجسد" في الرسالة موضع دراستنا ويطلق عليها:

De Carne Domini adversus quattuor haereses

إلى أربع شيع غنوسية وهي شيع مارقيون Marcion وأپلليس Apelles، وباسيليدس Basilides وڤالنتينوس Valentinus. ويظهر غرض الكاتب في الفصل الأول من عبارات مثل: "لنفحص طبيعة جسد ربنا، لأن الجميع اتفقوا على طبيعته الروحية. وجسده هو الذي موضع تساؤل. ونقاط الخلاف تدور حول حقيقته وطبيعته. هل كان له جسد حقًا؟ ومن أين حصل عليه؟ ومن أية طبيعة كان؟ وإذا ما نجحنا في توضيح ذلك، فإننا سنضع قانونًا لقيامتنا نحن". ولقد كرَّس الرسالة برُمتها للإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة. حيث برهن على أن السيد المسيح قد ولد حقًا، وأن ميلاده في الجسد ممكن، وأنه عاش ومات وقام في جسد بشري، وهكذا دحض أفكار مارقيون وأفكار الدوسيتية. ومع أنه سمي ملاك الرب، فإن طبيعته لم تؤخذ من الملائكة. ولم تؤخذ من النجوم كما قال أپلليس، ولا من مادة روحية كما يدَّعي ڤالنتينوس، لأنه أصبح مثلنا في كل شيء ما عدا الخطية فحسب. ومن جهة أخرى، لم يؤخذ من أصل بشري. وهكذا فإن جسد آدم الأول وجسد آدم الأخير لم يكن لهما أب أرضي.

ويشير ترتليانوس إلى عدم أمانة الغنوسيين الذين قالوا بأن المسيح لم يحصل على أي شيء من السيدة العذراء وأنه ولد "من خلال" أو "في" وليس "من" العذراء. ودافع عن أمومتها الحقيقية. وقد شدد على بشرية جسد المسيح بكل قوة حتى ادَّعى أنه قبيح الشكل: "جسده لم يصل حتى إلى مستوى الجمال البشري، ناهيك عن المجد السمائي. ولو لم يعطنا الأنبياء أية معلومات أيًا كانت عن مظهره الوضيع، فإن آلامه ذاتها والازدراء الذي تَحَمَّله يشيران إلى كل ذلك".

وتوجد فقرات في العهد القديم مثل (إشعياء ١٤:٥٢، ٢:٥٣) وراء هذا القول الذي يقول به أيضًا كثيرون من الآباء قبل نيقية.

ويعلن ترتليانوس في ختام الرسالة عن الرسالة الجديدة التي بصدد كتابتها وهي



:"De resurrection carnis"

« وقيامة أجسادنا سنتناولها مع ذلك في رسالة أخرى صغيرة ومن ثم فإني أختتم الرسالة الراهنة، والتي تعد بمثابة مقدمة عامة، والتي ستمهد الطريق، مادام قد أصبح واضحًا الآن طبيعة ذاك الجسد الذي قام به السيد المسيح من الأموات» .

وتاريخ كتابة الرسالتين لابد وأن يكون متقارباً، ولعله كان بين سنة ٢١٠م وسنة ٢١٢م.

ح – قيامة الجسد

تشمل المقدمة الفصلين الأولين، وتربط بين كل منكري قيامة الجسد من وثنيين وصدوقيين وهراطقة، وتبين التضارب في تعليمهم. ويتحدث عن أن الجسد خلقه الله، وافتداه المسيح، ويجب أن يواجه الدينونة مع النفس في النهاية (الفصول ٣– ١٥). بعد ذلك دحض الاعتراضات (الفصلين ١٦ و١٧). وكل هذا إن هو إلا أساس إذ يقول: "وإلى هنا كان هدفي –وبواسطة ملاحظات تمهيدية– أن أضع أساسًا للدفاع عن الأسفار المقدسة كلها، والتي تقول بالوعد بقيامة الجسد (الفصل ١٨). وهكذا فإن الموضوع الحقيقي للرسالة هو: "قيامة الجسد طبقًا للعهدين القديم والجديد (الفصول ١٨–٥٠). وقام بشرح اللغة المجازية للأسفار المجازية، ثم تناول حالة الجسد بعد القيامة، سلامته، وتماثله للجسد الحالي، والعبارات الختامية تكشف ميله للمونتانية.

ط– ضد براكسياس

(لمزيد من المعرفة ببراكسياس يمكن العودة إلى الباب الخاص بهرطقات قبل عصر نيقية بالباب السادس من الجزء الأول).

يعد هذا الكتاب "ضد براكسياس" (Praxeas) هو الأخير في سلسلة الكتب الجدلية، والتي ربما كتبها ترتليانوس في سنة ٢١٣م. وكان قد انضم إلى المونتانيين في ذلك الحين. وذلك لأنه يتهم براكسياس لا فقط بهرطقة بالنسبة للثالوث القدوس، بل يتهمه أيضًا بمعارضته للنبوة الجديدة، ويحمله مسئولية إدانة مونتانوس Montanus وأتباعه من قِبَل أسقف روما، بالرغم من أنه قَبِل ذلك فيما مضى:

" كان براكسياس أول من نقل من أسيا إلى روما هذه النوعية من الهرطقة، وهو من نواحٍ أخرى رجل متقلب المزاج، وفوق كل شيء منتفخ بغرور الكهنوت، وذلك لا لشيء إلا لأنه اضطر أن يتحمل مضايقات السجن لفترة وجيزة، وبهذه المناسبة، فإنه حتى لو سَلَّم جسده ليحترق لما انتفع شيئًا (كورنثوس الأولى ١٣: ٣)، إذ ليست له محبة الله، لأنه قاوم ودمر مواهبه. إذ أنه بعد أن اعترف أسقف روما بالمواهب النبوية لمونتانوس، وبريسكا Prisca، وماكسميلا Maximilla، ونتيجة لهذا الاعتراف منح السلام لكنائس أسيا وفريجية، قام

هو وبإلحاح يوجه اتهامات كاذبة ضد الأنبياء أنفسهم، وضد كنائسهم، ويصر على طلب سلطان أسلاف الأسقف في الكرسي، الأمر الذي اضطره أن يسحب رسالة السلام التي أصدرها، وأن يرجع أيضًا عن قصده من ناحية الاعتراف بالمواهب. وبهذا قَدَّم براكسياس خدمة مزدوجة للشيطان في روما، فقد طرد النبوة، وجلب هرطقة، لقد جعل الباراقليط يهرب وصلب الآب".

دحض ترتليانوس في هذه الرسالة التعليم الذي كان ينادي به براكسياس وانتشر في قرطاجنة. وتعد رسالة ترتليانوس أهم إسهام في التعليم الخاص بالثالوث القدوس في فترة ما قبل مجمع نيقية. والرسالة واضحة ودقيقة ومناسبة وتمتاز بالأسلوب القوي والرائع. وقد استخدم مجمع نيقية الكثير من صيغها. ولا يمكن الإقلال من تأثيرها على اللاهوتيين اللاحقين. فقد استخدمها أيضًا كل من هيبوليتس ونوفاتيان وديونيسيوس السكندري، وآخرين . أما أغسطينوس في عمله العظيم "عن الثالوث" (De Trinitate) فقد تبنى ما جاء في الفصل الخامس لرسالة ترتليانوس وكرَّس معظم الفصول (٨-١٥) لتوضيح التشابه بين الثالوث القدوس وعمليات النفس البشرية.

ناقش ترتليانوس مسألة ولادة الابن الذي دعاه أيضًا "الكلمة" و "حكمة الله"، مع اقتباسات كتابية إثباتًا لتعددية الأقانيم. وقد قدَّم شهادة إنجيل يوحنا لدحض التفسير الهرطوقي لفقرات الأسفار التي جمعها براكسياس. وأخيرًا تناول الكاتب موضوع الروح القدس أو الباراقليط Paraclete الذي هو أقنوم متميز غير الآب والابن. وذلك ليس سوى إطار للرسالة. إذ إنه على مدى واحد وثلاثين فصلاً يقدم ترتليانوس تعليمًا متكاملاً عن الثالوث القدوس.

ى - الثالوث :

ويعتبر ترتليانوس هو أول الكتبة اللاتين الذي يستخدم كلمة الثالوث كتعبير لاهوتي. ولكن حمله دفاعه عن التمييز بين الأقانيم الإلهية إلى السقوط في تعليم التابعية (أي تابعية الابن للآب).

ك - عن النفس

باستثناء كتاب ترتليانوس ضد المارقيونية، تعد رسالته "عن النفس" (De anima) من أكبر أعمال ترتليانوس. وهي تنتمي إلى الرسالات التي تدحض الكتابات الهرطوقية. والكاتب يشير في بداية الفصل الثالث إلى الدافع وراء تلك الرسالة فيقول إن الأخطاء المعاصرة فحسب هي التي دفعته إلى كتابتها. ولذلك فإنه من الخطأ أن نقول إنها "أول محاولة لعلم النفس المسيحي" لأنها ليست شرحاً علميًا، بل هي في الأساس دحض لتعاليم خاطئة (راجع كواستن صـ ٢٨٧).

كان ترتليانوس يعتبر هذا العمل استمرارية



لعمله الأسبق (De censu anima) حيث دافع فيه عن الأصل الإلهي للنفس، وذلك ضد ما قاله هرموچينس.

شهر ترتليانوس سلاحه ضد الفلسفة. بعد أن دحض تعليم هرموچينس . فيؤكد في الفصول (١-٣) أن ما أعلنه سقراط عن خلود شخصي في كتاب أفلاطون فيدون "Phaedo" أمر لا قيمة له. ذلك أنه لمناقشة موضوع "النفس" لابد من الاستناد إلى الإعلان الإلهي، لا إلى مفكرين وثنيين. لهم سمعة سيئة حيث يخلطون التأكيدات الصادقة بالحجج الزائفة.

ويكرس ترتليانوس الجزء الأول والذي يشمل الفصول (٤-٢٢) لفحص السمات الرئيسية للأساس الروحي للنفس. فعلى الرغم من انبثاقها من نسمة الله، فإنه كانت لها بداية في الزمن، ورأى أفلاطون ليس له أساس . ومما يثير دهشتنا أن ما يقول به الرواقيون من أن لها طبيعة مادية يتفق مع ما يقول به الكاتب :"وأطلب من الرواقيين أيضاً مساعدتي، الذين فيما هم يعلنون وبنفس مصطلحاتنا تقريباً أن النفس هي جوهر روحي - بقدر ما أن النفس والروح متقاربان في طبيعتهما جداً- إلا أنهم لن يجدوا في ذلك صعوبة في إقناعنا أن النفس مادة جسدية» . أما الرأي المخالف الذي يقول به الأفلاطونيون فقد دُحض. وقد تم دراسة ما يتعلق بعدم رؤيتها وكذلك الشكل واللون في فصول خاصة تتناول هُوية النفس والروح، والعقل باعتباره مجرد وظيفة منها، وكذلك القوى الخاصة بالنفس وأسئلة أخرى كثيرة تتعلق بتجانسها. وقد ركز على حرية الإرادة وذلك ضد تعليم الفالنتيين الخاص بثبات الطبيعة البشرية.

وفي الجزء الثاني (الفصول ٢٣- ٤:٣٧) يناقش أصل النفس. ثم رد على تعاليم هرطوقية مبنية على أساس نظرية أفلاطون عن النسيان، وأوضح تضارب تلك الفكرة الفلسفية. وتعد الفصول التالية أكثر الفصول أهمية لعلم الإنسان عن ترتليانوس. وهو يدحض الفكرة القائلة بأن للنفس وجوداً مسبقًا، وأنها قُدمت بعد الميلاد بإثباته أن الجنين كائن حي. ويرى ترتليانوس أن النفس والجسد يبرزان إلى الوجود في وقت واحد فيقول: "كيف إذاً يتم الحمل بالكائن الحي؟ هل مادة الجسد ومادة النفس تتشكلان معًا في ذات الوقت؟ أم أن إحداهما تسبق الأخرى في التكوين الطبيعي؟ والواقع أننا نقول بأنه يُحمل بالاثنين، ويتشكلان ويكملان في ذات الوقت، وأنه ليس هناك لحظة واحدة تفصل بينهما في الحمل بهما. فلم تسبق إحداهما الأخرى. وقد كوَّن رأيه في الواقع من الأحداث التي تصاحب الإنسان في بداية وجوده، وتلك التي تحدث له في أواخر حياته. ومن حيث أن الموت ليس سوى انفصال الجسد والروح، فإن الحياة التي هي عكس الموت، لا تقبل أي تعريف آخر سوى اتحاد الجسد والروح ، فإذا كان

الانفصال يتم في نفس اللحظة لكليهما عن طريق الموت، فإن قانون اتحادهما، والحال كذلك، ينبغي أن يؤكد لنا أنه يتم في لحظة واحدة لعنصري الحياة. ونحن نسلم الآن بأن الحياة تبدأ بالحمل، لأننا نؤكد أن النفس تبدأ من الحمل، فالحياة تأخذ بدايتها في نفس اللحظة والمكان اللذين تفعل فيهما النفس ذلك (الفصل السابع والعشرون).

ويميز ترتليانوس بين أصل الجسد وأصل الروح ويقول بأن الإنسان يولد بكليته، روحًا وجسداً .وهو يتحدث عن بذرة تنتج النفس تنشأ من عصارة النفس . والنتيجة هي تعليمه الهرطوقي "الانتقالية"، وهوالتعليم الذي ينكر عملية الخلق المباشر لنفس كل إنسان بمعرفة الله (كواستن- مرجع سابق).

يتبع ترتليانوس تعليمه السالف بتعليم يدحض فيه التعليم الخاص بالتناسخ بين الكائنات والتي ينادي بها كل من فيثاغورث Pythagoras وأفلاطون Plato و إمبيدوكليس Empedocles وكذلك هرطقات أخرى نادى بها سيمون الساحر وكاربوكراتس Carpocrates.

وفي الختام يتناول الكاتب موضوع تكوين الجنين وحالته. ويجيب الجزء الثالث عن أسئلة تتعلق بالنفس مثل نموها، وحالة البلوغ، الخطية، النوم، الأحلام، الموت، وأخيراً مصيرها بعد الموت. وطبقًا لما يقوله ترتليانوس تحفظ كل النفوس في الجحيم حتى القيامة، ما عدا أرواح الشهداء حيث تفتح لها السماء في الحال. "المفتاح الوحيد لفتح الفردوس هو دم حياتك"، وعن هذه النقطة يشير الكاتب إلى استشهاد بربيتوا Perpetua والذي حدث في السابع من شهر مارس في سنة ٢٠٢م، فيقول: "كيف أن الشهيدة الفائقة الشجاعة "بربيتوا" لم ترَ في يوم آلامها سوى الشهداء هناك في الرؤيا التي جاءتها من الفردوس، ما لم يكن السيف الذي يحرس طريق الدخول لم يكن يسمح لأحد بالدخول إلا أولئك الذين ماتوا في المسيح لا في آدم؟ على أنه حتى الأرواح في الجحيم تختبر العقوبات والتعزيات في الفترة الواقعة بين الموت والدينونة، وذلك من توقعها إما مصيراً كئيبًا أو مجيداً .

ويعترف ترتليانوس في معرض شرحه بإيمان المونتانيين أكثر من مرة، ويتبنى آراءهم. لذا فإن تاريخ الرسالة لابد وأن يعود إلى السنوات ٢١٠م-٢١٣م.

٣- *كتابات أخلاقية أو عملية*

كتب ترتليانوس عدة كتب تصنف بين تأديبية وأخلاقية ،وثمة كتب موجودة وتنسب إلي الفترة السابقة على انضمامه للمونتانية وهي:

أ- إلى الشهداء

تعد رسالته إلى الشهداء Ad Martyras من أعماله المبكرة. وهي تتكون من ستة فصول فقط.



وتتميز ببساطة الأسلوب. وقد اكتسبت إعجاب وتقدير الأجيال المتعاقبة، إذ نلمس فيها روح المسيحية الأولى التي تسود على الرسالة بالكامل.

كتب ترتليانوس الرسالة لتشجيع وتثبيت بعض المؤمنين الذين أُلقي بهم في السجن انتظاراً للحكم الذي سيصدر سريعًا عليهم بالموت بسبب إيمانهم. ومن العبارات الافتتاحية للرسالة يُفهم أنهم كانوا لا يزالون من طالبي العماد الذين يتعلمون العقيدة. وكان ترتليانوس لا يرغب أن ينزع منهم الخوف من الاستشهاد فحسب، وإنما كان يريد أن يبث فيهم حماسة إيجابية. وذلك بإطراء الاستشهاد على أنه أسمى أعمال البطولة وأمجدها. فالموت من أجل المسيح لا يشكل مجرد قبول الآلام دون مبالاة بكل بساطة وتحملها دونما تذمر فحسب، وإنما يعتبرها أكثر اختبارات القوة والصلابة، فيعتبرها معركة بكل ما في الكلمة من معنى.

ونراه وقد اختار أكثر الصور تأثيراً من المصارعات في الحلبة والخدمة العسكرية (الفصل الأول). وهو يشجعهم على ألا ينزعجوا نتيجة انفصالهم عن العالم: "لأنه إذا ما فكرنا في أن العالم هو في الواقع سجن، فلسوف تعرف أنك قد خرجت من سجن ولم تذهب بالأحرى إلى سجن آخر. فالعالم تغشاه ظلمة عظيمة تعمي قلوب الناس. والعالم يقيد بأسوأ أنواع القيود، ذلك أنه يقيد أنفس الناس. والعالم ينفث أسوأ النجاسات -الشهوات البشرية. ثم إن العالم يضم أكبر عدد من المجرمين، حتى الجنس البشري كله.. وأخيراً، فإنه ينتظر الدينونة لا أمام أحد الولاة بل أمام الله. ولذلك أيها المباركون، يمكنكم أن تعتبروا أنفسكم أنكم قد نُقلتم من السجن إلى ما يمكن أن نسميه مكان الأمن. إنه مليء بالظلمة، لكنكم أنتم أنفسكم نور، به قيود، لكن الله جعلكم أحراراً".

أما في الفصل الثالث فيعيد صورة النضال الذي يُدعى إليه الشهداء، ويطلب منهم اعتبار السجن ميداناً للتدريب فيقول:

"أنتم على وشك أن تخوضوا معركة نبيلة، يقوم الله فيها بمهمة الفصل في النزاع، والروح القدس هو مدربكم، أما الجائزة فهي تاج أبدي من جوهر ملائكي والتوطن في السماء، ومجد أبدي. ولذلك فإن سيدكم يسوع المسيح الذي مسحكم بروحه وقادكم إلى الميدان، رأى أنه من الصالح، قبل يوم الصراع، أن يأخذكم من حالة هي في حد ذاتها أكثر راحة، ووضعكم في معاملة أصعب، حتى تزداد قوتكم. لأن الرياضيين يفرزون أيضًا من أجل تدريبات أكثر شدة، حتى يُنمّوا قوتهم البدنية. فهم يُحرمون من الترف، ومن اللحوم الشهية، والمشروبات اللذيذة، ويتعرضون للضغط، والإرهاق البالغ، وكلما زادت مشقة تعبهم في التدريب التمهيدي، زاد رجاؤهم في النصر".



والفصول الأخرى (٤-٦) تقدم أمثلة من الآلام الرهيبة بل والتضحية بالحياة لمجرد وجود الطموح والكبرياء أو نتيجة الحوادث والكوارث، في حين أن الشهداء يتحملون الآلام من أجل الله.

وإذا كانت العبارة الأخيرة تشير إلى معركة ليون Lyons في ١٩ فبراير في سنة ١٩٧م، والتي قُهر فيها ألبينوس Albinus، فتاريخ الرسالة يرجع إلى ذلك الوقت.

ب- عن الصلاة

إن رسالة عن الصلاة (De oratione)، والتي ترجع تقريباً إلى نحو سنة ١٩٨م - ٢٠٠م موجهة إلى طالبي العماد الذين يتعلمون قواعد المسيحية. وتبدأ الرسالة بفكرة أن العهد الجديد قدَّم صياغة للصلاة غير مسبوقة في العهد القديم، من جهة المغزى والروح. وهي سامية بخصوصيتها، والإيمان والثقة في الله، هذا فضلاً عن إيجازها. وكل هذه السمات تظهر في التعبير الوارد في الصلاة الربانية "أبانا.." إذ هي في ذاتها خلاصة الإنجيل كله. وتعد الفصول (٢-٩) هي أقدم شرح باق للصلاة الربانية بأية لغة.

يضيف الكاتب عدداً من النصائح العملية. فيجب ألا يتقدم أحد إلى الله قبل أن يتصالح مع أخيه، وعليه أن يكون متحرراً من كل غضب، ومن كل قلق في الفكر (الفصول ١٠-١٢). وهذا يتطلب أول كل شيء نقاوة كاملة للقلب، وليس مجرد غسل الأيدي (الفصلان ١٣ و١٤). وهو يوصي بأن نصلي إلى الله بأيدٍ مرفوعة وصوت خفيض (الفصل السابع عشر). وبأعمال تمثل الحشمة والاتضاع. ويجب أن لا يعفى أحد نفسه من قبلة المحبة بعد الصلاة. حتى بالنسبة للصائم، لأنها خاتم الصلاة. والاستثناء الوحيد هو يوم الجمعة العظيمة حيث تمنع الجميع عن الطعام كواجب ديني (الفصل الثامن عشر) . وعلى أولئك الذين يصومون صيامات خاصة ألا يبالغوا في ذلك بحيث يحرمون أنفسهم من الشركة المقدسة، (العشاء الرباني) بل يجب أن يأخذوه معهم إلى البيت ويتناولونه هناك عند انتهاء الصوم (الفصل التاسع عشر) . ويناقش ترتليانوس باستفاضة ما إذا كان يتوجب على العذارى أن تتحجبن فى الكنيسة ، ويحث على ذلك بكل قوة (الفصول ٢٠ - ٢٢) . ومن العادة الركوع أثناء الصوم ، وفى العبادات الخاصة ، وفى الصلوات الصباحية ، ولكن ليس فى عيدى القيامة والخمسين (الفصل الثالث والعشرون). إن كل مكان يصلح أن يصلي فيه الإنسان للخالق، إذا ما دعت الظروف والملابسات إلى ذلك (الفصل الرابع والعشرون). ولا يوجد وقت معين لهذا، بل سيعود علينا بفائدة عظيمة أن نذكِّر أنفسنا بذلك، ويليق بالمؤمنين ألا يتناولوا طعاماً قبل أن يرفعوا صلاة إلى الله، لأن إنعاش الروح وتغذيتها يجب أن يكون له الأولوية على الأرضيات (الفصل الخامس والعشرون).

ويجب ألا نستقبل ضيفًا أو نودعه قبل أن نرفع أفكارنا إلى الله، وكل تضرع يجب أن يختتم ختامًا جيدًا، بما يتفق مع عادة محببة، بقولنا "هللويا"، أو الترنم بمزمور (الفصلان ٢٦ و٢٧). أما الفصلان الأخيران (٢٨ و٢٩) فيمتدحان الصلاة باعتبارها ذبيحة روحية، ويطريان قوتها وفعاليتها.

جـ- عن الصبر

يعتقد أن تاريخ الرسالة "عن الصبر" (De Patience) قد كتبت خلال السنوات من ٢٠٠م-٢٠٣م. وهي ترسم صورة المسيحي المثالي وتقع في ستة عشر فصلاً. وكتابتها بأسلوب هادئ إنما تدل على شخصية كاتبها. وقد كانت مصدراً استخدمه كبريانوس في كتابه: "De bono patientiae).

ويتحدث ترتليانوس عن الصبر فيقول: "استمد الصبر أصله من الخالق، الذي يشرق بنوره وبقدر متساوٍ على الأشرار والصالحين . بل إن المسيح أعطى مثالاً على ذلك في تجسده وحياته وآلامه وموته. وإننا بصفة خاصة من خلال طاعتنا لله يمكننا أن نصل إلى هذا الكمال. وقلة الصبر تعد أم كل خطية أما الوالد فهو الشيطان. وفضيلة الصبر التي نحن بصددها تسبق الإيمان وتتبعه، ذلك أنه لا يستطيع أن يعيش بدونها. ويجد الصبر فرصًا عظيمة للممارسة في حياتنا اليومية، وعلى سبيل المثال: في حالة فقد ممتلكات، في حالة الاستفزازات والإهانات، وفي حالة الحزن وحالة الزلاَّت. ويتولد عدم الصبر كثيراً نتيجة شهوة الانتقام. إننا من جهة التزامنا بالواجب مطالبون بأن نتحمل المحن، الكبير منها والصغير، ومكافأة ذلك هي السعادة".

بعد ذلك يمدح ترتليانوس بركات الصبر التي تحتل الصدارة في كل أمثلة التأديب المفيد، فهي تؤدى إلى التوبة وعمل الخير. كما أنها تقوي الجسد وتمكنه من التحمل بكل جلد كبح النفس عن الشهوات، بل والاستشهاد. وثمة أمثلة بطولية نجدها في كل من العهدين القديم والجديد، ويقدم كل من إشعياء واستفانوس نموذجين على ذلك. وقيمة هذه الفضيلة وثمرها تجل عن التقدير. "وحيثما يحل روح الله، يصاحبه الصبر دون تفرقة" (الفصل الخامس عشر).

وفي الفصل الأخير (السادس عشر) يحذر ترتليانوس القراء من أن الصبر المسيحي يختلف اختلافًا جذريًا عن صورته الوثنية المشوَّهة، التي هي المثابرة العنيدة في الشر.

د- عن التوبة

ترجح سنة ٢٠٣م زمانًا لكتابة الرسالة إذ يذكر الكاتب ثورة البركان (في الفصل الثاني عشر) وزلزلة جبل ڤيسوڤيوس (Vesuvius) -اللتين حدثتا في العام المذكور.



تقع الرسالة في جزء ين : يتناول الجزء الأول الكفارة التي يجب على البالغ الطالب للمعمودية أن يلتزم بها قبل الاعتماد. (الفصول ٤- ٦). أما الجزء الأخير فيذكر فيه معمودية "أخرى" والتي وضعها الله برحمته "كمدخل" (للتوبة) لتفتح الباب لمن يقرع، ولكن مرة واحدة، لأن هذه هي المرة الثانية بالفعل (الفصل السابع). وهو يقصد هنا أن رحمة الله الواسعة لا تشكل تصريحًا لطيش الإنسان وتهوره إذ يقول: "وكما لو أن وفرة الرحمة السمائية تشكل تصريحًا لطيش الإنسان وتهوره. فليت كل إنسان لا يسمح لنفسه بأن يكون أقل صلاحًا لأن الله كثير الصلاح، وذلك بتكرار الخطية كلما غفرت له. وإلا لنتأكد من أنه لن يجد بعد ذلك مهربًا، حينما لا يجد فرصة لارتكاب الخطية. لقد هربنا مرة (في المعمودية). فلنتعهد بعدم تعريض أنفسنا للهلاك بعد ذلك حتى وإن بدا لنا أن هناك احتمالاً للهرب مرة ثانية".

وإذ يشعر ترتليانوس بالمسئولية تجاه نفوس قرائه فإنه يوصي بالتوبة الثانية، خشية أن يميلوا إلى اليأس والقنوط فيقول: "وإذا حدث أن جلب أحد على نفسه دين توبة ثانية، فلا يجب أن يسمح لروحه بأن تتدنى فوراً وتضعف نتيجة اليأس. ليتنا نشعر بالضيق لارتكاب الخطية مرة ثانية، غير أنه يجب ألا نتضايق للتوبة الثانية، بدرجة نعرض فيها أنفسنا للهلاك مرة أخرى، ولكن لا نغتاظ لتحريرها ثانية. ولا يخجل أحد من ذلك. فالمرض المتكرر يجب أن يكون له علاج متكرر (الفصل السابع).

وفي الفصول (٩-١٢) يتحدث ترتليانوس عن أن التوبة الثانية هي التي تتبعها مصالحة كنسية. وللحصول عليها لابد للخاطيء من أن يجتاز اعترافاً علنياً، ويتحمل أعمالاً تأديبية.

أما الفصل الأخير فيصور اللعنة الأبدية في جهنم لمن لم يتوبوا ثانية . وجلي من هذه الاعتبارات أنه كان يدور بذهن الكاتب عند كتابته هذه الرسالة المغفرة من الخطايا الخطيرة (الكبيرة) .

هـ- إلى زوجته

كتب ترتليانوس ما لا يقل عن ثلاث رسائل عن الزواج ، والزواج الثانى فى ثلاث مراحل مختلفة .

وتعد رسالته الأولى (Ad uxorem) هي أفضلها إلى حد بعيد. وكتبها نحو سنة ٢٠٠م-٢٠٦م. وتقع في كتابين، وتحتوي على اقتراحات يوجهها إلى زوجته لكي تتبعها بعد رحيله عن هذا العالم. في الكتاب الأول يحثها أن تظل أرملة لأن ثمة أسباباً قوية ضد زواجها مرة أخرى، ولا يوجد أي عذر معقول لإقدامها على ذلك. حيث أن الجسد والعالم والرغبة في النسل يجب ألا تغري المسيحي على الزواج مرة أخرى لأن عبد الله يجب أن يسمو على كل هذه الضروريات. فالروح أقوى من الجسد، والأرضيات يجب أن تخضع للسماويات. وما الأطفال إلا عبء بالنسبة للأزمنة القاسية الوشيكة،

بل هم يشكلون خطراً على الإيمان في أحوال كثيرة. وإذا شاء الله أن تفقد المرأة شريك حياتها بالموت، فلا يتوجب أن تحاول -بزواجها من آخر- أن تستعيد ما أبعده الله. ومثل هذه الزيجات تعد عقبة في سبيل القداسة، كما يشير إلى ذلك قانون الكنيسة الذي يحرم من يغامرون في زواج مثل هذا من مزايا كنسية معينة.

يناقش الكاتب في كتابه الثاني احتمالية أن زوجته قد لا ترغب في أن تظل بدون زواج بعد موته. وفي هذه الحالة فهو يرجوها أن تتأكد من أن تختار مسيحيًا. فالزواج بين مؤمنين وغير مؤمنين سبق أن رفضه الرسول بولس (راجع كورنثوس الأولى ٧:١٢-١٤). لأنه يشكل خطراً على الإيمان والأخلاق، حتى وإن تحلى غير المؤمن بالتسامح. وهو يضع زواج المرأة من غير مؤمن بالمقابلة مع سعادة اثنين من المسيحيين فيقول:

"كيف يكون بمقدورنا أن نصف على نحو وافٍ سعادة ذلك الزواج الذي ترتبه الكنيسة، والذي تضع البركة ختمها عليه، وتحضره الملائكة كشهود عليه، ويوافق عليه الله الآب، لأنه حتى على الأرض لا يتزوج الأولاد بالطريقة الصحيحة والقانونية ما لم يوافق والديهم".

"فما أجمل إذاً الزواج بين المسيحيين ، اثنان هما واحد في الرجاء، واحد في الرغبة، واحد في أسلوب الحياة الذي يتبعانه، واحد في الديانة التي يمارسانها. فهما كأخٍ وأخت، كلاهما عبد لنفس السيد، لا يفرق بينهما شيء، سواء في الجسد أو في الروح . والحقيقة أنهما في حقيقة الأمر اثنان في جسد واحد، وحيثما وجد جسد واحد، فلن يوجد أيضًا سوى روح واحد. هما يصليان معًا، يعبدان الله معًا، يصومان معًا، يعلمان بعضهما، ويشجع كل منهما الآخر، ويقوي كل منهما الآخر. يذهبان إلى كنيسة الله معًا، ويشتركان معًا في مائدة الله. يواجهان الصعاب والاضطهاد معًا، ويعزي كل منهما الآخر. لا توجد بينهما أسرار، ولا يمل أحدهما من صحبة الآخر، ولا يُحزن أحدهما قلب شريكه.. كل منهما يشدو للآخر بمزامير وترانيم، ويعمل كل واحد قدر جهده لكي يرنم ويسبح الله بأكثر جمالاً مما يسبحه الآخر. وإذ يسمع المسيح ذلك ويراه، يبتهج قلبه سروراً. ولمثل هؤلاء يعطي سلامه. وحيثما اجتمع اثنان هناك يكون في وسطهم، وحيثما يكون هو، لا يمكن أن يتواجد الشر".

و- نصائح للعفة

كتب ترتليانوس رسالة بعنوان نصائح للعفة (De exhortatione Castitatis) لأحد أصدقائه، إذ كان قد فقد زوجته منذ وقت قريب. ويوصي ترتليانوس صديقه بألا يتزوج مرة أخرى، والذي يعتبره ضد مشيئة الله، كما عارضه القديس بولس (كورنثوس الأولى ٧:٢٧و٢٨).



وهو يقرر أن الزيجات الثانية في حقيقتها لا تعدو أن تكون سوى نوع من الزنا. وفي حين أنه في رسالته إلى زوجته يمتدح بركات الزواج المسيحي، نراه الآن -وبعد أن أصبح يميل إلى المونتانية- يأسف أن صرَّح أساسًا به، وهو لا ينظر إليه إلا باعتباره نوعًا من الزنا الشرعي. وعوض ذلك يمتدح العذراوية، وكبح جماح النفس، بل ويقتبس فكر المونتانية "بريسكا" (Prisca) التي تقول بالشيء نفسه.

لا يوجد دليل على أن ترتليانوس كان قد ترك الكنيسة حين كتب هذه الرسالة. وعلى هذا فلابد أن تكون قد كتبت فيما بين سنتي ٢٠٤م و٢١٢م.

ز- عن العُروض

تعد رسالة ترتليانوس "عن العُروض" (De Spectaculus) إدانة كبيرة لكل الألعاب العامة في السيرك، الاستاد، أو المدرجات، وكذلك للرياضات العنيفة أو مواجهة المصارعين. تنقسم الرسالة إلى جزء ين : الجزء الأول ويحتوي على الفصول (٤ - ١٣) يحمل الخلفية التاريخية لتلك الألعاب . أما الجزء الآخر فيحتوى على الفصول (١٤- ٣٠) ويتكلم فيه عن الجانب الأخلاقي.

في الجزء الأول يستعرض ترتليانوس الأسباب التي من أجلها يرفض أن يحضر أي مسيحي لتلك العروض، ذلك أن أصلها وتاريخها وأسماءها وطقوسها ومواقعها، تظهرها بأنها شكل آخر من أشكال الوثنية. وكل مؤمن قد جحدها في العهود التي قطعها في معموديته. أما في الجزء الأخير، فيرسم صورة زاهية الألوان لأعظم منظر شهدته البشرية على الإطلاق "المجيء الوشيك لربنا" و"يوم الدينونة الأخير". ذلك اليوم الذي لا تنتظره الأمم، بل هو موضوع سخريتهم.

والرسالة موجهة إلى طالبي المعمودية الذين يتعلمون قواعد الدين، ويتضح ذلك من الجملة الافتتاحية التي يقول فيها: "أنتم عبيد الله الذين على وشك الاقتراب إليه، حتى تكرسوا أنفسكم في قداسة له، عليكم أن تسعوا باجتهاد لفهم شروط الإيمان، وأسباب الحق، وقوانين التأديب المسيحي، التي تمنع من بين خطايا العالم الأخرى مسرات العروض العلنية". وقد اتخذ ترتليانوس أعمال سوتيونيوس Suetonius، مصدراً له، وربما استخدم أيضًا كتاب ڤارو Varro بعنوان (Libri rerum divinarum)، والذي اعتمد عليه سوتونيوس.

كتب ترتليانوس ذلك الكتاب في الفترة السابقة على انضمامه للمونتانيين . ومن الجلي أن ذلك كان قبل كتابيه "عن الوثنية" و "عن ملابس النساء" لأن كلاً منهما يشير إليه. وفيما عدا ما جاء في (فصل ٢٧) عن أنه كان ثمة اضطهاد في ذلك الوقت، فإنه لا يوجد أي دليل آخر بشأن تاريخ دقيق لكتابته. وثمة آراء ترى أنه كتب سنة ٢٠٢م إلا أنه من



المحتمل أن يكون ذلك في سنة ١٩٧م. ويذكر الكاتب أنه أعد نسخة يونانية.

ح- بخصوص برقع العذارى

تشير مقدمة هذه الرسالة أنه سبق أن كتب عملاً باليونانية لنفس الهدف فيقول : " سأوضح باليونانية أيضاً أنه يليق بالعذارى من بناتنا أن يتبرقعن بعد أن يجتزن نقطة التحول في أعمارهن، وأن هذا يجب مراعاته طبقًا للحق".

وبعد الحديث عن موضوع العادة في الملبس وتطورها التدريجي، يشير إلى أن قواعد السلوك المعاصرة (الإيتيكيت) التي تطلب من النساء أن يضعن برقعًا على وجوههن في مناسبات مختلفة تنطبق على المتزوجات وغير المتزوجات منهن. وحيث أن ما جاء في (كورنثوس الأولى ١١: ١٥ و١٦) يناقض ما ذهب إليه بعض المسيحيين، إذ لا يعطي استثناءً للفئة الأولى. إذًا فالأسفار المقدسة والطبيعة وحسن الخلق توحي كلها أن تغطي العذراء رأسها. وإذا فعلت هذا خارج الكنيسة، فلماذا لا تفعله في داخلها؟

ويصف الكاتب عمل الباراقليط المستمر فيقول:

"لأن هذه القاعدة الإيمانية دائمة، فإن النقاط الأخرى المترتبة عليها والخاصة بالنظام والحديث تعترف بحداثة هذا التصحيح، ونعمة الله من ناحية العقل تعمل وتتقدم إلى النهاية. لأنه ماذا يعني هذا الافتراض، يعني أنه في حين أن الشيطان يعمل دائمًا، ويضيف كل يوم إلى براعة الخطية، نجد ثمة من يقول إن عمل الله إما أنه توقف أو كف عن التقدم. وفيما يقول الناس لماذا إذًا أرسل الرب الباراقليط، لأن الإنسان متوسط القدرة لم يستطع أن يستوعب كل الأمور مرة واحدة، فالنظام يجب أن يكون شيئًا فشيئًا، ويجب أن يرسم وينفذ حتى الكمال بمعرفة الله، الروح القدس، وماذا إذًا سيكون دور الباراقليط سوى: توجيه النظام، إعلان الأسفار الإلهية، وتجديد المثقفين، والتقدم نحو الأشياء الأفضل؟ (١: ٤).

يناقش الكاتب في الفصل الثاني وحدة الكنيسة، إذ لم يكن قد انضم بعد للمونتانيين فيقول عن الكنائس الشرقية:

"يربط بيننا وبينهم إيمان واحد، إله واحد، ومسيح واحد ورجاء واحد، ونفس أسرار المعمودية، دعوني أقولها للمرة الأولى والأخيرة، نحن جميعًا كنيسة واحدة ". ولذلك فإن الرسالة لابد وأن تكون قد كتبت قبل سنة ٢٠٧م.

ط- فيما يتعلق بالوثنية

يبدو أن رسالة (De Corona) التي ترجع إلى سنة ٢١١م تتزامن مع رسالة (De idololatria) والتي تتناول السؤال الجوهري: هل مسموح للمسيحي بالخدمة في الجيش (الوثني)؟ ويرد ترتليانوس بطريقة أكثر اتساعًا وشمولاً: ليحرر المؤمن من كل ما يربطه بالوثنية بأي شكل من

الأشكال. ولذلك فإن ترتليانوس يدين لا صانعي الأصنام ومن يعبدونها فحسب (الفصل الرابع). وإنما يدين أيضًا أي مهنة أو فن يعتبره **في خدمة الوثنية** . وهكذا فإن المنجمين والرياضيين والمدرسين وأساتذة الأدب، ممنوعون من الكنيسة، ناهيك عن المصارعين، وبائعي البخور، والعرافين والسحرة (الفصول ٨-١١).

ويتابع ترتليانوس كلامه فيقول إن هذا الاستبعاد الكلي سوف يخلق مشكلتين. فأول كل شيء سوف يسأل الناس: "كيف سأعيش؟" فيجيب قائلاً: " إن الإيمان لا يخشى المجاعة، وبالنظر إلى أن المسيحي تعلم كيف يحتقر الموت، فمن المؤكد أنه لن يتردد في احتقار ضروريات الحياة البشرية. أما المشكلة الثانية فهي أنه إذا كان التدريس غير مشروع للمسيحيين، فلن يتاح لهم أي تعليم، ولن تكون ثمة إمكانية لأي تعليم ". هنا يقدم ترتليانوس التنازل المثير فيقول: "إن التدريس ممنوع، لكن التعليم مسموح به".

يتقدم ترتليانوس إلى دائرة أخرى، فيدين إدانة بالغة كل أنواع الرسم والنحت وعمل التماثيل، كذلك يدين المشاركة في الاحتفالات القومية. ويسأل الكاتب ما هي وظائف الدولة التي يمكن للمسيحي أن يشغلها؟ وهو يجيب عن ذلك بأن لا أحد بمقدوره الاعتقاد بأنه في الإمكان تجنب الوثنية في أشكالها العديدة في أي موقع عام، ولهذا السبب لا يمكن لأي مؤمن أن يشغل أي منصب فيها. وكل عضو في الكنيسة سبق أن جحد الشيطان عند معموديته. ويعلن ترتليانوس أن الدولة عدو لله فيقول: "ليت هذه الحقيقة تساعد على تذكركم أن كل السلطات ورؤساء هذا العالم ليسوا غرباءً عن الله فحسب، بل هم أعداؤه أيضًا". وبناءً على هذا الرأي المتعلق بالعلاقة بين الإيمان والامبراطورية (الوثنية) رفض بصورة قاطعة الخدمة العسكرية: "ليس ثمة اتفاق بين القسم الإلهي والقسم البشري، ومعايير المسيح ومعايير الشيطان، معسكر النور، ومعسكر الظلمة. ونفس واحدة لا يمكن أن تكون مستحقة لسيدين - الله وقيصر".

ك- الرداء

تعد رسالة "De Pallio" من أصغر رسائل ترتليانوس فهي تتكون من ستة فصول فقط. كتبها ليدافع عن نفسه حيث استخدم في حياته اليومية الثوب الذي كان يستخدمه اليونانيون والرومانيون (ثوب من قطعة قماش كبيرة مستطيلة كانت تُلف على الجسم) بدلاً من الثوب الروماني (وهو ما يعرف بالشملة). حيث يذكر ترتليانوس مواطنيه بأن الزي الأخير قدمه الرومانيون بعد انتصارهم على قرطاجنة. وهو يرمز إلى الهزيمة والقمع. في حين أن الزي السابق كانت ترتديه قبلاً كل الطبقات وفي كل الظروف. وهو يخاطبهم أن يقبلوا

الزي الجديد على سبيل التغيير، فكل شيء حولنا يتغير، الطبيعة، والحيوانات تغير جلدها والطيور تغير ريشها، لونها بل وشكلها. ولذلك فإنه لا داعي للدهشة إذا ما تغير الإنسان أيضًا. فتاريخ الملبس طويل منذ بدايته بعد السقوط. ويطلب منهم ترتليانوس أنه إذا كان لزامًا عليهم انتقاد الملابس فليتجهوا إلى ما يهدد البساطة، وينتقدوا الرجال الذين يتشبهون بالنساء، والعقيلات التي لا يمكن للمرء أن يفرق بينهن والغانيات.

إن الزي الفضفاض الذي اختاره يرى ترتليانوس أنه بسيط وملائم للاستخدام. وهو زي الفلاسفة والخطباء والمفكرين والأطباء والشعراء والموسيقيين.

اختلفت الآراء حول زمان كتابة الرسالة. فقد وردت عبارة "السلطة الثلاثية للامبراطورية الحالية" في الفصل الثاني. والبعض يستند إلى أنها تشير إلى سنة ١٩٣م، وذلك حين اقتسم السُلطة كل من ديديوس يوليانوس Didius Julianus، وبيسينيوس نيچير Pescnnius Niger وسبتيميوس ساويرس Septimius Severus. أو قد تشير إلى الفترة بين ٢٠٩م- ٢١١م حيث تقاسم الحكم ساويرس وابناه أنطونيوس Antouinius و جيتا Geta ، ونظرًا لأن الرسالة لا تحتوي على أي آراء مونتانية فإن التاريخ الأول هو المرجح. وكذلك لأن تغيير الملبس يتفق وإيمان الكاتب حديثًا. أما التاريخ الأخير فإنه يتناسب بشكل أفضل مع فقرة تصف التربة بأنها مزروعة بشكل رائع في جميع أنحاء العالم، وقد اجتُثت كل العداوات -وهذه حالة تتناغم تمامًا مع حالة السلام التي أعقبت وضع ساويرس نهاية للصراع المرير بين العديدين من المطالبين بالعرش.

٤- الكتابات المونتانية

فيما يلي بعض الأعمال التي نجد فيها تعليمًا مونتانيًا واضحًا، تعبر عنها أحيانًا وتدافع عنها في أحيان أخرى، وتتميز بأنها ذات طبيعة عملية أيضًا:

أ- الزواج مرة واحدة في العمر

رسالة ترتليانوس "الزواج مرة واحدة في العمر" (De monogamia) هي إحدى الرسائل الثلاث التي تتناول موضوع الزواج، والزواج ثانية". وتعد أكثرها بلاغة من جهة الأسلوب ولكنها من جهة المضمون أكثرها شدة. وينكر في الفصل الأول نفوذ الكنيسة المقيد، حيث كان انضم إلى المونتانيين بما لا يحتمل الشك. وهذا الرأي الذي ينادي به -أي الزواج مرة واحدة في العمر- يمثل الوسيلة الذهبية التي تفصل بين رفض الهراطقة لهذا السر -أي الزواج- متمثلين في الغنوسيين، والانحلال المتمثل في السماح بتكراره. "فرأي الفئة الأولى يعد تجديفًا، ورأي الفئة الأخيرة يعد دعارة. الفئة الأولى تتخلص من إله الزواج، والفئة الأخرى تخزيه. ومع ذلك فنحن من دُعينا عن استحقاق



الروحيين نتيجة المواهب الروحية التي اعتُرف بأنها لنا. نعتبر كبح جماح الشهوات جدير بالتبجيل، مثلما أن الحرية في الزواج جديرة بالاحترام. لأن كلاً منهما يتفق ومشيئة الخالق. وكبح جماح الشهوات يشرف ناموس الزواج. والسماح بالزواج يضبطها. ونحن لا نعترف إلا بزواج واحد، كما أننا لا نعترف إلا بإله واحد". وهكذا فإنه يحكم على الزواج الثاني بأنه غير مشروع ويعتبره قريبًا من الزنى. وهو يدافع عن تعليمه ضد تهمة أنه بدعة بإشارته إلى شهادة الباراقليط (الفصلان ٢ و٣) والدليل المستمد من العهد القديم (الفصول ٤-٧)، ومن الأناجيل (الفصلان ٨ و٩) ورسائل القديس بولس (الفصول ١٠-١٤). ولكي يدحض تهمة النزوع إلي قسوة لا مبرر لها، فإنه يرد بأن السلوك الوثني ضد الزواج الثاني يثبت أن الضعف الجسدي لا يعد عذرًا لمثل هذه الخطوة (الفصلان ١٦ و١٧).

يرجح أن تكون هذه الرسالة كتبت في سنة ٢١٧م لأن ترتليانوس يذكر في (الفصل الثالث) أنه قد مرت مائة وستون سنة منذ أن كتب القديس بولس رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.

ب- عن ملابس النساء

يؤكد ترتليانوس في كتاباته على ضرورة أن تسود المسيحية على حياتنا اليومية. لذلك فإن ترتليانوس يحذر النساء في هذه الرسالة حتى لا يسود عليهن أسلوب النساء الوثنيات في ارتداء الملابس وألا يخضعن لأسلوب الأزياء العصري، بل بالأحرى يظهرن الحشمة في مظهرهن. وتتكون الرسالة من عملين منفصلين، عنوان الأول "De habitu muliebri" أما في الثاني فهو "De Cultu Feminarum". والكتاب الأخير ليس تكملة للكتاب الأول. بل هو معالجة جديدة وأكثر شمولية لنفس الموضوع.

يُذَكِّر الكاتب في الفصل الاستهلالي المسيحيات بدخول الخطية إلى العالم عن طريق المرأة الأولى. ولهذا السبب فإن الملبس الوحيد الذي يليق ببنات حواء هو لباس الحشمة. فالحلى وأدوات الزينة من أصل شيطاني، وهذا ما يثبته "سفر أخنوخ" (الفصل الثانى). ويفرد الكاتب الفصل الثالث بأكمله للدفاع عن أصالة هذا الكتاب الأبوكريفي.

يعود الكاتب في الفصل الرابع إلى الموضوع الرئيسي، وهو يميز بين المَلْبَس ومساحيق التجميل. وفيما هو يعرض للموضوع الأول نراه يدين كل الحلي والزينة كالذهب والفضة والجواهر والأحجار الكريمة. وأن ما يجعل لهذه الأشياء قيمة هي الندرة. ويقول بأن صباغة الملابس أمر غير طبيعي. فالذي لم ينتجه الله ليس مُسرًا له، ما لم يكن غير قادر على أن يأمر الغنم كي تولد بصوف ذي لون أرجواني أو بزرقة السماء. فإذا كان قادرًا على ذلك، فمن الواضح إذًا أنه غير راغب، وما لا يرغبه



الله فمن الطبيعي ألا نعمله نحن. ومن ثم، فهذه الأشياء ليست أفضل ما هو ليس من الله، خالق الطبيعة. وبهذا فُهمت بأنها من الشيطان، لأنه ليس ثمة آخر يمكن أن تنسب إليه (الفصل الثامن). وعطايا الله يجب أن تنظم رغباتنا، وإلا نصبح فريسة للطموح الذي يجعلنا نحمل على أعناقنا أحمالاً أكبر مما نستطيع (الفصل التاسع).

وهنا يتوقف الكاتب فجأة دون أن يتناول الموضوع الآخر. إذ يتناوله في الكتاب الثاني ويعطيه الأسبقية على الموضوع الأول الذي سبق تناوله في الكتاب الأول، -أي عكس ترتيب ما جاء في الكتاب الأول- فيكون هو الموضوع الثاني في الكتاب الثاني. فيتحدث أولاً عن مساحيق التجميل، ثم بعد ذلك عن الملابس والحلي.

يمتدح ترتليانوس في الفصل الأول الحشمة باعتبارها فضيلة مسيحية أصيلة: "بالنظر إلى أننا جميعًا **هيكل الله**"، فالحشمة هي حافظة المقدسات وكاهنة ذلك الهيكل، التي لا تحتمل شيئًا غير طاهر أو نجسًا يقدم لها، خشية الإساءة إلى الله الذي يسكن فيه، ومن ثم يهجر تمامًا هذا المسكن الذي تلوث. وهذه الفضيلة لا تسمح للنساء أن يغيرن عمل الخالق، فلا يغيِّرن الجسد بالمساحيق ويصبغن الشعر.. وأعتقد أن براعة الله الفنية غير مُرضية بالنسبة لهن. ففي أشخاصهن -على ما أعتقد-- يَدِنَّ وينتقدن "صانع كل الأشياء" (الفصل الخامس).

ويتبع نفس الطريقة التي اتبعها في كتابه الأول حيث يتتبع أصل الرغبة في اقتناء الجواهر والحلي من ذهب وفضة. ثم يقنع المرأة المسيحية بأنه يجب أن يميزها مظهرها دائمًا عن الوثنيات. أما في الفصل الأخير فيشير إلى الأزمنة الصعبة، ويشجعهن على ضرورة أن يكنَّ مستعدات لمتاعب الاضطهاد: "ووسائل الترف التي تميل بنعومتها وتخنثها إلى حرمان الإيمان من قوته يجب أن تنبذ. وإلا فلست أعرف ما إذا كان المعصم الذي تعود أن يحاط بسوار، سوف يتحمل صلابة شديدة في السلسلة التي يشكلها! ولست أعرف ما إذا كانت الساق التي فرحت بالخلخال ستتحمل أن تُحشر في الأصفاد. وأخشى أن الرقبة التي تتحلى باللؤلؤ والزمرد، لن تخلي مكانًا للسيف العريض.. إلا أن المسيحيين دائماً، والآن أكثر من ذي قبل، يقضون أوقاتهم لا في الذهب، بل في الحديد، لقد أعدت دثارات الاستشهاد، والملائكة المنوطون بحملنا ينتظرون".

بالرغم من وجود مبالغات في هذه الأعمال ، إلا أن الكتاب الثاني معتدل في لهجته إلى حد بعيد. ويمتاز باتساع الأفق في أفكاره. والفرق يوحي بأنه كتب بعد الأول بوقت طويل. ويوضح ترتليانوس أن كتابه الأول كتبه بعد رسالته "العُروض" وذلك في الفصل الثامن . وكلاهما جاء

بعد "De oratione" وهذا مايستخلص من الفصل العشرين. فلا نجد فيه أي من الأفكار المونتانية.

جـ- الإكليل

يناقش ترتليانوس في "الإكليل" (De corona) إحدى المشاكل الكبيرة، وهي اشتراك المسيحيين في الخدمة العسكرية ، وقد أثارت تلك المشكلة حادثة موت الامبراطور سبتميوس ساويرس في٤ فبراير من سنة ٢١١م، إذ قدم أولاده منحة مالية للجيش، وبعد أن وزعت على المعسكر، تقدم الجنود وعلى رؤوسهم أكاليل الغار ما عدا جندياً واحداً منهم، كانت رأسه عارية، وكان يحمل الإكليل في يده. ولذلك اتجهت أنظار الجميع إليه، وبدأوا يسخرون منه، وبدأت أصواتهم تعلو بهمهمات، عندما ترك ذلك الشخص الصفوف، حتى وصلت الهمهمات الحاكم، الذي وجَّه له السؤال التالي: لماذا تختلف عن زملائك في مظهرك؟ فرد عليه قائلاً: إنه ليست له الحرية لأن يلبس التاج مع الآخرين. وإذ طُلب منه بإلحاح أن يقدم أسباب ذلك، أجاب: "إني مسيحي..عندئذ نوقش الموضوع وتم التصويت عليه، وأحيلت القضية إلى محكمة أعلى، واقتيد المذنب إلى الولاة.. حيث توج باستحقاق أكثر بإكليل الشهادة الأبيض.. وبعد ذلك صدر حكم عكسي على سلوكه -سواء من جانب المسيحيين، لست أعلم، أو من الوثنيين إذ لم يكونوا مختلفين- كما لو كان عنيداً أو متهوراً ومتلهفًا على الموت، لأن الحكم عليه بالنسبة لموضوع يتعلق بلباسه كان ذلك يجلب المتاعب على من يحملون اسم (المسيح). وإذ يقدمون أيضًا اعتراضهم -هل نحن ممنوعون من أن نكلل؟ فلذلك سأتناول هذه النقطة هنا، باعتبار أنه من المناسب بالأكثر لأن نعرض لها هنا، لأنها في واقع الأمر جوهر النزاع الحاضر".

وهكذا كتبت الرسالة دفاعًا عن الجندي كي يبين أن لبس الأكاليل لم يكن يتفق مع الإيمان المسيحي. ويرجع الكاتب إلى تقليد مسيحي غير مكتوب ليوضح أنه من غير الطبيعي وضع إكليل على الرأس.. وفضلاً عن ذلك، فهو من أصل وثني، ويرتبط بالوثنية ارتباطًا وثيقًا. فالعهد القديم كما العهد الجديد لم يتعرضا لذكر شيء كهذا، ولكي أكون واضحًا فإن الإكليل العسكري ممنوع لسبب بسيط وهو أن الحرب وخدمة الجيش لا يتفقان مع الإيمان.. والمسيحي لا يعرف إلا قسماً واحداً، وهو قسم المعمودية، ولا يعرف سوى خدمة حراسة واحدة، هي خدمة مَلِكه المسيح. وهذا هو معسكر النور، أما الآخر فهو معسكر الظلمة. ويشير ترتليانوس في الفصل السابع إلى كتاب كلوديوس ساتورنينوس Claudius Saturninus المعروف بعنوان De Coronis، وفيه ينتقد كنيسة روما لرفضهم الباراقليط ، ونبواته، ويوبخ رجال الدين قائلاً: "واضح أنهم مثلما رفضوا نبوات الروح القدس،

فإنهم يرمون أيضًا إلى رفض الاستشهاد. ولذلك فهم يتهامسون بأن السلام الطيب والطويل أصبح ممهدًا الآن. بل ولا أشك في أن البعض قاموا بالفعل بإعطاء ظهورهم للأسفار المقدسة. وهم الآن يعدون أمتعتهم، استعدادًا للهرب من مدينة إلى أخرى، لأن هذا كل ما اهتموا أن يتذكروه من الإنجيل، كما أعلم أيضًا أن رعاتهم أسود في السلام، غزلان في الحرب". ونسبت هذه الرسالة بوجه عام إلى عام ٢١١م.

د- فيما يتعلق بالهرب وقت الاضطهاد

يجيب ترتليانوس في (De fuge in Persecu-tione) عن سؤال ورد عرضًا في كتابه الذي عرضنا له وهو "الإكليل" والسؤال هو: "هل مسموح للمسيحي أن يلجأ للهرب إبان الاضهطاد؟ ويرد ترتليانوس قائلاً: "في وقت الاضطهاد يفضل الهرب من مكان لآخر، كما هو مسموح لنا، فذلك أفضل من القبض علينا، وإرغامنا على إنكار الإيمان تحت التعذيب. ونفس الرأي نجده في De Patientia (الفصل الثالث عشر).

ومع ذلك يرى الكاتب في الرسالة الحالية أن مثل هذا الهروب هو ضد مشيئة الله، ذلك أن الاضطهاد يأتي من قِبَله، حيث يرسله من أجل تقوية إيمان المسيحيين، على الرغم من أنه لا يمكن إنكار أن للشيطان دورًا فيه. وإذا كان البعض يستندون إلى ما جاء في (متى ١٠:٢٣).

"ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى". فإن ترتليانوس يرى أنها قيلت للرسل أنفسهم، ولا تنطبق إلا على وقتهم وظروفهم، وليس لها علاقة بالحاضر -بل إنه ليس من المسموح به أن يهربوا من المضايقات عن طريق دفع بعض المال لأن السبب هو نفسه، الخوف من الاضطهاد. وأن تفدي بالنقود شخصًا افتداه المسيح بدمه، أمر لا يليق بالله.

كتب ترتليانوس رسالته إلى صديقه فابيوس Fabius وجاء ذكرها في (De Corona). والرسالة تحمل دليلاً كافيًا لوجهة نظر المونتانيين. ولذلك فإن تاريخها لابد أن يكون في سنة ٢١٢م.

هـ- عن الصوم

كتب ترتليانوس هذه الرسالة وهي بعنوان: (De ieiunio adversus psychicos) وفيها يهاجم ترتليانوس كنيسة روما بكل عنف وذلك لأنهم رفضوا الممارسات المونتانية فيقول: "المفتونون بالشهوات، والذين يكادون أن ينفجروا من نهمهم"(الفصل الأول). إذ يبدو أن شيعة المونتانيين التي انضم إليها اتُهمت بأنها زادت عدد أيام الصيامات، وأطالت الصلاة حتى المساء-بصفة عامة.

وكانوا يراعون الطعام الخالي من اللحوم، أو عصير الفواكه، ولا يلمسون شيئًا له نكهة الخمر، وفي بعض المناسبات يمتنعون عن الاستحمام. وقد

أدينت كل هذه الممارسات باعتبارها بدعًا وهرطقة زائفة.

حينئذ ينبري ترتليانوس للدفاع، ويؤكد من خلال العهدين القديم والجديد ضرورة الصوم بعد عصيان آدم، ويتكلم عن فوائد التنسك. ثم يتجه بعد ذلك للهجوم القاسي على المسيحيين متهمًا إياهم بالانغماس في الشهوات. فقد اتهمهم بأنهم يقيمون مطاعم في السجون لشهداء غير جديرين. وتظل هذه الرسالة مصدرًا قيِّمًا للمعلومات عن تاريخ الصوم.

و- عن التواضع

تتناول رسالة "De Pudicitia" موضوعًا أكثر أهمية عن سابقتها، ولكنها لا تقل حدةً عنها. فيعرض ترتليانوس لمفهومه المونتاني عن سلطان الحلِ والربط، فيرى أن هذا السلطان ليس قاصرًا على رجال الإكليروس فحسب، بل للروحيين أيضًا. وهذه الرسالة تعد هجومًا قويًا ضد النظام التكفيري الذي تتبعه كنيسة شمالي أفريقيا التابعة لروما. وبصفة خاصة ضد كتاب "edictum peremptorium" لأسقف لم يذكر اسمه. وقد ذكر عنه ترتليانوس قوله: "إني أغفر خطايا الزنا والفسق لأولئك الذين يكفرون عنها".

ويرد ترتليانوس قائلاً: "إني أفحص الآن رأيك، لأرى من أي مصدر اغتصبت هذا الحق **للكنيسة**. فإذا كان السبب هو قول الرب لبطرس "وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي"، "وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات" أو "كل ما تربطه على الأرض، يكون مربوطًا في السموات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات"، فلهذا السبب فإنك تفترض أن سلطان الربط والحل قد أعطي لك، أي لكل كنيسة تنسب إلى بطرس، فأي نوع من الرجال أنت، إذ تفسر وتغيِّر تمامًا القصد الواضح للرب، من منحه هذه العطية لبطرس شخصيًا؟"

والعبارة التي يقول فيها: "أي لكل كنيسة تنسب إلى بطرس" لا يكون لها معنى إن لم تكن تشير إلى أسقف روما وحده، بل إلى أسقف "كل كنيسة تنتمي إلى بطرس بالإيمان أو بالديانة وهذا ما ينسب إلى قرطاجنة تمامًا، حيث أسسها كارزون من روما بحسب التقليد".

وتعد هذه الرسالة هي المصدر الأول التي يذكر فيها الخطايا الكبرى الثلاث وهي: الوثنية، الزنى والقتل، ويعتبرها ترتليانوس غير قابلة للغفران. ويقول ترتليانوس بأنه ليس للكنيسة سلطان أن تغفر الآثام الكبرى التي تحدث بعد المعمودية، بل حتى شفاعة الشهداء من أجل المذنب لا تنفع.

جـ- كتابات مفقودة

كتب ترتليانوس عددًا من الأعمال باللاتينية ولكنها فقدت وهي:

(١) De spe fidelium ويبين فيه أن نبوات العهد القديم الخاصة باسترداد اليهودية يجب

أن تفسر مجازيًا عن المسيح والكنيسة.

(٢) De Paradiso ويرد فيه عن أسئلة خاصة بالفردوس، وفيه يرى أن كل الأرواح -عدا أرواح الشهداء- ستظل في الجحيم إلى أن يأتي يوم الرب.

(٣) Adversus Appelleiacus وكتبه ضد شيع أبيلليس Appelles، وهو من أتباع مارقيون Marcion وضد ما يقولون به من أن المسيح ليس هو الله، بل ملاك بارز له روح المسيح وقدرته ، ومشيئته، خلق هذا العالم، وأنه ندم على ذلك في وقت لاحق.

(٤) De censu animae حيث يشير ترتليانوس في "De anima" عدة مرات أنه قام بنشر عمل آخر ضد هرموچينس Hermogenes عن أصل النفس في الكتاب الذي نحن موضع الحديث عنه، ولكنه فُقد.

(٥) De fato أعلن في De animazo عن الكتاب المذكور، وكان يتناول موضوعات مثل: القدر، والحاجة، الثروة ، وحرية الإرادة، الرب الإله وخصمه الشيطان وذلك فيما يتعلق بتأثيرها على الفكر البشري. وقد اقتبس من الكاتب الأفريقي فابيوس بلانسياديس Fabius Planciades ويبدو أن الكاتب امبروزياستر Abrosiaster قد استشهد بهذا الاقتباس.

(٦) Ad amicum philosophum وجَّه ترتليانوس في شبابه رسالة إلى صديق فيلسوف عن متاعب الحياة الزوجية، وذلك طبقًا لچيروم. (Epist. 22, 22, adv. jovin. 1:13)

(٧) توجد بعض العناوين وجدت في قائمة محتويات مخطوطة Agobardinus وهي: De Carne et anima, De Submissione and De Superstitione Saeculi.

إلا أن ثمة كتابات أخرى عديدة فُقدت أيضًا وهي باليونانية، وذُكرت في علاقتها بنظائرها في اللاتينية وهي: De Spectaculis, De baptismo, De Virginibus Velandis. ولعل إشارة إلى عمل رابع نجدها في كتابه "Comcerning ecstacy" وهو ما يذكره چيروم على أنه قام بكتابته أثناء انضمامه للمونتانيين. وقد أضاف ترتليانوس كتابًا سابعًا للكتب الستة التي كتبها بعنوان: "on ecstacy".

ويرجح أن ترتليانوس يرد في كتابه السابع على الاتهامات التي شُنت على المونتانية. على أن الكتب الأخرى تتناول تعليم شيعته وتصوفها. وكلها كتبت بعد قطيعته النهائية للكنيسة. وربما كان ذلك نحو سنة ٢١٣م.

د- كتابات موضع شك

ثمة عديد من الكتب غير موثوق بها وهي:

(١) وجد سواريز (Suarez) كتاب (De execrandis gentium diis) في

مخطوطة ڤاتيكانية ترجع إلى القرن العاشر، مع مخطوطة بِيد (Bede) والتي تُدعى (Chronicle) وأجزاء أخرى، وهذه الجزازة تنسب إلى رسالة دفاعية. واختلافها في الأسلوب يجعل من المستحيل نسبتها إلى ترتليانوس.

(٢) Adversus Omnes haereses راجع رقم ٣- رسائل موضع جدل بند أ.

(٣) Carmen adversus Marcionitas مكتوب بأسلوب شعري ويتألف من خمسة أجزاء. في الجزء الأول يتناول أصل الهراطقة، وفي الجزء ين ٢ و٣ الصلة الوثيقة بين العهدين القديم والجديد ضد ثنائية مارقيون. وفي الجزء الرابع يتعرض لتعليم مارقيون. وقد كتب بلاتينية ضعيفة ، ولعل ذلك كان في بلاد الغال قبل سنة ٣٢٥م. ومن الواضح أن هذا الكتاب يعتمد على كتاب ترتليانوس ضد مارقيون (Against Marcion).

(٤) Passio SS. Perpetuae et Felicitatis من المشكوك أن كاتبه ترتليانوس.

(٥) Carmen ad Flavium Felicem de resurrectione morturum et de iudicio Domini . مكتوب بأسلوب شعري سداسي التفاعيل، وقد نسب زيفًا إلى ترتليانوس أو كبريانوس. أما المؤلف الحقيقي فغير معروف ويسرد ڤازنك Waszink أسبابًا وجيهة لتاريخه المحتمل حيث يُرجعه إلى نهاية القرن الخامس أو بداية القرن السادس.

هـ- ملامح من فكره اللاهوتي

يحاول الدارسون فهم شخصية ترتليانوس وفكره اللاهوتي من خلال أعماله العديدة التي وصلت إلينا. ولكتابات ترتليانوس أهميتها في التاريخ. فهي من جهة تعبر عن الثقافة السائدة والقضايا الفكرية التي كانت في الزمن الذي عاش فيه، ومن جهة أخرى توضح إسهاماته الهامة في صياغة الفكر اللاهوتي المسيحي.

(١) الفكر اللاهوتي واللغة

بعض الصياغات التي صاغها ترتليانوس من الدقة حتى إنها ما زالت باقية حتى الآن. فترتليانوس هو أول من استخدم الكلمة اللاتينية (Persona) بمعنى أقنوم. وأول من صاغ عقيدة الثالوث هكذا: "جوهر واحد في ثلاثة أقانيم". وإن كان في وقت لاحق تأثر بنظرية تابعية الابن، إلا أننا مدينون له بتعبيره عن شخص المسيح أنه: "طبيعتين في شخص واحد".

كذلك فإن ترتليانوس هو أول من استخدم الكلمة اللاتينية (Trinitas) للإشارة بها إلى الأقانيم الإلهية الثلاثة. ولنا عودة مرة أخرى مع فكره

اللاهوتي عن الثالوث. كما عبر ترتليانوس بمفهومه عن الكنيسة إذ يدعوها "الأم" خلال أعماله.

هذه بعض التعبيرات التي صاغها ترتليانوس واستخدمها لتعبر عن فكره اللاهوتي تجاه بعض العقائد المسيحية، وتوجد غيرها، وهي على قدر كبير من الأهمية، ولكي نفهمها فهمًا دقيقًا كاملاً، علينا أن نقوم بدراستها في سياقها الذي عُرضت فيه. وفي ضوء الاستخدام الدقيق للغة في العصر الذي ظهرت فيه. ويمكننا أن نقدم أعمال ترتليانوس على أنها مولد الفكر اللاهوتي التأملي النظامي (موسوعة الكنيسة الأولى).

إن اللغة التي استخدمها ترتليانوس جعلته فريداً في بابه، كما جعلته مشوقًا وفريداً. ويرى پ. سينيسكالكو (P. Siniscalco) أن ترتليانوس لا يعتبر مؤسس الأدب اللاتيني المسيحي فحسب، وإنما بالأحرى مؤسس الفكر اللاهوتي اللاتيني (المرجع السابق).

(٢) الفكر اللاهوتي والقانون

ثقة ترتليانوس في القانون ثقة كبيرة، وتأثر في ذلك بعمله كمحامٍ (أو قاضٍ). فكان يطالب المضطهِدين بأن يطبقوا القانون ومعاييره الحقيقية. ونجد تأثير القانون واضحاً في دفاعه العظيم عن الكنيسة في كتابه (Apologia) ضد الهراطقة.

ونجده في كتابه "Praescripto" يقول بأنه من غير الضروري الدخول في جدال مع المنشقين لأن عبء البرهان يقع على عاتقهم باعتبارهم أصحاب بدعة: "نحن نحذر من هؤلاء المزيِّفين لعقيدتنا، ونقول لهم إن القاعدة الوحيدة للحق ليست سوى تلك التي تأتي من المسيح، والتي نقلها لنا تلاميذه".

وتتردد كثير من الكلمات القانونية في كتاباته أمثال: "دَيْن، رضاء، ذنب، تقويض".. وغيرها.

(٣) الفكر اللاهوتي والفلسفة

لم يقنع ترتليانوس بأهمية الفلسفة ودورها في الإيمان. فلم يَر أن ثمة شيئًا مشتركًا بينهما... بخلاف كليمندس السكندري الذي كان يعجب أيما إعجاب بمفكري اليونان وكان ينظر إليهم باعتبارهم يقومون بالنسبة للوثنيين بنفس الدور الذي كان يقوم به الناموس بالنسبة لليهود.

يتحدث ترتليانوس كما لو أنه يجب اجتثاث الحكمة البشرية من الكنيسة، لأن الحكمة البشرية تتظاهر بمعرفة الحق، بينما هي في واقع الحال تفسده. فأي تشابه يوجد بين المسيحي والفيلسوف؟ وبين تلميذ اليونان وتلميذ السماء؟ بين الرجل الذي يستهدف الشهرة، وذاك الذي يستهدف الحياة؟ وبين من يتكلم ومن يعمل؟ بين الرجل الذي يبني وذاك الذي يهدم؟ وبين الصديق والعدو ، الذي يتصيد الأخطاء ؟ بين من يشوه الحقيقة، ومن يعيد الحق ويعلمه؟ ولكنه اضطر إلي الاعتراف بأن بعض التأملات الوثنية بها قبس من

الحق فقال: "ومن الطبيعي ألا ننكر أن الفلاسفة يفكرون أحيانًا في نفس الأمور التي نفكر فيها نحن". وكان ترتليانوس قد اتفق في بعض الأفكار مع الفيلسوف الوثني سينيكا.

في الواقع، لقد تأثر ترتليانوس بأفكار الرواقيين، فقد اعتمد في كثير من المبادئ الأخلاقية على تعليمهم وكذلك في مفهومه عن الله وفي فكرته عن الروح. وكان يقول عن التشابهات بين تعاليم الكنيسة وتعاليم الفلاسفة الوثنيين، أن أولئك الفلاسفة قد أخذوا تلك الأفكار من العهد القديم، ولكنهم (أي الفلاسفة الوثنيون) شوّهوا الحقائق التي أعطاها الله. وبذلك أصبحوا هم المسئولين عن الهرطقات فهم "آباء الهراطقة". (كواستن- مرجع سابق). وبذلك ينسب ترتليانوس كل ضلالة طرأت على الإيمان إلى الفلسفة الوثنية وفلاسفتها. وقد نحا هيبوليتس الروماني نفس المنحى في كتابه Philiosophumena بعد ذلك بعشرين سنة.

يرى بعض الدارسين أن الموقف الذي يتخذه ترتليانوس ضد الفلسفة إنما يرجع إلى التقليد القائم قبله والذي هو ضد الفلسفة. (ر. براون R. Braun- موسوعة الكنيسة الأولى).

(٤) تعليم ترتليانوس عن الثالوث

قدم ترتليانوس أعظم مساهمة للفكر اللاهوتي من خلال تعليمه عن الثالوث القدوس، والتعليم الخاص بشخص السيد المسيح. وكما سبق القول فإن الكنيسة حتى الآن لا تزال تستخدم التعبيرات والصياغات التي نحتها ترتليانوس ببراعة في اللغة اللاهوتية الكنسية.

سبق أن أشرنا إلى الكلمة اللاتينية "Trinitas" التي استخدمها ترتليانوس للإشارة إلى الأقانيم الإلهية الثلاثة. وإن كان أفضل تعليم له عن الثالوث في (Ad Prax). وهو يشرح العلاقة بين وحدة الله وثالوثه فيشير إلى الوحدة في الجوهر بالنسبة للثالوث. ويقول ترتليانوس: "أؤكد دائمًا أن ثمة جوهرًا واحدًا في ثلاثة متحدين معًا".

كذلك استخدم (Persona) ليعبر عن "أقنوم"، وأصبح هذا التعبير معروفًا في التطور اللاحق. وعن "اللوجوس" يقول إنه "غير الآب من ناحية الأقنومية وليس من ناحية الجوهر وللتمييز لا للتقسيم". وينطبق تعبير "أقنوم" على الروح القدس الذي يسميه ترتليانوس "الأقنوم الثالث" فيقول: "إذا كانت تعددية الثالوث مازالت تزعجكم، كما لو أنه لم يكن مرتبطًا في وحدة بسيطة، فإني أسألكم كيف يمكن لكائن هو مجرد واحد مطلق، مفرد، أن يتكلم بصيغة الجمع قائلاً: **نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا**، في حين أنه كان يجب عليه أن يقول: **لأخلق الإنسان على صورتي كشبهي.** باعتباره كائنًا مفردًا ومتفردًا؟ ومع ذلك فإنه يقول في الفقرة التالية: **هوذا الإنسان قد صار كواحد**

منا. وإذا كان الله واحداً ومفرداً فحسب، فلابد أنه كان يخدعنا أو يداعبنا حين تكلم بصيغة الجمع. أم كان يتكلم إلى الملائكة كما يفسر اليهود هذه الفقرة، لأن هؤلاء أيضًا لا يعترفون بالابن؟ أم لأنه كان ذات مرة الله، ثم الابن، ثم الروح القدس، ومن ثم كان يخاطب نفسه بصيغة الجمع، جاعلاً من نفسه جمعاً في هذه المناسبة عينها. كلا، لم يكن الأمر كذلك، لأن ابنه كان من قبل في حضنه كأقنوم ثانٍ، كلمته، وأقنوم ثالث أيضًا الروح القدس ، ولذلك تكلم وعن عمد بصيغة الجمع قائلاً: **نعمل، صورتنا وكشبهنا، وكواحد منا.** لأنه بمن عمل الإنسان؟ وعلى صورة من خلقه؟ كان يتكلم مع الإبن الذى كان مزمعاً أن يأخذ طبيعة إنسان ، ومع الروح القدس الذى كان مزمعاً أن يقدس الإنسان . معهما كان يتكلم حينئذ، في وحدة الثالوث، كما يتكلم مع خدامه وشهوده".

لم يستطع ترتليانوس أن يتخلص تمامًا من تأثير نظرية التابعية، والتمييز القديم بين اللوجوس، "الكلمة الداخلية" أو "الكلمة المتأصلة في الله"، و "الكلمة" التي نطق بها الله. حيث زعم أن الولادة الإلهية وقعت بالتدريج (كواستن- مرجع سابق). ويميز ترتليانوس بين ميلاده سابقًا كالحكمة قبل الخليقة، وإبان لحظة الخلق، حين أُرسل "الكلمة"، وصار الحكمة هو الكلمة: "ومن ثم فإنه حينئذ ظهر الكلمة، حين قال الله: "ليكن نور". وهذا هو الميلاد الكامل للكلمة. لقد قدم الله الكلمة أولاً بالفكر تحت اسم الحكمة "الرب قناني أول طريقه" (أمثال ٨:٢٢)، ثم ولد للعمل: "لما ثبَّت السموات كنت هناك أنا" (أمثال ٨:٢٧). وصار "الابن" "البكر" المولود قبل الكل، الابن الوحيد المولود من الله. ولكن الابن على هذا النحو لا يكون أبديًا، مع أنه الكلمة كائن حتى قبل تأسيس العالم. والآب هو الجوهر كله، في حين أن الابن هو بعض من الكل، كما يعترف هو بنفسه قائلاً: "لأن أبي أعظم مني" (يوحنا ١٤:٢٨).

تظهر ميول ترتليانوس لتعليم التابعية لا سيما حين يقول إن الابن يخرج من الآب كما يخرج الشعاع من الشمس. لأن الله ولد الكلمة، كما الجذر البرعم، وكما الينبوع النهر، وكما الشمس شعاعها.. ويقول "الواقع إنني لن أتردد في أن أسمي البرعم ابنًا للجذر، والنهر ابنًا للينبوع، والشعاع ابنًا للشمس، لأن كل مصدر يعد والدًا، وكل شيء يخرج من المصدر يعد ابنًا- ولا سيما كلمة الله، الذي يعرف بأنه "الابن". ومع ذلك فإن البرعم لم ينفصل عن الجذر، ولا النهر عن منبعه، ولا الشعاع من الشمس، وبنفس الطريقة لم ينفصل الكلمة عن الله. وعلى هذا فباتباع صيغة هذه التشبيهات، أعترف بأني أسمي الله وكلمته، الآب وابنه- اثنين. لأن الجذر والبرعم شيئان متميزان ولكنهما متحدان، والمنبع والنهر شيئان كل منهما له صفته، ولكنهما غير منفصلين ، وهكذا الحال أيضًا بالنسبة للشمس والشعاع. وأي شيء

ينبثق من شيء آخر يجب أن يكونا ثانيًا لما انبثق منه، دون أن يكون لهذا السبب منفصلاً عنه. والروح القدس في الواقع هو ثالث من الله والابن، تماماً مثلما أن ثمر البرعم هو ثالث للجذر، أو كما أن قناة الري الخارجة من النهر هي ثالث بالنسبة للنبع، كما أن طرف الشعاع هو ثالث من الشمس، ومع ذلك فلا شيء غريب عن ذلك المصدر الأساسي الذي استمد منه خصائصه.. وعلى غرار ذلك فإن الآب هو مصدر الثالوث الذي يرتبط فيما بينه بدرجات معينة، لا تؤثر على كل منهم منفردًا".. (Adv. prax.8) (كواستن- مرجع سابق).

(٥) تعليمه عن شخص السيد المسيح

بينما حوت أفكاره عن الثالوث القدوس، بعض المشاكل اللاهوتية، مثل تابعية الابن. فإن تعليمه عن شخص السيد المسيح جاء خلوًا من أي نقص. فهو يعلن بكل وضوح الطبيعتين في شخص السيد المسيح فيقول: « ونحن نرى بوضوح الحالة المزدوجة، والتي ليست في حالة ارتباك، وإنما قد اتحدت في شخص واحد- يسوع، إله وإنسان... بل إن صفات كل طبيعة حُفظت تمامًا حتى أن الروح القدس من ناحية، عمل كل أعماله في يسوع، مثل المعجزات، والأعمال القوية والعجائب، ومن ناحية أخرى، أظهر كل المشاعر الخاصة بالجسد، فمثلاً كان يسوع جائعًا أثناء التجربة في البرية، وعطشانًا حين تقابل مع السامرية، وبكى عند قبر لعازر، وحزن حتى الموت، وأخيرًا مات فعلاً. ومع ذلك فإنه لو كان مجرد جوهر مركب ثالث من عنصرين، مثل الإلكتروم الذي يتكون من ذهب وفضة، فلن تكون ثمة دلائل واضحة لأي من الطبيعتين (العنصرين).. إنه بالنظر إلى أن العنصرين يعملان بكل وضوح كل بحسب خصائصها (Adv. prax. 27:3).

وتجد في هذه الأقوال صياغة مجمع خلقدونية (في سنة ٤٥١م) عن طبيعتين في شخص واحد (أقنوم).

✢ ✢ ✢ ✢

٢- كبريانوس

أ- نشأته .

ب - أعماله .

ج - الكتابات المنحولة .

د - ملامح من فكره اللاهوتي .

أ- نشأته: الزمان والمكان

ولد سيسيليوس كبريانوس Caecilius Cyprian الملقب ثاسيوس Thasciius ما بين سنة ٢٠٠م وسنة ٢١٠م في أفريقيا (كواستن حـ ١: مرجع سابق)، بينما يرى شاف Shaff أنه ربما ولد نحو سنة



٢٠٠م، أو قبل ذلك (شاف- مرجع سابق). ويرى ف. ساكسر V. saxer أن حياة كبريانوس والتواريخ التي تسبق عام ٢٤٦م أي قبل رسالته (Ad Dona-tum) هي افتراضية (راجع دائرة معارف الكنيسة الأولى).

ولد كبريانوس في أفريقيا، ولعل ذلك كان في قرطاجنة ، من عائلة وثنية ثرية ذات ثقافة رفيعة (كواستن). ويرى تلميذه بونتيوس Pontius، الشماس، كاتب سيرة حياته، أن حياة كبريانوس المبكرة لا يوجد بها ما يمكن أن يكون ذا قيمة وذلك بالمقارنة بأعماله العظيمة التي عملها فيما بعد للكنيسة (شاف- مرجع سابق). ويقول عنه چيروم إن كبريانوس حظى بشهرة واسعة عن تدريسه للبلاغة.. كان كبريانوس أحد أفضل الأساقفة الذين يمكن أن يبرزهم التاريخ المسيحي (پ. مونسو -موسوعة الكنيسة الأولى).

كان كبريانوس يتحلى بسجايا طيبة القلب، التي تحببه إلى عمل الخير، واللطف، والرغبة في الوحدة. وكان كبريانوس يعتمد على ترتليانوس حيث كان يعترف بتفوقه ككاتب. وقد ذكر چيروم أن كبريانوس "تعود على ألاَّ يقضي يومًا دون أن يقرأ لترتليانوس ،" وكثيراً ما كان يقول لتلميذه "سلمني الأستاذ" وهو يقصد بذلك ترتليانوس. (كواستن- مرجع سابق). كان كبريانوس يعكف على دراسة الكتاب المقدس والقراءة لمعلمي الكنيسة. وهو رجل أدب وبلاغة، وثقافة أصيلة وله قدرة إدارية بارزة، وقد أسدت له خدمة عظيمة فيما بعد، عندما أصبح أسقفًا (شاف- مرجع سابق).

عرف كبريانوس طريقه إلى الإيمان المسيحي بتأثير القس سيسيليوس الذي استمد منه لقبه وذلك نحو سنة ٢٤٥م أو ٢٤٦م. ووهب كل أمواله للفقراء، وبعد وقت قصير من إيمانه بالمسيح، انتقل إلى الكهنوت في سنة ٢٤٨م. (شاف- مرجع سابق) ثم انتخب أسقفًا لمدينة قرطاجنة في سنة ٢٤٩م مما أثار غيرة المرشحين لذلك المنصب، ومن بينهم نوڤاتوس Novatus.

نشب اضطهاد دسيوس (Decius) في سنة ٢٥٠م أي بعد نحو عام فقط من تولي كبريانوس الأسقفية. شمل الاضطهاد كل الرعايا في الامبراطورية، وكانوا يلزمونهم بتقديم الذبائح للأوثان. وبينما يرى "شاف" أنه نُفي لمدة أحد عشر شهرًا ثم حوكم أمام الوالي وأدين بقطع رأسه، يرى آخرون أنه هرب (موسوعة الكنيسة الأولى)، إلا أن البعض يشكون في ذلك، ويرى كواستن أنه وجد ملاذًا آمنًا تمكن منه أن يكون على اتصال برعيته ورجال الدين، من خلال العديد من الرسائل التي أرسلها إليهم.

كتب لهم كبريانوس في إحدى رسائله موضحًا سبب انسحابه لفترة من الزمن حتى لا يكون هو سببًا في الشغب الذي بدأ، وهو وإن كان غائبًا عنهم بالجسد إلا أنه لم يكن غائبًا بالروح أو بالعمل حيث أنه كان يقدم لهم النصح، بحيث لم

يُقصر في أن يقدم أية خدمة نافعة يقدر عليها لإخوته. وقد وصلت رسائله للكهنة والمؤمنين والكنائس. والاضطهاد الذي وقع آنذاك أحدث انقسامًا في الكنيسة، إذ اعتبر بعض المؤمنين أنفسهم مرجعًا في الشئون الدينية. فطالبوا بمصالحة من ارتدوا عن الإيمان أثناء الاضطهاد، وإزاء رفض الأسقف كبريانوس لذلك، قام فليسيسيموس Felicissimus بتأليف جماعة من خصوم كبريانوس ممن ارتدوا عن الإيمان، وسرعان ما انضم إليهم خمسة كهنة، ممن كانوا قد صوتوا ضد انتخابه للأسقفية. وذهب أحدهم – نوفاتوس Novatus السابق ذكره– إلى روما وأصبح مؤيدًا للحركة التي قام بها نوفاتيان (نوفاتيانوس) Novatian ضد البابا الجديد –في روما– كرنيليوس Cornelius.

بعد عودة الأسقف كبريانوس إلى قرطاجنة حرم خصومه. وفي مايو سنة ٢٥١م انتهى الاضطهاد، وبعد ذلك مباشرة، عُقد مجمع عام لكل أفريقيا في قرطاجنة، حيث ناقش مسألة المرتدين، ووافق المجمع على مقترحات كبريانوس، حيث تقرر أن كل المرتدين، بدون تمييز، يجب أن يسمح لهم بالتوبة، وهكذا تم التغلب على ذلك الأمر. بينما انتشر في كل الكنيسة الانقسام الذي أحدثه نوفاتيان. عضَّد كبريانوس موقف بابا روما كرنيليوس وخليفته لوكيوس (Lucius). بينما أصبح الموقف مختلفًا مع البابا اسطفانوس Stephen (٢٥٤-٢٥٦م) حيث أثار حرم الأساقفة الأسبانيين ومارقيانوس Marcianus الذي من آريس، خلافًا بين روما وقرطاجنة. وأصبح أمر معمودية الهراطقة سبب خلاف بين البابا اسطفانوس والأسقف كبريانوس.

وثارت مسألة تحت أي ظروف كان يجب على الهراطقة والمنشقين على الكنيسة ومن اعتمدوا خارج الكنيسة الجامعة أن يتقدموا للمعمودية مرة أخرى؟ في روما اعتبرت تلك المعمودية صحيحة، واكتفى بوضع الأيادي فقط لمن عادوا إلى المجتمع الكنسي مرة أخرى. أما في قرطاجنة فإن الأمر كان على عكس ما كان عليه في روما. حيث اعتبرت معمودية الهراطقة كأنها لم تكن، وقبولهم مرة أخرى في الكنيسة كان يقترن بإعادة معموديتهم مرة أخرى. وأصبح هذا الأمر تقليدًا في أفريقيا بعد أغريبينوس (نحو سنة ٢٢٠م).

كان من الممكن أن تستمر العلاقة بين كنيسة روما وكنيسة قرطاجنة، كما كانت في الماضي، حيث عاشتا في تفاهم وانسجام ولكن مع اختلاف في التقليد. إلا أن البابا اسطفانوس كان يعتقد أن من واجبه أن يجعل أساقفة أفريقيا يعتنقون وجهة نظره. وعندما علم كبريانوس بتدخل اسطفانوس في الشئون الداخلية لكنائس أفريقيا. فإنه شعر أن ذلك ينتقص من سلطته.

فسَّر البابا اسطفانوس على مدى واسع، ما



كتبه كبريانوس عن رياسة روما في كتابه (De unitate) أي عن الوحدة، في الفصل الرابع. فأعاد كبريانوس كتابة الفصل الرابع باختصار حيث لم يذكر شيئًا عن رياسة الرسول بطرس.

حاول كبريانوس تدعيم موقفه، فوجد في فيرمليان (فيرمليانوس Firmilian) أسقف قيصرية كبَّادوكية رجلاً حاسمًا ومتقدًا غيرة. في غضون ذلك عقد مجمعًا في أفريقيا، وأجمع الحاضرون على قبول آراء كبريانوس ومواقفه. وقد حدث السلام مع روما بتدخل العناية الإلهية برقاد البابا اسطفانوس ! . ونجح كبريانوس في توحيد كنيسة أفريقيا.

إن الأسقفية التي تشتتت وقت اضطهاد ديسيوس قد توحدت خلف قيادة كبريانوس في وقت ڤاليريان (ڤاليريانوس- Valerian)، وكانت مستعدة للسير خلفه حتى الاستشهاد. وبدون شك فإن هذه النتيجة كانت ثمرة لتأثير كبريانوس (موسوعة الكنيسة الأولى).

أغريبينوس

ذكر كبريانوس مرتين أغريبينوس (Agrippinus)، الذي مسقط رأسه قرطاجنة، على أنه السابق له (Epp. 71,4,73,3) كما ذكر ثلاث مرات المجمع الذي عقده أغريبينوس في قرطاجنة (المرجع السابق ١:٧٠) وقال عن زمان انعقاده "منذ عدة سنوات مضت" (Ep. 73,3) مع أساقفة أفريقيا ونوميديا (شمال غربى أفريقيا) (Ep. 71,4) حيث قرر أن المعمودية الوحيدة المعترف بها هي تلك المعمودية التي جرت في حضن الكنيسة الجامعة. وقال أغسطينوس إن ثمة (٧٠) أسقفًا، لابد أنهم اجتمعوا نحو سنة ٢٢٠م. (ق. ساكسر V. Saxer- موسوعة الكنيسة الأولى).

نُفي كبريانوس إلى كوروبيس (Curubis) في الثلاثين من أغسطس في سنة ٢٥٧م (حيث كتب آخر رسائله). وبعد ذلك بنحو سنة، وفي الرابع عشر من سبتمبر في سنة ٢٥٨م قطعت رأسه في أجرو سيكستي (Agro Sixti) ودفن ليس بعيدًا عن قرطاجنة (موسوعة الكنيسة الأولى).. وكبريانوس هو أول أسقف أفريقي ينال الشهادة (كواستن- مرجع سابق).

ب- أعماله

تمهيد

كما نعتبر أن أوريجانوس علاَّمة في التعليم اللاهوتي، وترتليانوس أقوى الكاتبين في الكنيسة الأولى، فإن كبريانوس هو أعظم الأساقفة في القرن الثالث الميلادي. وقد تفوق بقدراته التنفيذية حتى على أساقفة الرومان في عصره.

لقد ظهرت القدرات الخاصة عند كبريانوس في مجال التنظيم الكنسي، وفي أحكام التأديب. فبينما



كان جُل اهتمام ترتليانوس مُركزًا على دحض ومواجهة الهراطقة، فإن كبريانوس كان يهتم أساسًا بمواجهة الانقسامات والمنشقين على الكنيسة.

وتنقسم أعمال كبريانوس إلى الفئات التالية:

١- أبحاث ودراسات:

أ- إلى دوناتس

ب- بشأن المرتدين

جـ- عن وحدة الكنيسة

٢- أعمال تتضمن مباديء أخلاقية:

أ- عن الصلاة

ب- عن الخلود

جـ- عن الأعمال والصدقات

د- عن فائدة الصبر

هـ- عن الغيرة والحسد

و- حض على الاستشهاد

(موجَّه إلى فورتيوناتوس)

ز- عن ثياب العذارى

٣- أعمال دفاعية:

أ- إلى ديمتريوس

ب- إلى كيرينوس

جـ- الأوثان ليست آلهة

٤- رسائل

١- أبحاث ودراسات : وهي تتعلق بمسائل عملية عن إدارة الكنيسة وأحكام التأديب فيها.

أ- إلى دوناتس

تعد رسالة (Ad Donatum) من أقدم رسائل كبريانوس ، وقد وجَّهها إلى صديقه دوناتس (Donatus). وهي تصف تأثير النعمة الإلهية العجيب في إيمانه، حيث قادته من الفساد والعنف ومن العالم الوثني، ومن العمى الروحي، والأهواء الخاصة بحياته السابقة، إلى سلام وسعادة إيمانه المسيحي. وهذه الرسالة تذكرنا باعترافات القديس أغسطينوس، حيث يعترف كبريانوس بأخطائه، وفي ذات الوقت يعترف بمجد الله ، وقد كتب كبريانوس الرسالة بعد معموديته ويرجح أنه كان في عشية عيد القيامة في سنة ٢٤٦م، وكان الهدف منها دعوة الآخرين إلى اتخاذ خطوة مماثلة. حيث أن كل خاطيء سيتشجع إذا ما تأمل النعمة التي حصل عليها كبريانوس.

كان الأسلوب الأدبي لكبريانوس -في هذه الرسالة- مطنبًا ومتكلفًا، ويختلف إلى حد كبير عن أعماله التالية التي تميزت بالفخامة والبلاغة. وقد جاء في تلك الرسالة:

"لقد وقعت في ألف خطأ في حياتي السابقة.



ولم أكن أحسب أنه بمقدوري الفكاك منها، لأني كنت عبداً لنقائصي.. إلا أن المياه المجدِّدة طهرتني من وصمات حياتي السابقة، وأشرف في قلبي نور من العلاء فطهَّره من فساده، وجاء الروح من السماء فغيرني إلى إنسان جديد بالميلاد الثاني. وليس من شك أنكم تعرفون ماذا أُعطيت بدلاً من نتيجة موت الرذيلة وقيامة الفضيلة. أنتم أنفسكم تعرفون هذا، ولا أفتخر أنا بذلك، ومدح النفس تفاخر بغيض. ومع ذلك فإن هذا ليس افتخاراً بل عرفاناً لا بفضيلة الإنسان بل ببركة الله.. لأنني أقول إن كل فضيلة هي من الله. فمن الله تأتى حياتنا وقوتنا".

ب- بشأن المرتدين

كتب كبريانوس عن المرتدين (De Lapsis) عقب عودته من انسحابه خلال اضطهاد دسيوس وذلك في ربيع سنة ٢٥١م. حيث قدم الشكر للرب بعودة السلام بعد الاضطهاد، وامتدح الشهداء الذين قاوموا العالم، وكانوا قدوة لإخوتهم. إلا أنه سرعان ما يتحول فرحه إلى حزن وكآبة بسبب الإخوة الكثيرين ممن سقطوا إبان الاضطهاد. وهو يحذر المؤمنين من التشفع لأولئك الذين أنكروا الإيمان.

لقد قرئت تلك الرسالة في المجمع الذي انعقد في قرطاجنة في ربيع سنة ٢٥١م، وأصبحت أساس منهج موحد للعمل فيما يتعلق بمسألة المرتدين، وذلك على مستوى كنيسة شمالي أفريقيا.

جـ- عن وحدة الكنيسة

لهذا العمل والذي يسمى "عن وحدة الكنيسة" (De ecclesiae unitate) تأثير كبير على كل أعمال كبريانوس. وهذا العمل يقدم مفتاحاً لشخصيته ولكل ما كتبه. وهذا الكتاب بمثابة "العهد الأعظم" (Magna charta) للكنيسة الجامعة الأولى (شاف - مرجع سابق).

يبدو أن هذا العمل كان يهدف إلى أمرين: الأول: مواجهة الانقسام الذى يتزعمه نوفاتيان (Novatian)، والثاني: رأب الصدع الذي أحدثه الانقسام الذي تزعمه فيليسيموس في قرطاجنة فقط.

يرجح أن هذا العمل لم ينشر قبل عودة الكاتب إلى قرطاجنة، وإنما نشر بعد ذلك في مايو من سنة ٢٥١م أي في وقت المجمع الذي عُقد هناك. وقد أرسلها إلى المؤمنين من الرومانيين فيما كانوا لا يزالون إلى جانب نوفاتيانوس وضد كرنيليوس أسقف روما. وقد تمت المصالحة في نهاية سنة ٢٥١م.

يذكر كبريانوس في المقدمة أن الانقسامات والهرطقات تحدث نتيجة عمل الشيطان. وأنهما أكثر خطورة من الاضطهادات، لأنهما يهددان الوحدة بين المؤمنين، ويشوهان الحق ويتلفان الإيمان. "وكل مسيحي ملزم بأن يبقى في الكنيسة

ولا يوجد سوى كنيسة واحدة... ويجب علينا أن نتمسك بهذه الوحدة بكل قوة وندعمها.. والكنيسة أيضًا واحدة تنتشر في الخارج طولاً وعرضًا إلى كثرة بواسطة زيادة الإثمار.. إن الكنيسة مشرقة بنور الرب، وترسل أشعتها على العالم كله، إلا أنه نور واحد هو الذي انتشر في كل مكان، بل إن وحدة الجسم لم تنفصل. ففيضها المثمر ينشر فروعها في كل العالم.. ومع ذلك رئيسها واحد، ومصدرها واحد، وهي أم واحدة مليئة بنتائج ثمرها، ومن رحمها نحن ولدنا، وعلى لبنها تغذينا، وبروحها امتلأنا حيوية".

ويذكر كبريانوس أيضًا أنه لا خلاص خارج الكنيسة. ومن لا تكون الكنيسة أمه لا يمكن أن يكون الله أباه. وإذا كان أحد ممن كانوا خارج سفينة نوح قد تمكن من النجاة ، فيمكن لمن هو خارج الكنيسة أن يهرب أيضًا. ويحذر كبريانوس من الهراطقة الذين أسسوا نظامًا خاصًا بهم. فهم يخدعون أنفسهم بتفسير خاطيء لكلمات الرب. وحتى لو قتل أولئك الرجال من أجل اسم الرب فإن وصمة الهرطقة والانقسام لا يزيلها الدم. والمعلمون الكذبة أسوأ كثيرًا من المرتدين.

وقد حُفظ الفصل الرابع في نسختين. تحتوي إحداهما على "إضافات" تشدد على أولوية "بطرس". وقد سببت هذه الإضافات جدالاً واسعًا بالنسبة لأصلها. وقد شجبها هارتل (Hartel) محرر كتاب كبريانوس. وينظر إليها الجميع – تقريبًا– على أنها مقحمة على النص الأصلي. أما دوم شابمان (Dom Chapman) فله وجهة نظر أخرى إذ يرى أنه يجب ألا يعزى الاختلاف إلى إفساد في النص بل إلى إعادة صياغته بمعرفة كبريانوس نفسه حيث قام بتنقيح النص الأصلي، مما نتج عنه هذه الإضافات. وقد قام كل من د. فان دن أيند (D. Van den Eynde)، وبرلر (Perler)، وبيڤينوت Bevenot بإثبات صحة ذلك الفرض، فقد كان ثمة فرق هام إذ أنهم رأوا عكس ترتيب النسختين، أي أن النسخة التي بها الإضافات هي الأقدم، أما النسخة الأخرى فاعتبروها هي التي تحمل الصيغة النهاية– وهذا الأمر يبدو أكثر احتمالاً (كواستن -مرجع سابق).

٢- أعمال تتضمن مباديء أخلاقية .

أ- عن الصلاة الربانية

جاء عمل كبريانوس المعروف باسم الصلاة الربانية (De dominica oratione) في قائمة بونتيوس Pontius بعد كتابه عن وحدة الكنيسة. وتوجد أسباب في النص تدعونا للاعتقاد بأنه كُتب بعد ذلك بوقت قصير، وعلى ذلك فإن تاريخه يمكن أن يعود إلى ختام سنة ٢٥١م أو بداية سنة ٢٥٢م. وكان كتاب ترتليانوس "De Oratione" هو المرجع الذي استند إليه كبريانوس، وإن كانت معالجته أكثر عمقًا وشمولاً، إذ أن تفسير الصلاة الربانية



لا تشكل سوى ربع كتاب ترتليانوس فقط، بينما شغلت الفصول (٧-٢٧) من كتاب كبريانوس.

تتناول المقدمة موضوع الصلاة بشكل عام، وتشير إلى الصلاة الربانية "أبانا الذي.." باعتبارها أعظم الصلوات. وهي أكثر فعالية من أية صلاة أخرى لأن الله الآب يُسر بسماعه كلمات ابنه، وعلى ذلك فحين ننطق بها يكون المسيح هو المدافع عنا أمام العرش السماوي. ثم يتبع ذلك ببعض آداب الصلاة من هدوء وتواضع. ويظل الكاتب مهتماً بفكرة وحدة الكنيسة فنراه يعكس ما سبق أن أورده في كتابه عن وحدة الكنيسة.

يقول كبريانوس في بداية التفسير: "وقبل كل شيء ما كان معلم السلام وسيد الوحدة ليرغب أن تكون الصلاة فردية وشخصية، كالشخص الذي يصلي من أجل نفسه فحسب. لأننا لا نقول **أبي الذي في السموات** ، ولا نقول: خبزي كفافي أعطني اليوم، بل ولا يسأل كل واحد من أجل غفران خطاياه وحده، بل ولا يطلب من أجل نفسه فقط ألا يدخل في تجربة وينجى من الشيطان. فصلاتنا عامة ومشتركة، وحين نصلي لا نفعل ذلك من أجل واحد بل من أجل الشعب كله، لأن الشعب كله واحد. وإله السلام ومعلم الوئام، الذي علَّم الوحدة، يريد أن الواحد يصلي من أجل الجميع، كما أنه هو نفسه تحملنا جميعاً في واحد.

كرر كبريانوس هذا الحث على الوحدة والوئام في مواضع عديدة. فالصلاة الربانية عند كبريانوس- كما هي عند ترتليانوس تشكل خلاصة للإيمان المسيحي كله (الفصل التاسع)، فمخاطبتنا لله بقولنا: "يا أبانا" يعبر عن تبنينا كأولاد الله في المعمودية: "الإنسان الجديد، الذي وُلد ثانية وأُعيد إلى إلهه بواسطة نعمته، يقول "يا أبانا" في المقام الأول لأنه بدأ يكون ابنًا" (الفصل التاسع). أما تضرعنا "ليأتِ ملكوتك" فيقول الكاتب إنه يشير إلى الملكوت الأخروي، الذي يتحقق بدم المسيح وآلامه، حيث "الذين كانوا رعاياه في هذا العالم، سيحكمون معه حين يحكم" (الفصل الثالث عشر). أما "خبزنا كفافنا" فهو المسيح في الافخارستيا، خبز أولئك المتحدين بجسده.

في الفصول الأخيرة يعود مرة أخرى إلى ما سبق أن ناقشه، حيث يؤكد على الحماسة والتركيز، وأن كل الأفكار الجسدية والدنيوية يجب أن تزول. والصلوات التي يصاحبها صوم وصدقة تصعد بسرعة إلى الله، لأنه مستمع رحيم للرجاء المرتبط بالأعمال الصالحة. ثم يختتم بفكرة أن المسيحي الحقيقي يثابر في الصلاة نهاراً وليلاً.

ب- عن الخلود

انتشر وباء مفزع بعد الاضطهاد الذي شنه دسيوس (Decius) ، وكان ذلك نحو سنة ٢٥٢م. وإذ لقى كثيرون حتفهم، كتب كبريانوس عن معنى ذلك بالنسبة للمؤمن وذلك في رسالته (-De mortali

tate). فتلك اللحظة التي يواجهون فيها الموت تعد بالنسبة للمسيحي تحرراً من الصراع ودعوة من المسيح. ولا يختلف المؤمنون عن الوثنيين في شيء سوى في الروح التي يواجهون بها نهاية حياتهم. وتلك اللحظة تؤدي إلى الخلود والمجازاة الأبدية. وما من مؤمن يمكنه أن يخشى الرحيل من هذا العالم إلى عالم أفضل فيقول: "ثمة عدد كبير من أحبائنا ينتظروننا ويتلهفون إلى رؤيتنا، فإذ قد اطمأنوا بالفعل على سلامتهم، فهم لا يزالون تواقين إلى خلاصنا. والوصول إلى محضرهم واحتضانهم يشكل سعادة بالغة لهم ولنا على وجه العموم. ويا لها من سعادة تلك التي في الملكوت السماوي، حيث لا خوف من الموت، ويا لها من سعادة سامية تلك التي ننعم بها في الحياة الأبدية".

ولذلك فيجب ألا نحزن على الإخوة الذين تحرروا من العالم، نتيجة نداءات الرب... فلا نحزن على الموتى حتى لو كانوا من أعز الناس إلينا، وحين يأتي اليوم الذي نُستدعى فيه، فيجب أن نأتي إلي الرب بكل سعادة وبدون تردد عند دعوته".

وتتضمن رسالته عدداً كبيراً من الاقتباسات لشيشيرون وسينيكا.

جـ- عن الأعمال والصدقات

صدرت رسالته عن الخلود (De mortalitete) في نفس الوقت الذي صدرت فيه رسالته عن الأعمال والصدقات (De opere and eleemosynis). والتي تحث على العطاء بسخاء، إذ قد ترك الوباء المدمر كثيرين من الناس فقراء معدمين. وهكذا وجدت المحبة المسيحية فرصة عظيمة لمساعدة المحتاجين والمرضى ومن يشرفون على الموت. ويسرد كبريانوس بعض العطايا والنعم التي أجزلها الله عليهم. فقد فداهم المسيح بدمه وسمح لهم بفرصة أخرى للخلاص إذا ما سقطوا في ضعف بعد المعمودية وذلك من خلال الأعمال الصالحة. وهكذا يعلم كبريانوس بفاعلية الأعمال الصالحة، فكل واحد ملزم بأن يعمل الخير. وليس ثمة عذر، فأولئك الذين يخشون على ثروتهم أن تنقص نتيجة كرمهم، ومخافة أن يعانوا من الحاجة والعوز في المستقبل، عليهم أن يعرفوا أن الله يهتم بأولئك الذين يساعدون الآخرين. ويخاطبهم بألاّ يَدَعوا مثل هذه الأُفكار أن تمنعهم من أعمال البر والخير.

وجدت رسالة كبريانوس صدًى طيبًا في الكتابات المسيحية القديمة. وقد اقتبس منها المجمع العام الذي عقد في أفسس في سنة ٤٣١م عدة فقرات. ولا يوجد دليل على أن ثمة ترجمة باليونانية لهذا العمل.

د- عن فائدة الصبر

إن رسالته عن فائدة الصبر (De bono patien-



tiae) تقوم على أساس رسالة ترتليانوس عن الصبر (De patientia)، حيث اعتمد كبريانوس على ترتليانوس في هذا العمل أكثر مما هو موجود في كل كتابات كبريانوس الأخرى. ويتضح ذلك من الإطار العام، واختيار تشبيهات وإن كان الاختلاف بينهما في الروح واللغة واضحاً تمام الوضوح. ويمتدح كبريانوس الصبر باعتباره صفة تميز المسيحيين على نحو خاص. وهذه سمة يشتركون فيها مع الله. الذي منه تأتي كل فضيلة، ومنه تأخذ مجدها وكرامتها (الفصلان ٤و٥). وكل من هو نبيل وصبور ووديع إنما هو يحاكي الله الآب، الذي يصبر على الأذى ويتحمل حتى دنس المعابد، والأصنام، والطقوس المدنسة للمقدّسات التي يقيمها الناس احتقاراً لعظمته وكرامته. وكذلك فإن الصبر يعد محاكاة للمسيح، الذي أعطى أفضل مثال للصبر في حياته بالجسد هنا على الأرض حتى ساعة صلبه وآلامه.

والرسالة تمثل عظة، ويتضح ذلك من المقدمة. ويفيدنا كبريانوس بأنها كتبت في وقت ما من سنة ٢٦٥م من خلال الرسالة التي أرسلها إلى يوبيانوس Jubianus –ويعتقد أنه أسقف موريتانيا.

هـ– عن الغيرة والحسد

دعيت رسالة "عن الغيرة والحسد" (De Zelo et livore) رفيقة للرسالة السابقة أي عن فائدة الصبر (De bono patientiate). وإن كان بونتيوس Pontius يدرجها بعد الرسالة الأخيرة، ومن ثم ساد الاعتقاد بأنها كتبت بعد مناقشة تتعلق بمعمودية الهراطقة في ختام سنة ٢٥٦م أو في مستهل عام ٢٥٧م. إلاَّ أن تشيلتنهام (Cheltenham) يدرجها في قائمته بعد رسالته عن الوحدة (De Unitate)، وبحسب هـ. كوتش (H. Koch) فإنها تأتي أكثر ارتباطًا معها ومع الرسالة عن المرتدين (De Lap-sis). وعلى ذلك فإن الانشقاق القرطاجي والروماني هو الذي يشكل خلفيتها، ومن ثم فإن كوتش يقترح أنها ترجع إلى النصف الأخير من سنة ٢٥١م أو إلى سنة ٢٥٢م كأكثر التواريخ احتمالاً لكتابتها.

وقد كتب في رسالته يقول: "أن تتملكك الغيرة مما تراه من أمور حسنة، وأن تحسد أولئك الذين هم أفضل منك يعد في نظر البعض خطأ بسيطًا وتافهًا. إلا أن الرب ينصحنا أن نأخذ حذرنا من الشيطان، لأن الغيرة والحسد كانتا سبباً في سقوط الشيطان نفسه عند بداية العالم. وكان الشيطان بدوره سبباً في هلاك آخرين. ومنذ ذلك الحين، ومن خلال نفس هذه الرذيلة، نراه يسلب الإنسان من نعمة الخلود، بعد أن فقد هو الحالة التي كان عليها أولاً. ومنذ ذلك الحين والحسد يحتدم على الأرض في ذاك الذي يكاد يهلك بسبب الغيرة بطاعته من كان سبباً في هلاكه، إذ يقلد الشيطان في حسده. وكما هو مكتوب: "لكن

بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم" (سفر الحكمة ٢٤:٢). ولذلك يقلده أتباعه. وهذه الميول الشيطانية هي أساس خطايا أخرى كثيرة مثل الكراهية، النزاعات، الطمع، الجشع، العصيان، كما يظهر ذلك من خلال أمثلة كثيرة في العهد القديم. وفضلاً عن ذلك فإن هذه الرذائل تُعد من أخطر أعداء وحدة الكنيسة، فعن طريقها كُسرت رابطة السلام مع الرب، وانتُهكت المحبة الأخوية و زُيف الحق، ومُزقت الوحدة".

"ولا يوجد سوى دواء واحد ضد هذا المرض المميت للنفس ألا وهو أن تحب قريبك. عليك أن تحب أولئك الذين سبق أن كرهتهم، وأن تُحسن معاملة أولئك الذين سبق لك أن انتقصت من قدرهم، عليك أن تحذو حذو الصالحين، متى كان بمقدورك أن تفعل ذلك. أما إذا لم يكن بوسعك أن تفعل ذلك، فيجب عليك على الأقل أن تفرح معهم، وأن تهنيء أولئك الذين هم أفضل منك. اجعل من نفسك شريكًا لهم في شركة المحبة، وزميلهم في عمل الخير ورابطة الأخوة".

و- حض على الاستشهاد موجَّه إلى فورتيوناتوس

رسالة (Ad Fortanatum de exhortione marty-rii) ، أي "حض على الاستشهاد موجَّه إلى فورتيوناتوس" تعد خلاصة الأسفار المقدسة، كتبها كبريانوس بناء على رغبة شخص اسمه فورتيوناتوس (Fortunatus) لكي يشدد من عزيمة المسيحيين في مواجهة اضطهاد يوشك أن يقع. ويبدو أن فورتيوناتس هو أسقف توكابوري (Thuccabori)، وقد اشترك في المجمع الأفريقي في سبتمبر سنة ٢٥٦م.

تحتوي الرسالة على اثنى عشر عنوانًا.. والعناوين الخمسة الأولى منها تتناول الوثنية وعبادة الإله الحقيقي وعقاب الذين يذبحون للأوثان وغضب الله عليهم (١-٥). وإذ افتُدينا بدم المسيح فينبغي ألا نفضل عليه شيئًا وألا نعود إلى العالم (السابعة) بل نثابر في الإيمان والفضيلة حتى النهاية (الثامن). وتأتى الاضطهادات لكى تكون تجارب لأتباع المسيح (التاسع) . إلا أنه يجب ألا نخاف منها لأننا على يقين من حماية الرب لنا (العاشر) . وتلك الاضطهادات قد تم التنبوء بها (الحادى عشر). كما تم التنبوء أيضًا بالمكافأة والإكليل الذي يناله الأبرار والشهداء (الثانى عشر).

وثمة عدة آراء حول الاضطهاد الذي تدور حوله الرسالة ، فمن قائل إنه اضطهاد دسيوس (٢٥٠-٢٥١م) ، أو ڤاليريان (٢٥٧م) بينما يرى كوتش Koch أن كبريانوس كتب رسالته في ربيع سنة ٢٥٣م حينما كان اضطهاد جالوس (Gallus) وشيكًا.

س - عن ثياب العذارى

يرجح أن الرسالة التي نحن بصدد الحديث عنها وهي "عن ثياب العذارى" (Dehabitu Virgi-num) قد كتبها كبريانوس بعد رسامته أسقفًا لقرطاجنة في سنة ٢٤٩م بوقت قصير. وتمتاز الرسالة بأسلوب جعل أغسطينوس يشير إليها على أنها نموذج لأتباعه من الحاضرين المسيحيين الشبان. (كواستن -مرجع سابق).

يخاطب كبريانوس العذارى في رسالته أنهن زهرة النسل الكنسي، وجمال الموهبة الروحية وزينتها، الجانب الأكثر إشراقًا في قطيع المسيح. الثمر المجيد للكنيسة الأم (الفصل الثالث). وهو ينصح العذارى ممن كرسن أنفسهن للمسيح من الأخطار التي تحيط بهن في العالم الوثني. فيشير عليهن بأن يرتدين الملابس البسيطة وأن يتجنبن التحلي بالمجوهرات واستخدام أدوات التجميل التي إن هي إلا اختراع الشياطين. وإذا كان لديهن ثروة فعليهن استخدامها لا في مثل هذه الأمور، بل في أغراض صالحة مثل مساعدة الفقراء. وغير مسموح لهن بحضور حفلات الزواج الصاخبة، أو الذهاب إلى الحمامات العامة المختلطة. ويختم في إيجاز بأن يتشبثن بما بدأنه، وأن يفكرن في المكافأة.

٣- أعمال دفاعية

أ- إلى ديمتريانوس .

ب- إلى كيرينوس .

جـ- الأوثان ليست آلهة .

أ - إلى ديمتريانوس

كتب كبريانوس رسالة إلى ديمتريانوس (Ad demetrianum) حيث اتُهم المسيحيون بأنهم مسئولون عن الكوارث التي تحدث الناجمة عن الحرب والوباء والمجاعة والقحط . والرسالة تعد من أقوى الكتابات التي قدَّمها كبريانوس. وهي تتسم بالطابع الدفاعي وتشترك في مضمونها مع كثير من سمات كتابي ترتليانوس "Apology" و "To Scapula" ، إلا أنها أشد وأقوى منهما هجاءً.

استهل كبريانوس دفاعه بأن أشار إلى شيخوخة العالم، حيث وصفها بأنها تتبع قانون التدهور والانحلال. وإنه من الطبيعي أن لا تقدر التربة على إنتاج ما اعتادت أن تنتجه في ربيع الخليقة. وعلى ذلك فإنه ليس من ذنب المسيحيين أن يأتي المحصول ضعيفًا. ثم يضيف إن أمراض الأرض الحقيقية إنما ترجع إلى الخطايا وإلى حياة الوثنيين اللا أخلاقية. وقد أشار إلى أن الله له كل الحق في أن يعاقب عصيان البشر. لأننا مجرد عبيد له. فجرائم الوثنيين وعبادتهم الأصنام إلى

جانب اضطهاد المسيحيين ومعاملتهم بكل وحشية حفزت رب الجنود أن يصب غضبه عليهم. ولا يوجد سوى حل واحد لهذا الأمر ألا وهو: "العمل على إرضاء الله، والخروج من هوة الخرافات المظلمة إلى النور الساطع للعبادة الحقة. والمسيحيون على أهبة الاستعداد كي يعرِّفوا أعداءهم طريق السلامة الأبدية الذي تقدمه عبادة الإله الحقيقي وحده، فنحن نقابل الكراهية بالمحبة، وعِوض العذابات والعقوبات التي تُوقعوها بنا، سنعرفكم طريق الخلاص. آمنوا تحيوا، وأنتم يا من تضطهدوننا في الزمن تعالوا لتفرحوا معنا في الأبدية".

لم تكن تلك الاتهامات الباطلة هي الأولى التي تنسب للمسيحيين فقد حدث أن وُجهت أيضًا إلى المسيحيين في وقت ترتليانوس حيث دحض تلك الاتهامات. كما حدث ذلك أيضًا في زمن أغسطينوس وقام بالرد عليها بشكل أكثر تفصيلاً وذلك في كتابه "مدينة الله". وقد قام كل من أرنوبيوس ولاكتانتيوس بدحض تلك الافتراءات. ويعتبر كتاب كبريانوس من أقوى الكتابات الدفاعية.

يرى لاكتانتيوس أن رد ترتليانوس ما كان يجب أن يكون مبنيًا على أساس الكتاب المقدس في براهينه وحججه، وإنما كان ينبغي أن يكون قائمًا على أساس الحجة والمنطق ليكون لذلك تأثيره على ديمتريانوس. ويبدو أن كبريانوس لم يقصد إلى دحض تلك الأفكار لدى ديمتريانوس فحسب، وإنما كان يهدف إلى تشديد وتشجيع المسيحيين ممن كانوا معرَّضين لخطر فقد إيمانهم بسبب الاتهامات الوثنية أيضًا.

تاريخ الرسالة موضع شك. فالإشارة الواردة في الكتاب بالفصل السابع عشر عن موت دسيوس وأولاده أمر غير مقطوع به. أما بونتيوس فيضع هذه الرسالة بعد رسالة (De dominica-oratione)، ومن ثم فتنسب إلى سنة ٢٥٢م. أما كوتش Koch فيرى أنه يجب نسبتها إلى تاريخ لاحق.

ب- إلى كيرينوس

تعد رسالته إلى كيرينوس (Ad Quirinum) على قدر عظيم من الأهمية فيما يتعلق بتاريخ أقدم الترجمات اللاتينية للكتاب المقدس، وهي تأتي على نفس الدرجة من الأهمية التي للرسالة إلى فورتيوناتس.

يوجه كبريانوس رسالته إلى كيرينوس الذي يدعوه ابنه الحبيب. والرسالة في الأصل تأتي في كتابين فقط، وقد أضاف إليهما كتابًا ثالثًا في وقت لاحق. ويبين كبريانوس في الكتاب الأول الذي تركز على اليهود، أن اليهود ابتعدوا عن الله، وحرموا أنفسهم من نعمته، ومن الأفضلية التي حباهم بها في القديم، وقد حلَّ المسيحيون بدلاً منهم في الوعود الخاصة بالمستقبل واستحقوا نعمة الرب بالإيمان ويضم هذا الكتاب أربعة

وعشرين عنوانًا. أما الكتاب الثاني فعبارة عن تعليم موجز عن السيد المسيح. ويحتوي على ثلاثين عنوانًا.

وللكتاب الثالث مقدمة خاصة به، مما يشير إلى أن كبريانوس استجاب إلى كيرينوس بأن يكتب في موضوعات أخرى محددة. فالكتاب الثالث يحتوي على موجز للتأديبات والواجبات الأخلاقية، وهو مرشد للفضائل المسيحية، ويتألف من مائه وعشرين رأيًا مقترنة بأدلة كتابية. إلا أن المقدمة لا تشير إلى الكتابين الأول والثاني، مما يثير الشكوك حول ما إذا كان كبريانوس قد جمع الكتب الثلاثة، ويبدو أن ذلك قد تم في وقت لاحق. ولا تضم الكتب دلالات يمكن أن تساعدنا على تحديد تاريخ معين لها. ويرجح البعض سنة ٢٤٩م تاريخًا لكتابتها على أساس أن كبريانوس استخدم الكتاب الثالث حين كتب رسالته (De habita virginum).

إن للرسالة إلى كيرنيوس تأثيراً عظيمًا ومستمراً على تعليم الكنيسة وكرازتها، وقد نقل عنها كثيرون النصوص اللاتينية للكتاب المقدس. وأول قائمة ذكرت هذه الرسالة هي قائمة تشيلتنهام Cheltenham في سنة ٣٥٩م.

جـ- الأوثان ليست آلهة

تنقسم النبذة الصادرة بعنوان الأوثان ليست آلهة (Quod idola dii non sint) إلى ثلاثة أجزاء. الجزء الأول منها (١-٧) يوضح أن آلهة الوثنيين ليسوا بآلهة، بل كانوا ملوكًا في الماضي، ونظراً لذكراهم الملكية، فإن الناس بدأوا في عبادتهم بعد موتهم . وحفظوا ملامح المتوفي من خلال صورة، فقد نُحت شبههم، كما ذَبَح لهم الناس الذبائح، وأقاموا الاحتفالات لتكريمهم. وهذا ثابت في التاريخ. وليس ثمة سبب للعلاقة الوثيقة بين هذه الممارسات الدينية ومجد روما.

أما الجزء الثاني (٨-٩) فيوضح أنه لا يوجد سوى إله واحد، غير منظور، ولا يمكن إدراكه. والجزء الثالث يتضمن موجزًا لتعليمه عن السيد المسيح.

كانت هذه الرسالة موضع جدل استمر فترة طويلة. إذ لم يذكر كبريانوس نفسه عنها أي شيء في كتاباته، ولم تدرج في قائمة بونتيوس وقائمة تشيلتنهام. وينسبها كل من القديس چيروم والقديس أغسطينوس إلى كبريانوس. وأصبحت الدراسة التي قدمها كوتش مقبولة بوجه عام، وهذه الدراسة ترى أن الرسالة بها آثار من أسلوب كبريانوس ، مما جعل النظرية التي تقول بأن الرسالة منحولة غير ذات موضوع. فقد وضعها كوتش من بين الأعمال المبكرة للكاتب.

تفتقد الرسالة إلى اللمسات الأدبية التي تميز كتابات كبريانوس الأخرى. وربما يرجع ذلك إلى أن الكاتب كان مبتدئًا فجمع اقتباسات من

الكتابات الدفاعية اللاهوتية. لذلك نجد فيها أفكاراً وتعبيرات لترتليانوس ومينوكيوس فيلكس Minu-cius felix. وربما لم يكن الكاتب يهدف إلى نشرها على الإطلاق.

٤- رسائل

هذه الرسائل بمثابة المرآة للمجتمع الكنسي آنذاك، فهي تعكس المشاكل والنزاعات التي تتعلق بالإدارة الكنسية نحو منتصف القرن الثالث من ناحية. ومن ناحية أخرى تعبر عن آمال وآلام المسيحيين وحياتهم. وفكرة تجميع الرسائل فكرة قديمة، حيث بدأ كبريانوس بالفعل بترتيب بعض رسائله طبقًا لمحتواها، ثم أرسل منها نسخًا إلى بعض المراكز المسيحية وإلى زملائه من الأساقفة. وذلك بغرض التنوير والتثقيف.

بلغت المجموعة في الطبعة الحديثة إحدى وثمانين رسالة، خمس وستون منها بقلم كبريانوس، وست عشرة رسالة مرسلة إليه أو إلى رجال الدين في قرطاجنة. وثمة مجموعة أحدث تضم رسائل من البابا كرنيليوس ومن نوفاتيان ومن آخرين. أما أرقام ٥-٤٣ فترجع إلى وقت اعتزاله أثناء اضطهاد دسيوس Decius، ومن بينها سبع وعشرين رسالة وجهت إلى كهنته وشعبه. والرسائل المتبادلة بينه والبابا كرنيليوس ولوسيوس فهي من ٤٤-٦١، ٦٤و٦٦، واثنتى عشرة منها: (٤٤-٥٥) تتعلق بانشقاق نوفاتيان.

أما الرسائل ٦٧-٧٥ والتي كتبت في أثناء تولي اسطفانوس البابوية (٢٥٤-٢٥٧م) فتتناول موضوع الجدل الخاص بالمعمودية، وأرسل من منفاه الأخير الرسائل ٧٨-٨١ والبقية (١-٤، ٦٢، ٦٣، ٦٥) وكلها كتبها كبريانوس نفسه لا يمكن ترتيبها على أساس أي من هذه المجموعة المرتبة ترتيباً زمنياً لأنها تفتقر إلى أية إشارة إلى الأزمنة أو الظروف. والرسالة الأولى منها تؤكد القرار الذي اتخذه مجمع أفريقي أن الإكليروس لا يُسمح لهم بالقيام بدور الأوصياء أو الحراس. والثانية تناقش موضوع ما إذا كان في الإمكان تقبل قيام مسيحي استقال من مهنته لتدريس الفن المسرحي. أما الثالثة فتتناول موضوع شماس أساء إلى أسقفه إساءة بالغة. والرسالة الرابعة كتب فيها معارضة شديدة ضد Syneisaktoi الحياة المشتركة للمتنسكين من الجنسين تحت سقف واحد. والرسالة ٦٢ إلى ثمانية من أساقفة نوميديا، صاحبت إسهامًا ماليًا جُمع في قرطاجنة لإنقاذ المسيحيين من الجنسين كانوا تحت أسر البرابرة. والرسالة الثالثة بمثابة بحث، وأحيانًا تأتي تحت عنوان: "حول سر كأس الرب". وتحمل رأي كبريانوس في عادة غريبة بدأت تتفشى في المجتمعات المسيحية آنذاك، وهي استعمال الماء في عشاء الرب بدلاً من الخمر الممزوج بالماء، الأمر الذي يرفضه. أما الرسالة ٦٥ فهي رسالة إلى كنيسة أشور بعدم السماح لأسقفها السابق

فورتناتيانوس، الذي ذبح للأوثان أثناء الاضطهاد بالرجوع إلى وظيفته.

والمجموعة ليست كاملة بأي حال، حيث ذُكر أن ثمة رسالات أخرى لم تُحفظ. ولا تحمل أي رسالة من الرسائل الموجودة تاريخياً، إلاَّ أنها كلها- عدا اثنتين منها- تحمل عنوانًا (وهما رقم ٨ ورقم ٣٣). ومخطوطة واحدة هي Taurinensis التي تتضمن الرسالة الواحدة والثمانين.

وهذه المجموعة ليست هامة لتاريخ الكنيسة فحسب، وإنما تعد أثرًا هاماً للغة اللاتينية المسيحية. ورسائل كبريانوس يغلب عليها الطابع البلاغي والأسلوب الشيشيروني في الخطابة، وهي تمثل لغة المخاطبة اللاتينية التي كان يتبعها المؤمن المتعلم في القرن الثالث. (كواستن- مرجع سابق).

جـ- الكتابات المنحولة

كان نتيجة لما حظى به كبريانوس من تقدير كبير وسمعة عريضة أن نسبت إليه كثير من الكتابات تفوق في عددها وبكثير كتاباته الحقيقية، وهي:

(١) رسالتا "De bono pudicitiae" و "De Spectaculis" واللتين ظهرتا بين أعمال كبريانوس يرجح أن كاتبهما هو نوڤاتيان (نوڤاتيانوس) Novatian كما يرى كواستن.

(٢) رسالة "إلى نوڤاتيان" (نوڤاتيانوس) (Ad Novatianum) رسالة دفاعية، ويعتقد "هارناك" أن كاتبها هو البابا سكستس Sixtus، بينما يرى كواستن أنها لأحد الأساقفة الأفريقيين ممن يشاركون كبريانوس رأيه فيما يتعلق بالمعمودية التي يقوم بها الهراطقة. ويُعتقد أنها كتبت فيما بين عامي ٢٥٣-٢٥٧م.

(٣) تعارض رسالته عن إعادة المعمودية (De rebaptismate) ما ذهب إليه كبريانوس في هذا الموضوع وتدافع عن صحتها. ويبدو أن الكاتب هو أسقف أفريقي، كتبها بعد سنة ٢٥٦م، ويرجح كواستن قبل وفاة كبريانوس.

(٤) العظة (Adversus aleatores) مكتوبة باللاتينية الدارجة وموجهة ضد من يلعبون النرد. وبينما ينسبها هارناك إلى البابا ڤيكتور (١٨٩-١٩٩م) فإن كوتش Koch يرى أن كاتبها أحد أساقفة شمالي أفريقيا، وقد كتبها نحو سنة ٣٠٠م، بعد وفاة كبريانوس.

(٥) تتناول رسالة (De singularitate clericorum) سلوك رجال الدين من الناحية العملية. ينسب هارناك الرسالة إلى ماكروبيوس Macrobius أسقف دوناتس . أما بلاكا Blacha فيعتقد أن الكاتب هو نوڤاتيان. إلا أن كوتش يدحض هذه الآراء ويبرهن على أن كاتبها هو شخص أفريقي غير معروف من القرن

الثالث. أما ميلين Melin فقد قدم برهاناً قوياً أن كاتب هذه الرسالة هو نفسه كاتب الرسالة السابقة.

(٦) تهدف "De pascha computus" إلى تصحيح الدورة الزمانية لعيد القيامة التي وضعها هيبوليتس الروماني. ويعزى فشل حساباته إلى سوء تفسير الأسفار الكتابية. صدر هذا العمل في سنة ٢٤٣م. وتشير صياغة الاقتباسات الكتابية إلى أن الرسالة صدرت عن أفريقيا.

(٧) تتناول العظة "Adversus Judaeos" جحود إسرائيل التي اضطهدت المسيح الذي سبق أن تنبأ عنه الأنبياء. وحيث كان عناد اليهود، ولا سيما فيما يتعلق بموت المسيح، سبباً في تحول المخلص إلى الوثنيين والمساكين ودعوتهم إلى ملكوته. وعلى هذا لم تعد بعد أورشليم مدينة الله ، وتشرد الإسرائيليون في هذا العالم. ومع ذلك، فإن الله مازال ينصح اليهود أن يتوبوا ويرجعوا ويقبلوا الخلاص الأبدي، ويتعمدوا.

يرى هارناك Harnack أنها ترجع إلى سنة ٢٦٠م. وقد بيَّن بيترسون Peterson منذ عهد قريب أنها تعتمد إلى حدٍ كبير على عظة "ميليتو" Melito "عن آلام السيد المسيح"، وقد نشرها "بونر" Bonner على أنها مخطوطة ترجع إلى القرن الرابع. ويوجد تشابه في الفكر اللاهوتي والتعبير حتى تبدو في بعض فقراتها أنها مجرد مترجمة.

(٨) جاءت عظة De laude martyrii في ثلاثة أجزاء تشرح معنى الاستشهاد (٤-١٢) عظمته (١٣-١٨) ومزاياه (١٩-٢٤). ويرجح أن العظة ترجع إلي القرن الثالث، وكتبها أحد العلمانيين.

(٩) كتبت الرسالة "De montibus sinactsion" باللاتينية الدارجة، ويعتبر الكاتب أن جبل سيناء رمزًا للعهد القديم، وجبل صهيون رمزًا للعهد الجديد. والأول تم تحقيقه من الناحية الروحية في الثاني. ولا يعرف تاريخ الكتابة . وتشير الاقتباسات الكتابية إلي أن الترجمة اللاتينية صادرة عن أفريقيا.

(١٠) توجد مجموعة من الاقتباسات الكتابية بعنوان: "Exhortatio de paenltentia" وهي تتشابه مع مجموعتي كبريانوس Ad Quirinum و Ad Fortunatum وقد جاءت فقرات تلك المجموعة تحت عنوان: "كل الخطايا يمكن غفرانها لمن يرجع إلى الله من كل قلبه".

نسبت الرسالة إلى القرن الرابع أو القرن الخامس، بدون أسباب مقنعة. والنسخة اللاتينية ذات طابع أفريقي، ولكنها من طبعة



أحدث من تلك التي استخدمها كبريانوس.

(١١) "Caena Cypriani" هو عنوان لعمل يصف وليمة مفترضة في قانا، دعيت إليها بعض الشخصيات الكتابية الهامة، والدّاعي ملك عظيم أي الله، ونظراً لأن الكاتب استخدم كتاب "أعمال بولس" على نطاق واسع. لذلك فنحن بصدد مصدر له أهمية فائقة من كتب الأبوكريفا وهو "أعمال الرسل".

يرجح أن هذا العمل يرجع إلى نحو سنة ٤٠٠م، في جنوبي الغال (بفرنسا)، بمعرفة الشاعر كبريانوس، ويبدو أنه هو نفسه كبريانوس الشيخ، الذي وجّه له چيروم إحدى رسائله (الرسالة ١٤٠).

(١٢) Ad Vigilium episcopum de Iudaica incredulitate : وهذا ليس سوى مقدمة للترجمة اللاتينية لحوار أرسطو الذي من بيللا pella.

(١٣) يرجح أن العمل الذي يحمل عنوان:

"De centesima Sexagesima, tricesima" يرجع إلى القرن الرابع بمعرفة أحد الأفارقة. وهو يتناول المكافأة التي تنتظر الشهداء والنساء والمسيحيين الأتقياء. وتأثير كبريانوس واضح في روح النص ولغته.

د- ملامح من فكره اللاهوتي

كبريانوس رجل عملي أكثر منه رجل فكر. فقد اهتم بالقضايا والمسائل العملية التي تواجه المسيحيين. وقد وجدت كتاباته صدًى كبيراً، فحتى زمن القديس أغسطينوس كان كبريانوس هو المرجع اللاهوتي للغرب. إذ كانت كتاباته توضع جنباً إلى جنب مع الأسفار القانونية للعهدين القديم والجديد. وهذا ما تشهد به قائمة تشلتنهام Cheltenham. بل وكان أكثر الآباء من حيث الإقبال على قراءة كتاباته حتى العصور الوسطى إذ كان اللاهوتيون يستشهدون بها مراراً وتكراراً وكان ذلك لتعليمه الخاص عن طبيعة الكنيسة التي كانت تشغل مركز فكره. (كواستن -مرجع سابق).

١- تعليم خاص بطبيعة الكنيسة

الكنيسة في مفهوم كبريانوس هي الطريق الوحيد إلى الخلاص. فمن المستحيل أن يكون الله أبًا لنا ما لم تكن الكنيسة أمنا. ولهذا السبب فإنه من الأهمية البالغة أن نظل في حضن الكنيسة، فما من أحد بمقدوره أن يكون مسيحيًا ما لم يمارس ذلك. فالكنيسة عروس المسيح، وكل من يفصل نفسه عن الكنيسة ويلتصق بزانية إنما هو في الحقيقة يفصل نفسه عن المواعيد التي أعطيت للكنيسة فهو غريب ونجس وعدو. وهكذا فإن الطابع الأساسي للكنيسة هو الوحدة. كما يشبه الكنيسة بأنها رداء المسيح.

وسر الوحدة المقدس هذا، وكذلك الرابطة

المتناغمة التي لا تنفصم قد وضحت حيث نجد في الإنجيل أن رداء الرب يسوع المسيح لم يُقسم إطلاقًا، ولم يُقص، بل استُلم كثوب كامل، وتسلمه دون تقسيم أو مساس به أولئك الذين ألقوا قرعة على ثوب المسيح، والذين كان عليهم بالأحرى أن يلبسوا المسيح. وكان هذا الرداء يحمل معه وحدة نزلت من أعلى أي من السماء من عند الآب.. ولا يمكن أن يمتلك ثوب المسيح ذاك الذي يترك أو يقسم كنيسة المسيح.

وهو يشبه كنيسة المسيح بفُلك نوح، الذي لم ينجُ أحد خارجه. وهناك تشبيهات أخرى، إلا أن تشبيهه المفضل -وقد ورد أكثر من ثلاثين مرة- هو "الأم" التي تجمع كل أولادها في عائلة واحدة كبيرة، وهي سعيدة إذ تجمع في أحضانها شعبًا هو جسد واحد وفكر واحد. والذي يفصل نفسه عن رحمها عليه أن يُعد نفسه هالكًا.

وقد كتب كبريانوس "De Unitate ecclesiae" وكثيراً من رسائله دفاعًا عن الوحدة الكنسية وهو يرى أن تضامن الكنيسة في أنحاء العالم يقوم بدوره على أساس تضامن الأساقفة، الذين يؤلفون مجلسًا. والكنيسة تتألف من الأسقف والإكليروس وكل المؤمنين. والتي يرتبط أعضاؤها المختلفين بعضهم بعضًا بناموس المحبة والتآلف، وهكذا تصبح الكنيسة عالمية في جسد واحد. والكنيسة الجامعة الواحدة، لم تنقسم ولكنها مرتبطة حقًا وموحدة بترابط كهنتها، الذين يثبّتون أعضاء ها فيترابطون معًا.

٢- المعمودية

يرفض كبريانوس المعمودية التي يقوم بها الهراطقة ويعتبرها غير صحيحة.. وهو بذلك يتفق في الرأي مع ترتليانوس. أما فيما يتعلق بمعمودية الأطفال فإن لكبريانوس رأيًا مخالفًا لترتليانوس. إذ بينما يرى ترتليانوس ضرورة تأجيل المعمودية حتى يكبر الأطفال ويستطيعوا معرفة المسيح. فإن كبريانوس يرى أنه يجب أن تتم المعمودية في وقت مبكر بقدر الإمكان. وهو يرفض حتى التقليد الذي ينتظر ثمانية أيام بعد الميلاد. ويفسر ذلك بقوله : لأن رحمة الله ونعمته لا يجب حجبهما بالنسبة لأي مولود من بني الإنسان... فالختان الروحي، لا يجب تعويقه بختان جسدي. ويجب أن نتراجع عن إعاقة طفل، إذ أنه نظراً لولادته حديثًا فإنه لم يرتكب خطية، فيما عدا أنه إذ وُلد بالجسد بحسب آدم فقد انتقلت إليه عدوى الموت القديم عند ميلاده الأول، والذي يتقدم بسهولة لهذا السبب عينه لقبول مغفرة الخطايا -وأنها بالنسبة له قد غُفرت- لا خطاياه هو بل خطايا آخر.

وكبريانوس -كما ترتليانوس- يعرف معمودية أخرى أكثر غنًى في النعمة، وأكثر قوة، وأكثر من معمودية الماء من حيث قيمة نتائجها، وهي معمودية الدم أو الاستشهاد. وكان كبريانوس مقتنعًا، على



غرار ترتليانوس بأن الشهيد يدخل ملكوت السموات بعد الاستشهاد مباشرة، في حين أن الآخرين عليهم انتظار حكم الرب في يوم الدينونة.

٣- التوبة

دافع كبريانوس بنجاح- فيما يتعلق بمسألة التأديب للتوبة الذي مارسته الكنيسة الأولى -ضد كل من الاتجاهين المتناقضين، ضد التساهل الذي انتشر بين رجال الدين في كنيسته، وضد الصرامة الشديدة التي اتبعتها شيعة نوفاتيان في روما. ورسالته عن الارتداد De lapsis ورسائله الأخرى لا تشير إلى "الشطط الثاني" أما (الشطط الأول فهو ما يعتبره البعض خطية الزنى، والشطط الثاني هو عبادة الأوثان).

لم يشر كبريانوس إلى أن الارتداد لا يمكن غفرانه بحسب ما اعتبرته كنيسة روما في ذلك الوقت.. وإنما نجده يذكر ذلك المبدأ: "لا نستطيع أن نجبر أحداً على التوبة إذا ما انتفت ثمارها" (الفصل السابع عشر). وللتوضيح يردف قائلاً: "نحن نثق أنه لا أحد محروم من ثمار الكفارة ورجاء السلام" (الفصل السابع والعشرون). ويكون ذلك ضرباً من الاستهزاء والخداع للإخوة الفقراء أن نحثهم على عمل الكفارة، ثم تنتفي النتيجة المنطقية أي الشفاء فنقول لهم:"احزنوا وانذرفوا الدموع، واندبوا حظكم ليلاً ونهاراً، واعملوا دائمًا على تطهير نفوسكم من خطاياها، غير أنه بعد كل هذا، لابد أنكم ستموتون خارج حظيرة الكنيسة. وأيًا كانت الأشياء اللازمة للسلام، التي عليكم أن تفعلوها، فإن أحداً منكم لن يحصل على هذا السلام الذي تطلبونه"، هذا يشبه أن تطلب من الفلاح أن يحرث الأرض ويفلحها ويستخدم كل إمكانياته في ذلك، ولكنك تؤكد له أنه لن يجني من وراء ذلك محصولاً". (الفصل السابع والعشرون).

كما يقول كبريانوس أيضًا في (De opere et eleemosynis) "إن أولئك الذين يرون أن من يقررون فعل الخطية بعد أن اعتمدوا يمكن أن يطهروا ثانية (الفصل الثاني) وأيًّا كان الخطأ الذي اقترفوه فإنه لابد وأن يمحى (الفصل الأول)، لأن الله يريد أن يخلص أولئك الذين افتداهم بثمن باهظ (الفصل الثاني). لم يذكر كبريانوس أن التماس المرتدين للمصالحة يتناقض مع ما كان يجري حتى ذلك الوقت.

إن كبريانوس يرى أن التوبة العامة تتألف من ثلاثة أعمال متميزة هي بالتحديد: الاعتراف، التكفير بحسب شناعة الخطية، والمصالحة بعد إتمام ذلك.

وبحسب رأي كبريانوس فإن العنصر الشخصي الذاتي، للإنسان، من عمل التوبة يأتي بغفران الخطايا (De Lapse 17, epist. 59, 13) والعنصر الكنسي الموضوعي للمصالحة هو "عربون

الحياة" (Pignus Vitae, epist. 55, 133). لأنها تفترض مقدمًا الغفران الإلهي. ويؤكد كبريانوس على قوة الشفاء وفاعلية الأسرار لعمل المصالحة أكثر من كل سابقيه، بل وأكثر من القديس أغسطينوس الذي في جداله مع الدوناتستيين نادى بهذا التعليم.

✢ ✢ ✢ ✢

٣- أرنوبيوس

أ- النشأة

ب- أعماله

جـ- مصادر الكتابة

د- ملامح من فكره اللاهوتي

أ- النشأة

كان أرنوبيوس Arnobius معلمًا ناجحًا للبلاغة في سيكا ڤينيريا Sicca Veneria بنوميديا. وهي تقع إلى الجنوب الغربي من قرطاجنة. كان وثنيًا وخصمًا عنيدًا للمسيحية لمدة طويلة، آمن بالمسيحية وهو في سن متقدمة في وقت اضطهاد دقلديانوس. ويذكره چيروم ويقول إن كتابه الذي وصل إلينا وهو بعنوان ضد الوثنيين (Adversus Nationes) كتبه بناءً على طلب من الأسقف المحلي أن يبرهن له على صدق إيمانه وتغيير أفكاره. وتوفى نحو سنة ٣٢٧م. (موسوعة الكنيسة الأولى- شاف- كواستن).

يصف أرنوبيوس التغيير الجذري الذي حدث له فيقول: "كنت أعمى إلى عهد قريب، كنت أعبد أصنامًا تُشكَّل في الأتون، آلهة تصنع بالمطارق على سندان الحداد.. وحينما كان يقع ناظري على حجر أملس ممسوح بزيت، كنت أصلي إليه وأطلب منه كما لو أن قوة حية تسكن فيه. ثم بدأت أحتقر تلك الآلهة للغاية، ذلك أني عرفت أنها مصنوعة من الخشب والأحجار والعظام.. أما الآن وقد اقتادني إلى طريق الحق هذا المعلم العظيم، عرفت كل هذه الأشياء على حقيقتها. وأصبحت عندي مشاعر قيمة عن الأمور القيمة. ولا أهين اسم إلهي.. وأقدم لكل شخص ما يستحقه.. ألا يستحق المسيح على هذا اعترافنا به كإله، وأن نقدم له كل تكريم وعبادة إلهية، وهو الذي تقبَّلنا منه كثيراً من العطايا فيما نحن نعيش، ونأمل في المزيد منها حين "يأتي اليوم"؟ (١:٣٩:٧). (راجع شاف- كواستن).

إننا لا نعرف شيئًا عن حياته السابقة وموته. وإن كان چيروم هو الكاتب الوحيد الذي ذكره قديمًا، حيث يضيف بعض الأمور، وهي موضع شك كما يقول "شاف" إذ يذكر بالتحديد أنه آمن نتيجة رؤى أو أحلام.

ب- أعماله

يذكر چيروم العمل الدفاعي الذي قدَّمه



أرنوبيوس إبان اضطهاد دقلديانوس وقبل سنة ٣١١م بعنوان "Adversus gentes"، في حين أن المخطوطة الفريدة (محفوظة بباريس) تذكره بعنوان "Adversus nationes" أي "ضد الوثنيين"، ويبدو أن العنوان الأخير هو العنوان الصحيح (راجع كواستن) ! ويتألف هذا العمل من سبعة كتب ويحمل بين دفتيه كل علامات التسرع. وقد كرَّس الكتابين الأولين منه للدفاع عن المسيحية، إلا أنه في الواقع يمثل هجومًا عنيفًا على الوثنيين. وكان "ماك كراكن" (Mc Cracken) على حق حين أسماه، أكثر الهجمات المضادة المكثفة ضد العبادات الوثنية المعاصرة. وهو وإن كان ضعيفًا فيما يحمله من تعليم مسيحي، إلا أنه زاخر إلى أقصى حد بالمعلومات الخاصة بالديانات الوثنية المعاصرة له وبالأسلوب الأدبي الأفريقي اللاتيني (كواستن- شاف: مرجعان سابقان).

يأتي هذا العمل الدفاعي في سبعة كتب، مختلفة الأحجام، وهي موجهة للأمم. الكتاب الأول يدحض الافتراء الذي سبق أن واجهه كل من ترتليانوس في رسالته (Apologeticum) وكبريانوس في رسالته (Ad Demetrianum). ذلك الافتراء الذي يلقي بتبعة المحن والأمراض والمجاعة والحرب على المسيحيين لعدم إخلاصهم للآلهة. ويعزو أرنوبيوس أصل هذا الاتهام إلى الكهنة الوثنيين الذين اختلقوه لأن دخلهم قد انخفض. ولأن مثل هذه المحن كانت قائمة قبل المسيحية. والواقع أن الديانة الجديدة تحارب الشرور وتعتبرها مصدرًا لكثير من المحن. ثم يرد على الانتقاد القائل إن المسيحيين يعبدون إنسانًا بأن تعليم المسيح ومعجزاته يدلان على طبيعته الإلهية التي لا تؤثر فيها طريقة موته. وانتشار الإيمان يعزز هذه الشهادة. وكان من الضروري أن يظهر المخلص في الهيئة كإنسان لأنه جاء ليفتدي الجنس البشري. والواقع أن وضع الوثنيين سيئ للغاية في إثارة ذلك الاعتراض، لاسيما وأنهم هم أنفسهم يؤلهون الكثيرين من الأبطال والأباطرة.

وقد وردت في كتابه الأول أيضًا صلاة رائعة يلتمس فيها الصفح لمضطهدي المسيحيين، فيقول: "أيها الأعظم، العلَي مُوجِد ما يُرى وما لا يرى. يا من أنت نفسك غير منظور، ولا يمكن فهمك إطلاقًا بأمور الطبيعة. مستحق، مستحق أنت بالحقيقة- إذا كانت الشفاه الهالكة تدعوك مستحقًا- يا من تشكرك وتقر بفضلك كل المخلوقات الحية العاقلة، وإليك طوال الحياة تخر راكعة لكي تصلي إليك بتضرعات لا نهاية لها. لأنك أنت العلة الأولى، الذي وسع كل المخلوقات، وأساس كل الأشياء مهما كانت. أنت وحدك غير المحدود وغير المخلوق، الدائم الأبدي، الذي ليس مثلك شيء، ولا يشبهك أي جسم محدود، فأنت غير المحدود في الطبيعة، وفي العظمة بدون حدود.. والذي لا يمكن أن يُعَبرَّ عنه بكلمات البشر.. اغفر أيها الملك العلي لأولئك



الذين يضطهدون عبادك، وعلى أساس الرأفة التي هي جزء من طبيعتك، اغفر لأولئك الذين يهربون من عبادة اسمك وديانتك". (١:٣١).

وفي الكتاب الثاني يرد أرنوبيوس على كراهية الوثنيين لاسم المسيح بأن مرجع ذلك هو أن الرب أزاح العبادات الوثنية من الأرض. ولكنه جاء هم بالديانة الحقة، التي رفضها الوثنيون لحماقتهم - وأن كثيراً من تعاليمها توجد في بعض كتابات فلاسفتهم مثل خلود النفس الذي نجده في كتابات أفلاطون مثلاً، على أن أرنوبيوس يشن هجوماً مطولاً على مفهوم هذا المفكر. مما يجعل من هذا الكتاب أكثر الأجزاء أهمية بالنسبة للعمل كله.

وفي الكتاب الثالث يشن هجوماً روحياً على خصومه، لخلعهم الصفات الوضيعة، لاسيما الجنسية منها، على آلهتهم وهذا أمر يتعارض مع طبيعة الله. وفي الكتاب الرابع يسخر من تأليههم للتماثيل ومن آلهتهم الشريرة، والأساطير الشائنة التي تحكي قصص غراميات چوبيتر Jupiter، والتي تشهد عليها أعمالهم الأدبية. ويستهجن في الكتاب الخامس أساطير نوما (Numa)، وأتيس (Attis)، والأم الكبيرة، ويشجب بشدة الاحتفالات والقصص المرتبطة بالعبادات السرية، ويرفض أي تفاسير مجازية لمثل هذه الخرافات. وفي الكتاب السادس يشن هجوماً عنيفاً على معابد الوثنيين وأصنامهم. أما الكتاب السابع ففيه يشن هجوماً على الذبائح الوثنية. ويرد أرنوبيوس سبب كل هذه الخرافات. إلى المفهوم الخاطيء عن الألوهية والذي يضع الفكر المسيحي في مواجهته.

آراء أرنوبيوس وتعليمه

إن ثمة آراء لأرنوبيوس جعلت بعض الدارسين لا يعتبرونه أحد الينابيع الرئيسية للفكر اللاهوتي المسيحي، وحتى الفكر اللاهوتي اللاتيني، والذي أصبح في ذلك الوقت منهجياً أكثر من ذي قبل. (موسوعة الكنيسة الأولى). وأرنوبيوس يرى في تعليمه عن الله، أن الله يسمو تماماً عن الاتصال بمخلوقاته. والمصدر الرئيسي لهذه الفكرة هي الفلسفة الأبيقورية. ونتيجة طبيعية لفكرة انعزالية الله فإن أرنوبيوس ينكر خلق الله للنفس، فضعفها وتقلبها وشرها هي أمور تنفي أن يكون الله خالقها.

وقال عن جوهر النفس البشرية :إنها ذات طابع وسيط، وهذا ما نعرفه من تعليم المسيح. فقد وجدت النفس بحيث تهلك إذا أخفقت في أن تعرف الله، إلا أنها يمكن أن تخلص من موت إلى حياة إذا ما استمعت إلي تحذيراته، واهتمت بنعمه، وتخلصت من الجهل به" (٢:١٤). وبعبارة أخرى لم تُعطَ النفس بالطبيعة حياة أبدية، غير أنها يمكن أن تحصل عليها عن طريق معرفة الإله الحقيقي. وعلى هذا فللنفس خلود مشروط. ويقول: "وثمة جدال حول طبيعة النفوس، فيقول البعض إنها هالكة ولا



يمكنها أن تشارك في طبيعة إلهية، إلا أن آخرين يقولون إنها خالدة ولا يمكنها أن تتحول إلى طبيعة هالكة. وهذه نتيجة الناموس الذي طبقًا له فإن لها طبيعة محايدة، والبعض لديهم حجج جاهزة والتي بواسطتها وجد أنهم معرَّضون للآلام والهلاك، وآخرين على العكس من ذلك لديهم حجج تبين بواسطتها أنها إلهية وبشرية.. إننا تقبلنا الرأي القائل بأن النفوس قد نشأت ليس بعيداً عن مخالب الموت، وأنه على الرغم من ذلك فإنه يمكن أن توهب أن تعيش طويلاً.. وذلك نتيجة لهبة الحاكم الأسمى ونعمته، وذلك إذا ما حاولت فقط أن تدرس لكي تفهمه- لأن معرفته هي نوع من خميرة الحياة، وهي تجمع إلى واحد عناصر ما كان لها أن تجتمع وتلتصق ببعضها". (٢: ٣١-٣٢).

ويردف قائلاً: "بسبب هذه المخاوف (من الموت الأبدي) فقد استسلمنا وسلمنا أنفسنا لله باعتباره المحرر" ثم يسأل: "بالنظر إلى أن الخوف من الموت يهددنا، ألسنا حقاً نتصرف بناءً على غريزة تدفعنا إلى ما هو صالح لنا.. وذلك بأن نقبل ذاك الذي وعد بأنه سيحررنا من مثل هذا الخطر (٢: ٣٣).

أسلوبه في الكتابة

يقول چيروم عن أسلوب أرنوبيوس إنه متقطع ومسهب ويفتقر إلى التقسيمات الواضحة، الأمر الذي يؤدي إلى الارتباك (الرسالة رقم ٥٨).

والواقع أن الكاتب يوضح كل حجة بتكرارات كثيرة جداً لدرجة تثير ملل القاريء، إلا أن الموضوع ككل لا تعوزه الوحدة المتناسقة. ويرى فستوجيير Festugiere أن الغموض ناجم عن الأفكار ذاتها، وليس نتيجة للافتقار إلى التنظيم أو سوء الكتابة. فالكاتب يُظهر قُدرة كبيرة على التعبير، ويرتفع في بعض الأحيان إلى مستوى البلاغة الأصيلة.

مصادر الكتابة

١- المصادر اليونانية

استخدم أرنوبيوس في كتاباته العديد من المصادر باليونانية. فقد أشار إلى أفلاطون (Plato) أو إلى أحد أعماله أربع عشرة مرة، ومرتين إلى أرسطو (Aristotle) وسوفوكليس (Sophocles) ومناسياس (Mnaseas) الذي من باتارا Patara ومرتللوس (Myrtillus) وهرمز ترسمجستوس (Hermes Trismegistus). وقد أوضح فستوجيير أن الكتاب الثاني يستعرض معرفة كبيرة بديانة هرمز، وبالأفلاطونية الحديثة، وبالمأثورات الكلدانية، وبأفلوطين وزرادشت (Zoroaster)، وأوثانيس (Othanes) والأوراق السحرية الخاصة بديانة مترا.

٢- المصادر اللاتينية

كذلك اعتمد أرنوبيوس على العديد من المصادر باللاتينية حيث اعتمد على كل من الكاتبين ڤارو (Varro)، الذي اقتبس منه خمسة عشر اقتباسًا،

وكذلك قرأ لشيشيرون (Cicero) ولوكريتيوس (Lucretius). وقد برهن كل من فستوجيير وتلليوز (Tullius) خطأ النظرية التي تقول بأن كرنيليوس لابيو (Cornelius Labeo) كان من بين أكثر مراجعه أهمية.

٣- المصادر المسيحية

لم يذكر أرنوبيوس صراحة أي كاتب مسيحي على الإطلاق. إلا أن الدراسات أثبتت أن ثمة دليلاً على أنه قرأ واستخدم كتاب كليمندس السكندري -(Protrepticus)، وكتابي ترتليانوس (Apologeticum)، و (Ad nationes) وكتاب (Octavius) وكتاب لاكتانتيوس (Lactantius) بعنوان (Divinae institutiones) مما يشير إلى أن كليهما جاء نتيجة مصادر مشتركة. ولم يعرف عن كتابات أرنوبيوس من آباء القرن الرابع سوى چيروم. أما البابا جلاسيوس Gelasius، في القرن الخامس، فقد أدرجها مع الأعمال الأبوكريفية، ومن ثم طواها النسيان منذ ذلك الوقت. وقد أعيدت إلى الأضواء مرة أخرى في القرن السادس عشر. وتذكر الدراسات النقدية الحديثة أن أرنوبيوس كان ناجحًا في دحض الخطأ بأكثر منه في الدفاع عن الحق (شاف- مرجع سابق).

د- ملامح من فكره اللاهوتي

تعتبر الكنيسة في الغرب أرنوبيوس Arnobuis أحد الكتّاب الكنسيين وكذلك يصنف في كتابات اللاهوتيين حيث يصنفه ديمتريوس تسامس أستاذ علم الباترولوچي بكلية اللاهوت بجامعة تسالونيكي باليونان (الكتابات الكنسية).

إن صلاته التي سبق أن تناولناها في معرض حديثنا عن كتابه الأول تعكس فكره الرفيع عن الله. فأرنوبيوس يرى أن وجود العلة الأولى أمر لازم وضروري لوجود كل الأشياء: "هل هناك أحد من الناس ولد ولم يعرف تلك البداية؟". لمن من الناس ليست هذه الفكرة حتمية، من لم يتأثر بذلك، ولم تنطبع فيه وهو في رحم أمه، ومن لم ينغرس في أعماق كيانه أنه يوجد ملك ورب يضبط كل شيء في الوجود (١:٣).

وكذلك يشترك أرنوبيوس مع ترتليانوس في رأيه من بعض النواحي عن النفس (وقد سبق ذكرها). إلاّ أن فكرته عن الألوهية ..غير واضحة ومحددة. فهو يظن أن الله مُنَزَّه عن الاتصال بمخلوقاته، فالله منعزل في جلال. والله في منظوره الفكري لا يشعر ولا يهتم بما يحدث في العالم (١٧:١، ٢:٦، ٣٦:٥:٧). وهذه الفكرة عن التسامي والعزلة تنتشر في كتابه Adversus Nationes، وهي الفكرة الأساسية في كل تعليمه. ولذلك فهو يرى أن الغضب لا يتفق مع الطبيعة الإلهية. بينما كرّس لاكتانتيوس (وتأتي دراسته تالية لهذه الدراسة) عمله "غضب من الله" Deiradei ليبرهن على غضب الله، ويحذر أرنوبيوس في كتابه من تلك الرابطة.

فكل من ينفعل بأي عاطفة، فهو ضعيف، معرَّض للمعاناة، ومن ثم فمآله الموت لا محالة.

لا أحد يستطيع -طبعًا- أن يكتب مثل هذه الآراء وتكون عنده ولو معرفة بسيطة بالعهد القديم وما به من الإشارات المتكررة إلى غضب الله وسخطه. إلا أنه يستنكر أية محاولة لاستخدام تلك النصوص في عجلة متسرعة أدلة على ذلك، "ليت أحدًا لا يثير ضدنا، ما اختلقه اليهود والصدوقيون، الذين ينسبون إلى الله أشكالاً، لأن ذلك ما يزعمونه في كتاباتهم، ويؤيدونه كما لو أنه أكيد وأصيل. فهذه الحكايات لا تعنينا، فإننا لا نتفق معها أو على ما يزعمونه من أننا نشاركهم فيها ، فلابد أن تبحث عن معلمين على درجة أرفع من الحكمة وتتعلم منهم كيف تنزع الضباب الذي يكتنف تلك الكتابات" (١٢:٣). إن المصدر الرئيسي لفكرة تسامي الله وانعزاله هي الفلسفة الأبيقورية والمفهوم الرواقي عن الآلام.

إنه لأمر ذي أهمية أن أرنوبيوس لم يجمع بين آلهة الوثنيين والشياطين مثل سائر المدافعين، كما لم ينكر حقيقتهم. وفي بعض الفقرات (٣:٢٨-٣٥، ٤:٩، ٤:١١، ٤:٢٧، ٤:٢٨، ٥:٤٤، ٦:٢، ٦:١٠) يبدو متأكدًا من عدم إمكانية وجودهم، وفي بعضها الآخر يتشكك. ولذلك يكتب: "إننا نعبد أباهم، الذي به بدأ وجودهم، لو أنهم حقًا موجودون، وأنه مصدر قوتهم وعظمتهم وألوهيتهم، إذا أمكننا أن نقول ذلك. (١:٢٨). وهو يؤكد نفس الفكر في فقرات أخرى حيث يرفض فكرة أن آلهة الوثنيين كائنات مولودة.

وهنا يرفض أرنوبيوس العقيدة الكتابية في الخلق، ويتمسك بأسطورة أفلاطون في كتاب تيمايس على أنها تعليم المسيح. ويرى أرنوبيوس أن روح الإنسان لها صفة وسطية: "إن النفوس لها صفة متوسطة ... وهي تلك إن فشلت في معرفة الله، ولكن يمكنها أن تخلص من الموت للحياة، إذا التفتوا إلى تحذيراته وإلى نعمه، وبذلك يولي الجهل (٢:١٤). وبكلمات أخرى فإن النفس ليس لها بالطبيعة في ذاتها حياة أبدية ولكن يمكنها أن تحصل عليها بمعرفة الله الحقيقي. وعلى هذا فإن خلود النفس مشروط. (كواستن- مرجع سابق).

✢ ✢ ✢ ✢

٤- لاكتانتيوس

أ- النشأة

ب- أعماله

جـ- كتابات مفقودة

د- ملامح من فكرة اللاهوتي

أ- النشأة

إن المعلومات الموجزة التي نستقيها من چيروم هي المصدر الرئيسي لحياة لوسيوس سيسيليوس

(أو كايليوس Caelius طبقًا لتقليد المخطوط الخاص بأعماله) فرميانوس لاكتانتيوس Lucius Caecilius Firmianus Lactantius (موسوعة الكنيسة الأولى).

الزمان والمكان

وطبقًا لروايته الشخصية فإن لاكتانتيوس ينتمي إلى والدين وثنيين. ويستدل البعض من اسمه (فرميانوس) أنه ولد بفيرمو (Firmo) بإيطاليا. ولكن لأنه تتلمذ على أستاذه أرنوبيوس الذي من سيكا حيث درس البلاغة، فلهذا السبب يعتبر من الكاتبين الأفارقة (شاف- الجزء الثالث). بينما يرجح ق. لوا (V. loi) أنه ولد نحو سنة ٢٦٠م في بروكونصولاريس بأفريقيا (موسوعة الكنيسة الأولى). وقد اشتهر بعمله الشعري سداسي الأوزان بعنوان الندوة (Symposion) ويتألف من مائة بيت ملغز.

سفره واعتناقه المسيحية

وقد دعاه دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٤م) إلى نيقوميديا في بيثينية ومعه فلافيوس (Flavius) عالم النحو لتدريس البلاغة اللاتينية. ويذكر چيروم أنه كان يفتقر إلى تلاميذ، لأن المدينة كانت يونانية، لذلك كان قليلون جداً هم الذين أقبلوا على دروسه. فانصرف إلى الكتابة التي كرَّس لها حياته. ويرجح أنه اعتنق المسيحية إبَّان اضطهاد دقلديانوس أو قبله، وهو في سن الرجولة، حيث شاهد الاضطهاد الوحشي الذي كان يجري ضد المسيحيين. وإذ أصبح مسيحياً كان عليه أن يتخلى عن كرسيه في سنة ٣٠٣م. وغادر بيثينية نحو سنة ٣٠٥م أو ٣٠٦م. وبعد سنة ٣١٢م (شاف) ، ونحو سنة ٣١٧م (كواستن) أسند إليه الامبراطور قسطنطين (Constantine) -حيث أصبح لاكتانتيوس في شيخوخته - تعليم أكبر أبنائه كريسبس Crispus في تريفس (Treves) بالغال (Gaul) (أو ترير Trier) ، ويرجح ق. لوا أنه كان مشيراً للامبراطور وصديقًا له، حيث يظهر في رسائل الامبراطور قسطنطين في ذلك الحين مدى تأثره بأفكار لاكتانتيوس ولغته. ولكننا لا نعرف كم من الزمن قضى لاكتانتيوس في الغال بفرنسا، ولا نعرف متى توفى، وإن كان يرجح أنه توفى في تريڤس نحو سنة ٣٣٠م (موسوعة الكنيسة الأولى).

مكانة لاكتانتيوس في التاريخ

علماء الفلسفة الإنسانية أطلقوا على لاكتانتيوس شيشرون المسيحي. فكان لاكتانتيوس أروع كُتَّاب عصره، وقد وصفه چيروم بأنه أكثر المتعلمين في عصره. حيث تُبرهن كتاباته على تعدد ثقافته وشمول معرفته. وإن كان يتميز أساسًا بصياغة عباراته صياغة واضحة فخمة الأسلوب. وهو في ذلك يتفوق على كل الآباء اللاتين فيما عدا چيروم. ولذلك فهو لم يوصف عن غير حق بأنه شيشيرون المسيحي. إن لاكتانتيوس كان بالأحرى بليغًا في أسلوبه بأكثر منه فيلسوفًا أو مفكرًا



لاهوتيًا. وقد أدرج البابا جلاسيوس Gelasius أعماله بين الأعمال الأبوكريفية. (شاف الجزء الثالث).

ويرى ق. لوا أن لاكتانتيوس كان يتمتع بأهمية كبيرة في تاريخ الثقافة والأدب المسيحي الغربي لأنه أول غربي حاول تقديم تفسير منهجي للتعليم المسيحي الذي يستهدف الأوساط الثقافية في العالم الروماني . وقبل عن قناعة عميقة كلاً من الثقافة الدنيوية والتقليد الحرفي وكذلك الأعراف الاجتماعية والسياسية. ثم قام بدمجها مع الرسالة الدينية والأخلاقية المسيحية.

ب- أعماله

١- عن عمل الله .

٢- القوانين الإلهية .

٣- الخلاصة .

٤- غضب من الله .

٥- موت المضطهِدين .

٦- طائر العنقاء .

نظرًا للقدرة الخاصة التي كان يتميز بها لاكتانتيوس في تجميع واستيعاب أفكارالآخرين وتقديمها في شكل رائع وواضح . لذلك فإن كتاباته موجودة في عدد كبير من المخطوطات، والبعض يحمل تاريخًا مبكرًا جدًا. وقد طبعت أعماله الباقية أربع عشرة طبعة كاملة في القرن الخامس عشر.

وأهم أعماله المحفوظة والتي وصلت إلينا هي:

١- عن عمل الله

يُوجه لاكتانتيوس كتابه "عن عمل الله" (De opificio dei) إلى ديمتريانوس -وهو تلميذ سابق ومسيحي موسر. ويعد هذاالعمل من أوائل الأعمال التي وصلت إلينا.

تضع المقدمة (٢-٤) الإنسان على النقيض من الحيوان فيقول: "خالقنا وأبونا الله، أعطى الإنسان الإدراك والعقل، حتى يثبت من هذا أننا منحدرون منه، لأنه هو الذكاء، وهو نفسه الفهم والعقل.. ولم يضع حمايته في الجسد، بل في النفس لأنه كان سيبدو أمرًا غير لازم، إذا كان بعد أن أعطاه تلك التي لها أعظم قيمة، ثم يغطيها بدفاعات جسدية، ولاسيما حين تعوق جمال الجسد البشري. وعلى هذا الأساس أتعجب من حماقة الفلاسفة الذين يسيرون على نهج أبيقور الذي يلوم أعمال الطبيعة لكي يبين أن العالم أُعد وحكم بمعزل عن العناية الإلهية."

ولكي يدحض هذه النظريات ولكي يبين العناية الإلهية وبمزيد من الانتصار شرع يكتب رسالة عن علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وأتبع ذلك بدراسة مقتضبة إلى حد ما عن النفس (١٦-١٩). وفي الفصل الأخير يعد بشرح أكثر استفاضة للتعليم الصحيح في مواجهة الخبثاء الذين يشوهون الحق، أي الفلاسفة. وهو يشير إلى الكتاب التالي: "Divinae institutiones" (أي



القوانين الإلهية).

يعلن الكاتب أنه لم يهدف إلاَّ إلى متابعة الكتاب الرابع لشيشيرون بعنوان (Repulic) بمعالجة أكثر دقة للموضوع. ويبدو من الإشارات العديدة الواردة في الكتاب إلى اضطهاد دقلديانوس أن تاريخ الكتابة يرجع إلى نهاية سنة ٣٠٣م أو بداية سنة ٣٠٤م.

٢- القوانين الإلهية

يعد عمله المعروف بالقوانين الإلهية (Divinae institutiones) في سبعة كتب هو العمل الرئيسي للاكتانتيوس. ويأتي في أسلوب لغوي بليغ وفخم. وقد لاقى صدًى طيبًا في نفوس قرائه. ويقال إنه ظهر في أكثر من مائة طبعة.

ولهذا العمل هدفان: الأول: أن يبين زيف الديانة الوثنية وأفكارها، والثاني: لتوضيح التعليم والعبادة الصحيحين. وكان يرد بصفة خاصة على هجمتين فلسفيتين حديثتين ، كان هيروكليس Hierocles حاكم بيثينية المسئول عن إحداهما، وكان هو الدافع لاضطهاد دقلديانوس. وكان هدف لاكتانتيوس في نفس الوقت هو أن يفحم كل خصوم المسيحية، لكي يقضي وبصفة نهائية على من يحاربون أو سوف يحاربوا نفس العمل أينما كانوا. والكتاب الأول يحمل عنوان "العبادة الزائفة للآلهة" والثاني بعنوان "مصدر الخطأ" حيث يستنكر الإيمان بعدة آلهة، الذي هو المصدر الأساسي للخطأ. ويوضح أن أولئك الذين يعبدهم اليونانيون والرومان، كانوا بشرًا ولكنهم أُلهوا بعد ذلك. ومفهوم الألوهية يحتم ألا يكون هناك سوى إله واحد. والكتاب الثالث: "زيف حكمة الفلاسفة" يشير إلى الفلسفة باعتبارها المصدر الثانوي لكل خطر، وأن المعرفة الصحيحة لا تتأتى إلا من خلال إعلان إلهي. أما الكتاب الرابع: "الحكمة الحقيقية والديانة" فيوضح أن المسيح بن الله، جاءنا بالبصيرة الحقة، أي الفكرة الصحيحة للألوهية قدَّمها المسيح للإنسان. والحكمة والديانة لا يفترقان، وهكذا فإن المخلص هو أيضًا معين لا ينضب بالنسبة للديانة. وأنبياء العهد القديم، والأقوال السابيليانية وهرمس ترسميجستوس يشهدون لبنوته الإلهية. وتجسده وصلبه قد تم الدفاع عنهما ضد مجادلات غير المؤمنين. ويتناول الكتاب الخامس موضوع "العدل" تلك الفضيلة التي لها أهمية كبرى للمجتمع الإنساني. وإذ طُرد العدل بواسطة الوثنية فإنه عاد بمجيء المسيح. وتمثل العدل في معرفة الإله الحقيقي وعبادته. وقد قام العدل بصفة أساسية على الإنصاف، الذي يعتبر كل الناس متساوين، أي أن يكونوا أندادًا. وقد فرض على الجميع نفس ظروف الحياة، وأتاح الحكمة للجميع، ووعد الكل بالخلود ويشرق على الكل بنوره الأوحد، ويمطر على الجميع، ويمدهم بالطعام.. ويعطي راحة متمثلة في النوم، وهكذا فهو يعطي الجميع مساواة وفضيلة. وفي نظره

ليس أحد عبداً، فعلى أساس الحقوق المتساوية نحن جميعًا أولاده. ويبين في الكتاب السادس "العبادة الحقيقية" أن الديانة من أجل الله، والرحمة من أجل الإنسان، هما الشرطان اللازمان للعدل وللعبادة الحقة. وأول دور لهذه الفضيلة هي الاتحاد مع خالقنا، أما الثانية فهي الاتحاد مع زملائنا. الأولى سميت ديانة والثانية سميت رحمة أو شفقة ، وهي فضيلة يتسم بها الأبرار ومن يعبدون الله. ويعتبر الكتابان الخامس والسادس إلى حد بعيد أفضل جزء في العمل كله من ناحية المضمون والأسلوب. والكتاب الأخير عنوانه: "عن الحياة السعيدة" يقدم نوعًا من الأخرويات المتعلقة بالحكم الألفي. مع وصف تفصيلي للجزاء الذي ينتظر أولئك الذين عبدوا الإله الواحد، وكذلك تعرض لموضوع دمارالعالم، ومجيء المسيح لدينونة الأشرار.

بدأ لاكتانتيوس في كتابة "القوانين الإلهية" نحو سنة ٣٠٤م، أي بعد وقت قصير من الانتهاء من كتابه " De opificio dei " حيث يشير إليه الكاتب على أنه كتبه حديثًا. ولابد أن الكتاب السادس قد انتهى منه قبل صدور مرسوم جاليريوس (Galerius) الخاص بالتسامح الديني الذي صدر في سنة ٣١١م. أما الإهداء إلى قسطنطين في الكتاب السابع فيفرضه مرسوم ميلان الصادر في سنة ٣١٣م.

الكتاب زاخر بالاقتباسات من المؤلفين الكلاسيكيين، لاسيما شيشيرون وڤيرچيل. كما يقتبس من الأقوال السابيسليانية، وغيرها ونادراً ما يستخدم الكتاب المقدس، ومعظم اقتباساته الكتابية مأخوذة عن كتاب كبريانوس "Ad Quirinum" حيث يتكلم عن أوائل المدافعين عن الديانة المسيحية. وهو يشير إليهم على أنهم المعروفين له وهم مينوكيوس فيلكس وترتليانوس وكبريانوس، دون أن يشير إلى أي من الكاتبين المسيحيين من اليونانيين. ومما يثير الدهشة حقًا أنه لم يذكر شيئًا عن معلمه أرنوبيوس . ويرى كواستن أنه ربما لأن لاكتانتيوس كان بعيداً جداً في بيثينية بنيقوميديا فإنه ربما لم يسمع بكتاب معلمه "ضد الوثنيين".

٣- الخلاصة

نجد في كثير من المخطوطات "خلاصة" ملحقة بكتاب "القوانين الإلهية" التي أعدها لاكتانتيوس لأحد الإخوة ويدعى "بنتاديوس" (Pentadius). واستناداً إلي محتوياتها لا نجد أنها مقتطفات من العمل الأصلي بل طبعة معادة موجزة. وكما نجد بها حذفًا، نجد بها أيضًا إضافات وتنقيحات. ويرجح أن لاكتانتيوس كتبها بعد سنة ٣١٤م. ولم يُكتشف النص كاملاً إلا مع بداية القرن الثامن عشر، حيث وُجد في مخطوطة "تورين" (Turin) التي يرجع تاريخها إلى القرن السابع. أما النسخ الأخرى فلا تتضمن سوى نسخة مبتورة كما أشار

إليها القديس چيروم.

٤- غضب من الله

كرَّس لاكتانتيوس رسالته غضب من الله "De ira dei" في الرد على الأفكار الأبيقورية التي تقول بعزلة الله، حيث تتطلب سعادته أن يكون في عزلة عن العالم، دون غضب أو شفقة لأن مثل هذه العواطف لا تتناغم مع طبيعته. ويؤكد لاكتانتيوس على أن تلك النظرية تتضمن إنكارًا للعناية الإلهية، بل وحتى وجود الله. لأنه إذا كان الله موجودًا فلا يمكنه أن يكون بلا عمل، فأن تعيش معناه أن تعمل. ولكن ماذا يكون عمل الله هذا، سوى إدارة العالم؟ بل وما كان بالإمكان قبول مفهوم الرواقيين عن الألوهية، القائل بأن الله طيب ولكنه لا يغضب. فإذا كان الله لا يغضب فلن تكون ثمة عناية إلهية لأن عناية الله بالإنسان تتطلب أن يتحرك بغضب ضد الذين يعملون الشر. وفي الأمور المتعارضة، من الضروري التحرك إلى كلا الجانبين، أو عدم التحرك إلى أي منهما. وعلى هذا فإن من يحب الذين يعملون الخير، يكره أيضًا الذين يعملون الشر. ومرجع ذلك أن حب الخير ينبع من كراهية الشر، وكراهية الشر تأتي من محبة الخير. وهذان الأمران مرتبطان معًا بالطبيعة ذلك أن أحدهما لا يمكن أن يوجد دون الآخر. وإذا نزع العطف والغضب من الله، معنى ذلك أنه يجب إقصاء الديانة أيضًا، ما دام الخوف النافع قد اختفى.

وبهذا تدمر أعظم كرامة للإنسان، بل وهدفه في الحياة. ويشير الكاتب في مناسبات عديدة إلى كتاب القوانين الإلهية. وقد كتب لاكتانتيوس هذه الرسالة إلى شخص اسمه دوناتيوس نحو سنة ٣١٣م أو ٣١٤م.

٥- موت المضطَهِدين

يوضح كتاب "موت المضطَهِدين" (De mortibus persecutorum) النتائج الرهيبة لغضب الله ومعاقبة المضطَهِدين الأشرار. وكتبه لاكتانتيوس بعد عودة السلام إلى الكنيسة. وغاية الكتاب إثبات أن كل معارضي الكنيسة لاقوا نهاية فظيعة. وحيث أنه وصف ليسينيوس Licinius مع قسطنطين بأنه حامي الإيمان، فلابد وأن يكون قد كُتب قبل بداية هجمته عليها، وعلى الأقل قبل عام ٣٢١م.

تعالج المقدمة نشأة المسيحية، ومصير نيرون الطاغية Nero ودوميتيانوس، وڤاليريان، ودسيوس، وأورليانوس (٢-٦). وبعد ذلك يتكلم الكاتب عن الاضطهادات التي شهدتها حياته، فيتكلم عن اضطهادات دقلديانوس ومكسيميانوس، وجاليريوس، وساويرس، ومكسيمينوس، وجرائمهم ضد الكنائس، ودمارهم حتى انتصار ليسينيوس في سنة ٣١٣م.

وإذ وجهت الرسالة إلى دوناتس Donatus الذي "عرض للبشرية نموذجًا من الشهامة التي لا تقهر

إبان المحنة" (١٦، ٣٥)، فإنها تفيض بالفرح لأن المسيح كان منتصرًا وقد أُبيد أعداؤه. وتظل للرسالة أهمية بالغة- على الرغم من بعض المبالغات (كواستن)- كمصدر يؤرخ لاضطهاد دقلديانوس. فالكاتب شاهد عَيَان، كما أنه استقى معلوماته من مصادرها الأوليةً. وأصالة الكتاب موضع شك، إلا أنه ليس ثمة شيء في المادة والصياغة أو في الملابسات التاريخية تحول دون نسبة الكتاب إلى لاكتانتيوس. وأقوى حجة لصالحه هي شهادة القديس چيروم. والنص موجود في مخطوطة واحدة ترجع إلى القرن الحادي عشر. وهي مخطوطة باريس.

٦- طائر العنقاء

إن قصيدة "طائر العنقاء" (De ave phoenice) وتقع في خمسة وثمانين بيتًا مزدوجًا من الشعر، وتحكي قصة العنقاء الشهيرة، التي كان هيرودوت (Herodotus) أول من رواها، وكان كليمندس الروماني أول كاتب مسيحي يتخذها رمزًا للقيامة. وكذلك نجدها أيضًا في كتاب ترتليانوس (De resurectione carnis 13) كما تناولها كُتَّاب لاحقون، ونجدها من بين الأدبيات التي ذكرت في الكنيسة الأولى.

ملخص الموضوع

توجد بلدة سعيدة في الشرق الأقصى، حيث تفتح السماء بابها العظيم وترسل الشمس نورها الساطع، وهي تشرق فوق أعلى الجبال. وقد زرعت هناك غابة دائمة الخضرة. ولم يدخلها إطلاقًا، لا مرض ولا شيخوخة ولا موت قاس، ولا جريمة شنعاء، ولا خوف ولا حزن. وفي وسطها يتدفق ينبوع اسمه "الحي"، وثمة شجرة عجيبة تحمل ثمارًا يانعة لا تسقط على الأرض. وهذه الشجرة يسكنها طائر واحد فريد وأبدي، هو العنقاء- وحين يتحول اللون الأصفر البرتقالي عند بداية شروقها إلى اللون الأحمر. نراها تجلس على قمة الشجرة الشامخة. وتبدأ في ترديد ألحان أغنيتها المقدسة. وتحيي النور الجديد بصوت رخيم. وتسجد للشمس حاملة النار، برفرفات من جناحيها. وبعد ألف عام انقضت من حياتها، تحدوها الرغبة في أن تولد من جديد. فهي تترك الضاحية المقدسة وتسعى إلى ذلك العالم الذي يحكمه الموت. ووجهت طيرانها السريع صوب سوريا (فينيقية). وتختار نخلة سامقة، تصل قمتها إلى السماء، وقد اتخذت اسمها اللطيف عنقاء من هذا الطير. حيث تبني هناك لنفسها عشًا أو مقبرة. لأنها تهلك لكي تحيا. لقد استودعت نفسها (بيت رقم ٩٣) وتبددت في النار. وقيل إنه من الرماد قام حيوان بدون أطراف، دودة لبنية اللون، ثم انتقلت إلى حالة الشرنقة. ثم خرجت منها عنقاء جديدة كانت مثل الفراشة وشرعت في الطيران لكي تعود إلى مقرها الأصلي. وقد حملت كل بقايا جسمها القديم إلى مذبح الشمس في هليوبوليس في مصر، وقدمت

نفسها لتنال تقدير الناظرين إليها. وقد رحب جمهور مصر بفرح بهذا الطائر العجيب. وعادت إلى بلادها في الشرق". وتختتم القصيدة بمديح: "أيها الطائر ذو النصيب والمصير السعيد، الذي وهب له الله بنفسه أن يولد من نفسه.. والذي مسرته الوحيدة أن يولد لكي يموت.. حيث أنه سبق أن رغب في أن يموت.. إذ حصلت على الحياة الأبدية ببركة الموت". (١٦٥-١٧٠).

كتب لاكتانتيوس قصيدته مستغلاً معرفته بالأسطورة القديمة وأضاف إليها كثيراً من الأفكار المسيحية. فالرموز كلها تشير إلى "المسيح" الذي يأتي من بلد في المشرق (الفردوس)، إلى بلدة يسودها الموت، ويموت هناك، غير أنه بعد قيامته يعود إلي موطنه. والعبارة التي ذكرها وتقول "لقد استودعت نفسها" تذكرنا بما قاله السيد المسيح "في يديك أستودع روحي" (لوقا ٢٣:٤٦). وهكذا يرمز هذا الطائر إلي المخلص المجد المقام. وفكرة الموت كولادة ثانية، وبداية حياة جديدة معروفة تماماً في المسيحية الأولى.

يقول البعض عن هذه القصيدة إنها قصيدة وثنية. أما غريغوريوس الذي من تورس Tours فيقول إن كاتبها هو لاكتانتيوس، ويرى في العنقاء رمزاً للقيامة. وإن كان هذا الرأي لم يقبل على نطاق واسع. إلا أن التشابه في اللغة والأسلوب بين القصيدة وأعمال لاكتانتيوس الحقيقية تؤيد نسبة هذه القصيدة إليه.

جـ- كتابات مفقودة

١- الوليمة: أول أعمال لاكتانتيوس وهو كتاب "The Banauet" وكتبه وهو شاب قبل مغادرته لأفريقيا.

٢- يوميات رحلة: "The Hodoeporicum" وفيها يصف رحلته من أفريقيا إلى نيقوميديا وصفًا شعريًا، وقد ذكره چيروم.

٣- رسالة بعنوان "Grammaticus" ولا نعرف عنها سوى أن چيروم ذكرها في مناسبة ذكر الكتاب السابق الإشارة إليه.

٤- يخبرنا چيروم أيضًا عن كتابين إلى أسكلبيادس (Asclepiades) وأربعة كتب وهي عبارة عن "رسائل إلى بروبوس Probus، وكتابين من رسائل إلى ساويرس (Severus)، وكتابين من رسائل إلى تلميذه ديمتريانوس (Demetrianus)، وهو نفسه التلميذ الذي وجه إليه كتابه (De opifi cio dei).

٥- مخطوطة في ميلانو: لا تحتوي إلّا على سطور قليلة، تتناول عواطف النفس البشرية، وتشرح مصدرها. وقد أوجدها الله لكي تساعد الإنسان على ممارسة الفضيلة. وإذا ما حفظت في إطار معين فإنها تؤدي إلى البر والحياة الأبدية، وإلا فإنها ستؤدي إلى الرذيلة واللعن الأبدي.

والصيغة والمضمون يظهران أنه من المحتمل أن تكون فعلاً من أعمال لاكتانتيوس.

ملامح من فكره اللاهوتي

لاكتانتيوس أحد الكتّاب الكنسيين. وعلى الرغم من أنه كان أول كاتب لاتيني يحاول أن يقدم فكرًا لاهوتيًا نظاميًا للإيمان المسيحي، إلا أنه ليس مفكراً لاهوتيًا أصيلاً، فتنقصه المعرفة والإمكانية، حتى في عمله الرئيسي المعروف: Divine institutes أي القوانين الإلهية، فقد عرَّف المسيحية على أنها ضرب من الأخلاقيات العامة. (كواستن: مرجع سابق). كان متحمسًا بدرجة شديدة للاستشهاد، وتميز بمحبته لله والناس، وكان يتحلى بفضائل التواضع والعفة. كان يتكلم عن العمل المغير الذي يحدثه الإيمان المسيحي بدون أن يذكر بوضوح فداء الجنس البشري الذي قام به المخلص السماوي. وقد أقام المطالب الأخلاقية على أساس الفلسفة بأكثر منها على أساس ديني. كان يؤمن بالتفوق المطلق للإيمان. وكان متميزًا في نقده الشديد للوثنية بأكثر منه في تقديم المسيحية. وقد عَبَّر چيروم عن ذلك في رسالته (الرسالة ٥٨: ١٠). والفكرة المحورية التي تدور حولها كل أعماله هي "العناية الإلهية"، والتي كثيرًا ما يكررها.

١- الثنائية

توجد في بعض المخطوطات فقرات عن الثنائية، إلا أنها أسقطت في مخطوطات أخرى، فهو يرى أنه قبل خلق العالم أوجد الله روحًا، ابنه، على مثاله، وخلع عليه الكمال الإلهي. ثم أوجد كائنًا آخر، صالحًا، إلا أنه لم يظل مخلصًا لأصله الإلهي، فقد حسد الابن، وبإرادته الحرة الخاصة تحول من الخير إلى الشر، وأصبح اسمه "الشرير" (Div. inst. 2,8). ومنذ ذلك الحين أصبح مصدر الخطأ وعداوة الله، وفي الحقيقة ضد الله (antitheus 2,9,13). ووجدت العداوة بينهما طريقها إلى العالم، في مخلوقاته، لأنها تتكون من عنصرين متناقضين، السموات والأرض. فالسموات هي مسكن الله، ومكان النور، والأرض هي مسكن الإنسان، المكان المظلم وحيث الموت ووضع الله الإنسان في هذا العالم، على مثال العالم Cosmos لأنه مخلوق من نفس وجسد، وهما عنصران يعادي أحدهما الآخر. وفي حرب مستمرة فيما بينهما : فالنفس سماوية وتنتمي إلى الله، والجسد من الأرض وينتمي إلى الشرير (Div. inst. 2,12,10). النفس يلازمها الخير، والجسد يلازمه الشر. وتكون الغلبة في الصراع الدائر طوال فترة الحياة إما للروح أو الجسد، للصواب أو الخطأ، فالإنسان إما يتلقى جائزة أبدية أو عقاب أبدي (Div. inst. 2,12,7). ويبدو أن هذه الثنائية تنبع من الرواقية ويرى لاكتانتيوس أن الله في قدرته، يمكن أن يقصي الشر لكنه لا يريد أن يفعل ذلك. فالله يقصد أنه لابد أن يكون ثمة تمييز عظيم بين الخير

والشر، حتى أنه من الشر يمكن أن نفهم طبيعة الخير (Div. inst.5,7,15) كما أنه لا يمكن أن يكون ثمة نور بدون ظلام، أو حرب بلا أعداء، وهكذا فلا يمكن أن يكون للفضيلة معنى،ما لم يكن للرذيلة وجود (Div. inst. 3,29,16) لأنه إذا كانت الرذيلة شر لأنها ضد الفضيلة، والفضيلة خير لأنها تنتصر على الرذيلة، إذن فكلاهما لازم للآخر. فاستبعاد الشر يعني أن تستبعد الفضيلة أيضًا.

٢- الروح القدس

حيث أن الكائن الثاني الذي أوجده الله الآب أصبح عدوًا لله. فيصبح السؤال التالي حتميًا.. أي مكان يشغله الروح القدس في الفكر اللاهوتي للاكتانتيوس. ويجيب چيروم على ذلك في رسالته (Epist. 84,7, comm. in Gal. ad 4,6) إذ يشهد أن لاكتانتيوس كتب لاسيما في كتابه المفقود الآن (Letters to De Metrianus) منكرًا وجود الأقنوم الثالث في الثالوث أو الشخصية الإلهية للروح القدس، فهو في مرات يوَحِّد بينه والآب، وفي مرات أخرى يوحد بينه والروح القدس.

٣- خلق النفس

يختلف لاكتانتيوس في الرأي مع معلمه أرنوبيوس فيما يتعلق بالخلق- الذي يرى أن خلق الله للعالم يتم من خلال قوى تابعة، أما لاكتانتيوس فهو على النقيض من ذلك، يعتقد أن "الله الذي خلق العالم هو نفسه الذي خلق الإنسان منذ البدء" (القوانين الإلهية ٢:٥:١٣). وهو الله الذي شكَّل الجسد والروح وجعل كلاً منهما للآخر. وبذلك أصبح الناتج بالكامل له. ويعارض لاكتانتيوس مذهب الانتقالية الذي يرى أن الوليد يرث من الأبوين النفس والجسد معًا. فهو يرى أن النفس تولد لا نتيجة مجهودات الأب أو الأم أو جهودهما معًا فيقول: "لأن الجسد قد ينتج من الجسد، لأن كلاً منهما يسهم بشيء، لكن النفس لا يمكن أن تنتج من نفسين لأنه لا شيء يمكن أن ينتج من شيء ضئيل غير مدرَك. ولذلك فإن طريقة خلق النفوس ينفرد بها الله وحده تمامًا. لأنه لا يمكن أن يتولد عن الميت إلا الموت.. إن النفوس لا تعطى من قِبَل الوالدين. بل من قِبَل الإله الواحد نفسه، الذي هو أبو الجميع. والذي وحده لديه سلطة ولادتها، لأنه هو وحده الذي يخلقها (عن عمل الله ١:١٩ وما بعدها).

وهكذا فإن لاكتانتيوس يؤمن بعملية خلق النفس. أما عن لحظة الخلق على وجه الدقة فيقول: "لا تنتج في الجسد بعد الميلاد، كما يبدو هذا لبعض الفلاسفة، ولكن بعد الحمل مباشرة، بعد أن تكون الإرادة الإلهية قد شكَّلت الذرية في الرحم".

كذلك فإن تعليمه يختلف عن تعليم أرنوبيوس فيما يتعلق بالخلود، ففي حين أن معلمه يتبنى



الرأي القائل إن النفس لم تُعطَ في ذاتها الخلود، إلا أنها تستطيع الحصول على ذلك من خلال حياة مسيحية، ذلك أن لاكتانتيوس يقول بكل وضوح إنها تمتلك هذه الخاصية بالطبيعة. وكما أن الله يعيش دومًا، هكذا جُبِلَ روح الإنسان. وثمة دليل آخر يسوقه الكاتب يؤكد وجهة نظره، فهو يرى أن الأشرار لا يبادون بل يخضعون لعقوبة أبدية. وحيث أن الحكمة، التي أُعطيت للإنسان فحسب، إن هي إلا معرفة الله. فإنه من الجلي أن النفس لا تموت ولا تفنى، بل بالأحرى تبقى إلى الأبد، لأنها تطلب وتحب الله الذي هو أبدي. وهكذا فإن الإنسان خالد في جوهره. ولكنه لا يختبر النتائج الكاملة لهذه العطية والهدف منها إلاَّ بالممارسة المخلصة للديانة الحقيقية، وحين يصل إلى السماء ويحصل على حياة لا تنتهي في سعادة مع الله.

٤- الأخرويات

الفصول من (١٤- ٢٦) من الكتاب السابع بعنوان Divine institutes أي القوانين الإلهية تقدم فكر لاكتانتيوس في الأخرويات، فكان يرى أنه يتبقى ألفا عام من الآلاف الستة وبعدها يأتي الابن ليدين الأحياء والأموات. وكان يؤمن بالملك الألفي. أي حكم المسيح على الأرض لمدة ألف سنة، والتي يقيَّد الشيطان خلالها، ثم بعد اكتمالها تحدث القيامة العامة، حيث يدان الأشرار وينالون عقابهم الأبدي. (كواستن: مرجع سابق).

أهم المراجع الخاصة بالجزء الثانى من موسوعة آباء الكنيسة

نستهلها بالمراجع في العربية ثم نتبعها بالمراجع فى الإنجليزية

١- أحمد أفندى نجيب
الأثر الجليل لقدماء وادي النيل
الناشر: مكتبة مدبولى
الطبعة: الأولى ، القاهرة ١٩٩١م .

٢- ميخائيل مكسي اسكندر ، دكتور
تاريخ كنيسة بنتابوليس
مراجعة وتقديم نيافة الأنبا باخوميوس
مطرانية البحيرة والتحرير ومطروح وبنتابوليس ،
بدون تاريخ .

٣- يوسابيوس القيصرى، المؤرخ
تاريخ الكنيسة. ترجم مرقس داود ، القمص
مكتبة المحبة، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٩م.

٤- شنودة ماهر اسحق ، القس
تاريخ اللغة القبطية والتحدث بها
طبعة أولى ، القاهرة ١٩٩٨م.

٥- نيقولا جريمال
تاريخ مصر القديمة .
ترجمة: ماهر جويجاتى. مراجعة : زكية طبوزادة ، دكتورة
دار الفكر للدراســـات والنــشر والتوزيع
بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث والتعاون - قسم الترجمة بالقاهرة
طبعة أولى ، القاهرة ١٩٩١م.

٦- جيمس هنرى برستد
تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي.
ترجمة: حسن كمال ، دكتور
مكتبة مدبولى .. القاهرة

٧- عباس محمود العقاد
الله- كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية
القاهرة: دار المعارف ،
الطبعة: الثامنة ، القاهرة .

٨- متاؤوس ، الأنبا، الأسقف العام
الأنبا باخوميوس.

٩- غريغوريوس ، الأنبا
الدير المحرق- تاريخه ووصفه ، وكل مشتملاته .
بدون دار نشر- بدون تاريخ .

١٠- متى المسكين ، الأب
الرهبنة القبطية . دير القديس الأنبا مقار

١١- جمال حمدان ، دكتور
شخصية مصر، دراسة فى عبقرية المكان،
في جزءين . القاهرة. دار الهلال ، بدون تاريخ نشر .

١٢- ثروت عكاشة ، دكتور
المعجم الموسوعى للمصطلحات الثقافية، إنجليزي - فرنسي- عربي .
مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر - كونجمان .
طبع فى مصر ١٩٩٠م .

١٣-المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية ،
فى جزءين . الطبعة الثانية .

١٤- نبيل راغب ، دكتور
عصر الإسكندرية الذهبى- رؤية مصرية علمية .
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣

١٥- أحمد فخرى ، دكتور
مصر الفرعونية .
الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨٦.

١٦- ألن جاردنر ، سير
مصر الفراعنة. ترجمة دكتور نجيب ميخائيل إبراهيم .
الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٧.

١٧- نجيب بلدى ، دكتور
تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها .
مكتبة الدراسات الفلسفية ،
القاهرة : دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .

١٨- أثناسيوس اسحق ، القس
مصر فى فكر الآباء .
مكتبة أسقفية الشباب ،
القاهرة : طبعة أولى مارس ١٩٩٦.

١٩- شنودة الثالث، البابا
ناظر الإله الإنجيلي مرقس الرسول القديس والشهيد .
القاهرة : الطبعة السادسة أكتوبر ١٩٩٦م .

٢٠- أنطون ذكرى
النيل فى عهد الفراعنة والعرب .
الناشر: مكتبة مدبولى بالقاهرة
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .

٢١- أنطونيوس الأنطونى : الراهب القمص
وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها- منذ عام ١٥٠ م إلى عام ١٩٨١ م.
القاهرة ١٩٩٦ . دون ناشر .

٢٢- عبد المنعم حفنى ، دكتور
الموسوعة الفلسفية - القاهرة مكتبة مدبولي ،
لبنان : دار ابن زيدون . الطبعة الأولى : بدون تاريخ نشر .

٢٣- وديع أبو الليف ، الأب الدكتور
محاضرات غير منشورة عن مدرسة الإسكندرية وآبائها وكتابها.

٢٤- كريستيان ڤان نسبن ، الأب الدكتور
محاضرات غير منشورة عن مدرسة الآباء .

25) Atiya Aziz S., Ed . in chief .
The Coptic Encyclopedia .
Macmillan Publishing Company ,
New York

26) Atiya Aziz S.,
A History Of Eastern Christianity ,
Metnuen & Co LTD . London , 1968

27) BROWN LESLEY , Ed .
Shorter Oxford
English Dictionary
2 - Volumes
Clarendon - Press - Oxford 1993

28) David and Alexander Pat .
The Lion Handbook to the Bible .
The Lion Publishing House, Special
Edition . Lckield way , Tring, Herts,
England 1986

29) DI BERNDINO , ANGLO . Ed .
Trans . by Wolford, Adrin:
Encyclopedia of the Early Church ,
2 volume set, James
CLarke & Co.
CAMBRI DGE , First Published,in
GREAT BRITAIN in 1992 .

30) Douglas J. D.
The Illustrated Bible Dictionary,
V 1-111
inter Varsity press , 1980

31) Eliade Mircea, Ed .
The Encyclopedia of Religion ,
Macmillan Publishing Company
New York 1986 .

32) El WELL, WALTER A ., G . Ed.,
Baker Encyclopedia of The Bible ,
2 volume , Set ,Baker book Honse.
Grand Rapids , Second Printing 1989.

33) Griggs, C . Wilfred . Early Egyptian
Christianity (from it's origins to 451 C.E),
Third Edition , Leiden,
The Netherlands , 1993.

34) Merril C. Tenney . G. Ed .,
Pictorrial Encyclopedia of The Bible,
5 volume set,
Zondervan publishing House,

35) Murray Chambers -
Latin - English Dictionary,
Cambridge, 1996

36) PEEIFFER CHARLES , Howard
F . vos John Rea ,Eds.
Wycliffe Bible Encyclopedia,
2 volume Set . Moody Press,
Chicago , 1987

37) UNGER , MERRILL F .
The New Unger's Bible Dictionary,
Mood Press Chicago , 1988

38) W - Philip , Ed. in chief.
The New Encyclopedia, Britannica ,
Volume 13 Maropaedia
15 th Edition .

39) KELLY , J. N.D. Early Christian
Doctorine, Fifth Edition,
A & C Black, LONDON, 1989

40) Martin Ralph P.
Worship in the Early Church,
LONDON : EERDMANS , March 1992

41) Questen , Johannes.
PATROLOGY , Christian
Classics , inc. 1992

42) RICHARDSON , ALAN:
Creeds in The Making,
The Publisher , SCM press , 1982 .

43) Shaff , Philip. History of
the Christian Church . 8 volume set
WM. B. EERDMANS Publishing Company , Grand Rapids ,
Michigan , Fifth Edition
reprinted Septmber, 1989

44) SHELDON , HENRY C. History
of the Christian Church,
Hendrickson Publishers,
April , 1988

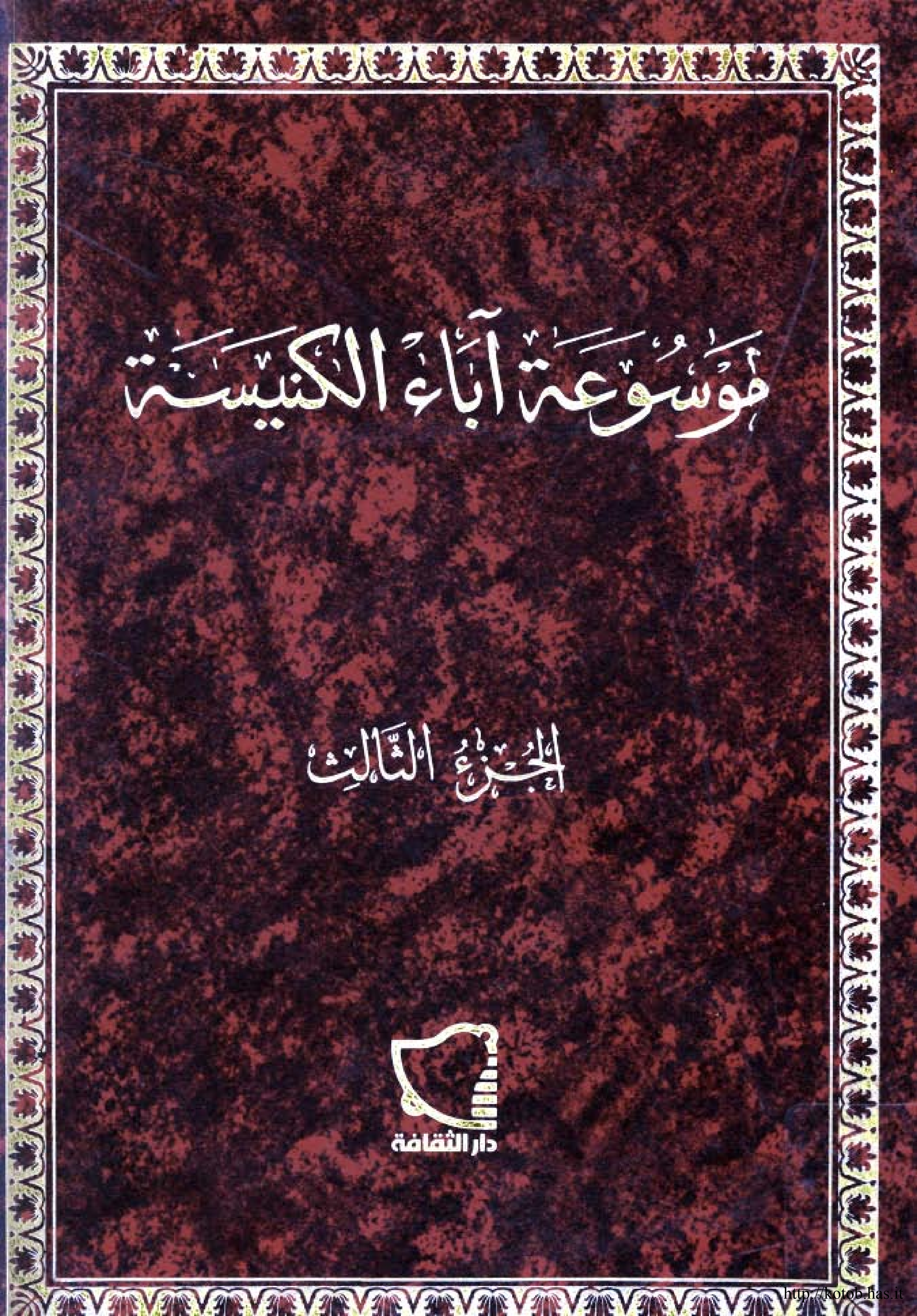
45) RANSON K. ANNE
LEXICON UNIVERSAL , Encyclopedia
The first Volume ,
LEXICON Publications , inc.,
New York , N. Y. 1985

46) THOMPSON J.A
Hand Book of Life in Bible Times,
inter- Varsity Press .
First Published in 1986

47) WAKE FIELD GORDON S. , Editor,
A Dictionary of Christian
Spirtuality, GREAT BRITAIN
SCM , 1993

48) WLKER WILLISTON: A History
of the Christian Church,
4 th Edition, 1986

49) WOND J . W.':History of
The Early Church to A.D.500, 1974 .


موسوعة آباء الكنيسة
الجزء الثالث
دار الثقافة

موسوعة آباء الكنيسة

الجزء الثالث

إعداد

عادل فرج عبد المسيح



مقدمة الدار

كتابات الآباء جزء أصيل من التراث الأدبي المسيحي، الذي يزخر بأفكار لاهوتية ثرية. والبحث في نشأة الفكر اللاهوتي أمر ضروري ولازم لمعرفة أصول الفكر المسيحي.

وهذه السلسلة من موسوعة تاريخ آباء الكنيسة تتبع ما أرسوه من دعائم الفكر اللاهوتي المسيحي من خلال إسهاماتهم الأدبية حتى القرن العاشر الميلادي.

ويسر دار الثقافة أن تقدم للقاريء الدراسات الجادة التي تسهم في تعميق الإدراك والفهم للمسيحية، والتي تدعو إلى مشاركة مجتمعنا قضاياه ومشاكله، كما كان الآباء مشاركين بآرائهم واجتهاداتهم في مجتمعاتهم.

دار الثقافة

مقدمـة المؤلف

«دعنا عزيزي القـاريء نخطو خطوة جغرافية -إن جاز لنا أن نقول ذلك -فنخطو إلى أسيا بعد أن تناولنا "كنيسة الإسكندرية"، و"كنيسة شمالي أفريقيا".. وقد تركزت دراساتنا في الخلفيات التاريخية لكل كنيسة، وكذلك شخصيات الآباء في كل منهما».

ها نحن نلتقي في مجلد جديد ودراسة جديدة. وموضـوع دراستنا يدور حول كنيستين من أعظم الكنائس في تاريخ المسيحية "الكنيسة في فلسطين"، و"الكنيسة في سوريا". لقد كان لكل كنيسة منهما شخصيات كنسية لا ينحصر الفخر بهم في كنيستهم فحسب، وإنما ينسحب هذا الفخر إلى كل كنيسة وكل مسيحي في كل العصور، وفي جميع الأماكن، ومازالت موضع فخرنا نحن أبناء القرن الحادي والعشرين. بل ربما يزداد افتخارنا نحن بهم. عندما نتابع كيف كافح هولاء الرجال، وجاهدوا، من أجل الحفاظ على الإيمان نقيًا، كالطود الراسخ أمام العواصف العاتية.

وسوف ننسج على نفس المنوال الذي سبق أن نسجنا عليه في الجزءين الأول والثاني، نسيجًا جديدًا. لنتعرف على الفكر اللاهوتي في كنائس أسيا، وخصائصه. ولنركز في دراستنا على الكنيسة في فلسطين، في المواقع العديدة التي انتشرت إليها المسيحية. ولنعرف شيئا عن المسيحية المبكرة في كل مدينة أو قرية من تلك القرى.

فسوف نتتبع تاريخ كل موقع أو مدينة منذ نشأتها. وقد بدأنا دراسة الخلفية التاريخية لكنيسة أورشليم -على سبيل المثال- منذ السبي البابلي لما في ذلك من تأثير في تاريخ أورشليم... وقد تتبعنا العصور المتعاقبة، ووقوع أورشليم تحت الحكم الأجنبي للامبراطوريات المتعاقبة التي حكمت لا أورشليم وحدها، بل الكثير من العواصم الكبرى في العالم آنذاك. غير أننا ومضنا في ذلك ومضات سريعة، بُغية الوقوف على الأحوال السياسية، وأثرها في مختلف نواحي الحياة في تلك العهود.

وسوف نلتقي باثنين من مؤرخي الكنيسة في فلسطين. أولهما المؤرخ والكاتب العلماني هيجيسيبوس. وكانت له دوافعه القوية من أجل الحصول على صورة دقيقة للإيمان النقي، في الوقت الذي انتشرت فيه الغنوسية واستشرت كالسرطان في الجسد. إلاَّ أن تنقلاته إلى كورنثوس وروما ولقاءه بالأساقفة، من أجل معرفة التعليم النقي، مما جعله



يكتب "ذكرياته". وكان للشخصية الأخرى، والتي اشتهرت بأنها "أبو التاريخ الكنسي" المؤرخ يوسابيوس القيصري (من قيصرية في فلسطين) وكان له الفضل في اقتباس الكثير مما جاء في كتابات هيجيسيبوس وذكرياته.. ولا سيما قائمة أسماء أساقفة أورشليم، ولولا ذلك لما عرفنا عنهم شيئا، لا سيما وأن "ذكريات" هيجيسيبوس قد فقدت في القرن السادس عشر. كذلك لا يمكن أن نغفل القيمة العلمية البالغة لأعمال يوسابيوس التاريخية. والتي قدمت لنا صورة واضحة لما كانت عليه الكنيسة في القرون الأولي.

هكذا كان لتلك التعاليم المستقيمة، وللمجامع المسكونية والمحلية، الفضل في اجتثاث الخلايا السرطانية الغريبة، والحفاظ على التعليم القويم.

أما عن "الكنيسة في سوريا"، فقد تتبعنا نشأة الكنيسة في أنطاكية.. وبحسب ما استقر عليه منهجنا، بدأنا بتاريخ أنطاكية قبل المسيحية.. منذ أن أنشأها سلوقس الأول.. وإلى أن أصبحت ذات شأن كبير في القرن الأول الميلادي. وكيف كان لها ذات الشأن أيضاً في تاريخها الكنسي.. وكيف عالجت مسألة الختان -التي أثارها التهوديون هناك- على نحو حكيم في مجمع أورشليم الأول في منتصف القرن الأول الميلادي.

وكذلك كان لأنطاكية أدوار هامة. فكانت هي نقطة الانطلاق لبولس رسول الأمم، في رحلاته التبشيرية الثلاث، إلى كل من قبرس، وأسيا الصغرى، واليونان. كما أنها أيضا كانت هدفه حيث قصدها في عودته من رحلتيه الأولى والثانية.

وقد ارتبط تاريخ الكنيسة في أنطاكية، بقديسها وشهيدها أغناطيوس. ولرسائله السبع قيمة بالغة لاحتوائها على تعاليم عكست لنا ما كانت عليه، العقيدة المسيحية بل النظام الكنسي بعامة، في الكنيسة الأولى.

وكذلك سوف نلتقي بثلاث مدارس لاهوتية في كل من فلسطين وأنطاكية: "مدرسة قيصرية" و "مدرسة غزة" في فلسطين، ومدرسة أنطاكية بسوريا. وقد سبق أن أشرنا إلى "مدرسة قيصرية" في عرضنا لدراسة عن العلاَّمة أوريجانوس الإسكندري مؤسسها؛ في أثناء إقامته هناك. وللدلالة على مدى أهميتها في دراسة العقيدة والفكر اللاهوتي المسيحي، يكفي أن نعرف أن من بين من درسوا بها، القديس يوحنا ذهبي الفم، والمؤرخ يوسابيوس القيصري. و"مدرسة غزة" التي أسسها عالم اللُغويات زوسيموس. أما "مدرسة أنطاكية" فقد ركزت على التفسير

التاريخي واللغوي منهجًا لها. وأصبح لها منهج منظم في ختام القرن الرابع الميلادي.

إننا ونحن نُقَلِّب في صفحات تاريخ الكنيسة في أماكن نشأتها. يمكننا أن نلمس افتقاد الرب لشعبه، وكيف أنه كان يرسل إليها، في كل جيل، وفي كل مكان. خدامًا أمناء كرسوا حياتهم في خدمة الله، وبناء كنيسته وشعبه.

أود أن أذكرك، عزيزي القاريء، أن هذه السلسلة من تاريخ آباء الكنيسة يرتبط بعضها ببعض. فكل جزء يكمل الأجزاء الأخرى. لذلك فبعض الموضوعات التي جاء ذكرها في مواضع أخرى. قد تستلزم أن تعود إليها متى أُشير إلى ذلك منعًا من التكرار.

لقد وفينا الوسائل التوضيحية، من خرائط وصور، وخلفيات تاريخية حقها.. لتكون الصورة التاريخية أو الجغرافية واضحة لا لبس فيها.

إنني أشكر إلهي بالغ الشكر على ما أعطانيه من فرصة لمواصلة هذا العمل.

وفي انتظار التعليقات الإيجابية من السادة القراء والباحثين لتدارك ما قد نكون قد أغفلناه عن غير قصد، أو عن سهو، فلله وحده الكمال. ونحن نثق أن هذا الجزء، يتضمن من تاريخ الكنيسة، ومن أعمال آبائها أو كُتَّابها الكنسيين، ما يجعله يحتل مكانًا هامًا في مكتبتنا العربية.

إهداء

إلى روح والدي الذي علّمني ألف باء الحياة..
وكان لتشجيعه لي وتثقيفي منذ وقت مبكر..
الأثر الأكبر في حياتي..

وإلى اللقاء مع الجزء التالي بإذن الله،،

عادل فرج عبد المسيح

بعض التواريخ المهمة التي وردت في هذا المجلد
(الكنيسة في فلسطين)

٦٠٦ ق.م	السبي الأول: قام نبوخذناصَّر ملك بابل بغزو أورشليم وسبي بعض اليهود إلى بابل عاصمة ملكه، في عهد الملك يهوياقيم ملك اليهود.
٥٩٧ ق.م	السبي الثاني: قام به نبوخذ ناصَّر أيضًا.
٥٨٦ ق.م	السبي الثالث: حيث تهدمت أورشليم تمامًا وكان ذلك في عهد الملك اليهودي صدقيًّا.
٥٨١ ق.م	السبي الرابع: قام به نبوزرادان رئيس الشرط في مملكة نبوخذناصَّر.
٥٣٨ ق.م	كورش الملك الفارسي يسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم.
٥٣٦ ق.م	بداية إعادة بناء الهيكل الذي تهدم وظلوا لمدة ٢٠ عاماً في هذا العمل.
٣٣٣ ق.م	ضم الإسكندر الأكبر سوريا ومصر إلى امبراطوريته.
٣٢١ق.م	استيلاء بطليموس سوتر على أورشليم.
٢١٧ ق.م	سوريا وفينيقية وفلسطين تحت حكم البطالسة بقيادة بطليموس الرابع (فيلوباتير).
٢٠٥ ق.م	وفاة بطليموس الرابع.
١٨٧ ق.م	وفاة أنطيوخس الثالث.
١٨٧- ١٧٥ق.م	حكم الملك سلوقس الرابع.
١٧٥ ق.م	جلوس أنطيوخُس (إبيفانس) على العرش.
١٧٠ ق.م	أنطيوخُس إبيفانس الرابع يستولى على أورشليم.
١٦٧ ق.م	أنطيوخُس إبيفانس يقيم معبداً فوق الهيكل.

١٦٢ ق.م	تعيين الملك ديمتريوس الأول السلوقي ليواقيم رئيساً للكهنة.
١٦١ ق.م	مقتل يهوذا المكابي وتولى أخيه يوناثان قيادة الثورة.
١٤٣- ١٣٤ ق.م	سمعان المكابي يقود الثورة.
١٣٤ ق.م	مقتل سمعان، وقيادة يوحنا هركانوس للثورة.
١٠٧ ق.م	يوحنا هركانوس يدمر مدينة السامرة.
١٠٤ ق.م	وفاة يوحنا وتولي ابنه أرسطوبولس الأول قيادة الثورة.
١٠٣-٧٦ ق.م	اسكندر حنَّاؤس يقود الثورة.
٦٤ ق.م	سيطرة بومبي القائد الروماني على أسيا الصغرى وأرمينيا وسوريا وفلسطين.
٥٧-٥٥ ق.م	إعادة بناء السامرة في عهد جابلينيوس الوالي الروماني.
٤٧ ق.م	يوليوس قيصر يعين أنتيباتر واليًا على اليهودية.
٣٠ ق.م	أُوغسطس قيصر يقدم جدرة هدية لهيرودس الكبير.
٣٧-٤ ق.م	هيرودس (الأدومي) ملكًا على اليهودية.
٤ ق.م - ٦م	بعد وفاة هيرودس تولى ابنه أرخيلاوس حكم اليهودية.
٢٦م -٣٦ م	بيلاطس البنطي تولى حكم اليهودية.
٣٦م	الوالي مارسيللوس يخلف بيلاطس البنطي، وفي عهده استشهد القديس استفانوس.
٤١-٤٤ م	تولى الملك أغريباس الأول (هيرودس الملك) حكم اليهودية وقد قتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف.
٤٦-٤٨ م	حدوث مجاعة في عهد الوالي طيباريوس يوليوس ألكسندر.
٥٠ م تقريبًا	مجمع أورشليم الأول.

٦٢ م استشهاد الرسول يعقوب أخي الرب.

٦٦ م لجوء المسيحيين المقيمين في أورشليم إلى بيلا إبان تذمر اليهود.

٦٦-٧٠ م أول تذمر يقوم به اليهود ضد روما في عهد الامبراطور نيرون.

٧٠ م حاصر تيطس أورشليم ودمرها تماماً وأصبحت طبرية هي المركز الجديد للربيين.

١٠٠- ١١٦ م نركيسوس أسقفاً لأورشليم.

١١٠ م ولادة هيجيسيبوس المؤرخ والكاتب العلماني في فلسطين.

١٣٢-١٣٥ م التذمر الثاني والأخير الذي قام به اليهود في عهد الملك هادريان. وإقامة هادريان إيلياء كابيتولينا بدلاً من مدينة أورشليم. كما أقام في مكان الهيكل معبداً للإله چوبيتر.

١٣٥ م الأسقف ثيؤفيلس هو أول أسقف معروف لقيصرية فلسطين.

١٣٨ م انتهاء هادريان من إعادة بناء المدينة المنهدمة، ولكن باسم جديد هو إيلياء كابيتولينا.

٦٤ ق.م -٣٣٠ م حكم الرومان للمدينة المقدسة أورشليم.

٢١٢ م اسكندر أسقف كبَّدوكية يعاون نركيسوس أسقف أورشليم لتقدمه في السن.

٢٦٥ م تقريباً ولادة يوسابيوس المؤرخ القيصري في فلسطين.

٢٨٥ م استشهاد أول شهيد معروف في غزة هو الأسقف سلوانس.

٢٩٠ / ٢٩١- ٣٧١م القديس هلاريون هو أول راهب ناسك في فلسطين. زار القديس أنطونيوس في مصر ثم عاش بالقرب من غزة متوحداً في البرية.

٣٠٣ م استشهاد القديس جرجس بِلُدة (ديوسبوليس).

٣١٠ م استشهاد بمفيلوس القيصري.

٣١٣ م رسامة يوسابيوس القيصري أسقفاً.

٣٢٥ م	انعقاد مجمع نيقية.
٣٢٥ م	إعفاء يوسابيوس القيصري لفترة محدودة من مسئولياته.
٣٣٥ م	انعقاد مجمع في صور برئاسة يوسابيوس المؤرخ القيصري.
٣٤٠ م تقريباً	وفاة يوسابيوس المؤرخ القيصري.

المحتويات

صفحة



صفحة





"لقد بدأت الكرازة بالمسيح المُخلّص الفادي.. المنتصر على الموت.. في فلسطين حيث علّم السيد المسيح تلاميذه قائلاً: "وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أعمال الرسل ١: ٨). ولهذا فإنّ لهذه الأرض التي تقدست بخَطَى السيد المسيح وتعطّرت بأنفاسه.. واستضاءت بحياته.. أسمى مكانة وأرفع تقدير.. في نفس كل مسيحي.. ونسأل الله العليّ القدير أن يهيء لأهلها السلام والأمان ويرفع عنهم كل ظلم وقهر".

الباب الأول:

الكنيسة في فلسطين

أولاً: الخلفية التاريخية

الباب الأول الفصل الأول

أورشليم في التاريخ

● مدينة أورشليم

أورشليم هي المدينة الأولى في فلسطين. هي القدس أي المدينة المقدسة أو بيت المقدس.

ولا نعرف على نحو أكيد الاشتقاق اللغوي للكلمة. وقد تكون للكلمة أصول سامية. وقد ظهرت في وثائق مصرية ترجع إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر قبل الميلاد باسم Urusalimum، أمَّا في الوثائق (الفخارية) في تل العمارنة- مصر، والتي تم اكتشافها في سنة ١٨٨٧ م، فقد جاء بها ما يشير إليها باسم Urusalim، ويرجع تاريخ وثائق تل العمارنة إلي القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

ويشير الأشوريون إليها باسم Urusalimmu- ويحاول العلماء من المعاصرين البحث عن معنى للاسم فيقولون إنه يعني "أسَّسها إله شاليم" Sha-lem ويعني مانح اليُسر.. وهو إله الأموريين. وقيل إن أورشليم أسَّسها الأموريون والحيثيون (حزقيال ١٦: ٣و٤٥). وأصبح مع الوقت الشِق الثاني من الإسم يعني "السلام". وهكذا أصبح اسم مدينة أورشليم Jerusalem أي "مدينة السلام". وقد دعاها اليونان والرومان باسم Hierosolyma.

أما اسم المدينة الكتابي كما جاء في العهد القديم فهو "ساليم" أو "شاليم" Salem (تكوين ١٤: ١٨ قارن عبرانيين ٧: ٢١) ويعد إحدى صور كلمة شالوم Shālôm بالعبرية، وتعني سلام Peace فعلى شعب الرب أن يسألوا من أجل سلامة أورشليم (مزمور ١٢٢: ٦).

وقد سميت أيضًا **يبوس** Jebus (قضاة ١٩: ١٠). وبالنسب إلى أهلها سميت **"مدينة اليبوسيين"** (قضاة ١٩: ١١). وهم من نسل الأموريين والحيثيين. وكذلك توجد أسماء أخرى سميت بها:

أريئيل (نار الله) (إشعياء ٢٩: ١)، **مدينة العدل** (إشعياء ١: ٢٦)، **مدينة القدس** (إشعياء ٤٨: ٢، نحميا ١١: ١)، **المدينة المقدسة** (إشعياء ٥٢: ١، متى ٤: ٥، ٢٧: ٥٣)، **بيت الله** (نحميا ١١: ١٨).

وقد دعيت المدينة حديثًا باسم **"المدينة الروحية للعالم"**.



خريطة توضح موقع مدينة أورشليم والمدن المجاورة لها

● الموقع الجغرافي

تقع أورشليم شرقي البحر المتوسط بنحو ثلاثة وثلاثين ميلاً. وغربي البحر الميت بنحو أربعة عشر ميلاً. وهي قائمة على قمة جبل (مز ٤٨: ١و٢، زكريا ٨: ٣)، إلاَّ أنها تحاط بجبال أعلى منها (من ثلاث جهات) (عدا الجنوب الشرقي) (مز ١٢٥: ١و٢). وتقع مدينة بيت لحم إلى الجنوب الشرقي منها على مسافة خمسة أميال. وترتفع أورشليم بنحو (٢٥٠٠) قدم عن سطح البحر المتوسط، وعن سطح البحر الميت بنحو (٣٨٠٠) قدم. وهي تقع تقريباً عند خط عرض ٣١° شمالاً وخط طول ٣٥° شرقًا.

تاريخ مدينة أورشليم

لا شك أن تاريخ مدينة أورشليم تاريخ قديم. وإنه لمن الأهمية أن نتعرض في شيء من الاختصار لتاريخ أورشليم تحت حكم البابليين والفرس، اليونان، والرومان للوقوف على الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت قبل ميلاد الكنيسة، ونشأتها الأولى في أورشليم.

أولاً: أورشليم تحت حكم البابليين

ثانيًا: أورشليم تحت حكم الفرس

ثالثًا: أورشليم تحت حكم البطالسة والسلوقيين

رابعًا: أورشليم تحت حكم الرومان

****

أولاً: أورشليم تحت حكم البابليين

السبي الأول: في سنة ٦٠٦ ق.م. في عهد الملك يهوياقيم ملك اليهود، قام نبوخذناصَّر ملك بابل بغزو أورشليم، وحاصرها. وأخذ بعض آنية بيت الرب، وكذلك بعض الفتيان من بني إسرائيل، ومن نسل الملك (دانيال ١:١-٤).

السبي الثاني: في سنة ٥٩٧ ق.م: استولى الملك نبوخذ ناصَّر على مدينة أورشليم للمرة الثانية في سنة ٥٩٧ ق.م. وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس، وجميع الصنَّاع. كما استولى على كل خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسَّر كل آنية الذهب في هيكل الرب.

وكذلك سبى يهوياكين الملك وأم الملك ونساء الملك، إلى بابل. (ملوك الثاني ٢٤:١٠-١٦، انظر أيضًا ٢٥:٢٧-٣٠).

السبي الثالث: في سنة ٥٨٦ ق.م: وكان ذلك في عهد الملك صدقيًا (انظر ملوك الثاني ٢٥:٤-٧، ٢٥:٩). وقد تهدمت المدينة ودمرت عن آخر بعد فترة من الحصار.

السبي الرابع: في سنة ٥٨١ ق.م: وهي السنة الثالثة والعشرون للملك نبوخذ ناصَّر، حيث قام نبوزرادان (رئيس الشرط) بسبي سبع مئة وخمسًا وأربعين نفسًا. (إرميا ٥٢:٣٠) وجملة النفوس التي تم سبيها منذ السبي الأول هي أربعة آلاف وست مائة (إرميا ٥٢:٢٨-٣٠).

****

ثانيًا: أورشليم تحت حكم الفرس

تولى كورش العرش في سنة ٥٣٩ ق.م: قضى كورش الفارسي على الامبراطورية البابلية في سنة ٥٣٩ ق.م. وفي العام التالي سمح لليهود بالعودة



إلى بلادهم. في سنة ٥٣٦ ق.م. بدأ اليهود في إعادة بناء الهيكل الذي تهدم، وأتموا بناءه في سنة ٥١٦ ق.م. أي بعد نحو ٢٠ سنة من العمل الدؤوب المتواصل.

ظلت إسرائيل تحت الحكم الفارسي من سنة ٥٣٨ ق.م إلى سنة ٣٣٣ ق.م وكانت هذه الفترة بمثابة فترة استقرار. كما أصبح منصب رئيس الكهنة مَنصبًا بالغ الأهمية، إذ أصبح رئيس الكهنة هو المسئول عن الشعب أمام حُكّام الفرس، وكذلك عن الضرائب (تاريخ إسرائيل: الأب متى المسكين).

****

ثالثًا: أورشليم تحت حكم اليونان والبطالسة والسلوقيين

بعد الانتصار الكبير الذي حققه الإسكندر الأكبر على الفرس في موقعة إسوس في سنة ٣٣٣ ق.م. قام بغزو كلاً من سورية ومصر، وضمهما إلى امبراطوريته، وفق خطته التي كان يتوق إلى تحقيقها. وكان نتيجة للصراع الذي حدث بوفاة الإسكندر في سنة ٣٢٣ ق.م. بين البطالسة والسلوقيين على سورية ومصر ما يلي:

أ- في سنة ٣٢١ ق.م. غزا بطليموس سوتر (المنقذ) فلسطين واستولى على أورشليم.

ب- حكم أنطيوخُس الثالث (الكبير) السلوقي سورية في سنة ٢١٩ ق.م.

جـ- بانتصار الجيش المصري بقيادة: بطليموس الرابع (فيلوباتير) على الجيش السوري بقيادة أنطيوخُس الثالث في سنة ٢١٧ ق.م، أصبحت سورية وفينيقية وفلسطين تحت حكم البطالسة.

ويلاحظ أن اليهودية كانت جزءاً من إقليم سورية تحت حكم البطالسة، وظلت كذلك حتى في عهد الرومان.

د- بعد وفاة بطليموس الرابع في سنة ٢٠٥ ق.م. وفي عهد أنطيوخُس الثالث خضعت سورية كلها لحكم السلوقيين.

هـ- ملك سلوقس الرابع (١٨٧- ١٧٥ ق.م) بعد وفاة أنطيوخس الثالث في ١٨٧ ق.م. ثم يأتي بعد سلوقس الرابع أخوه أنطيوخس (إبيفانس) ليجلس على العرش في سنة ١٧٥ ق.م.

****

● ثورة المكابيين

قام أنطيوخُس إبيفانس الرابع (١٧٥-١٦٦ق.م) بنشر الثقافة اليونانية بين اليهود. وقد استولى على أورشليم في سنة ١٧٠ ق.م بعد أن قتل كثيرين ونهب الهيكل. وكان للأفعال التي أقدم عليها أنطيوخس ردود أفعال عنيفة من جانب اليهود أدت إلى ثورة المكابيين. فقد تدخل إبيفانس في تعيين رؤساء الكهنة، وكان يتم اختيار رؤساء

الكهنة من بيت أونياس. وقد عيَّن "منلاوس"، ولم يكن من بيت أونياس، رئيسًا للكهنة. كذلك أمر رئيس الكهنة أن يشترك في تقديم الذبائح للأوثان، ومنع اليهود -بالقوة- من ممارسة الختان. وكذلك أقام معبداً للإله زيوس فوق الهيكل في سنة ١٦٧ ق.م. كل هذه الأسباب كانت إيذانًا بانطلاق شرارة ثورة المكابيين. ويذكر سفر المكابيين الأول والثاني أسباب تلك الثورة (انظر المكابيين الأول ١١:١-١٥، المكابيين الثاني ٤:٧-١٧).

في هذه الفترة كان ثمة صراع بين جماعتين من الجماعات اليهودية، **الأولى**: هي جماعة حسيديم أي الأتقياء، وكانوا يظنون أنهم المحافظون على الشريعة والطقوس، والمتلزمون بها. أما **الجماعة الأخرى**: فهي جماعة اليهود من المثقفين بثقافة يونانية وكانوا يهدفون إلى التجديد ومسايرة العصر. وكانوا مثلاً لا يعارضون -كما فعل الحسيديم- تعيين رؤساء الكهنة من قبل حكام اليونان. وكان رفض الحسيديم هو السبب الأول لانفجار الثورة.

أشعل متَّتياس الهاشموني نار الثورة. (انظر مكابيين الأول ٢:١٩-٢٨). والهاشمونيون أو الهاسمونيون، دُعوا بالمكابيين، حيث كلمة "مكابي" تعني "مطرقة" ولتقدم متَّتياس في العمر تسلم منه ابنه يهوذا القيادة. ويحصل اليهود على حق العبادة في الهيكل مرة أخرى، في عهد أنطيوخُس الخامس. فأعاد يهوذا المكابي بناء المذبح، واستؤنفت العبادة في الهيكل في سنة ١٦٥ ق.م.

لما عيَّن الملك ديمتريوس الأول السلوقي الكيمُس (يواقيم) رئيسًا للكهنة، بعد مقتل "منلاوس"، وكان ذلك في سنة ١٦٢ ق.م.. وكان الكيمُس من المشايعين لسورية. وكان ثمة صراع شديد، وعداء بالغ بين اليهود ممن ينتمون إلى سورية، واليهود المستوطنين في البلاد الأخرى. فزادت حدة التوتر بينهما (انظر في ذلك المكابيين الأول ٧: ٢١-٢٣، ٩:٥٥و٥٦، مكابيين الثاني ٤:٣٩- ٥٠).

بعد مقتل يهوذا المكابي في سنة ١٦١ ق.م تولَّى أخوه يوناثان قيادة الثورة. وتتحقق في عهده بعض الانتصارات حيث أبرم مع ديمتريوس الثاني السلوقي، وكذلك مع روما معاهدات كان من شأنها عودة كثيرين من اليهود المشتتين إلى بلادهم مرة أخرى. (انظر مكابيين الأول ٥:٢١-٢٣، ٥:٤٥). وتعود مرة أخرى إليهم وظيفة رئيس الكهنة. ولكن يستمر السلوقيون في احتلالهم!

غير أن سمعان المكابي (١٤٣- ١٣٤ق.م) كان قد وطَّد عزمه على أن يحقق ذلكم الاستقلال بعد أن تولَّى القيادة، في أعقاب مقتل أخيه غدرًا. وقد تأكد لليهود حريتهم الدينية في عهد ديمتريوس الثاني، وفي بداية عهد أنطيوخس السابع سيديتس -لكنه لم يفِ بعهده- فأعلن الحرب لاسترداد الأراضي التي كان المكابيون قد استولوا عليها

خارج اليهودية. إلا أن أنطيوخس لقى الهزيمة على يد ابني سمعان المكابي، يوحنا ويهوذا، في سنة ١٣٧ ق.م. وكان سمعان قد تقدمت به الأيام. وأصبح يوحنا هركانوس قائدًا -ورئيسًا للكهنة- بعد مقتل أبيه في سنة ١٣٤ ق.م.

حاصر أنطيوخُس سيديتس (السابع) أورشليم في سنة ١٣٤ ق.م. لمدة عام. وحدثت هدنة بناءً على طلب يوحنا هركانوس. ودفع اليهود الجزية عن البلاد التي كانوا يحتلونها.

توفى أنطيوخُس السابع في سنة ١٢٩ ق.م. وظل يوحنا هركانوس في سعيه للاستقلال والتحرير. وقد شهدت تلك الفترة اتساعًا لليهودية جهة الشمال، الجنوب، والشرق، وضم السامرة إليها.

وبعد وفاة هركانوس في سنة ١٠٤ ق.م. تولى الثورة ابنه أرسطوبولس الأول. وبرغم قِصَر فترة حكمه (أقل من سنة) إلاَّ أنه قام بتهويد كل منطقة الجليل.

ويتابع الثورة بعد ذلك اسكندر حنَّاوس (١٠٣ ق.م- ٧٦ق.م). أكبر إخوة أرسطوبولس الثلاثة، وكان أرسطوبولس قد ألقى بإخوته الثلاثة في السجن وكذلك أمه (وماتت وهي في السجن)، أما الأخ الرابع أنتيجونيس فقد اغتاله!

وقد وصلت البلاد في أيامه إلى أدنى الدرجات من الانحلال والاستهتار. على الرغم من أنه بلغ من القوة مبلغًا عظيمًا. حتى أنه ضمَّ بلادًا أخرى إليه. ولانصرافه إلى فتوحاته، أهمل وظيفة رئيس الكهنة، ولرغبته في زواجه من أرملة أخيه، الأمر الذي لا يتفق وتقاليد الفريسيين. انقلب اليهود ضده. وتوفى اسكندر في عام ٧٦ق.م بعد أن حقق اتساعًا كبيرًا للملكة، غير أنه خاض حروبًا كثيرة من أجل ذلك!

تولى هركانوس الثاني القيادة، ورئاسة الكهنوت، وكانت اتجاهاته تميل نحو الفريسيين. فأحصبت مقاليد الأمور الدينية والدنيوية في يد الفريسيين للمرة الأولى في تاريخ اسرائيل. إلا أن الابن الأصغر لألكسيا أرسطوبولس الثاني كان يميل تجاه الصدوقيين مع كرهه للفريسيين. وهكذا كان الأخان كل واحد منهما يميل في اتجاه عكس الآخر!

****

بداية التدخل الروماني

وكانت المواجهة بين الأخين بعد وفاة ألكسندر والدتهما في سنة ٦٧ ق.م. ويهزم أرسطوبولس الثاني أخيه ويتقلد العرش. غير أن هركانوس يتحالف مع صديقه الملك أنتيباتر الأول الأدومي (والد هيرودس الكبير) والملك العربي أريتاس الثالث ملك النبطيين الذي كان صديقًا لأنتيباتر أيضًا. فيهزموا أرسطوبولس الثاني، الذي يهرب إلى أورشليم ليحتمي بها. ويحاصره حلف

هركانوس وأريتاس. وفي هذه الأثناء يعد بومبي جيشًا جرارًا ليسيطر على أسيا الصغرى، وأرمينيا، وكان وصول بومبي إلى سورية بمثابة طوق النجاة لأرسطوبولس الثاني. إذ عندما أرسل بومبي قائد جيشه "سكاوروس" لإنهاء الحرب الدائرة في أورشليم، وبذلك انتهى حصاره. ثم ينتقل ميدان القتال إلى أدومية، حيث حقق أرسطوبولس نصرًا كبيرًا.

****

رابعًا: أورشليم تحت حكم الرومان

دعا الأخَّان -هركانوس الثاني وأرسطوبولس الثاني- بومبي للتوسط بينهما، فقَبِل. وتوجَّه بنفسه إلى أورشليم لحل ذلكم النزاع ولكنه فوجيء بمنعه من الدخول إلى المدينة، فاستولى عليها بالقوة، بعد حصار لها دام عدة أشهر، ووطأت قدماه الهيكل "وقدس الأقداس". غير أنه لم يمس ذخائر الهيكل بسوء، واستمرت -بعد ذلك- العبادة في الهيكل كما كانت. وأعاد هركانوس الثاني رئيسًا للكهنة، مرة أخرى. أما أرسطوبولس الثاني فقد سجنه في روما. ومنذ ذلكم الحين أصبحت أورشليم تحت الحكم الروماني، عليها أن تقوم بدفع الجزية لروما. ومنح هركانوس بعض الامتيازات، من بينها أن يقوم بإعادة بناء سور أورشليم.

عيَّن يوليوس قيصر في سنة ٤٧ ق.م أنتيباتر واليًا على اليهودية، نظير مساعدته له في حربه مع بطليموس الثاني عشر، ملك مصر. وقد منحه قبل ذلك حق "المواطنة الرومانية"، لكي يشمله بالحماية إذا ما تعرض للاعتداء أو الأذى من جانب اليهود.

قام أنتيباتر بتعيين ابنيه معاونين له. فأقام هيرودس -ابنه الأصغر- حاكمًا على الجليل، بينما ابنه الأكبر على أورشليم.

وهكذا تضعف شوكة المكابيين بل وتنكسر، بوقوع اليهودية تحت الحكم الروماني.

وقد دخل الرومان أورشليم مرة أخرى في سنة ٥٤ ق.م، ولكنهم سمحوا بإعادة بناء أسوار أورشليم.

❁ هيرودس ملكًا (٣٧ ق.م- ٤ق.م)

في سنة ٤٠ ق.م اقتحم البارثيون مدينة أورشليم، وسلبوها، واختطفوا هركانوس، وحملوه إلى بابل. وأصبح أنتيجونيس بن أرسطو بولس رئيسًا للكهنة وملكًا بمساعدة البارثيين له. ويعين مجلس الشيوخ في روما أنتيباتر ملكًا على اليهودية. وقد أخذ هذا الأمر من أنتيباتر بضع سنوات لكي يصبح الملك الفعلي لا أنتيجونيس. وبمساعدة سوسيوس الوالي الروماني على سورية، أمكن لهيرودس أن يستولى على أورشليم، بعد حصاره لها عدة أشهر. وهكذا صار هيرودس ملكًا على اليهودية من سنة ٣٧ق.م حتى سنة ٤ق.م. وكان اليهود ساخطين عليه لأنه أدومي، ولأنه قتل كل أتباع أنتيجونيس. ولذلك يحاول التقرب من

اليهود.

وقد شهدت اليهودية في عصر هيرودس الكبير أعماله الجليلة. حيث بدأ في إعادة بناء الهيكل وتوسيعه في نحو سنة ٢٠ق.م (غير أنه حتى أيام السيد المسيح لم يكن العمل فيه قد انتهى). وبنى قصره الملكي الفخم خارج الهيكل. وشيَّد قلعة أنطونيا، كما بنى حاجزًا للأمواج في برج ستراتو على ساحل البحر المتوسط. وأنشأ مسرحًا (مدرجًا أو استادًا)، فضلاً عن اهتمامه بإنشاء الحدائق والنوافير. واهتم اهتمامًا خاصًا بإقامة الأبنية الفخمة، فكان ذا اهتمام بفن العمارة. كما اهتم ببناء سوق كبير لمدينة أورشليم. وبنى مدينة أنتيباتريس (شمال شرق يافا) وغيرها.. ويمكن القول إن اليهودية شهدت في عصره فترة من الرخاء..

ويأتي ذكره في العهد الجديد في موضعين. فيذكره البشير متى في قصة مجيء المجوس إلى أورشليم، وقتله للصبيان في بيت لحم وفي كل تخومها (متى: الأصحاح الثاني). والبشير لوقا يذكره مرتبطًا بولادة يوحنا المعمدان (لوقا ١:٥).

❁ أرخيلاوس ٤ق.م - ٦م

وبعد وفاة الملك هيرودس الكبير، خلفه ابنه أرخيلاوس (٤ق.م- ٦م) في حكم اليهودية. وقد شهدت ولايته أعمال شغب في عيد الفصح، نتج عنها آلاف القتلى. ولأنه لم يحترم عادات اليهود نفاه قيصر في سنة ٦م. ثم بعد ذلك تولى كوبونيوس (٦م-٩م) والذي حدث شغب عند الشعب في عهده في عيد الفصح أيضًا ثم خلفه أنيوس روفوس (١٢م-١٥م)، وقد توفى أوغسطس قيصر في أثناء ولايته- ثم جاء بعد ذلك فاليريوس جراتس (١٥م-٢٦م).

❁ بيلاطس البنطي (٢٦م-٣٦م)

تولى بيلاطس البنطي ولاية اليهودية (٢٦م-٣٦م) وترتيبه الخامس بين الولاة الرومان على اليهودية. وقد عينه الامبراطور طيباريوس في سنة ٢٦م على اليهودية والسامرة. وكانت له سلطات مطلقة في دائرة ولايته، غير أن هذه السلطات المطلقة لم تكن تمس المواطن الروماني. وكان اليهود ينعمون بالحكم الذاتي. وكان للسنهدريم دور في بعض المنازعات القضائية، غير أن الأحكام بالموت لا تنفذ إلا بعد التصديق عليها من الوالي الروماني.

انقلب اليهود على بيلاطس البنطي لأنه أساء معاملتهم. ولأنه استباح أموال العطايا التي تلقى في خزانة الهيكل، من أجل مشروع لإمداد أورشليم بالمياه. وكان في ذلكم الوقت أحد الأعياد الكبرى حيث يقدم اليهود ذبائحهم. وحدثت مصادمة بين اليهود وجنود بيلاطس الذين قتلوا منهم الكثيرين. وربما تكون تلك الحادثة هي التي جاء ذكرها في إنجيل لوقا (١٣:١). وقد أُقيل

بيلاطس بسبب الشكوى التي تقدم بها السامريون ضده إلى ڤيتليوس والي سورية. بعد أن استمر في تولي الحكم لمدة عشر سنوات. ويخلفه الوالي مارسيللوس في سنة ٣٦م. وبيلاطس البنطي هو الذي حكم على يسوع بالصلب (يوحنا ١٩:١٦). ويتردد اسم بيلاطس البنطي كثيراً في الأصحاحات -من الأناجيل- التي ترتبط بمحاكمة يسوع وصلبه.

****

❁❁ الكنيســـة في أورشليم وبداية الاضطهاد

وأورشليم هي المدينة التي أوصى الرب يسوع تلاميذه بها ألا يبرحوا منها بل ينتظروا موعد الآب. (أعمال الرسل ١:٤). كما أن أورشليم هي أول مدينة يكرز فيها الرسل بحسب وصية الرب: "ولكنكم ستنالون قوةً متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أعمال الرسل ١:٨).

وكذلك كانت كنيسة أورشليم هي أول كنيسة تعاني من الاضطهاد "وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فتشتَّت في ذلك الجميع في كُوَر اليهودية والسامرة ما عدا الرسل، وحمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة" (أعمال الرسل ٨:١ و٢) فكان استفانوس هو الشهيد الأول في أورشليم، بل في تاريخ المسيحية. وكان ذلك في عهد الوالي مارسيللوس في نحو سنة ٣٦م أو ٣٧م.

❁ أغريباس الأول (٤١-٤٤م)

تولى حكم اليهودية الملك أغريباس الأول (ويدعى هيرودس الملك) (٤١-٤٤م). وكان الاضطهاد الثاني للمسيحيين في عهد في نحو سنة ٤٤ق.م. فهو الذي قتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف. (أعمال الرسل ١٢:١-١٩)

وكان اضطهاد الكنيسة في أورشليم بداية لانتقال الكرازة وامتدادها إلى اليهودية والسامرة من خلال الذين تشتتوا من هناك "فجالوا مبشرين بالكلمة" (أعمال ١٢: ١٧).

❁ حكم طيباريوس يوليوس

وفي عهد الوالي طيباريوس يوليوس ألكسندر (٤٦- ٤٨م)، حدثت مجاعة في منطقة الشرق الأوسط (أعمال ١١:٢٨)، وهذا ما دعا أن يصعد برنابا وبولس إلى أورشليم بعد أن أرسل كل واحد من التلاميذ -في أنطاكية- شيئًا خدمة إلى الإخوة السكانين في اليهودية، ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشايخ بيد بولس وبرنابا (أعمال ١١: ٢٩ و٣٠، ١٢:٢٥).

بعد وفاة هيرودس أغريباس في سنة ٤٤م




تمثال نصفي للوالي طيباريوس

كانت مسئولية الكنيسة تقع على كاهل كل من يعقوب (أخي الرب) وبطرس ويوحنا، أعمدة الكنيسة الثلاثة، حتى استشهاد يعقوب في سنة ٦٢م . نتيجة للاضطهاد الذي شنه عليه رئيس الكهنة، بعد وفاة الحاكم الروماني فستوس، وخلو ذلكم المنصب. (انظر استشهاد يعقوب صـ ٩٥ من الجزء الأول من هذه السلسلة).

لقد شكَّل التلاميذ في أورشليم هذا المجتمع الذي لا يزال في مهده، وكذلك الرجال السبعة "الخدام"، وكان للخدمة مجال واسع (انظر أعمال الرسل ٦:٣، ٢١:٨، يعقوب ٥:١٤)، وكذلك كان للشيوخ دور (أعمال الرسل ١١:٣٠)، والأنبياء (أعمال ١٥:٣٢).

❁ حكم نيرون

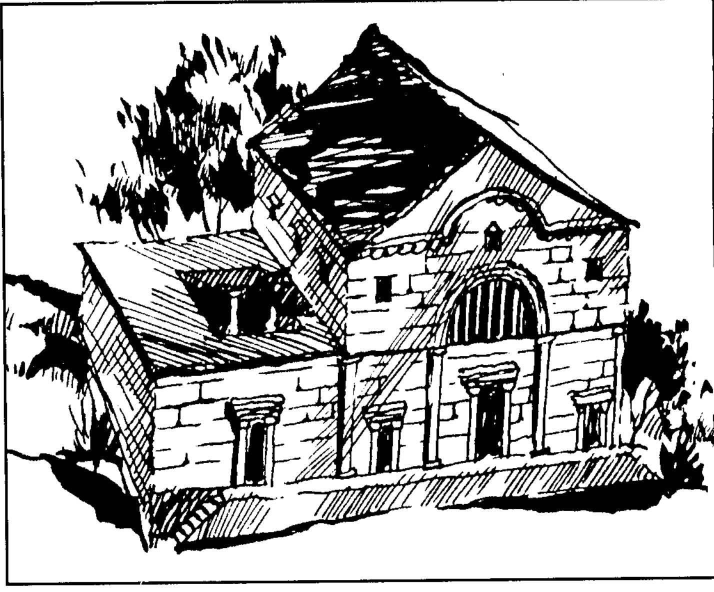
في أثناء حكم نيرون انفجر أول عصيان قام به اليهود ضد روما فيما بين عامي ٦٦-٧٠م. وفي هذه الفترة، وبحسب المؤرخ يوسيفوس فإن المسيحيين في أورشليم فروا إلى بيلاَّ في بيرية بفلسطين. ولذلك فإنهم لم يكونوا في أورشليم عندما حاصرها تيطس في ربيع سنة ٧٠م، أما الهيكل فقد تم تدميره في العاشر من شهر أغسطس، كما تم تدمير المدينة تماماً وهدمها، في شهر سبتمبر من نفس السنة. وذلك وفقًا لنبوة السيد المسيح (مت ٢٤:١و٢، مرقس ١٣:١و٢، لوقا ٢١: ٥و٦).

الانتقال إلى يمنيا

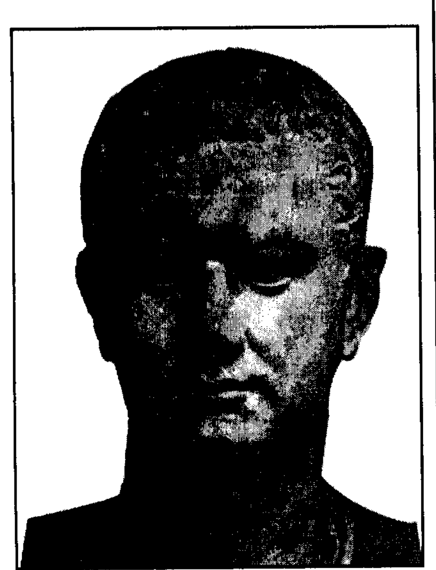
وقد استمر وضع المدينة تحت تحكم حامية


تمثال نصفي للامبراطور نيرون





رسم تخيلي من واقع الأطلال التي وجدت في فلسطين لمجامع يرجع تاريخها إلى القرنين الأول والثاني الميلادي



تمثال نصفي للوالي الروماني تيطس

عسكرية رومانية. ويبدو أن عدداً محدوداً من اليهود، ومن المسيحيين قد عاد ليعيش في المدينة، وذلك بحسب الحفائر المعاصرة، وشواهد القبور في تلك الفترة. كما أن السنهدريم قد انتقل إلى Yamine يامنه أو يمنيا بعد سقوط أورشليم وحتى التمرد (اليهودي) الثاني. حيث انعقد فيها نحو سنة ١٠٠م، لتقرير الأسفار القانونية للعهد القديم. **(موسوعة زوندرفان)**. ويرجح أن فيلبس الرسول قد قام بزيارة يمنيا زيارة رعوية (انظر أعمال الرسل ٨: ٤٠).

هادريان يبني إيلياء كابيتولينا

أما التمرد، والثورة الأخيرة التي قام بها اليهود فكانت بين سنتي ١٣٢-١٣٥م، تلك الثورة التي كان هادريان نفسه هو مفجرها بمشروعه لبناء مدينة يونانية رومانية بدلاً من مدينة أورشليم. ولأنه أقام في مكان الهيكل معبداً للإله چوبيتر. وكذلك بالمرسوم الذي أصدره وفيه يمنع الختان. وكان نتيجة لتلك الثورة الأخيرة أن تهدمت المدينة مرةً أخرى. فأقام إيليا كابيتولينا Aelia Capitolina وذلك إكراماً للامبراطور إيليوس هادريانوس Aeli-us Hadrianus. كما صدر مرسوم بعدم عودة اليهود إلى المدينة، أو حتى أن يقتربوا من المنطقة المحيطة بالمدينة. ويبدو أن اليهود لم يكترثوا بذلك المرسوم، حيث كان اليهود يقومون بالحجج إلى

أورشليم في مناسبات عديدة، وأحيانًا للإقامة فيها، ويرجح أنها كانت حالات محدودة. إذ يذكر العلاَّمة أوريجانوس أنه في زمانه لم يكن ثمة يهود يعيشون في أورشليم (hm. 21,1). وكذلك يذكر المؤرخ چيروم ذلك في تفسيره لإنجيل (متى ٢٣:٣٨، ٢٤:١٥).

كان المسيحيون يرددون الحقيقة التاريخية عن هدم الهيكل وذلك فيما يتصل النبوات العهد الجديد، والتي أشارت إلى ذلك. وقد ذكر ذلك كل من أوريجانوس (Hom. 381) وچيروم في تفسيره متى (٢٤:١و٢). وغيرهما.. (موسوعة الكنيسة الأولى: مرجع سابق) (انظر أيضًا أورشليم في مفهوم الآباء وتفاسيرهم بموضوعها في هذا الجزء)

وبعد عام ٧٠م عاد المجتمع المسيحي للاستقرار في أورشليم. غير أن المعلومات المتاحة شحيحة للغاية. **(موسوعة زوندرڤان، موسوعة وكلف، موسوعة الكنيسة الأولى قاموس أونجر، تاريخ إسرائيل: الأب متى المسكين، تاريخ الكنيسة: يوسابيوس القيصري).**

****

خامسًا: مصير الأحزاب اليهودية بعد سقوط أورشليم

استمرت الحرب دائرة بين الرومان واليهود، وظلت المقاومة حتى بعد سقوط أورشليم وخراب الهيكل على يد تيطس في سنة ٧٠م.

غير أن سقوط قلعة ماسادا- في قبضة الرومان- والتي اتخذ منها جماعة السيكاريين الأكثر تطرفًا، ملجأً لهم، يعتبر هو النهاية الحقيقية لتلك الحرب التي دارت رحاها في فلسطين. وإذ قتلوا أنفسهم، لم يجد الرومان أحدًا منهم على قيد الحياة!

ونظرًا لما لاقاه الرومان في فلسطين من تطرف وعنف وتمرد على يد اليهود، اتخذ الرومان بعض الإجراءات العملية والتي من شأنها إنهاء حالة الوفاق والتعاون، وإلغاء المراسيم والقرارات الاستثنائية التي فرضها الرومان لمصلحة اليهود. وشهدت فترات حكم ڤسبسيان، دوميتيان، وتراجان اضطهادات مدبرة ضد اليهود. فقام ڤسبسيان بتحويل الضرائب التي كان يدفعها يهود الشتات في العالم، من أجل الهيكل، إلى صالح معبد چوبيتر كابيتولينا في روما.

بعد تهدم الهيكل، وانتهاء العبادة به. لم تعد لحزب الصدوقيين أهمية. فانزوى واختفى نهائيًا من مسرح الأحداث.

وكذلك الحال بالنسبة لحزب الغيورين أيضًا. فقد انتهى بعد شعوره باليأس الشديد لفشل تفسيراتهم، التي كانوا يفسرونها على هواهم، وبحرفية. فاختفى أيضًا حزبهم من الساحة، واندثر.

أما حزب الفريسيين المعتدلين، فاستطاع أن يستمر، لما كان يحمله من صفات مكنته من مواصلة العلاقة مع الرومان. فتعاون معهم حكام الرومان أيضاً. وأصبح لحزب الفريسيين تأثير كبير على الشعب.

غير أن المرسوم الذي أصدره الامبراطور هادريان -وسبق أن أشرنا إليه- وفيه يأمر بمنع الختان، والشروع في بناء معبد للإله جوبيتر في مكان الهيكل.. فكان بمثابة الشرارة التي أشعلت نيران الثورة الأخيرة بقيادة باركوكبا (ويعني: ابن الكوكب). وكان ذلك بتشجيع أكبر معلمي اليهود آنذاك الرابِّي (عُقيبة) في سنة ١٣٢م. واستمرت الحرب لمدة تزيد عن ثلاثة سنوات.

استطاع خلالها يوليوس ساويرس، أفضل القادة في جيش هاديران، القضاء على المقاومة، ليحقق انتصاراً كبيراً عليهم. فاستسلم اليهود. وطردوا من المدينة، وأصبحوا ممنوعين من دخول المدينة، وإلا كان الموت عقاباً لكل من يخالف ذلك. وقام حاكم اليهودية آنذاك، تينيوس (اينيوس) روفوس بتنفيذ بناء معبد الإله جوبيتر في مكان الهيكل.

انتهى هادريان من إعادة بناء المدينة الخربة في سنة ١٣٨م، وأعطاها اسمها الجديد إيلياء كابيتولينا، كما سبق القول. وقد زادت أعداد المسيحيين شيئًا فشيئًا في المدينة، التي كانت تحمل الطابع الوثني في ذلك الوقت.

ويستمر حكم الرومان للمدينة المقدسة حتى عام ٣٣٠م ثم الحكم البيزنطي حتى سنة ٦٣٨م والحكم العربي حتى سنة ١٠٩٩م والفرنجة إلى عام ١١٨٧م وكذلك خلال الفترة ١٢٢٩-١٢٤٤ م ليعاود العرب حكمها مرة أخرى حتى سنة ١٥١٦م والحكم التركي إلى عام ١٩١٧م ثم الحكم البريطاني إلى عام ١٩٤٨ ثم حكم الأردن حتى عام ١٩٦٧، حيث تحتلها إسرائيل منذ ذلكم التاريخ وحتى الآن. **(موسوعة زوندفان، تاريخ إسرائيل: الأب متى المسكين، تاريخ الكنيسة: يوسابيوس القيصري، موسوعة وكلف).**

****

سادسًا: مجمع أورشليم (الأول)

الزمان: يرتب بعض الباحثين والمؤرخين سنة ٤٨ أو ٤٩م تاريخًا لانعقاد المجمع الأول في أورشليم. وهذا التاريخ مؤسس على أن الرسول بولس قام بزيارة أورشليم بغرض حضور المجمع بين رحلتيه الأولى والثانية، معتبرين أن الرحلة الأولى قد انتهت في سنة ٤٧م. أما الباحثون الآخرون فيحددون سنة ٥٠أو ٥١م موعدًا لذلك، إذ يذكر الرسول بولس أنه صعد إلى أورشليم مع برنابا وتيطس بعد أربعة عشرة سنة



من تجديده (غلاطية ٢:١). مع احتمال أن بولس قد آمن بالمسيح في سنة ٣٧م. وتحديد تاريخ دقيق لمجمع أورشليم مؤسس على ذلك الحدث أمر في غاية الصعوبة لأن المؤرخين يختلفون بالنسبة لسنة تجديد بولس، ويرون أنها بين سنتي ٣١-٤٠م **(انظر الجزء الأول من هذه الموسوعة: و- الترتيب الزمني للعصر الرسولي بند رقم ٣ صـ ٥٣).**

أهمية المجمع: يعتبر هذا المجمع هو المجمع العام الأول في تاريخ أورشليم والكنيسة، وهو من الأهمية لأنه حسم بعض الأمور التي كانت تحتاج إلى توضيح لاسيما في بداية نشأة الكنيسة. وبدون شك فإن هذا المجمع اختلف عن العديد من المجامع التي عقدت بعده في أماكن أخرى.

هدف المجمع: حَسْم مسألة الختان التي أثارها "قوم من اليهودية".. لأنهم كانوا يعلمون الإخوة في أنطاكية.. أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا (أعمال الرسل ١٤:٢٦، و١٥:١).. ويصف بولس مثيري مسألة الختان: بالإخوة الكذبة المدخلين خُفية الذين دخلوا اختلاسًا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح يسوع كي يستعبدونا" (غلاطية ٢:٧) وهم "أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا إنه ينبغي أن يختتنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى" (أعمال ١٥:٥).

ولأن هذا التعليم أثار الكنيسة في أنطاكية حتى أنه حدثت لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة (أعمال الرسل ١٥:٢). لذلك رتبوا- أي مجتمع الكنيسة في أنطاكية- أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم، إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة.

وربما إثارة هذه المسألة تجعلنا نعود لنذكر أن كثيرين كانوا يظنون أن الكنيسة هي إحدى الشيع اليهودية الجديدة... وكانوا يقولون عنها "شيعة الناصريين" (أعمال الرسل ٢٤:٥) (انظر الجزء الأول من هذه السلسلة ص ٣٠ الكنيسة في أورشليم).

هكذا أقبل بعض اليهود إلى المسيحية، وقبلوا السيد المسيح، على أساس نبوات العهد القديم، ولكن هؤلاء رأوا أن عليهم الاحتفاظ بناموس موسى أيضًا، ومن

أهم تقاليد الناموس، "الختان". هكذا كان حال اليهود الغيورين، إيمانهم بالمسيح فضلاً عن ممارسة الختان.

فالمسألة الرئيسية التي عُقِدَ المجمع من أجلها كانت هي "تهود الأمم". فهل ثمة إلزام على من آمنوا من الأمم بأن "يتهودوا" أي أن يختتنوا؟!.

كان بولس رسول الأمم (غلاطية ٢: ٢و٩) وبشَّر بإنجيل الغرلة (غلاطية ٢:٧). ولم يكن المسيحيون من أصل أممي يختتنون، فيقول عن ذلك الرسول بولس: "لم يضطر ولا تيطس الذي كان معي وهو يوناني أن يختتن،" (غلاطية ٢:٣). بينما كان بطرس، رسولاً لليهود، بشَّر بإنجيل الختان (غلاطية ٢:٧).

كان التمييز بين المسيحيين من أصل "يهودي" أو "أممي".. قائمًا.. ويمكننا إدراك ذلك في قصة إيمان كرنيليوس قائد مئة من الكتيبة التي تدعى إيطالية. ولذلك فقبل أن يلتقي بطرس بكرنيليوس في يافا، أراد الله أن يُعَلِّم بطرس من خلال رؤيا الملاءة العظيمة عدم التمييز بين البشر: يهود وأمم أو ختان وغرلة (أعمال الرسل ١٠).

قرار المجمع: اجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر (أعمال ١٥:٦)، وبعد أن حدثت مناقشات "مباحثة كثيرة" (أعمال ١٥:٧) تكلَّم بعدها بطرس، برنابا، بولس ثم اختتم يعقوب المجمع أعمال ١٥:٧ و١١ و١٣). وانتهى المجمع إلى القرار التالي:

"قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثِقْلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عمَّا ذُبِح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعمًا تفعلون" (أعمال الرسل ١٥:٢٨و٢٩).

ترتيبات أخرى: ولما كان المجمع قد عُقِد بناءً على رغبة كنيسة أنطاكية، لذا رأى الرسل والمشايخ أن يختاروا رجلين منهم فيرسلوهما إلى أنطاكية مع بولس وبرنابا، يهوذا الملقب برسابا وسيلا رجلين متقدمين في الإخوة... ليخبرانهم بنفس الأمور بشفاهًا. (١٥: ٢٢و٢٧). وكذلك كتبوا رسالة وأرسلوها إلى الإخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسورية وكيليكية (أعمال ١٥:٢٣و٢٨). أي إلى الكنائس التي كانت تواجه بذات المسألة. [أما عن الناموس، ودوره في حياة المسيحي فقد عالج بولس الرسول

ذلك في رسالته إلى أهل غلاطية (انظر غلاطية ٣:١٩-٢٩)]

المجتمعون: يرى المؤرخ شاف أنه لم يكن حاضراً الرسل فحسب، بل كل الرسل والمشايخ والإخوة أيضًا "مع كل الكنيسة" (انظر أعمال الرسل ١٥: ٦و٢٢ و٢٣). بل كان حاضراً الروح القدس أيضًا (أعمال ١٥:٢٨). فلابد أن المناقشات تمت في ضوء الشعور بحضور الله.

رئيس المجمع: ثمة رأيان فيما يتعلق برئاسة المجمع: أحدهما يرى أن بطرس رأس ذلكم المجمع. والرأي الآخر يرى أن يعقوب كان رئيسًا له، ولعل ذلك يرجع إلى أن المجمع، كان بأورشليم، وأن أسقفها يعقوب، لابد أنه كان رئيسًا للمجمع، والآخر يؤسس على أن يعقوب كان آخر المتكلمين، وقد حسم بكلامه ما أثير من أفكار وآراء خلال المباحثات، ولعل هذا الرأي الأقرب إلى الصواب (انظر أعمال الرسل ١٥:١٣).

(برجاء العودة إلى علاقة كنيسة أنطاكية بالكنيسة في أماكن أخرى في الدراسة الخاصة بكنيسة أنطاكية في موقعها بهذا الجزء من الموسوعة).

(أهم المراجع: تاريخ الكنيسة المسيحية: شاف، موسوعة زوندرفان، قاموس أونجر للكتاب المقدس، الكنيسة في عصر الرسل: نيافة الأنبا يوأنس أسقف الغربية).

❁ المجمع والتأكيد على قانونية رسولية بولس

يمكننا إدراك أن مجمع أورشليم كان فرصة لمناقشة موضوعات أخرى، وإن لم يكن قد سجلها كلها كاتب سفر أعمال الرسل القديس لوقا (يرجى العودة إلى سفر أعمال الرسل بالجزء الأول من هذه السلسلة صـ ١١٧- ١٢١). (وقد كتب الرسول بولس رسالته إلى أهل غلاطية بغرضين، الأول: للتأكيد على قانونية رسوليته، والآخر: لغرض توضيح طابع الإنجيل الذي يبشر به، **(برجاء العودة إلى بند رقم ٩ رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية بالجزء الأول من هذه السلسلة صفحات ١٢٩-١٣٢)**. ويذكر بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية صعوده إلى أورشليم بعد أربع عشرة سنة من تجديده، وكان ذلك وقت انعقاد مجمع أورشليم، حيث عرض عليهم الإنجيل الذي يكرز به بين الأمم.. ولكن بالانفراد على المعتبرين حتى لا يكون قد سعى أو يسعى باطلاً. (غلاطية ٢:١و٢). ولم يترتب على ذلك أي إضافة أو تغيير فيما عرضه الرسول بولس عليهم. ويقول بولس "بل على العكس" مما يشير إلى الاتفاق التام والإجماع على قبول ما أعلنه لهم،

والثقة في كرازته، وائتمانه على إنجيل الغرلة (لغير المختونين) كما بطرس على إنجيل الختان (لأهل الختان).. فأعطوا بولس وبرنابا يمين الشركة للكرازة للأمم، وأما هم للختان، على أن يهتما بالفقراء (غلاطية ٢:٧-١٠) وقد سبق لبولس وبرنابا أن ذهبا إلى المشايخ في اليهودية مقدمين من التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم في أثناء المجاعة التي حلَّت في أيام كلوديوس (انظر أعمال الرسل ١١:٣٠). ولذلك يصف المجمع بولس وبرنابا بأنهما قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح (أعمال ١٥:٢٦).

****

سابعاً: أساقفة أورشليم

يعتبر المؤرخ يوسابيوس القيصري هو المصدر الرئيس لمعرفتنا ببعض الموضوعات، ومن بينها، ذكره لأسماء أساقفة أورشليم. والتي نقلها عن المؤرخ هيجيسيبوس (انظر شخصيات من كنيسة فلسطين). قبل أن يفقد كتابه الذكريات في القرن السادس عشر. ففي كتابه عن تاريخ الكنيسة يذكر يوسابيوس قائمة بأسماء **أساقفة أورشليم من عصر الرسل حتى عصر هادريان**. ويذكر أنهم جميعًا كانوا من أصل عبراني ويشهد لهم بأن معرفتهم للمسيح كانت معرفة نقية... أما الأسماء فهي:

(١) يعقوب الملقب أخو الرب

(٢) سمعان

(٣) يسطس

(٤) زكا

(٥) طوبيا

(٦) بنيامين

(٧) يوحنا

(٨) متى

(٩) فيلبس

(١٠) سينيكا

(١١) يسطس

(١٢) لاوي

(١٣) إفريم Ephrem

(١٤) يوسف

(١٥) يهوذا. (تاريخ الكنيسة ٤:٥).

ثم بعد ذلك يفرد المؤرخ يوسابيوس فصلاً عن **أساقفة أورشليم بعد هادريان**، وتدميره للمدينة ومنعه لليهود من العودة إليها والإقامة والإقامة فيها، وأسماء أساقفة أورشليم بحسب ما ذكره يوسابيوس هي:

(١) مرقس (أول أسقف من أصل أممي).

(٢) كاسيان (كاسيانوس)

(٣) ببليوس Publius

(٤) مكسيموس

(٥) يوليانوس

(٦) غايوس الأول

(٧) سيماخوس

(٨) غايوس الثاني

(٩) يوليانوس

(١٠) كابيتو

(١١) ڤالتر (ڤالنس)

(١٢) دوليكيانوس Dulichianus

(١٣) نركيسوس Nercisus. **(تاريخ الكنيسة ٥:٤).**

واعتبارًا من نركيسوس، أصبحت المعلومات متاحة وأكثر تحديداً، واقترنت بكثير من التفصيلات. فقد ترأس نركيسوس مع الأسقف ثيؤفيلس القيصري في نحو سنة ١٩٠م اجتماعًا للأساقفة عُقد في فلسطين، وكان خاصًا بالجدل حول موضوع تاريخ عيد القيامة. (يوسابيوس القيصري ٥:٢٣-٢٥).

نركيسوس

ويذكر يوسابيوس القيصري عن نركيسوس عدة معجزات قام بها.. ومن بينها معجزة تمت تبين براءته من اتهام وُجِّه نحوه، وكان مصير أولئك الذين تآمروا عليه وتقوَّلوا أن أصيبوا باللعنات التي صبوها على أنفسهم وهم يقسمون بصحتها.. فأصيبوا بكل تلك اللعنات مثل حرق بيتهم، والعمى، والمرض ومعجزة أخرى تحول فيها الماء إلى زيت وقد كان يحتفظ ببعضه كثيرين من الإخوة هناك.. كما يذكر يوسابيوس **(تاريخ الكنيسة ٦:٩، فصل معجزات نركيسوس)** واختار نركيسوس حياة النسك والتقشف، واعتزل، ويبدو أن ذلك قد حدث في أعقاب الافتراءات التي ظهرت عدم صحتها. ولم يعرف أحد أين مكانه.

استقر رأي الكنائس المجاورة على رسامة أسقف آخر. فأقاموا ديموس، وكانت فترة أسقفيته قصيرة. ثم رسموا بعده چرمانيون (چرمانيو) Germanion ثم چورديوس (چورديو) Gordio، حيث ظهر مرة أخرى نركيسوس. غير أنه لم يكن قادراً لتقدمه في السن من القيام بأعماله الرسمية. ولذلك اتفق الرأي على أن سيشترك معه الأسقف إسكندر الكبّدوكي الذي كان في زيارة إلى أورشليم في هذا الوقت وذلك من خلال رؤيا في الليل. (انظر آباء كنيسة فلسطين) وفي رسائل كتبها إسكندر نفسه يذكر أن نركيسوس قد بلغ من العمر مائة وست عشرة سنة. ويذكر يوسابيوس أن إسكندر كتب رسالة إلى كنيسة أنطاكية وذكر فيها أنه أرسل هذه الرسالة بيد كليمندس (السكندري). **(تاريخ الكنيسة ٦: ١٠و١١)**. وقد توفى إسكندر في أثناء فترة سجنه بقيصرية، وكان قد أقر بإيمانه أمام دسيوس **(تاريخ الكنيسة ٦:٣٩)**.

وفي أثناء اضطهـــاد دقلديانوس، توفى مازابينوس Mazabenus، الذي خلفه هيمينايوس Hymenaeus (المرجع السابق ١٤:٧). ثم زابداس Zab-das فحرمون Hermon (المرجع السابق ٧: ٣٢).

وكانت مدينة أورشليم في الفترة بين سنتي ١٣٢م- ١٣٥م مدينة وثنية رسميًا، وذلك بحسب چيروم. (موسوعة الكنيسة الأولى). وظلت كذلك حتى تولى قسطنطين الحكم، حيث بدأت تأخذ صفة مسيحية على نحو واضح. فبدأ بناء الكنائس الضخمة في المواقع المهمة من المدينة وحيث سجلت عليها رسوم من حياة السيد المسيح على الأرض، ومن المجتمع المسيحي الأول. وبدأت الليتورچية تأخذ مكانة مركزية في حياة المدينة، والحجيج توافدوا على المدينة على نحو أكبر من ذي قبل.

لقد أُنشئت الأديرة في المدينة نفسها، فضلاً عن خارج المدينة بل في كل أنحاء فلسطين.

وتعكس الرسالة المجمعية التي أرسلها في سنة ٤٠٠م أساقفة فلسطين إلى البابا ثاؤفيلس الإسكندري ما كانت عليه حالة التعليم في الكنيسة في فلسطين. وكانت تدور حول الجدل الأوريجاني.

كانت أورشليم خاضعة لقيصرية، أو كان أسقف أورشليم يتبع أسقف قيصرية، وذلك بحسب القانون رقم ٧ الصادر عن مجمع نيقية في عام ٣٢٥م (انظر قيصرية فلسطين).

مدينة أورشليم

المدينة الحالية قائمة في نفس الموقع الذي أعدَّه الامبراطور هادريان في مخططه في سنة ١٣٥م. عندما قام بتغيير اسم المدينة إلى إيلياء كابيتولينا. وقد حدثت بعض التغييرات البديعة في الموقع الذي يعرف بالجلجثة أو الجمجمة. وعلى جبل صهيون ثمة كنائس يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي حيث كثر تشييد الكنائس.

وقد تم تجديد القبر المقدس وذلك بمناسبة اكتشاف كهف (أو فجوة) في الجبل جهة شرقي الجلجثة (بستان جثسيماني) والتي تربطها الوثائق القديمة بآدم (الجنة- بستان) منذ العصور الأولى.

والحفائر التي تمت في الموقع تؤيد المعلومات التي تم جمعها من عدة مصادر والتي تفيد بأن هادريان قد استولى على المكان، وصادر كل ما فيه. وذلك لكي تحل العبادة المسيحية ومكان الأساطير الوثنية. ويوجد على جبل صهيون موقع يقول التقليد عنه إنه "قبر داود"، وقد ظهر في عهد قسطنطين، كجزء من المنشآت المسيحية.

ومن بين المنشآت التي ظهرت في عهد قسطنطين توجد آثار لكنيسة أناستاسيس. والكنيسة تجاور "قبر المسيح". وهي غير موجودة حاليًا.. إلاَّ أن ثمة سورًا أو حائطًا هو كل ما يتبقى منها.

****

ثامنًا: أورشليم في مفهوم الآباء وتفاسيرهم

كان اليهود يفسرون اسم أورشليم كما جاء في سفر التكوين: أولاً: ذلكم الموضع من جبل المُريَّا والذي بنى فيه إبراهيم مذبحًا لله، ليرفع اسحق ذبيحة له هناك، وحيث فداه الله بكبش، فسمى إبراهيم اسم ذلك الموضع "يهوه يرأه.. أي جبل الربُ يُرى" (تكوين ٢٢: ١-١٤). وجاءت في ترجمة أخرى بمعنى "الرب يدبر" (قارن مع تك ٨:٢٢). ثانيًا: بالمقارنة مع تكوين (١٨:١٤) حيث يقال إن شاليم (ساليم) سميت فيما بعد أورشليم، أو لعلها مصغر أورشليم (انظر مز ٢:٧٦، عب ٧: ٢) أو لعلها موضع قرب شكيم (انظر تك ١٨:٣٣). وهي تعني السلام (عب ٢:٧). وقد أخذ الآباء بالمعنى الأخير حيث وردت في أعمال العلاَّمة أوريجانوس (hom- 13in der) وأغسطينوس (مدينة الله ١١:٢٥). وتشير إلى معنى كل من الكنيسة (غريغوريوس الكبير، تفسيره لحزقيال ٢٥:١٢) وإلى النفس (أوريجانوس عظة ١٣، وغريغوريوس الكبير في تفسيره لحزقيال ٢٥:١٢).

كما يشير هدم الهيكل وكذلك تدمير المدينة بكاملها في تفاسير اليهود والمسيحيين إلى عقاب الله للخطايا التي اقترفها شعب بني إسرائيل. فبالنسبة لليهود كانوا يرون أن الله يعاقبهم لأنهم لم يحفظوا السبت. ولأنهم كانوا شغوفين لجمع الأموال، كما أنهم فشلوا في ممارسة العدالة. بينما للمسيحيين كان ذلك لسبب رفض اليهود قبول السيد المسيح **(ترتليانوس- النصيحة لليهود ١٣:٢٦-٢٨) و Adv. Marc ٢٣:٣، وأغسطينوس- العظات ١:١٣ و١٤:١٩، ديديموس في تفسيره لزكريا، وچيروم في تفسيره متى ٣٨:٢٣، إبيفانيوس EP ٤٦:٥، يوحنا ذهبي الفم العظة ٦٧: ١ في تفسيره متى، وأغسطينوس مدينة الله ١٠:١٧).**

ويمكن أن تشير النبوات عن هدم الهيكل إلى الاضطهادات التي عانى منها المسيحيون (كبريانوس، Fort. 11) أو إلى النفس في خطيتها (أوريجانوس العظات ٣٨: ٣-٤ في تفسير لوقا). ولكنها فوق كل هذا تشير إلى أورشليم الجديدة (رؤيا ٢:٢١) أو إلى أورشليم السماويَّة (عبرانيين ٢٢:١٢). ويبدو ذلك في العلاقة بين الآباء والكنيسة، فترتليانوس يذكر أنها المدينة التي رآها حزقيال النبي في رؤيا (٤٨: ٣٠-٣٥) ويوحنا (رؤيا ١٠:٢١) هذه هي الكنيسة التي تنزل من السماء بعد القيامة في الحكم الألفي (Adv. Marc 3,24, 3-5).

وأورشليم الجديدة صورة للكنيسة التي تجمع المؤمنين من كل جنس وقد رُمز إليها بالملاءة التي رآها بطرس الرسول نازلة من السماء (أعمال ١٠) أما أورشليم العليا (غلاطية ٢٦:٤) فتمثل الله الآب ونفوس العالم السماوي، والتي تركها يسوع، عندما أصبح إنسانًا، في حالته السماوية.

(أوريجانوس في شرح متى ١٧:١٤ عظة ٧:١٠).

أما أوريجانوس فيوضح عدد الطرق التي فيها يجب أن نفسر فقرات الكتاب المقدس في علاقتها بأورشليم: فهي ربما تشير إلى أورشليم الأرضية، أو إلى أورشليم السماوية أو إلى كلتيهما. وهو يعطي مثالاً عن الأولى أي أورشليم الأرضية بمثالٍ على ذلك، بما جاء في (صموئيل الثاني ١:١٢) عن



تصوير يمثل القديس أغسطينوس

المدينة التي بها أغنياء وفقراء. ويعطي مثالاً عن الأخيرة بما جاء في (إرميا ٣١:٣١-٣٣) أي العهد الجديد الذي قطعه الرب مع شعبه. والقديس أغسطينوس يرى أن كل شيء. قيل عن أورشليم الأرضية، يشير إلى شيء ما، والذي من خلال التفسير الرمزي، يمكن أن يشير أيضًا إلى أورشليم السماوية **(أغسطينوس مدينة الله ٣:١٩).**

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الباب الأول الفصل الثاني

الكنيسة التي في فلسطين

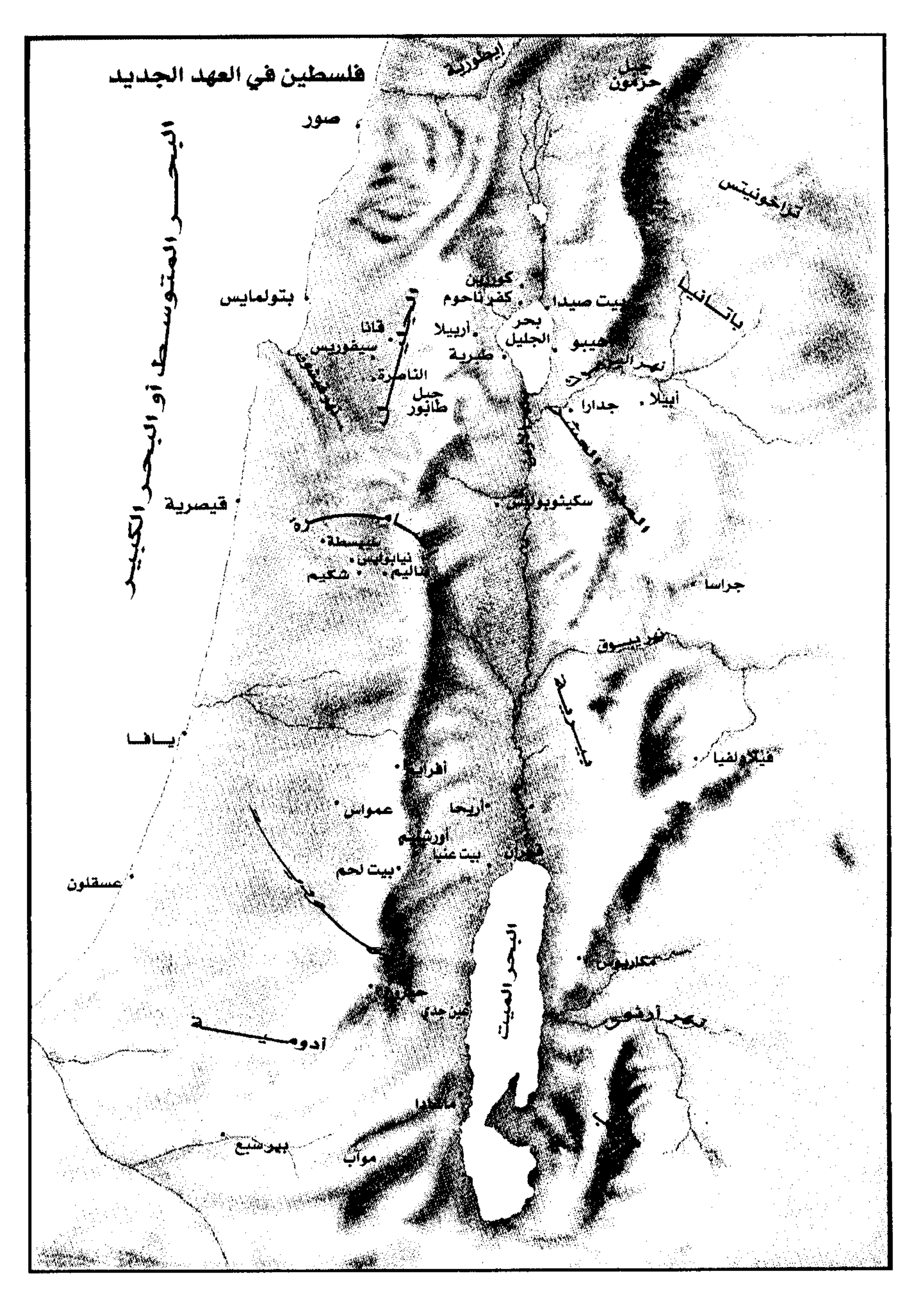
الكنيسة في بعض الأماكن المهمة في فلسطين

"تتردد أسماء أماكن عديدة، لمدن وقرى، في فلسطين، في العهد الجديد. وقد شَرُفَت -بعض هذه الأماكن- بزيارة السيد المسيح لها. وبعض تلك المدن أو القرى مازالت قائمة، غير أن بعضها قد اندثر وأصبح مجرد خرائب. كما أن كثيراً منها امتدت إليه يد التغيير، بعد مُضي كل هذه القرون. فضلاً عن تغيير في أسماء بعضها. لذلك رأينا تتبع أهم تلك المدن والقرى، مع ذكر اسمها القديم الذي عُرفت به في الكتاب المقدس، مقروناً باسمها الجديد، متى وجد. وسوف نذكر لمحة سريعة عن تاريخها، لتكوين رؤية شاملة عنها في التاريخين القديم والحديث. ومعرفة كيف وصلت إليها المسيحية، وكيف كانت حالة المسيحية فيها خلال القرون الأربعة الأولى، ومن هم آباء الكنيسة هناك، أو أبرز الشخصيات الكنسية".

تمهيد: خلفية تاريخية

فلسطين في العهد الجديد

أسَّس الرومان مدنًا تابعة لهم في مختلف المناطق من العالم القديم. ففي سنة ٦٤ / ٦٣ ق.م انتصر بومبي على سورية، وجعل منها ولاية رومانية، وبعد سقوط أورشليم في سنة ٧٠م، أصبحت اليهودية مستعمرة منفصلة تحت حكم ممثل الحاكم الروماني. وبعد حرب سنتي ١٣٠، ١٣١م أخذت اسم سورية- فلسطين (**موسوعة الكنيسة الأولى**) ولكنها منذ عام ٢٩٥م امتدت إلى بعض المناطق العربية. وفي عام ٣٥٨م انقسمت فلسطين إلى قسمين فلسطينا Palestina، فلسطينا -المرحبة Palestina- Salutaris. وفي سنة ٤٠٠م قسمت فلسطين إلى ثلاثة أقسام: فلسطينا (١)، فلسطينا (٢)، بينما فلسطينا (٣) أو فلسطينا المرحبة فقد تضمنت أيضًا أجزاءً من بعض المناطق الواقعة شرقي البحر الميت. وإلى الشمال لهذا الامتداد تقع المناطق العربية وتحدها سورية. وأورشليم كانت عاصمة "لفلسطينا (١)، وسكيثوبوليس عاصمة" لفلسطينا (٢)، وبترا عاصمة لفلسطينا (٣). وإذ أن الدراسات تقدم بضعة مدن وقرى وجاءت خالية من مُدن وقرى أخرى ذات أهمية بالغة. لذا سنتعرض لها جميعًا دون الأخذ بالحدود الضيقة التي رسمتها تلك الدراسات.



خريطة فلسطين في العهد الجديد




صورة لإحدى أشجار الزيتون في بستان جثسيماني ويرجع تاريخها إلى عصر الرومان

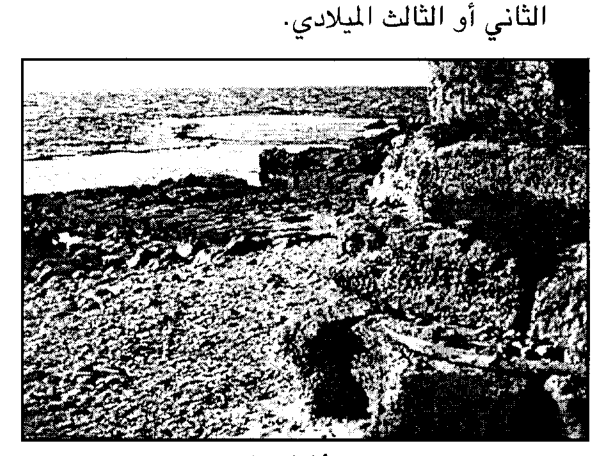
(١) دور - البرج

تقع دور أو دورا على ساحل البحر المتوسط، بين قيصرية وجبل الكرمل. واسمها يعني دار أو سكن أو دائرة. وهي الآن، قرية صغيرة، وتعد إحدى خرائب البرج. كانت دور إحدى المدن القديمة بكنعان، وقد أُشير إليها في العهد الجديد "بمرتفعات دور" (يشوع ١١:٢، ١٢:٢٣) وكان شعبها يدفع الجزية للملك سليمان بن داود (انظر ملوك الأول ٤: ٧-١١). وكانت مستعمرة فينيقية على ساحل سورية.

قام بالتنقيب في الموقع في سنتي ١٩٢٣ و١٩٢٤ جون جراستانج، وغيره، لمدرسة الآثار البريطانية. وقد أظهرت أعمال التنقيب أن المصريين كانوا استولوا عليها في نحو القرن الخامس عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد. كما استعمرها الأشوريون في القرن الثامن قبل الميلاد، كما وقعت في أيدي السلوقيين في أثناء ثورة المكابيين (انظر المكابيين الأول ١٥: ١٢-١٣ و٢٥). وقد حصلت دور على نوع من الحكم الذاتي في عهد بومبي القائد الروماني في سنة ٦٤ ق.م.

وقد أصبح لها فيما بعد ميناء، وعلاقات طيبة مع قبرس، وبعض البلاد المطلة على بحر إيجة.

وأهم الآثار القائمة في الموقع هي آثار يرجع تاريخها إلى الفترة الهيلِّينستية- الرومانية. وتوجد عدة معابد للإله زيوس، والإلهة عشتار. وكذلك يؤكد يوسيفوس على عبادة الإله أبوللو هناك. كذلك يوجد مسرح، ويرجح أن تاريخه يرجع إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي.



صورة أطلال ميناء دور

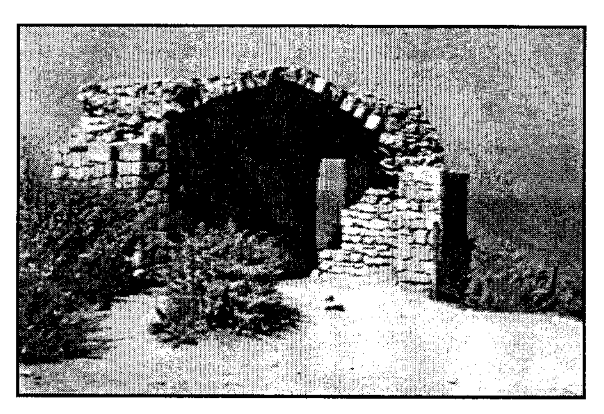
وتأسست بدور أسقفية، وبنيت بها عدة كنائس. غير أن الاكتشافات لا تشير إلى تواريخ محددة لها. وفي انتظار المزيد من الحفائر، التي تفصح عن المزيد من المعلومات.

(٢) عسقلون (أشقلون)- عسقلان

كانت إحدى الخمس المدن الرئيسية في فلسطينا (غزة- أشدود- جت- عقرون)، وتقع في السهل الساحلي الخصيب، حيث تقع شمالي غزة بنحو عدة أميال، وجنوبي تل أبيب بنحو ٣٠ ميلاً. ويرجح أن اسمها مأخوذ من اسم البصل الأخضر، الذي ينمو هناك. وتبين الحفائر وجود طبقات من مختلف الأزمان، حيث تظهر تناوب العرب والفرنجة على احتلالها في الأزمنة الحديثة، وصولاً إلى التاريخ المبكر لها كمدينة كنعانية في نحو سنة ٢٠٠٠ق.م. وقد احتلَّها الفلسطينيون في أيام شمشون الجبار (قضاة ١٤:١٩) وقد تنبأ بخرابها كل من صفنيا (٢:٤) وزكريا (٥:٩).

كانت عسقلون مسقط رأس هيرودس الكبير، ومحل إقامة أخته سالومي. وقد اهتم هيرودس الكبير بالمدينة فجملها. وإن كانت المدينة قد حققت شيئًا من الأهمية في وقت احتلال الفرنجة لها، حديثًا. إلاَّ أنها حققت أهمية أكبر في أيام العهد القديم. فيذكرها داود النبي في مرثاته لشاول ويوناثان (صموئيل الثاني ١:٢٠).

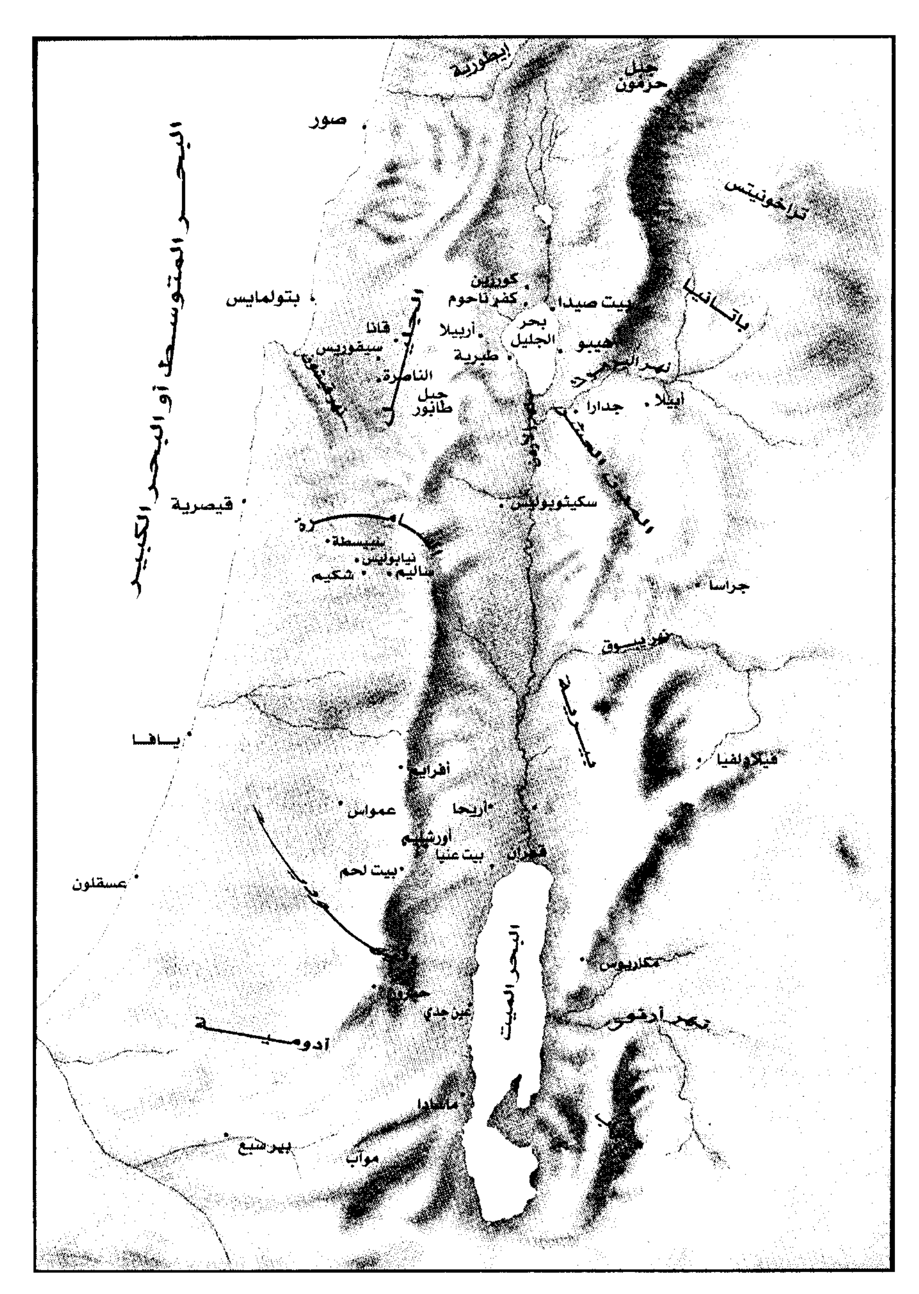
كشفت الحفائر التي قام بها چون جراستانج، وفيثيان آدم في سنتي ١٩٢٠ و١٩٢١م لصندوق الاكتشافات الفلسطيني عن حصون للهكسوس، كما كشفت الحفائر في سنة ١٩٦٧م التي قام بها ف. تسافرس عن كاتدرائية، وأرضيتها مصنوعة من الفسيفساء. كما كشفت الحفائر عن كنيسة أخرى. ووُجد اسم الأسقف أنستاسيوس مقرونًا بتاريخ يرجع إلى سنة ٤٩٣م. كما تبين أعمال التنقيب والحفائر أن المنطقة كانت مأهولة بكثيرين من السكان في الفترة الرومانية البيزنطية.



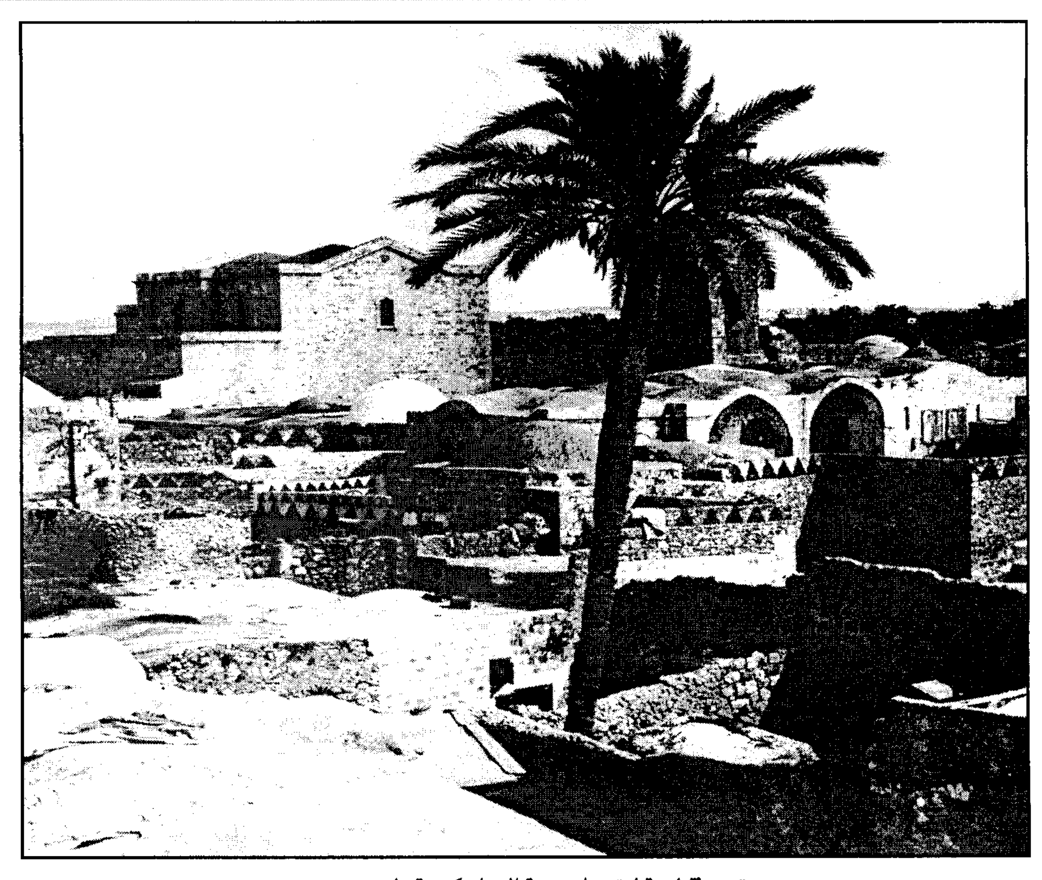
أطلال مدينة عسقلون الساحلية

(٣) لدة- ديوسبوليس

مدينة لدة تقع نحو ١١ ميلاً جنوب شرقي يافا. كانت تسمى "لود" في العهد القديم (أخبار الأيام الأول ٨:١٢). وتقع في قلب سهل خصيب. ويرجح أن الرسول فيلبس هو مؤسس الكنيسة هناك بعد أن التقي الخصي الحبشي (انظر أعمال الرسل ٨: ٤٠)، وقد زارها بطرس الرسول، وشفى إينياس



خريطة عسقلون



صورة حديثة لمدينة لدة وتظهر جهة اليسار كنيسة مارجرجس

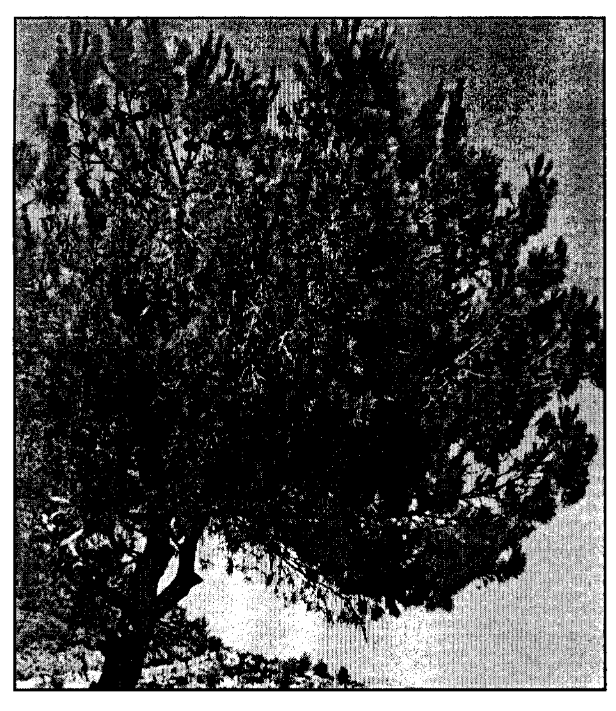
المفلوج (أعمال الرسل ٩: ٣٢-٣٥). وأطلق الرومان عليها في سنة ٢٠٠ اسم ديوسبوليس. وأصبحت لدة مقرًا لأسقفية مسيحية، وقد حضر أسقفها مجمع نيقية في سنة ٣٢٥م. وهي المدينة التي ولد بها القديس جرجس (مارجرجس)، واستشهد فيها سنة ٣٠٣م، قد بُنيت بها كنيسة تحمل اسمه. غير أنه لا يتبقى أي أثر منها. ولكن توجد بعض الأطلال لكنيسة يرجع تاريخها إلى الغزاة من الفرنجة. ويرجح أن الكنيسة تقع في مكان المقابر، مما يجعلنا نستخلص أنها كانت عند أطراف المدينة.

ويذكر المؤرخ يوسابيوس القيصري أنه في أيام اضطهاد دقلديانوس وأوريانوس الذي كان واليًا على منطقة فلسطين.. أن من بين من استشهدوا بفلسطين روميليوس وهو شماس في أسقفية ديوسبوليس. وكانت ديوسبوليس أسقفية عظيمة (يوسابيوس القيصري شهداء فلسطين ٣:٣ صـ ٣٨٢).

(٤) عمواس- نيكوبوليس

قرية عمواس لم تذكر سوى مرة واحدة في إنجيل لوقا (١٣:٢٤). حيث ظهر السيد المسيح بعد قيامته عدة مرات، كانت إحداها في قرية عمواس حيث ظهر لتلميذي عمواس، وكانا في طريقهما من أورشليم إلى عمواس. والمسافة بين عمواس وأورشليم تبلغ نحو سبعة أميال ونصف الميل. (١١ كيلومترًا تقريبًا). وغير معروف على نحو دقيق موقعها، فهو موضع جدل. إلا أنه توجد عدة أماكن يحددها التقليد. كما أن ذكر القديس لوقا بأن القرية تبعد عن أورشليم بستين غلوة (لوقا ٢٤ :١٣) يجعل البحث يدور في دائرة محددة حيث تنطبق هذه المسافة على قرية تسمى كولونية Kolonieh، وهي تبعد نحو أكثر قليلاً عن ثلاثة أميال عن أورشليم أو مدينة أخرى تسمى الكوبيبة El-Qubeibeh وتبعد نحو سبعة أميال ونصف الميل عن أورشليم. فمن المرجح أن تكون الأخيرة -في الموقع الأصلي للمدينة- بحسب تطابق المسافة التي تفصل بينها وأورشليم. وقد سُميت القرية فيما بعد نيكوبوليس بعد أن تهدمت القرية بالكامل.

ولم يتبقَ منها سوى ثلاثة أجزاء من أطلال كنائس بُنيت على الطراز الروماني، فضلاً عن عدة مباني مسيحية (ملحقة بالكنائس) ولا يوجد تاريخ محدد لتلك المباني يمكن القبول به. وقد عاش بها



شجرة بالقرب من قرية عمواس، حيث قابل الرب المقام تلميذي عمواس في نحو هذا المكان

سكستوس يوليوس أفريكانوس (انظر شخصيات من كنيسة قيصرية في موضعها من هذا الجزء من الموسوعة).

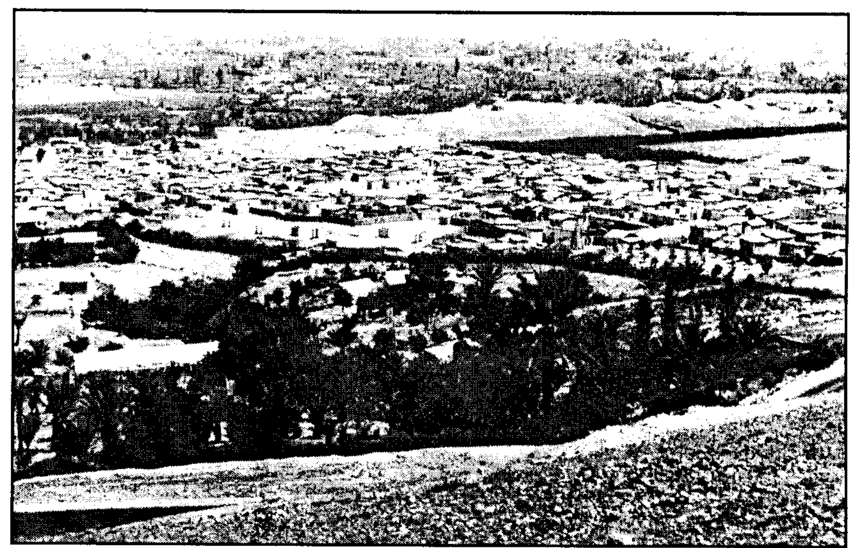
(٥) أريحا

ويرجح أن يكون معناها "المكان ذو الرائحة العَطِرة" أو "مدينة القمر" كما دعيت "أريحا مدينة النخل" (تث ٣٤ :٣). وهي مدينة قديمة تقع في السهل الفسيح على حدود وادي الأردن بين جبال موآب وجبال كارانتانيا جهة الغرب، وتقع بنحو

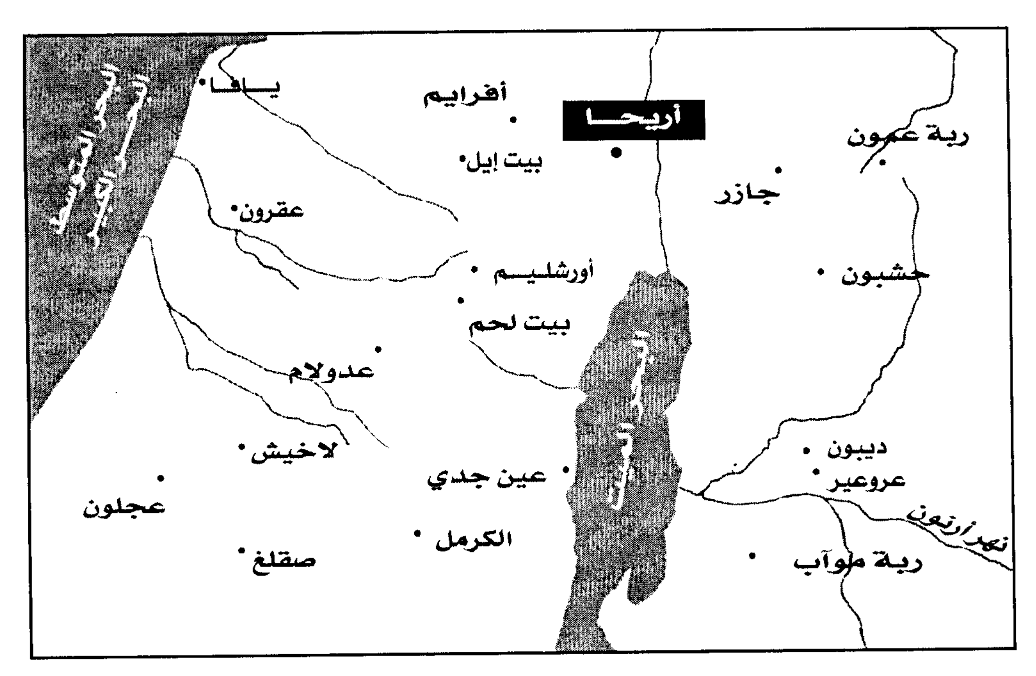


ثمانية أميال جهة الشمال الغربي من نقطة التقاء نهر الأردن مع البحر الميت. وتعد من أقدم النماذج كمدينة شهدت حضارة مدنية. والمدينة ذات أسوار تحيط بها منذ العصر البرونزي (٢٩٠٠-٢٣٠٠ق.م). (اقرأ عن سقوط أسوار أريحا: يشوع ٦ ثم إعادة بنائها: ملوك الأول، وقد ذكرت أريحا في العهد الجديد حيث شفى يسوع الأعميين (متى ٢٠: ٢٩-٣٣، مر ١٠: ٤٦، لوقا ١٨: ٣٥) وعندما دخل يسوع أريحا والتقى بزكا رئيس العشارين (لوقا ١٩: ١-١٠). والموضع الثالث والأخير الذي ذكرت فيه أريحا، عندما ضرب السيد المسيح مثل السامري الصالح (لوقا ١٠: ٣٠-٣٧). لقد كانت أريحا هي الطريق البديل للمسافرين من الجليل إلى أورشليم، والعكس، إذا ما أرادوا تجنب المرور بالسامرة. والمدينة التي بناها هيرودس الملك في وادي كلت WadiQelt على الهضبة العليا وتبعد نحو ميلين جهة الجنوب الغربي من تل السلطان، حيث بنى هيرودس قصره الشتوي.

وقد كشفت أعمال التنقيب والحفائر التي أجريت هناك عن أطلال لعدة كنائس.. إحداها لكنيسة على اسم القديس أندراوس، مع نقوش يرجع تاريخها إلي القرن السادس الميلادي. وفي موقع آخر أكثر حداثة توجد أطلال لكنيسة على اسم مارجرجس، كما يوجد مبنى صغير للصلاة أقامه القس جرجس في القرن السادس. كما توجد كنيسة منيفة على تل حسن، يعتقد أنها كانت كاتدرائية كذلك توجد كنيسة على اسم الراهب أنثيموس Anthimos بنيت على عين مياه.



منظر لمدينة أريحا القديمة جهة الشمال الشرقي ويعد أحد أقدم الأماكن المأهولة بالسكان في العالم



خريطة توضح مكان أريحا وبيت لحم

(٦) بيت لحم

ويعني "بيت الخبز أو الطعام" وثمة مدينتان تحملان هذا الاسم:

أ- مدينة بيت لحم يهوذا

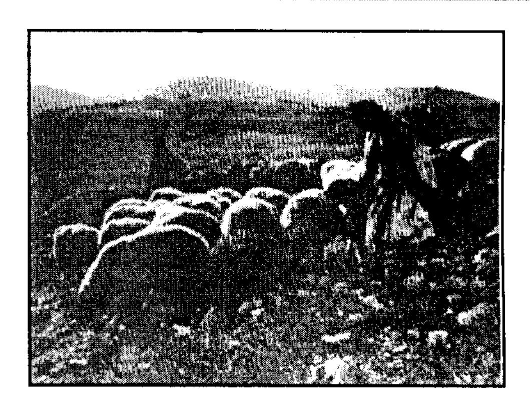
ب- مدينة داود البيتلحمي (بزبولون)

وقد ولد يسوع المسيح في بيت لحم- يهوذا (اليهودية) (متى ٢:١) وتعرف أيضًا بأفراته.. (متى ٢: ١-٦، ميخا ٥:٢) وبمدينة داود.

وتقع بيت لحم جنوب غرب أورشليم بنحو ستة أميال، بالقرب من الطريق الرئيسي الذي يربط الشمال بالجنوب (حيث يربط حبرون بالجنوب). وترتفع بنحو ٢٣٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر. والأراضي التي تحيط ببيت لحم خصبة، تنتشر بها زراعة القمح والكروم والزيتون والتين.

ولا نعرف عن نشأة المدينة كثيراً، غير أن سفر أخبار الأيام الأول، يخبرنا أن "سلما بن كالب" هو "أبو بيت لحم" (أخبار الأيام الأول ٢: ٥١).

كما أن أول ذكر للمدينة جاء في إحدى رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.



منظر لحقل "الرعاة" في مدينة بيت لحم حيث وُلد يسوع

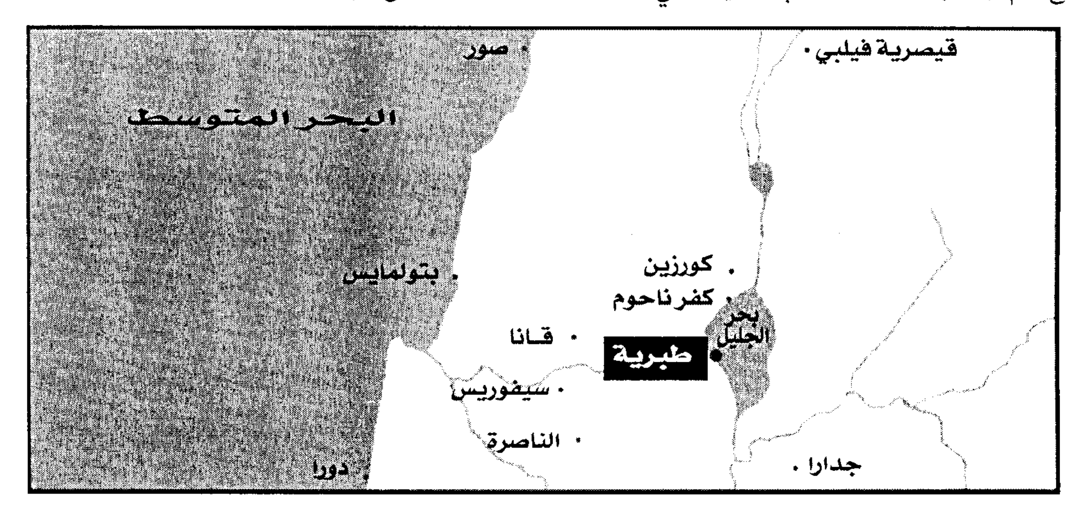
وقد استولى هادريان على المدينة وخرَّبها في نحو سنة (١٣٢م). ولاسيما الموضع الذي يقول التقليد عن إنه الموضع الذي وُلد فيه يسوع.

وقد أقام الملك قسطنطين في نحو سنة ٣٣٠م كنيسة مُنيفة ذات شكل هندسي (يرجح أنه مثمن الأضلاع) فوق موضع كهف المذود الذي وُلد به يسوع. ثم جاء بعد ذلك الملك جستنيان في القرن السادس الميلادي بإجراء بعض التعديلات عليها من توسيع وتزيين. وجعل أرضيتها من الرخام، بعد أن كانت أرضيتها الأصلية من الفُسيفساء المزدانة بأشكال هندسية وطيور وفروع أشجار الكرمة.

(٧) الجليل:

اسم عبري معناه دائرة أو مقاطعة.

كانت فلسطين تقسم إلى ثلاثة أقاليم: اليهودية، السامرة والجليل. حيث كانت الجليل تقع أعلى الإقليميين الآخرين، في الشمال الغربي. وفي زمن السيد المسيح كانت تشغل أكثر من ثلث غربي فلسطين. وهي تمتد من قاعدة جبل حرمون في الشمال إلى جبل الكرمل وجلبوع في الجنوب. ومن الأردن حتى البحر المتوسط ومساحتها نحو ٥٠



خريطة بحر الجليل

ميلاً في ٢٥ ميلاً.

وقد قدَّم سليمان لحيرام ملك صور بعض المدن في أرض الجليل، ولكنها لم تحسن في عينيه ودعاها أرض كابول (ملوك الأول ٩:١١-١٣). وفي الجليل تقع الأجزاء الشمالية لأرض نفتالي والتي كان يطلق عليها جليل الأمم. وكانت مدينة ملجأ القاتل قادش في الجليل (جبل الجليل) (يشوع ٢٠:٧، ٢١، ٣٢).

لم يكن للجليل شأن كبير في العهد القديم، وعلى عكس ذلك كانت للجليل أهمية بالغة في أحداث العهد الجديد. فقد اتخذ منها السيد المسيح عدة مراكز لخدمته.

نستطلع الرأي في الجليليين، بما يقوله المؤرخ اليهودي يوسيفوس، مع ملاحظة أن مسقط رأسه هو الجليل! فقد كتب يقول: "الجليليون مقاتلون منذ نعومة أظافرهم، ولم يخلُ البلد أبداً من رجال شجعان".

كان يحكم الجليل هيرودس أنتيباس في خلال حياة السيد المسيح، ما خلا فترة طفولته. وقد نقل أنتيباس العاصمة إلى طبرية. وكانت الجليل قد أُضيفت في سنة ٤٠م للمناطق التي يحكمها هيرودس أغريباس الأول. ثم انضمت أجزاء من بحر الجليل إلى هيرودس أغريباس الثاني، وظلت حتى سنة ١٠٠م.

وبعد سقوط أورشليم في سنة ٧٠م، أصبحت



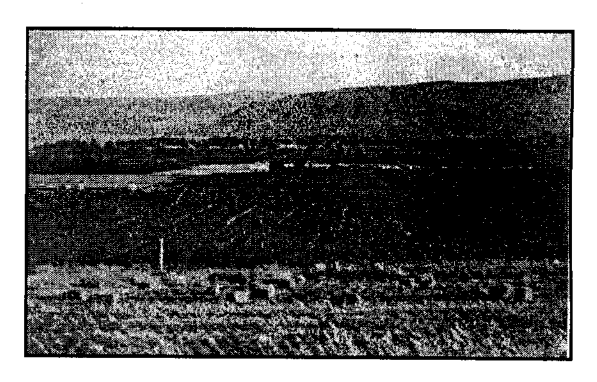
أشجار النخيل في الطرف الجنوبي لبحر الجليل

الجليل مركزاً للتعليم، حيث جمعت المشنا والتلمود، وكتبت في طبرية. وكذلك حدث أمر على نفس القدر من الأهمية -إن لم يكن أكثر أهمية- حيث تمت في طبرية أيضاً كتابة أقدم نص عبري للعهد القديم (النص المسوري) حيث صان نصوص العهد القديم بالعبرية. وكذلك انتقل السنهدريم إلى صفورية ثم إلى طبرية.

خدمة يسوع في الجليل

وُلِد يسوع المسيح في بيت لحم، ونشأ وكبر في الناصرة بالجليل، وجعل من كفر ناحوم، في الطرق الشمالي من بحيرة الجليل، مركزاً لخدمته. وكانت الجليل مأهولة بالسكان من اليهود. وربما يفسر ذلك اتخاذ السيد المسيح منها مركزاً له. حيث كانت خدمته حول بحر الجليل.

كان بطرس، أندراوس، وفيلبس يعيشون في بيت صيدا، المدينة التي تردد كثيراً عليها السيد



جنيسارت - طبرية

المسيح. وهي المدينة التي لعنها لرفضها خدمته، ومعها مدينتي كورزين وكفر ناحوم، وكان يوحنا ويعقوب ابنا زبدي صيادين في بحر الجليل. وقد أجرى السيد المسيح (١٠) عشر معجزات من بين ثلاث وثلاثين، معجزة مسجلة بالأناجيل، بجوار بحر الجليل، وكثير منها معجزات شفاء (مرقس ١:٣٢-٣٤، ٣:١٠، ٦:٥٣-٥٦). وكذلك قال السيد المسيح تسعة عشر مثلاً، في الجليل، من بين اثنين وثلاثين مثلاً.

لقد قضى السيد المسيح معظم الوقت في الشمال الغربي من البحيرة، أي بين طبرية وكفر ناحوم. وقد سار السيد المسيح وتلاميذه في حقول القمح الممتدة حول جنيسارت (طبرية). وعلى التلال القريبة من تلك البحيرة ألقى السيد المسيح الموعظة على الجبل (متى ٥-٧)، وحيث جرت معجزة إشباع الآلاف الخمسة (متى ١٤: ١٣-٢١). وحيث شفى إنسان به روح نجس (مرقس ٥)، والأبرص (لوقا ٥:١٢-١٦) وحماة سمعان (لوقا ٤:٣٨). وحيث سار على مياهها (مرقس ٦: ٤٥-٥٢). وهدأ العاصفة (مرقس ٤:٣٥-٤١). لقد كان بحر الجليل بالتأكيد مركزًا لخدمة السيد المسيح.

(٨) السامرة- سبسطة

السامرة اسم أحد الأقاليم الثلاثة الرئيسية في فلسطين، كما أنه اسم مدينة تقع بالقرب من مركز الإقليم. (ونحن هنا بصدد دراسة مدينة السامرة).

السامرة: اسم يعني "مراقبة الجبل"، وربما يعني أيضًا "الحذر" أو "الترصد" وموقع المدينة مهم، في وسط فلسطين، وتشرف على قمة جبل عالٍ، شمالي أورشليم بنحو أربعين ميلاً، ويرتفع الجبل عن سطح البحر بنحو ٣٠٠ قدم وتحيط بها الجبال من ثلاث جهات. وتطل المدينة على البحر المتوسط من جهة الغرب، ويحيطها وادي الشعير الخصب.

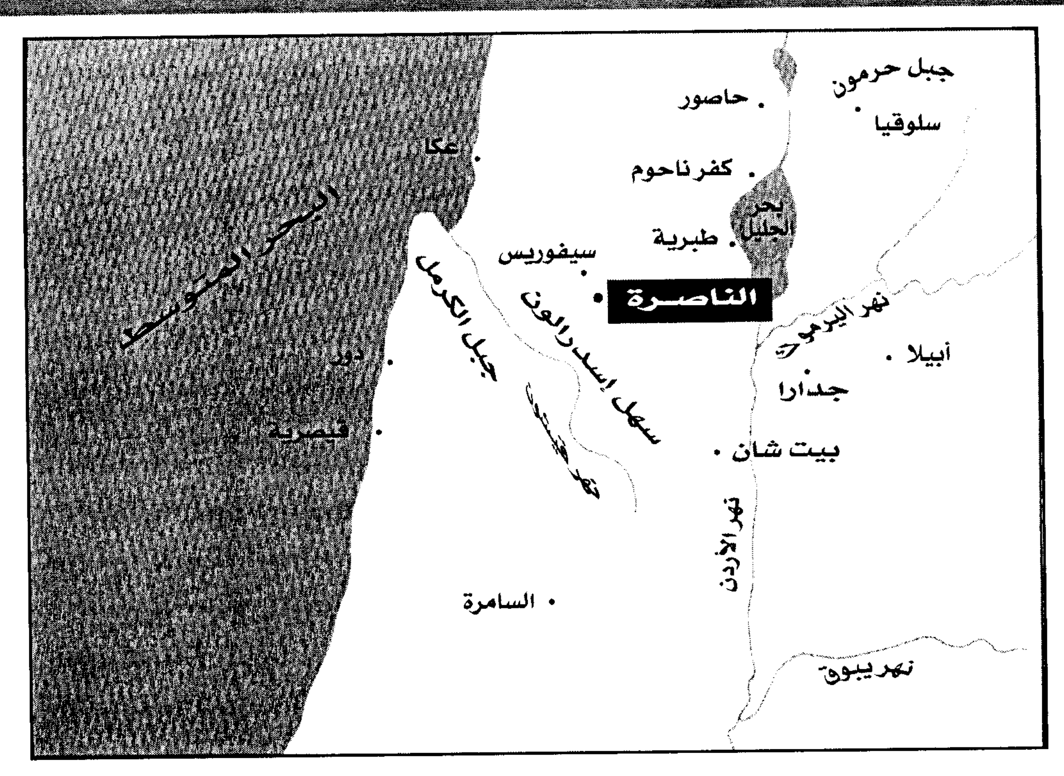
كانت السامرة عاصمة للمملكة الشمالية لإسرائيل.

****

السامرة

أسسها الملك عُمري نحو سنة ٨٨٠ ق.م. وظلت عاصمة للمملكة الشمالية حتى سنة ٧٢٢ / ٧٢١ ق.م. والملك عُمري هو الذي أطلق عليها اسمها "السامرة". (ملوك الأول ١٦: ١٥-٢٤). وحلت محل





خريطة الناصرة والسامرة

المدينة السابقة "ترصة". بدأ الملك عُمري في بناء السامرة، إلاَّ أن ابنه آخاب هو الذي أكمل بناءها. وكانت المدينة محاطة بسورين، لحمايتها، أحدهما خارجي والآخر داخلي. وبنى آخاب معبداً للبعل، حيث أدخلت زوجته إيزابيل عبادة الإله "ملكارت" (ملوك الأول ١٦: ٣٢-٣٣) (اقرأ أيضًا مدينة صور في موضعها من هذا الفصل). وبعد موت آخاب (ملوك الأول ٢٢: ١-٣٨) يخلفه ابنه أخزيا ليملك لمدة سنتين فحسب. وبعد موته (ملوك الثاني ١:٢-١٧) يحكم أخوه يهورام الذي "قتله" أحد قادة الجيش (ملوك الثاني ٩:٢٤). لينتهي عصر أسرة مؤسسها عُمري. ثم بعد ذلك ينتقل الحكم إلى أسرة ياهو بن نِمشي، الذي لقيت المملكة في عهده هزائم متعاقبة. وتشهد المملكة اتساعًا في عهد يهوآش ويربعام الثاني. غير أن الأمر يختلف بعد ذلك حيث تشهد عدة اغتيالات (ملوك الثاني ١٥: ٨-١٤) وفي أيام فقح ملك إسرائيل جاء تغلث فلاسر ملك أشور، حيث سبى كثيرين إلى أشور) (ملوك الثاني ٢٩:١٥). وفي عهد سروجون الثاني (٧٢١ ق.م) ملك أشور تشهد المدينة إعادة بنائها.

وتحت حكم آسرحدون ملك أشور جلب أسرى البلاد الأخرى ليعيشوا في السامرة (عزرا ٤:٢). واستمرت السامرة عاصمة "لإقليم" سامرينًا في عهد البابليين، وضموا إليه الإقليم المحيط بأورشليم في عهد نبوخذ نصَّر حيث ضم إقليم السامرة إلى امبراطوريته في سنة ٦١٢ ق.م، وظلت السامرة العاصمة في أيام الفرس أيضًا.

وبعد أن أصاب الوهن الفرس، وأمسك الإسكندر الأكبر بزمام القوة، وسيطر على فلسطين، هدم مدينة السامرة، فبرزت شكيم، وأصبحت أهم مدن إقليم السامرة. وبموت الإسكندر الأكبر، انتقلت المدينة لحكم البطالسة حتى عام ١٩٨ ق.م. ثم انتقلت إلى حكم السلوقيين. وفي أثناء اضطهاد أنطيوخس إبيفانس (١٧٠ق.م.) تبرأت السامرة من علاقتها باليهود، وكرَّس إبيفانس هيكلها على جبل جرزيم، لعبادة الإله چوبيتر. وقد دمر يوحنا هركانوس هيكل جرزيم في سنة ١٢٨ ق.م. بعد انتصار يوحنا هركانوس، واستيلائه على السامرة. بعد ذلك في سنة ١٠٧ ق.م، دمر مدينة السامرة بالكامل. وكذلك دمر شكيم (نابلس حاليًا).

خضعت فلسطين للحكم الروماني، بعد استيلاء القائد الروماني بومبي عليها في سنة ٦٣ق.م. حيث ضُمت السامرة لتكون إقليمًا تابعًا لسورية.

لقد شهدت المدينة اهتمامًا بالغًا لإعادة بنائها في عهد كل من جابينيوس الحاكم الروماني (٥٧-٥٥ ق.م). ثم بلغ "أوج الاهتمام بها في عهد هيرودس الكبير وقد بدأ في إعادة بنائها في سنة ٣٠ ق.م.

وأطلق هيرودس عليها سبستة (أو سبسطة، كما تكتب أحيانًا سبسطية). والاسم يعني "أوغسطوس" باليونانية، وذلك تكريمًا للامبراطور أوغسطس. كما أقام بالمدينة معبدًا لعبادة الامبراطور. غير أنه تهدم جزئيًا في أعمال التنقيب الأثرية.

❁ العداوة بين اليهود والسامريين

اتَّخذ نحميا النبي بعض الإجراءات لتطهير الشعب من كل ما هو غريب، حيث انتشر الزواج بأجنبيات (مساكنة نساء أجنبيات) (انظر نحميا ١٣: ٢٣-٢٧)، وطرده لمنسى، كان من بين تلك الإجراءات. وكان منسى قد تزوج من ابنة سنبلط، ومنسى هو أخو رئيس الكهنة يدوع. وأقام منسى الهيكل السامري على جبل جرزيم بإذن من داريوس نوثوس Darius Nothus في نحو سنة ٤٠٩ ق.م (انظر نحميا ١٣:٣٠). وهكذا كانت بداية العداء بين اليهود والسامريين. وقد اكتسب اسم "السامريين" معناه من تلك الطائفة الدينية، فهي إشارة إلى الطائفة الدينية لا إلى سكان المدينة (مدينة السامرة). وكان اليهود المدققون يتجنبون اجتياز السامرة وهم في طريقهم من الجليل إلى

أورشليم والعكس. حتى لايتنجسوا من مخالطة الخطاة من اليهود. فكانوا يسلكون طريق شرقي الأردن، أو كانوا يسيرون بمحاذاة الضفة الغربية للأردن. (انظر ما جاء في العهد الجديد عن تلك العداوة لوقا ٩:٥٢ و٥٣، يوحنا ٤:٩).

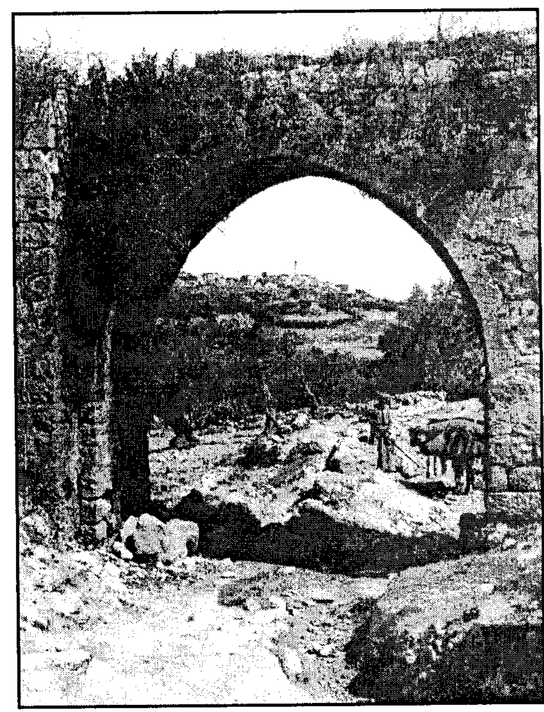
لقد التقى السيد المسيح بالمرأة السامرية عند البئر حيث دار حوار طويل (يوحنا ٤:٣-٤٩). كما مكث السيد المسيح هناك يومين. فآمن به كثيرون (يوحنا ٤:٤٠و٤١).

❁ الكرازة في السامرة:

قام بالكرازة في السامرة فيلبس، أحد الشمامسة السبعة (أعمال ٨: ١٤-١٧) إبان الاضطهاد الكبير الذي وقع على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة.. ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا (أعمال الرسل ٨:١ و٥ و١٤). وقد صليا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس.. ووضعا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس.. وبشّرا قرى كثيرة للسامريين (أعمال الرسل ٨:١٥-١٧ و٢٥).

سيمون الساحر

كذلك فإن سيمون الساحر كان في المدينة، وأدهش شعب السامرة.. وأراد أن يقتني مواهب الروح القدس بدراهم (أعمال الرسل ٨:٩-٢٤)



مدينة السامرة مأخوذة من طريق شكيم

(انظر أيضًا الباب السادس- هرطقات قبل عصر نيقية صـ ٢٤٤ بالجزء الأول من الموسوعة).

لقد استطاع السامريون أن يحتفظوا بشخصيتهم، حتى زمن وجود السيد المسيح على الأرض، برغم تقلص حدود السامرة شيئًا فشيئًا. بعد أن هدم يوحنا هركانوس المعبد على جبل جرزيم. كما دُمرت المدينة عدة مرات بعد ذلك.

في القرن الأول الميلادي، كانوا من الكثرة حتى أنهم سببوا مخاوف كثيرة لبيلاطس البنطي. وقد كلفته قسوته معهم فقده لمركزه. (يوسيفوس: التاريخ القديم ١٨:٤: ١و٢). وفي عهد فسبسيان

ذبح منهم نحو عشرة آلاف شخص لأنهم لم يذعنوا له. إلاَّ أن عـددهم قـد زاد بكثـرة في أيام دوسيثيوس Dositheus، في أيام سيمون الساحر أمـا في القـرن الرابع الميـلادي، فكانوا يعـادون المسيحية عداءً شديداً. وقد عاقبهم زينون عقاباً شديداً. ثم ضعف شأنهم بعد ذلك، حتى النصف الثاني من القرن السادس عشر. وقد بدأ چوزيف سكاليجر في مراسلتهم، فيوجد خطابان موجهان إليـه، وخطاب إلى چوب سـدولف، كلهـا مليـئـة بالمعلومات المشوقة. وقد حلَّت نيـابوليس (نـابلس الحالية) محل شكيم التي دمرها يوحنا هركانوس في أثناء تدميره لمدينة السامرة في سنة ١٠٧ ق.م. وقـد بنى ڤـسبـسيـان "نيـابوليس" غـربي المدينة القديمة قليلاً. حيث كانت مستعمرة تضم نحو (٢٠٠) مـائتي شـخص. وهـم الذين حـافظوا على الاحتـفـال بالفـصح على جبل جرزيم، عند أطلال المعبد القديم، وكذلك حفظوا التوراة السامرية. **(انظر مادة شكيم- نيابوليس- نابلس في موقعها بهذا الفصل).**

وقـد كـشـفت الحفـائر الأثرية عن وجـود أطلال لكنائس على نسق الكنائس المسيحية التقليدية، حيث تم بناء الكنيسة جـهة الشرق (حضن الآب جهة الشرق)، محاط بذخائر القديسيين. ويوجد شرقي التلة، قبر يوحنا المعمدان بحسب التقليد. وقد أحـاطت به المباني التي يرجع تاريخـهـا إلى القرن الرابع الميلادي. كما وجدت بعض أجزاء من كنيسة ربما بناها الفرنجة. وإلى الجنوب، حيث يوجد نبع مـياه، توجد كنيسة صغيرة بُنيت تحت مستوى الأرض، مكرَّسة لاسم هارون. وقد وجدت نقوش مسيحية وكتابات على جدرانها.

(٩) شكيم- فـلافـيـا نيـابوليس- نابلس (حاليًا)

اسم عـبـري يعني "كـتف" أو "حـرف أو متن الجبل"

مـدينة قـديمة في فلسطين، ذات تاريخ هام (تكوين ١٢: ٦، أعـمـال الرسل ٧:١٦) وهناك العديدون من الأشخاص يحملون اسم شكيم في العهد القديم (انظر تكوين ٣٣: ١٨، عدد ٢٦:٣١، أخبار الأيام الأول ٧:١٩).

ولا نعرف على وجه اليقين إذا ما كانت المدينة هي التي تحـمل اسم شكيم (تكوين ٣٣: ١٨). أم أنه هو الذي سـمى على اسـمـهـا. واسم شكيم العـبـري يشتق من كلمة بمعنى "كـتف الجـبل". ومدينة شكيم تقع على كتف جبل عيبال. وهي تبعد عن السـامـرة بنحـو ثمـانيـة أمـيـال، جـهـة الجنوب الشرقي منها.

بعد أن دمر ڤسبسيان هيكل السامرة على جبل جرزيم. أقام مدينته الجديدة (نيابوليس) شـمالي الوادي. وترك المدينة القديمة حطامًا. وثمة بعض الآراء حـول مـوقع المدينة القـديمة. فـقـد أثبـتت الحفـائر الأثرية أن المدينة القديمة كانت تقع في تل بلاطة، وليـست في الموقع الحـديث الذي أقـامـه

الرومان (مدينة نيابوليس أو نابلس)، ولكن جهة الشمال الغربي منها.

بانتقال السامريين من السامرة إلى شكيم. بدأت المدينة تبرز وتأخذ مكانة هامة، في القرن الرابع قبل الميلاد. ولكن يوحنا هركانوس -أحد قادة ثورة المكابيين- دمر مدينة شكيم، عندما دمر مدينة السامرة في سنة ١٠٧ ق.م. (انظر مادة السامرة- سبسطة في موضعها من هذا الفصل).

ولا توجد في مدينة نابلس الحالية، آثار لكنائس قديمة. غير أنه يبدو أن ثمة مبنًى أقيم من أجل الصلاة. وقد نقشت أسماء المصلين على مقاعد الجلوس المصنوعة من الأحجار. أما في أقصى الجنوب، حيث البئر الذي كانت تقف عنده السامرية، فتوجد أطلال مصنوعة من الفسيفساء، تسمح لنا بإعادة تركيبة كنيسة على شكل صليب، بُنيت في القرن الرابع. وقد استخدمت البئر كجرن معمودية. بأخذ عينة من بعض المواد الموجودة بالبئر في أثناء تنظيفها، أظهرت أنها كانت تعمل منذ العصر الحديدي، أي قبل المسيحية بعدة قرون **(موسوعة الكنيسة الأولى).**

سوخار

سوخار **Sychar** هي إحدى مدن السامرة. "ترك -الرب يسوع- اليهودية ومضى أيضًا إلي الجليل وكان لابد له أن يجتاز السامرة. فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها سوخار بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه. وكانت هناك بئر يعقوب". (يوحنا ٤:٥، تكوين ٤٨: ٢١و٢٢) ولا يوجد ذكر لاسم هذه البلدة في أسفار العهدين القديم والجديد. فلم تذكر سوى في هذا الموضع. وبعض الدارسين يفترضون أن "سوخار" هي "عسكر"، والتي تقع عند سفح جبل عيبال، على الطريق بين أورشليم ودمشق. أي تقع شمالي بئر يعقوب بقليل. ويبدو عدم صحة هذا الرأي لأن "عسكر" كانت لها إمدادات حياة خاصة بها، تكفيها. وعلى ذلك فليسوا في حاجة -لأن تذهب المرأة السامرية- إلى بئر يعقوب. (انظر يوحنا ٤).

أما القديس چيروم، الذي قام بترجمة الڤولجاتا، فيرى أن سوخار هي شكيم Sychem (Shechem) حيث أن Sychem ترجع إلى خطأ قام به الناسخون. وكثيرون يتفقون مع هذا الرأي. حيث أن التنقيب الأثري في تل بلاطة، يوحد بين سوخار وشكيم Shechem، وهي التي تبعد بنحو ميل ونصف الميل عن بئر يعقوب.

أما البعثات التي تقوم بالتنقيب في شكيم منذ ١٩٥٦م فقد أثبتت أنه لم تكن ثمة بلدة موجودة على تل بلاطة في القرن الأول الميلادي، وصاحب هذا الرأي هو أحد المكتشفين: ج. إي. رايت، على أنه من المرجح أن قريةً كانت موجودة حيث كانت القرية الجديدة، على تل بلاطة. حيث مازالت تكتشف آثار يرجع تاريخها إلى الفترة البيزنطية

الرومانية. أي أن المدينتين كانتا في نفس المكان.

غير أن الشهادة التي قدمها يوسابيوس في أوائل القرن الرابع، وأحد الحجاج من بوردو بفرنسا في سنة ٣٣٠م حيث قاما بزيارة السامرة. فكلاهما يميز بين سوخار وشكيم. حيث تقع سوخار على بعد نحو ميل روماني عن شكيم. وفي العصور الوسطى، يذكر الأب دانيال (١١٠٦-١١٠٧م) أن قرية يعقوب تسمى سيخار Sichar (لعله يقصد سوخار)، وكانت بئر يعقوب هناك، وبالقرب من هذا المكان، توجد مدينة السامرة، على بعد نحو نصف الكيلو متر (بالقرب من المدينة الحالية نابلس أي شكيم). أما فيتولوس (١١٣٠م) Fetullus فيقول: تبعد شكيم عن بلدة سوخار Sy-char بمقدار ميل. وفيها يقع نبع يعقوب، التي هي -على أية حال- بئر. وكثيرون من المسافرين قد ميَّزوا بين شكيم وسوخار. وهذا ما يؤكد على أن سوخار ليست هي شكيم. وهذا هو الرأي المرجح.

(١٠) كورزين- أطلال كرازة

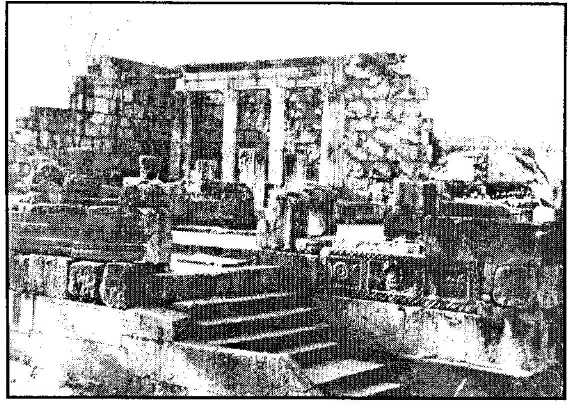
تقع كورزين قريبًا من بيت صيدا، كفرناحوم وبحر الجليل. وقد لعنها السيد المسيح، وتنبأ بخرابها، لأنها لم تقبل الأعمال التي قام بها، ولم تتب (متى ١١: ٢١، لوقا ١٠: ١٣). وهي الآن ما يعرف بأطلال كرازة وتقع شمالي تل حوم بنحو ثلاثة أميال (متى ١١: ٢٠).

ويذكر يوسابيوس المؤرخ القيصري (٢٦٤-٣٤٠م) أن كورزين في أيامه كانت عبارة عن خرائب وأطلال. ولم يذكر شيئًا عن وجود أي آثار مسيحية بها.

(١١) كفر ناحوم

تقع كفرناحوم Caper'Naum إلى الشمال الغربي من بحر الجليل، في مكان يدعى تل حوم، حيث الاسم يعني "قرية ناحوم"، غير أننا لا نعرف إلي من يشير اسم "ناحوم" هل إلى النبي ناحوم صاحب سفر ناحوم أم إلى غيره. وإذ كان ثمة كثير من الجدل حول موقع المدينة. فمن إنجيل متى نستدل أن كفر ناحوم كانت عند البحر في تخوم زبولون ونفتاليم (متى ٤:١٣) كما أن ثمة العديد من الآثار والإشارات التاريخية التي تشير إلى أن كفر ناحوم هي نفسها كفر حوم.

وكان في كفرناحوم مجمع يهودي ، وقد علَّم



صورة لأطلال مجمع كفر ناحوم بُني في القرن الثاني الميلادي وكان قد شُيد على أطلال بناء يرجع تاريخه إلى القرن الأول الميلادي

فيه السيد المسيح مرات عديدة (لوقا ٤: ٣١-٣٨، يوحنا ٦: ٥٩، مرقس ١:٢١). وجعل السيد المسيح من كفرناحوم مركزًا لخدمته بعد أن ترك الناصرة (متى ٤:١٣) وقد أطلق عليها البشير متى مدينة الرب يسوع (متى ٩:١).

وأبرز أطلال المدينة، الباقية حتى الآن، تدلنا عليها اكتشافات الأثريين في المنطقة. فبعد امتلاك الفرنسيسكان للموقع في سنة ١٨٩٤م. بدأت أعمال البحث والتنقيب في سنة ١٩٠٥م إلى ١٩١٤م. حيث كشف و. هنتر كيوسر W. Hinterkeuser عن جانب من أطلال المجمع، وكذلك عن كنيسة مثمنة الأضلاع التي تقع جنوبه، و يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي. أما ج. أورفالي فقد قام بأعمال الترميم لبعض أجزاء من كل من المجمع والكنيسة وذلك في الفترة من ١٩٢١-١٩٢٦م ثم بعد ذلك جاء كل من ق. كوربو V. Corbo، و س. لوفريدا S. Loffre-da منذ عام ١٩٦٨ حيث قاما بأعمال البحث في داخل المجمع وخارجه، وكذلك في موقع الكنيسة مثمنة الأضلاع. وقد شمل البحث أيضًا بعض الأجزاء القريبة في المدينة.

والمجمع القائم في تل حوم مصنوع من الحجر الجيري، ويرجع علماء الآثار تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي. وقد اكتُشف في سنة ١٩٨١م تحته مجمع آخر مصنوع من البازلت، يرجع تاريخه إلى القرن الأول الميلادي.

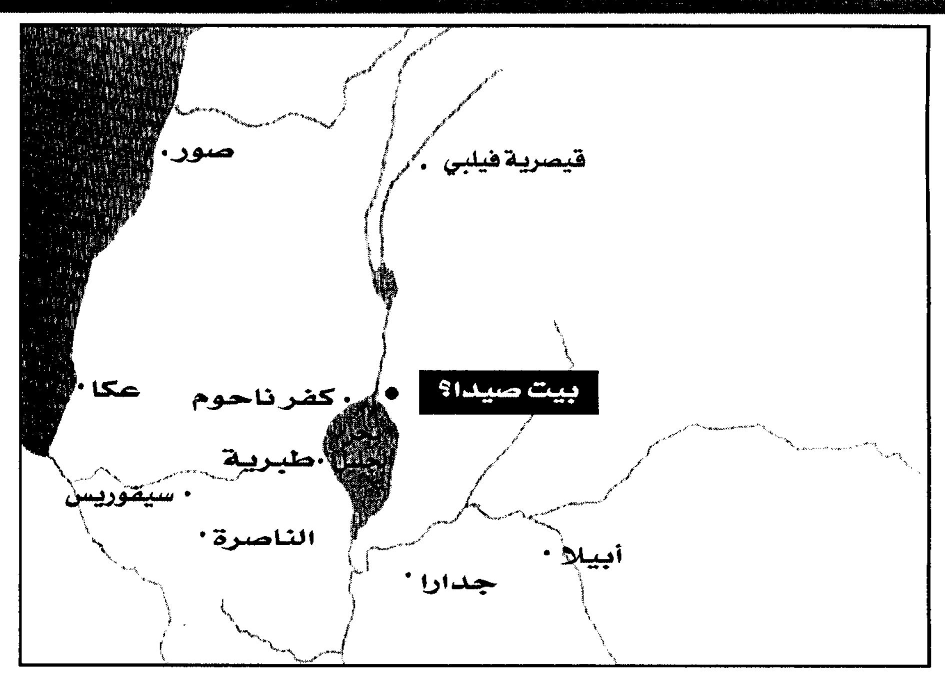
أما الكنيسة المثمنة الأضلاع التي تقع بين المجمع وساحل البحر، فقد بُنيت فوق بيت، يرجع تاريخه إلي القرن الأول الميلادي، يقول الأثريون عنه إنه بيت بطرس الرسول وقد كشفت أعمال التنقيب عن درج بدائي تحت الكنيسة أقامه المسيحيون من أصل أممي. وتوجد على الجدران كتابات لزائرين بلغات عديدة، عبرية، أرامية، يونانية، ولاتينية. كما توجد العديد من البيوت التي يرجع تاريخها إلى الفترة الهيلِّينستية.

وقد خربت المدينة -كما تنبأ عنها الرب يسوع- في القرن السابع الميلادي.

(١٢) بيت صيدا- الجليل

مدينة بيت صيدا تعني بيت الصيد، وتقع شمالي بحر الجليل.. هي مدينة تلاميذ السيد المسيح. فيلبس، أندراوس، وبطرس (يوحنا ١:٤٤، ١٢: ٢١). ويبدو أن بطرس كان له بيت آخر في كفرناحوم، ويعتقد أنها لم تكن بعيدة عن بيت صيدا. وقد شفى السيد المسيح في كفرناحوم ابن قائد المائة، وحماة سمعان (متى ٨: ١٣ و١٤). كما حدثت معجزة إشباع الجموع الخمسة الآلاف (متى ١٤:١٣، لوقا ١٠:١٣).

ويظن أن هناك مدينتين تحملان نفس الاسم. مدينة في الجليل، وأخرى في عبر الأردن. ولكن لا يوجد سند تاريخي يؤكد هذا الرأي أو ينفيه. ولا



خريطة بيت صيدا

توجد مشكلة في وجود مدينتين تحملان ذات الاسم. (موسوعة زوندرفان). (برجاء العودة إلى الفصل الخاص من الباب الأول من هذا الجزء "الكنيسة التي في صور" ومادة فينيقة من الباب الثاني في موضعها من هذا الجزء).

المدن العشر

هي المدن العشر اليونانية التي كانت تحيط ببلاد اليهود. فهي ديكابوليس Decapolis في اليونانية، حيث "Deca" تعني "عشرة" و "Polis" تعني "مدينة". وكانت تقع في منطقة شمال شرقي الجليل، بالقرب من بحر الجليل (متى ٤: ٢٥، مرقس ٥: ٢٠، ٧: ٣١). وكانت المدن العشر هي:

جدارا (جدرة) Gadara، جراسا Gerasa (الجرجسيين: جرش حاليًا)، ديون Dion، فلادلفيا (فلدلفيا) Philadelphia، بيلاّ Pella، رافانا Rapha-na (أو Raphia)، هبوس (هبو) Hippo، سكيثوبوليس Scythopolis، كناثا Kanatha، ودمشق هي المدينة الوحيدة المتبقية التي تحمل نفس اسمها حتى الآن.

وتلك المدن، مثل مدن أخرى عديدة، ومن بينها (إسكندرية - مصر)، قام ببنائها خلفاء الإسكندر الأكبر في ختام القرن الثالث قبل الميلاد. إلاّ أن الرومان أعادوا بناء المدن العشر في سنة ٦٥ ق.م. ولذلك يسيطر عليها الطابع اليوناني الروماني على ميادينها، ومعابدها الوثنية، وحمّاماتها العامة،

ومسارحها، ومدارسها، وساحاتها الرياضية.
(موسوعة زوندرفان، قاموس أونجر الجديد للكتاب المقدس، قصة الحضارة: ول ديورانت).

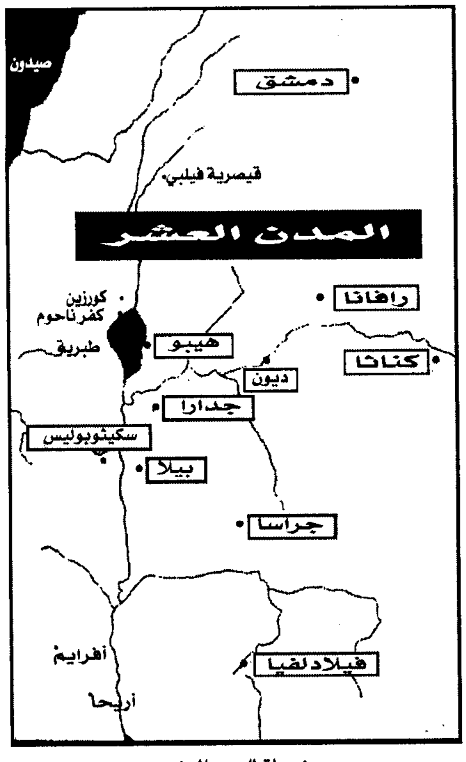
(١٣) بيت شان -سكيثوبوليس- بسيان

تعني بالعبرية "بيت الأمان"، ولكن يرجح أنها تعني بيت الإله البابلي شاهان، أو الإله الفينيقي شان، أو الأفعى التي تمثل الإله السومري. وتعرف في العهد الجديد باسم "سيكثوبوليس"، وتسمى حاليًا "بيسان". **(انظر الخريطة السابقة للمدن العشر)**

وكان لمنسى في يسَّاكر وفي أشير بيت شان وقراها... وكان يسكن الكنعانيون تلك الأرضي.. ولمَّا لم يقدر الإسرائيليون (بنو منسى) على طرد الكنعانيين، أنهم جعلوا الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردوهم طردًا (يشوع ١٧: ١٢-١٦).

والحصن المنيع الذي وجدوه في بيت شان يرجع تاريخه إلى ما قبل عام ٣٠٠٠ ق.م. وللمدينة تاريخ طويل ومشوق. وقد وضعت مصر يدها على هذه المدينة منذ أن حقق تحتمس الثالث انتصاره العظيم في مجدو (نحو سنة ١٤٨٢ ق.م) وكان يوجد بالمدينة حامية مصرية، ظلت قائمة هناك لمدة ثلاثمائة سنة تقريبًا. وقد تم الكشف عن نُصُبين منقوش عليهما، وهما لملكين مصريين، فأحدهما للملك سيتي الأول، والآخر للملك رمسيس الثاني. ويرجع تاريخهما إلى نحو سنة ١٤٠٠ ق.م.

كان بيت شان في يد الفلسطينيين، في معركة



خريطة للمدن العشر

جلبوع، في نحو سنة ١٠٠٠ ق.م.. حيث عرَّى الفلسطينيون القتلى فوجدوا شاول وبنيه الثلاثة.. وسمَّروا جسده على سور بيت شان. (انظر صموئيل الأول ٣١: ٨-١٠، صموئيل الثاني ٢١: ١٢-١٤).

والمدينة زاخرة بالآثار. حيث أسفرت أعمال التنقيب التي قامت بها جامعة بنسيلفانيا في بيت شان في الفترة من ١٩٢١ إلى ١٩٣٣م عن اكتشاف هيكل يرى الأثريون أنه يتطابق مع هيكل عتشاروث الذي وضعوا فيه سلاح شاول (صموئيل

الأول ٣١:١٠) كما أن سفر أخبار الأيام الأول (١٠: ١٠) يشير إلى معبد آخر في بيت شان يدعى "بيت داجون"، حيث سمروا رأس شاول. وقد كشفت أعمال التنقيب الأثرية عن معبد يقع إلى جنوبي معبد عشتاروث، يقول آلان رو Alan Rowe عنه إنه "معبد داجون".

وفي أثناء حكم الملك سليمان، أُطلق اسم بيت شان على المنطقة التي بجانب صُرتَانَ تحت يزرعيل (انظر ملوك الأول ١٢:٤)، والتي سميت فيما بعد سكيثوبوليس.

ولا توجد تلة في فلسطين ذات منظر جميل مثل تلك التي لبيت شان.

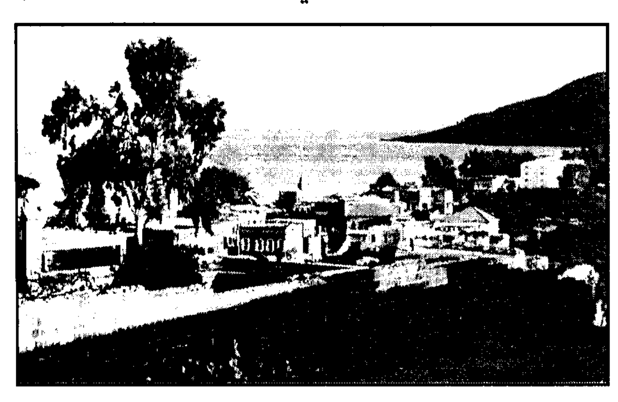
وتوجد في بيت شان عدة معابد مصرية أيضًا يرجع تاريخها للحكام من الفراعنة الذين تداولوا حكمها وهم: امنحوتب الثالث (١٤١٣ - ١٣٧٧ ق.م تقريبًا) وسيتي الأول (١٣١٩- ١٣٠١ق.م.)، ورمسيس الثاني (١٣٠١- ١٢٣٤ق.م). وكشفوا عن حصن مصري منيع. كما تم الكشف عن كثير من الآثار.. من بينها بعض الآثار الشخصية لساكني المدينة، كمطبخ فسيح، ومرحاض، وصومعة لتخزين القمح بالغة الاتساع، وبرج حصين، فضلاً عن آثار أخرى عديدة ترجع إلى عهود مختلفة.

وكما سبق القول سمي بيت شان "بسكيثوبوليس" وهي إحدى المدن العشر. وكانت العاصمة لفلسطينا(٢) وكان يوجد بسكيثوبوليس مقر لأسقفية مسيحية. حيث وجدت كاتدرائية عند طرف التلة، وإن كانت قد تهدمت من جراء أعمال الحفر والتنقيب الأثرية. وتوجد كنيسة على اسم القديس بروكوبيوس تزدان بالفسيفساء ذات الأشكال الهندسية. كذلك يوجد دير على اسم السيدة العذراء، مزدان بالفسيفساء أيضًا. وفي شمالي الوادي، توجد كنيسة كان يصلي فيها على الموتى، "تزدان بالفسيفساء بأشكال تمثل شهور السنة، وقد نقلت الآن بمتحف روكفلر بالقدس.

(١٤) طبرية

تقع على الضفة الغربية لبحر الجليل، وتبعد نحو ١٢ ميلاً جنوبي تدفق نهر الأردن إلى البحر. وينخفض متسواها عن سطح البحر بنحو ٦٨٢ قدمًا.

كانت المدينة قائة في زمن وجود السيد المسيح



منظر لطبرية وبحر الجليل



على الأرض وأول ذكر لها في العهد الجديد يأتي في إنجيل يوحنا (٦: ١و٢٣، ٢١: ١).

والمعلومات عن تأسيسها نستقيها من المؤرخ يوسيفوس الذي يقرر أن مؤسسها هو هيرودس أنتيباس فيما بين عامي ١٨ و٢٢م، وأطلق عليها اسم الامبراطور طيباريوس (١٤– ٣٧م) تكريماً له.

كانت طبرية إحدى تسع مدن حول بحر طبرية (الجليل)، وكان يبلغ عدد سكان كل مدينة منها نحو (١٥,٠٠٠) شخص. وكانت مدينة طبرية تقع عند حد مدينة رقة المحصنة (يشوع ١٩: ٣٥). وكان اليهود المدققون يتجنبون اجتيازها.

ظلت طبرية عاصمة للجليل منذ نشأتها وحتى حكم هيرودس أنتيباس الثاني، حيث نقل مقر الحاكم إلى صفورية مرة أخرى. إذ كانت هي عاصمة الجليل قبل إنشاء مدينة طبرية الجديدة. وكان معظم المقيمون في المدينة من اليونانيين والرومانيين. وقد انتشر الزي الأجنبي، حتى بات يساء إلى من لا يرتدونه.

أصبحت طبرية بعد خراب أورشليم في سنة ٧٠م، المركز الجديد لتعاليم الربيين (انظر مادة الجليل في موضعها من هذا الفصل). والمنطقة المحيطة بالمدينة يرجح أن تكون غنية بالآثار، لا سيما في المنطقة الواقعة بين المدينة والعيون الساخنة المعروفة. إذ توجد أبنية من الأحجار يرجع تاريخها إلى عصور مختلفة، ومن بينها يوجد مجمع يهودي. كما توجد كنيسة تم اكتشافها في أثناء إقامة شبكة أنابيب لنقل المياه من منطقة التبغة (الطبغة) والكنيسة صغيرة توجد أسفل التل، كما توجد كنيسة أخرى أعلاه. ويرجع تاريخهما إلى القرن السادس الميلادي.

(١٥) قانا الجليل

لا يوجد ذِكر لاسم مدينة قانا الجليل سوى في إنجيل يوحنا، ولا يُعرف على وجه الدقة موقعها. ويتم التمييز بين "قانا الجليل" و "قانة" التي تقع على تخم سبط أشير (يشوع ١٩: ٢٨). وقانا الجليل هي مسقط رأس نثنائيل (يوحنا ٢١: ٢). وحيث أجرى السيد المسيح، في مناسبة مباركته لعرس قانا الجليل، أولى معجزاته بتحويل الماء إلى خمر (يوحنا ٢: ١–١١، ٤: ٤٦).

ثمة موقعان في شمالي الناصرة، اعتُبر أن كلاً منهما هو قانا الجليل. الأول: يقع شمالي قرية الناصرة بنحو ٣–٤ أميال على الطريق إلى كفرناحوم، هي قرية مسيحية في كفر كِنّا Kenna، وتوجد بها كنيسة يونانية أرثوذكسية بالقرب من الطريق، ويوجد بها عدة جرار حجرية، يقال إنها التي استخدمها السيد المسيح في إجراء معجزة تحويل الماء إلى خمر. كما توجد بها الكنيسة الثانية التي بناها الفرنسيسكان، وتوجد بالقرب من مركز القرية. والكنيسة ترجع إلى القرنين

الثالث والرابع، إذ توجد عليها نقوش وكتابات ترجع إلى ذلكم الوقت. والأرضية مصنوعة من الفسيفساء، وعليها كتابات عبرية ويونانية قديمة. ويرى بعض الأثريين أنها جزء من معبد قديم. وتوجد كنيسة ثالثة -صغيرة بُنيت -كما يُقال- فوق بيت نثنائيل.

وهذا الموقع كان يعتبر هو الموقع الحقيقي لمدينة قانا، قبل مجيء الفرنجة. لوقوعها على طريق الحجاج ممن كانوا يزورون الناصرة وهم في طريقهم إلى كفرناحوم وبيت صيدا.

أما الموقع الثاني: فيطلق عليه "خرابة (خربة) قانا"، ويقع شمالي الناصرة مباشرة بنحو ثمانية أميال، على الطرف الشمالي لسهل البطوف el-Battuf، وكان يسمى سهل أسوخيس Asochis وتؤكد بعض العوامل التاريخية والأثرية، على أن هذا الموقع هو الأصلي، إذ وجدت بضع شقفات فخارية يرجع تاريخها إلى العصر الروماني-البيزنطي، وكذلك تم العثور على بضع عملات يرجع تاريخها إلى عصر السيد المسيح. وتوجد كذلك أحواض مياه وغيرها. ويبدو أن الفرنجة اعتبروا أن هذا المكان هو المكان الحقيقي لقانا الجليل. وهو ما يتفق مع ما ذكره الحجيج من العصور الوسطى الذين يتكلمون عن دير وعن كنيسة، وجرة من الفخار. وقد عاش المؤرخ يوسيفوس بعض الوقت في قانا.. "قرية في الجليل".. في سهل أسوخيس.. وهي لا تبعد عن شمالي المدينة اليهودية المحصنة "جوديبات" (يوتاباتا) حيث سجنه الرومان، وأنهوا بذلك عمله في الجيش.

وتزداد قناعة العلماء، يومٌ بعد الآخر، على أن هذا الموقع هو موقع المدينة الأصلي.

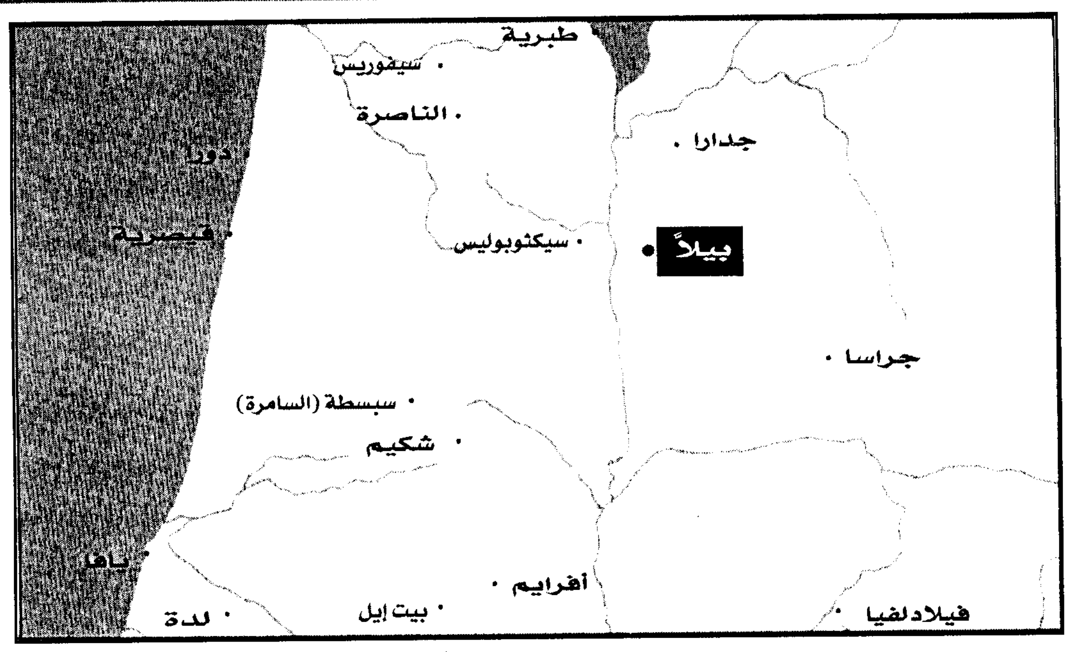
(١٦) بيلاَّ

إحدى المدن العشر، في عبر الأردن. ولا يوجد ذكر لمدينة بيلا في الكتاب المقدس، ولكن كان لها تاريخ على قدر كبير من الأهمية قبل تدوين الكتاب المقدس، وبعد ذلك.

فأول ذكر لمدينة بيلا يأتي في مصر، ولكن مقرونًا بالبغضة واللعن في نصوص يرجع تاريخها إلي القرن التاسع عشر قبل الميلاد، تحت اسم "بحيلم Pahilum. والذي يتردد في خطابات تل العمارنة، والتي يرجع تاريخها إلي القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وكذلك يذكر في سجلات مصرية أخرى، يرجع تاريخها فيما بين القرن الخامس عشر، والثالث عشر قبل الميلاد.

بيلاَّ تقع شرقي نهر الأردن، نحن ثمانية أميال بُعدًا عن جنوب شرقي بيت شان

وقعت الأراضي المقدسة في يد الإسكندر الأكبر في نحو سنة ٣٣٢ق.م، حيث احتلت جيوشه من بين ما احتلت تلك المدينة. واسم باهيل (أو باحل)



خريطة توضح موقع بيلاً

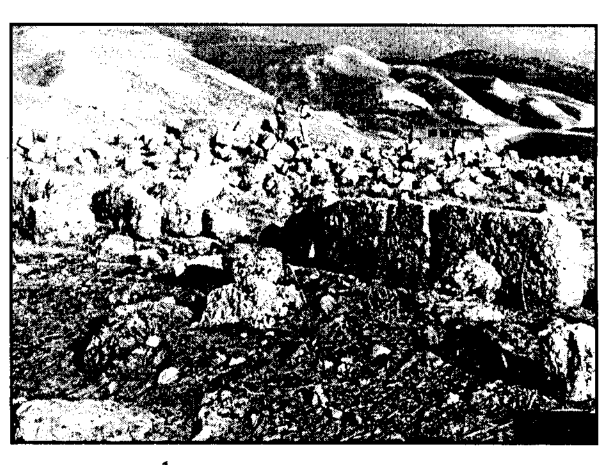
Pahel يذكرنا باسم مسقط رأس الإسكندر، وعاصمة مقدونيا. ولذلك أُعطيت الاسم اليوناني لبيلاًّ Pella. وكذلك سُميت لفترة من الوقت "برنيكي" على اسم الملكة البطلمية.

ويذكر يوسيفوس أنه قد تعاقب على حكم المدينة، البطالسة والسلوقيون، والمكابيون إلى أن وقعت في يد الرومان، وأصبحت جزءًا من الامبراطورية الرومانية، تحت حكم القائد الروماني بومبي.

وقد أصبح للمدينة مكان في تاريخ الكنيسة، في نحو سنة ٦٦م. عندما لجأ إليها المسيحيون، هربًا من أورشليم، إبَّان ثورة اليهود وتمردهم، في الوقت الذي كان الجيش الروماني في طريقه إلى أورشليم لإخماد الثورة.

استمرت مدينة بيلاًّ بعد ذلك مدينة مسيحية قوية تحتضن العديدة من الأديرة والكنائس، لا سيما في الفترة البيزنطية الغنية. ثم حكمها في القرن السابع العرب. ثم في القرن التاسع عشر عادت إليها الحياة، بعد قرون من الضعف. وهي مأهولة بالسكان حاليًا، غير أن عددهم ليس كبيرًا. واسمها الجديد طبقات فحيل Tabaqat Fahil هو تطور لاسمها القديم: بحيلم Pihilum أو بحيل أو بهيل Pahel.

وتوجد غربي المدينة كنيسة، ملحق بها غرفة، وهي مقامة على أطلال قديمة، حيث توجد صور لشجيرات الكروم، وصليب، هذا فضلاً عن عناصر



صورة لأطلال كنائس بيزنطية في بيلاَّ

مسيحية أخرى. وتوجد عدة مبانٍ أخرى لكنيسة مسيحية اكتشفت حديثًا.

ونذكر من أهم شخصيات بيلا الكاتب المسيحي من أصل يهودي أرسطو المعروف بأرسطو بيلا، وكانت له كتابات تاريخية، اقتبس منه يوسابيوس المؤرخ القيصري، بعض الفقرات عن أورشليم في عهد هادريان **(تاريخ الكنيسة ٤:٦، شاف الجزء الثاني، موسوعة الكنيسة الأولى).**

(١٧) الناصرة

تقع مدينة الناصرة، على مسافة نحو عشرة أميال شمالي سهل مرج بن عامر، في نحو منتصف الطريق بين طرف بحر الجليل (جهة الشرق) وجبل الكرمل (جهة الغرب). ولم يرد ذكر عنها في أسفار العهد القديم، أو في التلمود، أو في الأسفار الأبوكريفية، كما لم يذكر عنها شيئًا المؤرخ اليهودي يوسيفوس.

لقد دُعي السيد المسيح "ناصريًا" (متى ٢:٢٣). وكانت الناصرة مدينة يوسف ومريم العذراء (لوقا ٢: ٣٩)، وهناك أخبر الملاك السيدة العذراء بمولد المسيح (لوقا ١: ٢٦-٢٨). وحيث أقام فيها يسوع والسيدة العذراء ويوسف النجار بعد عودتهم من مصر. (متى ٢:١٩-٢٣). وحيث تربى يسوع (لوقا ٤:١٦) وعلَّم في مجامعها (متى ١٣: ٥٤، لوقا ٤:١٦).

وقد التصقت سمعة الناصرة (السيئة)، بالجليليين، من حيث نقص الثقافة، والأسلوب الفج في التعامل مع الآخرين. ونثنائيل الذي قال لفيلبس عند ما أخبره عن يسوع الذي من الناصرة "أمِنَ الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح" (يوحنا ١:١٦) كان نفسه -أي نثنائيل- جليليًا- من قانا



منظر لمدينة الناصرة



الجليل. **(ارجع إلى مادة قانا الجليل في موضعها من هذا الفصل)**. وربما يرجع ذلك لبعض التهاون في الأخلاقيات الناشيء عن عدم تدينهم.

أما عن معنى اسم "الناصرة" فهو غير مؤكد فربما الاشتقاق العبري للكلمة nazir يعني المنفصلة، أو nésêr وتعني (فرعًا)..

ومدينة الناصرة الجديدة لها نبع مياه واحد فحسب. وتقع على التلال شمالي سهل مرج بن عامر، ولذلك فإنها تشرف من مكانها على مناظر طبيعية جميلة..

لقد أقامت الملكة هيلانة والدة الملك قسطنطين أول كنيسة في الناصرة في القرن الرابع الميلادي، ثم بعد ذلك أُقيمت كنائس أخرى، إلاَّ أنها تهدمت. **(موسوعة زوندرفان)**. ولم يُرسم أي أسقف على المدينة في العصر البيزنطي. غير أنه عاش بالمدينة مسيحيون من أصل يهودي حتى القرن السابع. وقد كشفت الحفائر الأثرية، في المرحلة الأولى، والتي تمت في موضع بشارة السيدة العذراء، عن أول مبنى، وكتابات مسيحية مما توضع على شواهد القبور، وعن معمودية على شكل مربع، وفي المرحلة الثانية كشفت عن كنيسة على شكل مجمع، قبالة القبور، مما قد يدلنا على أنها كانت في أطراف المدينة. ويرجح أن الكنيسة بُنيت قبل عام ٤٢٧م إذ وجدت صلبان في أرضية الكنيسة المصنوعة من الفسيفساء، حيث أصدر ثيؤدوسيوس قانونًا في التاريخ المذكور، يمنع وضع علامة الصليب على الأرضية. **(موسوعة الكنيسة الأولى)**.

وفي القرن الخامس الميلادي، كشفت الحفائر عن كنيسة جهة الشرق، بينما توجد القبور إلى الجانب الشمالي منها.. وذلك بغرض التكريم. كما وجدت كنيسة ضخمة ترجع إلى العصور الوسطى، طولها ٧٠ مترًا. كذلك وجدت كتابات مسيحية -من شواهد القبور- بلغات عديدة في داخل جرن المعمودية، وتحت أساسات الكنيسة البيزنطية. مما يشير إلى وجود مسيحيين ذوي ثقافات متعددة، من بلدان أخرى، أقاموا هناك. **(المرجع السابق)**.

ويذكر القديس أبيفانيوس، أن -شخصًا يُدعى- يوسف في سنة ٣٩٩م قال له "إنه بأوامر خاصة من الامبراطور بنى كنائس للمسيح في مدن اليهود، حيث لم يكن فيها أي كنيسة، حيث أنه لم يُسمح لليونانيين أو السامريين أو المسيحيين بأن يقيموا هناك (في طبرية، ديوقيصرية، صفورية الناصرة، وكفرناحوم). وقد قامت القديستان بولا وسيلفيا بزيارة الأماكن المقدسة في الناصرة نحو نهاية القرن الرابع، وكذلك القديس ثيؤدوسيوس في سنة ٥٣٠م. غير أنهم لم يتركوا لنا أي شرح يتعلق بتلك الأماكن المقدسة. **(الموسوعة الكاثوليكية)**.

(١٨) جدرة (جدارا)- أم قيس



تقع جدرة شرقي نهر الأردن، وتبعد نحو ستة أميال عن بحر الجليل في الاتجاه المقابل لطبرية. وتسمى اليوم قرية أم قيس، والقرية الجديدة، تقع وسط أطلال المدينة القديمة. والتي تفصح عن مقدار ما كانت عليه من عظمة وفخامة. وترتفع عن سطح البحر المتوسط بمقدار (١٢٠٠) قدم، وعن بحيرة طبرية بنحو (١٨٨٠) قدماً.

في جدرة شفى السيد المسيح مجنون كورة الجدريين (لوقا ٨: ٢٦-٣٧) وهي تذكر في الأناجيل منسوبة إلى سكانها (الجدريين) (مرقس ١:٥، لوقا ٢٦:٨- ٣٧) كما ذكرت منسوبة إليهم باسم الجرجسيين) (متى ٢٨:٨). ويذكر و.م طومسون أنه اكتشف قرية صغيرة اسمها جَرسة، وهي تقع في إطار منطقة جدرة الكبيرة.. وعلى ذلك يكون صحيحًا ذكرها بنسبها إما إلى القرية الصغيرة (جرسة) أو إلى القرية الكبيرة (جدرة).

أصبحت جدرة مدينة هيلِّينستية محصنة في العصر اليوناني. وذلك في نحو عام ٢٢٥ ق.م. عندما احتلها أنطيوخس الكبير، واستولى عليها من سكوباس، قائد جيوش بطليموس إبيفانس. وفي نحو سنة ١٠٠ ق.م استولى عليها ألكسندر يانيوس Janneus. وعندما وقعت في يد القائد الروماني بومبي في نحو سنة ٦٣ ق.م، أمر بإعادة بنائها. وأصبحت بعد ذلك إحدى المدن العشر، وعاصمة لبيرية. وفي سنة ٣٠ ق.م قدمها أوغسطس هدية لهيرودس الكبير، ثم بعد موته في



صورة حديثة لقرية جدارا

سنة ٤ ق.م. آلت إلى إقليم سورية الروماني.

مع استهلال ثورة اليهود، قُتل بعض اليهود من الجدريين. وطلبوا من ڤسبسيان أن يرسل حامية من الجيش لحماية المدينة من الأخطار التي من المحتمل أن يتعرضوا لها.

وثمة بعض المعلمين المعروفين من جدرة ومن بينهم: فيلوديموس، ميلياجر، منيبوس، ثيؤدور (معلم الامبراطور طيباريوس) أو مايوس، وأسبين.

كانت جدرة ذات يوم مكانًا لكرسي الأسقفية. وكشفت أعمال التنقيب الأثرية عن دير، يقع شرقي منطقة الأسقفية، به كنيسة تزدان أرضيتها بالفسيفساء ذات المناظر الطبيعية، وقد دمرت خلال القرن الثامن الميلادي، في حركة تدمير الأيقونات التي انطلقت آنذاك.

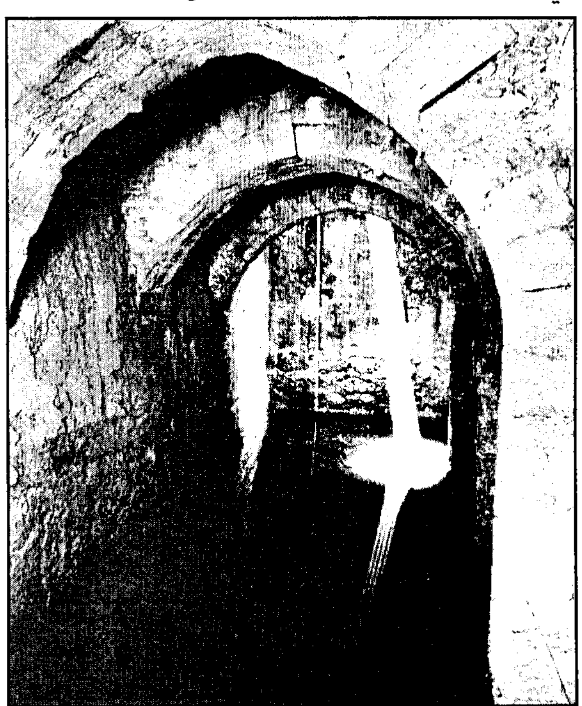
كما توجد أطلال لمجموعة من المباني



الكلاسيكية ذات الأعمدة الجميلة. مما ينم عن احتفاظ المدينة بالطراز المعمارية الروماني. كما كشفت الحفائر عن وجود حمّام يرجع إلى العصر البيزنطي، وتزدان أرضياته بالفسيفساء ذات الرسوم الهندسية والنقوش اليونانية.

(١٩) هلينوبوليس وكفر كاما

يعتقد البعض أنها تقع في نفس مكان قرية دبورا، عند سفح جبل تابور، جهة المنحدر الغربي. حيث انتقلت الأسقفية إلى الجبل. إلا أنه لا توجد أي آثار -لمسيحية مبكرة هناك. على عكس الحال



صورة لأحد أروقة بيت حسدا

بكفر كاما، القرية المقابلة لها، التي كان يقطنها الشراكسة، جهة الشرق عند قاعدة الجبل حيث توجد كنيستان قريبتان، وتوجدان على مستويين، إحداهما فوق الأخرى. وتتصلان إحداهما بالأخرى. وتوجد نقوش من الفسيفساء تحمل تسجيلاً لعدة أسماء دياكون، شيخ، وأسقف يدعى يوستاسيوس. والأرضية المزدانة بالفسيفساء ذات نقوش هندسية، وطيور. كما توجد أوعية (أو أنابيب) تحتوي على الذخائر المقدسة (رفات القديسين)، وكما يقول باجاتي فإن كل هذه الآثار، ترجع أن كفر كاما كان يوجد بها كرسي الأسقفية. **(موسوعة الكنيسة الأولى).**

بيت حسدا

(اسم بِركة في أورشليم)

ثمة عدة معان للاسم بالأرامية وهي: "بيت النعمة"، "بيت الرحمة"، "بيت الأعمدة"، ويرجح أن يكون "بيت الزيتون".

وهو اسم بِركة في أورشليم عند باب الضأن، ذات خمسة أروقة. ويرد ذكر الاسم مرةً واحدة في إنجيل يوحنا. وربما أُضيفت كلمة "باب"، إذ تأتي في بعض الترجمات بمعنى "سوق" ويرى بعض الدارسين أنه ربما تكون "بركة الضأن". حيث كانت الغنم تباع هناك لترفع ذبيحة في الهيكل (نحميا ٣:٣٢، ١٢:٣٩).

وفي سنة ١٨٨١م كشف ك. شيك K. Schick



في موقعٍ ليس ببعيد عن كنيسة القديسة "حنة" عن بركتين، وإحداهما ذات خمسة أروقة وخمسة أقواس. وعندما جاء الفرنجة اعتبروا أن هذا الموقع هو الذي ذكره الرسول يوحنا في (يوحنا ٥:٢). لذلك أقاموا كنيسة في نفس الموقع. وأقاموا خمس قباب تمثل الأروقة الخمسة، وثمة فتحة في أرضيتها تؤدي إلى المياه عبر سلم.

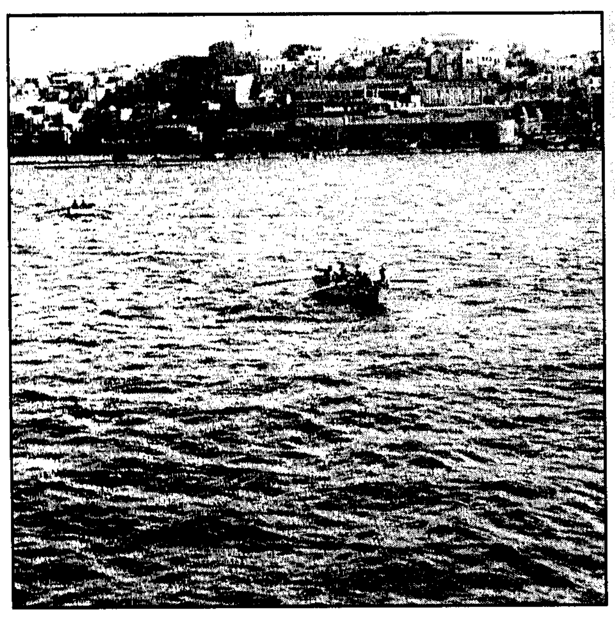
ولم يَذكر أي من المؤرخين من اليهود أي شيء عن هذه البِركة، ومن بينهم المؤرخ يوسيفوس. أما المؤرخ يوسابيوس القيصري فيرى أن الماء الذي يشفى له لون أحمر إذ يفترض أن مصدره الدم الناتج عن الذبائح في الهيكل، غير أن إنجيل يوحنا لا يذكر شيئًا عن ذلك (انظر يوحنا ٥:٤). أما العلاَّمة أوريجانوس، والقديس كيرلس الأورشليمي فيذكران نبع مياه ذي تدفق متواتر لونه أحمر، وهذا النبع معروف الآن.

(٢٠) يافا

مدينة يافا من أقدم مدن العالم، وتقع على ساحل البحر المتوسط، وتبعد نحو ٣٠ ميلاً شمال غربي أورشليم. واسمها الكنعاني يعني "جمال" وذلك لتمتعها بالشمس التي تعكسه بيوتها، وكذلك لما تتمتع به من جمال طبيعي. وتظهر يافا في قائمة الفاتح المصري العظيم تحتمس الثالث (في القرن الخامس عشر قبل الميلاد).

وقعت يافا في نصيب دان، عند تقسيم أرض فلسطين بين الأسباط الاثنى عشر (يشوع ١٩: ٤٦). وكان ميناؤها ميناءً لأورشليم. فهي الميناء الكبير الذي استقبل خشبًا من لبنان -في أيام سليمان لبناء الهيكل- فكانت تستقبله أرماثا طافيًا على البحر إلى يافا، ومن يافا يتم نقله إلى أورشليم (أخبار الأيام الثاني ١٦:٢). كما استقبل ميناء يافا -مرة أخرى- خشب أرز لبنان بحسب إذن كورش ملك فارس (عزرا ٧:٣).

وجاء يونان النبي إلى يافا -هربًا من وجه الرب لئلا يذهب إلى نينوى يدعوهم إلى التوبة حيث ركب سفينة ذاهبة إلى ترشيش، فدفع أجرتها ونزل فيها (يونان ١:١-٣). وقد شهدت يافا كثيراً من



صورة لمدينة يافا المطلة على البحر المتوسط



الأحداث في أثناء ثورة المكابيين، حيث استولى عليها يوناثان المكابي نحو سنة ١٤٨ق.م (مكابيين الأول ١٠:٧٦). ثم استولى عليها بعد ذلك سمعان أخو يوناثان عند سماعه أن سكانها عازمون على تسليم قلعتها إلى أنصار -الملك- ديمتريوس، وأقام فيها حامية عسكرية تحافظ على المدينة (انظر مكابيين الأول ١٠:٣٣، ٣٤). وعندما حلَّ السلام، جعل منها سمعان المكابي مرسًى للسفن (انظر مكابيين الأول ١٤:٥). وقد دمرها الرومان مرتين، وكذلك تداولها حكَّام الفرنجة.

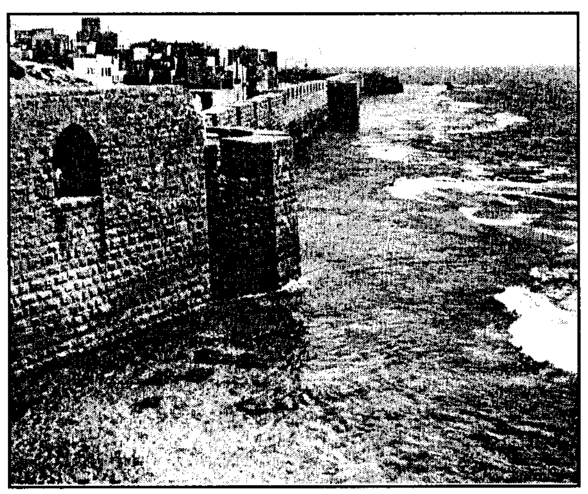
تعد مدينة يافا من أولى المدن التي بها شعب مسيحي. ويشهد سفر أعمال الرسل عن أولى عضوات الكنيسة في يافا. واسمها طابيثا (الذي ترجمته غزالة).. وكانت طابيثا من أوفر العضوات نشاطًا في مجتمع يافا، فكانت تصنع أقمصةً وثيابًا للفقراء.. وقد أقامها بطرس الرسول من الموت. فقد كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها.." (أعمال الرسل ٩: ٣٦-٤٢).

ويافا هي المدينة التي رأى فيها بطرس الملاءة العظيمة نازلةً من السماء، عندما كان في بيت رجل يدعى سمعان الدبَّاغ (أعمال الرسل ١٠:١-٤٨). وكان يوجد في يافا، في القرن الرابع، أسقفية مسيحية. ويافا تؤلف الآن الجزء الجنوبي من مدينة تل أبيب.

(٢١) عكا- بتولمايس

كانت بتولمايس الحالية تسمى عكا قديمًا. وهي تعتبر إحدى المدن الرئيسية على ساحل البحر المتوسط. تأسست عكا -المدينة القديمة- في زمن العهد القديم على تل الفخار، وهي إحدى أجمل الربوات في فلسطين. وتقع على الخط الطبيعي الفاصل بين السهل الساحلي جنوبًا وشمالاً، بين الكرمل ورأس الناقورة. اشتهرت هذه الأرض بنوع من أفضل أنواع الرمال التي تدخل في صناعة الزجاج، (سترابون ١٦:٢:٢٥). وتمس شاطيء البحر الصخور التي تشرف عليه، وكان يستخدم الخور الشمالي لخليج حيفا ميناءً بحريًا لعكا، ويرجح أن ذلك كان منذ وقت طويل جدًا.

وفي العصر البرونزي كانت مدينة عكا مدينة كنعانية هامة لا سيما في العصرين المتوسط والمتأخر. ويرجع ذكر مدينة عكا في النصوص



صورة لحاجز البحر في مدينة عكا- بتولمايس

المصرية القديمة إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وقد استولى عليها تحتمس الثالث (في منتصف القرن ١٥ ق.م)، ويبدو أن ذلك كان خلال حملته الأولى.

واستمرت عكا تلعب دوراً بالغ الأهمية في شئون كنعان، وقد ذكر ذلك في خطاب تل العمارنة. وخلال القرن (١٣) كان لعكا دور بارز عند الفراعنة، أي في الأسرة (١٩). وقد لازم سيتي الأول حملته الأولى إليها. كما يوجد رسم يوضح انتصار رمسيس الثاني على عكا.

وقد ذكرت عكا في العهد القديم في سفر القضاة، "ولم يطرد أشير سكان عكو" "Acco" (قضاة ١:٣١و٣٢).

وفي عهد داود النبي، أصبحت عكا جزءاً مهماً في مملكة إسرائيل. وفي أثناء حكم سليمان بن داود سميت "كابول" (ملوك الأول ٩:١٢ و١٣، أخبار الأيام الثاني ٨:١و٢). وبرغم ذلك ظلت عكا فينيقية حتى نهاية فترة العهد القديم. لقد ظلت على الدوام مدينة فينيقية -هيلِّينستية، وظهر ذلك واضحًا في حروب المكابيين، فلم تنضم أبداً إلى مملكة يهودية تحت حكم المكابيين.

في عهد الامبراطور كلوديوس (٥٢-٥٤م) أصبحت بتولمايس مستعمرة رومانية (بليني). وكانت محل إقامة الحاميات العسكرية لمختلف الجيوش.

لقد عُرفت الآلهة الوثنية التي كانوا يعبدونها خلال الفترات الهيلِّينية والرومانية بأسماء عشرات من الأسماء اليونانية. غير أن أدلة حديثة برهنت على أن معظم تلك الأسماء كانت صفات للإلهين الرئيسيين في سورية، وهما هدد وأتارجاتس.

أما في زمن العهد الجديد، فقد توقف القديس بولس -ورفقاؤه- في ختام رحلته الثالثة، لمدة يوم واحد في بتولمايس، حيث سلَّموا على الإخوة. بينما كانوا في طريقهم من صور إلى قيصرية فلسطين. (أعمال الرسل ٢١:٧). ويرجح أن بداية تكوين المجتمع المسيحي هناك، ترجع إلى أن من تشتتوا -من جراء الضيقة التي حدثت إبان استشهاد استفانوس- اجتاز بعضهم إلى فينيقية، حيث المجتمع اليهودي (انظر أعمال الرسل ١١:١٩). وحيث يرجح أن الطريق الساحلي الروماني بين صور وقيصرية كان قد استكمل. وكان المجتمع المسيحي في عكا مجتمعًا صغيراً. **(موسوعة زوندرفان)**.

(٢٢) هيبوس (هيبو) -سوستيا

هيبو هي إحدى المدن العشر التي سبق ذكرها.

لم يرد ذكر لهيبو في الكتاب المقدس. وتقع على تلة على الساحل الشرقي لبحيرة طبرية. وثمة اكتشافات لأربع كنائس توجد بها. وما تزال أعمال التنقيب والبحث جارية.

يوجد في إحدى الكنائس، جرن المعمودية في



جهة الشمال. ومن الكتابات التي وجدت أمكن معرفة أنها كانت تحمل اسم القديسين (دميان وقزمان). ويوجد جرن المعمودية في منتصف حضن الآب. وقد وجد نقش وثني له دلالته، إذ ربما يدلنا على أن الحياة -في هيبو- المدينة المسيحية، كانت مستمرة مع وجود بعض الوثنيين.

(٢٣) ديوقيصرية- زيبوريس

توجد كنيسة مبنية، في ديوقيصرية القديمة، على جرف الجبل، وهي زيبوريس الحالية، حيث نُقلت المدينة، وربما نقلها الأسقف مارسيللينوس في سنة ٥١٨م. ويوجد في الشمال لأسفل نقش بالعبرية، يجعلنا نعتقد أنها كانت لمجمع، حيث بنى الفرنجة كنيسة على أطلاله باسم القديسة آن.

(٢٤) الطبغة - التبغة

الطبغة وتعني السبعة، ويعتقد أنه موضع الخلاء الذي قصده الرب يسوع، حيث تبعته الجموع... وتوجد أطلال لكنائس، يرجع تاريخها إلى القرنين الرابع والخامس، وتوجد رسوم تسجل معجزة إشباع الجموع هناك. **(موسوعة زوندرفان، موسوعة الكنيسة الأولى).**

(٢٥) أريوبوليس (رابًا)

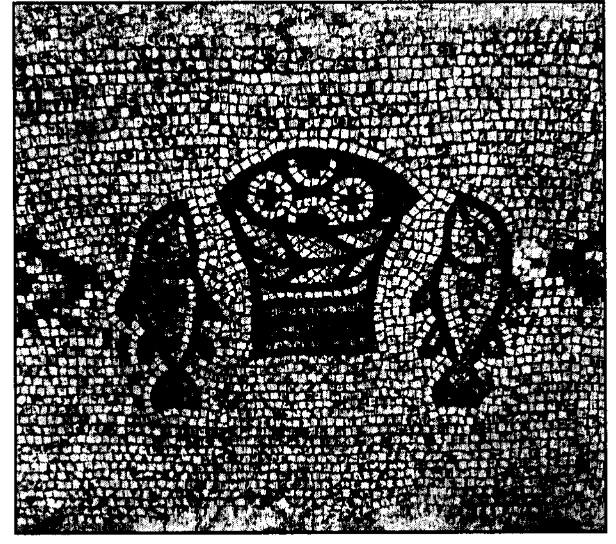
توجد في رابًا الحالية أطلال لكنيسة، بها نقوش، مع ذكر اسم الأسقف يوحنا (٧٩٧-٧٩٨م)، وكذلك يوجد ذكر لرئيس الأساقفة ويدعى اسطفانوس، وفي إحدى الكُوى، وجدت استغاثة للثيؤتوكوس (السيدة العذراء والدة الإله).

(٢٦) زؤارا- جور الصافي

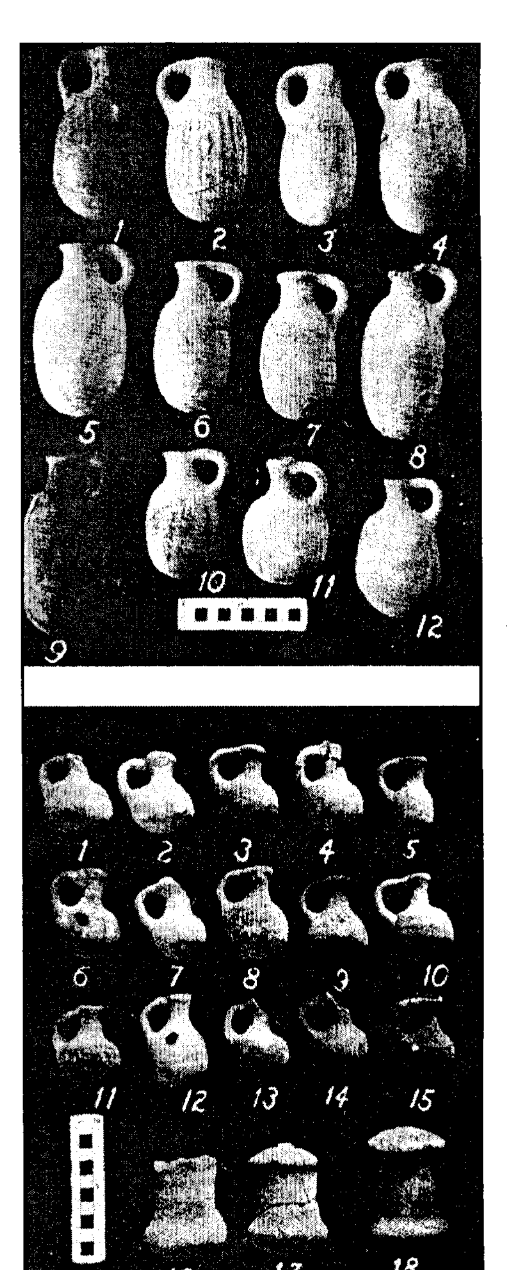
تقع زؤارا جنوبي الطرف الجنوبي للبحر الميت. وتسمى جور الصافي حاليًا. وتوجد في حور الصافي كنيسة على اسم لوط، وكذلك توجد عدة أعمدة وأشكال لصلبان، وكذلك توجد عليها نقوش، ويوجد بها بعض الخزف، وتوجد بعض المواد المتشابهة في أرنديلا (القديمة) جاراندال الحالية.

(٢٧) فينان

كانت فينان Feinan معروفة للمضطهدين. كما



صورة لرسم من الفسيفساء يمثل معجزة إشباع الجموع ويظهر فيها السمكتان والخبز. والصورة جزء لأرضية كنيسة بُنيت في القرون الأولى بالقرب من بيت صيدا



نماذج لأوان خزفية من فلسطين

يوجد بها أطلال العديد من الكنائس، وهي مزدانة بالعديد من النقوش والكتابات وإحدى هذه الكتابات مدونة في زمن الأسقف ثيؤدور (٥٨٧ - ٥٨٨م). وبعض هذه الكتابات شواهد لقبور **(موسوعة الكنيسة الأولى)**.

(٢٨) أيلة (أيلا)

توجد بالعقبة Aqaba (أيلا قديمًا) بعض الآثار المسيحية، ويوجد عمودان، أحدهما عليه صورة تجمع القديسين لونجينوس وثيودورس، وملاكين يحملان الكرة الأرضية، أما العمود الآخر فعليه رسوم لمارجرجس، وايزيدور، وكل صورة تقترن باسم القديس الذي تصوره. **(موسوعة الكنيسة الأولى)**.

(٢٩) كابيتولياس- بيت راس

توجد في كابيتولياس (بيت راس حاليًا) آثار مسيحية، حيث توجد كنيسة منهدمة في وليلي القادر WeliEl- Khader . وتوجد بالمدينة تماثيل جميلة. غير أننا لا نعرف منها على وجه الدقة تاريخ دخول المسيحية إليها.

(٣٠) إليوسا

تقع إليوسا جنوب شرقي بير سبع.

وكانت إليوسا -أو خلاصا Khalasa- المدينة الرئيسية في النقب Negev، وتماثيلها -حاليًا- مدفونة في الرمال. غير أن أعمال الحفائر قد كشفت عن كنيسة ضخمة، ويوجد في مركز حضن



الآب الأوسط كرسي واحد، وهو على شكل سلم ذي سبع درجات. وإنه لمن الصعب أن ترتقيه. والكنيسة مغطاة بالرخام، وكذلك غرفة الكاهن.

(٣١) بيت يراك

لم يرد أي ذكر في الكتاب المقدس عن بيت يراك Beth-Yarak . ويقع في أقصى جنوب طبرية. وتوجد أطلال بيت يراك التي تتمثل في مجمع، وكنيسة بها جُرن للمعمودية، وكتابات تذكر الشهيدين إلياس وباسيلي، مقرونة بتاريخين، (٥٢٨ م و٥٢٩م).

(٣٢) كاراكموبا - كِراك

توجد أطلال كنيسة بيزنطية بكِراك الحالية. وتحتفظ بنحو مائتي نقش وكتابات يونانية. والعديد منها كتابات لقبور، ويرجع تاريخها إلى ما بين ٣٧٥- ٦٦١م.

ومازالت القرى تحتفظ بأطلال مسيحية، من بينها أديرة، على سبيل المثال، صومعة الحابس، في وادي الدفالي، وكذلك توجد بعض الرسوم المسيحية.

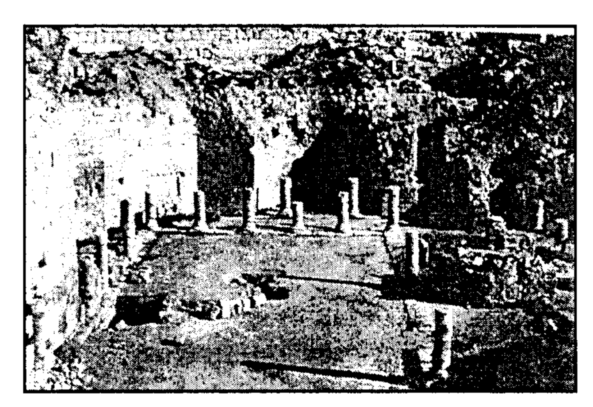
❁ ❁ ❁ ❁ ❁



الباب الأول

الفصل الثالث

الكنيسة في قيصرية فلسطين



صورة لقصر هيرودس الأول في هيرودية بأورشليم

نبذة تاريخية

قيصرية فلسطين أو قيصرية البحرية.. كانت العاصمة الدينية والمدنية لفلسطين -سورية الرومانية- البيزنطية. وهي تمتد على ساحل البحر المتوسط في منطقة مهمة. حيث كانت في البداية ميناءً عسكريًا لروما. ومؤسسها هو هيرودس الأول. وهي تبعد عن أورشليم بنحو ٦٥ ميلاً. وإلى الجنوب منها يقع ميناء يافا، على مسافة نحو ٢٥ ميلاً **(موسوعة زوندرفان)**.

كانت يافا ميناءً يقع إلى جنوبي الكرمل محاطة بالجبال التي تحميها. وكانت مبانيها تعبر عن أعمال هندسية فذة. وهناك أُقيم حاجز للأمواج على مساحة شاسعة بلغ عرضها ٢٠٠ قدم ليحميها من عواصف الجنوب.

استغرق بناء مدينة قيصرية نحو اثنى عشر عامًا حيث تم الانتهاء من بنائها في سنة ١٠ ق.م أو ٩ ق.م وذلك بتحويل "برج ستراتو إلى مدينة هيلِّينستية ليهرودس الكبير. والذي أطلق عليها اسم "قيصرية" وذلك بهدف تكريم أوغسطس قيصر **(موسوعة الكنيسة الأولى)**. وكانت بها العديد من الأماكن التي يتجمع فيها الناس فكانت تضم مسرحًا، ومعبدًا لروما وأوغسطوس، وكذلك مصرفًا للمياه يدل على مدى ما وصلت إليه مهارة ودقة هندسة الرومان. وقد اكتشف حجر من بقايا أحجار مسرحها القديم وقد كتب عليه إهداء يحمل اسم بيلاطس البنطي. غير أن الميناء أدى إلى تحجيم أهمية المدينة. وقال تاسيتوس عنها قيصرية عاصمة اليهودية. وكانت مقرًا لثلاثمائة جندي. كما وجدت عملة لنيرون تحمل على وجهيها قيصرية "بواسطة أوغسطس" و "ميناء". كما كانت ثكنة لحامية كانت تستقر هناك. وكان بها مقر الوالي.

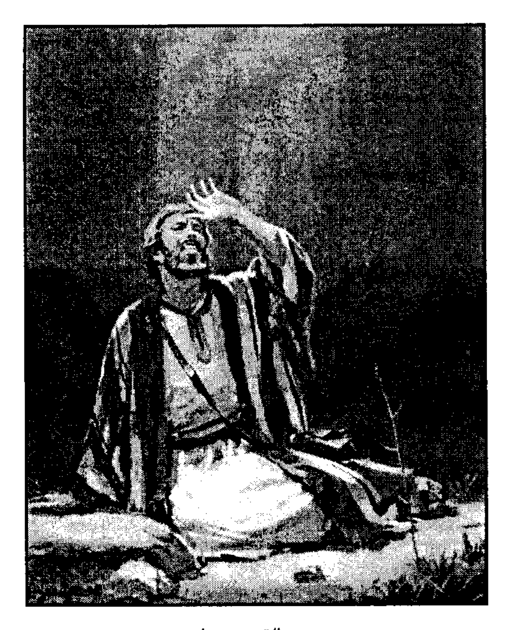


وكانت تجري بها أنابيب مياه، تحمل المياه للمدينة، وكانت تمر على قنطرة مصنوعة من الحجارة، وكانت موضع تهديد هجوم الأعداء.

ويبدو أن المدينة كان بها نظام لإمداد السفن، حيث يبدو أنه كان بها ميناء آمن للإدارة الرومانية، حتى أثناء التمرد والعصيان.

تعرض يهود المدينة لمذبحة عندما انفجرت الثورة في سنة ٦٦م، حيث كان بولس -آنذاك- من السجن، وبذلك كان في مأمن من المذبحة كما وجد فيها هيرودس الأخير (أغريباس) وبرنيكي، ملجأً لهما في أثناء الحرب. وبعد العصر الروماني فقدت المدينة أهميتها. ويمكن الآن ملاحظة دفاعاتها الحصينة، وقد اختلطت بما تبقى من آثار ونُصُب رومانية. ثم وقعت بعد ذلك في أيدي العرب بعد الفتح العربي في سنة ٦٣٨م.

كانت قيصرية هدفًا لكرازة الرسل. وقد أقام هناك فيلبس الشماس: أحد الشمامسة السبعة نحو سنة ٣٥م (أعمال الرسل ٨: ٤٠ و٢١:٨). وهناك اعتمد كرنيليوس -قائد مئة من الكتيبة التي تدعى إيطالية- بعد أن حلَّ الروح القدس على كل من كانوا يسمعون الكلمة. وحيث اندهش المؤمنون الذين من أهل الختان كل من جاء مع بطرس لأنَّ موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً (اقرأ أعمال الرسل ص ١٠، ١١:١١-١٧ قارن ١١:١٢).


صورة للقديس بولس

وفي نحو عام ٣٧م، ونحو عام ٥٢م زارها القديس بولس. ثم سجن وحوكم هناك (٥٨-٦٠م) (أعمال أصحاحات ٢٣-٢٦). وبدأ الرسول بولس رحلته من قيصرية إلى روما. (أعمال ١:٢٧).

إن أول أسقف -معروف- لقيصرية فلسطين هو الأسقف ثيؤفيلس (١٣٥م). ثم بعد ذلك بنحو قرن من الزمان أسس العلاَّمة أوريجانوس مدرسة حققت شهرة "واسعة" **(انظر تأسيس مدرسة جديدة للاهوت في قيصرية الجزء الثاني من الموسوعة صـ ٩٤)**. ثم قام بمفيلوس بإحداث توسعات وتغييرات بها. وكان القديس يوحنا ذهبي الفم أحد التلاميذ ممن درسوا بها، وكذلك يوساببيوس المؤرخ القيصري



المعروف والذي أصبح فيما بعد أسقفًا للمدينة. وقد كتب بعض الأحداث الخاصة بمدينته، ولشهدائها. **(موسوعة الكنيسة الأولى)**.

وقد ميزها -أي قيصرية- قانون رقم ٧ الصادر عن نيقية في عام ٣٢٥م، ثم بعد ذلك اندمجت مع بطريركية أورشليم في عام ٤٥١م، وكانت مدينة قيصرية هي مدينة الأسقف، ومكان يتبعها في فلسطين نحو ٢٨ أسقفًا مساعداً. وكان من بين الأشخاص ممن لهم قيمة تاريخية أكاكيوس، بروكوبيوس الغزاوي **(ارجع إلى مادة غزة في موضعها بهذا الجزء من الموسوعة)**. بروكوبيوس الآخر، جلاسيوس، ويوحنا القيصري، ويوحنا خوزيبيتا.

وقد ساعدت عوامل عديدة على ضعفها، وضعف الكنيسة، ومن بين هذه العوامل، المذبحة التي قام بها السامريون وقتلوا فيها المسيحيون هناك في سنة ٥٥٦م. ثم بعد ذلك وقت أن احتلها الفرس في سنة ٦١٩م.

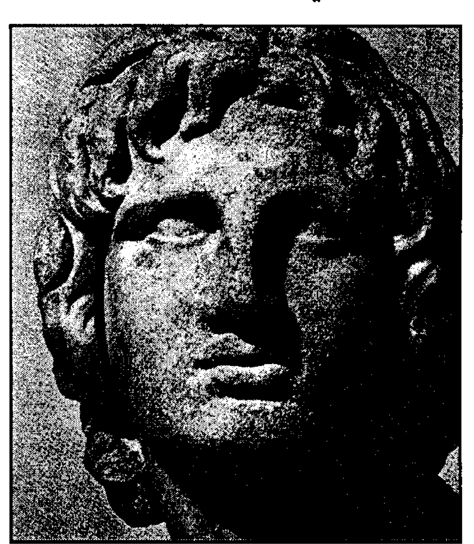
❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الباب الأول **الفصل الرابع**

الكنيسة في غزة

"ثم إن ملاك الرب كلَّم فيلبس قائلاً قم واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة التي هي برية. فقام وذهب" (أعمال ٨: ٢٦ و٢٧).

غزة معناها القوية. وتقع إلى الجنوب الغربي من فلسطين على ساحل البحر المتوسط. وهي إحدى المدن الرئيسية في فلسطين. ولذلك فلها مكانة متميزة في التاريخ. وكانت غزة مطمعًا لكل



تمثال للإسكندر الأكبر

الجيوش التي غزت المدينة، ومن بينها الإسرائيليون، والأشوريون، وغيرهما... ووقعت المدينة في قبضة الإسكندر الأكبر، بعد نحو خمسة أشهر من حصارها، في سنة ٣٣٢ ق.م. وفي سنة ٩٦ ق.م. دُمرت في عهد إسكندر يحنس. وقام الوالي الروماني جابنيوس -حاكم سورية- بإعادة بنائها ولكن جنوب غربي المدينة القديمة، إلى جانب الميناء. وهكذا أصبحت لغزة أهمية استراتيجية بإشرافها على الميناء، ولأنها تقع على الحدود مع الصحراء في الجنوب، ولأن من جهة الشرق يوجد طريق يؤدي إلى مدينة بترا (بالأردن). وكذلك إلى بئر سبع.

كانت غزة مركزًا للعبادة الوثنية، وكانت تعرف بمعابدها الوثنية، حيث كان يوجد بها ثمانية معابد وثنية، ومن بينها هيكل لإله الشمس، ڤينوس، وأبوللو. وكان أعظم تلك الهياكل، هيكل مارنيون، للإله مارناس، وكان أعظم آلهة المدينة آنذاك، والذي يمثل الإله زيوس الكريتي المولد. كان الميدان الرئيسي بالمدينة يزدان بتمثال من المرمر للإله أفروديت. وكانت تقام مهرجانات سنوية للألعاب على اسم الامبراطور هادريان، بدأت عندما كان

في زيارة للمدينة في سنة ١٣٠م. وخلال القرن الرابع كانت تلك المهرجانات هي الأكثر شهرة في سورية.

وقد فصل الامبراطور قسطنطين غزة عن مدينة مايوما القريبة منها، لأنها فضلت الديانة الجديدة (المسيحية). وقد أعيد تسميتها من جديد، فأخذت اسم قسطنطيا. إلا أن يوليانوس أعاد توحيد المدينتين.

ولا نعرف على وجه الدقة تاريخ دخول المسيحية إلى غزة. وإنما من المؤكد أنها لم تكن قد قبلت المسيحية على مدى واسع. ويذكر ماير Meyer أن سكان غزة كانوا ضد دخول المسيحية هناك، وربما كان ذلك بسبب الأرباح المادية التي كانت تعود على أهل المدينة من وجود المعابد الوثنية بها.. ويذكرنا ذلك بما حدث مع الرسول بولس في "أفسس" **(ارجع إلى الجزء الأول من هذه الموسوعة صـ ٤٤ وما بعدها).**

وربما يفسر ذلك اعتناق أهل غزة المسيحية في وقت متأخر نسبيًا، حيث كان ذلك في القرن الخامس الميلادي. وذلك عندما أصدر الامبراطور أركاديوس مرسومًا يمنع فيه عبادة الأوثان، وكذلك للغيرة الشديدة للقديس بورفيروس (فورفيروس)، وكانت تسانده الامبراطورة يودوكسيا، والتي قامت ببناء كنيسة كبيرة، سُميت يودوكسيانا وذلك على أطلال معبد مارنيون. وكانت لمنطقة غزة، ثلاثة أساقفة، أسقف على غزة، وثان على مايوما، وثالث على أنثيدون، وكان من بين المعروفين في مدرسة غزة في القرنين الخامس والسادس.. زوسيموس، بروكوبيوس، كوريشيوس، إيزيدور، إيناس، تيموثاوس، ويوحنا. وقد انعقد بها مجمع في سنة ٥٤١م أو ٥٤٢م. ومن أكثر الأساقفة شهرة الأسقف فورفيروس أسقف غزة وقد ولد في سنة ٣٤٧م في عائلة غنية. **(موسوعة زوندرفان)**

على الرغم من أن المدينة كان بها العديد من الكنائس المزدانة بالفسيفساء، إلا أنه لا يوجد أي أثر يدل على وجود أي منها حتى الآن.

ويوجد العديد من النقوش والتي ترجع إلى القرن السادس، وهي شواهد قبور، مسجل عليها إيمان اثنين من الشمامسة هما "ألكسندر" و "باتريشيوس".. كما توجد عبارة مسجل عليها الأمنيات لهما بالراحة في المسيح بين القديسين. والنقش اللاتيني يذكر اسم "چوڤينال" ويرجح أنه بطريرك أورشليم.

أما عن الأديرة التي توجد في المنطقة، فتوجد عليها كتابات ونقوش، وبعض الأعمال الفنية، مسجل عليها تاريخ يرجع إلى القرن السادس. ولا يوجد أي دليل أو أثر يميز أيًا منها في الأهمية.

أول شهيد في غزة

يذكر ماير Meyer أن أول شهيد معروف اسمه، هو الأسقف سلوانس، واستشهد في سنة ٢٨٥م. وبعد تفجر موجة جديدة من الاضطهادات، في عام



٢٩٣م، أي الموافق للعام التاسع من حكم دقلديانوس، نال كل من تيموثاوس، وأغابيوس، وتكلا، إكليل الشهادة، بعد أن ذاقوا ألواناً من العذابات، في مدينة غزة.

وفي نفس العام، قطعت رأس الشاب ألكسندر في قيصرية فلسطين، لاعترافه بالإيمان المسيحي. وفي عام ٢٩٩م قبضوا على بعض المسيحيين من المجتمعين بغرض قراءة الكتاب المقدس، ومثلوا بهم. واستمر الاضطهاد الروماني لهم فيما بين عامي ٣٠٢-٣١٠م.

وفي أثناء حكم قسطنطين بذلت جهود من أجل تخفيض حدة التوتر في غزة... وكانت للمعجزات التي حدثت على يد الناسك هيلاريون أثرها في ذلك أيضًا. غير أن الأمر لم يدم طويلاً، ففي أثناء حكم يوليانوس المرتد (٣٦٠- ٣٦٣م) أحدث كثيراً من المتاعب لساكني البرية من الرهبان. ويذكر المؤرخ سوزومين أن كثيراً من الفظائع قد ارتكبت ضد المسيحيين، في ذلكم الوقت، حيث قطعت رؤوس ثلاثة من الإخوة، ثم بعد ذلك، أُحرقت جثثهم (تاريخ الكنيسة: سوزومين ٩:٢). كما قتلوا الشيوخ، وصغار البنات، وألقوا بهم للوحوش. ثم كانت نهضة في بناء الكنائس والأديرة، بعد موت يوليانوس.

****

❁ مدرسة غزة

لا نعرف على وجه الدقة تاريخ بداية المدرسة، وكذلك لا نعرف تاريخ مؤسسها عالم النحو والصرف زوسيموس. ويوجد كذلك عالم آخر هو إنياس (نحو ٤٨٤م)، وكان يتميز بمعرفته الواسعة بالكلاسيكيات. كما يوجد رجال آخرون من مدارس أخرى مثل تيموثاوس ويوحنا. وزكريا الذي أصبح أسقفًا على متيلن فيما بعد. أما بروكوبيوس Chor-icius فهو يعد أحد أبرز الأعضاء ممن اتصلوا بالمدرسة. وقد أصبح تلميذه كوريكيوس Choricius خليفة له في رئاسة المدرسة. وكان قد درس بالإسكندرية قبل ذهابه إلى غزة وقد تألق فيما بين ٥٢٠- ٥٣٠م تقريبًا. وكتاباته العديدة تعكس ولعه بالآداب اليونانية والفنون المسيحية والعمارة.

كما أن بروكوبيوس القيصري تلقى بعض الدراسات في مدرسة غزة، وهو يعتبر الوحيد، الذي استمر في الكتابة التاريخية.

****

❁ القديس هيلارويون

كل ما نعرفه عن القديس هيلارويون، مصدره القديس چيروم. ولد القديس هيلارويون في فلسطين، بالقرب من غزة في قرية ثواتة Thawatha



وهي تقع جنوبي غرب غزة بنحو ٤ كيلومترات. وغير معروف على وجه اليقين تاريخ ولادته ويرجع أنه ٢٩٠م أو ٢٩١م، وتوفى سنة ٣٧١م. وهو سليل عائلة وثنية. تلقى تعليمه في الإسكندرية بمصر، حيث اعتنق المسيحية.

قبل عودته إلى فلسطين، زار القديس الأنبا انطونيوس في البرية. ويعتبر هيلاريون هو أول راهب ناسك في فلسطين. وقد عاش متوحداً في البرية، بالقرب من غزة، لعدة سنوات. ولأنه كان تقيًا، وجرت على يدية كثير من المعجزات، كان مقصداً لكثيرين. ثم قام بزيارة لمصر مرة أخرى، ليعيش متوحداً هناك ولمَّا تبعه مريدوه، سافر إلى صقلية ومنها إلى قبرص، حيث توفى هناك [موسوعة الكنيسة الأولى، Online Encyclopedia (by Timothy Seid]

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الباب الأول الفصل الخامس

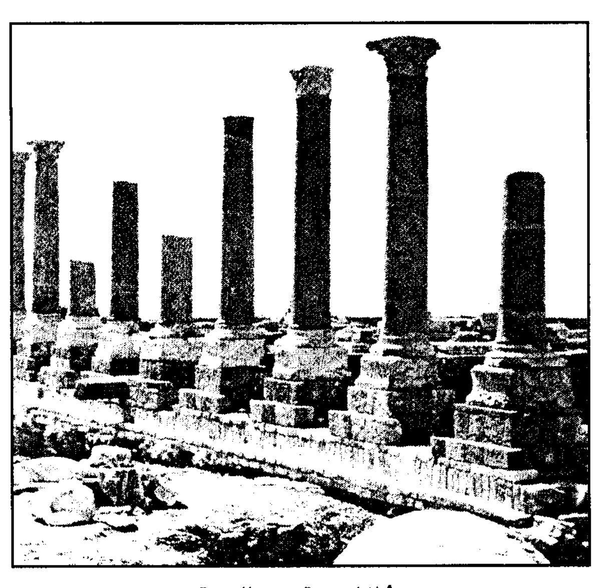
الكنيسة في صور

صور ابنة صيدون (إشعياء ٢٣: ١و١٢)

الموقع والنشأة

تقع صور جنوبي ميناء صيدون بنحو ٢٥ ميلاً، وبنحو ١٥ ميلاً شمالي الحدود اللبنانية مع فلسطين. ويرجع المؤرخ هيرودوت (٤٩٠- ٤٣٠ ق.م) تاريخ نشأة المدينة إلى نحو سنة ٢٧٤٠ ق.م. أما يوسيفوس فيرى أن نشأتها ترجع إلى سنة ١٢١٧ ق.م. وهذا التباين الكبير بينهما يجعل ظلالاً من الشك تحوم حول الرقمين. وإن كان يرجح رأي هيرودوت. والعنصر المفتقد في مثل هذه التواريخ هو تحديد التاريخ الفعلي الذي جاء فيه الفينيقيون إلى الشريط الساحلي بين جبال لبنان والساحل.. وثمة ملاحظة جديرة بالذكر وهي أنه بالحفر في أكثر من موقع على الساحل -بين مدينة جبل Gebal ومدينة صور- تكتشف طبقة من الحجر الجيري تحت ركام من البقايا والأطلال الفينيقية، وهي نفسها مغطاة بطبقات ثقيلة ترجع إلى العصور اليونانية والرومانية، وأحياناً عصر الفرنجة.

كانت صور مدينة فينيقية قديمة، وسكانها



أطلال مدينة صور القديمة

الذين عاشوا فيها في القرن الثامن قبل الميلاد، أسسوا العديد من المستعمرات غربي البحر المتوسط، من بينها قرطاجة (بتونس) وهيبو (بالجزائر).

استولى الإسكندر الأكبر على مدينة صور في سنة ٣٣٢ق.م. وفي سنة ٦٤ ق.م. جعل منها بومبي ولاية رومانية. ولمساعدة سكانها لسبتميوس ساويرس في معركته ضد بسينيوس نيجر، فقد اهتم بتجميلها ورفع من شأنها. وكانت مركزاً

تجاريًا مهمًا، ومما زاد من ذلك، موقعها كميناء، وما اشتهرت به من صناعة للزجاج والأقمشة. وقال عنها جيروم إنها أفضل مدينة في فينيقية في تفسيره (حزقيال ٢٦:٧، ٢٧: ٢) ووقعت تحت الحكم العربي في سنة ٦٣٨م.

اقترن اسم صور عدة مرات في الكتاب المقدس بصيدون (متى ١١: ٢١ قارن ١٥: ٢١، مرقس ٣:٨، ٧: ٢٤، لوقا ٦: ١٧، ١٠:١٣) وعندما زارها القديس بولس في سنة ٥٧م تقريبًا وجد فيها مسيحيين (أعمال الرسل ٢١: ٤-٧).

وطبقًا لأعمال كليمندس المنحولة، فإن بطرس كرز هناك (Hom. 3:38).

ويذكر م. سيمونيتي أن أول أسقف معروف لها هو كاسيوس، وهو الذي شارك في مؤتمر سنة ١٩٠م للبحث في مسألة الفصح (يوسابيوس القيصري ٥:٢٥).

كما ذكر ديونيسيوس السكندري في منتصف القرن الثالث الأسقف مارينوس، أسقفًا لها. (يوسابيوس ٧:٥:١).

وبحسب جيروم وأبيفانوس وفوتيوس فإن العلاَّمة أوريجانوس توفى هناك. (Jerome, De Vir. ill. 54: Photius, Bibl., cod. 118, cf. Epiph., Pan. LXIV, 3,6: PG 41, 1074) (انظر موسوعة الكنيسة الأولى).

ويذكر چيروم أيضًا أن ميثوديوس الأولمبي كان



الشارع الرئيسي في مدينة صور القديمة

أسقفًا لصور (De Vir. ill. 83). وكان أريان أورانيوس في منتصف القرن الرابع أسقفًا لها، وخلفه زينون الثاني، والذي رسمه ميليتيوس الأنطاكي (يوسابيوس ٢:٤١). وقد قدمت صور الكثيرين من الشهداء في الاضطهاد الذي شنه دقلديانوس، وكان من بينهم الأسقف تيرانيون (يوسابيوس ٨:١٣:٣)، وأولبيانوس (شهداء فلسطين ٥:١). وكان يوسابيوس حاضرًا بنفسه بعض هذه الاضطهادات (يوسابيوس: ٨:٧). وقد صدر من صور الخطاب الذي أرسله مكسيمينوس دايا، يشكر فيه سكانها من أجل صدور مراسيم ضد المسيحيين. (يوسابيوس ٩: ٧).

وقد عُيِّن القس المثقف دورثيوس، ربما من قبل الامبراطور دقلديانوس، ليتولى أمر أعمال صباغة المنسوجات في المستعمرة. وقد سمعه يوسابيوس

في الكنيسة يقوم بشرح الكتاب المقدس.

ويرجح سيمونيتي أن المجتمع المسيحي في مدينة صور، كان مجتمعًا كبيرًا، وغنيًا، إذ أنه بعد الاضطهاد العظيم، استطاعوا أن يبنوا كاتدرائية. وقد وصف يوسابيوس القيصري الكنيسة في الخطاب الذي ألقاه في مناسبة افتتاح الكنيسة التي يقول عنها إنها أفخم المباني في فينيقية. وكان ذلك في عهد بولينوس أسقف صور، وكان قسًا في أنطاكية قبل ذلك. (يوسابيوس ١٠:٤:٢-٢٧، ١٠:٤:١).

وقد أظهرت الحفائر الحديثة -كما يقول باجاتي- بعض الآثار المسيحية، عند حدود مدينة صور. فثمة قوس تذكاري في كنيسة صغيرة، وقد زين الحائط بالفسيفساء، في تصوير للعذراء والقديسين. وكثير من النقوش والكتابات تشير إلى وظيفة المتوفي. فمن بين اثنين من الشمامسة المتوفين، أحدهما نجار والآخر يعمل صائغًا للذهب. وكذلك توجد عبارات من التشفع بالسيدة العذراء.

وفي منطقة قريبة من صور فإن أرضية كنيسة القديس كريستوفر في حيرام، مصنوعة من الفسيفساء التي تزينها أشكال عادية من الحياة اليومية، وفصول السنة، وتتداخل معها أشكال لها دلالات لاهوتية فضلاً عن ليتورجية **(موسوعة الكنيسة الأولى). (برجاء العودة إلى ١٢ بيت صيدا بالفصل الثاني من الباب الأول وكذلك مادة فينيقية بالباب الثاني في موضعها من هذا الجزء).**

المجامع

مجمع عام ٣٣٥م.

في أعقاب مجمع ٣٢٥م بنيقية حدثت ردود أفعال نتيجة للقرارات التي اتخذها المجمع **(ارجع إلى مجمع نيقية بكنيسة أنطاكية).**

كان يوسابيوس القيصري رئيس المجمع، وحضر المجمع نحو ١٥٠ أسقفًا، وحضر من مصر ٥٠ أسقفًا كما كان حاضرًا القديس أثناسيوس، وخصومه من الأريوسيين والميليتيين. حيث دبروا له في ذلكم المجمع ولفقوا له الكثير من الاتهامات الباطلة.. وقبل أن يصدر المجمع قراراته -والتي كانت فيما يبدو ضد القديس- ترك القديس أثناسيوس المجمع في صور وأبحر إلى القسطنطينية في رفقة أربعة من الأساقفة لمقابلة الملك قسطنطين. وبعد أن قابلوه -بصعوبة- استطاع أثناسيوس أن يشرح للملك ما يدور في المجمع من مكائد تدبر ضد أثناسيوس. فأرسل الملك للأساقفة معنفًا لما آلت إليه أحوال المجمع. ولذلك استشعر يوسابيوس من رد الامبراطور مقدار الخطر الذي يتربص بهم. لذلك أبحر يوسابيوس ومن في زمرته إلى القسطنطينية، حيث دبروا مكيدة أخرى أكثر هولاً على نفس الامبراطور شخصيًا. وهي أن أثناسيوس يهدد

بأن في إمكانه أن يمنع القمح الذي يرسل إلي القسطنطينية من الإسكندرية. فاهتاج الامبراطور غضبًا عند سماعه ذلك. وهكذا استطاعوا أن يحققوا مآربهم، حيث نفاه الامبراطور إلى ترييرِ (تريڤ) Trier عاصمة بلاد الغال آنذاك (فرنسا حاليًا).

وثمة مجامع أخرى عقدت في القرنين الخامس والسادس **(القديس أثناسيوس الرسولي: الأب متى المسكين: موسوعة الكنيسة الأولى، موسوعة زوندرڤان، شاف: مرجع سابق).**

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الباب الأول

الفصل السادس

شهداء فلسطين

ترصع تاريخ المسيحية، صفحات من الفخار والاعتزاز والصمود أمام موجات جارفة من الاضطهادات، تقابلها موجات من الشهادات.. فارتوت شجرة المسحية بدماء الشهداء الذكية.. فأثمرت إيمانًا راسخًا، نقيًا..

لقد أفرد المؤرخ يوسابيوس القيصري في كتابه الثامن من مؤلفه القيم تاريخ الكنيسة، بابًا كاملاً يتألف من ثلاثة عشر فصلاً عن شهداء فلسطين وحدهم.

وكان الاضطهاد المبكر في القرن الأول الميلادي إحدى تلك الموجات التي لاطمت حياة المسيحيين في مختلف عصورهم.. ففي عهد الوالي فلافيانوس حاكم فلسطين آنذاك.. شهد المسيحيون ألوانًا من المحن.. حيث أمر بهدم كنائسهم.. وحرق كتبهم المقدسة، وعزل كل الموظفين.. لقد صادر حريتهم في ممارسة عقيدتهم.. وفضلاً عن ذلك أمر بسجن كل أساقفة الكنائس.. وانتشر الاضطهاد في ربوع فلسطين.

وبروكوبيوس هو أول شهداء فلسطين، حيث نال الشهادة بقطع رأسه لرفضه تقديم الذبائح لآلهة الأوثان. أما رومانوس الفلسطيني فكان شماسًا في قيصرية، ولكنه كان في أنطاكية.. وسمع بتعرض الكنائس للهدم.. وكان شديد الجرأة.. فاعترض على ذلك.. وتعرض لعذابات كثيرة.. فقُطع لسانه، وأخيراً نال إكليل الشهادة شنقًا.

أما في غزة بفلسطين في القرن الثاني، في عهد أوربانوس.. فقد نال كل من تيموثاوس وأغابيوس، وتكلا أكاليل الشهادة، بعد أن تعرَّضوا لعذابات كثيرة. كما نال في قيصرية فلسطين ثمانية من المسيحيين المؤمنين أكاليل الشهادة في يوم واحد، بل وصل عدد من قطعت رؤوسهم في يوم واحد ثلاثة وتسعين شهيداً، بناء على أمر مكسيمينوس.

وفي قيصرية أيضًا، في عهد مكسيمينوس قيصر نال الشاب أبيفانيوس إكليل الشهادة بعد عذابات وحشية تعرَّض لها.. ومات محترقًا بالنار وجسده مثخن بالجراحات.

واستمرت الاضطهادات.. وتشهد العذابات

المروعة التي تعرَّض لها المسيحيون في فلسطين إلى قوة إيمانهم بإلههم.. ولم تقتصر العذابات على الرجال فحسب، بل تعرَّضت لها كثيرات من النساء والفتيات أيضًا.. في مدينة صور تعرضت فتاة في الثامنة عشر من عمرها إلى عذابات وحشية قبل أن تلقى في أعماق اليم وهي على قيدة الحياة.

وتنوعت العذابات الوحشية من فقء العيون.. والكي بالنار.. والإلقاء بالمؤمنين وهم أحياء للوحوش.. والجلد بقسوة وعنف. أو العمل في مناجم النحاس بفلسطين..

ويستمر الاضطهاد بقسوة لمدة ثماني سنوات.. وينال كثيرون إكليل الشهادة.. قبل أن تهدأ تلك العواصف العاتية التي هبت على الكنيسة في الشرق. **(تاريخ الكنيسة: يوسابيوس المؤرخ القيصري: الكتاب الثامن، انظر أيضًا الكتاب السابع الفصل الثاني عشر).**

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ثانياً:

شخصيات
من كنيسة فلسطين

١- هيجيسيبوس (الكاتب العلماني)

أ. الزمان والمكان

- النشأة

وُلد هيجيسيبوس Hegesippus في فلسطين في سنة ١١٠م، ويرجح أنه سليل عائلة يهودية. عرف طريقه إلى الإيمان المسيحي في سنة ١٥٠م.

ب- أسفاره

كانت الغنوسية قد انتشرت في ذلكم الوقت. لذلك سافر إلى كورنثوس في عهد الأسقف بريموس، ومنها إلى روما في عهد الأسقف أنيسيتوس، رغبةً في الحصول على التعليم النقي. فقابل عدداً كبيراً من الأساقفة في كل بلد زاره. وقد اتفقوا جميعًا في التعليم الذي شرع يطلبه.

جـ- كتاباته

هيجيسيبوس هو أول من سجَّل التاريخ الكنسي. ولذلك فإن عمله "الذكريات" hypomnema-ta والذي يشمل خمسة كتب، كان أحد الروافد الرئيسية التي استقى منها يوسابيوس المؤرخ القيصري، تاريخ الكنيسة الأولى، لا سيما في أورشليم. وعندما فُقد عمل هيجيسيبوس في القرن السادس عشر الميلادي. كانت المعلومات التي نقلها عنه يوسابيوس بمثابة حفظ لها.

كان هيجيسيبوس مُلمًا باللغات المختلفة، فقد أجاد اليونانية والعبرية والسريانية. وقد كرَّس عمله في تفنيد إدعاءات الغنوسيين. وقد ردَّ كل الهرطقات السائدة -آنذاك- والانقسامات إلى اليهودية. وكان جُل اهتمامه يركز على التعليم السليم في كل مدينة زارها.

ويذكر عن الكنيسة في أورشليم أنه بعد استشهاد يعقوب أخي الرب، خلفه في الأسقفية، "سمعان بن كلوبا" عم "يسوع"، إذ يذكر أن كلوبا أخو يوسف النجار، ولذلك رشَّح الجميع سمعان لتولي الأسقفية، وكان ذلك في نحو سنة ٦٠م.

والقائمة التي ذكرها لأساقفة روما منذ عهد الرسل، تعد من الناحية التاريخية على قدر عظيم من الأهمية. **(موسوعة الكنيسة الأولى، يوسابيوس القيصري: مرجع سابق، المؤرخ شاف: مرجع سابق، كنيسة مدينة الله: أسدرستم.. وغيرها).**

****

٢- إسكندر الأورشليمي

هو أسقف كبَّدوكية. ولكن فيما كان في رحلة حج إلى الأراضي المقدسة (٢١٢م) تدخلت العناية الإلهية أن يكون إسكندر في أورشليم في تلكم الأيام. فقبلوه، ولم يسمحوا له بالعودة مرة أخرى، واختاروه ليعاون نركيسوس أسقف أورشليم المتقدم في الأيام (١٠٠-٢١٦م)، ثم لكي يخلفه.

ولدوره في كنيسة أورشليم نذكره هنا.

في سنة ٢٠٢م اعترف بإيمانه في وقت الاضطهاد الذي شنّه سبتميوس ساويرس (١٩٣-٢١١م). وتوفى في السجن في عهد دسيوس في نحو سنة (٢٥٠م).

يذكر يوسابيوس المؤرخ القيصري الرسائل التي أرسلها إسكندر إلى أنتينوس. وفي بعض تلك الرسائل يذكر كليمندس السكندري، وأوريجانوس وكذلك يذكر علاقته بكل من بنتينوس وكليمندس حيث تتلمذ عليهما. وفي رسالة إلى كنيسة أنطاكية يذكر أنه أرسلها إليهم بيد كليمندس (القس).

وكان إسكندر صديقًا لأوريجانوس، ومدافعًا عنه في بعض ما أثير من جدل ضده. كما أنه دعاه عندما كان ما يزال علمانيًا لكي يعظ. وقد لقى في ذلك معارضة ديمتريوس أسقف الإسكندرية. وقد سامه -وثيؤكتسوس- قسًا في نحو سنة ٢٣٠م. وكان نتيجة لذلك أن أُثيرت الكثير من العواصف في الإسكندرية.

تأسيس مكتبة أورشليم

أسَّس مكتبة مسيحية في أورشليم، وقت أن كانت المدينة تسمى "عاليا". (انظر أورشليم). وهي تعد أقدم المكتبات المسيحية **(كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى: أسدرستم).**

وقد أهدى له كليمندس السكندري أحد أعماله. وكان إسكندر موجودًا في إحدى عظات أوريجانوس، فقال عنه: "لقد فاقنا جميعًا في النعمة والعذوبة" **(موسوعة الكنيسة الأولى، تاريخ الكنيسة: يوسابيوس القيصري).**

****

٣- ثيؤفيلس القيصري

كان ثيؤفيلس Theophilus أسقفًا لقيصرية فلسطين، في ختام القرن الثاني الميلادي، في زمن البابا فيكتور (١٨٩ - ١٩٩م)، الذي جاء خلفًا لاليوثيروس، وقد شغلها ثلاث عشر سنة (يوسابيوس القيصري ٥:٢٢).

لا نعرف شيئًا عن حياته ونشأته. وكان الأسقف ثيؤفيلس مع الأسقف نركيسوس، أسقف أورشليم، مسئولين عن مجمع إقليمي، للبحث عن تاريخ عيد القيامة. وبناء على قرارهما كتبا منشورًا، وأرسلاه إلى روما أيضًا، وفيه أعلنا أنهما سيحتفلان بعيد القيامة في يوم الأحد بعد ١٤ نيسان. وهما يودان لوأن الرومانيين والسكندريين يتبعان تقليدهما الرسولي (يوسابيوس القيصري ٥:٢٢ وعن موضوع عيد الفصح انظر يوسابيوس القيصري ٥:٢٣)، **(موسوعة الكنيسة الأولى).**

****



٤- سكستوس يوليوس أفريكانوس

أ- الزمان والمكان

ب- أعماله

أ- الزمان والمكان

يدعو البعض "سكستوس أفريكانوس"، ويدعوه يوسابيوس "أفريكانوس"، بينما يسميه شاف "يوليوس أفريكانوس" **(شاف - مرجع سابق)**.

ونشير إليه هنا سكستوس يوليوس أفريكانوس. Sixtus (xystus) Julius Africanus ولد في العاصمة العالية أي أورشليم، لا في أفريقيا كما يمكن أن نستنتج من اسمه. عاش في النصف الأول من القرن الثاني. عمل ضابطًا في جيش سبتميوس ساويرس. واشترك في حملته ضد إديسا (الرها) في سنة ١٩٥م. وبناءً على تكليف من الامبراطور إسكندر ساويرس، أقام مكتبة في البانثيون بروما **(موسوعة الكنيسة الأولى)** في هيكل جميع الآلهة على مقربة من حمامات الإسكندر **(كواستن مرجع سابق)**. وقد ذكر ذلك في كتابه الثامن عشر من عمله Kestoi.

وفي الإسكندرية بمصر حضر محاضرات ليراكلاس **(لمزيد من المعرفة عن يراكلاس يمكن الرجوع إلى ٥- يراكلاس صفحتا ١٢٥، ١٢٦ من الجزء الثاني من هذه الموسوعة)**. وقد عرف أفريكانوس الإيمان المسيحي على يديه **(موسوعة آباء الكنيسة جـ٢)**. وأصبح من بين أصدقاء أوريجانوس، وعاش بعد ذلك في عمواس (نيكوبوليس) بفلسطين، حيث توفى هناك في نحو (أو بعد) سنة ٢٤٠م وهو في سن متقدمة. وعمواس التي عاش فيها ليست هي التي وردت في (لوقا ٢٤:١٣) ولكنها عمواس أخرى تقع على مبعدة ٢٢ ميلاً رومانيا من أورشليم **(شاف جـ٢)** **(لمزيد من المعرفة عن عمواس -نيكوبوليس انظر الفصل الخاص بالأماكن الهامة في فلسطين ٥- نيكوبوليس- عمواس)**.

كان فيلسوفًا، وقد واصل دراساته بعد اعتناقه المسيحية، وجعلها في خدمة الكنيسة. ويعد أول مؤرخ مسيحي يؤرخ لتاريخ العالم. **(شاف: مرجع سابق)**.

ويقول تقليد لاحق إنه كان أسقفًا لعمواس، غير أن كواستن يؤكد أنه لم يشغل منصبًا كنسيًا على الإطلاق (كواستن: مرجع سابق).

ب- أعماله

١- تاريخ العالم

٢- زخارف

٣- رسالتان

١- تاريخ العالم

يعد هذا العمل هو الرئيسي من بين أعماله. ويقع في خمسة كتب. ويمثل أول تاريخ للعالم رُتب

ترتيبًا زمنيًا. فقد رتب أحداث الكتاب المقدس مع ما يناظرها من أحداث في التاريخ اليوناني واليهودي، منذ بدء الخليقة وحتى سنة ٢٢١ م، أي السنة الرابعة لإيلاجابالوس Elagabalus، وقد حُسبت ٥٥٠٠ سنة حتى ميلاد السيد المسيح.

وقد ذكر يوليوس أفريكانوس أن الأرض كان مقدرًا لها أن تستمر ٦٠٠٠ سنة، وهو بذلك يُقَدِّر أن السيد المسيح سوف يبدأ حكمه الألفي بعد ميلاد المسيح بخمسمائة عام (حيث يبدأ سبت العالم). ويبدو أن هدفه في الأساس من وراء هذا العمل هو دراسة موضوع الحكم الألفي. وكما يقول كواستن فإنه كان يفتقر إلي النظرة النقدية فيما يتعلق بالمصادر التي استعان بها **(مرجع سابق)**.

ولم يتبقَ من الكتب الخمسة الخاصة بتاريخ العالم سوى بضعة شذرات فحسب. وتوجد أجزاء منه استعان بها يوسابيوس المؤرخ القيصري. في كتابه تاريخ الكنيسة **(شاف: مرجع سابق)**. وكانت ذات فائدة للمؤرخين اللاحقين أيضًا. **(كواستن: مرجع سابق)**.

٢- زخارف

يرى كواستن أن هذا العمل بمثابة دائرة معارف، فهو يتألف من ٢٤ كتابًا، مهداة إلى الامبراطور إسكندر ساويرس. وعنوانه "Kestoi" يشير إلي تنوع الموضوعات التي تناولها الكاتب. فيتناول موضوعات تتعلق بالحرب، الدواء، التاريخ الطبيعي، الزراعة، والسحر، وغيرها... وهي موضوعات كما ترى لها صفة الدنيوية.

والشذرات التي تبقت وحفظت من الضياع لم تبين أن أفريكانوس كان يفتقر إلى الفكر الناقد فيما كتبه فحسب، بل تبين أنه كان أيضًا يؤمن بشتى أنواع الخرافات والسحر.

وينكر البعض أن يكون أفريكانوس هو الكاتب نظرًا لمحتوياته الدنيوية، وللإهداء الموجه للامبراطور إسكندر ساويرس، بينما يرى البعض الآخر أنه ليس من الضروري إنكار ذلك. **(كواستن: مرجع سابق)**.

٣- رسالتان

نعرف أن ثمة رسالتين كتبهما يوليوس أفريكانوس. وقد ذكرهما في كتابه تاريخ الكنيسة المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري. إحداهما موجهة إلى أوريجانوس في نحو سنة ٢٤٠م. وفيها يشكك في صحة قصة سوسنَّة الواردة في سفر دانيال، ويرى أنها فكر خيالي منحول **(موسوعة الكنيسة الأولى)** وهنا يظهر الكاتب حكمًا وحسًا نقديًا بأكثر مما كان عليه الحال في كتابه المشار إليه في البند السابق **(كواستن: مرجع سابق)**. والنص الكامل لهذه الرسالة موجود حتى الآن. وتحتل هذه

الرسالة مكانة هامة عند بعض أصحاب النقد العالي لتاريخ الكنيسة الأولى. **(شاف: مرجع سابق)**.

أما الرسالة الأخرى، وهي الرسالة إلى أرستيدس، فتتبقى منها بضعة قصاصات فحسب، وتدور حول سلسلتي أنساب المسيح الواردة في إنجيلي متى ولوقا، وهو في هذه الرسالة يحاول أن يناغم بينهما، لذا فهو يفترض أن البشير متى اتبع النسب الطبيعي، أما لوقا البشير فقد ذكر النسب القانوني لمولد السيد المسيح حسب الجسد. **(شاف: مرجع سابق)**.

****

٥- ثيؤتكنوس القيصري

كان ثيؤتكنوس Theotecnus القيصري أسقفًا لقيصرية فلسطين. وقد خلف ثيؤكتستوس Theoct-istus ودمنوس Domnus (في فترة أسقفيته القصيرة) وكان ذلك بعد عام ٢٦٠م. وقد تتلمذ على أوريجانوس، وكان عضوًا في مدرسته وقد ذكره يوسابيوس المؤرخ القيصري وذكر عنه أنه معاصره **(تاريخ الكنيسة ٧:١٤)، (موسوعة الكنيسة الأولى)**.

حضر ثيؤتكنوس، وآخرون من تلاميذ أوريجانوس، المجمع الأول الذي عُقد ضد بولس الساموساطي، أسقف أنطاكية **(المرجع السابق ٧:٢٦)**. وشارك في كتابة الرسالة الختامية للمؤتمر (٧:٣٠:٢) وقد خلط فوتيوس بين ثيوتكتستوس وسابقه ثيوكتستوس في كتابه (Bibls Cod 232,118) **(موسوعة الكنيسة الأولى)**.

****

٦- بمفيلوس القيصري

ينحدر بمفيلوس (بامفيلوس) Pamphilus القيصري من عائلة نبيلة كانت تقيم في بيروت. شغل منصبًا عامًا. ثم بعد ذلك أصبح تلميذًا لبيريوس، الذي لُقِّب بأنه أوريجانوس الجديد. **(البابا شنوده: أوريجانوس الصغير (موسوعة الكنيسة الأولى)**.

انتقل بمفيلوس إلي قيصرية فلسطين وذلك لتدعيم المدرسة التي أسسها العلاَّمة أوريجانوس السكندري. وحينئذ سامه الأسقف أغابيوس كاهنًا.

وقد اتخذت تعاليمه -كما أوريجانوس- منحًى روحيًا، ومدخلاً كتابيًا. اهتم بالمكتبة الملحقة بالمدرسة ودعمها، وكان لتلك المكتبة أثر هام في تأليف يوسابيوس لكتاباته حيث كانت مصدرًا رئيسيًا، استقى من يوسابيوس معارفه. (انظر يوسابيوس القيصري المؤرخ). كما اهتم بإنشاء قسم (ورشة) لنسخ الكتب. أُلقي القبض عليه في سنة ٣٠٧م، حيث أمضى عامين في السجن، ثم بعد ذلك استشهد في ١٦ فبراير ٣١٠م في أثناء

حكم مكسيمنوس دايا.

وقد ذكر بعض نصوص لأوريجانوس، وبعضها غير معروف. ومن بين الموضوعات التي تعرض لها ودافع فيها عن أوريجانوس هي: رأى أوريجانوس في الثالوث، التجسد، تاريخية الكتب المقدسة، القيامة، العقوبة، والنفس.

ويذكر چيروم أن هذا العمل قام به يوسابيوس الذي يؤمن ببعض الأفكار الأريوسية. غير أن القرائن الأخرى تدل على عدم صحة ذلك. **(موسوعة الكنيسة الأولى، شاف: جـ٢)**.

أفرد يوسابيوس المؤرخ القيصري عن فقرة في كتابه السابع من تاريخ الكنيسة يذكر فيه بعض صفات الرجل "الفصيح"، "الفيلسوف" وكتب عن مدى ما تعرض له من محن في أثناء الاضطهاد (تاريخ الكنيسة يوسابيوس ٧:٣٢:٢٥).

فقد كتابان يحتويان سيرة حياته كانا قد كُتبا بواسطة معلمه بيريوس، وتلميذه يوسابيوس **(يوسابيوس القيصري ٧:٣٢:٢٥)**. والذي أطلق على نفسه لقب "يوسابيوس البمفيلي" **(شاف: ج٢)** وتكلم عنه في بعض كتبه: تاريخ الكنيسة، وعن الشهداء. وقد كتب بمفيلوس وهو في السجن، بمساعدة يوسابيوس كتابًا في الدفاع أوريجانوس في خمسة أجزاء، (والكتاب السادس من تلك السلسة كُتب بعد وفاته، إذ كتبه يوسابيوس القيصري).

والكتاب الأول هو الوحيد الذي تبقى منها، وهو الترجمة اللاتينية التي قام بها روفينوس. وفيه يهدي بمفيلوس المقدمة إلى شهداء فلسطين. وفي هذا الكتاب يوضح منهجه في قراءة أوريجانوس.

****

٧- يوسابيوس القيصري (المؤرخ)

١- النشأة

٢- أعماله

١- النشأة

زمان ومكان الميلاد

ولد يوسابيوس القيصري في فلسطين. ربما في قيصرية نحو سنة ٢٦٥م. ويرى بعض الباحثين أنه ربما ولد قبل عام ٢٦٥م، ولكن ليس قبل عام ٢٦٠م. حصل يوسابيوس على تعليمه في قيصرية، في تلك المدينة التي كانت مقر المدرسة المعروفة والمكتبة التي أسسهما العلاَّمة أوريجانوس السكندري.

تلمذته

تتلمذ يوسابيوس على بمفيلوس أحد أكثر تلاميذ أوريجانوس علمًا ومعرفةً. ولذلك بلغ من حرص يوسابيوس على تبجيل

معلمه وتكريمه، أن أطلق على نفسه لقب يوسابيوس البمفيلي. وإذ يشعر بأنه مدين بتتلمذه على بمفيلوس، فإنه يكن أيضًا لأوريجانوس المحبة والولاء. وسوف نرى مقدار تأثره فكريًا بأوريجانوس.

دور مكتبة قيصرية في أعماله

اهتم يوسابيوس وبمفيلوس بمكتبة قيصرية، فجددوها وأمدوها بالكثير من الكتب الجديدة، وأعادا تنظيمها. وكان لهذه المكتبة كثير من الفضل في أعمال يوسابيوس الزاخرة بالمعرفة والمعلومات.

في أثناء الاضطهاد الذي شنَّه دقلديانوس، ذلكم الاضطهاد الذي استشهد خلاله بمفيلوس القيصري، فرَّ يوسابيوس إلى مدينة صور، ومنها إلى صحراء مصر، في طيبة، حيث أُلقى القبض عليه وسُجن. وبعد ذلك أمكنه العودة إلى فلسطين.

كان يوسابيوس سعيدًا بالمرسوم الذي صدر بالتسامح في نحو سنة ٣١١م أو ٣١٥م **(شاف ج٣)**. وبعد عودته إلى قيصرية سيم أسقفًا في نحو سنة ٣١٣م.

يوسابيوس يعتنق أفكار آريوس

اعتنق يوسابيوس أفكار آريوس منذ البداية، لكنه لم يشاركه كل أفكاره. فكان يحتفظ لنفسه بتلك الأفكار. ولم يجاهر بها، أو يدخل في جدل بشأنها مع آخرين. **(موسوعة الكنيسة الأولى، شاف جـ٢)**.

إلا أنه بوقوفه إلى جانب آريوس، وبالإفصاح عن بعض آرائه في القضايا الشائكة التي كانت مطروحة على بساط البحث لإقرارها. اكتشف أمره فيما بعد، وكانت تُشتم من أفكاره رائحة السابليانية أيضًا (للمزيد من المعرفة بتلك الهرطقات، يمكن الرجوع للباب السادس في الجزء الأول من هذه الموسوعة).

في خلال مجمع أنطاكية في سنة ٣٢٥م، أُعفي يوسابيوس من مسئولياته الأسقفية، لمدة معينة، لأنه رفض الانضمام للمجتمعين في مجمع أنطاكية لإدانة تعاليم آريوس. غير أنه شارك في مجمع نيقية في ٢٠ مايو من سنة ٣٢٥م. وقد شارك في إدانة آريوس، وصياغة قانون الإيمان، إذ وجد في ذلك فرصة لتصحيح موقفه، وتغيير تلك الصورة التي أُخذت عنه بوقوفه إلى جانب آريوس الهرطوقي، واعتقاده في تلك الأفكار المنحرفة التي روج لها. ولكنه لم يكن يقر فعلاً أنه قد أخطأ. والدليل على



صحة ذلك، أنه استمر يعمل من أجل آريوس ومشايعيه. حيث تعاون مع سميه أسقف نيقوميديا من أجل عزل الأساقفة الذين دافعوا عن عقيدة نيقية **(موسوعة الكنيسة الأولى)**.

وفي سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦م ترأس مجمع صور، وكان آنذاك ضد القديس أثناسيوس. **(انظر فلسطين- صور)**.

ومن خلال ما دار في مجمع صور نستطيع أن ندرك حياة وسلوك يوسابيوس. وقد اعترف الأسقف المصري بوتامون بأن يوسابيوس في فترة سجنه معه- في أثناء الاضطهاد حيث فقد بوتامون إحدى عينيه- قد حنث وجبن وقدَّم ذبيحةً للأوثان. **(القديس أثناسيوس الرسولي: الأب متى المسكين)**.

وقد توفى الامبراطور قسطنطين مهندس السلام بين الكنيسة والامبراطورية الرومانية، بعد أن جلس على كرسي الامبراطورية نحو ثلاثين عامًا، وعاش أكثر من ستين عامًا، وتوفى سنة ٣٣٩م أو ٣٤٠م. وقد توفى يوسابيوس القيصري في سنة ٣٤٠م.

هيرودوت المسيحي

يمكن وصف أعمال يوسابيوس القيصري الأدبية بأنها ذات أهمية كبيرة لتعدد مناحيها واتجاهاتها وكذلك يمكن وصف يوسابيوس بأنه واسع المعرفة، كما وصفه فوتيوس. أما المؤرخ شاف فيصفه بأنه هيرودوت المسيحي (شاف: الجزء الثالث) وتأتي كتاباته التاريخية كأفضل أعماله والتي نال بسببها شهرته الواسعة، في التاريخ. **(موسوعة الكنيسة الأولى)**.

أعماله الأدبية

١- أعماله التاريخية

أ- التاريخ القديم

ب- تاريخ الكنيسة

جـ- حياة قسطنطين

٢- الأعمال الدفاعية

أ- أناشيد نبوية

ب- ضد هيروقليس

جـ- ضد بورفيري

د- دحض ودفاع

هـ- دفاع عن أوريجانوس

و- الإعداد الإنجيلي

ز- البرهان الإنجيلي

ح- الظهور الإلهي

٣- الأعمال التفسيرية

أ- أطلس الكتاب المقدس

ب- القوانين الإنجيلية

جـ- مشاكل وحلول تتعلق بالأناجيل

د- اقتباسات من كتابات الآباء

هـ- تفسير الكتاب المقدس

٤- في العقيدة

أ- ضد مارسيللوس

ب- الفكر اللاهوتي الكنسي

جـ- رسائل يوسابيوس

١- أعماله التاريخية

أ- التاريخ القديم

هذا العمل قام بكتابته قبل عام ٣٠٣م، ويأتي في جزءين: **الجزء الأول**: وهو غالبًا مقدمة للجزء الثاني، ويحتوي على تلخيص لتاريخ الشعوب القديمة الشهيرة مثل: الكلدانيون، الأشوريون، العبرانيون، المصريون، اليونانيون، والرومانيون.

أما الجزء الثاني: فيحتوي على جدول مقسم إلى أعمدة، في تقسيم متزامن.

ويوجد عمود يحتوي على ملاحظات قصيرة، على المعلومات الرئيسية للتاريخ المقدس، والتاريخ الدنيوي (العام). ويبدأ من تاريخ إبراهيم أب الآباء في نحو سنة ٢٠١٦ ق.م أو ٢٠١٥ ق.م وحتى سنة ٣٠٣م. (موسوعة الكنيسة الأولى)، ويرى شاف أن يوسابيوس اتسعار جزءًا كبيرًا من كتاب يوليوس أفريكانوس (شاف جـ٣). وقد فقدت النسخة الأصلية اليونانية لكتاب يوسابيوس. إلاَّ أنه توجد منه بعض الشذرات والاقتباسات في الطبعة الأرمينية في نحو سنة ٦٠٠م.

وقد حفظ چيروم الجزء الثاني في الطبعة اللاتينية التي قام بترجمة الكتاب إليها. غير أنه أثراه بالإضافات التي أضافها إليه وصولاً إلى عام ٣٧٨م، عن تاريخ روما، وآدابها. وقد تمت مراجعة كلا الطبعتين على النص الأصلي.

وكان الهدف من هذا الكتاب إثبات أن اليهودية ديانة أقدم من ديانات أخرى، وأسبق أن بحثها ثيوفيلس الأنطاكي ويوليوس أفريكانوس. غير أن شهرة يوسابيوس دفعت بهما إلى الظل. وقد ظل الكتاب لقرون عديدة مصدرًا أساسيًا

للأحداث التي جاءت به، والأعمال التاريخية في المسيحية.

ب- تاريخ الكنيسة

هذا العمل يقع في ١٠ كتب. ويبدأ منذ نشأة الكنيسة حتى انتصار قسطنطين على ليسينيوس Licinius في سنة ٣٤٢م، وإعادة توحيد الامبراطورية في عهد قسطنطين.

وهذا الكتاب يأتي في صدر أهم الكتابات التي كتبت في هذا الفرع من المعرفة بعامة، وكتابات يوسابيوس بخاصة.

وتوجد مواد عن شهداء فلسطين في بعض المخطوطات التي وصلت إلينا.. وهي توجد أحيانًا بين الكتابين الثامن والتاسع (كما هو الحال في الترجمة العربية للموقر المتنيح القمص مرقس داود). وأحيانًا تأتي بعد الكتاب العاشر. وقد اعتمد في هذه المواد عن شهداء فلسطين، إما شهادة شخصية، أو عن طريق المعلومات التي كانت متوفرة ومتداولة وقت الأحداث. وقد أمدتنا بمعلومات ثرية ذات قيمة عن الاضطهادات والشهداء في فلسطين. وتوجد طبعتان، إحداها تحتوي على مواد قصيرة وهي النسخة اليونانية الأصلية، أما الأخرى فهي أكثر طولاً، في الطبعة السريانية.

ويرى سي. كورتي C. Courti أن الكتاب يحتوي على بعض النقائص كما يتضمن العديد من الإيجابيات فهو يرى أن الكتاب يفتقد التنسيق بين الأحداث التاريخية التي وردت به، كما أنه يفتقر إلى التناسب في معالجة مواده، فضلاً عن الإجابات السطحية لبعض الأسئلة. أما ما حققه الكتاب من مزايا فهي أن الكتاب يتضمن بعض الوثائق والنصوص والتي ما كانت لتتوفر لنا دونه. وأنه يوفر لنا معلومات دقيقة عن الكنيسة الأولى، فيما يتعلق بالأسقفيات، وتاريخ الأساقفة، والشهداء والهرطقات.. وغيرها.. وإن كان يرى المؤرخ شاف أن الكتاب مفكك وغير مترابط، إلا أنه يرى أن قيمة الكتاب لا تقدر، وذلك لما جاء به من اقتباسات غزيرة من مراجع أجنبية، بعضها فُقد. والكتاب يعكس اجتهاده وعمله الدؤوب، وقد بدأ من خلفوا يوسابيوس من المؤرخين من حيث انتهى هو. **(موسوعة الكنيسة الأولى الجزء الأول، شاف الجزءين الثاني والثالث).**

ويرى شوارتز أنه توجد للكتاب ثلاث طبعات في القرن الرابع. الطبعة الأولى: السريانية ويرجح أنها كانت الأساس للطبعة الثانية الأرمينية. ثم الترجمة اللاتينية التي قام بها روفلينوس حيث أضاف إليها أحداثًا تاريخية حتى عام ٣٩٥م. **(موسوعة الكنيسة الأولى).**

جـ- حياة قسطنطين

يقع هذا العمل، The Life Of Constantine حياة قسطنطين، في أربعة كتب. ويعتبر مصدراً أساسياً في التأريخ لحكم قسطنطين. وكان قسطنطين صديقاً ليوسابيوس، وقد كتبه يوسابيوس لإطراء صديقه الامبراطور. وفيه يرسم يوسابيوس صورة عن قسطنطين فيها مبالغات عديدة. فهو يعتبر أن قسطنطين "صديق الله الكلي القدرة" وأنه "موسى الجديد". كما أن يوسابيوس يعتبر أن قسطنطين أداة يستخدمها الله لهزيمة أعدائه. كما أنه يصور مُلك قسطنطين على أنه مثال المملكة السماوية. ولكي ندرك أثر وجود قسطنطين في نفس يوسابيوس. علينا أن نفهم العصر الذي عاشه يوسابيوس، حيث اضطهاد الأباطرة للكنيسة، وكيف أن قسطنطين هو أول امبراطور يعتنق المسيحية، وعلى يديه تنعم المسيحية بالسلام، بعد طول اضطهاد.

وقد أضيف إلى مخطوطات الكتاب، خطاب الامبراطور قسطنطين إلى كنيسة القديسين. وهو يظهر (في بعض الطبعات) على أنه الكتاب الخامس، ولكنه في الحقيقة ملحق للكتاب الرابع. وهو عبارة عن دفاع عن العقيدة المسيحية، ومحوره ألوهية المسيح. وإليه يعزى قسطنطين انتصاره في الحرب. وهو يضم عملين، الأول ويحتوي على الأبواب العشرة الأولى، والتي تتضمن خطاب يوسابيوس في العيد الثلاثين لحكم قسطنطين، وكان ذلك في سنة ٣٣٠م. والآخر يشمل الأبواب ١١-١٨، ويحتوي على عمل يوسابيوس الأدبي، الذي أهداه إلى الامبراطور بمناسبة تكريسه للكنيسة التي بنيت فوق موقع القبر المقدس. **(موسوعة الكنيسة الأولى)**.

٢- الأعمال الدفاعية

يمكنا أن نلاحظ صدى نغمة الدفاعيات في معظم -إن لم يكن كل- أعمال يوسابيوس الأدبية. غير أن بعض الأعمال تتميز بمنظومة من الدفاعيات أعلى نغمة من غيرها. ويميز الباحثون والدارسون بعض الأعمال الدفاعية وهي:

أ- أناشيد نبوية

وهذا العمل Prophetic eclogues يحتوي على بعض عناصر دفاعية تعتبر مقدمة لمثل هذه الأعمال. وهي في الأجزاء من الكتب ٦-٩ وبعض الأجزاء من الكتابين ٤، ١٠ . والكتب الأربعة التي وصلت إلينا تحتوي على مجموعة من التفاسير ذات الأهمية البالغة عن النبوات المسيانية التي جاءت



بالعهد القديم.

ب- ضد هيروقليس

ويأخذ كتاب Against Hierocles عنوانه من اسم حاكم بيثينية في ذلكم الوقت. وهو عبارة عن دحض لتلك النظرية التي تقارن بين أبولونيوس الذي من تيانا والسيد المسيح. وهو يوجد في موسوعة مينى: (Migne's edition, tom IV 795- 868) .

ج- ضد بورفيري

وقد فقد عمله المعروف بعنوان ضد بورفيري أو ضد (فورفوريوس) Against Porphyry ما خلا عدة شذرات منه. وفيه يواجه الهجوم الذي شنه فورفوريوس (أحد مؤسسي الأفلاطونية المحدثة) في كتابه "ضد المسيحيين". ولم يرد فيه يوسابيوس على ماجاء بالكتاب من اعتراضات نقطة بنقطة. ومن غير المحتمل أنه اتبع منهجًا منظمًا في دحضه لافتراءات فورفوريوس **(شاف ج٣، موسوعة الكنيسة الأولى).**

د- دحض ودفاع

وكذلك فقد عمله المعروف Refutation and defence وهو يقع في كتابين. وإحدى الطبعات المعروفة في ذلك الوقت كانت لفوتيوس.

هـ- دفاع عن أوريجانوس

وهذا العمل المعروف بعنوان Apology for Origen يقع في ستة كتب. وقد كتب يوسابيوس مع بمفيلوس خمسة كتب، غير أنه بعد استشهاد بمفيلوس أضاف يوسابيوس الكتاب السادس. ولا يوجد سوى الكتاب الأول في طبعة فوتيوس.

و- الإعداد الإنجيلي

ز- البرهان الإنجيلي

ويعتبر هذان العملان أكثر أعماله الدفاعية أهمية. وقد كتبهما الواحد تلو الآخر. ويرى شاف أنهما كتبا في عام ٣٢٤م. بينما يرى كورتي أنه كتبهما في سنة ٣١٢م ويرجح بين ٣١٢- ٣٢٠م. وقد أهداهما ليثودتس أسقف لاودكية. الكتاب الأول -الإعداد الإنيجلي يقع في ١٥ كتابًا، وهي محفوظة في النص الأصلي، ومنهجه في ذلك منهج كل الكُتّاب الدفاعيين من اليونان واللاتين. وهو يعرض لزيف الديانات المتعددة الآلهة وذلك في الكتب ١-٦ . ثم يستعرض الديانة اليهودية التي كانت تعبد إلهًا واحدًا، ثم بعد ذلك المسيحية التي تعبد



الإله الواحد أيضًا، والديانة الوثنية الكتب ٧-١٣ . ثم يستعرض المتناقضات التي وقع فيها فلاسفة اليونان والأخطاء الرئيسية في تعاليمهم. (الكتابان ١٤و١٥). وقد بذل فيهما يوسابيوس جهدًا كبيرًا غير مسبوق لدحض الوثنية (كديانة) من الكتابات اليونانية، ذاكرًا الكثير من الاقتباسات من كتّابهم.

أما العمل الآخر، البرهان الإنجيلي، فيقع في عشرين كتابًا. ويوجد منها فقط الكتب العشرة الأولى وجزء من الكتاب الخامس عشر. وتحتوي على حجج إيجابية للحق المطلق للمسيحية، من طبيعتها ، ومن اكتمال النبوات في العهد القديم. وقد استعرض فيها الطبيعة الوقتية لناموس موسى، والتي كانت بمثابة لحظة الانتقال بين عصر البطاركة وميلاد يسوع. وكيف أن نبوات العهد القديم قد تحققت في تجسد يسوع المسيح، آلامه، وموته. وهو يوجه هذان العملان للوثنيين كما لليهود. وكذلك كان يوسابيوس يضع في اعتباره كتاب فورفوريوس "ضد المسيحيين".

ح- الظهور الإلهي

ويقع هذا العمل Theophany في خمسة كتب. ويعد أكثر شهرة من الكتابين السابقين. والكتاب يعرض لظهور اللوجوس، في الخليقة وحفظه للعالم، وظهوره أيضًا في الضمير الإنساني وفي التجسد.

ويرجح أن يوسابيوس كتبه في آخر أيام حياته، بعد الكتابين السابقين، غير أن ثمة رأيًا آخر للدكتور سام لي -نقلاً عن شاف- إذ يرى أن مقدمة كتاب "Theophania" تحتوي على ما يفيد أن يوسابيوس كتبه وطبعه أولاً، وأن الكتابين الآخرين، قد حجزا للقراءة لنحو عدة سنوات، ولإشباع رغبته في قراءتهما. ويرى د. لي أنه يبدو أن الكتاب كان في طبعته الأولى التي قام بها يوسابيوس، إن لم يكن الكتاب الأول، بعد توقف الاضطهاد.

والكتاب مكتمل في طبعته السريانية والتي اكتشفها في دير بنتريا تاتام Tattam في سنة ١٨٣٩م. وحرره صموئيل لي في لندن في سنة ١٨٤٢ . كما ظهر في الإنجليزية أيضًا بعنوان On the Theophania أو Divine Manifestation of our Saviour Jesus Christ أي "الظهور الإلهي" أو "الظهور الإلهي لمخلصنا يسوع المسيح" حيث تمت الترجمة إلى الإنجليزية، مع



ملاحظات من الطبعة السريانية القديمة (المأخوذة من الأصل اليوناني) ولكن الأصل اليوناني مفقود الآن، ولا توجد منه سوى بضع شذرات.

٣- الأعمال التفسيرية

ترك يوسابيوس القيصري عدة تفاسير على بعض أسفار الكتاب المقدس. وقد اتبع في ذلك أسلوب أوريجانوس الرمزي في التفسير. وهو لا يعرف العبرية عندما قام بتفسير العهد القديم. **(شاف: جـ٣)** والحقيقة أن يوسابيوس لم يتقن التفسير الرمزي كما كان أوريجانوس يتقنه. بل كان يوسابيوس يميز التفسير الحرفي عن التفسير الروحي. وأحياناً كان يركز على التفسير الحرفي، غير أنه كان أحياناً يرى أنه لا يوجد سوى الاحتمال الروحي -في التفسير- فحسب. ويرى كورتن أنه كان يقف في منتصف الطريق بين مدرستي الإكسندرية وأنطاكية. وإن كان يميل إلى مدرسة الإسكندرية في غالب الأحيان. غير أنه لم ينكر التفسير الحرفي، وكان من الناحية العملية يميل إلى التفسير الروحي، وإن كان يتجنب المبالغة فيه. **(موسوعة الكنيسة الأولى)**. ويوسابيوس يُعرف كعالم لغوي واسع الاطلاع أكثر منه مفسراً.

أ- أطلس الكتاب المقدس

يقع هذا العمل في أربعة كتب. ويحتوي على وصف لطبوغرافية وجغرافية الأماكن التي وردت في الكتاب المقدس. ولا يوجد من الطبعات في اليونانية، وفي اللاتينية التي قام بها فوتيوس، سوى الجزء الرابع. **(موسوعة الكنيسة الأولى)**، وقد قام فوتيوس في أثناء نقله إلى اللاتينية بتصحيح بعض المعلومات، فضلاً عن إضافته لأخرى. **(شاف: مرجع سابق)**.

ويمكننا من خلال مقدمة الكتاب معرفة الموضوعات التي تعرض لها وهي، الشرح اليوناني للمصطلحات التي تتعلق بعلم الأجناس في الكتب المقدسة في العبرية، طبوغرافية اليهودية، خريطة لأورشليم والهيكل. ويرجح أن العمل قد تم بين سنتي ٣٢٦- ٣٣٠م، ولابد أن يكون قبل عام ٣٣١م حيث أن بولينوس أسقف صور الذي يشير إليه يوسابيوس قد توفى في نفس العام. **(موسوعة الكنيسة الأولى)**.

ب- القوانين الإنجيلية

أهدى يوسابيوس هذا العمل إلى

كاربيانوس. وهو يقدم رؤية سريعة ملخصاً الأناجيل الأربعة وذلك من خلال تقسيمها إلى فقرات قصيرة ووضعها في جدول للمقارنات من عشرة أعمدة. يحتوي كل عمود منها على ما يناظرها في الأناجيل الأخرى. وكان هذا العمل من وحي أمونيوس السكندري، رائد هذا العمل في كتابه Evangelical Concordance or Sec-tions.

جـ- مشاكل وحلول تتعلق بالأناجيل

فقد العمل نفسه، ما خلا العديد من الشذرات باليونانية وبضعها بالسريانية، وهي تؤلف جزءين: الأول: منوط بحل بعض المشكلات الظاهرية فيما يتعلق بطفولة يسوع حسبما جاءت بالأناجيل. أما الثاني: فيشرح فيه بعض المفارقات في قيامة السيد المسيح.

د- الاقتباسات من كتابات الآباء

ولا يتبقى من هذا العمل سوى بضع شذرات عن العمل المدعو عن عيد القيامة. وفيه يعالج مسألة تاريخ عيد القيامة، والعلاقة بينه وعيد الفصح اليهودي.

هـ- تفسير الكتاب المقدس

قام يوسابيوس بتفسير سفري إشعياء والمزامير من العهد القديم، وإنجيل لوقا من العهد الجديد.

وقد حفظ نحو ثلث سفر المزامير من الضياع. (المزامير ٥١- ٣:٩٥) والتي حفظت حتى القرن العاشر في (MS Coislin 44). وكذلك حفظ تفسير المزمور ٣٧ .

ويبدو أن تفسير المزمور يرجع إلى الأعمال التي قدمها يوسابيوس في ختام حياته، إذ ليس من السهل معرفة تاريخ كتابتها على وجه الدقة.

أما عن تفسيره لسفر إشعياء، فقد ذكره چيروم نفسه. ففي بعض الكتب يذكر عنه أنه يقع في نحو ١٥ كتابًا بينما يذكر في موضع آخر أنه في ١٠ كتب فحسب. وقد قام چيروم بنقده نقداً بالغ الشدة. وقد أفاد منه چيروم في تفسيره الذي قدمه عن ذات السفر.

أما فيما يتعلق بتفسيره لإنجيل لوقا، فهو مأخوذه أيضًا من Catenae كما هو الحال مع تفاسيره الكتابية الأخرى، ويرجح أنها مأخوذة عن أعمال أخرى ليوسابيوس بالأحرى عن كونها عمل تفسيري لإنجيل لوقا.



٤- في العقيدة

يعتمد يوسابيوس في فكره اللاهوتي على فكر أوريجانوس اللاهوتي. وهو يتفق معه في بعض التعليم، ويرفض بعضه الآخر. ويبدو ذلك واضحًا في مسألة الثالوث، فهو ينكر -كأوريجانوس- مساواة الآب والابن والروح القدس، معتبراً أن الابن تابع للآب، وأن الروح القدس تابع للابن. وقناعات يوسابيوس تتفق مع آراء الأريوسية. وإن كان يرفض فكرة أن الابن خُلق من العدم.

أ- ضد مارسيللوس

وهو رد على ما كتبه أسقف أنفيرا مارسيللوس (ماركيللوس)، حيث كتب ضد أتباع آريوس لا سيما أستريوس السوفسطائي ولذلك كتب يوسابيوس رداً عليه. وهذا العمل يقع في كتابين.

ب- الفكر اللاهوتي الكنسي

ويتضمن ثلاثة كتب. وربما كتب في سنتي ٣٣٦م و٣٣٧م في أعقاب حرم مجمع القسطنطينية -الأريوسي- لمارسيللوس. وقد فقد عمل مارسيللوس. ويمكننا من خلال عمل يوسابيوس معرفة محتوى كتاب مارسيللوس. ويوسابيوس يدفع بالحجة تهم مارسيللوس ضد أستيريوس وكذلك تهمة السابليانية. حيث أنكروا الجوهر الشخصي للابن، واعتبروه نوعًا من ظهور الآب. (يمكن الرجوع للباب السادس الخاص بالهرطقات في الجزء الأول من هذه الموسوعة).

جـ- رسائل يوسابيوس

من بين رسائل عديدة كتبها يوسابيوس توجد رسالتان بقيتا من بين ثلاث رسائل توصف بأنها رسائل تتعلق بالعقيدة. الأولى: هي الرسالة إلى فلاسيللوس الأنطاكي وفيها يلخص له الجدل مع مارسيللوس والفكر اللاهوتي الكنسي.

أما الرسالة الثانية فهي إلى أبروشيته ملخصًا مجمع نيقية ٣٢٥م. وقد حفظها القديس أثناسيوس إذ ضمها إلى قرارات مجمع نيقية.

أما الرسالة الثالثة فهي إلى كاربيانوس. وهي تناقش مسائل إنجيلية. وتعد بمثابة مقدمة لكتاب قوانين إنجيلية.

أما عن الرسائل التي سبقت مجمع نيقية فلا توجد عنها سوى بعض التقارير

والاقتباسات. ومن بينها رسالة أرسلها إلى قسطنطيا أخت الامبراطور قسطنطين.

****

٨- أرسطو الذي من بيلاّ

أ- الزمان والمكان

النشأة:

لا نعرف عن حياة أرسطو (أريستو) -الذي من بيلاّ Pella- ونشأته سوى القليل.

هو كاتب مسيحي من أصل يهودي، من آباء القرن الثاني الميلادي. اقتبس منه يوسابيوس بعض الأحداث التي وقعت في أورشليم إبان التذمر الذي قام به اليهود بقيادة باركوكبا، في عهد هادريان، حيث أصدر مرسومًا يحرم فيه كل اليهود من الصعود إلى أورشليم. غير أن يوسابيوس لم يحدد المعلومات التي اقتبسها منه.

ب- أعماله

ولا نعرف من أعماله سوى كتاب "جدل بين ياسون وبابسكيوس". وهو يعد أحد الأعمال الأدبية المسيحية التي ساهمت في الجدل والحوار مع اليهود في القرن الثاني الميلادي. وللشهيد الفيلسوف يوستينوس حوار مع تريفون Trypho اليهودي. وكذلك يوجد عمل للعلاّمة ترتليانوس يحمل عنوان "ضد اليهود"، كما يوجد لكبريانوس كتاب بعنوان "شهادة ضد اليهود". وهذه الكتابات ظهرت نتيجة للهجوم الذي شنَّه اليهود على المسيحيين، متهمين إياهم بأنهم ارتدوا عن الديانة اليهودية. وهذه الكتابات توضح كيف أن نبوات العهد القديم قد اكتملت وتحققت في المسيح. وقد فندوا كل الاتهامات التي هاجموا فيها المسيحية، اتهامًا تلو الآخر.

يرى ف. زانجرا أن هذا العمل كتبه أرسطو بيلا في سنة ١٤٠م، أما هارناك فيرى أنه كُتب في سنة ١٣٥م أو بعد ذلك بقليل. غير أن الكتاب فقد في القرن السابع الميلادي. ويذكره أوريجانوس في كتابه "ضد كلسوس" (٥٢:٥) ويقدم بعض المعلومات عنه، كما يبدي ثقته فيه، ويرى أنه مفيد للقراء العاديين. كما أن چيروم قرأه. **(شاف: الجزء الثاني، موسوعة آباء الكنيسة).**

وهذا العمل هو حوار جدلي بين ياسون Jason وهو مسيحي من أصل يهودي،، وباسيكوس Papis-cus يهودي سكندري. ولم يتبقَ منه سوى مقدمة المترجم للكتاب إلى اللاتينية في القرن الثالث الميلادي، ويُحتفظ بها ضمن أعمال كبريانوس المنحولة. ونعرف من تلك المقدمة أن الجدل أو النزاع انتهى بالمصالحة.. واستسلم اليهودي وطلب أن يعتمد. **(موسوعة الكنيسة الأولى).**

ويظن بعض الدارسين أن هذا الكتاب قد أُنجز



في الإسكندرية. وذلك نظراً لاحتوائه -في بعض فصوله- على بعض التفاسير المجازية، التي تميز مدرسة الإسكندرية. **(المرجع السابق).**

****

٩- أسكليباس أسقف غزة

كان أسكليباس Asclepas الذي من غزة، أحد المعارضين لآريوس وأفكاره التي أدانها مجمع نيقية في سنة ٣٢٥م. ولذلك عزله مجمع أنطاكية ونفاه في سنة ٣٣٧، لسبب غير معروف، وكان المجمع برئاسة يوسابيوس القيصري -أحد المؤيدين لآريوس.

بعد موت الامبراطور قسطنطين في سنة ٣٣٧م، عاد أسكليباس، في ذات السنة، إلى غزة مرة أخرى. وقد نتج عن محاولته العودة إلى منصبه بعض الأحداث من اضطرابات وعنف، فرَّ على أثرها إلى روما. وقد سافر بعد ذلك إلى القسطنطينية وساردينيا.

ففي سنة ٣٤١م نجده في القسطنطينية، وذلك لتشديد أسقفها بولس، الذي عزله المجمع المحلي. وكان بولس يحاول العودة بعد وفاة يوسابيوس النيقوميدي. وفي سنة ٣٤٣ نجده في ساردينيا. ونعرف من المؤرخين سقراط وسوزومين، نقلاً عن يوسابيوس المؤرخ القيصري **(تاريخ الكنيسة ٢:٢٣، ٣:٢٤)** أنه عاد إلى غزة في سنة ٣٤٦م في أثناء عودة أثناسيوس إلى الإسكندرية، وربما يكون ذلك المقصود - بعودته- في سنة ٣٣٧م. **(يوسابيوس القيصري: المرجع السابق، موسوعة الكنيسة الأولى).**

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

الباب الثاني:

الكنيسة في سورية

أولاً: الخلفية التاريخية



وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذي يُدعَى نيجر ولوكيوس القيرواني ومناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع وشاول. وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلّوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما. (أعمال الرسل ١٣: ١-٣).

ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاوُل. ولما وجده جاء به إلى أنطاكية. فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنةً كاملةً وعلّما جمعًا غفيرًا. ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً. (أعمال الرسل ١١: ٢٥ و٢٦)



بعض التواريخ المهمة التي وردت في هذا المجلد
(الكنيسة في سورية)

٢٧٠٠ - ٢٢٠٠ ق.م	تسيدت مصر على فينيقية
١٥٨٠ - ١١٠٠ ق.م	سيطرت الامبراطورية المصرية على الساحل اللبناني
٥٥٩ - ٥٢٩ ق.م	حكم كورش ملك فارس
٥٣٩ ق.م	انتصار كورش ملك فارس على بابل
٣١٢ ق.م	أسس سلوقس الأول نيكاتور امبراطورية السلوقيين
٣٠١ ق.م	معركة إبسوس، وفيها كانت نهاية امبراطورية الإسكندر الأكبر.
٢٨١ - ٢٦١ ق.م	حكم أنطيوخُس الأول
٢٤٧ ق.م تقريبًا	وفاة أنطوخُس الثاني
١٧٥ - ١٦٣ ق.م.	حكم أنطيوخُس الرابع (إبيفانس)
٧٨ ق.م	الملك تيجراس الأرمني يحكم مدينة أنطاكية.
٤٠ ق.م	تفجر النزاع بين اليونانيين واليهود في أنطاكية تطورت إلى مذبحة ضد اليهود.
٣٥ م. تقريبًا	ولادة أغناطيوس (أسقف أنطاكية فيما بعد).
٦٥ - ١٠٧ م	أغناطيوس أسقفًا على أنطاكية.
١٦٩ - ١٨٥ م	ثيؤفيلس أسقفًا على أنطاكية
٢٥٢ م	مجمع أنطاكية للبت في قضية العائدين من المرتدين.
٢٦٠ م	تعيين بولس الساموساطي أسقفًا على أنطاكية.
٢٦٤ م	مجمع أنطاكية لفحص الاتهامات الموجهة إلى بولس الساموساطي.

٣١٢ م استشهاد لوقيانوس الأنطاكي.

٣٢٥ م حضور اثنين وعشرين أسقفًا من أساقفة سورية مجمع نيقية

٣٢٧ م مجمع نيقية للأساقفة الذين يقفون ضد مجمع نيقية!.

٣٣٧ م وفاة الامبراطور قسطنطين.

٣٣٨ م مجمع للنظر في إعادة المباحثات ضد أثناسيوس الإسكندري.

٣٤١ م اجتماع الأساقفة في أنطاكية في مناسبة تكريس الكنيسة التي كان الامبراطور قسطنطين قد أمر ببنائها.

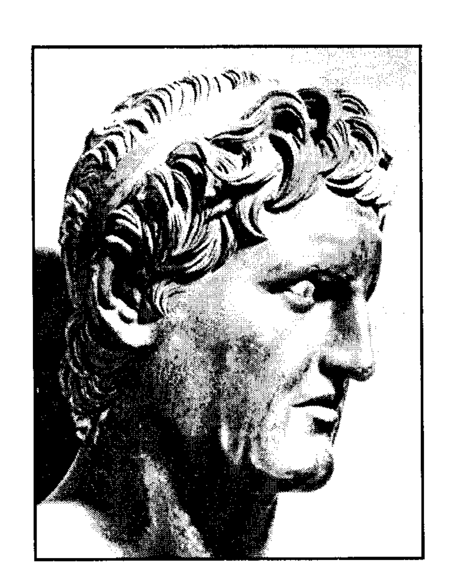
٣٤٣ م مجمع ساردیکا (صوفيا عاصمة بلغاريا الآن) للنظر في إزالة كل ما يحول دون وحدة الكنيسة، بدعوة أساقفة الشرق والغرب.

الباب الثاني الفصل الأول

أنطاكية في التاريخ

سلوقس Seleucus الملقب "نيكاتور" أي (المظَفَّر) هو مؤسس أسرة السلوقيين، وجعل منها امبراطورية في سنة ٣١٢ ق.م (**قصة الحضارة ول ديورانت، موسوعة وكلف**). وكما كان الإسكندر الأكبر مؤسساً للعديد من المدن (**انظر الجزء الثاني من هذه الموسوعة صفحة ٣٢**)، هكذا كان سلوقس الأول أيضاً، مؤسساً للمدن، إذ أنشأ (١٦) مدينة، كان في سورية وحدها خمس مدن منها، تحمل اسم أنطيوخس. وأصبحت أنطاكية في سورية هي أعظمهم في القرن الأول الميلادي. ولم يُذكر منها في العهد الجديد سوى مدينتين منها، وهما أنطاكية السورية، وأنطاكية بيسيدية.

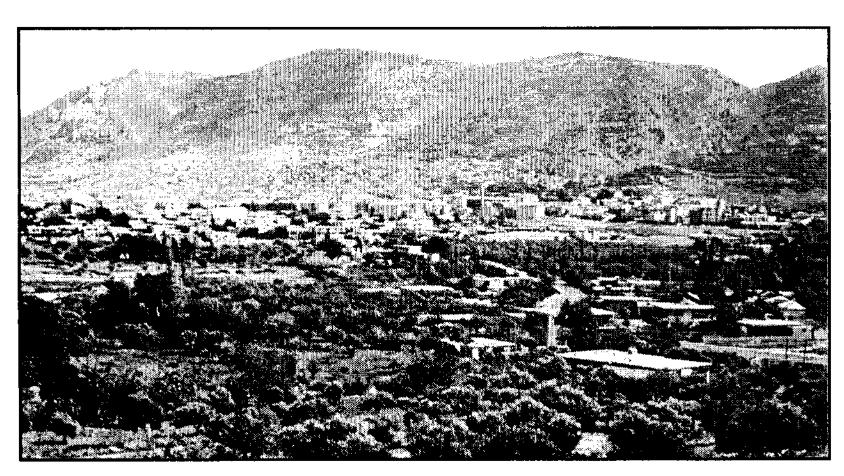
كان سلوقس نيكاتور أحد المنتصرين في معركة إبسوس في سنة ٣٠١ ق.م. فعمل على اتساع مملكته الشرقية، فضم عدة ممالك إلى امبراطوريته هي عيلام، سومر، فارس، بابل، أشور، سورية، فينيقية، وشملت آسية (أسيا) الصغرى وفلسطين في بعض الأحيان (**قصة الحضارة: ول ديورانت: ٨: ٢٤**).



صورة سلوقس الأول

وقد أسَّس مدينة جديدة هي "سلوقية" Seleucia على الساحل. ثم أسس مدينة أخرى هي "أنطاكية" (والتي أسماها على اسم والده أنطيوخس تكريماً له بالحري عن كونها سميت على اسم ابنه). وهي تقع في مقابلها -بعيداً نسبياً عن البحر المتوسط- لتكون أكثر أماناً، من أي هجمات تستهدفها قد تتعرض لها من البحر. وكانت على نحو سفر يوم واحد من "سلوقية". وكذلك لكي تكون على اتصال بشبكة الطرق البرية. وقد حلَّت "أنطاكية" محل





منظر لمدينة أنطاكية

"سلوقية" عاصمة للبلاد، في أيام أنطيوخس الأول (٢٨١ / ٢٨٠- ٢٦١ق.م).

ومنذ سنة ١٧٥ ق.م، قُسِّمت المدينة إلى أربعة أقسام (موسوعة وكلف).

كان معظم سكان المدينة الجديدة -أساسًا- من الجنود من اليونانيين والمقدونيين، ممن كانوا يؤدون الخدمة العسكرية في جيش سلوقس. غير أن بعضهم كان من مستوطني أنتيجونيا. العاصمة المجاورة للحاكم السابق، ولكنها تهدمت. كما كان يوجد بها منذ البداية بعضًا من اليهود. (حيث كانوا يسارعون بالانتقال إلى المدن الجديدة). وقد ذكر المؤرخ يوسابيوس تمتعهم بحق المواطنة. وإن كان ذلك موضع شك. إلا أنه ربما يصدق على أولئك الجنود ممن كانوا في جيش سلوقس، فحسب. لصعوبة مشاركة اليهود للعقائد اليونانية. مما دعا قادة اليهود لكي يقيموا مجتمعهم الخاص بهم، كما حدث في الإسكندرية.

معركة إيسوس Ipsus

يرجع اسم Ipsus إلى مدينة صغيرة تسمى Ipss في فريجية (القديمة) بأسيا الصغرى. فبعد وفاة الإسكندر في سنة ٣٢٣ ق.م راود أحد قادة جيوشه أنتيجونس الأول ذو العين الواحدة حلم أن يضم دولة الإسكندر تحت لوائه، غير أنه مُنى بالهزيمة من حلف تألف لمواجهته بقيادة سلوقس ليسماخوس عند إيسوس في سنة ٣٠١ ق.م. وهكذا يؤرخ بهذه المعركة نهاية لامبراطورية الإسكندر الأكبر. **(الموسوعة البريطانية، قصة الحضارة: ول ديورانت)**.

كما كان يقيم السوريون بالمدينة أيضًا. ولكن بدون أن يتمتعوا بحق المواطنة. **(المرجع السابق)**.



وكان الغرض من تأسيس مستوطنة يونانية-مقدونية، هو تأسيس مجتمع هيلّينستي قوي يمد السلوقيين بالتدعيم اللازم.

كثيراً ما يرد اسم سلوقس الأول مقروناً بلقب "المظَفَّر" وهي ترد في الإنجليزية أحياناً Nicator وأحياناً أخرى Nicanor ولكنها ترد كثيراً من المراجع العربية نيكاتور لذلك نستخدمها هنا كذلك.

كانت أنطاكية تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي. في مناطق تتميز بخصوصية أراضيها. كما كانت منطقة تجارية هامة، وكانت تضم الكثير من الحمامات العامة، وميادين لسباقات الخيل، والمسارح. وقد أطلق عليها، المدينة "الجميلة والذهبية"، وكذلك "ملكة الشرق" وذلك لموقعها الفريد ومبانيها التي تميزت بالفخامة والأبهة. وكانت ثالث أكبر مدينة، في الامبراطورية الرومانية. **(موسوعة زوندرفان) وقاموس أونجر الجديد للكتاب المقدس).**

قُدِّر عدد سكانها بنحو نصف المليون شخص. ويذكر أن عدد البالغين ممن عاشوا في أنطاكية وكانت لهم حقوق المواطنة الكاملة بلغ نحو (٥٣٠٠) شخص. **(موسوعة وكلف، موسوعة زوندرفان).**

أنطاكية

مؤسسها هو سلوقس الأول (المظَفَّر) نيكاتور Nicator.

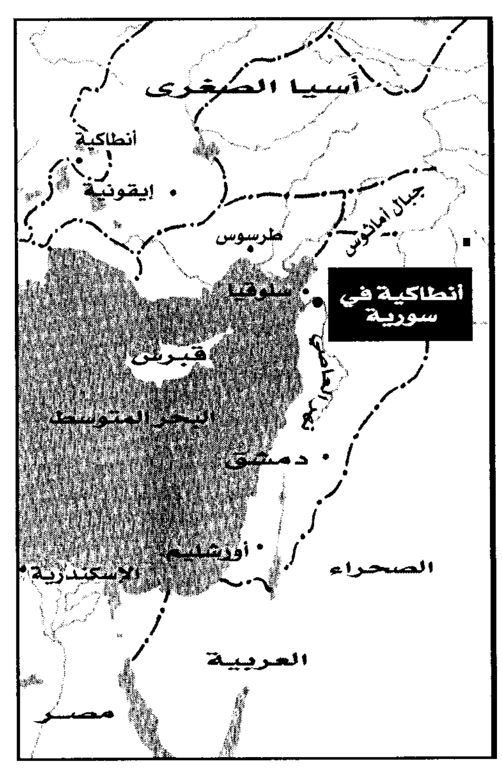
الموقع:

وتقع في الأساس على مسافة ١٥ ميلاً من البحر المتوسط على الضفة اليسرى لنهر العاصي. وكان المكان عرضة للزلازل، والسيول المفاجئة. كما أنها كانت عرضة للهجوم من جهة جبل سلبيوس Silipus، الذي كانت المدينة قد تأسست إلى جواره. وكانت تتمتع بالأراضي الخصبة. غير أن المياه النقية كانت تجلبها من خلال قنوات من قرية دافني، وكانت دافني قنوات تبعد عنها بنحو ٥-٦ ميل. وكانت أنطاكية تتوسط ثلاثة مراكز للقوى آنذاك، مصر وبابل ومقدونيا. وقد حصلت أنطاكية على تفوقها كإحدى القواعد الرئيسية لكل حدود الفرات، لاسيما عندما استردت الامبراطورية الفارسية قوتها في عهد الحكام الفارسيين والساسانيين في عهد الدولة الرومانية.

أنطاكية في عهد السلوقيين

بعد وفاة أنطيوخس الثاني في سنة ٢٤٦ أو ٢٤٧ ق.م.) ادعت زوجته الثانية برنيكي Bernice وراثة ابنها للعرش، ونتج عن هذا الصراع احتلال





خريطة تبين موقع أنطاكية

القوات المصرية لأنطاكية. وقد استرد المدينة سلوقس الثاني الوريث، من الزوجة الأولى، في عام ٢٤٤ق.م. وقد ظل ميناء سلوقية في أيدي البطالمة حتى عام ٢١٩ ق.م. في عهد أنطيوخس الثالث (اليوناني). حيث حدث آخر تدفق معروف للمستوطنين من اليونانيين- بدون شك من المحاربين ضد الرومان.

وقد ارتفعت مكانة أنطاكية وبرزت كعاصمة. تحت حكم أنطيوخس الرابع (أبيفانيس) (١٧٥- ١٦٣ ق.م.) وأصبحت لها أهمية بصورة لم يسبق لها مثيل.

وكان ثمة جهود بذلها من أجل تعزيز الامبراطورية وتدعيمها لذلك كان من بين ما فعله من أجل ذلك أن أكَّد على الديانة الهيلِّينية وعقيدة الحاكم، وقد أقام المسرح لثورة المكابيين. وقد تزينت أنطاكية بهيكل محلي بالإضافة لما جلبه ذلك من دخل، تماماً كهيكل أورشليم.

في أثناء الحرب الأهلية (المدنية) في أثناء حكم ديمتريوس الثاني، أرسل يوناثان القائد اليهودي قوات تتألف من نحو ٣٠٠٠ جندي لتعاونه. حيث قتلوا نحو ١٠٠,٠٠٠ أنطاكي (انظر المكابيين الأول ١١: ٤٥- ٤٧) وبدون شك فإنهم فعلوا الكثير للتأكيد على الشعور المضاد لليهود في المدينة.

أما عن القرن الأخير من حكم السلوقيين لأنطاكية فيشوبه الكثير من الغموض، حيث شهدت تلك الفترة العديد من الصراعات بين الأسر الحاكمة. وقد تم تسجيل وقوع زلزال عنيف في تلك الفترة. أما عملات المدينة عن تلك الفترة فإنها تبرهن على استقلالها. وقد قام الأرمن بقيادة الملك تيجراس بحكم المدينة في سنة ٧٨ق.م وذلك قبل أن يضمها بومبي الحاكم الروماني لتكون سورية ولاية رومانية وذلك نحو سنة ٦٤ ق.م.

أنطاكية في عهد الرومان

أصبح الفرس مصدراً للرجاء والخوف، للشرقيين، وذلك بحسب انتمائهم السياسي. وقد انهزم القائد الروماني كراسوس ثم قتل في كارهاي. وبذلك أصبحت أنطاكية معرضة للهجوم. وفي نحو سنة ٤٠ ق.م، احتل الفرس كل سورية، بما في ذلك أنطاكية لفترة وجيزة. ولم يشعر الوالي الروماني في البداية بالراحة لذلك. فقام بإرسال أعداد كبيرة من رجال الأعمال الإيطاليين، وبذلك بدأت أنطاكية تشهد نوعًا من الرخاء، حيث بدأت تعامل كمدينة حرة. وقد ساهم العديدون من الحكام في ذلك، بومبي، قيصر، وأنطونيو حيث ساهموا في تجميلها، كما ساهموا في أن تكون مدينة رومانية. غير أن فترة "سلام أوغسطوس" كانت بمثابة الفترة التي شهدت فيها المدينة اتساعًا، وبناء الكثير من المباني الفخمة الجميلة.

وكان لهيرودس الكبير الإسهام الأكبر في التوسعات التي حدثت في المدينة. كما أمدَّها بالرخام.. وكان أحد المتحمسين والمتعاونين من حكام الرومان. وكذلك كان القيصر طيباريوس الذي أمدها أيضًا بكميات ضخمة من الرخام والتماثيل، والبوابات التذكارية. وفي هذه الفترة التي تم تحويل أنطاكية فيها إلى الذوق والجمال الروماني، اختفت تمامًا العناصر التي تميز كل ما



تمثال للامبراطور كلوديوس

هو سلوقي من المدينة. ولم تكن أنطاكية عاصمة الإقليم فحسب، بل صارت محوراً لكل الامبراطورية الرومانية الشرقية. كما تمتعت بشبكة من العلاقات الدبلوماسية مع الدول الصغيرة، والممالك، في إطار العلاقات الإقليمية، والتي امتدت إلى خارجها أيضًا لتصل إلى حدود الهند.

ويشير المؤرخ -المعاصر- سترابون إلى حجم مدينة أنطاكية في ذلك الوقت فيقول إنها ليست في حجم أقل بكثير من الإسكندرية، وربما بلغ عدد سكانها نحو نصف المليون شخص.

وفي سنة ٤٠م تفجر الشغب بين الأحزاب والفرق المختلفة، وتطور إلى مذبحة ضد اليهود. مما دعا كبير الكهنة في أورشليم فينياس Phineas أن ينظم على وجه السرعة حملة تتألف من ثلاثين





صورة جانبية تمثل الامبراطور كاليجولا

ألف رجل ضد أنطاكية. مما أدى إلى استدعاء ممثلي الحكومة الرومانية وعقابهم والتاريخ العام يخبرنا بالنزاعات الخطيرة التي كانت بين اليهود واليونانيين في ذلكم الوقت.

ونعرف من رسالة كلوديوس إلى الإسكندرية، أن اليهود هناك استدعوا بعض مثيري الشغب من سورية. وكان عام ٤٠م وهي نفس العام الذي حدثت فيه أزمة في أورشليم بسبب تمثال كاليجولا، والذي أمر هو بنفسه أن يوضع في الهيكل.

****

❁ اللغة الأرامية

والكنيسة هناك تقترن بالأراميين أو السوريين، ساكني أرض أرام أو سورية، حيث وجدت أنطاكية وأصبحت لغة الأراميين هي اللغة التي يتحدثون بها في تلك المنطقة. وكما كانت اللغة الأرامية هي اللغة السائدة قبل المسيحية، ظلت هكذا بعد المسيحية. وقد اجتازت اللغة الأرامية في عدة مراحل من التطور. وهذا التطور انتهى إلى شكل جديد للغة الأرامية، يعرف باللغة السريانية Syriac، وهي اللغة المندمجة التي تعبر عن وحدة الشعب السوري (آنذاك).

البردي المصري (نحو ٤٠٠ ق.م)	شمال سوريا (نحو ٧٥٠ ق.م)

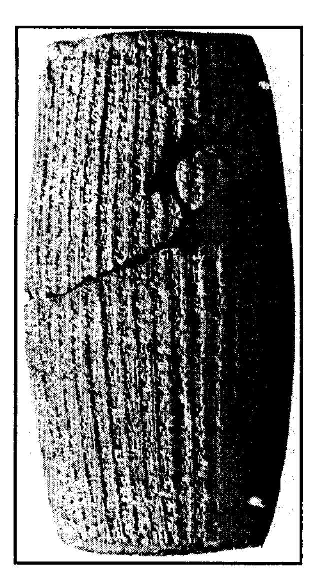
سورية

يأتي اسم سورية Syrian من Cyrus كورش ملك فارس (٥٥٩ - ٥٢٩ ق.م). والذي انتصر على بابل في سنة ٥٣٩ ق.م. وحرر اليهود وسمح لهم بالعودة إلى اليهودية. وذكره النبي إشعياء مقترنًا باسم السيد المسيح. "هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أممًا وأحقاء ملوك أحلُّ لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق" (إشعياء ٤٥: ١).

❁ خلط شائع!!

وكلمة سوري Syrian، مثل كلمة مسيحي Christian فهي تناظرها، إذ أن لقب "مسيحي" أُطلق على التلاميذ في أنطاكية، للمرة الأولى، حيث آمن اليهود أن "كورش" الذي حرزهم من أسر بابل في سنة ٥٣٨ ق.م يشبه المسيح المخلص للجنس البشري. لذلك فإنهم يكررون اسمه ويقرنون باسم المسيح رغبة منهم في تبجيله واحترامه، كما فعل آباؤهم إبان عودتهم إلى اليهودية.

وعندما علم الأمميون ممن يعيشون في أنطاكية -بإيمانهم- فإنهم أطلقوا عليهم "السوريون"، أو "المسيحيون"، ومنذ ذلكم الوقت انتشر اللقب بين المسيحيين في سورية ثم بعد ذلك أطلقت على الكنيسة السورية أينما كانت في ما بين النهرين، فارس، الهند، ثم الشرق الأقصى من خلال أعمال التبشير التي قام بها الآباء الأنطاكيون. وقد أطلق هذا الاسم للتمييز بين المسيحيين من الأراميين، والأراميين ممن لم يعتقنوا المسيحية بعد. ثم أصبحت فيما بعد كلمة أرامي مرادفة لكلمة "وثني". كما أصبحت كلمة سوري Syrian مرادفة لكلمة مسيحي. تماماً كما أصبحت اللغة الأرامية هي اللغة السريانية. وحتى أيامنا هذه، فإن المسيحيين ممن يتكلمون السريانية Syriac، يطلق



اسطوانة كورش وعليها تسجيل لانتصارات كورش باللغة المسمارية

عليهم السريان، حيث أن لقب مسيحي انتشر بين المسيحيين في الغرب. ويتفق كل مؤرخي كنيسة سورية على ما سبق أن ذكرناه بشأن اسم "سورية" وأنه ينبع من اسم كورش Cyrus.

ولذلك فإن الرسل عندما أطلق عليهم لقب "سوريون" Syrians. حدث اندماج بين الإسمين أو اللقبين، حيث أن مصدرهما واحد، وكان هذا الاسم قد ارتبط بكنيسة أنطاكية منذ فجر المسيحية هناك، ولذلك دعيت الكنيسة هناك "كنيسة سورية". كما ذكر ذلك القديس أغناطيوس - البطريرك الثالث لأنطاكية- في رسالته إلى روما فقي عام ١٠٧م. وقد ارتبطت كذلك بكنائس الشرق



فضلاً عن كنائس الغرب، حيث كانت تابعة للكنيسة في العاصمة القديمة لسورية. ومازالت ترتبط بتلك الكنائس التي تستخدم اللغة السرانية لغةً لليتورجيا، حيث كانت هي اللغة الأولى لكنيسة أنطاكية، وكانت في الماضي، طبقًا للرومانيين كلمة "Syrus" تعني كل إنسان يتكلم السريانية.

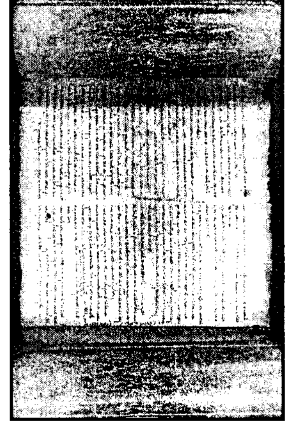
وفي بحث عن "الكنيسة الأرثوذكسية السريانية" بقلم البطريرك مار أغناطيوس يعقوب الثالث يقول: إنهم يندهشون لأن بعض الكتَّاب في الغرب فضلاً عن بعض المستشرقين يدعون كنيستنا "الكنيسة السريانية Syriac". إن كنيستنا، ومنذ نشأتها الأولى في القرن الأول الميلادي، أُطلق عليها، وعرفت في العالم أجمع بأنها كنيسة سورية Syrian. فكنيسة سورية لا تشير فحسب إلى موقع القطر، بل إلى الاسم المناسب للكنيسة التي تأسست في سورية، واستخدمت السريانية Syriac (الأرامية- Aramaic)، التي هي لغة القطر.

وهنا توضيح مهم للفرق بين الاسم الذي ينسب إلى القطر أو الذي ينسب إلى اللغة إلا أنها اتخذت منها "لقبًا" دينيًا، وشاع للكنيسة (السورية) أينما كانت سواء في سورية، لبنان، العراق، تركيا، الأردن، مصر، الهند، أمريكا الشمالية والجنوبية، واستراليا.

وقد اتبعت الكنيسة في سورية تقليداً دينيًا وثقافيًا مازالت تحتفظ به إلى هذا اليوم. وإنه لمن المتفق عليه بيننا جميعًا أن لفظة "سريانية" Syriac تعني لغة سورية، أو أهل سورية، تمامًا كما أن "عربي" تعني لغة العرب. ولذلك فإن الكنيسة هي "كنيسة سورية" (Syrian Church)، وليست "Syriac Church" أي السريانية.

ويفتخر السوريون بأنهم مازالوا يحتفظون لكنيسة سورية بثقافة، ولغة سورية، وبتقليد كنيسة أنطاكية، حيث كانت أنطاكية هي عاصمة سورية. ويؤكدون على أن كنيستهم قد حافظت على الأدبيات والليتورجيات التي واكبت نشأة الكنيسة التي أسسها الرسل، في أنطاكية.


جزءان من اللفائف وُجدتا في خربة قمران


صورة لأقدم مخطوطة للعهد القديم كاملاً، وجدت في خربة قمران

لغة كنيسة سورية

كنيسة سورية كانت تتحدث الأرامية. كما كان اليهود في عصر الرسل يتحدثون بها. وكانت الأرامية هي لغة سورية منذ نحو ٥٠٠ سنة ق.م. حيث كتب اليهود بعض الكتب المقدسة بلغة أرامية أو بحروف أرامية.

إن لفائف البحر الميت والتي عثر عليها في سنة ١٩٤٧ قال عنها البطريرك مار أثناسيوس يعقوب صموئيل، رئيس أساقفة أورشليم آنذاك، إنها كانت مكتوبة بالأرامية، حيث كانت تستخدم لغة لليتورچيا في الكنيسة الأنطاكية. وكانت الليتورچيا قد أسسها القديس يعقوب، أخو الرب، والأسقف الأول لكنيسة أورشليم، حيث استخدمت للمرة الأولى هناك. ولذلك فإنها تنسب إليها.

ويفتخر السوريون بأن تلك اللغة قد تقدست بميلاد وحياة السيد المسيح وبالمعجزات التي أجراها، وبتعاليمه، وعظاته، وبتأسيس السر المقدس للتجسد والفداء، حيث شرفت بأن نطقت بها شفتاه وفمه المقدس، وكذلك حيث نطقت بها السيدة العذراء، وسائر الرسل. وكذلك يجد السوريون أنه من دواعي الفخار أن بشارة الإنجيل بدأت في أورشليم اليهودية.. وسورية..

وكلمة "مسيحي" Christian هي اشتقاق لغوي لاتيني، وهي لقب مناظر صكه الرومان. ولم يكن المؤمنون في كنيسة العهد الجديد يرغبون في لقب يميزهم، إذ لم يكونوا بحاجة لمثل هذا اللقب لتمييز جماعتهم. وكان المؤمنون في أنطاكية يلتقون لكونهم كنيسة (أعمال ١١: ٢٦، ١٣: ١، ١٤: ٢٧).

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

الباب الثاني

الفصل الثاني

تأسيس الكنيسة في أنطاكية

❁ كنيسة الأمم

يرجع تأسيس الكنيسة بين الأمم إلى برنابا تلميذ الرب، وإلى الرسول بولس، وكانت البداية في أنطاكية (أعمال ١١: ١٩-٢٦). إلاَّ أن العناية الإلهية مهدت الطريق إلى ذلك من خلال عدة خطوات قبل أن يبدأ الرسول بولس في رحلاته التبشيرية بين الأمم. "ولكن لما سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحمًا ودمًا" (غلاطية ٢: ١٥ و١٦). وقد تم ذلك عن طريق:

أ- تجديد السامريين الذين يعدون شبه أممين، وكانوا من ألد أعداء اليهود (راجع ٢ملوك ١٧: ٢٤)، وكان فيلبس قد انحدر إلى مدينة السامرة ليكرز لهم بالمسيح (أعمال ٨: ٥). وفيلبس هو أحد الرجال السبعة الذين أقامهم الرسل لخدمة الموائد، وصلّوا ووضعوا عليهم الأيادي. (أعمال ٦: ١-٦).

ب- تجديد كرنيليوس قائد المائة من الكتيبة التي تدعى الإيطالية. وكان ذلك بواسطة بطرس الرسول، وفيما كان بطرس يتكلم مع كرنيليوس ومن كانوا مجتمعين معهم، إذ حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة. فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان كل من جاء مع بطرس لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضًا. (أعمال الرسل الأصحاح العاشر).

جـ- تأسيس الكنيسة في أنطاكية بسورية في نفس الوقت تقريبًا. على يد برنابا الهيليني القبرسي أولاً، ثم برنابا وبولس. حيث لعب بولس فيما بعد دورًا كبيرًا في ذلك. (راجع موسوعة آباء الكنيسة: الجزء الأول صفحتا ٣٣-٣٥).

يوضح أهمية دور كنيسة أنطاكية في ذلكم الوقت، أن أنطاكية كانت النقطة التي انطلق منها بولس الرسول في رحلاته التبشيرية الثلاث، إلى قبرس، وأسيا الصغرى، واليونان (أعمال ١٣: ١،

١٥: ٣٦، ١٨: ٢٣) كما أنها أيضًا كانت النقطة التي عاد إليها من رحلتيه الأولى والثانية (أعمال ١٤: ٢٦، ١٨: ٢٢).

كان انعقاد المجمع الأول في أورشليم في سنة ٥٠م بسبب مسألة الختان التي أثارها التهوديون في كنيسة أنطاكية. إذ طالبوا بأن يختتن الأمميون الذين يدخلون إلى الإيمان المسيحي، وإنه لمن الإنصاف أن نقول إن النظرة الواسعة للأنطاكيين قد غلبت النظرة الضيقة لدعاة التهود، وقد رأى المجمع بإرشاد الروح القدس إعفاء المسيحيين من الأمم من نير الناموس اليهودي. (أعمال ١٥، غلاطية ٢: ٤- ١٤). **(انظر مجمع أورشليم الأول في موضعه بالباب الأول من هذا الجزء).**

****

❁ الكنيسة في أنطاكية

يعتبر نيقولاوس الدخيل "الأنطاكي" هو أول أنطاكي آمن بالمسيحية. وكان أحد الرجال السبعة المنتخبين الذين أقامهم الرسل لخدمة الموائد (أعمال ٦: ٣-٦).

كما أنه يبين مدى اهتمام الأنطاكيين باليهودية التي تحول بعضهم إليها، قبل أن يؤمنوا بالمسيحية. وكانت أنطاكية إحدى المدن التي ذهب إليها من تشتتوا من جراء الضيق الذي حدث بسبب استفانوس، فذهب قوم منهم إليها ليبشروا اليونانيين فيها بالرب يسوع. (أعمال ١١: ١٩ و٢٠).

الإقبال الشديد على المسيحية في أنطاكية كان مفاجأة للتلاميذ في أورشليم، ولذلك فإن برنابا الذي أرسلوه إلى هناك ورأى نعمة الله، ذهب ليقابل شاول -الذي هو بولس- في طرسوس، وعندما وجده جاء به إلى أنطاكية، وظلاً هناك لمدة سنة كاملة، وعلَّما جمعًا غفيراً، ودُعِيَ التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً. (أعمال ١١: ٢٢-٢٦).

****

❁ علاقة كنيسة أنطاكية بالكنائس في أماكن أخرى

حمل الرسولان برنابا وبولس بشارة الإنجيل إلى الأمم إلى دول أوروبا وأشيا الصغرى وقبرس وإلى المجامع، وقد انتخبا لهما قسوسًا في كل كنيسة ذهبا إليها (أعمال ١٤: ٢٣). وذلك قبل أن يعودا إلى كنيسة أنطاكية ويخبرا بكل ما صنع الله معهما. غير أنه كانت ثمة صلة مع كنيسة أورشليم. وبعد ذلك أرسلت الكنيسة في أورشليم برنابا إلى أنطاكية (أعمال ١١: ٢٢). ذهب إلى هناك أيضًا



أنبياء -أي من أورشليم إلى أنطاكية، حيث أشار بالروح واحد منهم اسمه أغابوس أن جوعًا عظيمًا كان عتيدًا أن يصير على جميع المسكونة نحو سنة ٤٦ أو ٤٧ في أيام كلوديوس قيصر. فأرسلوا برنابا وشاول -بولس- حسبما تيسر لكل من التلاميذ شيئًا خدمة إلى الإخوة الساكنين في اليهودية (أعمال ١١: ٢٧- ٣٠).

وربما كانت تلك الواقعة هي التي أخذا فيها معهما تيطس -الأممي فهو يوناني لم يختتن. (غلاطية ٢: ١-١٠). وحيث التقيا بالرسل، وقد أعطاهما يعقوب وصفا ويوحنا يمين الشركة. (غلاطية ٢: ٩).

وبعد أن عادا من رحلتهما التبشيرية، "تبعهم قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا" (أعمال ١٥: ١-٣). وربما يكون هذا القوم هو الذي قصده بولس عندما تكلم عن "القوم الذي أتى من عند يعقوب" (غلاطية ٢: ١٢). فإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا يعني أن بطرس الرسول كان هناك في أنطاكية، وأن المؤمنين انقسموا إلى اجتماع يهودي والآخر أممي.

وكان للرسول بولس رأي واضح في مسألة التهود هذه، حيث قال لبطرس الرسول: "إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميًا لا يهوديًا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟؟" (غلاطية ٢: ١٤).

ولما أرسلت الكنيسة في أنطاكية بولس وبرنابا وأناس آخرين إلى الرسل في أورشليم لأخذ مشورتهم بشأن تلك المسألة. وحيث اجتمعت الكنيسة في أورشليم وقد حدثت مباحثة كثيرة في تلك المسألة. ثم أيدت رأي بطرس ويعقوب. وحيث تكلم برنابا وبولس عن كل ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم. وقد اختاروا مع بولس وسيلا، يهوذا الملقب برسابا وسيلا رجلين متقدمين في الإخوة، ليخبرانهم بنفس الأمور شفاهًا. ونجد ملخصًا لذلك في أعمال ١٥: ٢٨ و٢٩: "لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق.

وعندما جاءوا إلى أنطاكية "جمعوا الجمهور ودفعوا الرسالة"(أعمال ١٥: ٣٠)، أي أعلموا الكنيسة في أنطاكية بشأن الرأي والمشورة التي اجتمعوا بشأنها في أورشليم، وقد استقبلت الكنيسة هناك الرسالة بفرح: "فلما قرأوها فرحوا بسبب التعزية" (أعمال ١٥: ٣١).

وقد اختار بولس سيلا وخرج مستودعًا من

الإخوة إلى نعمة الله. فاجتاز في سورية وكيليكية يشدد الكنائس. ومن الواضح أن أنطاكية كانت في مركز المباحثات والمنازعات. وكانت النتيجة التي توصولا إليها في اجتماعهم بأورشليم هو الحل الأبدى ليظل الإنجيل في حرية من الناموس. **(ارجع إلى أعمال الرسل الأصحاح ١٥ إذ ينكر تفاصيل مناقشة مسألة الختان والتهود). (برجاء العودة إلى مجمع أورشليم الأول في موقعه من هذا الجزء من الموسوعة).**

وطبقًا لتقليد مبكر فإن بطرس الرسول رُسِمَ أسقفًا على أنطاكية نحو سنة ٣٤ أو ٣٥م، ثم تبعه إيڤوديوس Evodius الأسقف السابق على القديس أغناطيوس.

****

الغنوسية

وقد عُرفت في أنطاكية مدرسة قوية لهرطقة الغنوسية والتي يردها التقليد إلى سيمون الساحر. **(للمزيد يمكن الرجوع للجزء الأول من هذه السلسلة صـ ٢٤٣ وما بعدها).**

في القرن الثالث عقد مجمع في أنطاكية برئاسة الأسقف بولس الساموساطي. وهذا المجمع يعكس أهمية المدينة ودورها الكنسي والسياسي.

حتى القرن الرابع كان مازال بالمدينة ثمانية معابد وثنية -كما يقول أو. باسكاتو O. Pasquato- حيث توجد على مسافة ٦ كم قرية دافني، والتي كانت مركزًا لعبادة أبوللو وأرطاميس. في ذلك الوقت كانت سورية إحدى الولايات الخمسة في الشرق. وكان الحاكم الذي يأتي من الشرق أنطاكيًا. كما كان دور أنطاكية ليس سياسيًا إداريًا فحسب، وإنما أخلاقيًا وثقافيًا أيضًا.

أما وقد بلغنا القرن الرابع فتذكر موسوعة الكنيسة الأولى أن تعداد سكان المدينة كان يتراوح بين ٥٠٠ ألف نسمة إلى ٨٠٠ ألف نسمة.

****

الكنيسة في دمشق

وكذلك آمن أهل دمشق بالمسيحية، وأقبلوا على الإيمان بها.. "وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيًا.." (أع ٩: ١٠) وحنانيًا هذا هو الذي ظهر له الرب في رؤيا لكي يذهب ويقابل شاول الطرسوسي.. ووضع يديه عليه.. واعتمد بولس بيديه.. (انظر أعمال ٩: ١٠-٢٢).

وكانت دمشق المدينة الأولى التي بشَّر فيها بولس بعد الإيمان (أع ٩: ٢٠-٢٢).

وأصبح حنانيًا أول أسقف على أول كنيسة



شيدت هناك.. حيث أقيمت الكنيسة في البيت الذي ظهر فيه الرب لحنانيًا. بحسب التقليد ويقع إلى جانب الباب الشرقي، في دمشق، ويسميه المؤرخون العرب "الكنيسة المصلِّية". **(تاريخ الكنيسة في المدن السورية: الأب ب. كاستيلانا).**

وكذلك يحدد التقليد بعض الأماكن ذات الأهمية في دمشق، كالزقاق الذي يقال له المستقيم (أع ٩: ١١) والمكان الذي آمن فيه شاول، والمكان الذي هرب منه وتدلى من السور في سلٍ (أع ٩: ٢٣ و٢٥).

****

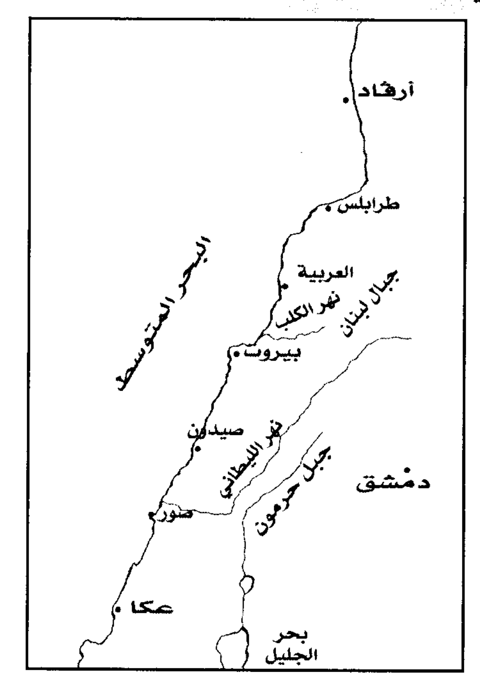
فينيقية

أولاً: الموقع

كانت فينيقية تشغل الشريط الضيق الذي يمتد من النهر الكبير (كان يسمى نهر الخيبر) في الشمال، وحتى جبل الكرمل في الجنوب. وهي تبلغ نحو (١٢٠) ميلاً، وتبلغ في أقصى اتساع لها نحو خمسة أميال من ساحل البحر في الغرب وحتى جبال لبنان في الشرق. وهذا السهل خصب زاخر بمختلف أنواع المزروعات، مما يجعلها دائمة الخضرة على مدار السنة، فهي منطقة خصبة للزراعة منذ عصور قديمة. أما جبال لبنان فهي توازي ساحل البحر المتوسط وتمتد من النهر الكبير في الشمال إلى نهر القاسمية في الجنوب، بطول نحو مائة وخمسة أميال. وجبال لبنان من الحجر الجيري، لذا فهي تميل إلى اللون الرمادي. **(موسوعة زوندرفان).**

ثانياً: الاسم:

يشتق الاسم في الإنجليزية Phoenicia من الكلمة اليونانية Phointke . ويرجح أنها لا ترجع إلى زمن قبل الأوديسة لهوميروس في سنة ٧٥٠ ق.م). وهي في المقابل تشتق من الكلمة اليونانية Phoinikes (والتي لا ترجع إلى زمن قبل الإلياذة في ٨٠٠ ق.م). وكلا الكلمتين مصدرهما كلمة



خريطة فينيقية

Phoinix وتعني "صبغة الأرجوان"، وهي لوصف الشعب وأرضهم. والكلمة وجدت في إحدى اللوحات الحجرية للمكابيين والتي يرجع تاريخها إلى سنة ١٢٠ ق.م. والكلمة اليونانية Phoinix تعني "ذوو الصبغة الأرجوانية". ويرجح أنها ترجمة لكلمة سامية تعني كنعاني، حيث أن الكلمة الحورانية "كناهي" تعني "الصبغة الأرجوانية". وطبقًا لهذه النظرية فإن الكلمة الحورانية قد أطلقت على "أرض كنعان" أي "أرض الأرجوان". ومن ثم أُطلقت على الشعب. ومن المحتمل أن الاسمين يشتقان من مصدرين مختلفين. **(موسوعة زوندرفان)**. ويرجح أن الصبغة الأرجوانية تشير إلى الإنتاج الغزير من صبغة الأرجوان، وتصديره، وكان الحصول على صبغة الأرجوان يتم من القواقع البحرية عند بحر صور **(موسوعة وكلف)**. وقد عُرفت فينيقية في التاريخ واشتهرت كسوق تجاري كبير. **(قاموس أونجرز)**.

ثالثاً: التاريخ:

تاريخ فينيقية بالغ القدم. وإن كان المؤرخ هيرودوت، ظن أن رجال البحر من الفينيقيين قد وصلوا إلى فينيقية من منطقة خليج فارس عن طريق البحر الأحمر. وأسَّسوا العديد من المدن الفينيقية مثل صيدون وصور. **(موسوعة زوندرفان)**.

غير أن الوثائق المكتشفة الحديثة تبين أن أقدم تلك الوثائق لا يرجع إلى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد. وقد أسفرت الحفائر التي قام بها الفرنسيون في أطلال مدينة "جبيل" أو "جبال" القديمة (بيبلوس حديثًا) أن المدينة في ختام العصر الحجري الحديث في نحو سنة ٣٥٠٠ ق.م كان يسكنها جنس من سكان شعوب البحر المتوسط، غير أن هذه الشعوب اختفت في النصف الثاني من الألف الرابعة قبل الميلاد. ثم جاءت جماعات جديدة وحلَّت محلها. بعض هذه الجماعات جاءت من الشمال، وبعضها جاء من الشرق، من بلاد ما بين النهرين والعربية (وذلك في نحو الألف الثالثة قبل الميلاد). وكانت السيادة للساميين على شعوب شمالي ما بين النهرين وسورية، ولبنان. ويبدو أنهم من أطلقوا الأسماء (الريفية) من لغتهم الخاصة "فلبنان" يعني (الأبيض) و "صيدون" تعني (المكان الذي يُصاد فيه السمك)، وذلك في منتصف الألفية الثالثة).

وفي خلال الفترة تقريبًا من ٢٥٠٠ - ١٧٠٠ ق.م. كان الساميون يُسمون بالأموريين عادة. ولكن يجب ألا نخلط بينهم والأموريين في زمن العهد القديم، إذ أنهم كانوا قبيلة صغيرة.

ووقعت فينيقية تحت السيادة المصرية في



الفترة من حوالي ٢٧٠٠ - ٢٢٠٠ ق.م. وكانت "جبيل" أو جبل" (بيبلوس حاليًا)، المرفأ الذي تتم عن طريقه التجارة التي ازدهرت مع مصر في تلك الفترة.

وفي المدة من حوالي ٢٠٠٠ - ١٧٧٦ ق.م سيطرت مصر على فينيقية بوسائل اقتصادية وتجارية، وربما استقرت هناك بعض الجيوش.

ومع بناء مصر لامبراطوريتها في المدة من نحو ١٥٨٠ - ١١٠٠ ق.م سيطرت مصر على الساحل اللبناني كجزء من الامبراطورية. وبعض المؤرخين يرى في "تحتمس الثالث" (نابليون)، في مصر القديمة. وقد ذُكرت انتصاراته على فينيقية، إذ اعتبر فينيقية جزءًا تابعًا لامبراطوريته.

لقد جاز المصريون، والحيثيون، في فينيقية. إلاَّ أن فينيقية حصلت في المدة من نحو ١١٠٠-٩٠٠ق.م على استقلالها. وقد أمدت صور سيطرتها على باقي أجزاء فينيقية. وقد قام الملك حيرام بتبادل التجارة مع الملك داود، والملك سليمان (انظر صموئيل الثاني ٥: ١١، ملوك الأول ٥: ١، ٩، ملوك الأول ٩: ١٠-١٤). وقد عرفت عن طريقهم مملكة إسرائيل الشمالية عبادة "البعل".

بعد نحو سنة ٩٠٠ق.م، وقعت فينيقية تحت سيطرة الأشوريين، وأعطوها نوعًا من الحرية - على الأقل في البداية- ما داموا يدفعون الجزية. وكانت بالنسبة إليهم، أن يكونوا جزءًا من امبراطورية عظيمة كالأشورية، تحمل في طياتها ميزة تجارية. وفي تلك الفترة قاموا بتأسيس مستعمرات في غربي البحر المتوسط. كما نقلوا إليها الأبجدية الفينيقية.

وقد صَدَّرَت فينيقية أفضل ما لديها من النسيج والصبغة، والأخشاب، وبضائع أخرى، للغرب البعيد.

وبعد سقوط الامبراطورية الأشورية. ضمها نبوخذ نصَّر إلى امبراطوريته. وقد عانت كل من أورشليم وصور من غضبه. فدمر أورشليم في سنة ٥٨٦ ق.م، ثم بعد ذلك إذ وجد مقاومة من صور، حاصرها لنحو اثنتى عشرة سنة (٥٨٥ - ٥٧٢ق.م). ثم بعد ذلك دمر الجانب الأكبر منها.

وبعد أن هزم الإسكندر الأكبر امبراطورية فارس في سنة ٣٣٣ ق.م. قام باحتلال صور بعد

k	y	t	ch	z	v	h	d	g	b	a
t	sh	r	k	tz	p	e	s	n	m	l

الأبجدية الفينيقية

أن حاصرها لمدة سبعة أشهر (في سنة ٣٣٢ ق.م). وقام بإمداد جسر بين الشاطيء والجزيرة التي كانت صور قائمة عليها، واستولى على سوقها التجاري الكبير، كما دمرها بالكامل.

وفي العصر اليوناني، أعيد بناء صور، وأصبح سكانها من اليونانيين، واستعادت فينيقية غناها مرة أخرى. وكذلك في العصر الروماني أيضًا.

رابعًا: الديانة

من الاكتشافات التي تتعلق باللغة الأوغاريتية Ugarit، والآكادية، وآدابهما، أمكننا معرفة الديانة الكنعانية. فهي تدلنا على آلهة وإلاهات المدن الكنعانية في مختلفة عصورها. وسوف نركز على أكثر تلك الآلهة أهمية.

يأتي على رأس تلك الآلهة: الإله "إل" (أو إيل) El أسمى الآلهة الكنعانية وأرفعها شأنًا. وابنه "بعل" Baal الإله الحاكم على الآلهة، والذي يتسيد على "البانثيون" الكنعاني.

وفي الأدب الأوغاريتي، أُعطى الإله بعل صفة الانتشار. وكلا الإلهين "إل" و "بعل" يأتيان بأفعال سلوكية لا أخلاقية. وكذلك الإلاهات الثلاث، وهن: عناث Anath، وعشتارت (عشتورث) Astarte، وعشيرة Ashera، وهن الحافظات والمسئولات عن الجنس والحرب، ويُعلِّن عن السلوك الإباحي في الديانة الكنعانية.

كل تلك الآلهة الكنعانية كان لها تأثيرها السلبي على شعب بني إسرائيل. ويتضح ذلك من قصة آخاب وإيزابل (انظر ملوك الأول أصحاحي ١٨ و١٩). أما سليمان الملك نفسه فقد سار وراء ألهتها: "وذهب سليمان وراء عشتورث إلاهة الصيدونيين" (ملوك الأول ١١:٥). وعانى سليمان من التأثير المتدني للسلوكيات الإباحية في تقاليد الديانة الكنعانية. وليست اللعنة التي صبَّها نوح على كنعان سوى إشارة إلى الانحراف الديني، والتدني الأخلاقي للعبادة الكنعانية (تكوين ٩: ٢٥-٢٧). **(موسوعة وكلف)**.



صورة تمثل البعل.. ويرجع تاريخها إلى ١٩٠٠- ١٧٥٠ ق.م، من رأس شمرا

الكنيسة في فينيقية

كانت مدينتا صور وصيدا من بين المدن التي شملتها لعنة الرب يسوع المسيح، لعدم تجاوبها مع خدمته (انظر مت ١١: ٢١و٢٢، لوقا ١٠: ١٣ و١٤). وقد شفى الرب يسوع ابنة المرأة الكنعانية، وامتدح إيمانها (متى ١٥: ٢١-٢٨، مرقس ٧: ٢٤-٣١).

وقد عرفت المسيحية طريقها إلى فينيقية في وقت مبكر، إذ يذكر سفر أعمال الرسل فينيقية في عدة مواضع. فيذكر بشارتها "أما الذين تشتتوا من جرآء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية". (أعمال الرسل ١١: ١٩). كما يذكرها عندما اجتازها كل من بولس وبرنابا ومن كان معهما وهم في الطريق إلى أورشليم (انظر أعمال الرسل ١٥: ٣). وكذلك عندما أتى إلى صور بولس الرسول. عند عودته من رحلته الكرازية الثالثة (انظر أعمال الرسل ٢١:٣-٦). وكذلك عندما كان في طريقه إلى رومية (انظر أعمال الرسل ٢٧: ٣) وكذلك جاء ذكرها في إنجيل مرقس (٨:٣) وفي إنجيل لوقا (١٧:٦). **(برجاء العودة إلى "صيدا" في الفصل الثاني من الباب الأول: الكنيسة في بعض الأماكن المهمة في فلسطين وإلى الفصل الخامس من الباب الأول: الكنيسة التي في صور).**



الكنيسة في بالميرا – تدمر

.. بعد أن بنى سليمان بيت الرب... بنى تدمر في البرية.. (٢أخ ٨: ١-٤)

كانت بالميرا – وبالميرا تعني "مدينة النخيل" تدمر حديثًا، قرية صغيرة يسكنها البدو رُحَّل، وهي تقع بسورية. بالميرا اشتهرت بسمعة رديئة في الكتاب المقدس. ثم أصبحت مدينة كبيرة في الصحراء العربية. وهي تقع في منتصف الطريق بين البحر المتوسط ونهر الفرات (٣٠٠كم من النهر) وكان يمر بها قاطعو الصحراء من الشرق، وهي معروفة بالكثير من عيون المياه. وكانت طرفًا في الحروب الرومانية الفارسية (٤١ ق.م) وقد استباحها أنطونيو.. وكان نتيجة لذلك أن فرَّ سكانها ومعهم كل مقتنياتهم إلى ما وراء الفرات. وترجع ثروتها إلى طبيعتها كمدينة محايدة، حيث كانت هي المكان الذي يتم فيه تبادل البضائع بين أكبر قوتين متنافستين (إلى حد العداء!) وهما روما والفرس. وبعد انتصار تراجان على الفرس، أصبحت تابعة لروما، حيث أصبحت بلاد ما بين النهرين تابعة للامبراطورية الرومانية. وفي أيام سبتميوس ساويرس حاول أن يجعل منها قاعدة للهجوم على الشرق. ولكن ظهور أسرة الساسانيين، جعل المدينة تظفر بالحكم الذاتي. بعد أن هزم شهبور الرومان هزيمة شنيعة في سنة ٢٥٨ . وانتصر أودنياثيوس البالميري –سليل عائلة لولي أورلي سبتيمي– على ملك فارس في معركة، حصل في أعقابها على لقب "امبراطور" وهو لقب شرفي أسبغه عليه الامبراطور جالينوس. وقد أمدَّ أوديناثيوس سلطانه على كل سوريا وجانب كبير من الشرق. وقد قتل في مؤامرة دبرت له في سنة ٢٦٦ أو ٢٦٧ . وخلفه ابنه ڤالاتوس، وكانت تقوم أمه زنوبيا Zenobia (زينب)، حيث استمرت في سياسة الفتح، حتى إنها لم تخضع لروما. وترتب على ذلك أن هاجم أورليان المدينة وحاصرها وقام بأسر زنوبيا. وهكذا كانت نهاية المدينة في عام ٢٧٢م. وانتشرت فيها المسيحية. وكانت توجد أسقفية في بالميرا. وقد حضر أسقفها مارنيوس. مجمع نيقية في سنة ٣٢٥م. وتوجد في المدينة إلى غربي الهيكل العظيم أطلال لعدة كنائس، والكنائس بها تشبه كنيسة الصعود على جبل الزيتون. كما توجد كنيستان خارج أسوار المدينة (ربما أكثر من كنيستين). كما أن الحفائر الحديثة قد كشفت عن وجود آثار وثنية. فيما عدا رسم لصور السيد المسيح. وقد وجدت في الحفائر التي تمت في سنة ١٩٦٠م بعض الحُلي على شكل صليب، في إناء خزفي صغير كما وجد خاتم يحمل نقوشًا يونانية.

أما النقوش التي توجد في القبور فإنها تذكر أسماءً مسيحية.

****

❁ الكنيسة في أنحاء سورية

انتشرت المسيحية في أصقاع سورية وتأسست هناك عدة كنائس وثمة روايات يذكرها المؤرخ مار ميخائيل السوري عن إنشاء تلك الكنائس معتمداً على صحة روايات من سبقوه.. فالقديس بطرس أنشأ كنيسة في أنطاكية قبل ذهابه إلى روما. ورسم عليها إيفوديوس أسقفًا. كما أقام كنيسة صغيرة في طرسوس في طريق ذهابه إلى أنطاكية من أورشليم.

كما يذكر المؤرخ أن يعقوب بن حلفا كرز في مدينة "الرقة"، وتوفى في بلدة تدعى "بطنان" وأقام كنيسة هناك.. وقد ذهب القديس سمعان القانوي إلى مدينة حلب لكي يكرز هناك.. فوعظ فيها.. وفي "منبج" وأقام كنيسة في "ذورش".. وتوفى هناك حيث دفن أيضاً... كما ذهب القديس تدَّاوس إلى اللاذقية للتبشير.. وتوفى في جزيرة تدعى "أرواد" **(المرجع السابق)**.

كما يُذكر أن أعداد المؤمنين من المسيحيين كانت آخذة في الازدياد في النصف الثاني من القرن الثاني، في أثناء أسقفية ثيؤفيلس، في شرقي سورية وفي الرها، وكذلك في نصيبين والفرات (كما تخبرنا بذلك النقوش الموضوعة على القبور). وكذلك يخبرنا يوسابيوس المؤرخ القيصري بأن ثمة مجمعًا قد عقد في الرها **(تاريخ الكنيسة ٥: ٢٣: ٤)**.

رُسِم أسقف الرها بالوت Palut على أنطاكية في سنة ١٩٠م. حيث بدأت حملات الكرازة تنتشر من الرها إلى كل التخوم المحيطة بها، حتى بلغت ما بين النهرين (العراق).

أما في القرن الثالث.. فقد بدأت مدرسة الرها تزدهر.. لتماسكها داخليًا.. ونموها خارجيًا.. وأصبحت أنطاكية في مكان المركز لحملات الكرازة النشطة لأسيا الصغرى، أرمينيا، وما بين النهرين وبلاد فارس. وفي مجمع نيقية في عام ٣٢٥،. كان حاضراً ٢٢ (اثنين وعشرين) أسقفًا من سوريا ومن بينهم أسقفان مساعدان من المكرسين لخدمة الريف.

وإبان اضطهاد دقلديانوس في سنة ٣٠٣م كانت كل السجون في أنحاء سوريا قد امتلأت بالأساقفة والشيوخ والشمامسة، وكل الخدام بالكنائس **(تاريخ الكنيسة ٨: ٦)**.

بنهاية القرن الرابع، وبزوغ فجر القرن الخامس

الميلادي كانت كل البلاد الواقعة في القرى والريف في سورية معظم سكانها من المسيحيين، كما يوضح ذلك آثار تلك الفترة، وشواهد القبور. **(موسوعة تاريخ الكنيسة)**. وفي أثناء مجمع خلقدونية (٤٥١م). كانت بطريركية أنطاكية تضم ١٣٠ مقراً للأساقفة.

كان الرهبان نشطين في الكرازة والعمل الاجتماعي. حيث قامت أنطاكية بالكرازة للبدو شرقي سورية (وكان الأسقف الخاص بالكرازة لهم حاضراً مجمع أنطاكية سنة ٣٦٣م). وقد امتدت الكرازة من سورية حتى بلغت شمالي الهند، وذلك بمساعدة المجتمعات التي آمنت جنوبي الهند (ملابار). كما استقلت الكنيسة في قبرص عن أنطاكية. **(انظر مادة الأسقفية)**.

وفي مجمع أفسس في سنة ٤٣١م تم إقرار أن يقوم الشهود من العلمانيين بدور في العمل الكرازي. وكان يوحنا ذهبي الفم يقول: "لن يكون ثمة وثنيون بيننا إذا عشنا مسيحيين حقيقيين". بل ويمكن أن نضيف أن الكنائس المحلية هي التي دعمت العمل الكرازي في كل أنحاء الامبراطورية.

❁ أحشاء رأفاته

أخذت الكرازة المتوهجة في أنطاكية مصداقيتها من محبة الآخرين ومساعدتهم ومواجهة احتياجاتهم. وكان يقوم بذلك الشمامسة بمعاونة الشماسات والأرامل. وفي عظة للقديس يوحنا ذهبي الفم في تفسير إنجيل متى يذكر أن ثمة نحو ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف) فتاة وأرملة كن موضع العون الذي تقدمه الكنيسة يومياً. سواء في المستشفيات أو في دور الرعاية التي تنفق عليهم، أو في السجون، للمرضى أو من في دور النقاهة أو للمغتربات. وكان المؤمنون والأغنياء هم مصدر تلك الأموال التي تقوم الكنيسة بتقديمها لتلك الخدمات.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الباب الثاني

الفصل الثالث

مدرسة أنطاكية

مدرسة أنطاكية

تم إطلاق لقب مدرسة على جماعة من المفسرين واللاهوتيين، وكان بعضهم على درجة بالغة من الأهمية- مثل ديودور الطرسوسي وثيودوريت (تيودورس) الموبسوستي ويوحنا ذهبي الفم، وثيودوريت (ثيؤدورس) الذي من كيرثوس- وكانوا من المؤثرين في الفكر اللاهوتي بأنطاكية في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي. حيث بلغت أوج نضجها.. "ويمكن القول أيضًا إن مدرسة تعني حركة الفكر اللاهوتي التي قام بها رجال الكنيسة في أنطاكية بمؤلفاتهم أو بمواعظهم أو غير ذلك" **(تاريخ الكنيسة في المدن السورية: مرجع سابق).**

لم تكن مدرسة أنطاكية مثل مدرسة الإسكندرية لها منهجها، وتوجهها، يدعمها أسقف المدينة بل كانت عبارة عن مكان يلتقي فيه المعلمون والطلبة، وكانت تقوم على الجهود الفردية للمعلمين، حيث كان يقوم المعلمون بمشاركة المعلمين الآخرين ممن لهم نفس المشارب في التفسير أو الفكر اللاهوتي، غير أن ذلك لم يكن وفق منهج وتخطيط علمي، بل كان يقوم على أساس فردي، لا مؤسسي.

فنجد مثلاً أن لوقيانوس الأنطاكي وهو من أصحاب التفسير الحرفي (في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي) كان على خلاف مع أصحاب المنهج الرمزي في التفسير من معلمي مدرسة الإسكندرية بمصر. وبعض الدارسين ينسبون إليه تأسيس مدرسة التفسير، غير أن القليل الذي نعرفه عنه لا يجلعنا ندلي برأينا في هذا الأمر. أما عن المنهج الحرفي في التفسير والذي تنتمي إليه مدرسة أنطاكية، فإن بعض الدارسين يفضلون النظر إليه، في الإطار الأكثر اتساعًا، إذ أنهم ينظرون إليه على أن مدرسة أنطاكية، تنتمي للتعليم الأسيوي، بعامة، الذي يتبنى المنهج الحرفي في التفسير، وإن لم يكن الأمر على هذا النحو. على وجه الحصر. **(موسوعة الكنيسة الأولى).**

أما شاف فيرجح أن المؤسِسَين الحقيقيين لتلك المدرسة هما أسقف طرسوس، الأسقف ديودورس

(نحو سنة ٣٧٩- ٣٩٤م)، والأسقف ثيؤدورس أسقف موبسوستيا (٣٩٣ - ٤٢٨)، وكلاهما كانا -قبلاً- شيخين (قسيسين) على أنطاكية. (**شاف: الجزء الثاني**).

وقد تعاظم الاختلاف بين مدرستي الإسكندرية وأنطاكية في وقت بولس الساموساطي ولوقيانوس الأنطاكي (في النصف الثاني من القرن الثالث).. والاختلاف في الآراء اللاهوتية يعود إلى الاختلاف في الخلفية الثقافية لكل من الإسكندرية، وأنطاكية. وقد تحول الاختلاف في النظرة اللاهوتية في أنطاكية إلى موقف جدلي ضد مدرسة الإسكندرية.. ونجد ذلك واضحًا في بداية القرن الرابع ويمثل هذا الموقف يوستاثيوس الأنطاكي. وكان موقفه موجهًا لكل من أوريجانوس كما كان ضد الأريوسية.

ويوستاثيوس يمثل الجسر، الذي يربط بين ثقافة أسيا، ومدرسة أنطاكية. بيد أننا لا نستطيع أن نتكلم عن مدرسة -كما سبق القول- على نحو منظم، لها منهج قبل ديودورس نحو نهاية القرن الرابع كما سبق القول.

وقد اعتبر أصحاب المنهج الحرفي في التفسير، في أنطاكية، أن السكندريين أصحاب المنهج الرمزي في التفسير، ينحون نحو المبالغة والاعتماد على الاجتهاد. غير أنهم لا ينكرون أن ثمة بعض الفقرات من العهد القديم كان ينبغي أن تفسر رمزيًا. كبعض النبوات عن المسيح والكنيسة، وقد حددوا تلك الفقرات، وكانوا يرفضون تماماً كل نهج رمزي في التفسير لمدرسة الإسكندرية (فكانوا يرفضون الرمزية في الأعداد، والحيوانات، النباتات، وغيرها).

وللتميز عن التفسير الرمزي، ركزت مدرسة أنطاكية على التفسير التاريخي، واللغوي. (شاف: الجزء الثاني) وكان ديودور وحتى يوحنا ذهبي الفم من المتشددين في المنهج الحرفي في التفسير. غير أن ثيودوريت (ثيودورس) سمح بقراءة رمزية للعهد القديم.

وبعد ثيؤدورس، أخذت مدرسة أنطاكية في الضعف والانحدار، فلم يكن ثمة شيء يميزها من بعده، وذلك في نحو النصف الأول من القرن الخامس. وكان الضعف والوهن الذي ضربها يرجع أيضًا إلى ضعف الثقافة اليونانية وذلك قبل استنهاض القوى السريانية التي يتحلى بها أهل سورية.

في مجال التفسير، كان حوارهم مع السكندريين أقل إثارة، وأقل رفضًا. نعم، لقد انتشر التفسير الرمزي، أي التفسير الذي أخذت

به مدرسة الإسكندرية، حيث انتشر على نطاق واسع، لا سيما التفسير الذي يتعلق بالعهد القديم، غير أن التفسير الحرفي لم يكن أقل انتشاراً، وقد كان للتفسير الحرفي تأثيره القوى، حتى على المنحى الرمزي في التفسير. حيث كان بعض أصحاب المنهج الحرفي في التفسير، يتخذون الاعتدال في التفسير وسيلة في منحاهم التفسيري.

ويعتبر كيرلس السكندري نموذجاً لاستخدام منهجًا معتدلاً تطلب المزج بين ما يراه صحيحًا في كل من التفسيرين الحرفي والرمزي. وكان كيرلس السكندري، أحد كبار معلمي مدرسة الإسكندرية، يلقى معارضةً شديدة من آباء كنيسة أنطاكية.

(موسوعة الكنيسة الأولى: م. سيمونيتي).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الباب الثاني

الفصل الرابع

الليتورجية والأسقفية والرهبنة في أنطاكية

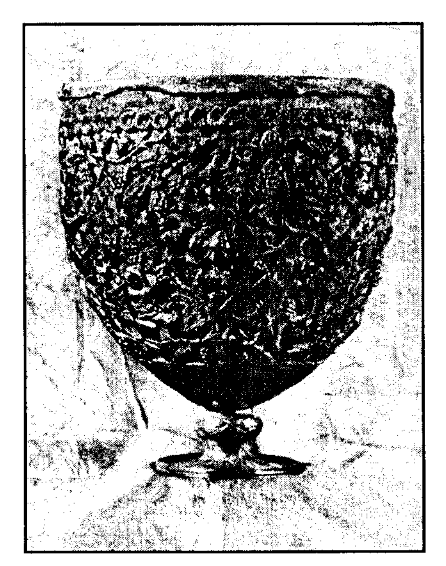
❁ الليتورجية

أ- استخدم المجتمع المسيحي في أنطاكية اللغة اليونانية في العبادة (أعمال الأصحاحات ٩- ١١) ومنها انتقلت إلى أورشليم، حيث كانت تترجم إلى الآرامية.

كانت العبادة في أنطاكية نصية، مكتوبة ثابتة، ولم تكن شفاهية، ارتجالية. ومنها انتقلت إلى باقي الكنائس، في أبروشية أنطاكية ومن خلال عظات يوحنا ذهبي الفم في أنطاكية (٣٨٦ - ٣٩٧) ويثودورس الموبسوستي الذي توفى سنة ٤٢٨م، يتضح أن تلك الصلوات المكتوبة كانت قائمة في نحو نهاية القرن الرابع الميلادي.

والليتورجية التي تنسب إلى القديس ذهبي الفم، لم يقم هو بكتابتها. وقد تأثرت كنيسة بيزنطة بالليتورجية الأنطاكية وذلك عن طريق يوحنا ذهبي الفم، الذي عاش في أنطاكية، وذلك قبل ذهابه إلى القسطنطينية. **(موسوعة الكنيسة الأولى).**

وقد انتقلت -في وقت لاحق- الليتورجية التي



كأس العشاء الرباني في أنطاكية: يقال إنه الكأس الذي أعطاه السيد المسيح لتلاميذه.

تحمل اسم يعقوب الرسول إلى كنائس أنطاكية ثم بعد ذلك انتقلت إلى التقليد البيزنطي.

****

❁ الأسقفية في أنطاكية

يؤكد قانون رقم "٦" الصادر عن مجمع نيقية في سنة ٣٢٥م على تميز الكنيسة في كل من الإسكندرية، أنطاكية، روما، وأورشليم. وعلى ذلك فإنه يمكننا الاستدلال على أن أساقفة أنطاكية



كانت لهم مكانة متميزة أيضًا. هكذا كانت نشأة الأسقفية، فمن يُختار للأسقفية، كان يختار من أنطاكية. إذ كانوا يهتمون بنشأتهم وثقافتهم، فمن نشأوا في أنطاكية يكونون على دراية ومعرفة بالأمور السياسية والاقتصادية!

كان أسقف أنطاكية يتبعه (٢٢) أسقفًا في بقاع سورية، كيليكية، فيما بين النهرين، فلسطين، وقبرس.

وقد أيد هذا القانون (رقم ٦) مجمع القسطنطينية الذي عُقد في سنة ٣٨١م (قانون رقم ٢) ومجمع أفسس في سنة ٤٣١م.

وكان مجمع خلقيدونية في سنة ٤٥١م أول مجمع يقرر أن يكون لأورشليم كرسي بطريركي، تكون له سلطة على فلسطين، من خلال الأسقف چوفينال Juvenal (٤٢٢ - ٤٥٨). كما جعل كنيسة أنطاكية مستقلة.

كما أن قبرس عندما استدلت على قبر الرسول برنابا في سنة (٤٨٨م)، تبع ذلك أن كنيسة قبرس قد حصلت على استقلاليتها، لتكون على نفس المقدار من المساواة مع أنطاكية. وأصبح لقبرس رئاسة مستقلة، في عهد الامبراطور زينون.

لم تعارض أنطاكية أو تجادل قانون رقم (٣) الصادر عن مجمع القسطنطينية في سنة ٣٨١م. حيث يقدم مكانة متميزة للقسطنطينية، روما الجديدة، العاصمة الشرقية للامبراطورية الرومانية، فتأتي مكانتها بعد مكانة روما. كما أكد المجمع أيضًا على الامتياز الذي سبق أن قرره مجمع نيقية لأنطاكية. حيث أن أنطاكية كانت المقر الرئيسي للأسقف في الشرق ولكن بحسن الصياغة التي أعدَّها بونيفاس الأول (٤١٨- ٤٢٢) أصبحت أنطاكية تابعة لكرسي روما.

****

❁ ❁ خدمة الأسقف: المدن والقرى

توفر لنا القرارات الصادرة عن المجامع، معلومات، يمكننا أن سنتخلص منها كيف كانت خدمة الأسقف في إيبارشيات المدن والقرى.

فمن بين القرارات الصادرة عن المجمع الذي عقد في أنطاكية في سنة ٣٤١م قانون رقم (١٠) الذي يمكننا أن نستنتج منه أن الأسقف كان يقود الخدمة لا في مجتمع المدينة فحسب بل في القرى أيضًا. وكان الأسقف يمكنه أن يعتمد على مساعدين له (خوري ابسكوموس) في خدمة القرى. كما يمكننا أن نستنتج أن الكنائس التي كانت في القرى كانت لديها الأساقفة الخاصة بها، وأن الإيبارشيات في القرى كانت موجودة فعلاً.

وبحسب مجمع ساردیكا الذي عُقد في سنة ٣٤٣م فإن الأساقفة لم يكن مسموحًا لهم أن يتدخلوا في شئون إيبارشيات أخرى تابعة لأساقفة آخرين (القانون رقم ١٨).

أما قول البابا أنوسنت الأول (٤٠٢- ٤١٧) "أن كل كنائسه داخل أسوار المدينة"، فربما كان يعني بذلك أنَّ بعضًا من الأساقفة -في المدينة- يشرفون على كنائس في القرى، ويبدو أنه لم تكن ثمة إيبارشيات توجد في القرى في مدينة روما!

****

❁ ❁ الرهبنة في أنطاكية

بدأت الرهبنة في التوهج في أنطاكية في القرن الرابع الميلادي. ويفترض أو. باسكاتو O. Pasquato أن الرهبنة في أنطاكية لم تتأثر بالرهبنة في مصر، إذ ربما تكون قد بدأت هناك قبل ذلك (موسوعة الكنيسة الأولى).. غير أن باحثين آخرين يرون أن حياة الاضطهاد التي اجتازت فيها الكنائس خلال القرون الأولى من المسيحية، دعت كثيرين من المسيحيين يفرون إلى الصحاري طلبًا للعبادة والحياة النسكية.

وإذ كانت الرهبنة بدأت في مصر في نحو منتصف القرن الرابع. وعُرف القديس أنطونيوس الكبير أو القديس باخوميوس وذاع صيتهما، فأتى وتتلمذ على يديهما كثيرون من طالبي الرهبنة، من أنطاكية.. حيث انتقلت عن طريقهم إلى سائر دول أسيا، فلسطين وسورية، والعراق، وكذلك إلى دول أسيا الصغرى بل إلى سائردول العالم **(انظر الجزء الثاني من هذه السلسلة)**. وكان الراهب هيلاريون الذي مسقط رأسه غزة من أقدم الرهبان وقد تتلمذ على القديس أنطونيوس الكبير، وعندما عاد إلى فلسطين في سنة ٣٠٧م. تتلمذ آخرون عليه، وانتشرت عن طريقهم في سائر فلسطين وسورية.

وازداد عدد الرهبان ممن عاشوا في أطراف المدن بموجب مرسوم عام ٣١٣م الذي أصدره قسطنطين. وفضلاً عن الصلاة والتنسك في اختلائهم بأنفسهم بعيداً عن العالم، كان اهتمامهم بتثبيت النفوس في الإيمان أيضًا. **(تاريخ الكنيسة في المدن السورية. مرجع سابق)**.

ولذلك نجد أن كبار مؤسسي الرهبنة في سورية مثل يوليانوس سابا، أستيريوس، وأفرات يقومون بتوطيد الإيمان في نفوس المؤمنين، حيث يتركون خلوتهم ويتجهون إلى أنطاكية، مما يثير غضب الأباطرة ضدهم. وكانوا بعد أن يؤدوا مهمتهم يعودوا إلى الصلاة والتأمل.

وتأثر كثيرون من شباب سورية بسيرة حياة أستيريوس، فذهبوا إليه، مما جعله يشيد لهم ديرًا

بالقرب من جنديرس، وقد نشأ في هذا الدير أكاكيوس، وأصبح فيما بعد أسقفاً لمدينة حلب.

وكان أحد النبلاء ويدعى ماركيانس (من قورش). قد تخلى عن كل أمواله، وذهب إلى برية العسير وتقع إلى جنوب شرقي مدينة حلب، ليعيش حياة النساك.، فتبعه كثيرون.. وسيرة حياته تشبه سيرة حياة الأنبا أنطونيوس في مصر.

وكان لماركيانس هذا تأثير كبير على كثيرين فتبعوا خُطاه.. فأرسل اثنين منهم إلى منطقة تُدعى أفاميا.. فأقاما هناك ديراً.. ذا ع صيته كثيراً في القرن الخامس الميلادي، وكان يعيش فيه ٤٠٠ راهب. ونشأ في هذا الدير المؤرخ الشهير ثيؤدوريتوس -أحد رجال الكنيسة- الذي تفتخر به سورية.

أما الراهب عميانس (أميانوس)، الذي عاش متنسكًا في جبل الشيخ بركات، إذ طلب كثيرون أن يعيشوا معه في الخلوة، أقام لهم ديراً سمي "الدير الكبير" وكان يعرف أيضًا بالتلعدي. وكان أن ذاعت شهرة الدير. فكان كثيرون من البطاركة يختارون من بين رهبانه. كما انتشر رهبانه وأسسوا هم أنفسهم أديرة أخرى.

كان للرهبنة في أنطاكية احترام وتقدير. حيث انتشرت، واتخذت عدة أشكال. وكانت تقوم على النسك، والخدمة، والكرازة. وكان بعض الرهبان قد شاركوا في الثورة التي اندلعت في أنطاكية ضد المستعمرين في عام ٣٨٧م، ولذلك فإن ثيؤدوسيوس الأول (٣٧٩ - ٣٩٥م) منع الرهبان من التواجد في المدينة.

وقد عاش نسطور Nestorius في دير بالقرب من أنطاكية. وما كان يميز الرهبان عن العلمانيين بالنسبة للقديس يوحنا ذهبي الفم وآخرين، لا الرغبة في الكمال فحسب، كما كان شائعًا للجميع، بل هو العزوبة والتبتل. فقد كانت الرهبنة علامة من علامات الأخرويات لملكوت الله ولكمال الكرازة.

وأهم مراكز الرهبنة في سورية هي منطقة جبل سمعان ومنطقة قورش (النبي هوري). **(المرجع السابق)**.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الباب الثاني
الفصل الخامس

المجامع والانقسام

١- المجامع

ثمة بعض المجامع التي عقدت حتى منتصف القرن الرابع ولها تأثير قوي على تاريخ الكنيسة بعامة، ونخص هنا كنيسة أنطاكية ونذكر منها:

(أ) اجتمع المجمع في أنطاكية في سنة ٢٥٢م وذلك للحكم في قضية العائدين من المرتدين.. ووجهت الدعوة إلى الأسقف ديونيسيوس السكندري.. ولكنه اعتذر عن الحضور لتقدمه في السن وعدم احتماله مشقة السفر.. غير أن فابيوس أسقف أنطاكية (٢٥٠- ٢٥٢م) توفى قبل وقت انعقاد المجمع..

انتهى المجمع إلى تأييد رأي كرنيليوس الروماني -وكان معتدلاً ومتساهلاً- فلم يطلب إعادة تعميد العائدين من المرتدين واكتفى بوضع اليد عليهم. وكان رأي الأسقف فابيوس متشدداً. وربما يكون في أثناء هذا المجمع تمت سيامة الكاهن الأنطاكي ديمتريوس خلفًا لفابيوس في أسقفية أنطاكية (٢٥٢- ٢٦٠م).

(ب) المجمع الذي عُقِد في سنة ٢٦٤ م. في أنطاكية. وذلك لفحص الاتهام الموجه إلى بولس الساموساطي باتباعه ما يقول به الغنوسيون وسابيليوس، بأن الله أقنوم واحد، وأن الله الآب تبنى المسيح (من معارضي عقيدة الثالوث).

وإذ توفى الأسقف السكندري ديونيسيوس وكان قويًا حازمًا. وباعتراف بولس بأنه يتخذ عهداً بأن يعود إلى الفكر القديم.. اكتفى الأسقف فرميليانوس بذلك.. واختتم المجمع أعماله دون إدانة بولس.

(جـ) لم يفِ بولس الساموساطي بالعهود التي اتخذها على نفسه في المجمع الذي عقد في سنة ٣٦٤م السابق ذكره، وعاد إلى طريقه الأولى، كما لم يتجاوب مع كتابات بعض الآباء التي أرسلوها إليه. فعقد مجمع بغرض النظر في الاتهام الموجه إليه بالهرطقة وبأمور لا أخلاقية- في سنة ٢٦٨م في أنطاكية حيث اجتمع أساقفة من سورية، وفلسطين وأسيا الصغرى، كان من بينهم هيلنوس الطرسوسي وهيميناوس

الأورشليمي، ثيؤتكنوس القيصري (قيصرية فلسطين).

وعن عدد الأساقفة الحاضرين المجمع، ثمة عدة أرقام تختلف باختلاف المصادر وهي تتراوح بين ٧٠- ٨٠ أسقفاً. ورسالة المجمع تتضمن ١٦ (ستة عشر توقيعاً).

وكانت المحاولات السابقة لإدانته قد باءت بالفشل (كما ذكر). فعُهد إلى القس مالكيون الذي أدان بولس الساموساطي بأنه من معارضي عقيدة الثالوث، وقد أُدين ثم حُرم. (يوسابيوس: تاريخ الكنيسة: ٧: ٢٧-٣٠). وبحسب يوسابيوس توجد شذرات من المناقشة والجدل الذي دار بين بولس وماليكون.

(د) في سنة ٣٢٤م اجتمع أساقفة أنطاكية للنظر في أمر اختيار من يخلف فيلوغونيوس. وقد حضره من الشرق بعض الأساقفة (وتتضمن الوثيقة التي أصدرها المجمع ٥٩ توقيعًا. وكان أولئك الأساقفة يمثلون كنائس فلسطين، سورية، وأسيا الصغرى. والتقوا في أنطاكية في ختام سنة ٣٢٤م وبداية سنة ٣٢٥م. وقد ترأس هذا المجمع يوسابيوس الأسوري. واختاروا يوستاثيوس أسقفًا على أنطاكية (٣٢٥ - ٣٣٠م). واعتبروا أن التقاءهم فرصة لمناقشة أفكار آريوس المنحرفة. فأقروا الإدانة المبكرة التي وجهها الأسقف السكندري ألكسندر ضد الأريوسية. وأصدروا مطبوعة ضد عقيدة آريوس، كما أصدروا قرارًا بحرم كل من يوسابيوس القيصري (فلسطين)، وثيودوتوس اللاودوكي، ونارسيوس (نركيس) أسقف بانياس (إحدى المدن العشر). وكان الحرم لمدة معينة. وكانت تلك المشكلة هي الموضوع الرئيسي الذي اجتمع بشأنه المجمع المسكوني التالي. وبعد ذلك وجهوا الرسالة لكل من رؤساء الكنائس الأخرى، وإلى أسقف روما.

(هـ) مجمع نيقية في سنة ٣٢٥م: المجمع المسكوني الأول

عُقد مجمع نيقية في اليوم العشرين من شهر مايو من عام ٣٢٥م، بدعوة من الامبراطور قسطنطين.. وجهها إلى كبار الأساقفة في الشرق. واستمر حتى اليوم التاسع عشر من شهر يونيو من نفس العام.

حضر -فضلاً عن الامبراطور- عددًا كبيرًا من الأساقفة يمثلون كنائس شمالي أفريقيا، مقدونية، أخائية، بمفيلية، كبّدوكية، الأردن، لبنان، فريجية، تراكيا، وأسبانيا. بلغ عدد الأساقفة نحو ٣١٨ أسقفًا (وهو الرقم الذي يكاد يُجمع عليه) إلاَّ أنه

في روايات أخرى يذكر ٣٠٠ أو ٢٧٠ أسقفًا.

نيقية

كانت نيقية هي العاصمة الثانية لولاية بيثينية بآسيا الصغرى. وهي الآن أطلال، وتسمى إزنيق أو اسنيك في الشمال الغربي من تركيا (الحالية).

من بين الأساقفة الذين حضروا المجمع.. يوستاثيوس أسقف أنطاكية وألكسندروس أسقف الإسكندرية وتلميذه أثناسيوس الشماس المعروف، يعقوب أسقف نصيبين، وهوسيوس أسقف قرطبة، مكاريوس أسقف أورشليم، يوسابيوس المؤرخ أسقف قيصرية فلسطين، وبولس أسقف قيصرية الجديدة (ازميت) الذي من جراء التعذيب يبست أعصاب يديه من الحرق. ويوسابيوس أسقف نيقوميدية أما أسقف روما "سيلفستر" فلم يتمكن من الحضور لتقدمه في السن، ولكنه أناب عنه اثنين من الكهنة. كما حضر أيضًا آريوس، وعشرون من الأساقفة الموالين له (وقد تركوا فيما بعد الأفكار الخاطئة التي روج لها آريوس).

وثمة ثلاثة آراء عن من ترأس المجمع، وهي تذكر أن هوسيوس أسقف قرطبة (بحسب رأي القديس أثناسيوس)، أو يوسابيوس أسقف نيقوميدية بحسب رأي يوسابيوس القيصري، أو يوستاثيوس أسقف أنطاكية (بحسب رأي المؤرخ ثيؤدوريت).

حضر الامبراطور الجلسة الافتتاحية، وجلس أعضاء الأساقفة إلى اليمين وإلى اليسار. وذلك للبحث في شأن الأفكار المنحرفة التي اعتنقها آريوس.

انعقد المجمع لعدة أيام، وشهد مناقشات لاهوتية بين آريوس وأتباعه من جهة، وألكسندر أسقف الإسكندرية ومؤيديه من جانب آخر، ويذكر أن أسقف الإسكندرية كان أول المتكلمين، كما أن حقائق الإيمان التي عرضها كانت موضع قبول كافة الأساقفة المجتمعين. وكانوا يؤمنون بأزلية الكلمة وألوهيته.

عرض يوسابيوس المؤرخ وأسقف قيصرية فلسطين قانونًا للإيمان كان يتلى عند إتمام المعمودية في كنيسته. ولكن أدخل عليه الآباء تعديلاً وهي عبارة "مساوٍ للآب في الجوهر" وتعني أيضًا "من ذات الجوهر" Homoousius هوموأوسيوس.

أما عن هذا التعديل فيوجد رأيان: ففي رواية المؤرخ يوسابيوس القيصري إن الامبراطور هو من اقترح هذا التعديل، أما الرواية أخرى فتشير إلى

أن هوسيوس أسقف قرطبة هو الذي اقترح هذه العبارة، ووافق عليها الامبراطور.

وأهمية هذه العبارة أنها ضد تعاليم آريوس. ولأن آريوس ظل متسمكًا بآرائه المنحرفة، لذلك كانت الإدانة والحرم.

وقانون الإيمان النيقاوي الذي صاغة المجمع فيأتي هكذا:

"نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل خالق كل الأشياء ما يُرى وما لا يُرى ونؤمن برب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء ما في السماء وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم، وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السموات، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات. ونؤمن بالروح القدس.

وبعد هذا القانون، ألحق به الآباء بعض التعديلات: عبارات عن الحرم لكل من لا يؤمن بأزلية الابن.. قَبِلَهُ كل الآباء ما خلا يوسابيوس أسقف نيقوميدية، وشخص آخر. أما آريوس فقد أيَّده كل من سكوندس (من بتولمايوس)، وثيوناس (من مارمريكا) في معتقداته الخاطئة، فكان نصيبهما مع آريوس الحرم والنفي. فلاذوا ببيثينية بأسيا الصغرى.

وبعد ذلك انتقل المجمع لمناقشة أمر آخر وهو تحديد تاريخ لعيد القيامة.. حيث كانت الكنيسة في أنطاكية تحتفل به متزامناً مع عيد الفصح عند اليهود.. وهو الرابع عشر من أبريل.. أما كنائس مصر وشمالي أفريقيا وأسبانيا وإيطاليا وفرنسا واليونان وأسيا الصغرى وكيليكية فكانت تحتفل به في يوم الأحد الذي يأتي بعد أول بدر بعد ٢١ مارس. وبعد مناقشة الأمر أقروا اتباع القاعدة التي اتخذتها كنيسة الإسكندرية.

وبعد ذلك ناقش موضوعات أخرى، فوضع عشرين قانونًا للنظام الكنسي. ومن بينها القانون التاسع عشر والذي نظم عودة أتباع بولس الساموساطي إلى الكنيسة مرةً أخرى على أن يعتمدوا ثانيةً.. ويتم الاعتراف برسامتهم بعد الانتهاء من طقوس التعميد. (**كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى: أسد رستم، تاريخ الكنيسة في المدن السورية: مرجع سابق**).

(و) عُقد مجمع في نيقية في نحو سنة

٣٢٧م وكان برئاسة الامبراطور قسطنطين نفسه، وكان قد حدثت فيما بعد مجمع نيقية ٣٢٥م بعض

ردود الأفعال المضادة للآريوسيين. وقد عُقد مجمع للأساقفة الذين يقفون ضد مجمع نيقية، وكان برئاسة يوسابيوس القيصري. ويظن أنه ربما في هذا المجمع عُزل يوستاثيوس الأنطاكي (بتهم لا أخلاقية). وكذلك أسكليباس أسقف غزة (غير معروف السبب). أو ربما في مجمع عُقد بعد ذلك مباشرة، بسبب الاضطراب الحاصل على خلافة يوستاثيوس الأنطاكي، مما نتج عنه صدور قوانين توضح العلاقات بين الشمامسة والقسوس، والأساقفة فيما بينهم من ناحية ومع الشماسات من ناحية أخرى.

(ز) كما عُقد مجمع في سنة ٣٣٨م، حيث اجتمع يوسابيوس النيقوميدي والأساقفة المؤيدون لآرائه. وذلك لإعادة المباحثات التي أثيرت من قبل ضد أثناسيوس الإسكندري، لجذب الانتباه لعدم قانونية عودته إلى الإسكندرية بعد موت قسطنطين. وذلك لكي يعينوا خليفة له: وقد اختاروا يوسابيوس أسقف إمصا EMESA، الذي رفض ذلك. ولذلك عادوا فاختاروا غريغوريوس الكبّدوكي. وقد لجأ الامبراطور قسطنطيوس في تعيينه في هذا المركز، إلى الجيش!

اجتمع في أنطاكية، في خريف سنة ٣٤١م، نحو (٩٧) أسقفًا (موسوعة الكنيسة الأولى: مرجع سابق) أو أكثر من مائة أسقف **(أسد رستم: مرجع سابق).** وكانت في مناسبة تكريس الكنيسة التي أمر ببنائها الامبراطور قسطنطين الكبير في سنة ٣٢٧م، ولكنه توفى قبل ذلك التاريخ (توفى في سنة ٣٣٧م)، وقد تابع ابنه قسطنطيوس أمر بنائها. وتدعى هذه الكنيسة بالمثمنة نظرًا لأنها مثمنة الأضلاع.. واشتهرت أيضًا بالذهبية.. ويبدو أنه تم استغلال تلك المناسبة فدعا يوسابيوس النيقوميدي إلى المجمع.. وكان برئاسة فلاكيللوس الأنطاكي.. وذلك بغرض فحص أقوال آريوس.. ولكنهم انقسموا في الرأي إلى ثلاث مجموعات.. أما يوسابيوس النيقوميدي فقال إنه ليس من أتباع آريوس في آرائه.. ولكنه طلب إدخال بعض التعديلات.. وخلصوا إلى قانون إيمان أنطاكي.. وهو يقترب من قانون الإيمان النيقوي، إلا أنهم حذفوا منه عبارة "مساوٍ للآب في الجوهر".

(ط) مجمع سارديكا في سنة ٣٤٣م

فيما كان وفد كنيسة سورية مجتمعًا مع الامبراطور قسطنطين.. للبحث في مسألة عقد مجمع لأساقفة الغرب والشرق لإزالة كل ما يحول دون وحدة الكنيسة.. اتفقوا على عقد مجمع في سارديكا (وهي صوفيا عاصمة بغاريا الحالية).. وذلك في سنة ٣٤٣م. (تاريخ الكنيسة في المدن السورية:



مرجع سابق). فاجتمع نحو (٧٦) ستة وسبعين أسقفًا شرقيًا آريوسيًا أو شبه آريوسي. و (٩٤) أربعة وتسعون أسقفًا من الأرثوذكس (مستقيمي الإيمان) من الشرق والغرب (أسد رستم: مرجع سابق).

وتولى بعد وفاة (في سنة ٣٤٢م) الأسقف ماركيللوس الذي كان يُظن أنه سابلياني، اسطفانوس أسقفًا على أنطاكية.. وأدين اسطفانوس لأنه فعل ما لا يحل فعله (أسد رستم: مرجع سابق).. فانضم إلى الآريوسيين.

واعترض الآريوسيون على حضور أثناسيوس وماركيللوس (مارسيللوس) واسكليباس، وربما كان ذلك بدافع إدراكهم لقلتهم العددية.. فأرادوا تعطيل أعمال المجمع. وانفردوا معًا بعقد جلسة ثم انسحبوا ليلاً إلى فيليبوبوليس Philipopolis.

وأصدر الآباء الشرقيون المجتمعون في فيليبوبوليس الحرم على أثناسيوس وماركيللوس وغيرهما.. وأقروا قانون الإيمان الأنطاكي.

أما الآباء الأرثوذكس فقد برّأوا ساحة من سبق واعترض عليهم الآريوسيون.. وهم أثناسيوس وماركيللوس واسكليباس. وأدانوا جاورجيوس أسقف اللاذقية وقطعوه.. وباسيليوس أسقف انقيرة Ancyra وغريغوريوس السكندري.. وأكاكيوس أسقف قيصرية فلسطين.. واسطفانوس أسقف أنطاكية وغيرهم.. وفي محاولتهم التوصل إلى وضع قانون للإيمان يكون أكثر دقة من النيقاوي.. اعترض أثناسيوس على تلك المحاولة التي كانت يمكن أن تفسر تفسيرًا خاطئًا.. فأدركوا الخطأ -من جانبهم- بقبول رأي أثناسيوس بأن النص النيقاوي يدرك المعنى الصواب الذي ابتغوه.

من ذلك يتضح أن ما حدث في سارديكا كان البداية للانقسام بين الكنيسة في الشرق وفي الغرب.. وبحسب قول المؤرخ سقراط حيث انفصلت الكنيسة في الغرب عن الكنيسة في الشرق منذ ذلك الوقت، إلى أن كان الانفصال النهائي في عام ١٠٥٤م.

****

٢- الانقسام

حدثت في أعقاب مجمع نيقية في ٣٢٥م، بعض التداعيات بين التأييد والمعارضة. فعندما حُرم يوستاثيوس الأنطاكي ونُفي في نحو سنة ٣٢٥م، خلال فترة ردود الأفعال نتيجة لمجمع نيقية، انفصلت جماعة من مناصريه عن باقي المجتمع. وقاد هذا الانفصال الأساقفة اليوسابيون، وأقاموا مجتمعًا صغيرًا مستقلاً (ولكنه منقسم!)، وذلك

لفترة امتدت لعدة عقود.

وقد حافظ أولئك المنشقين على اتجاههم وأفكارهم، حتى عندما أُنتخب ميليتيوس- المعارض للآريوسية- في عام ٣٦٠م ليحل محل يودوكسيوس المشايع للآريوسية، والذي كان انتقل إلى القسطنطينية. وقد عُزل هو الآخر ونُفي على الفور. ثم عاد ميليتيوس من منفاه في سنة ٣٦٢م. حيث أخذت المعارضة تزداد حدةً، وذلك بسبب قيام أسقف كاجلياري برسم القس بولينيوس أسقفًا. وكان القس بولينيوس (٣٦٢- ٣٨٨م) هو رئيس المجتمع المشايع ليوستاثيوس.

وبذلك فإنه يمكن القول إن ثمة انقسامًا قد حدث، وأصبح ثمة مجتمعات ثلاثة. وكان لكل مجتمع الأسقف الذي يرأسه. فكان يوزويوس Euzoius يقود الأقلية المشايعة لآريوس. وبولينيوس يقود مجتمع الأقلية ضد الآريوسيين ونيقية، أما ميليتيوس فكان يقود الأغلبية التي هي ضد الآريوسيين ولكن غير النيقاويين.

ولم يغير من الموقف ما نتج عن عزل مليتيوس على يد ڤالنز نحو سنة ٣٦٥م. ولم ينجح عندما عاد من منفاه إلى كرسيه، في سنة ٣٧٨م في محاولته لإحياء الانقسام، الذي نتج عنه انقسام بين أضداد آريوس. وقد أيَّد الشرق ميليتيوس. أما الإسكندرية والغرب فعضدوا بولينيوس.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

ثانيا: شخصيات من كنيسة أنطاكية

١- أغناطيوس الأنطاكي

٢- ثيوفيلس الأنطاكي

٣- أسكلبياس الأنطاكي

٤- لوقيانوس الأنطاكي

٥- مالكيون الأنطاكي

٦- بولس الساموساطي

٧- دورثيوس الأنطاكي - القس

٨- دورثيوس الأنطاكي - الأسقف

١- أغناطيوس الأنطاكي

الأسقف والشهيد

أحد آباء كنيسة أنطاكية بسورية.. وتفتخر به الكنيسة هناك أيَّما افتخار.. ويظن بعض المؤرخين أن أغناطيوس هو أحد تلاميذ يوحنا الرسول.. كما يذهب بعضهم إلى أنه هو ذاك الطفل الذي دعاه الرب يسوع وأقامه في وسطهم وقال: الحق أقول لكم إن لم ترجعوا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات (متى ١٨: ٢و٣- مرقس ٩: ٣٦ و٣٧). ويقول مؤرخون آخرون إنه أنطاكي ولد بسورية نحو سنة ٣٥م.. **(تاريخ الكنيسة في المدن السورية: مرجع سابق)**. إلاَّ أن القديس يوحنا ذهبي الفم يؤكد أنا أغناطيوس لم يرَ المسيح **(أسد رستم: مرجع سابق)**.

لُقب أغناطيوس الأنطاكي بحامل الإله... رُسِمَ أسقفًا على أنطاكية.. (٦٥- ١٠٧) وكان معاصرًا لحكم الامبراطور الروماني تراجان (٩٨- ١١٧م).

حُكِمَ عليه بالموت.. وفي أثناء انتظاره لتنفيذ الحكم كتب سبع رسائل لها قيمة كبيرة لأنها تعد من أهم المصادر التي تخبرنا عن العقيدة.. وعن النظام الكنسي في الكنيسة الأولى.. في أنطاكية.. كما كتب يحذر من تعاليم الهراطقة. وكتب التعليم المسيحي في شيء من التوضيح المختصر. وقدَّم صورة واضحة عن المجتمع الكنسي، كمجتمع منظم يتبع الأسقف. **(موسوعة إنكارتا إصدار ١٩٩٩)**.

كان معاصرًا لكل من القديس كليمندس الروماني وسمعان الأورشليمي **(شاف: الجزء الثاني)**.

النشأة:

المكان والزمان:

لا نعرف عنه شيئًا موثقًا تاريخيًا قبل إيمانه.

كان أغناطيوس أحد تلاميذ الرسول يوحنا البشير. ويذكر القديس يوحنا ذهبي الفم أن الرسول بطرس أقامه أسقفًا لأنطاكية، حيث ظل في خدمة الأسقفية لنحو ٤٠ عامًا.

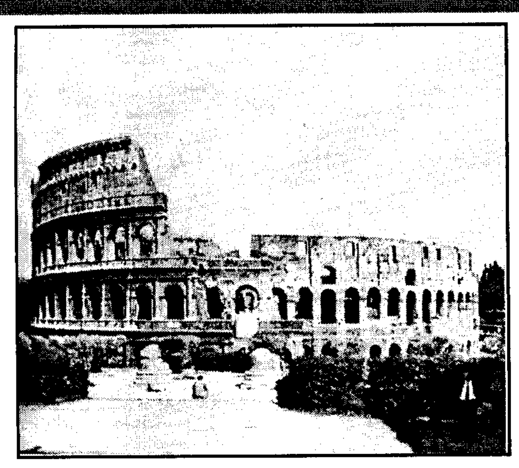
غير أن ثمة رأيًا آخر، فهناك من يعتبره وإيفوديوس قد ترأسا الكنيسة في أنطاكية وكانا معاصرين أحدهما للآخر. وأن إيفوديوس سامه القديس بطرس، أما القديس بولس فقد سام القديس أغناطيوس ويفترض بارونيوس -نقلاً عن شاف- وآخرين أن أحدهما كان أسقفًا للمسيحيين من أصل يهودي، وأن الآخر كان للمسيحيين من أصل أممي.

أما ثيرش فيحاول جاهدًا أن يجد حلاً لتلك المسألة. فيفترض أنه ربما رسم بطرس إيفوديوس شيخًا، وأن بولس رسم أغناطيوس شيخًا، وأن بولس رسم أغناطيوس شيخًا أيضًا، ثم جاء

الرسول يوحنا -فيما بعد- ليرسم أغناطيوس أسقفًا.

ولم يرد شيئًا من هذا سواء في رسائل أغناطيوس نفسه، أو في كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري، غير أن شهادة چيروم التي تفصح عن أنه -أي أغناطيوس- وبوليكاربوس. كانا تلميذين للقديس يوحنا البشير، قد جاءت مخالفة لما جاء في رسالة أغناطيوس إلى بوليكاربوس والتي تبين أنه لم يتعرف على القديس بوليكاربوس إلاَّ عند مجيئه إلى سميرنا، وهو في طريقه إلى روما. (الموسوعة الكاثوليكية الإلكترونية) ويعتبر أغناطيوس أول آباء الكنيسة تقديرًا للموسيقى فيعتبرونه أول أب للموسيقى الدينية **(شاف: الجزء الثاني)**.

كانت لدى القديس رغبة في الاستشهاد من أجل المسيح. غير أن الفرصة واتته في أثناء اضطهاد دوميتيان. وقد انتهى حكم نرڤا NERVA بسلام الكنيسة. غير أنه انفجر مرة أخرى في أثناء حكم تراجان. وفي عام ١٠٧م وهو العام التاسع من حكمه، جاء الامبراطور تراجان لزيارة أنطاكية، حيث تم القبض على القديس أغناطيوس، وأحضروه أمام الامبراطور. وأُدين لأنه اعترف بالسيد المسيح فقيدوه في الأصفاد



بدأ الامبراطور ڤسباسيان في بناء الكوليزيوم وقد أكمل بناءه ابنه تيطس

والسلاسل وحملوه إلى روما، ليلقى للوحوش. كعادة الرومانيين في التعذيب، ولتسلية جمهور المشاهدين في الكوليزيوم.

وفي أثناء رحلته تلك القصيرة والأخيرة، كان يلقى الترحيب من المؤمنين في كنائس سميرنا، ترواس، وفي أماكن أخرى على طول طريق رحلته.

وحين وصل إلى مسرح الكوليزيوم، حيث الوحوش المفترسة، كاد المسرح أن يغلق أبوابه. وجاء المسيحيون من قاطني روما، واحتشدوا خارج المسرح ليلتقوا به. غير أنه دُفع بسرعة، إلى المسرح المدرج، وألقى هناك، حيث افترسه أسدان ضاريان. وكان يهتف صارخًا: "ليتني أكون خُبزًا مقبولاً للسيد الرب". وقد حُمل ما تبقى من جسده إلى أنطاكية، ليدفن هناك. وقد انتقل في أثناء حكم ثيؤدوسيوس، إلى كنيسة في المدينة. وتحتفل به

الكنيسة في سورية في السابع عشر من أكتوبر في كل عام. كما أنه موضع تقدير كنيسة روما.

وأعمال استشهاده تحتوي على تفاصيل أكثر، وقد جاء بها أن أغناطيوس مَثُلَ أمام الامبراطور تراجان في العام التاسع من حكمه (١٠٧-١٠٨م). حيث أدانه بالموت لأنه مسيحي، ثم اقتيد إلى روما في سلاسل، وألقى في الكوليزيوم للأسود، لتسلية المشاهدين، ثم أعيد ما تبقى من جسده إلى أنطاكية. وربما كان الغرض من تلك المرحلة هو تثبيط عزيمة الأسقف أغناطيوس، وإخماد رغبته العارمة في الاستشهاد، وكذلك لإثارة الخوف والفزع في نفوس المسيحيين في البلاد التي يزورها القديس أغناطيوس. وكذلك لمنع أي ثورة من الممكن أن تنفجر في كنيسة أنطاكية. غير أن ثمة مشكلة بشأن التواريخ. فما نعرفه من العملات، ومستندات تاريخية أخرى تتعلق بهذه الفترة، أن تراجان لم يذهب بحملته الفارسية إلى أنطاكية قبل عام ١١٤م أو ١١٥م. وعلى ذلك فإنه يمكننا افتراض أن أغناطيوس لم يَمْثُل أبداً بنفسه أمام الامبراطور. ولكن كان ذلك أمام الحاكم (الوالي) الذي يمثله. غير أن ثمة باحثين آخرين - نقلاً عن شاف- يرون ومنهم "نِرشل" أن تراجان قام بثلاث حملات لأنطاكية.. ويدافع كل من "ويزل" و "فرانك" عن التاريخ الذي يقول به التقليد الأنطاكي وهو أن استشهاد القديس أغناطيوس تم في سنة ١٠٧م. أما "هارناك" فيُرجع تاريخ استشهاد القديس إلى فترة حكم هادريان أو أنطونيوس بيوس. وبدون أسباب قوية يترك "زان" هذا التاريخ غير محدد بين سنتي ١٠٧-١١٦م. وكذلك يفعل "لا يتفوت" إذ يترك التاريخ غير محدد بين سنتي ١١٠ و١١٨م.

أما المؤرخ يوسابيوس القيصري، ويوحنا ذهبي الفم، وغيرهما من الشهود القدماء فلم يذكروا شيئًا عن إدانة الامبراطور له، وحكمه عليه بالموت. كما أن رسالة القديس أغناطيوس والتي كتبها إلى أهل رومية لم تتضمن هي الأخرى شيئًا عن إدانة الامبراطور له على الإطلاق. وعلى ذلك فإنه من غير المُجدي أن يمنعهم من الوساطة نيابةً عنه. فكان الالتماس (الاستئناف) ممكنًا في حالة صدور الحكم من محكمة أقل درجة، ولكن ليس في حالة صدوره عن محكمة الامبراطور. **(شاف: الجزء الثاني)**.

أعماله:

الرسائل السبع:

وحين كان القديس أغناطيوس ينتظر الاستشهاد كتب سبع رسائل إلى عدد من الكنائس في أسيا الصغرى والبلقان وأنطاكية (أسد رستم: مرجع سابق). وهذه الرسائل تحتوي على تحذير

لها من التعاليم الكاذبة، والمعلمين الكذبة. وفيه تحذير أيضًا أو دعوة لكي يحافظوا على السلام من خلال الخضوع للإكليروس، وفوق كل شيء للأسقف.

وقد وضع كل من يوسابيوس وچيروم ترتيب الرسائل كما يلي:

١- إلى أهل كورنثوس.

٢- إلى أهل ما غنيسيا.

٣- إلى أهل تراليا (ترَّلة).

٤- إلى أهل رومية.

٥- إلى أهل فلادلفيا (فيلدلفية).

٦- إلى أهل سميرنا.

٧- إلى بوليكاربوس، أسقف سميرنا.

وكان القديس أغناطيوس قد كتب الرسائل الأربع الأولى منها وهو في سميرنا، والرسائل الثلاث الأخرى كتبها في وقت لاحق وهو في ترواس.

وهذه الرسائل السبع بالإضافة إلى رسائل أخرى منحولة تنسب إليه، ترجمت إلى اليونانية في طبعتين. إحداهما طويلة لاحتوائها على تفاسير أضيفت في وقت لاحق، والأخرى قصيرة. وثمة ترجمة أخرى بالسريانية عُرفت في سنة ١٨٤٥م.

وهذه الترجمة تحتوي على ثلاث رسائل من الرسائل السابقة وهي: الرسائل إلى بوليكاربوس، وإلى أهل أفسس، وإلى أهل رومية، وهي مختصرة. وهذه الترجمة يعتبر البعض أنها منقولة طبقًا للنص الأصلي. **(شاف: الجزء الثاني)**.

وثمة مسألة الطبعة اليونانية القصيرة والطبعة السريانية. ولترجيح الشهادة لصالح اليونانية، حيث كان قد ذكرها يوسابيوس (وربما بوليكاربوس أيضًا). وتتفق أيضًا مع الترجمة الأرمينية التي ترجع إلى القرن الخامس الميلادي.

أما الترجمة السريانية والتي تحتوي على ثلاث رسائل فإنها تأتي بدون بعض الفقرات القوية عن الأسقفية، وعن ألوهية المسيح وإن كانت تحتوي على نفس الخطوط العريضة لصورة الحياة، ولاسيما عن الحماسة المتوهجة للاستشهاد، تماماً كما جاءت في الرسائل السبع في اليونانية. **(المرجع السابق)**.

وفي رسالته إلى كنيسة فيلادلفيا يحذر من أن شيعة من المجتمع تتوق إلي الانعزال. كما أنه في فقرة في رسالته إلى أهل سميرنا يلمح إلي أن ثمة بعض المنشقين. وكانت سميرنا هي المكان الوحيد الذي توقف فيه وظل هناك لفترة طويلة تكفي للوقوف على حالة الكنيسة هناك، وكان ذلك مدعاة

للقلق. وربما كان في ابتعاده عن أنطاكية سبباً في حلول السلام هناك. غير أنه كان يهتم بحالة المجتمع المسيحي. ولذلك فإنه يمكن إجمال تلك القضايا التي لاقاها وكتب عنها للكنائس الأخرى في تحذيره لهم ضد التعليم الكاذب والمعلمين الكذبة.

ويتضح من ذلك أنه قد واجه شيعتين من تلك الشيع المنحرفة. ويمكن تلخيص ذلك كما يلي:

١) الشيع التي ظلت على تعليمها وتقليدها اليهودي ولم تقبل بسلطة العهد الجديد. بل ظلت على وفائها بتشبثها بالممارسات اليهودية. مثل الحفاظ على يوم السبت.

٢) الدوسيتيون: (يمكن للمزيد من المعرفة الرجوع للجزء الأول من هذه السلسلة: باب الهرطقات). وهم يدّعون بأن المسيح لم يتألم ولم يمت، إذ كانوا ينفون عنه أنه بشر، وأن له جسداً بشرياً غير أن القديس أغناطيوس كان يؤكد أن السيد المسيح كانت له طبيعة بشرية. وكان يعتقد ويؤمن أن موت السيد المسيح وآلامه وأن قيامة السيد المسيح من بين الأموات هي الضمان الأساسي للحياة الأبدية، ويرى القديس أغناطيوس أنه بدون موت المسيح (حقيقةً) فإن معاناته وآلامه واستعداده لأن يبذل حياته من أجل المسيح تكون بلا معنى وبلا فائدة. وفي ذلك تأكيد على اعتقاده بأن موت المسيح كان حقيقة. **(دائرة المعارف البريطانية: طبعة عام ٢٠٠٠).**

وتلك الآراء التي ذكرها القديس أغناطيوس هي خير دليل على دحض الإدعاءات التي كانت تقول بأن القديس أغناطيوس قد تأثر ببعض أشكال الغنوسية في باكر عهدها. وهي نظام ديني يدعو إلى الثنائية.. **(للمزيد من المعرفة يمكن الرجوع إلى الجزء الأول من هذه السلسلة: باب الهرطقات).**

غير أن تلك الإدعاءات تظل باطلة مادامت لا توجد في تعاليمه من خلال الرسائل السبع التي كتبها أي أثر لتلك الثنائية كالخير والشر.. والروح والمادة.. وهو لا يرى أن ثمة تناقضاً أو عداوة بين الروح والمادة.. بل يرى أن الروح أسمى من الجسد أو تأتي قبل الجسد بالحري عن كونه ضد الجسد. ولذلك فإنه يرى أنه حتى ما يفعله "الإنسان الروحاني" طبقاً "للجسد" هو أمر روحي.

الاستشهاد كوحدة مع المسيح:

يعتبر القديس أغناطيوس أن الأسقف في كنيسته يمثل "الأسقف الحقيقي"، فالوحدة مع الأسقف في العقيدة والعبادة تعني وحدة مع المسيح. وأولئك من يشعرون بالكبرياء الروحي، إنما ينفصلون عن الأسقف، فيفسدون تلك الوحدة.

وهذا الفكر مؤسس على فكره اللاهوتي فيما يتعلق بشخص السيد المسيح، فالمسيح هو إنسان كما أنه هو الله.

وكان أغناطيوس هو أول من استخدم -في الأدب المسيحي- تعبير "الكنيسة الكاثوليكية" بمعنى "كل الكنيسة" أو "الكنيسة الجامعة" أو "الكنيسة بكاملها" فالكنيسة واحدة حيثما وجد شعب.

وتعتبر رسالة أغناطيوس إلى أهل رومية من جهة حجم الرسالة هي الأطول، كما أنها أكثرها احتواءً على ألقاب مدح. وهو يتكلم خلال هذه الرسالة إلى المسيحية في روما في ضوء بعض التمييز. ولكن حتى وهو يعلن أن كنيسة روما هي الكنيسة التي مارست "ولائم المحبة" أولاً في كل المجتمعات المسيحية، فهو إنما يقوم بذلك بدافع الاعتراف والإقرار بالريادة، لا بدافع السلطان الكنسي.

ورغبة القديس أغناطيوس الشديدة في الاستشهاد لا يمكن إدراكها إلا في إطار معرفتنا لرؤيته عن مفهومه عن الاتحاد بالمسيح فهو يرى أنه لكي يكون تلميذًا كاملاً للسيد المسيح، فعليه أن يتشبه بالمسيح في آلامه، ليشاركه فيها، لكي يتحد بالمسيح في آلامه. وهو يعتقد أنه ما دام لم يختبر تلك الآلام... فإنه مازال غير كامل بعد. والآن وهو في طريقه إلى روما لكي يستشهد، تداخله بعض المخاوف، من أصدقائه في روما، من أن يحصلوا له على العفو، وبذلك يجعلوه يبتعد عن الطريق إلى الكمال. وكانت الرغبة الشديدة في الاستشهاد تنبع بالكامل من اليقين الراسخ بأن الاتحاد بالمسيح في آلامه، هو الطريق الوحيد للاشتراك في مجد المسيح أيضًا. وهو يطلب أيضًا من الكنائس أن تصلي من أجل قوته وثباته **(الموسوعة البريطانية إصدار ٢٠٠٠).**

****

٢- ثيؤفيلس الأنطاكي

كان ثيؤفيلس (١٦٩- ١٨٥م) موضع تقدير لاكتانيتوس، والمؤرخ يوسابيوس القيصري. نظرًا لأهمية الدور الذي قام به في الدفاع عن الإيمان، في فترة أسقفيته. وبرغم أهمية ذلكم الدور الذي قام به ثيؤفيلس إلاَّ أن أحدًا لم يُدون سيرة حياته، ولم يحفظ له شيئًا من أخباره. ولكن كتب عنه يوسابيوس المؤرخ أنه كان الأسقف السادس بعد بطرس -الرسول- وأنه قاوم الهراطقة، وكتب في موضوعات معينة. **(أسد رستم: مرجع سابق).**

ويمكننا أن نستدل من كتاباته على سعة اطلاعه، وتقديره للتاريخ، واطلاعه على بعض

محاورات أفلاطون. وكان أديبًا ذا أسلوب فخم قوي العبارة. غير أنه لم يكن لاهوتيًا قديرًا (المرجع السابق). ولذلك فإن بعض الدارسين قد فرضوا بأن ثمة شخصين يدعيان ثيؤفيلس أحدهما الأسقف، والآخر الكاتب صاحب الرسائل! وقد اتخذوا من تاريخ الوفاة الذي كتبه يوسابيوس وهو سنة ١٧٨م دليلاً على ذلك.. إذ جاء في الرسالة الثالثة أن مرقس أورليوس قد توفى في سنة ١٨٠م فكيف يمكن أن يذكر ذلك وتاريخ وفاته أسبق من ذلك؟!

ومع ذلك فإن ذكر يوسابيوس القيصري أن كاتب الرسائل هو ثيؤفيلس الأسقف الأنطاكي، يجعلنا نقطع بأنهما شخص واحد، ولكن ثمة خطأ وقع في تاريخ الوفاة! إذ ربما توفى في سنة ١٨٥م! **(المرجع السابق)**.

أعماله:

كتب الأسقف ثيؤفيلس الأنطاكي نحو أربعة أعمال على الأقل والكتاب الوحيد الذي تبقى منها هو رسالته إلى أوتوليكوس Ad Autolycum وهذا الشخص لا نعرف عنه شيئًا. وفي هذه الرسالة ذكر لبعض المعلومات عن حياة ثيؤفيلس. حيث ولد بين تجريس والفرات (٢:٢٤). واعتنق المسيحية (١:٢٤) وعاش بين المسيحيين وهم أقلية مرفوضة في ذلكم الوقت (٣:٤). وعندما انتهى من كتاب Ad Autolycum كان ماروكوس (مرقس) أورليوس قد توفى (٣:٢٨)، وبالتحديد توفى في ١٧ مارس ١٨٠م. وفي كتابه الثالث Autolychs يستعرض كيف كانت الوثنية لا تزال قوية، حيث يعبرون عن دهشتهم كيف أصبح مسيحيًا.

وطلب ثيؤفيلس لا أن يسجل اعتراضه، بل أن يبرر أيضًا إيمانه الشخصي بالله الخالق غير المنظور، وأن يكتب عن موضوع "القيامة" (الكتاب الأول).

أما كتابه الثاني فهو يتضمن المتناقضات التي تضمها أفكار الفلاسفة اليونانيين، وكذلك الشعراء، عن الله، وعن نشأة العالم، ويوضح لهم الخلاف بين أفكارهم، والأفكار التي جاء بها الأنبياء وكتبوا بوحي من الله. وهو بذلك يكتب أول تفسير مسيحي لسفر التكوين وهو يبين في كتابه (٢:١٥) المثال الأول ويحتوي على تعبير "الثالوث" للإشارة إلى الله الكلمة، والحكمة (الروح القدس). وتلك هي المرة الأولى التي يرد فيها لفظ Trias اليوناني. وربما كان هذا اللفظ شائعًا آنذاك ومتداولاً حتى أن ثيؤفيلس لا يتوقف عنده ولا يلفت النظر إليه **(أسد رستم: مرجع سابق)**.

أما الكتاب الثالث فيحتوي على تأريخ لأحداث



العالم، وذلك بهدف التأكيد على أن موسى أسبق في التاريخ من هوميروس والكُتّاب اليونانيين الأوائل.

ويوجد عمل آخر من بين أعماله يوجد ضد هرموچينس. ويخبرنا يوسابيوس المؤرخ أنه ذكر فيه سفر رؤيا يوحنا. أما چيروم فيحدد أن هذا العمل يتألف من كتاب واحد. ويمكن الافتراض بأن كتاب ترتليانوس ضد هرموچينس Adversus Hermogenem كان مصدره هذا الكتاب **(انظر الجزء الثاني: كنيسة شمالي أفريقيا: ترتليانوس)** وقد ذكر ثيؤفيلس في كتابه الثاني (٢:٢٨) أنه كتب في موضع آخر أن التنين أو الشيطان كان في الأصل "ملاكًا" (رؤيا ٢٠: ٢-٣) وربما يشير في ذلك إلى ذلكم البحث الذي كتبه ترتليانوس ضد هرموچينس حيث يذكر نفس الشرح. **(للمزيد من المعرفة عن ترتليانوس يمكن الرجوع إلى الجزء الثاني من هذه السلسلة الباب الخاص بشمالي أفريقيا).**

وثمة عمل آخر كتبه ثيؤفيلس "ضد مارقيون" Against Marcion. وقد ذكره يوسابيوس، على أنه عمل بالغ القيمة **(تاريخ الكنيسة ٤: ٢٤)**. وربما يظهر في هذا العمل التأثير الذي لا يمكن إنكاره على أفكار إيريناوس، إذا ما تمت قراءته بطريقة مدققة، كما يرى پ. نوتن P. Nautin. **(موسوعة الكنيسة الأولى)**. وربما يكون العلاَّمة ترتليانوس قد اطلع على هذا الكتاب، إذ له عمل يحمل نفس العنوان (راجع الجزء الثاني من الموسوعة كنيسة شمالي أفريقيا: العلاَّمة ترتليانوس) ويشير ثيؤفيلس نفسه إلى عمل عن التاريخ وكان قد سبق أن نشره في عدة كتب بعنوان Ad autol (الكتاب الثاني ٢: ٣٠ و٣١). والكتاب الثالث (١٩). وفيه يحدد أنساب الجنس البشري بعد شيث. وقد وحَّد شخص نوح مع دوكاليون -وهو ابن بروميثيوس في الأساطير اليونانية والذي في عهده حدث الطوفان- وذكر نسل كلاً من سام وحام ويافث. وربما تكون تلك هي الأنساب التي ذكرها كليمندس السكندري في كتابه (المتنوعات ١: ٢١: ٤٢: ١). كما أنه كتب سلسلة أنساب كل شخص من كل من سام وحام ويافث مستقلة (١٠: ٣١) كل منها عن الأخرى إذ شكلوا نحو ٧٢ أمه. **(موسوعة الكنيسة الأولى)**.

ويقول چيروم إنه قرأ لثيؤفيلس تفسيرًا للأناجيل، ولسفر أمثال سليمان الحكيم، ولكنه يشك في صحة نسبتهما إليه. ويعود فيقول إن العمل المذكور سابقًا، كان تفسيرًا شاملاً للأناجيل الأربعة. **(المرجع السابق)**.

****

٣- أسكلبياس الأنطاكي

الأسقف

يعد أسكلبياس (أسكلبيادس) Asclepias الأسقف التاسع في عداد أساقفة أنطاكية (٢١١ / ٢١٢م- ٢١٨م). وقد خلف الأسقف سرابيون. واعترف بإيمانه المسيحي في أثناء اضطهاد سبتميوس ساويرس.

أثنى عليه الأسقف إسكندر أسقف أورشليم. في ذلكم الوقت كان يعاون الأسقف نركيسوس لتقدمه في الأيام (انظر إسكندر الأورشليمي) لعله كان معه في أثناء سجنه **(يوسابيوس ٦: ١١، ٤ و٥)**. وقد خلفه الأسقف فيليتوس Philetus **(يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة ٦: ٢١: ٢، موسوعة الكنيسة الأولى)**.

****

٤- لوقيانوس الأنطاكي

حياته:

يعتبر لوقيانوس (لوقيان أو لوسيان) Lucian مؤسس مدرسة اللاهوت في أنطاكية -كما يرى كواستن- وقد ولد في ساموساطا Samosata. ولا نعرف سوى القليل عنه **(شاف- الجزء الثاني)**.

ويصفه يوسابيوس المؤرخ الكنسي أنه كان بالغ الزهد في حياته، وكان رجلاً ممتازًا من كافة النواحي، يعيش باعتدال، وهو ضليع في التعليم الديني. وكان كاهنًا بارزًا في أنطاكية ولكنه انتقل إلى نيقوميدية، حيث كانت آنذاك مقر الامبراطور.

استشهاده:

استشهد لوقيانوس عندما أقر بالإيمان الذي كان يؤمن به أمام الامبراطور ماكسمينوس دايا Maximinus Daia حيث استشهد في ٧ يناير من عام ٣١٢م في نيقوميدية -بعد أن أودع في السجن- نتيجة للعذابات التي تلقاها هناك. **(موسوعة الكنيسة الأولى -الجزء الأول)**. ويذكر روفينوس النص الدفاعي الذي ألقاه أمام القاضي الوثني، غير أن مصداقية النص تظل موضوع شك. **(كواستن)**.

يميز بعض الدارسين بين اثنين يحملان نفس الاسم، أحدهما مستقيم العقيدة، أما الآخر فهرطوقي. غير أن شاف Shaff يرى أن هذا الفرض لا أساس له من الصحة.

وثمة رأى آخر يقول إن لوقيانوس كان عالمًا مقتدرًا إلاَّ أنه له بعض الآراء عن "الثالوث" وعن شخص "السيد المسيح" لم تكن تتفق مع ما جاء فيما بعد في مجمع نيقية. ويرى "شاف" أن كل هذا قد مُحى تمامًا باعترافه البطولي ونيله الشهادة. **(شاف- مرجع سابق)**.

يذكر يوسابيوس المؤرخ الكنسي مرتين استشهاده، غير أنه لم يذكر شيئًا عن آرائه اللاهوتية. **(شاف- مرجع سابق).**

ويُذكر أنه بعد استشهاده في نيقوميدية، نُقل جثمانه إلى دريبانوم حيث دفن هناك.. وأصبح المكان موضع تردد المؤمنين عليه، إلى أن أقامت القديسة (الملكة) هيلانة فيما بعد كنيسة فوق قبره. وهذه الكنيسة هي التي تلقى فيها ابنها قسطنطين تعليمه الديني قُبَيل اعتماده **(أسد رستم: مرجع سابق).**

كما أنه في تلك الكنيسة أيضًا ألقى ذهبي الفم بعض عظاته، كتلك التي مدح فيها لوقيانوس أو في تفسيره لإشعياء (٦:٩). **(المرجع السابق).**

أعماله:

لم يكن لوقيانوس كاتبًا غزير الإنتاج. ويشير چيروم إلى "رسالته القصيرة عن الإيمان"، دون الإشارة إلى محتوياتها. وكان عالمًا في العبرية ومن بين الأعمال التي ذكرت قيامه بتصحيح الترجمة اليونانية للعهد القديم في الأصل (الترجمة السبعينية). وهذه الطبعة المنقحة كانت موضع ثقة أعداد كبيرة من الكنائس في سورية وأسيا الصغرى، كما يقول چيروم فقد لاقت تقديرًا كبيرًا. وتوجد اقتباسات عديدة منها في كتابات كل من يوحنا ذهبي الفم وثيؤدوريت Theodoret. ولم يتوقف تعامل لوقيانوس مع نصوص العهد القديم فحسب وإنما امتد للعهد الجديد أيضًا. ويذكر چيروم عمله عن الإيمان ولكن دون ذكر تفاصيل. **(Jerome: De Vir. ill. 77)**.

تعليم لوقيانوس

كانت المدرسة التي أسسها لوقيانوس في أنطاكية ضد منحى التشبيه المجازي واستخدام الرمز في تفسير الكتاب المقدس (الذي اتبعته مدرسة الإسكندرية). وكرست نفسها لتفسير الكتاب المقدس على أساس حرفي. **(كواستن- مرجع سابق).**

وبالرغم أن ثمة كتابات هامة. أثمرتها تلك المدرسة، بما أمدت به الكثيرين من الكتبة الكنسيين اللاحقين. إلاَّ أنه كان نتيجة ذلك أن اتجهت اتجاهًا لاهوتيًا غريبًا. ونجد ذلك في الرسالة التي كتبها الأسقف السكندري "ألكسندر" وأرسلها إلى أساقفة مصر وسورية وأسيا وكبدوكية وذلك بعد وفاة لوقيانوس بنحو عشر سنوات وفيها يوجه تهمة للوقيانوس بأنه كان خليفة بولس الساموساطي، وأنه السبب في التعليم الذي نادى به.. فيما بعد آريوس حيث تبنى أفكارًا يهودية منحرفة. فقال: "لقد اتبع لوقيانوس بولس الساموساطي، وأن المجتمع الأنطاكي هناك قد

حرمه من الخدمة لمدة ثلاث فترات أسقفية -أي في عهد ثلاثة أساقفة- **(موسوعة الكنيسة الأولى- مرجع سابق)**. حيث قطعه دمنوس الأسقف وحتى تولى تيرانوس (٣٠٤- ٣١٦م) بعد كيرلس **(أسد رستم: المرجع السابق)**.

وعلى خلاف كواستن يرى "سيمونيتي" Simonetti أن المعلومات الضئيلة المتوفرة عن لوقيانوس الأنطاكي أدت إلى سوء فهم عند بعض الباحثين المعاصرين. إذ اعتبروا لفترة طويلة أن لوقيانوس هو مؤسس مدرسة في التفسير الحرفي بأنطاكية، وهي على النقيض من مدرسة التفسير الرمزي الذي كانت تتبعه مدرسة الإسكندرية- **(انظر الجزء الثاني من موسوعة آباء الكنيسة)** ويرى "سيمونيتي" أن مدرسة أنطاكية بدأت فحسب مع ثيؤدوروس الطرسوسي بعد عدة عقود من استشهاد لوقيانوس. بالإضافة إلى أنه نتج عن العبارة التي قالها "ألكسندر" التي ذكرت آنفا: أنه كان تلميذاً لبولس الساموساطي، وأنه قد استمر مقتنعًا بفكره الهرطوقي، وهكذا تورط في ردود الأفعال التي أدانت بولس الساموساطي، وقد استبعدوه من المجتمع الكنسي، غير أن الكنيسة قبلته مرة أخرى وذلك قُبَيْل استشهاده **(سيمونيتي- موسوعة الكنيسة الأولى)**.

ويضيف كواستن أن آريوس ومن اتبعوا فكره المنحرف بعد ذلك كانوا قد تلقوا تعليمهم على يد لوقيانوس في أنطاكية. وكان آريوس نفسه يفتخر بأنه من تلاميذه. ووصف نفسه أنه "لوقياني". وخاطب آريوس الأسقف يوسابيوس الذي من نيقوميديا -والذي خلف لوقيانوس- على أنه أحد معضدي لوقيانوس. ويرى كواستن أن نفي لوقيانوس لأزلية "الكلمة" ونفى "الروح البشرية" للسيد المسيح، كل هذا يجعله فعلاً "أب الآريوسية"، وأنه هو معلم آريوس وأتباعه ويتفق سيمونيتي معه في هذا الرأي.

وهكذا نجد أن جذور "الآريوسية" لا توجد في الإسكندرية، حيث تم التعليم بها، بل في أنطاكية. وقد استمرت بدعة التبني التي قال بها بولس الساموساطي مع بعض التعديلات في تعليم آريوس. حيث انتهت إلى المساس بألوهية المسيح المطلقة التي هي من أساسيات الإيمان المسيحي. **(كواستن- مرجع سابق)**.

أما "شاف" Shaff فيرى أن العقيدة التي نسبت إليه، والتي ظلت باقية بعد استشهاده، كانت عقيدة مستقيمة إلى الحد الذي كانت عليه. وقد عرضت -مع ثلاث عقائد أخرى مشابهة- على مجمع أنطاكية في سنة ٣٤١م. وهي تتعلق بالتحديد

بالثالوث وبالاعتراف بالرب يسوع المسيح. وهي تماثل قانون غريغوريوس صانع العجائب: "كابن الله، الابن الوحيد، الذي به صنعت كل الأشياء، المولود من الآب قبل كل الدهور، إله من إله، الكل في الكل، واحد من واحد، الكامل من الكامل، ملك الملوك، إله الآلهة، الراعي، الباب، الثابت، بكر كل خليقة، كان مع الله، الكلمة الإلهي"، وطبقًا لما جاء في إنجيل يوحنا: "وكان الكلمة الله" (يوحنا ١:١). "وفيه يقوم الكل" (كولوسي ١: ١٧). الذي نزل من الأعالي في الأيام الأخيرة، وجاء في الهيئة كإنسان، الوسيط بين الله والناس".. الخ.

****

٥- مالكيون الأنطاكي

القس

كان مالكيون Malchion الأنطاكي في مقدمة من طالبوا بمحاسبة بولس الساموساطي على أفكاره المنحرفة **(كواستن. مرجع سابق)**.

ويعتبر يوسابيوس القيصري المؤرخ الكنسي هو المصدر الوحيد الذي يخبرنا عن حياة مالكيون الأنطاكي **(تاريخ الكنيسة ٧: ٢٩: ١و٧، ٧: ٣٠: ١-٧١)** وقد اعتمد عليه چيروم (De Vir. ill. 71). وتُعَيِّد له الكنيسة في أنطاكية في ٢٨ أكتوبر من كل عام. **(موسوعة الكنيسة الأولى- مرجع سابق)**.

ثقافته:

كان مالكيون رجلاً ذا علم. فقد كان على رأس مدرسة لتعليم الخطابة فهو من معلمي الفلسفة والمنطق والبلاغة (كواستن). وكانت تلك المؤسسة إحدى المؤسسات التعليمية اليونانية في أنطاكية **(موسوعة الكنيسة الأولى)**. وقد أوليت إليه هذه المسئولية نظرًا لما كان يتمتع به من ثقة كبيرة في إيمانه النقي. **(كواستن. مرجع سابق)**.

دور مالكيون:

رُسم مالكيون كاهنًا، وكان أحد المنوطين بتفنيد إدعاءات بولس الساموساطي. حيث يذكر أن الآباء المجتمعين للنظر في أفكار بولس الخاطئة قد أجمعوا على أن يقوم مالكيون بمناقشته رسميًا. **(أسد رستم: مرجع سابق)**. وتلك المناظرة محفوظة حتى الآن، إذ كان قد كلف بعض الأشخاص بتسجيلها. وقد أبرزت تلك المناقشة قدرة مالكيون، إذ كان الوحيد من بين أولئك المجتمعين من استطاع أن يكشف زيف ادعاءاته، وخطأ آرائه. وذلك فيما يعرف بمجمع أنطاكية المنعقد في سنة ٢٦٨م. **(للمزيد من المعرفة انظر مادة المجامع في موضعها من هذا الجزء)**. حيث قام الرعاة المجتمعون آنذاك بتحرير رسالة جماعية، وأرسلوها بصفة شخصية إلى ديونيسيوس أسقف روما، ومكسيموس أسقف



الإسكندرية، ونشروها فيكل المقاطعات. وكانت تلك الرسالة علامة على غيرتهم من جهة، وعلى إدانتهم لضلال بولس الساموساطي وخطأ أفكاره وانحراف تعليمه من جهة أخرى. وفي تلك الرسالة ذكر للمناقشة التي دارت بينهم، والأسئلة التي وجَّهوها إليه. وكذلك ذكر لحياته وسلوكه. **(تاريخ الكنيسة: ٧: ٢٩، ١- ١:٣٠)**.

واستناداً إلى ما ذكره "چيروم" فإن مالكيون هو أيضًا كاتب الرسالة العامة التي أرسلها الأساقفة بعد المجمع. ومن تلك الرسالة اقتبس يوسابيوس بعض الفقرات وهي التي تتعلق بحياة بولس الساموساطي وأخلاقياته، وقد أرفقت نسخ من محاضر الجلسات بالرسائل.

وقد أدان المجمع بولس الساموساطي لأنه لم يميز بين الآب والابن. كما أنه لم يعترف بالأقانيم الثلاثة، واستناداً إلى ما يقوله ليونتيوس Leontius إنه خلع اسم الآب على الله الذي خلق كل شيء، واسم الابن على من هو إنسان فحسب، واسم الروح للنعمة التي حلَّت في الرسل. وكان يؤمن - إيمانًا خاطئًا- بأن يسوع لم يكن الكلمة، وإنما كان أعظم من موسى والأنبياء. وأن المسيح كان إنسانًا، مساوياً لنا، ولكنه أفضل من كل جانب.

وهكذا فإن بولس الساموساطي لم يكن يعترف إلا بالثالوث من جهة الاسم فحسب. ومن الواضح أنه كان يشارك فكر أصحاب هرطقة التوحيد المطلق **(للمزيد من المعرفة يمكن الرجوع إلى الجزء الأول من هذه السلسلة الباب السادس تحت بند (٤) معارضو عقيدة الثالوث، ٤- بولس الساموساطي)**. كما أن أفكاره عن شخص السيد المسيح تذكرنا بالصيغة الموداليّة لبدعة التبني، **(راجع أيضًا من الجزء الأول: الباب السادس: بند الفئة الثانية من الغنوسية)**.

وثمة ما يسمى بالرسالة إلى هيمنايوس Hym-naeus. قيل عنها: إن ستة من الأساقفة أرسلوها إلى بولس الساموساطي قبل انعقاد مجمع سنة ٢٦٨م. وقيل أيضًا إن أولئك الأساقفة قد شاركوا في المجمع. ويذكر كواستن شكه في مصداقية الرسالة. وينسحب هذا الأمر أيضًا على خمس شذرات أخرى عن رسائل شفوية: خُطب إلى سابينوس Sabinus جُمعت في القرن السابع.

****

٦- بولس الساموساطي

ينسب إلى ساموساطا Samosata مسقط رأسه. وهي عاصمة المقاطعة السورية كوماچين. وتقع ساموساطا شمالي مدينة الرها بنحو ٥٠ كم. وكان أسقفًا لأنطاكية منذ عام ٢٦٠م. تبوأ المناصب العامة في ذات الوقت، وشغل منصب



محافظ (حاكم) ووزير الخزانة في حكومة ملكة تدمر، الملكة زنوبيا (زينب) Zenobia، في پالميرا Palmyra. ولكن سلوكه كان يتفق مع مناصبه الدنيوية، بالأحرى عن منصبه الكنسي (**موسوعة الكنيسة الأولى**).

تعاليمه:

لقد واجهت تعاليمه استهجانًا كبيرًا، فيما بين عامي ٢٦٤، و ٢٦٨م، حيث أرادت الكنيسة أن ترده إلى صوابه ولكن دون جدوى. فعقدت أثناء تلك الفترة ثلاثة مجامع، انتهى المجمعان الأولان منها دون أية نتيجة عملية. إلاَّ أن المجمع الثالث الذي عقد في سنة ٢٦٨م، قد أعلن أن تعليم بولس خاطيء، وأعلن حكمًا بعزله. وبرغم ذلك رفض أن يترك مباني الكنيسة التي كان يشغلها. ويعود الفضل في تفنيد ادعاءاته وكشف أضاليله إلى القس مالكيون. (**للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع للمادة -مالكيون- مادة تالية وإلى مادة: المجامع: من هذا الجزء وإلى الجزء الأول من سلسلة "تاريخ آباء الكنيسة". الفصل السادس بند ٤- معارضو عقيدة الثالوث، مادة ٤ بولس الساموساطي، والجزء الثاني من تاريخ آباء الكنيسة**).

وقد عقد المجمع الأخير -المشار إليه آنفًا- في عهد أورليانوس Aurlian حضره عدد كبير من الأساقفة حيث أدين بقرار إجماعي، وحرم من الكنيسة. (**كواستين - مرجع سابق**).

****

٧- دورثيوس الأنطاكي

القس

يذكر المؤرخ يوسابيوس القيصري أنه كان قد قابل القس دورثيوس Dorotheus حين كان كيرلس أسقفًا لأنطاكية نحو (٢٨٠- ٣٠٣ تقريبًا). ويبدو أن يوسابيوس هو المصدر الوحيد.

يقول عنه يوسابيوس:

"نعرف دورثيوس، في أثناء فترة أسقفية كيرلس. ودورثيوس رجل متعلم، اعتبر مستحقًا أن يكون قسًا في أنطاكية.. وقام بدراسة واعية للغة العبرية لدرجة أنه كان يقرأ بفهم الأصل العبري للأسفار المقدسة. كما أنه كان على علم باليونانية والدرسات الحرة، كما أنه كان خصيًا منذ مولده. حتى إن الامبراطور اعتبر أن ذلك ضرب من المعجزات، فاتخذه صديقًا له وأكرمه. بأن عيَّنه في أعمال إدارية، فأوكل إليه إدارة مصبغة مدينة صور. وقد سمعناه يلقي محاضرات تفسيرية للكتاب المقدس في الكنيسة" (**يوسابيوس ٧: ٣٢: ٢-٤، نقلاً عن كواستين- مرجع سابق، راجع أيضًا موسوعة الكنيسة الأولى، وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى: أسد رستم**).



ولم يذكر يوسابيوس أي أعمال لدورثيوس أو أنه كان قد علَّم في مدرسة أنطاكية، غير أنه في عصور متأخرة كان ثمة اتجاه للربط بينه ولوقيانوس.

****

٨- الأسقف دورثيوس الأنطاكي

ثمة دورثيوس آخر، هو أسقف هيراكليا في ثراسي. يقال عنه إنه كان أريوسي معتدل! ورشح نفسه لمنصب الأسقف للمجتمع الأريوسي في أنطاكية إبان وفاة يوزويوس Euzoius وذلك في عام ٣٧٥م. غير أن ثيؤدوسيوس الأول وهو ضد الفكر الأريوسي، أصدر مرسومًا في عام ٣٨١م ليجبره على التخلي عن ذلكم المنصب. وعاد مرة أخرى إلى ثراسي موطنه الأصلي. (**موسوعة الكنيسة الأولى: سيمونيتي**).





أهم المراجع الخاصة بالجزء الثالث من موسوعة آباء الكنيسة

١- في العربية

١- الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد

٢- أسد رستم، دكتور

آباء الكنيسة (القرون الثلاثة الأولى)

منشورات النور: بيروت لبنان ١٩٨٣ .

٣- يوأنس، أنبا

أسقف الغربية

الكنيسة في عصر الرسل

طبعة ثانية: ١٩٩٣

مكتبة مار مرقس: الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية بالقاهرة.

٤- غريغوريوس، أنبا، أسقف عام للدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي

القدس المسيحية منذ القديم وإلى اليوم

منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية و البحث العلمي

سلسلة المباحث التاريخية

يوليو (تموز) ١٩٩٢م.

٥- متى المسكين، الأب

القديس أثناسيوس الرسولي -البابا العشرون

سيرته، دفاعه عن الإيمان ضد الأريوسيين، لاهوته.

مطبعة دير القديس أنبا مقار- وادي النطرون

الطبعة الأولى: مايو ١٩٨١م.

٦- متى المسكين، الأب

تاريخ إسرائيل (من واقع نصوص التوراة والأسفار ما بين العهدين)

مطبعة دير القديس أنبا مقار- وادي النطرون

الطبعة الأولى: ١٩٩٧ .

٧- يوسابيوس القيصري، المؤرخ

تاريخ الكنيسة: ترجمة القمص مرقس داود

مكتبة المحبة: القاهرة

الطبعة الثالثة: مارس ١٩٩٨ .

٨- ب. كاستيلانا، الأب

تعريب ر. خوري، الأب

تاريخ الكنيسة في المدن السورية منذ نشأتها وحتى القرن الرابع

صدر عن ISG بدون تاريخ نشر.

٩- هنري س. عبودي

معجم الحضارات السامية

(عربي- فرنسي- إنكليزي)

جروس برس: طرابلس- لبنان

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠- **معجم الوسيط:** معجم اللغة العربية

جزءان

الطبعة الثانية

عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

١١- قاموس الكتاب المقدس

نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين

طبعة تاسعة

دار الثقافة: ١٩٩٤ .

١٢- أسد رستم، دكتور

كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى

منشورات المكتبة البولسية: لبنان

الجزء الأول

طبعة ١٩٨٨ .



١٣- عادل فرج عبد المسيح، المحرر المسئول

موسوعة آباء الكنيسة

الجزءان الأول والثاني

دار الثقافة: القاهرة

الجزء الأول طبعة أولى ١٩٩٩

الجزء الثاني طبعة أولى ٢٠٠١ .

٢- بالإنجليزية

14- Brown IESIEY, ED:

Shorter Oxford

English Dictionary. 2 Volumes

CLARENDON. Press. Oxford 1993.

15- DI BERADINO, ANGELO, ED. TRANS. BY WOLFORD, ADRIAN:

Encyclopedia OF THE EARLY CHURCH, 2 Volumes, JAMES CLARKE & CO. CAMBRIDGE, FIRST PUBLISHING, GREAT BRITAIN 1992.

16- **Encyclopedia encarta**, version 2000.

17- EL WELL, WAITER A., G. ED.

Baker Encyclopedia of the Bible,

2 Volumes, Baker book House

Crand Rapids, Second Printing 1989.

18- Jean Comby

How to read Church History

Translated by John Bowden and Margaret Iyda more from french,

volume I from the beginning to the fifteenth century.

SCM press LTD.

19- MERRIL C. TENNY, General Editor,

STEVEN BARABAS, Associate Editor

The Zondervan Pictorial Encyclopedia of the Bible

in Five Volumes.

The Zondervan Corporation, Grand Rapids Michigan.

20- PEEIFFER Charles. Howard
F. vos John Rea, Eds.
Wycliff Bible Encyclopedia,
2 Volumes, Moody press,
Chicago, 1987.
Quasten, Johannes
PATROLOGY, Christian
Classics, inc. 1992.

21- Sheldon, Henry C. **History of The Christian Church**
5 Volumes
HENDRICKSON PUBLISHERS,
April 1988.

22- **Syriac Orthodoxy Church of Antioch At Glance,**
A Book by H.H. Moran Mor IGNATIUS ZAKA II, was Patiarch of antioch and all the East.

23- Thompson J.A.
Handbook of Life In Bible Times.
LEICESTER, INTER- VARSITY
PRESS, FIRIST PUBLISHED 1986.

24- UNGER, MERRIL F.
The New Unger's Bible Dictionary
Moody press Chicago, 1988.

